



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي



الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي

المجلد الخامس عشر

الملاحم العامة لجغرافية العالم الإسلامي

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

طبع بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

أشرفت على طباعته ونشره الإدارة العامة للثقافة والنشر بالجامعة

الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي
الملاحم العامة لجغرافية العالم الإسلامي

ح) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . عمادة البحث العلمي

الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي - الرياض

٩٤٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم .

ردمك ٣ - ٢٧٢ - ٠٤ - ٩٩٦٠ (مجموعة)

٢ - ٢٨١ - ٠٤ - ٩٩٦٠ (ج ١٥) .

المجلد الخامس عشر: الملامح العامة لجغرافية العالم الإسلامي

١ - العالم العربي - جغرافيا - موسوعات ٢ - العالم العربي - موسوعات

أ - العنوان .

ديوي ٣، ٩١٠ ١٩/٣٠٦٣

رقم الإيداع : ١٩/٣٠٦٣

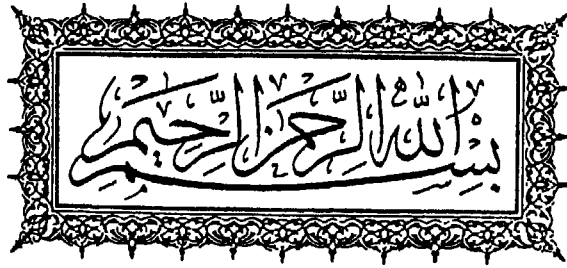
ردمك ٣ - ٢٧٢ - ٠٤ - ٩٩٦٠ (مجموعة)

٢ - ٢٨١ - ٠٤ - ٩٩٦٠ (ج ١٥) .

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٩٩٩ م / ١٤١٩ هـ



هيئة الإشراف

مدير الجامعة

رئيساً

معالي الأستاذ الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

عضواً

الدكتور محمد بن عبدالرحمن الربيع

عميد البحث العلمي

عضواً

الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الربيعي

الأستاذ الدكتور مهدي أمين التوم

عضواً

المشرف العلمي / رئيس هيئة التحرير

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور / مهدي أمين التوم

عمادة البحث العلمي - الرياض

الأستاذ الدكتور / عبدالله بن ناصر الوليعي

أستاذ - قسم الجغرافيا - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

الأستاذ الدكتور محمود توفيق محمود

أستاذ - عمادة البحث العلمي - الرياض

الدكتور عبدالله بن حمد الخلف

أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

الدكتور الأصم عبدالحافظ أحمد

أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

الدكتور إبراهيم بن صالح الدوسري

أستاذ مساعد - قسم الجغرافيا - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

الدكتور عبدالله بن صالح الرقية

أستاذ مساعد - قسم الجغرافيا - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

الدكتور عبدالرحمن بن علي السندي

أستاذ مساعد - قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

الدكتور محمد بن صالح الربدي

أستاذ مساعد - قسم الجغرافيا - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن السبيهي

أستاذ مساعد - قسم الجغرافيا - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

الأستاذ محمد عطيه عبدالمحسن فني الخرائط

المحتوى

الصفحة	الموضوع
١٥	١ - المملكة العربية السعودية وجهودها في العالم الإسلامي. معالي الأستاذ الدكتور / عبدالله بن عبدالمحسن التركي.
٥٣	٢ - الملامح العامة للجغرافيا الطبيعية للعالم الإسلامي الأستاذ الدكتور/ عادل عبدالسلام عبدالسلام.
٢٣٩	٣ - سكان العالم الإسلامي. الدكتور / السيد خالد المطري.
٤٥٧	٤ - الجغرافيا الحضارية للعالم الإسلامي. الأستاذ الدكتور / محمد محمود السرياني.
٧٠٧	٥ - مقوّمات التكامل الاقتصادي بين دول العالم الإسلامي. الأستاذ الدكتور / إسماعيل عبدالرحيم شلبي.

الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي
المجلد العام الجغرافية للعالم الإسلامي

المملكة العربية السعودية وجهودها

في العالم الإسلامي

معالي أ.د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد:

فمن الأرض التي قام فيها أول بيت وضع للناس في مكة المكرمة، استمدت الجزيرة العربية مكانتها في التاريخ الإنساني، ومنذ أن أشرق فيها الإسلام بنوره من مكة المكرمة، ارتبط تاريخ الأمة الإسلامية في نشأتها وقيام دولتها الأولى بأرض هذه البلاد، المملكة العربية السعودية.

وبعد أن قامت الدولة الإسلامية التي أنشأها الرسول صلوات الله وسلامه عليه في المدينة المنورة، أصبح للجزيرة العربية كلها دولة قادرة، بسطت نفوذها، ومدت سلطانها عليها لأول مرة في تاريخها، وكانت الدول والإمارات تقوم في أطراف الجزيرة، وتخضع في غالب الأحيان لممالك كبرى، كالفرس والروم، ولم يكن في وسط الجزيرة سلطان موحد، ولا حياة حضرية لها معالمها، بل إنه من الصعب معرفة جغرافية الجزيرة العربية، لا سيما نجد، لأنه لا يوجد تقسيم بحسب الولايات أو المناطق، بل كانت نجد تعرف بنواحيها الشمالية والغربية والشرقية وناحيتها الجنوبية، التي من أشهر بلادها الرياض، فلم تكن هناك سلطة سياسية واحدة، بل قبائل متناحرة ومتفرقة، ويرجع الفضل في نشأة الدولة والسلطة الموحدة والمجتمع المتميز حضارياً إلى الإسلام وحده، لأنه بعد قيام دولته حملت هذه الدولة رسالة مقدسة وحضارة إنسانية رائدة، واستطاعت في عشرات من السنين أن تنشر الإسلام في أرجاء واسعة من العالم القديم، وأن تقضي على ما تبقى من حضارة ذاهبة للفرس والرومان.

وفي القرن الهجري الثاني وعلى امتداد عدة قرون، ساد النظام الإسلامي في العالم «في القرون الوسطى» خلفاً للنظام الروماني الذي كان مسيطراً على العالم القديم.

كانت النصرانية قد ظهرت فيها الفرق العقائدية المتعددة، بعد تحريف الوحداية التي دعا إليها المسيح عليه السلام، كما أن اليهودية تحولت منذ زمن بعيد إلى عزلة دينية واجتماعية اختص بها اليهود أنفسهم.

وفي نفس الوقت لم تكن هناك حضارة إنسانية تقف بجوار الحضارة الإسلامية البارغة، التي أقام الإسلام أصولها وقيمها، وحدد مقاصدها وغاياتها، لتكون مثلاً ونموذجاً لحضارة الإنسان على امتداد الزمان والمكان، واستطاع المد الإسلامي في أقل من قرن من الزمان أن يقضي على الوثنية والشرك، وأن يخلف بجدارة واستحقاق، بشريعته الإلهية كل الأنظمة السائدة وقتذاك.

من أرض المملكة العربية السعودية، انبعث نور الإسلام، فبدد ظلمات الجاهلية التي سادت في العصر القديم، وقضى على الوثنية والشرك بأرض الجزيرة العربية كلها، فقد كان بعثه صلى الله عليه وسلم قضاء على الجاهلية (العامية والعالمية) لبني الإنسان، والتي كانت تعم جنبات الأرض، وبعد رسالة الإسلام - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: تكون الجاهلية في أمة من الأمم، أو في بعض الناس، دون أن تسود العالم كله، كما كان الحال قبل الإسلام، إذ الجاهلية في حقيقتها، مجموعة من القيم الخلقية والاجتماعية التي يظهر فيها البعد عن الحقيقة الدينية الكبرى، والتخلف الحضاري والإنساني، وقد قضى الإسلام بعقيدته على الوثنية والشرك، وأبطل بشريعته كل القيم الجاهلية التي تمثل تخلفاً حضارياً وإنسانياً، ولقد كانت المملكة الأرض التي عاشت عليها أول أمة تحررت من

الجاهلية الأولى، ونشرت علمها في أقطار الأرض، وهذا التاريخ في جانبه الديني والإنساني، يحدد لنا مكانة المملكة بين أمم العالم وشعوبه، ومن الخصوصية الحضارية للملكة القائمة على أسس راسخة من الإسلام، تحدد مكائتها بين دول العالم الإسلامي.

فالمملكة، تهوى إليها أفئدة المؤمنين في أنحاء الأرض، تحقيقاً لدعوة إبراهيم عليه السلام: (واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) في الحج، وفي زيارة البيت الحرام ومسجد الرسول صلوات الله عليه وسلامه، وهي التي تقوم على خدمة الحرمين الشريفين وحجاج بيت الله وعماره، وهي النموذج الإسلامي الظاهر أمام دول العالم وشعوبه، وقد كان هذا النموذج في عهد النبوة مثلاً أعلى، وظلت الجزيرة العربية تقدم هذا النموذج الإسلامي، وإن كانت الدولة التي يظهر فيها، قد انتقلت خلال تاريخ الإسلام من المدينة المنورة إلى العواصم الكبرى، بدءاً من الكوفة وحتى دمشق وبغداد والقاهرة واسطنبول.

ولكن منذ نشأة الدولة السعودية في العصر الحديث، أصبحت هي النموذج الظاهر للدولة الإسلامية على المستوى العالمي، وهذه الخصوصية يمتزج فيها التشرف بالتكليف، ويظهر ذلك واضحاً في أن لقب ملك المملكة العربية السعودية، هو خادم الحرمين الشريفين، وأن النظام في المملكة يقوم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن ناحية أخرى، فإن نموذج الدولة الإسلامية المعاصرة، والذي تنتهجه المملكة، يلقي عليها مسؤولية كبرى تجاه العالم العربي والإسلامي، وتجاه أمم الأرض كلها على الأساس الإنساني، الذي هو من مقومات الإسلام ومبادئه في العلاقات بين البشر، ويبدو هذا النموذج واضحاً وظاهراً في نصوص نظام الحكم الأساسي للملكة، والذي صدر بتاريخ ٢٧/٨/١٤١٢هـ.

فالمملكة العربية السعودية، دولة عربية إسلامية، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولغتها اللغة العربية.

وفي هذا النص، تحددت هوية المملكة على نحو قاطع، وهي الهوية الإسلامية الأصيلة لأمة الإسلام الأولى بخصائصها ومميزاتها وتفرداها.

وطبقاً لنصوص نظام الحكم الأساسي للمملكة فإن الدولة، تحمي عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمّر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله، كما أن الدولة تقوم بإعمار الحرمين الشريفين وخدمتهما، وتوفير الأمن والرعاية لقاصديهما، بما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة.

وبهذه النصوص في نظام الحكم الأساسي، تتحدد هوية الدولة، وتبين مصادر تشريعها وينابيع ثقافتها، وأهم مقاصدها، وأعظم خدماتها، وتظهر عنايتها بشعائر الإسلام ومناسكه، ورعايتها لأبناء الأمة الإسلامية كلها، والوافدين إليها لأداء فريضة الإسلام وشعائره.

ولا تكاد تتوافر في دولة من الدول الإسلامية المعاصرة، تلك العناصر مجتمعة ومتراصة، تشمل جوانب العقيدة والنظام الاجتماعي والسياسي كلها.

والحقيقة أن نظام الحكم الأساسي في المملكة، أعطى صياغة تشريعية لواقع ديني واجتماعي ظل سائداً قروناً منذ رسالة الإسلام، التي أراد الله أن تكون مكة المكرمة مطلع فجرها وأرض شروقها، وجاءت الدولة السعودية الحديثة لتضع هذا الواقع الديني والاجتماعي في مكانه، باعتباره أهم مقاصدها وأعظمها، تحقيقاً لرسالة الدين، واهتداء بشريعته وقيمه في إصلاح المجتمع وتطويره.

المملكة العربية السعودية

النشأة - التوحيد - الخصائص - النهضة

تقع المملكة العربية السعودية في شبه الجزيرة العربية، وهي تشغل المساحة الكبرى من شبه الجزيرة، إذ تمثل المملكة التي تبلغ مساحتها ٢,٢٤ مليوني كم تقريباً، أربعة أخماس شبه الجزيرة العربية، وبسبب موقع المملكة من شبه الجزيرة العربية، ظلت على الدوام المركز الديني الأول والظاهر فيها، لوجود أول بيت وضع للناس على أرض مكة المكرمة، بعد أن أقامه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وحتى قبل ظهور الإسلام، كانت مكة المكرمة مركزاً دينياً في شبه الجزيرة العربية، وما حولها، وبدأ منها تحرير شبه الجزيرة من الوثنية والشرك في عصر النبوة، وكذلك حمايتها من التفتت والانقسام في عصر الخلفاء الراشدين، فقد كانت حروب الردة، في عهد الخليفة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - دفاعاً عن الدين وعن وحدة الدولة الإسلامية الوليدة، التي يجب أن ينسب سلطانها على الجزيرة العربية كلها، ولعل حروب الردة، والتي ارتأى الخليفة الأول أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ضرورتها، هي أول قتال للدفاع عن الكيان السياسي لدولة الإسلام الأولى ووحدها السياسية، إذ كان السبب الأول فيها، هو رفض المرتدين الانصياع لسلطان الخليفة الأول السياسي، والتمرد على أحكام الشريعة في شأن الزكاة، وقد رأى بعض كبار الصحابة في أول الأمر عدم ضرورتها، ولكنهم عدلوا عن ذلك إلى رأي الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان القضاء على الردة في عهده حماية للدولة من التمزق السياسي، وللأمة من الفتنة في الدين.

وفي بداية القرن الأول الهجري، كانت بقية البلاد التي تقع علي حدود شبه الجزيرة العربية وفي أطرفها، مجرد قبائل مختلفة تأثرت بثقافات عديدة، ودخلها الإسلام باعتبارها من بلاد العرب، والتي تشكل أرض المملكة العربية السعودية، أهم أجزائها وأكبرها، وقامت فيها أهم المدن التي اشتهرت حتى قبل الإسلام، مثل مكة ويثرب (المدينة المنورة) والطائف، وعلى أطراف المملكة في الشمال والشرق والجنوب كانت تقع ممالك ومناطق خضعت سياسياً للفرس أو الروم، وفي الفترات القديمة من تاريخ الجزيرة العربية، تأثرت مدنها بثقافات عديدة، أشهرها البابلية والفارسية والرومانية، وحين ظهر الإسلام استطاع في أقل من مائة سنة أن يوحد ثقافة شبه الجزيرة، ويستوعب ما لا يتعارض مع عقيدتها وشريعتها، وكان ذلك راجعاً في المقام الأول إلى وحدة اللغة وبقائها حية بفضل القرآن الكريم، فلم تندثر اللغة العربية، كما حدث مع لغات عديدة انتشرت قديماً في المنطقة، ثم انحسرت واندثرت، كالآرامية والعبرية.

وكان انطلاق الإسلام إلى البلاد التي تقع على أطراف شبه الجزيرة العربية، من مكة المكرمة أو المدينة المنورة، باعتبار هذه البلاد داخلية في نطاق شبه الجزيرة العربية التي انطلق فيها نور الإسلام، وبعث فيها ومنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وامتد الإسلام من مكة المكرمة إلى الجزيرة العربية كلها وأطرافها جميعاً.

فأرض المملكة، كانت على مر التاريخ الإسلامي، هي مركز شبه الجزيرة العربية ومدنها، أهم المدن فيها، وكانت المركز الديني والحضاري، ومقر الدولة الموحدة على أساس الإسلام في شبه الجزيرة، وهي منذ ذلك الوقت ومكانتها تتعاضد، لما تتمتع به من كيان جغرافي وبشري، وخلفية تاريخية في الإسلام، تشغل صفحات مضيئة من هذا التاريخ، يكفي أنه من أرض مكة المكرمة والمدينة المنورة، انطلقت دعوة الإسلام، وقامت دولته، وظهرت أمته، وفي عصر النبوة وما

تلاه في عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم، تأسس الفهم الصحيح لقيادة الإسلام، وشريعته، وقيمه، ونظامه الاجتماعي، وتحددت رسالته في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وعن الفهم الصحيح والتطبيق السليم في عهد النبوة وفي عصر الصحابة، أخذ المسلمون في أنحاء الأرض علمهم وثقافتهم، ونشأت علوم الإسلام كلها، وقام الفقه الإسلامي في عصر نشأته وازدهاره (٨٠-٢٤٠هـ) بخدمة شريعة الإسلام، وفي نهاية القرن الثاني الهجري تقريباً، كان الفقه الإسلامي بأصوله وفروعه، أعظم تراث فقهي عرفته الشرائع السماوية السابقة، ولا يوجد في التراث الديني والثقافي لأمة من الأمم ما يطاول هذا التراث الذي نشأ على أرض المملكة، وفي التاريخ الإسلامي كله، لا يوجد ما هو أعظم قيمة، ولا أشد تأثيراً في حياة المسلمين على امتداد الزمان والمكان من ذلك العصر الذي شهدته أرض الجزيرة العربية التي تقوم عليها هذه المملكة.

إن أعظم تراث للإسلام، وأشدّه اتصالاً بالوحي وتأثراً بعهد النبوة، تكون في عصر الصحابة والتابعين، وكان علمهم مقدمة لازمة لعلوم الإسلام الكبرى التي نشأت بعد ذلك، لا سيما في علوم الشريعة.

فقد عاش معظم الصحابة وأكبر التابعين في أرض المملكة في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة، وقد كان الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم - حريصين على بقاء نخبة علماء الصحابة فيهما وزراء للخلافة وعلماء وهداة للمسلمين.

وهذا الكيان الجغرافي والديني والثقافي، يبشر بمستقبل زاهر لشعب هذه المملكة، ومستقبل زاخر بالعمل من أجل الإسلام، ومن أجل الجزيرة العربية كلها، بل من أجل العالم كله، والتاريخ يؤكد لنا أن توحيد الجزيرة حدث لأول مرة بعد الإسلام، وكانت بدايته من أرض هذه المملكة في عصر النبوة، وهو التوحيد الذي

ذكرنا أن الخليفة الأول أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - صانه من التمزق والانقسام عندما قضى على حركة الردة في أول خلافته، وهذا التوحيد السياسي، يبقى حتى في عصرنا هذا، أمراً لازماً لأمن شبه الجزيرة كلها على اختلاف ممالكها وإماراتها، إذ هي تكون منطقة واحدة جغرافياً وبشراً تشغل المملكة العربية السعودية أكبر أجزائها وأهمها.

ولقد قامت الدولة العثمانية، وسيطرت على البلاد الإسلامية بعد قرون من الضعف، تلت زوال الخلافة العباسية من بغداد عام (٦٥٦هـ) وقد بدأ ظهور قوة الأتراك في عصر الدولة العباسية، وفي عهد الخليفة المعتصم بالذات (٢١٨-٢٢٧هـ / ٢٣٣-٢٨٨م) حتى امتلكوا الدولة، وتصاعدت قوة الدولة العثمانية التي استطاعت في الخامس عشر الميلادي، أن تفتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح، وأن تهدد بعد ذلك أسوار فينا في قلب أوروبا.

وفي القرن الثاني عشر الهجري، ساءت حالة العمران في أرض الحجاز، وغشيه التخلف الحضاري، وأثر ذلك على علوم الدين وقواعد الشريعة، وانتشر الجهل، وظهرت البدع في الدين والخرافات في تفكير الناس، حتى لقد عمت الرذائل، وكان ذلك في أرض الحرمين الشريفين التي ظهر فيها الدين وبعث منها رسول الإسلام.

وفي نجد قلب الجزيرة العربية، ساد الجهل، وانتشرت البدع والخرافات، وفشت بين الناس، وعلا شأن المنكر، وخفت صوت المعروف، ولم تكن هناك سلطة واحدة تعيد الأمور إلى نصابها، وتحقق للناس سلامة دينهم ومصالح دنياهم، فكان التناحر بين القبائل وبين الإمارات الدويلات الصغيرة.

وجملة القول، أنه لم تكن هناك سلطة سياسية تضبط أمور البلاد والعباد وفي ذلك الوقت، كانت الأمم في أنحاء الأرض، لا سيما بلاد غير المسلمين، تتقدم خطوات هامة في الرقي الحضاري.

والحقيقة التي ينبغي ذكرها، أنه في هذا القرن، ظهر ضعف المسلمين واضعاً، وتكالت عليهم دول الأرض ذات الحضارة البازغة، والأطماع الظاهرة في أرض المسلمين، والأهداف الخفية نحو دينهم وعقيدتهم، وكانت الجزيرة العربية كلها، تمثل التخلف الذي ران على حياة المسلمين، والذي كان أهم مظاهره، انعدام السلطة السياسية، أو تفرقها وتمزقها واختلافها، وشيوع الجهل بين الناس في علم الدين والدنيا، وضياع الأمن حتى على القاصدين لأداء فريضة الإسلام، في حج البيت الحرام، إذ كانت رحلة الحج محفوفة بالمخاطر بسبب انعدام السلطة التي تقوى على ضبط الأمن، وكان تأمين الحج، يتم عن طريق اتفاقات تعقد بين الأمراء المتفرقين في مختلف المناطق، وكثيراً ما كانت تنقض العقود والعهود بينهم، فيصير أداء فريضة الحج من أكبر المشقات أو حتى من المستحيلات، وظلت الجزيرة العربية في جملتها قروناً طويلة منقسمة إلى دول وإمارات وقبائل عديدة متنافسة ومتناحرة، وقام الحكام الذين بسطوا نفوذهم، ومنهم العثمانيون، بإخضاع الأقاليم الشرقية والغربية في شبه الجزيرة، ولكن المنطقة الوسطى، نظراً لطبيعتها القاسية، وعدم وجود مصالح ظاهرة فيها وقتذاك، لم تخضع لحكم أجنبي.

ولقد ساد شبه الجزيرة العربية كلها منذ القرن الثامن الهجري، تخلف حضاري، وجمود في الحياة الفكرية والعلمية، فقد كان باب الاجتهاد الذي تتطور به وفي نطاقه أحكام الفقه مغلقاً منذ قرون، كما أن انعزال شبه الجزيرة عن التقدم الحضاري الذي شمل كثيراً من بلاد العالم، زاد من عزلتها الحضارية، ولم تكن هناك محاولة جادة لتوحيد شبه الجزيرة العربية، أو إقامة دولة فيها تضم دويلاتها

وقبائلها المتفرقة والمتناحرة، فكان لذلك أثره على أهلها، وعلى الوافدين إليها لأداء شعائر الحج والعمرة، فضلاً عن انعدام الأمن الداخلي، والافتقار إلى سلطة مركزية تحدد للمجتمع أسس تقدمه ونموه، وتقود جهوده، وتوحد طاقا.

ولابد من الإشارة هنا إلى عبء التاريخ في هذه المنطقة بالذات، إن توحيدها وأسس تقدمها، كانا في الإسلام وحده، فلإسلام وحدها لأول مرة في تاريخها، ووضع لها منهج حياتها وتقدمها الحضاري وهو منهج إلهي، وقد وجدت الدعوة أولاً ثم الدولة الإسلامية التي قامت على منهج الدعوة بعد ذلك في المدينة المنورة، وحين ران الضعف والتخلف الديني على شبه الجزيرة العربية، وسادها التفكك الاجتماعي والسياسي عدة قرون، لم يكن لها مخرج منه إلا استنفار قوى الإسلام منهجاً وطريقاً للتجديد الديني، وللتخلص من الجاهلية التي تفشت في شبه الجزيرة العربية وأخرت تقدمها ونموها.

وفي الدعوة إلى التجديد الديني، كان الخلاص من جاهلية العصر الحديث في شبه الجزيرة، وفي الدولة التي قامت على المنهج الإلهي قوية وموحدة، كان الخلاص من التخلف الحضاري، وانفتاح الطريق أمام التقدم والنمو في الدولة السعودية.

لقد عمل الداعية المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- (١١١٥/ ١٢٠٦هـ - ١٧٠٣ / ١٧٩٢م) في تجديد الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، على بصيرة، بعد أن ساءت الأحوال في شبه الجزيرة، وفي نجد بالذات ساد الانحلال والخروج على أحكام الشريعة، وضعف العلماء أمام سطوة الشر وقوة الباطل وكثرة أعوانه.

وقد نشأ الشيخ في بيت علم وفضل، وأورثه ذلك رغبة صادقة في إقامة أحكام الدين، وتطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد لقي في بداية أمره مشقات عديدة.

وليس هذا مجالاً لتفصيل حياة الشيخ وجهاده في مجتمع تسوده الضلالة، وتنتشر فيه البدع، ويعم فيه الخروج علي أحكام الشريعة، ولا يقوم فيه أمير مطاع. وكانت تلك الحال دافعاً للشيخ على أن يستعين بأmir قوي، يساند دعوته، فلجأ إلى أمير العيينة عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م فعاونه في أول الأمر، ولكنه لم يستقم على منهج الدعوة، فترك الشيخ بلدة العيينة إلى الدرعية، وهياً الله له أميرها الإمام محمد بن سعود - رحمه الله - الذي كان معروفاً باستقامة الدين ونبيل الأخلاق، والرغبة في الإصلاح.

وتعاون الشيخ المجدد مع الأمير الذي منح دعوة الشيخ كل تأييد وعون، فانتسعت الدعوة، وامتدت إلى نواحي نجد كلها، ثم إلى خارج حدود نجد، ولم يكن ذلك هيناً ولا ميسراً، بل كانت دونه المشقات والحروب والغزوات، وفي عام (١٢٠٦هـ) توفي الشيخ المجدد الإمام محمد بن عبدالوهاب، رحمه الله، بعد أن انتشرت دعوته في شبه الجزيرة، وقامت فيها الدولة السعودية بجهد الأمير الإمام محمد بن سعود وخلفائه، وهي تجربة فريدة ووحيدة في العالم الإسلامي كله في العصر الحديث.

لقد قامت دولة الدعوة، وتحقق علي نحو كامل وظاهر أن الإسلام دين ودولة، وهي حقيقته منذ ظهوره، وتأسس في هذه المملكة الارتباط الوثيق بين الدعوة والدولة وهو الارتباط الذي يميز المملكة بين دول العالم الإسلامي في هذا العصر.

وفي كلمة خادَم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- بمناسبة صدور النظام الأساسي للحكم سنة (١٤١٢هـ): أن المملكة العربية السعودية التزمت في مختلف مراحلها منهج الإسلام، حكماً وقضاً ودعوة وتعليماً، وأمرأً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، ونهياً عن المنكر، وأداءً لشعائر الله.

وفي نصوص النظام: أن الحكم في المملكة العربية السعودية، يستمد سلطته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهما الحاكمان على النظام وجميع أنظمة الدولة.

وفي المادة الثالثة والعشرين من النظام: تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمراً بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله.

ولقد قام الأساس الراسخ لهذه الدولة بالتعاون والتناصر والتآزر بين دعوة التجديد للدين على يد الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، وبين إقامة حكم الشريعة على يد الأمير الإمام محمد بن سعود، رحمهما الله، ونشأت الدولة السعودية في العصر الحديث على أقوم المناهج، وجمعت بين هدي القرآن الكريم، وقوة السلطان، وكانت تلك النشأة القوية للملكة، فاتحة لما تلاها بعد ذلك من توحيد المملكة تحت راية الإسلام، وبداية نهضة حضارية بدأ ظهورها على يد الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود رحمه الله.

لقد توحيد المملكة في عهده، لتعود قلب الجزيرة وأكبر ممالكها ودولها، وموئل الحرمين الشريفين، وقبلة المسلمين جميعاً.

وفي عهد خلفائه العظام، استمرت النهضة العمرانية في أرجاء المملكة، وتوطدت مكانتها بين دول العالم، وتوجه النظر إليها باعتبارها تطبيقاً معاصراً للنموذج الإسلامي في الحكم والتشريع والاجتماع والسياسة الشرعية في تحقيق مصالح الناس بما يجعل المجتمع أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وهو جوهر السياسة الشرعية، كما يقول ابن عقيل الفقيه الحنبلي.

ومن أهم الخصائص السكانية في المملكة العربية السعودية، تجانس شعب المملكة عرقاً ودينياً، ولغة وثقافة، بما لا يتوافر لغيره من شعوب، المنطقة، وهو تجانس كامل يوفر وحدة الأهداف والغايات والجهود، ويستبعد مخاطر الفرقة والانقسام.

وثمة خصائص دينية، تميز المملكة العربية السعودية بين البلاد الإسلامية كلها في مشارق الأرض ومغاربها، وهي في حقيقتها نعمة إلهية، اختص الله بها أرض المملكة منذ فجر التاريخ الإنساني وإلى أبد الدهر، وهي أن أرض المملكة قام فيها أول بيت وضع للناس، يقول الله تعالى:

«إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين».

فأرض المملكة، تضم أول بيت لعبادة الله وحده لا شريك له، رفع قواعده، كما ورد في القرآن الكريم، إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

«و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل».

وإبراهيم عليه السلام، يبدأ به تاريخ الشرائع السماوية الكبرى في مسيرة البشرية والتي كان رسولها الأعظم خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن وجود أول بيت لعبادة الله في أرض المملكة، ووجود مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بها، استمدت المملكة على طول التاريخ الإسلامي موقعها المتميز بين البلاد الإسلامية، وقدرها في نفوس المسلمين في العالم كله، قال الله سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم عليه السلام في دعائه:

«واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم».

ولقد كان لهذه الخصيصة، أكبر الأثر في أن تظل أرض المملكة مقصداً لمئات الملايين من المسلمين على امتداد تاريخ الإسلام، للحج والعمرة وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فيبقى اتصال المسلمين بها دائماً، وتواصلها معهم باقياً على امتداد القرون، وظل البيت وما حوله آمناً، تحقيقاً لقول الله تعالى:

«وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً».

وتذكيراً بنعمة الله علي أهل هذه المملكة بالأمن يقول الله تعالى:

«أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم».

ومن قبيل التذكير بنعمة الله وعرفان الفضل لأهله، ينبغي القول بأن ما تنعم به المملكة من أمن وسلام في العصر الحديث، يرجع إلى جهد الدولة السعودية التي وضع أساسها الإمام محمد بن سعود -رحمه الله- عام (١١٧٩هـ / ١٧٦٥م) وجهود خلفائه من بعده، والذين بذلوا أعظم الجهد في تأمين أداء فريضة الحج، ثم جاء عهد مؤسس المملكة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -رحمه الله- والذي بدأ باسترداد مدينة الرياض سنة (١٣١٩هـ / ١٩٠٢م) وفي عهده -رحمه الله- تمت نعمة الأمن على أهل المملكة والقاصدين إليها لأداء ركن الإسلام في الحج وأداء العمرة وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقبل عهده المبارك -رحمه الله- كان أداء فريضة الحج مغامرة ومجازفة كبرى، وكان الناس يحذرون الحجاج من خطر الطريق بقولهم: (الذاهب للحج مفقود والعائد منه مولود) كما ذكر خير الدين الزركلي في كتابه (حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز) فلما توحدت المملكة تحت حكمه -رحمه الله- انبسط الأمن في ربوع المملكة كلها، وكان ذلك أهم مقاصد الملك المؤسس، كما يبدو في خطابه إلى المواطنين سنة (١٣٤٤هـ) وقد جاء فيه:

«إن البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون، لذلك أطلب من الجميع أن يخلدوا للسلامة والطمأنينة، وإني أحذر الجميع من نزغات الشياطين والاسترسال وراء الآراء التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذا الديار، فإني لا أراعي في هذا الباب صغيراً ولا كبيراً، وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره».

ولقد كانت مهمة الأمن في المملكة الواسعة الأرجاء والمترامية الأطراف، مهمة شاقة، نهض بها الملك المؤسس عبدالعزيز -رحمه الله- وتابعها بكل العناية والرعاية أبناؤه من بعده، وهذا النجاح ظاهر للجميع داخل المملكة وخارجها، ونشير إلى الندوة العلمية لدراسة تطبيق التشريع الجنائي الإسلامي وأثره في مكافحة الجريمة، والتي عقدت بالرياض سنة ١٣٩٦هـ) يقول -دي جانيرو- رئيس لجنة الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة:

«إن المملكة العربية السعودية قد أوضحت لنا، ونجحت في ذلك، أن الشريعة الإسلامية قادرة بدرجة كبيرة جداً علي مكافحة الجريمة، أو على الأقل توسيع مدى الأمن، وأن هذه المهمة يمكن أن تلخص في كلمة واحدة، هي أن المملكة العربية السعودية، قد نجحت في كفاحها هذا، لكي تحصل على الأمن بطريقة إيجابية وقانونية في بلادها».

وفي هذا العالم الذي يبدو فيه تحقيق الأمن للناس والقضاء على الجريمة في كثير من البلاد المتمدنية، مطلباً عسيراً، حتى مع سعة العيش وانتشار التعليم، استطاعت المملكة أن تحقق ذلك على أساس المنهج الذي يضمن النجاح وتحقيق الهدف، وهو المنهج الذي يجمع بين هدي القرآن وقوة السلطان، وهو منهج ظاهر فيما أشرنا إليه من كلمات الملك عبدالعزيز رحمه الله .

ومن الخصائص التي تتميز بها المملكة في هذا العصر، أنها تجعل الدعوة إلى الله هدفاً رئيساً وغاية دينية ودينية لها.

إن الدعوة إلى الله عز وجل، ليست مجرد عمل تقوم به الدولة السعودية إلى جانب الأعمال العديدة التي تتولاها الدولة في العالم المعاصر، ولكنها تبدو في نظام الحكم الأساسي رسالة أمة ودعوة دولة. لقد قامت الدولة السعودية منذ نشأتها لحماية الدعوة إلى الله، مما ران عليها من جمود ومادخل عليها من ضلال وانحراف، بسبب الابتعاد عن أحكام الشريعة الإسلامية وبسبب التخلف الحضاري في شبه الجزيرة العربية عامة في مطلع القرن الثاني عشر الهجري، وكان نجاح الدولة منذ نشأتها مقترناً بنشر الدعوة إلى الله على بصيرة في ربوع المملكة، وكان لتلك النشأة، أثرها في اعتبار الدعوة إلى الله على بصيرة من أعظم الغايات التي تسعى الدولة إلى تحقيقها، وذلك في العصر الحديث الذي ابتعدت فيه الدول، ونظم الحكم عامة عن الدين منهجاً وطريقاً للتقدم، وعلى الرغم من انتشار الفكر السياسي الوضعي، والذي يحاول جاهداً إبعاد الدين عن مجالات حياة الإنسان في المجتمع، فإن المملكة - نظراً للنشأة الفريدة التي قامت على أساسها، وهي اقتران هدي القرآن الإلهي بالسلطان السياسي، وكذلك بسبب محافظة حكام الدولة السعودية وولاية الأمور فيها على هذه الميزة التي تنفرد بها المملكة في العالم المعاصر - اتخذت الشريعة الإسلامية مصدراً وحيداً للتشريع، ولسياستها العامة في جمع المجالات.

إن الشريعة تمثل المنهج التشريعي الأصيل والوحيد في كل ما يصدر في المملكة من أنظمة في شؤون الحياة المختلفة، وكذلك يقوم القضاء في المملكة على تطبيق أحكام الشريعة فروعاً وأصولاً وقواعد كلية، والسياسة العامة للمملكة داخلياً وخارجياً تستلهم المنهج الإسلامي في قيمه الأساسية ومبادئه الكلية.

ومن ناحية أخرى فقد أراد الله أن تتجنب المملكة في العصر الحديث حركة التغريب الثقافي والاجتماعي التي انتشرت في البلاد العربية شرقاً وغرباً، وشملت أنحاء العالم الإسلامي كله في آسيا وأفريقيا، فقد ترتب على خضوع معظم البلاد

العبرية للنفوذ الغربي في القرن التاسع عشر، أن سادت ثقافة الغرب وأسلوبه في الحياة الاجتماعية لأن الغالب يفرض ثقافته، ولأن المغلوب يلجأ إلى تقليد الغالب، كما ذكر ابن خلدون في مقدمته الشهيرة، لظنه أن ذلك يخلصه من ضعفه وتخلفه، وقد أفلتت المملكة من هذا التحول الثقافي والاجتماعي البعيد عن جوهر الإسلام في غاياته وأساليبه ومظاهره، ولم تخضع أرض المملكة لسلطان غير إسلامي يفرض عليها هذا التحول أو يزينه لها، وقد أدرك الملك المؤسس عبدالعزيز -رحمه الله- أهمية التمسك بالمنهج الإسلامي عقيدة وقيماً اجتماعية ودينية، ونبه إلى ذلك في العديد من أقواله، ففي خطاب ألقاه أمام كبار الحجاج في مكة المكرمة سنة (١٣٥٤هـ) قال - رحمه الله - :

«يقول كثير من الناس: يجب أن نتقدم في مضمار المدنية والحضارة، وأن تأخرنا ناشيء عن عدم سيرنا في هذا الطريق، وهذا ادعاء باطل، فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا على شرط ألا يفسد علينا عقيدتنا وشيئنا، فإذا أردنا التقدم فيجب أن نتبع الإسلام، وإلا كان الشر كل الشر في اتباع غيره».

وعلى هذا النهج، سار أبناؤه، وفي الوقت الذي انخدعت فيه بعض الأنظمة في كثير من الدول العربية والإسلامية بالمذاهب الباطلة، كالشيوعية الماركسية والاشتراكية والعلمانية، وظنت أنه طريق التقدم والنمو لشعوبها، نجد الملك فيصل - رحمه الله- يجيب على سؤال وجه إليه من صحيفة إنجليزية شهيرة هي (التايمز) عن سبب مقاومته للشيوعية ولم ينل المملكة منها ضرر، فيقول -رحمه الله- :

«وهل ما أصاب إخواني المسلمين منها قليل، وهل الشرط لأن أحمل السلاح وأخوض المعركة أن يكون قد أصابني بعض الشيء في حين أن أبناء الأمة الإسلامية الواقعين تحت سطوة البطش الأحمر، قد أصابهم كل شيء، وهم جميعاً إخواني وأهلي، والمسلم للمسلم كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضاً».

وبذلك استقر المنهج الإسلامي كله في المملكة لا يزاحمه غيره، وكانت قوته وتمسك ولاة الأمور به، كافية لطرد كل مذهب باطل، ومنعه من التسلل إلى فكر الناس وحياتهم، وقد رفضت المملكة كل دعوى للتعصب لمذهب فقهي، أو عنصرية عرقية، أو حزبية، وفي خطاب للملك فيصل -رحمه الله- في موسم الحج سنة (١٣٨٨هـ) يبدو هذا المعنى واضحاً وقاطعاً، يقول -رحمه الله-:

«نريدها غضبة ونهضة إسلامية إلى الجهاد في سبيل الله، في سبيل ديننا وعقيدتنا دفاعاً عن مقدساتنا وحرماننا، وهذا هو الطريق الحق لكل من يرجو لأمة العرب والإسلام التقدم في الحياة».

ونأتي إلى أواخر القرن العشرين الميلادي، فنجد أن منهج المملكة، يبدو أمام غالب المسلمين في العالم أجمع، هو الطريق الأقوم والأرشد، ذلك أنه في الوقت الذي خسرت فيه شعوب كثيرة في العالم الإسلامي من جراء اتباع المذاهب الباطلة والجري وراء دعاوي القومية العنصرية والحزبية، فإن المملكة أصابت من التقدم الحضاري والاستقرار السياسي والاجتماعي والنمو الاقتصادي ما لم يتوفر أقله لدول إسلامية عديدة جربت المذاهب الباطلة، وتقلبت في ضلالها، وباءت بالخسران في اقتصادها، واضطربت مجتمعاتها سياسياً واقتصادياً، ولم يخلصها من الأوهام والتخبط الفكري والسياسي سوى ما قضى به الله عز وجل من اندحار هذه المذاهب على أيدي أصحابها ودعاتها في السنوات الأخيرة من هذا القرن.

لقد ترتب على استمساك المملكة منذ نشأة الدولة السعودية بالكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة، منهجاً لحياتها، وطريقاً وحيداً للتقدم والنمو، أن تحقق وعد الله تعالى للمؤمنين:

«الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر».

فإذا بالمملكة بعد توحيدها على يد الملك المؤسس عبدالعزيز - رحمه الله - ابتداء من عام ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) تسرع الخطى في النمو الاقتصادي والاجتماعي، لا سيما بعد أن آفاه الله عليها من الثروات في باطن الأرض وظاهرها.

لقد بدأت نهضة المملكة على أثر توحيدها، لتكون الدولة الكبرى والمركزية في شبه الجزيرة العربية، وكانت خدمة الحرمين الشريفين من أهم المقاصد لدى حكام الدولة السعودية، فقد وضع مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة الحرم النبوي الشريف، وكذلك توسعة الحرم المكي، وبوشر العمل بجهد ونشاط حتى تمت التوسعة واستمر التحسين والتطوير في الخدمات التي تقدم لحجاج بيت الله والمعتمرين، حتى كان عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- فوضعت خطة لأكبر توسعة في تاريخ الحرمين الشريفين، وفي التاريخ الإسلامي كله، وبدأ التنفيذ عام ١٤٠٩هـ.

لقد اتسع الحرمان الشريفان اتساعاً هائلاً للقائمين والطائفين والركع السجود من مسلمي الأرض، فضلاً عن اليسر في أداء الشعائر ومناسك الحج بما لم يعهده السابقون الأولون في أداء الفريضة، وتمت التوسعة للحرمين الشريفين على أحدث ما استجد من منجزات العصر، ولم تدخر المملكة جهداً ولا نفقة في خدمة الحرمين الشريفين، وتعظيم شعائر الله على أرضها، وهذا أول ما يذكر كعنوان لنهضة بلد إسلامي شرفه الله بأول بيت وضع للناس في مكة المكرمة وبمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة.

أما مظاهر النهضة في حياة المملكة وشعبها، فهي واقع يعيشه الناس، فقد خصصت أموال طائلة لتعمير البلاد وإقامة العمران في أرجائها، واستغلت عوائد الثروات التي أنعم الله بها على المملكة في إقامة بنية أساسية قوية تلبي حاجات الحاضر وآمال المستقبل.

لقد أنشئت وعبدت طرق واسعة تتجاوز أطوالها عشرات الآلاف من الأميال داخل المملكة، وأعطى حكام المملكة العربية السعودية للأمن أهمية كبرى منذ أقام أركانه الملك المؤسس، فأظل المملكة وأهلها أمن شامل طوال العام، تمتع به المقيمون على أرضها وحجاج بيت الله، وامتدت خدمات الماء والكهرباء والهاتف، وتقدمت وسائل الاتصال والانتقال في ربوع المملكة، بما يضارع أرقى الأمم في هذا المجال، وكان للإنسان السعودي نصيبه الكبير من خدمات التعليم والثقيف والرعاية الصحية والاجتماعية بصورها وأساليبها المختلفة.

إن تعداد مظاهر الرقي والتقدم الحضاري والتنمية البشرية في المملكة، يحتاج إلى جهد كبير في تفصيله في شتى نواحي الحياة، وليس هذا مجال التعداد والتفصيل الذي يظهر في خطط الدولة التي يتم تنفيذها كل خمس سنوات، والتي تنشر تأصيلاً وتفصيلاً بأهدافها ووسائلها على المواطنين، ولكن ثمة علامات مضيئة في خطط التنمية التي تتبعها المملكة، يمكن أن نوجزها في ارتباط هذه الخطط بمنهج إسلامي واضح، وتوجهها إلي خدمة الإسلام والمسلمين من شعب المملكة، وحتى خارج حدودها.

ويمكن الإشارة إلى إنجازات لها قيمتها الإسلامية والحضارية، وتمثل طفرة في بناء الإنسان السعودي على هدي الدين، لقد عمرت مدن المملكة بالجامعات التي تقوم على خدمة علوم القرآن والسنة، والجامعات التي تنمي معرفة الإنسان في مجالات الحياة كلها، وتخدم أهداف التنمية والتربية معاً، إن نظرة واحدة إلى الأعداد والأرقام التي تظهر في خطط التنمية في مجالات التعليم والتربية، وفي الإنتاج والخدمات الاجتماعية، تكشف عن توجه إسلامي وحضاري يحقق نتائجه عاماً بعد عام، ويحمي البلاد من التقلبات الاقتصادية والاجتماعية التي تصيب كثيراً من دول العالم الإسلامي التي فقدت أو فرطت في هويتها الإسلامية، واختل منهجها في التنمية التي يعتبر الإنسان غايتها ووسيلتها أيضاً.

ومن بين أهم الإنجازات التي تحققت في عهد خادم الحرمين الشريفين، خدمة لكتاب الله العزيز، ونشراً للدعوة في العالم كله، إنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، ولم يسبق في التاريخ الإسلامي -ومنذ عهد الطباعة الحديثة- أن توفرت مؤسسة للطباعة والنشر بمثل هذه الإمكانيات والقدرات لخدمة كتاب الله، طباعة ونشراً في بلاد العالم كله على اختلاف اللغات.

وكتاب الله، هو أساس التقدم الحضاري في المملكة، ومنهجه القائم والدائم إن شاء الله.

ولقد صدر نظام الحكم في المملكة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- بتاريخ ٢٧/٨/١٤١٢هـ وحفلت مواده ونصوصه بإيضاح المنهج والدستور الذي تقوم عليه المملكة.

فهو بحسب المادة الأولى من نظام الحكم: «كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم». ومبايعة ولي الأمر للحكم كما تنص المادة الخامسة: «على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم».

ومقومات المجتمع السعودي الواردة في الباب الثالث من النظام، مستمدة من الإسلام وشريعته، والدولة تحمي عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتحمي حقوق الإنسان وفق الشريعة الإسلامية، وتأمّر بالمعروف، وتنتهي عن المنكر، كما ورد في نصوص نظام الحكم في المملكة.

وبذلك التوجه في نظام الحكم، فإن المملكة تتبع كتاب الله تعالي وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، تأصيلاً وتطبيقاً في كل جهودها، وتقيم سياستها داخلياً وخارجياً بحسب هذا التأصيل، وباختبار أفضل السبل لتطبيقه في شتى نواحي الحياة، والتنمية في المملكة توصف بحق بأنها تنمية للإنسان على هدى الإسلام.

وليس من السهل، أن نذكر مظاهر خطط التنمية ونتائجها، التي تمثل نهضة المملكة ونقلتها الحضارية الكبيرة منذ عهد الملك المؤسس عبدالعزيز -رحمه الله- حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- ويكفي في ذلك مجرد الإطلاع على هذه الخطط، وبها يبان المنشآت التي قامت لخدمة شعب المملكة في مجالات حياته المختلفة، سواء في الإنتاج أو الخدمات التي تقدم للمواطنين، وصور الرعاية في التعليم والصحة والتنمية الاجتماعية، وكل ذلك يتم وفق منهج واضح أشد الوضوح، يبدو في السطور الأولى من خطط التنمية، ليست تنمية مادية فحسب كما تتجه معظم دول العالم، ومنها دول إسلامية، ولكنها تنمية للبشر وقدراته وطاقاته في إطار الإسلام وأصوله ومبادئه، تنمية تجمع بين النمو الاقتصادي والرقي الإنساني في جميع صورته، نمو العقل والنفس على هدى الإسلام، ولذلك تجنبنا المملكة، إلى أعظم حد، السلبيات التي تصاحب النمو الاقتصادي، في غالب دول العالم، لا سيما إذا كان مثل هذا النمو الاقتصادي طفرة كبرى بمقاييس الحساب والاقتصاد وحدهما، فلم يصاحب نمو المملكة وتقدمها وارتفاع مستوى المعيشة فيها، فساد كبير، ولا خروج على المنهج الإسلامي الأقوم والأرشد، والطريق الذي اختاره الله تعالى للمؤمنين في حياتهم أفراداً وجماعات، وتعي حكومة المملكة هذه الحقيقة، فهي لاتدخر وسعاً ولا نفقة في تنمية البلاد في مجالات الصناعة والتجارة والخدمات، مع المحافظة على أصالة شعب المملكة، وصيانة قيمة الدينية والاجتماعية الرفيعة، حتى تتجنب المملكة الآثار السلبية لكل تنمية في مظاهر الحياة المادية، تهمل أو تتغافل عن القيمة الكبرى في الحياة، وهي للإنسان الذي كرمه الله عز وجل.

المملكة العربية السعودية

والعالم الإسلامي المعاصر

فرضت الظروف التاريخية والسياسية الدولية في القرن الميلادي العشرين، واقعاً قاسياً على الأمة الإسلامية كلها

كان الاستعمار العالمي الذي قاده في المنقطة العربية إنجلترا وفرنسا اللتان تقاسمتا دول المنطقة تقريباً في احتلال الأراضي، أو بسط النفوذ واستغلال الموارد.

ولم تكن الدول الأفريقية الإسلامية بمنأى عن الاستعمار الأوروبي، بل كان فيها أشد وأكثى، لما كان يسود هذه الدول من تخلف حضاري مضى عليه عشرات السنين تحت وطأة الاستعمار الغربي.

وفي بلاد آسيا، كانت الدول الإسلامية تعاني من تسلط الغرب، ومحاولة نزع الهوية الإسلامية، والنزاعات الطائفية بين السكان مختلفي الأعراق والعقائد واللغات، كما كان الحال في شبه القارة الهندية.

ولم تكن الأمة الإسلامية الواحدة، تملك من أمر نفسها شيئاً، فهي إما دول تزرح تحت نير الاستعمار، أو يسودها نفوذه السياسي والاقتصادي، ولم تكن الأقليات المسلمة في بالد الغرب، ذات وزن سياسي أو اقتصادي في أوائل هذا القرن، ولا تكاد توجد رابطة بين هذه الأقليات وبين الدول الإسلامية التي لم تكن في حال يسمح لها بالاهتمام بغيرها، أو أداء واجب التناصر والتكافل مع هذه الأقليات، إزاء ما تعانيه من شقاء في بلاد لا تعترف لها بهويتها، ولا تحرص على قيام علاقات سوية مع دول العالم الإسلامي الواقعة تحت النفوذ السياسي لها.

ومن فضل الله تعالى على المملكة العربية السعودية، أنها منذ بداية القرن الميلادي العشرين بدأت أولى خطوات تقدمها، ففي بداية القرن، وفي سنة ١٩٠٢م استرد الملك المؤسس عبدالعزيز -رحمه الله- عاصمة ملكه الرياض، وخلال سنوات من الكفاح والجهد والتوحيد، قامت على يديه المملكة الموحدة سياسياً، وهو وضع لم يكن قائماً في شبه الجزيرة العربية منذ مئات السنين، ولم تسقط المملكة في يد الاستعمار الغربي الذي ران على غالب البلاد في المشرق والمغرب عشرات السنين، واحتفظت المملكة بهويتها الإسلامية ظاهرة واضحة، منذ نشأتها الأولى، وبعد توحيدها على يد الملك عبدالعزيز، رحمه الله، إذ كان يدرك كل الإدراك، أن الحفاظ على هذه الهوية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، هو السبيل الوحيد لنجاتها مما أصاب العديد من البلاد العربية التي دخلها الاستعمار بجيوشه، وترك فيها بعد جلته عنها عناصر التغريب الثقافي والاجتماعي، التي تهدد هويتها الإسلامية، وتقوى نوارع التعصب القومي والإقليمي بينها، وقد عملت هذه العناصر على إضعاف الأمة الإسلامية الواحدة.

وبعد زوال الخلافة العثمانية في بداية القرن العشرين (١٩٢٤م) قامت البلاد العربية على الأساس القومي كرابطة سياسية، وشجع الغرب ذلك الاتجاه، وحاول تنميته بكل السبل، ويإيجاز انتهت الرابطة السياسية الإسلامية في المشرق والمغرب العربي، وإن ظل بعض المسلمين يكافحون في بلادهم من أجل بقاء تلك الرابطة والحفاظ على الهوية الإسلامية، بل إنه من الثابت تاريخياً أن حركات التحرر ومقاومة التسلط الاستعماري الغربي، كانت تقوم في غالب الأحيان على استنهاض قوى الإسلام في شعوب المشرق والمغرب، ظهر ذلك في مقاومة الاستعمار الإيطالي في ليبيا على يد السنوسية، ومقاومة الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي على يد الأمير عبدالكريم وجماعة علماء المسلمين في المغرب، وفي السودان على يد المهديّة، وفي مصر على يد مؤسسة إسلامية عريقة، هي الأزهر في العقود الأولى من القرن العشرين.

وفي ذلك الوقت، كانت تقوم في شبه الجزيرة العربية، مملكة موحدية على يد الملك عبدالعزيز -رحمه الله- تتخذ الكتاب والسنة النبوية أساساً لكيانها السياسي، والإسلام عقيدة وشريعة- منهجاً اجتماعياً وحيداً لشعبها، وتقيم علاقاتها مع دول العالم الإسلامي على أساس الأخوة الإسلامية، بحسب قول الله تعالى:

«إنما المؤمنون إخوة».

وعلى هدي من وحدة الأمة التي جاءت في القرآن الكريم:

«إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون».

كما أقامت علاقاتها السياسية مع دول العالم على قواعد مستمدة من أصول الشرع وتوجيهاته، فهي تعترف بالإسلام انتماء، وتنشره دعوة عالمية، وتقيم التكافل بين المسلمين، الدول والأقليات الإسلامية، وتدافع عن قضاياهم، وتسهم مع دول العالم والمنظمات الدولية في حفظ السلام العالمي.

ويلخص جوهر السياسة الخارجية بالنسبة للمسلمين في العالم، والتي تعتبر مسلمي العالم أمة واحدة، عبارة يمتزج فيها حكم الشرع مع حكمة السياسة في خطبة ألقاها الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بمدينة جدة، قال فيها:

«إن علينا للدول الأجنبية المحترمة حقوقاً، ولنا عليهم حقوق، لهم أن نفى بجميع ما يكون بيننا وبينهم من العهود: «إن العهد كان مسؤولاً».

وأما حقوقنا على الدول، ففيما يتعلق بهذه الديار، نطلب منهم أن يسهلوا السبل إلى هذه الديار المقدسة للحجاج والزوار والتجار والوافدين، ثم إن لنا عليهم حقاً فوق هذه كله، وهو أهم شيء تهمننا مراعاته، ذلك أن لنا في الديار النائبة والقاصية إخواناً من المسلمين والعرب نطلب مراعاتهم وحفظ حقوقهم».

وأضاف - رحمه الله - :

«لي الأمل في الحكومات المحترمة ذات العلاقة بالبلاد الإسلامية والعربية، ألا تدخر وسعاً في أداء ما للعرب والمسلمين من الحقوق المشروعة في بلادهم».

وبهذه الكلمات الصادقة والصادرة من قلب ملك مسلم، وضع أساس عتيد من أسس العلاقات الدولية بين المملكة وبين دول العالم، لا تزال المملكة تسير عليه حتى الآن.

وقبل أن نذكر جهود المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي، يهمنا أن نشير إلى أن ذلك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمركز المملكة الدولي، والذي تطور بخطوات سريعة منذ بداية حكم الملك المؤسس عبدالعزيز -رحمه الله- وتابعه أبنائه بكل الالتزام والاهتمام.

إن المملكة، عضو هام في منظمة الأمم المتحدة منذ نصف قرن تقريباً، وتسهم بقدر كبير من الجهد والمال في وكالات الأمم المتحدة المتخصصة، لا سيما الوكالات التي تعنى بشؤون التنمية البشرية والاقتصاد العالمي -وكمثال على ذلك- يمكن أن نورد جانباً من إسهامات المملكة على المستوى الدولي في مؤسسات التنمية الدولية:

يبلغ إسهام المملكة في البنك الدولي ١,٠٣٢,٧٦٤,٠٠٠ دولار أمريكي بنسبة ٣,٣٢٪ من رأس مال البنك.

وفي هيئة التنمية الدولية ١,٦٦٥,٧٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي بنسبة ٣,٥٪.

وفي موسسه التمويل الدولية ١٧,٦١١,٠٠٠ دولار أمريكي بنسبة ١,٣٧٪.

وفي صندوق النقد الدولي ١,١٦٣,١٢٠,٠٠٠ دولار أمريكي بنسبة ٦,٣٪.

وتسهم المملكة في الصندوق الدولي للتنمية الزراعية بمبلغ ٣٣٣,٧٧٨,٠٠٠ دولار أمريكي بنسبة ٢٦,١٤٪ من رأس المال.

وهي نسب عالية بالمقارنة إلى ما تسهم به الدول الأخرى.

فالمملكة باعتبارها عضواً هاماً في المنظمة الدولية، تقدم مساعدات للتنمية الزراعية والصناعية في بلاد العالم، التي تحتاج إليها في إطار التعاون الولي، وتخص المملكة الدول الإسلامية الفقيرة في إفريقيا وآسيا بمساعدات أخرى عن طريق المنظمات الإقليمية والإسلامية، وتزيد هذه المساعدات بالنسبة للبلاد العربية بالذات.

إذ المملكة دولة محورية ومركزية في العالم العربي والإسلامي فهناك الصندوق العربي للإئتماء الاقتصادي والاجتماعي، وتبلغ نسبة إسهام المملكة في رأس ماله ٩,٢٢٪، وصندوق النقد العربي، ونسبة إسهام المملكة في رأس ماله ٥,١٤٪، والمصرف العربي للتنمية الاقتصادية في إفريقيا، تبلغ نسبة إسهام المملكة فيه ٤,٢٤٪، وهناك الصندوق العربي للمعونة الفنية للدول الإسلامية والإفريقية ونسبة إسهام المملكة فيه ٦,٢٢٪.

إن هذه الأرقام تكشف عن جهد المملكة الكبير في تنمية الاقتصاد العالمي، ومد يد العون للدول النامية على المستوى الإسلامي والعربي والدولي، وهو عمل يقاس بنسبة مشاركة المملكة في مؤسسات التنمية والمساعدة للدول النامية، وأكثر من ذلك، يقاس بالباعث النبيل الذي يدفع إلى هذه المشاركة القوية، وهو باعث إسلامي وعربي وإنساني.

إذ المملكة لا تقصد من وراء إسهاماتها الفعالة الضغط على دولة من الدول، أو اكتساب نفوذ سياسي فيها، بقدر ما تستهدف تنمية المجتمعات العربية والإسلامية التي تحتاج إلى مزيد من التنمية لشعوبها.

وعلى المستوى الإسلامي، فإن المملكة من مؤسسي منظمة المؤتمر الإسلامي، بل هي الدولة الأقوى تأثيراً في قيام المنظمة بعملها وخدمتها للمسلمين، ومن خلال مؤتمرات القمة الإسلامية، والقرارات التي أصدرها المؤتمر، تمت إنجازات كبيرة في التعاون الإسلامي مع الدول الإسلامية في بلاد العالم.

ومثال ذلك البرنامج السعودي لحفر الآبار والتنمية في إفريقيا الذي استفادت منه دول الساحل الأفريقي التي تضررت من الجفاف: (غينيا- جامبيا- مالي- موريتانيا- السنغال- النيجر- تشاد- وغيرها من الدول الإسلامية) وقد رصد لهذا البرنامج ٣٨٢ مليون ريال، ازدادت مع اشتداد حالة الجفاف في اثنتين وعشرين دولة أفريقية، إلى ١٣٧٣ مليون ريال.

كما أسهمت المملكة في علاج مشكلة اللاجئين في إفريقيا خاصة في بلاد إسلامية كالسودان والصومال وتشاد بأكثر من مائة وسبعين مليون ريال، إضافة إلى ما تسهم به المملكة لهذه الأغراض من خلال المنظمات الدولية، وأسهمت المملكة في الإغاثة من الكوارث الطبيعية التي تلم بالدول الإسلامية، مثل الزلزال الذي ضرب مدينة الشليف بالجزائر، والأعاصير التي تعرضت لها مدغشقر وجزر القمر.

واستفاد من المبالغ التي تقدمها المملكة لهذا الغرض الإنساني، ثلاث وثلاثون دولة، منها الجزائر وتونس والسودان والصومال ونيجيريا والسنغال وتشاد، واليمن وباكستان وإندونيسيا وأفغانستان وبنجلادش والمغرب والعراق وإرتيريا وفلسطين وماليزيا وإيران وسوريا، وغيرها من البلاد.

وفي هذه المساعدات، شاركت اللجان التي شكلت في المملكة لجمع المعونات الإنسانية في توفير الأموال لهذا الهدف الإنساني والإسلامي، وأسهم مواطنوا المملكة في إظهار روح التعاون والتكافل الإسلامي نحو إخوانهم في الدين بتقديم المساعدات المالية والعينية.

وكان لنداء خدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وسبقه إلى تقديم المعونة أثر كبير في حث المواطنين على فعل الخير، لا سيما فيما أصاب السودان في أواخر عام ١٤٠٨هـ من فيضان جارف أضر بالبلاد والعباد.

وفضلاً عن الاسهامات الكبيرة التي تقدمها المملكة للدول العربية أو الإسلامية من خلال العلاقات الثنائية، أو المنظمات الإقليمية، فإن المملكة تشارك في برامج للمساعدة ذات صفة دولية عامة، مثل برنامج الغذاء العالمي، وبرنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة، والبرنامج الدولي لمكافحة مرض العمى النهري، وفي أعمال المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، وفي وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين، وفي اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

جهود المملكة العظيمة في الدعوة إلى الإسلام

يحتاج جهد المملكة في الدعوة إلى الإسلام، إلى تفصيل لا تفني به صفحات قليلة، فالدعوة إلى الله من أهم مقاصد الدولة السعودية منذ نشأتها في العصر الحديث ولذلك سوف نكتفي ببيان أهمية الدعوة إلى الله تعالى في النظام السياسي السعودي منذ نشأته وحتى الآن، ونشير إلى أهم إنجازات المملكة في هذا السبيل على المستوى الدولي، وعلى المستوى الإسلامي والعربي.

إن الدعوة إلى الله، هي من أهم الركائز التي قامت عليها المملكة، وقد جاء ذلك واضحاً أشد الوضوح في كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز بمناسبة صدور الأنظمة الجديدة، ومنها نظام الحكم:

إن حمل الدعوة الإسلامية ونشرها، من أعظم وظائف الدولة الإسلامية وأهمها.

وفي المادة الثانية والعشرين من النظام الأساسي للحكم ما نصه:

(تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمّر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله)

فالدعوة إلى الله تعالى، ركيزة من الركائز التي قامت عليها المملكة، وهي في نصوص نظام الحكم، كما تقدم ذكره، واجب من أهم واجبات الدولة.

ولقد أوفت المملكة منذ قيامها بهذا الواجب على كل المستويات، وعلى المستوى الدولي، أقامت المملكة عشرات المساجد والمراكز الإسلامية لخدمة المسلمين الذين يعيشون في دول وبلاد غير إسلامية، ومدت يد العون إلى المسلمين بكل صوره وأساليبه، وبحسب احتياجات المسلمين في بلادهم، وفي البلاد التي يقيمون فيها.

لقد قامت المآذن في أكبر العواصم والمدن الأوروبية والأمريكية، وأنشأت المملكة عشرات المساجد الكبرى والتي تسع آلاف المصلين، وأنشأت المعاهد لدراسة علوم الشريعة واللغة العربية خدمة للدعوة الإسلامية، وامتد ذلك في جميع القارات، في أكبر المدن بأوروبا، وأمريكا، وكندا، وأستراليا، وآسيا، وأفريقيا. والمقام لا يتسع للتفصيل في ذكر أعدادها، وارتفاع مستوى إعدادها والنفقة التي أسهمت بها المملكة في هذا السبيل.

وأما على مستوى العالم الإسلامي، فإن خدمة الدعوة تبدو من أهم مقاصد المملكة في علاقاتها مع الدول الإسلامية، وفي القارة الإفريقية مولت المملكة بالكامل مساجد ومراكز إسلامية في تشاد: (مسجد الملك فيصل)، وفي كوناكري في غينيا: (مسجد ومركز الملك فيصل)، وفي جامبيا، وفي الكامرون، وفي جمهورية مالي، وفي الصومال والسنغال.

كما أسهمت المملكة بالمال في إنشاء المراكز الإسلامية والمساجد الكبرى في نيجيريا، وفي السودان والجزائر.

ولا يمكن حصر المعونة الثقافية المتمثلة في الكتب الإسلامية، وأولها وأعظمها قدراً في نفوس المسلمين، كتاب الله العزيز الذي يقوم بطبعه ونشره مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

لقد تلقت الدول الإسلامية شرقاً وغرباً وفي قارات العالم كله ملايين المصاحف، كما تلقت ترجمة معاني القرآن الكريم بلغاتها، فضلاً عن كتب السنة النبوية والكتب الإسلامية العامة وكتب الدعوة خاصة.

وهناك معاهد لتعليم العلوم العربية والإسلامية، منه ما أنشئ على نفقة المملكة كلياً في إفريقيا وآسيا، خدمة للدعوة في البلاد الإسلامية وبين المسلمين،

كالمعاهد التي تتبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في رأس الخيمة، وفي إندونيسيا، وفي موريتانيا، وفي جمهورية جيبوتي، وفي اليابان، وفي أمريكا ومنها ما أسهمت المملكة بالنصيب الأكبر في إنشائه، كالمعاهد المقامة في السنغال وجمهورية مالي وأوغندا، وغيرها.

كما أسهمت المملكة بالنصيب الكبير في إنشاء جامعات كاملة التجهيز والاستعداد في ماليزيا والنيجر وأوغندا وباكستان والسودان، وقد أسهمت المملكة في نفقات الجامعة الإسلامية بفلسطين - بقطاع غزة - وفي دار الحديث في المغرب، وفي جامعة قسطنطينية بالجزائر - وكلية الزاهرة في سيرلانكا، والجامعة الإسلامية في بنجلاديش.

والعمل العظيم الذي يوضح حرص المملكة على نشر الدعوة والعلوم الإسلامية يظهر في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، والتي تتيح بحسب نظام إنشائها أوسع الفرص للطلبة المسلمين للدراسة فيها على نفقة المملكة.

وقد بلغت المنح الدراسية داخل المملكة وخارجها عشرات الآلاف من مختلف مناطق العالم مما يخدم أبناء الأمة الإسلامية أينما كانوا.

المملكة والتضامن الإسلامي

إن أثر المملكة العربية السعودية في المجتمع الدولي، مستمد إلى حد كبير من مسؤوليتها الإسلامية والعربية، وهي الهوية الأصيلة للملكة، وعلاقات المملكة مع دول العالم وسياساتها الخارجية، تهتم اهتماماً واضحاً وظاهراً بتحقيق مصالح المسلمين والعرب، من خلال علاقات متميزة مع المجتمع الدولي، الذي يعرف بوضوح مسؤولية المملكة إسلامياً وعربياً، ويتعامل معها في نطاق هذه المسؤولية منذ عهد الملك المؤسس عبدالعزيز - رحمه الله - .

فالمملكة عضو مؤثر في المنظمات والهيئات التي تأسست لخدمة الإسلام والمسلمين والعرب، فهي عضو مؤسس في جامعة الدول العربية التي أنشئت عام ١٩٤٥م، وعضو مركزي ومؤسس في مجلس التعاون الخليجي الذي يضم ست دول عربية وإسلامية، وهي كذلك عضو مؤسس في منظمة المؤتمر الإسلامي التي أنشئت في شهر محرم ١٣٩٢هـ منظمة دولية إسلامية، هدفها التضامن الإسلامي، والتعاون المشترك بين أعضاء المنظمة، كما تصرح المادة الأولى من ميثاق إنشائها.

وتسهم المملكة من خلال منظمة المؤتمر الإسلامي في هيئتها التنفيذية، ويعتبر إسهام المملكة في ميزانية الأمانة العامة للمنظمة أعلى إسهام بين الدول الأعضاء، كما أن المملكة تشارك في صندوق التضامن الإسلامي، بهدف تحقيق ما من شأنه رفع المستوى الفكري والأخلاقي للمسلمين في العالم، والتضامن والتكافل مع من يتعرضون منهم للأزمات والكوارث الاجتماعية القاسية، وقد أنشئ هذا الصندوق عام ١٣٩٤هـ وبعده بعامين أنشئ صندوق القدس، ومركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، كما أنشئ مركز البحوث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية عام ١٣٩٧هـ، والمؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا عام ١٣٩٨هـ، وكذلك المركز الفني للتدريب الفني والمهني والبحوث.

وفي عام ١٤٠١هـ أنشئ مجمع الفقه الإسلامي من أجل دراسة مشكلات الحياة المعاصرة، والاجتهاد فيها اجتهاداً أصيلاً بحسب أحكام الشريعة الإسلامية .
وفي نطاق منظمة المؤتمر الإسلامي، أنشئت هيئات واتحادات ومنظمات فرعية تشمل معظم نواحي الحياة في البلاد الإسلامية، كالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ومنظمة العواصم الإسلامية، والاتحاد الرياضي للتضامن الإسلامي، ومنظمة الإذاعات الإسلامية، والبنك الإسلامي للتنمية، وغير ذلك من المنظمات التي تعمل في نطاق التضامن الإسلامي، الذي قامت من أجله منظمة المؤتمر الإسلامي .

وتسهم المملكة بنصيب وافر في موارد هذه الهيئات والمنظمات، كما تدخل بفعالية كبيرة في جميع آليات مناشطها ومجالات هذه المناشط .

ولا يمكن أن نفصل جهد المملكة وجهادها في سبيل خدمة التضامن الإسلامي عن الجهود السياسية التي تضطلع بها المملكة، من خلال علاقاتها الثنائية مع الدول صاحبة الشأن، أو من خلال مواقفها في المنظمات الدولية والمنظمات الإقليمية، مثل جامعة الدول العربية، ومجلس التعاون الخليجي، والمنظمات الإسلامية، مثل منظمة المؤتمر الإسلامي .

إن علاقات المملكة مع العالم الخارجي، من خلال القنوات السياسية التي ذكرناها سابقاً، تتجه بوضوح إلى خدمة الإسلام والمسلمين في جميع أنحاء العالم، ونصرة قضايا الدول الإسلامية في المحافل الدولية، وتأييد جهادهم وكفاحهم للتصدي للعدوان الذي يقع عليهم، والعمل على مساعدتهم في مواجهة ما يقع عليهم من عدوان أو اضطهاد ديني أو عنصري في بلاد العالم، ويبدو هذا الجهد من أهم مجالات العمل السياسي الخارجي للمملكة، وهو نابع أساساً من أداء واجب الأخوة نحو دول وشعوب وأقليات تجمعها كلها الأمة الواحدة، يقول الله تعالى: «وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون» .

بدأ اهتمام المملكة وجهادها في سبيل قضية العرب والمسلمين في فلسطين، منذ عهد الملك المؤسس عبدالعزيز، رحمه الله، وفي عام ١٣٥٧هـ اعترض - رحمه الله - على هجرة اليهود الأوروبيين غير الشرعية إلى فلسطين، وكتب بذلك إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وشاركت المملكة في القتال إلى جانب الجيوش العربية عام ١٩٤٨م، وتوالى الجهاد من أجل الشعب الفلسطيني من أبناء الملك عبدالعزيز رحمه الله، واستمر الدعم السياسي والاقتصادي ضد الغزو الماركسي الروسي لأفغانستان، منذ عام ١٩٧٩م، واعترفت المملكة بحكومة الجهاد الأفغاني، وجمعت التبرعات الهائلة لتأييد كفاحها ضد الغزو الروسي، ثم أسهمت المملكة بكل ثقلها في راب الصدع، ولم الشمل بين الفرقاء المتنازعين في أفغانستان حتى اليوم.

ونالت قضية البوسنة والهرسك أعظم اهتمام من جانب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، حفظه الله، وسمو ولي عهده الأمين، ووقفت المملكة موقفاً جازماً في تأييد حق شعب البوسنة والهرسك في الاستقلال.

وفي التصدي للجرائم البشعة التي ارتكبتها الصرب في حق أبناء هذا الشعب المسلم، دعمت المملكة جهادهم سياسياً، وأمدتهم بالمعونات المالية والعينية، وشكلت لجنة عليا لجمع التبرعات لمنكوبي هذه الحرب الظالمة من المشردين والمصابين، وأصدرت المملكة بياناً سياسياً هاماً في ٢٥/٥/١٩٩٢م طلبت فيه من دول العالم الإسلامي والدول الصديقة، قطع علاقاتها السياسية بجمهورية صربيا، وعدم قبولها في الأمم المتحدة، ولا يزال شعب البوسنة والهرسك، يتمتع بالتقدير الكبير لجهاده وصموده، وبالمساعدة السياسية، والاقتصادية التي تمكنه - إن شاء الله تعالى - من تحقيق حريته وأمنه في بلاده.

وفي جمهورية الصومال التي ابتليت بالتفرق والتحزب والانقسام، سعت المملكة سياسياً إلى توحيد المسلمين هناك، وإلى نبذ الفرقة والاختلاف، وأسهمت في نطاق المنظمة الدولية -هيئة الأمم المتحدة- في حفظ السلام في هذا البلد المسلم الذي ما زال يكتوي بنار الفرقة والاختلاف بين أبنائه.

وقفت المملكة العربية السعودية في كافة قضايا المسلمين، في كشمير، وفي الفلبين وفي غيرها من قضايا المسلمين، مدافعاً ومؤازراً بكل الجهد السياسي، والعون المادي للمسلمين، سواء من خلال العلاقات الثنائية بين الدول صاحبة الشأن في هذه القضايا، أم من خلال المنظمات الدولية والإقليمية.

ويحتاج تقرير عمل المملكة، وجهدها في خدمة الإسلام والمسلمين، دواً وشعوباً وأقليات تعيش خارج الوطن الإسلامي، إلي صفحات لا يتسع لها هذا المقام، وجهد المملكة في هذا السبيل أوردته أبحاث وإحصاءات، وبيانات، صدرت من المنظمات الدولية والإقليمية، ومن المملكة العربية السعودية.

إن المملكة العربية السعودية، دولة دستورها القرآن الكريم والسنة المطهرة. وفي كتاب الله، ما يفرض عليها المسؤولية تجاه المسلمين في أنحاء العالم، يقول الله تعالى:

«إنما المؤمنون إخوة».

ويقول تعالى:

«إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون».

وما قدمناه فيما سبق، يؤكد أمانة المملكة، وحرصها على الوفاء بهذه المسؤولية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الملاح العامة للجغرافيا الطبيعية للعالم الإسلامي

الأستاذ الدكتور: عادل عبدالسلام

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥٧	مدخل
٦٢	البنية الجيولوجية
٨٥	التضاريس
١٥٤	المناخ
١٨٤	مصادر المياه
٢٠٨	البيئة الحيوية
٢١٨	تلوث البيئة الطبيعية وتخريبها
٢٣٠	المراجع
٢٣٦	فهرس الأشكال
٢٣٧	فهرس الجداول

مدخل

تواجه دراسة الجغرافية الطبيعية للعالم الإسلامي مسألة اتساعه وامتداده على عدد من البلدان الواقعة خارج دارة الإسلام، ومسألة عدم ثبات دول العالم الإسلامي من الناحية العددية ونسب المسلمين المثوية غير المؤكدة دوماً، والتي اتخذت في الغالب أساساً لتعريف الدول الإسلامية. فقبل عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م كان عد الدول الإسلامية ٤٩ دولة، وأصبح ٥٦ دولة بعده، بإضافة سبع دول من الله عليها بالتححر من نير الحكم الأجنبي واستعماره. كما يمكن لهذا العدد أن يزداد بتححر تشيشانيا وجمهوريات القفقاس الشمالي وحوض الفولغا. كذلك تتباين نسب المسلمين المثوية بحسب المصادر الإحصائية مما يجعل أمر الأخذ بها مشكوكاً فيه، ولاسيما في البلدان ذات النسبة العالية للسكان المسلمين التي لا تصل إلى ٥٠٪. كما أن التزايد السنوي للمسلمين بوتائر أعلى من غيرهم يرفع من نسبتهم مع الزمن، مما يجعل بلداناً جديدة تقع ضمن ما يسمى بالعالم الإسلامي.

ومع ذلك فإن الدراسة الجغرافية الطبيعية هذه لا تلتزم بكل هذا، بل تعتمد استمرارية الظواهر الجغرافية الطبيعية وامتدادها خارج حدود العالم الإسلامي، إذا اقتضت ضرورة الدراسة ذلك.

دار الإسلام ومفهوم العالم الإسلامي :

تعد الدول التي تكون فيها نسبة السكان المسلمين ٥٠٪ فأكثر، بلداناً إسلامية. وعليه فإن غالبية الدول الإسلامية تقع في قارتي آسيا وإفريقيا وأجزاء من أوروبا. لكن هناك مساحات من بلدان غير إسلامية، نسبة سكانها المسلمين عالية تجعل منها امتداداً طبيعياً للعالم الإسلامي، كما في مقاطعات وأقاليم شمال غربي الصين و ولايات هندية عديدة وفي جزر جنوبي الفيلين، مما يسرر تجاوز الحدود السياسية في الدراسات الجغرافية الطبيعية الشاملة للعالم الإسلامي.

الموقع والحدود والأبعاد في العالم الإسلامي :

يقع العالم الإسلامي بين دائرة العرض ٥٥ درجة و ٣٠ دقيقة شمالاً ، المارة بالحدود الشمالية لجمهورية كازاخستان ودائرة العرض ١٣ درجة جنوباً ، المارة بجنوبي جمهورية جز القمر . أما بالنسبة لخطوط الطول فإنها تمتد بين ١٧ درجة و ٤٠ دقيقة غرباً قرب داكار على ساحل المحيط الأطلسي و ١٤١ درجة و نيف شرقاً عند الحدوي السياسية بين إندونيسيا و بابوا - غينيا الجديدة . وبذا يمتد العالمي الإسلامي على أكثر من ٦٨ درجة عرض ، أو ما يعادل ٣٧,٧ ٪ من مجموع العروض الجغرافية ، ٣٠,٥ ٪ منها شمال خط الاستواء و ٧,٢ ٪ منها جنوبه . كما يمتد على أكثر من ١٥٨ درجة طول ، أو ما يعادل ٤٣,٨ ٪ من مجموع أطوال الكرة الأرضية ، منها ٤٠,٣ ٪ شرق غرينتش ، و ٣,٦ ٪ منها غربه ، وهذا يعني أن الكتلة الأساسية للعالم الإسلامي تقع في النصف الشمالي من الكرة الأرضية و يابستها قارتي آسيا وإفريقيا وأجزاء من أوروبا (شكل رقم ١) .

أما الحدود الجغرافية للعالم الإسلامي وحدود الانتشار الفعلي للمسلمين فلا تتفق مع الحدود السياسية للعالم الإسلامي المعمول بها بحسب نسبة ٥٠ ٪ لأنها ، أي الحدود الجغرافية تشتمل على مناطق ذات كتل إسلامية كبيرة العدد أو أن أكثرية سكانها من المسلمين ، كما هو الحال في الصين والهند وشرقي إفريقيا ووسطها وغربها وفي البلقان . وفي ضوء ذلك تحدد العالم الإسلامي من ناحية الغرب مياه المحيط الأطلسي بين مضيق جبل طارق وسواحل الجابون قبيل مصب نهر الكونغو . ومن جهة الشمال يحده البحر المتوسط وأوروبا الشرقية والبحر الأسود وروسيا وشمال القفقاس واستمرارها في سيبيريا ثم منغوليا فالصين في الشمال والشمال الشرقي . وتكمل أراضي الصين مياه المحيط الهادي وأرخييل الفلبين وبلدان شبه جزيرة الهند الصينية الحدود الشرقية للعالم الإسلامي . أما من ناحية الجنوب فتحده مياه المحيط الهندي بما فيها شبه جزيرة الهند ، على اعتبار أن الهند دولة تضم أكبر كتلة إسلامية

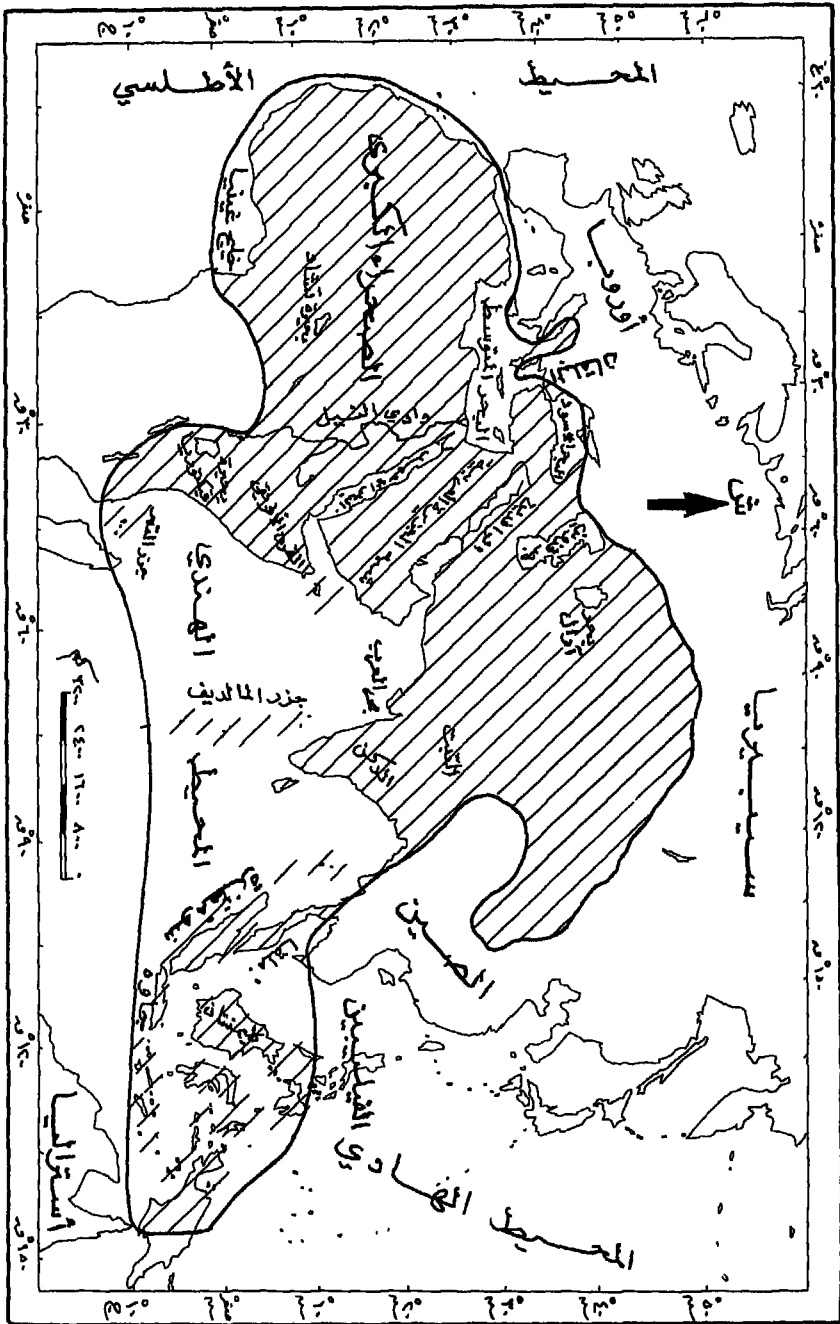
في دولة غير إسلامية، حيث تبلغ نسبة المسلمين فيها نحو ١٠٪ من مسلمي العالم. وتستمر الحدود الجنوبية في إفريقيا من شمالي مدغشقر وممر موزمبيق فموزمبيق، التي تبلغ نسبة المسلمين فيها أكثر من ٣٠٪ فزائير وجنوبي الجابون .

تقدر مساحة العالم الإسلامي بحدوده السياسية نحو ١٥٧, ٦٤٧, ٣٣ كيلو متر مربع ، أي ما يعادل ٦,٦٪ من مساحة الكرة الأرضية، يابسها ومائها، أو ٢٢,٧٪ من مساحة اليابسة وحدها ، منها أكثر من ١٤, ٠٠٠, ٠٠٠ كيلو متر مربع في آسيا وأكثر من ١٩, ٥٠٠, ٠٠٠ كيلو متر مربع في إفريقيا والباقي في أوروبا . وتزيد المساحة على ذلك إذا أخذنا بالحدود الجغرافية. وعليه فإن العالم الإسلامي عبارة عن قارة كبيرة لا تفوقها سوى قارة آسيا مساحة واتساعاً. أما من حيث الأبعاد فإن العالم الإسلامي يمتد من الشرق إلى الغرب مسافة تزيد على ١٥٧٣٠ كم ، ومن الشمال إلى الجنوب مسافة ٧٥٤٨ كم .

إن الأرقام الكبيرة هذه تبقى مجردة ، لكنها تكتسب أهميتها إذا تم تحليلها من خلال خصائص الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي وأهميته من حيث وجوده في قلب العالم القديم بحضاراته وإنسانه القديم ومجتمعاته ومؤسساته وثوراته المادية والروحية والفكرية . وتزداد أهمية الموقع الجغرافي بتنوع بيئاته الجغرافية الطبيعية على امتداد عروض جغرافية ونطاقات مناخية - بيئة متعاقبة من النطاقات الاستوائية حتى نطاقات المناخات المعتدلة والمعتدلة الباردة، وما يقابل ذلك من نطاقات نباتية وحيوانية. إضافة إلى ذلك تتنوع تضاريس العالم الإسلامي وجيومورفولوجيته وتربه بحيث يشتمل على جميع البيئات التضاريسية تقريباً مثل البيئات الجبلية والسهلية والهضبية والنهرية والصحراوية والساحلية وغير ذلك من جوانب تبرز أهمية الموقع الجغرافي الذي وهبه الله عز وجل للعالم الإسلامي . كذلك منح كل من الموقع والإتساع الكبير ، العالم الإسلامي خاصية التوجه البحري المفتوح بإطلالته على محيطات العالم الكبرى وبحارها ، بدءاً من مضيق جبل طارق وانتهاءً بممرات البحر

الأندونيسي . ولهذا التوجه أهمية كبرى في علاقات العالم الإسلامي بالعالم المجاورة عبر مياه بحار لا تتعرض للتجمد طوال أيام السنة ، وانتقال التجار وحملة الدعوة الإسلامية على طول طرقها إلى أنحاء العالم .

كذلك يتمتع العالم الإسلامي من خلال موقعه واتساعه بتوجهات برية تربطه باليابسة الآسيوية والإفريقية والأوروبية مما يزيد في قيمة اتصال بيئاته الطبيعية والبشرية والاقتصادية مع البيئات الأخرى برأ ، وانعكاس ذلك على تنوع أنماط الحياة وغناها وعلى تعدد المجتمعات والأجناس البشرية التي لا يجمعها على أرض دار الإسلام سوى الإسلام وتعاليمه الحنيفة السمحة ، التي تقرّب بين أبنائه وتوحّد بينهم في مجتمعات ذات سلوك وأسلوب عيش وتعامل واحد أو متقارب إلى حدٍ بعيد .



الحدود العامة للعالم الأيسر لادري

شكل (1)

الحدود العامة للعالم الإسلامي

البنية الجيولوجية

يضم العالم الإسلامي بين جنباته أغلب التكوينات الجيولوجية المعروفة في العالم، ويشتمل على شتى أنواع الصخور العائدة إلى أعمار جيولوجية مختلفة، كما عاشت أرضه أحداث شتى الحركات التكوينية أو البنائية Tectonic Movements التي تولدت عنها القارات والجبال والأحواض البحرية، ونتج عنها عدد من نماذج البنى الأرضية والتصاريسية مثل البنية الهرسية والكالونية والألبية - الهيمالاية، والبنية الانتقالية بين هذه البنى وبين الركائز (المصاطب) Platforms والمجنتات (الدروع) Shislds ، وكذلك البنى الانهدامية - الصدعية وأشكال البركة والهزات والزلازل وما شابهها . ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي :

أولاً : الحركات التكتونية البنائية في العالم الإسلامي :

سخر الخالق عز وجل قوى الطبيعة المتمثلة بالحركات البنائية لرسم معالم العالم الإسلامي وتضاريسه ابتداء من الحركات البطيئة المولدة للقارات (Epirogenesis) وللجبال (Orogenesis)، وانتهاء بالحركات السريعة المكونة للبراكين والتشققات الأرضية والمسببة للزلازل والهزات الأرضية . ليس هذا فحسب بل إن موضع العالم الإسلامي يجعل منه أكثر بقاع الكرة الأرضية اضطراباً وعدم استقرار بنائي (تكتوني)، ولاسيما في حزامه الأوسط المكوّن من نطاق السلاسل الجبلية الالتوائية الحديثة ذات البنية الألبية - القفقاسية - الهيمالاية ، وعلى امتداد الشرخ الانهدامي الكبير الذي يقطع العالم الإسلامي من الشمال إلى الجنوب ويتألف من الأخدود الأفريقي العظيم .

وتشتمل الحركات البنائية في العالم الإسلامي على :

(١) حركات الصفائح البنائية والوحدات الأرضية الكبرى :

تعد نظرية الصفائح التكتونية (Plate Tectonics) التي أخذت تتبلور منذ عام ١٩٦٠م ، وريشة نظرية زحزحة القارات (Continental Drift) وبحسب نظرية الصفائح يرتكر العالم الإسلامي على أكثر من صفيحة بنائية واحدة وعلى أجزاء من صفائح أكبر . وهذه الصفائح هي : الصفيحة الإفريقية (على أجزائها الشمالية والوسطى) وصفيحة الصومال والصفيحة العربية وتؤلفان وسط العالم الإسلامي ، ثم الصفيحة الأوراسية (لأوروبية - الآسيوية) في شمال العالم الإسلامي الذي يرتكر على أجزائها الجنوبية والجنوبية الشرقية . ثم الصفيحة الهندية - الأسترالية التي يؤلف المحيط الهندي وقارة استراليا أغلبها .

تتألف الصفائح من مواد صخرية صلبة تكوّن الغلاف الصخري (Lithosphere) الذي تتراوح سماكته في العالم الإسلامي بين ٧ و ١٠ كم في قيعان البحار والمحيطات ، وبين ١٠٠ و ٣٠٠ كم في القارات وتتحرك هذه الصفائح حركة بطيئة جداً لا تزيد على عدة سنتيمترات سنوياً في أرجاء العالم الإسلامي . إذا قدرت سرعة تقارب الصفيحة الهندية - الأسترالية وارتطامها بالصفيحة الأوراسية بنحو ٣,٧ - ٥,٤ سم سنوياً . لكنها تزيد على ١٠ سم سنوياً في أقصى شرقي العالم الإسلامي (في إندونيسيا الشرقية) على امتداد نطاق ارتطام الصفيحة الهندية الأسترالية بالصفيحة الباسفيكية .

إن حركة الصفائح في العالم الإسلامي ليست حركة تقارب وارتطام فقط ، وهي الحركة الأعم فيه ، بل فيه حركة تباعدية أيضاً ، كما هو الحال في جنوبي الجزيرة العربية (في البحر العربي والمحيط الهندي) ، حيث تبعد الصفيحة الهندية - الأسترالية عن الصفيحة الإفريقية بسرعة تراوح بين ٢ و ٢,٥ سم / سنة . كما تبعد

الصفحة العربية المؤلفة للجزيرة العربية وبلاد الشام والرافدين عن الصفحة الإفريقية بسرعة تصل إلى حوالي ٢,٥ سم سنوياً . والحركة هنا ليست حركة تباعدية فقط ، بل هي حركة تباعد وانزياح أيضاً إذ تتحرك الصفحتان على امتداد خطوط الأحدود الأفريقي العظيم ولا سيما في نطاق أغوار بلاد الشام ، باتجاهين انزلاقيين متعاكسين . ولا تقتصر الحركة الانزياحية على هذا النطاق بل تجدها في أجزاء متفرقة من نطاق السلاسل الجبلية الحديثة التي نهضت نتيجة تقارب الصفحة الهندية - الأسترالية والصفحة الإفريقية - العربية والصفحة الباسفيكية في الشرق ، وأكثرها بروزاً الحركة الانزياحية على امتداد أرخبيل أندامان ونيوكبار وعلي طول جزيرة سومطرة .

وكان للعالم الإسلامي نصيب واف من التأثير بهذه الحركات والتغيرات، حتى وصلت هيئته وخطوط سواحله وخريطة جغرافيته القائمة إلى شكلها الحاضر. وهو في وضعه البنائي - الجيولوجي - الجغرافي الراهن يرتكز على ثلاث وحدات بنائية كبيرة اثنتان منهما قد يمتان والثالثة حديثة نسبياً ، هي:

أ - وحدة قارة جندوانا القديمة :

التي وحدت في زمن ما قبل الكمبري (قبل ٥٧٠ مليون سنة مضت). وقد تجزأت جندوانا إلى صفائح و (ركائز) في أثناء الزمن الجيولوجي الثاني لتؤلف أجزاء من أمريكا الجنوبية وإفريقيا كلها إلا قليلاً والجزيرة العربية وشبه القارة الهندية وغربي أستراليا وقارة القطب الجنوبي، وبالتالي فإن إفريقيا الإسلامية والجزيرة العربية والهند وأغلب الأصقاع الجنوبية من العالم الإسلامي ينتمي في جذوره البنائية إلى قارة جندوانا القديمة وأرضه ترتكز عليها. وذلك في نطاق الصفائح الإفريقية والعربية والصومالية والهندية - الأسترالية، وريثة (الصفحة الجندواني) .

ب - وحدة قارة أنجارا وتوابعها :

توأم جندوانا في الشمال وهي قارة قديمة من زمن ما قبل الكامبري أيضاً، مثلها مثل الكتل القديمة لكازاخستان وتاريم وفرغانة والصين الجنوبية وجزر الصوند وغيرها من كتل قارية قديمة تشملها الصفيحة الأوروبية - الآسيوية في الزمن الحاضر، وتؤلف اليوم قاعدة أجزاء متفرقة من أرض العالم الإسلامي في آسيا وإلى الشمال من حزام الجبال الالتوائية والهضاب العالية الحديثة.

ج - وحدة المقعر الأرضي (Geosyncline) :

الذي كان مغموراً بمياه بحر تيثيس (Tethys). وكانت هذه الوحدة البنائية تفصل بين القارتين المذكورتين وأجزائهما التي انفصلت عنهما فيما بعد. وكان المحور العام لها شرقياً - غربياً مع انحرافات وأذرع خارجة عن البحر. وقد امتلأ المقعر الأرضي بالرسوبيات التي زادت سماكتها على بضعة آلاف الأمتار منذ نشأته، وحتى زوال بحر تيثيس بنهوض أرضه ورفعها بحركات بنائية متأخرة ناشئة عن زحف الصفائح الجنوبية باتجاه الشمال، واندساس حوافها تحت أطراف الصفائح الشمالية، وضغطها على رسوبيات المقعر الأرضي ورفعها إياها مكونة حزام السلاسل الجبلية الالتوائية والمرتفعات الحديثة نسبياً، التي تمتد عمرها من ٢٤٠ مليون سنة وحتى اليوم. ولم يبق من بحر تيثيس اليوم سوى البحر المتوسط والبحر الأسود في الغرب والأحواض البحرية الإندونيسية في الشرق الإسلامي.

(٢) الحركات الالتوائية والالتواءات في العالم الإسلامي :

تعد الحركات الالتوائية من أهم الحركات البنائية التي سببت نشوء التضاريس الالتوائية في العالم الإسلامي. وهي تضاريس جبلية عالية نسبياً أو جبلية - حوضية (Basin - Range Relief) وهي الأعم. ويغلب على التواءات العالم الإسلامي، ولاسيما الحديثة منها، أنها نشأت في طبقات صخرية رسوبية تعرضت للتجعد والطي

مكونة المحدثات أو (السنامات) Anticline والمقعرات Synclines . ولكن هذا لم يمنع حدوث حركات التوائية قديمة من زمن ما قبل الكامبري ، ومطلع الزمن الأول ضربت صخوراً قاسية غير مرنة مثل الجرانيت والجرانوديوريت والبايرو والدياباز وصخوراً نارية وباطنية أخرى كما هو الحال في جبال الهوامش القاسية من العالم الإسلامي ، مثل سلسلة جبال ألطاي Altai في آسيا الوسطى ، لكن البنى الالتوائية في الصخور القاسية تبقى أقل انتظاماً ونموذجية قياساً على البنى المماثلة في الصخور الرسوبية الأكثر مرونة وتجاوباً ونموذجية .

وبغض النظر عن الحركات الالتوائية القديمة جداً ، فإن أهم الحركات الالتوائية في العالم الإسلامي هي الحركة الكاليدونية والحركة الهرسينية والحركة الألبية - القفقاسية - الهيمالاية .

نشأت الحركة الكاليدونية المولدة للجبال في عصري السلوري والديفوني ، ومن أبرز التضاريس التي كونتها هي سلاسل جبال كاراخستان الوسطى والسلاسل الشمالية لجبال تيان - شان وكون - لون ولاسيما في سلسلة جبال ألطاي وتفرعاتها في آسيا المسلمة . أما الحركة الهرسينية فجاءت متأخرة وحصلت في عصور الديفوني والفحمي والبرمي من الزمن الأول أيضاً ، ويمكن عدّها استمراراً للحركات السابقة ، وكان نطاق نشاطها في كاراخستان وجبال تيان - شان وكون - لون أيضاً إضافة إلى السلسلة الجنوبية من جبال ألطاي ، وهضبة بامير وأذرعها من السلاسل الجبلية المتجهة نحو الغرب والشمال الغربي إلى حوض طوران وتعود الالتواءات الهرسينية للظهور في أقصى الغرب الإسلامي في بعض سلاسل جبال الأطلس ، وفي الصحراء الكبرى الغربية (في الجزائر) ، وفي إفريقيا الغربية حيث تسير محاور الالتواءات قوس سواحل المغرب وموريتانيا (الكتلة الموريتانية) .

أما الحركات الالتوائية الألبية - القفقاسية - الهيمالاية فهي حركات بنائية حديثة حصلت في الزمن الثالث الجيولوجي وولدت أعلى السلاسل الجبلية الالتوائية في العالم الإسلامي بل والعالم كله . وتمتد آلاف الكيلومترات ابتداء من جبال البيرنيس (البرانس) في أوروبا مروراً بجبال الألب وجبال القفقاس فجبال الهيمالايا حتى جنوب شرقي آسيا . وقد نشأ هذا الحزام الالتوائي من الجبال والهضاب والأحواض مكان المقعر الأرضي لبحر تيثيس المذكور سابقاً ، ومن صخوره وطبقاته الرسوبية التي تكونت منها أضخم المحدثات (السنانات) والمقعرات والأحواض الالتوائية . لكن هذا لم يمنع اندساس ضخور أقدم بينها وخرقها الصخور الرسوبية الحديثة (الثانية والثلاثية) .

تتفرع الالتواءات الحديثة الثلاثية بعد خروجها من أوروبا إلى حزمتين ، الأولى شمالية وتضم جبال القرم والقفقاس الأم وجبال تركستان وإيران الشمالية وسفيد - كوه في أفغانستان ثم هضبة بامير ومرتفعاتها وغيسار وجبال آلي Alai ، واستمرارها خارج العالم الإسلامي في الصين . أما الحزمة الثانية فتتبع المحور الغربي - الشرقي فالجنوب الشرقي أيضاً ، لكنها تمتد جنوب الحزمة الأولى ، وتشمل جبال آسيا الصغرى الالتوائية والأناضول الشرقي وما وراء القفقاس ، ثم سلاسل جبال زاغروس ومكران وسليمان وجبال هندوكوش ثم جبال الهيمالايا . وتستمر التواءات الحرمة الجنوبية باتجاه الجنوب الشرقي في بورما (مينمار) وأرخبيلات إندونيسيا وماليزيا (ملقة) .

إن هذا النموذج من الحركات الالتوائية ، وإن كان هو الطاغي في نطاق الجبال والمرتفعات الالتوائية في العالم الإسلامي ، فإنه في الجنوب الشرقي ، في أرخبيلات ماليزيا وإندونيسيا يتجاوز مع حركات بنائية التوائية أقدم نسبياً ، وتعود إلي الزمن الثاني الجيولوجي ، تظهر محاورها في التواءات شبه جزيرة الملايو وشمال شرق سومطره وغربي بورنيو والجزر الفاصلة بينهما . كما تظهر التواءات من أعمار

أحدث في معظم باقي الجزر حتى جزيرة غينيا الجديدة . وعلي العموم فإن هذا الجزء من العالم الإسلامي يعد من الناحية البنائية ، منطقة انتقالية بين نماذج الحركات الالتوائية من جهة ونظام مقعر أرضي حديث لم تكتمل فيه عمليات البناء من جهة ثانية كما هو الحال في التواءات بورنيو (كليمنتان) ، وسولاويسي (سيليبس) والملوك ، وجزر الصوند ، وجزر الأرخيبيلات الواقعة بين المحيطين الهادي والهندي التي مارالت في طور البناء والتكوين وخاضعة لحركة دائمة تدل عليها الزلازل والنشاطات البركانية الحالية . ومع ذلك وغيره تبقى النشاطات البركانية والتضاريس المرافقة لها ، المظاهر المؤثرة في البيئة الجغرافية في أقصى الشرق الإسلامي .

(٣) الحركات الصدعية - الانهدامية والانهدامات في العالم الإسلامي :

أسهمت الصدوع أو الانكسارات أو الفوالق والحركات الانهدامية المرافقة لها اسهاماً واضحاً في رسم جغرافية وتضاريس أرض العالم الإسلامي وقيعان بحاره . والصوع منتشرة في أغلب أرجاء العالم الإسلامي ، لكنها تتكاثر وتزدحم وبأبعاد واضحة ، امتداداً ورميةً (Throw) ، وبأنواعها المختلفة ، العادية والمتدرجة ، والأفقية - الانزياحية ، والعمودية المخلعة والمشوشة للطبقات الصخرية . . . على امتداد شقوق الضعف في القشرة الأرضية ، ولاسيما على طول حدود تماس الصفائح البنائية ، وبمسيرة الأحزمة الالتوائية وطيات السلاسل الجبلية وبصورة خاصة الحديثة منها .

ومن أبرز الحركات الصدعية- الانهدامية في العالم الإسلامي الأخدود الأفريقي العظيم ومنظومة الصدوع والانهدامات التي ترافقه . ويعد هذا الأخدود أطول شرخ في العالم حيث يبدأ من جبال طوروس في الشمال وينتهي عند المجرى الأدنى لنهر الزامبيزي في الجنوب على امتداد نحو ٦٤٠٠ كم . وهو أهم نظام بنائي انهدامي في العالم الإسلامي ، أثر في تضاريسه وجغرافيته تأثيراً كبيراً في الزمن الجيولوجي الثالث وحتى اليوم لما خلفته الحركات البنائية التي رافقته من تخلعات ومرتفعات على

شكل فجود وخسوف غورية وشقوق وأخاديد على امتدادها في تضاريس شرقي إفريقيا وغربي آسيا ، ولاسيما تكوينها لأخدود البحر الأحمر ، وخليج عدن ، وقيامها بفصل قارة آسيا عن قارة إفريقيا ، تفصل بينهما سلسلة من الأغوار البنائية (Grabens) ، تطل عليها نجومود (Hprsts) ودرجات تضاريسية وكتل مرفوعة وأخرى خاسفة شكلت أغلب جبال وتضاريس سواحل البحر الأحمر ، والجبال المشرفة على أغوار بلاد الشام وأغوار وبحيرات شرقي إفريقيا (شكل رقم ٢) ، وتجدر الإشارة إلى أن رمية الأخدود الأفريقية العظيم كبيرة تصل في خليج عدن إلى ٥٠٠٠ م ، كما أن الحركات البنائية على طولها ليست عمودية فحسب ، بل وانزياحية - أفقية أيضاً ، سببت تحرك الصفيحة العربية باتجاه الشمال مع ابتعادها باتجاه الشرق منذ أواخر عصر الأليجوسين ومطلع عصر البلايوسين . وقد ساعد على ذلك نشوء صدع فرعي هو صدع خليج عدن بين القرن الإفريقي وجنوبي الجزيرة العربية . وقد مر نطاق الأخدود الإفريقي العظيم بسلسلة من الأحداث البنائية المتتابعة أو المتزامنة غيرت في المظاهر الجغرافية على امتداده ، منها تحول البحر الأحمر مثلاً من خليج تابع للبحر المتوسط إلى بحيرة داخلية مألحة ثم إلى خليج تابع للمحيط الهندي نتيجة حركات صدعية - انهدامية . كذلك نشوء الأغوار الخاسفة والأخاديد الغائرة في هضاب ومرتفعات شرقي إفريقيا على شكل قوسين يطوقان منطقة بحيرة فيكتوريا ، امتلاً أغلبها بمياه البحيرات . أو سلكت مياه الأنهار والأودية محاورها البنائية .

أما أكثر الصدوع والانهدامات انتشاراً في العالم الإسلامي فهي الصدوع العادية التي يندر أن تولف غوراً أو وادياً أخدودياً بأبعاد ضخمة شبيهة بما تقدم ، كما أنها تكون ذات رمية متواضعة نسبياً ، لكن بعضها ولاسيما الصدوع المصاحبة للحركات الالتوائية ، يكون ذا أهمية في تطور تضاريس التوائية - صدعية ، تمتد مئات بل آلاف الكيلومترات بمحاذاة محاور السلاسل الجبلية الالتوائية ، مثل الصدع الرئيسي لجبال الأطلس والصدع الشمالي لآسيا الصغرى المسامر لسلاسل جبال البحر الأسود ، وصدع جبال القفقاس الأم وصدوع السلاسل الجبلية الإيرانية الواصلة حتى

بحر العرب ، وكذلك صدع وسط إيران وشرقيها وصدوع جبال سليمان . ويغلب على هذه الصدوع أنها مزدوجة الحركة ، رأسية وانزياحية - أفقية . وتتركز بكون محاورها ، أي محاور الحركة الانزياحية ، باتجاه الجنوب الشرقي والشرق في الجانب الشمالي ، وباتجاه الغرب والشمالي الغربي في الجانب الجنوبي من خطوط الصدوع . وهناك صدع مهم ينتمي إلى هذه المجموعة وهو صدع تركستان وتشعباته الذي يبدأ من جنوبي جبال الأورال وينتهي في جبال الهيمالايا ويمتد مسافة تزيد على ٣٠٠٠ كم وأسهم في هبوط حوض طوران وتوابعه . كما توجد صدوع مشابهة أقل أهمية في جنوب شرقي العالم الإسلامي في الملايو وبورنيو ذات الحركات الالتوائية- الصدعية .

أما في الجناح الغربي من العالم الإسلامي فيقل تأثير الحركات الصدعية إلا ما تقدم ذكره على الجانب الإفريقي من الأحدود الإفريقي العظيم ، وأقدام جبال الأطلس المحاذية للصحراء الكبرى . وكذلك الصدوع والانهدامات التي ضربت جبال تيبستي ومنطقة الكمرون فيما يعرف بـ (وهدة بينوه) ذات المحور الشمالي الشرقي - الجنوبي الغربي ، والصدع المار بمصب نهر النيجر الموازي لانهدام وهدة بينوه - بطول يقرب من ١٠٠٠ كم لكليهما .

(٤) البراكين والزلازل في العالم الإسلامي :

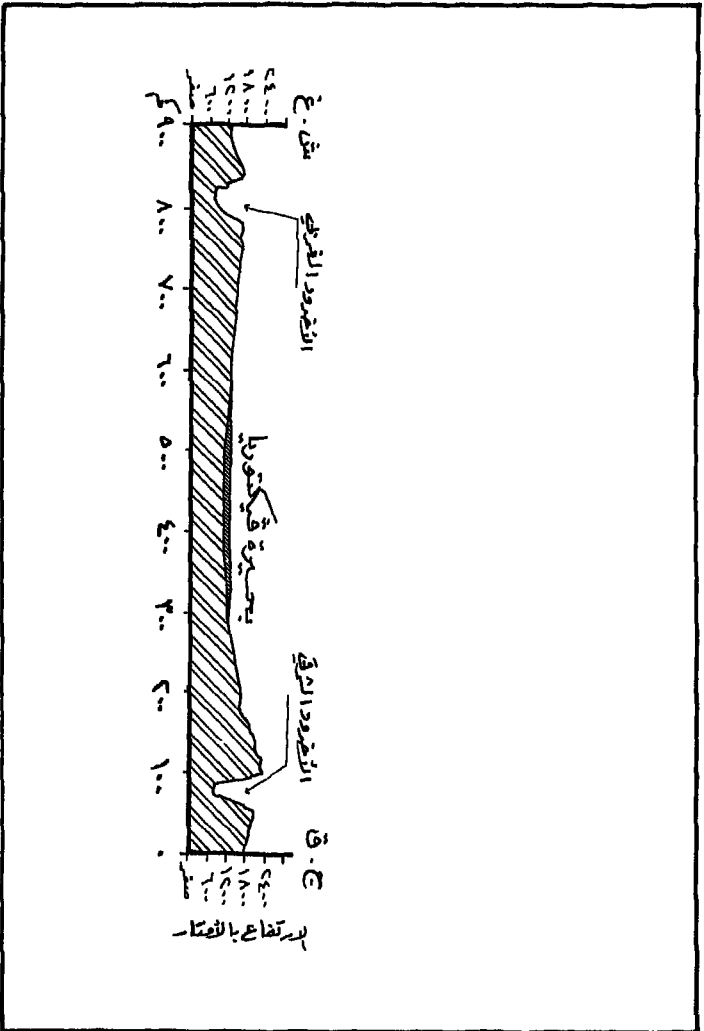
للحركات البنائية الأثر الأكبر والأساسي في رسم تضاريس العالم الإسلامي وحدوده الطبيعية . ولها دور مباشر أو غير مباشر في توليد حركات بنائية سريعة النشوء تظهر على شكل براكين وزلازل معروفة في أغلب أنحاء العالم الإسلامي .

يعد العالم الإسلامي واحداً من أهم بقاع الكرة الأرضية غنى بالبراكين وتعرضاً للزلازل والهزات الأرضية ، قديماً وحتى اليوم . فبالإضافة إلى مئات البراكين الخامدة والهادئة نسبياً ، يوجد فيه أكثر من ١٦٥ بركاناً من أصل نحو ٥٥٠ بركاناً نائراً وناشطاً في العالم . أغلبها (نحو ١٣٠ بركاناً) في أرخبيل إندونيسيا ، ويعتقد أن هوامش الأرضفة القارية المحيطة بالأرخبيل والجبال الإندونيسية هي أنشط منطقة

بركانية في العالم . كما ينتشر أكثر من ٢٠ بركاناً في الشرقي الإفريقي ولاسيما في منخفض الدناكا الانهدامي ، إضافة إلى أعداد محدودة من براكين تتبعثر في إفريقيا وآسيا المسلمتين وبصورة خاصة في تركيا .

هذا عن النشاط البركاني المعاصر حيث ثور البراكين أو تطلق غازاتها باستمرار أو بشكل متقطع . وقد يتوقف البركان عن النشاط مدة قد تصل إلى خمس سنوات كما في بركان ميرابي Merap قرب مدينة جوغ جاكارتا ، أو يثور دورياً كل ١٥ سنة مثل بركان كيلود Kelud في جاوة . أما عن النشاط البركاني القديم الذي حدث في عصور وأزمنة سابقة فهو أعم وأوسع انتشاراً في أرجاء العالم الإسلامي ، ويترافق في محاوره مع محاور النشاط البركاني المعاصر ، ولكن خارج نطاق انتشاره أيضاً . ومع ذلك يبقى النشاط البركاني في الزمنين الثالث والرابع أكبر أهمية وأثراً في العالم الإسلامي وجغرافيته ، من مظاهر نشاط أقدم .

ويميز في العالم الإسلامي بين زمرتين من النشاطات البركانية - الاندفاعية . الزمرة الأولى هي النشاط الاندفاعي المسابير للشقوق وخطوط الضعف في القشرة الأرضية . حيث تدفقت الحمم واللابات من الشقوق بهدوء وعلى شكل طفوح سائلة أو مائعة - لزجة انساحت على مساحات واسعة مكونة الأغشية والصبات الاندفاعية التي يغلب الصخر البازلتي ومشتقاته وتفرعاته عليها . وتؤلف الكثير من الهضاب مثل حرات بلاد الشام والسعودية (عويرض وخيبر وكشب وغيرها) . وكذلك الهضاب البازلتية في شبه جزيرة الهند ، وعلى امتداد الأخدود الإفريقي العظيم في شرقي إفريقيا وفي وسط بورنيو وأجزاء من ليبيا وتشاد وغيرها . ويتميز النشاط الاندفاعي في هذه الزمرة بالهدوء النسبي وقلة الانفجارات والثورات البركانية وانخفاض نسبة الغازات المرافقة . والغالب عليها أنها قديمة النشأة (ثلاثية أو من الرابع الأدنى) ، لكنها قد تكون حديثة ومعاصرة أيضاً .



شكل (٢) مقطع تضاريسي في هضبة وبحيرة فيكتوريا

المصدر: صمد عنق A. Bloom ١٩٧٨م ص ٤٥
 تأليف عنق Holmes وأخرين ١٩٦٥م

أما الزمرة الثانية فتمثلها البراكين وثوراتها التي تنفذ بالحمم والأحجار الخث والرماد والغازات ، وتؤلف الجبال والمخاريط البركانية . وهي نموذج من النشاط البنائي (التكتوني) الحديث والمعاصر ينتشر في جنوب شرقي العالم الإسلامي وفي شرقي إفريقيا ، ويتقلص أثره في باقي الأنحاء .

إن التمييز بين الزمرتين لا يعني اختفاء البراكين الثائرة أو الهادئة حالياً من بقاع الهضاب الاندفاعية ، كما لا يعني انعدام هذه الهضاب والأغشية الاندفاعية من مناطق غلبة البراكين ومخاريطها ، ومن أعمار مختلفة ، يمكن ملاحظتها من دراسة درجات تطورها من مراحل الأشكال التضاريسية البنيوية إلى أشكال التضاريس المتأثرة بعمليات الحث والتعرية .

وتعد البراكين في العالم الإسلامي من الظواهر البنائية (التكتونية) المؤثرة في البيئة الجغرافية الطبيعية تأثيراً سلبياً ومدمراً في كثير من الحالات التي حدثت سابقاً ومارالت تحدث . ففي سنة ١٢٥٦م (٦٥٤هـ) حدث انفجار بركاني قذف بحممه باتجاه المدينة المنورة وكاد يصلها ، يقول عنه شهاب الدين بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي (ظهر بالمدينة دوي عظيم ثم زلزلة عظيمة . . . ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريباً من قريظة نبصرها من دورنا بداخل المدينة كأنها عندنا . وهي نار عظيمة إشعالها أكثر من ثلاث منائر . وقد سالت أودية منها بالنار إلى وادي شظا سيل الماء . . .) أما في عام ١٨٨٣م (١٣٠١هـ) . فقد انفجر بركان كراكاتاو في إندونيسيا ، فأطاح بنصف جزيرته ومساحتها ٢٣ كيلو متراً مربعاً ، وقد سبب الانفجار موجة بحرية ضربت السواحل المجاورة قتلت نحو ٢٥٠٠٠ نسمة ، كما ولّد غيوماً من الغبار والرماد البركانيين دارت حول الكرة الأرضية مما قلل من وصول الأشعة الشمسية مدة من الزمن وكثيراً ما تسبب الانفجارات البركانية المتكررة حالياً تدفق السيالات الوحلية المعروفة بـ (لاهار) في إندونيسيا ، على الأراضي الزراعية والمنشآت الاقتصادية والقرى والمدن فتدمرها .

كذلك تحتوي أرض العالم الإسلامي على كثير من المظاهر البركانية الخاصة، هي الكالديرات (Caldera) التي سببتها حركات بنائية ضربت مخاريط بركانية ضخمة. ففي سومطرة توجد أضخم كالديرات العالم، هي كالديرا توبا Toba البالغة أبعادها ٣٠ X ١٠٠ كم التي هبطت أرضها نحو ٢٠٠٠ م فتشكلت فيها بحيرة مساحتها ١١٣١ كيلو متر مربع نهض قاعها فيما بعد فتكونت جزيرة مساحتها ٦٤٠ كيلو متر مربع هي جزيرة ساموسير. كذلك توجد في جارة كالديرا تينغر Tengger وقطرها ٢١ كم، وفي جبال تيبستي عدد من الكالديرات الكبيرة أهمها كالديرا بركان تارسو فون Tarso Voon وقطرها ٢٠ كم.

وفي العالم الإسلامي أشكال تضاريسية ومظاهر طبيعية أقل أهمية من الأغشية والبراكين والكالديرات، سببتها الحركات والعمليات البنائية، وهي شواهد عليها، منها البراكين المجهضة (المار) والنافورات المائية والغازية الحارة والبراكين الطينية.

أما الزلازل الأرضية كنموذج على الحركات البنائية السريعة جداً في العالم الإسلامي، فهي أعم وأكثر حدوثاً وانتشاراً من غيرها من الحركات البنائية. وهي حركات حدثت سابقاً ومازالت تحدث بدرجات متفاوتة من الشدة قد تصل إلي مرحلة التدمير الشامل كما في زلزال أغادير سنة ١٩٦٠ م (١٣٨٠هـ)، وكثير من زلازل جنوب شرقي آسيا وإيران وتركيا وجبال وهضاب آسيا الوسطى.

وتنتشر الزلازل في أرجاء العالم الإسلامي على امتداد نطاقات الحركات البنائية، لكنها تتركز على محور شرقي - غربي يتفق مع نطاق السلاسل الجبلية الالتوائية الحديثة في النظام الأوروبي - القفقاسي - الهيمالائي، وعلى محور أقواس جبال وجزر وبراكين جنوب شرقي العالم الإسلامي حيث تزدهم المنطقة بأشكال الحركات الزلزالية مع النشاط البركاني وتتداخل فيها.

وكثيراً ما سببت الزلازل تشققات وانهيارات ذات أبعاد محدودة ، لكنها قد تصبح مهمة في بعض الزلازل القوية ، فتغير في التضاريس ، أو تحرك أرضية في الأودية فتسدها وتشكل بحيرات فيها ، كما في بعض أودية جبال تركستان وآسيا الوسطى ، حيث تكثر الانزلاقات والانهيارات الأرضية التي تنشط الزلازل حركتها . ويبقى الأثر المدمر للزلازل قائماً بالنسبة للتجمعات السكانية والمنشآت الاقتصادية على الرغم من التقدم في بناء المساكن والأبنية والسدود المقاومة للزلازل في بقاع مختلفة من العالم الإسلامي ، إذا مازال أغلب مساكن ومنشآت القرى والأحياء الشعبية والفقيرة من مدن العالم الإسلامي عرضة للتدمير جراء الزلازل المتوسطة والعالية الشدة ، وزلزال القاهرة سنة ١٩٩٤م أحدث مثال على ذلك . ومن أعظم زلازل العالم الإسلامي : زلازل إيران (١٣٩٩هـ/١٩٧٨م) و (١٤١٢هـ/١٩٩١م) ، وتيان سان (١٣٩٧هـ/١٩٧٦م) ، وآسيا الوسطى (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م) ، وإيران وتركيا (١٣٧٨هـ/١٩٤٨م) والباكستان (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) وحارة (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) وسوريا (١٢٣٨هـ/١٨٨٢م و ١١٦٦هـ/١٧٥٢م) ولبنان (١١٧٣هـ/١٧٥٩م) والقاهرة (١١٦٨هـ/١٧٥٤م) وإيران (١١٤٠هـ/١٧٢٧م) والقفقاس (١٠٧٨هـ/١٦٦٧م) وشينسي (٩٦٤هـ/١٥٥٦م) وغيرها من زلازل مدمرة تعد ضحاياها بعشرات الآلاف .

ثانياً : الأزمنة الجيولوجية وتطور العالم الإسلامي :

مر تكوين أرض العالم الإسلامي وتضاريسه في اليابسة والبحر بمراحل امتدت على تاريخه الجيولوجي الطويل منذ ما قبل الكمبري حتى ارتسمت معالمه وجغرافيته الحاضرة اليوم . وفيما يلي استعراض للأوضاع التي مر بها العالم الإسلامي في الأزمنة والعصور المختلفة .

١ - زمن ما قبل الكمبري :

وهو الزمن السابق للزمن الأول ، والذي دام منذ تكوين القشرة الأرضية وتصلبها حتى قبل ٥٧٠ - ٦٠٠ مليون سنة مضت . ففي هذا الزمن القديم الذي أخذت فيه الصفائح والركائز بالهدوء النسبي قبل نحو ملياري سنة ، تكونت القواعد الصفائحية الصلبة والقاسية التي تغلب عليها الصخور النارية - الباطنية والبلورية مثل الجرانيت والجرانوديوريت والسينيت والغابرو البيريدوتيت ، كما هو الحال في ركائز غربي إفريقيا في موريتانيا ومالي وغينيا وليبيريا وساحل العاج وغانا ، وفي تكوينات جبال الأحجار وجمال تيبستي وأجزاء من مصر والسودان في الجناح الإفريقي من العالم الإسلامي . وكذلك في الثلث الغربي من شبه الجزيرة العربي التي كانت متصلة مع إفريقيا عندما كان البحر الأحمر وخليج عدن غير موجودين . وكذلك في مساحات واسعة من شبه جزيرة الدكن وأشرطة مسaire لجبال الهيمالايا وكوّن لون وهضبة بامير . أما ما يعرف بالصفحة الصينية التي تؤلف أساس أجزاء واسعة من شمالي العالم الإسلامي ، فيبدو أنها أخذت بالتجزؤ إلى أربع قطع صفائحية أو ركائز هي الركيزة الصينية الشمالية والصينية الجنوبية وتاريم والتبت ، وذلك أواخر ما قبل الكمبري ، وبداية الزمن الأول . وقد تكونت بين هذه الركائز مقعرات أرضية امتلأت بالرسوبيات في أزمنة جيولوجية متأخرة ، ثم خضعت لحركات بنائية التوائية في سلاسل جبال كون - لون Kun - Lun وتسين لينغ Tsinling ، على الهوامش الشمالية من العالم الإسلامي في الزمنين الأول والثاني . أما في الجناح الإفريقي فقد امتلأت المقعرات الأرضية مثل المقعر الأرضي الليبي - المصري ، تندوف ، وتشاد والسنغال برسوبيات أحدث ، لكنها لم تخضع لحركات بنائية مشابهة .

وعلى الرغم من انعدام مظاهر الحياة الأولى في صخور ما قبل الكامبري البلورية ذات الأصول الباطنية والتي يرجع عمرها إلى أكثر من ثلاث مليارات من السنين ، فإنه عُثر على بدايات الحياة النباتية وإلى حد ما الحيوانية ، علي هيئة طحالب في صخور المقعرات الأرضية الكبرى لتيان شان وأطاي والصين وجنوبي سيبيريا وفي إيران ، أما في الغرب الإسلامي فقد عُثر على طحالب التين في إفريقيا الشرقية ، كما اتصفت المراحل المتأخرة من زمن ما قبل الكامبري بتشكّل تكوينات الحجر الرملي والدولوميت والصخر الكلسي، وكذلك الشيست، ولاسيما في المقعرات الأرضية الإفريقية المذكورة .

٢ - الزمن الأول (الباليوزي) :

تعرض العالم الإسلامي لحوادث طغيان مياه البحار والمحيطات وغمرها لأجزاء من يابسته، رافقتها أو أعقبته حوادث تراجع المياه وانحسارها في عصور هذا الزمن. كذلك تأثرت أجزاء متفرقة منه بحركات بنائية واسعة يغلب عليها التقب والانحناء مع النهوض والرفع . كونت القارات ، وبحركات أخرى ذات مدى أضيق ولدت الجبال والهضاب والمرتفعات إضافة إلى أحواض تنتشر بينها . ففي أواسط العصر الكامبري (أقدم عصور الزمن الأول) غُمرت الأجزاء الشمالية من شبه الجزيرة العربية وشمالى الهند بمياه المحيطات . وبعد انحسار محدود عادت المياه للغمر في العصر الأوردوفيشي المبكر . وكان الغالب على الرسوبيات البحرية ، الصخور الكلسية والصخور الصلصالية العضارية والرملية ، إضافة إلى الصخور الملحية في الأجزاء الجنوبية من أراضي العالم الإسلامي . كذلك تشكلت تكوينات رسوبية من أصول بحرية وجليدية في المغرب وغربي إفريقيا ، في حين غطت الصخور الرملية شمالي إفريقيا والصحراء الكبرى وأنحاء واسعة من الغرب الإفريقي في العصر الأوردوفيشي .

ومن أحداث هذين العصرين نشوء حركات بنائية مولدة للجبال ، هي الحركات الكاليدونية التي رافقها حركات بناء القارات في وسط وغربي إفريقيا وفي أجزاء العالم الإسلامي الشمالية في آسيا أما في العصر السيلوري والديفوني فقد تغيرت خصائص الترسيب في الأحواض الكبرى والمقعرات الشيستية المتحولة على نطاق إقليمي واسع ، ولاسيما في شبه الجزيرة العربية وشمال غربي إفريقيا ، والصخور الكلسية والكلسية - الرملية - الصلصالية البحرية الأصل في أغلب أنحاء القسم الآسيوي من العالم الإسلامي ، وذلك إضافة إلى الصخور الاندفاعية - البركانية من الطف واللايات البازلتية . وقد رافق ذلك نهوض مساحات واسعة من قيعان البحار تحولت إلى يابسة تكونت عليها التواءات جبال كون لون وألطي وتفرعاتها ومرتفعات كازاخستان .

لم يطرأ في العصر الفحمي (الكربوني) تغير كبير على أوضاع الأجزاء المنفصلة عن الصفيحة البنائية الشمالية (الأوراسية) والصفحية البنائية الجنوبية (جندوانا) . كذلك استمر ترسب شتى المواد الرسوبية والحطامية والنقضية وفتات الصخور الاندفاعية - البركانية في قيعان البحار التي كانت تملأ المقعرات الأرضية بين أجزاء الصفائح البنائية . وكانت الصخور الرسوبية البحرية الغالبة عليها هي الصخور الكلسية ، ولاسيما فيما هو اليوم إيران وتركيا وأجزاء من سيبيريا .

ومع ذلك كانت مساحات البحار والمقعرات الأرضية آخذة بالتقلص في العصور الثلاثة الأخيرة من هذا الزمن (الديفوني والفحمي والبرمي) نتيجة النهوض البطيء الذي رافق الحركات الهرسينية . كما بدأت معالم الحياة البحرية بالظهور وبصورة خاصة في شمالي إفريقيا ومصر والصحراء الكبرى . ونمت بشكل واضح في العصر الفحمي (الكربوني) ومابعده ، وأخذت المساحات المكونة من ضخور رسوبية ومتحولة تتسع ، وتغطي الصخور النارية تدريجياً ، باستثناء المجنات أو الدروع .

٣ - الزمن الثاني (الميسوزي) :

بدأت معالم القارات بالظهور في بداية هذا الزمن ، إذ شكلت الصفائح والركائز مع سلاسل الجبال القديمة في الأجزاء الشمالية قارة واسعة تؤلف أكثر من ٧٥٪ من أوراسيا (أوروبا - آسيا) الراهنة . وبالمقابل تباعدت أجزاء قارة جندوانا في الجنوب تباعداً بيناً ، وتكونت بين أقسامها أحواض ، تحول أحدها إلى المحيط الهندي ، كذلك بقيت أوراسيا منفصلة عن جندوانا وأقسامها بمقعر بحر تيس الذي ظل موثلاً لتكديس الرسوبيات البحرية الهائلة زمنياً طويلاً في تاريخ الأرض .

لكنه وفي أواخر الزمن الثاني وبدايات الزمن الثالث أخذ بحر تيس بالتراجع السريع وارتفعت الالتواءات الحديثة مكانه وعلى هوامشه تدريجياً ، مما أدى في نهاية المطاف إلى التحام أجزاء قارة جندوانا بصفائح الشمال مشكلة قارة أوراسيا . ونتيجة لهذه الحوادث البنائية - الجيولوجية حصلت تغيرات جغرافية مهمة رحفت فيها مياه البحار على أجزاء من اليابسة ، كما انحسرت عن مساحات منها خضعت لحركات نهوض وبروز اليابسة فوق مستوى البحار . وقد حصل في أواسط هذا الزمن وفي العصر الجوراسي منه غمر كبير لليابسة في العالم الإسلامي ، من جراء توسع حوض المحيط الهندي ، شمال أراضي الصومال وأثيوبيا حتى آرتيريا ، كما وصل الغمر إلى أجزاء متفرقة من جنوبي وشرقي آسيا .

تتألف ضخور هذا الزمن من رسوبيات بحرية تشكلت في أحواض بحرية عميقة يعود عمر أهمها إلى العصرين الجوراسي والكريتاسي (الطباشيري)، وهي ضخور غنية بمستحدثات (أحافير) تؤكد انتشار أشكال الحياة الحيوانية والنباتية في البر والبحر، مع غلبة البحرية الأصل منها . وأكثر هذه الرسوبيات انتشاراً هي الصخور الكلسية والرملية والحوارية والصلصالية العُضارية والدولوميتية والملحية ، إضافة إلى صخور متحوّلة أغلبها من أصل رسوبي مثل الشيست وغيره .

تغطي صخور هذا الزمن مساحات واسعة من العالم الإسلامي ، جبله وسهله ، في أغلب أنحاء إفريقيا شمال خط الاستواء ، وأنحاء متفرقة من آسيا الإسلامية ، في آسيا الصغرى وبلاد الشام وشرقي الجزيرة العربية وجنوبيها ، وجبال إيران وأفغانستان ، وكثيراً من جبال وهضاب اسيا الوسطى وغيرها . وقد دام هذا الزمن مدة تقرب من ١٦٠ مليون نسمة (٦٥ - ٢٢٥ مليون سنة مضت) .

٤ - الزمن الثالث (الكينوزي) :

ساد هذا الزمن وأحداثه مند ٦٥ مليون وحتى قبل أكثر من ٢,٥ مليوني سنة مضت . وقد تميز بكثير من الأحداث الجيولوجية والتغيرات الجغرافية الطبيعية ، ولكن أبرزها وأهمها بالنسبة للعالم الإسلامي هو النشاط الملحوظ والزائد للحركات البنائية الكبيرة ، إضافة إلى أعمال النشاط البركاني - الاندفاعي وتدفق نتاجه من الحمم واللايات ، ولاسيما على امتداد مناطق الصدوع والالتواءات ونطاقات تماس الصفائح البنائية (التكتونية) .

أما جغرافياً فقد قامت الحركات البنائية المختلفة بتكوين أهم السلاسل الجبلية الالتوائية في العالم الإسلامي مثل جبال الأطلس وآسيا الصغرى والقفقاس وإيران وأفغانستان والباكستان والهمالايا وتوابعها وامتداداتها نحو الجنوب الشرقي من آسيا ، وكذلك الجبال الالتوائية المتفرعة من عقدة بامير في وسط آسيا الإسلامية . ولم يقتصر الأمر على نشوء هذه التضاريس الجبلية الضخمة فحسب ، بل أدت عمليات الرفع والنهوض البنائية إلى تجديد شباب السلاسل الجبلية المرتفعات القديمة مثل جبال تيان شان وألطاي وغيرها ، وعرضها لعمليات حت وتعرية عنيفتين .

اتصفت الحركات البنائية في الزمن الثالث بالشدة، فتتج عنها غلبة نموذج البنية الالتوائية الألبية - الففقاسية - الهيمالاتية، ذي الطيات الضيقة (المصرورة) الغنية بالسلاسل الجبلية العالية والأودية العميقة الواطئة والضيقة، كذلك انتشرت الصدوع في أنحاء العالم الإسلامي ذي الصخور الصلبة القليلة المرنة .

ومن أهم أحداث هذا الزمن أثراً في العالم الإسلامي، نشوء الأخدود الأفريقي العظيم وتشكل البحر الأحمر والأغوار السورية والأفريقية على طوله ولاسيما في إطار الفصل بين جناحي العالم الإسلامي الإفريقي والآسيوي . وقد حدث ذلك نتيجة انفصال الصفيحة العربية عن الصفيحة الإفريقية في أواخر عصر الأليجوسين ومطلع عصر المايوسين، وما أعقب ذلك من نشوء أخدود البحر الأحمر الكبير ودخول مياه البحر المتوسط إليه، مما كوّن خليجاً ضيقاً تابعاً للبحر المتوسط يصل حتى برزخ أرضي كان يربط عدن بجيبوتي في البداية . لكنه وفي آخر عصر المايوسين تشكل برزخ السويس فتحول الخلية إلى بحيرة مالحة . لكن الحركات البنائية الصدعية ضربت برزخ عدن - جيبوتي في عصر البلايوسين فانفتح البحر الأحمر وأصبح دراعاً بحرياً متصلاً بالمحيط الهندي، ثم أخذ شكله الراهن بعد قيام الإنسان بشق قناة السويس .

وعلى العموم فإن الشكل الجغرافي الطبيعي للعالم الإسلامي ، ومظاهره وبيئاته التضاريسية أخذت تقترب من أوضاعها وأشكالها الراهنة في نهاية هذا الزمن، يتضافر العمليات الجيولوجية والجيومورفولوجية والمناخية .

٥ - الزمن الرابع (الحديث) :

يقسم إلى عصر البلايستوسين (٢,٥ مليون حتى ١٠٠٠٠ سنة مضت) وعصر الهولوسين (منذ ١٠٠٠٠ سنة وحتى اليوم). وفيه استمر النشاط الاندفاعي - البركاني في جميع المناطق البركانية في العالم الإسلامي، وبلغ أشده في الجنوب الشرقي في أرخبيلات إندونيسيا وماليزيا وفي نطاق الأخدود الأفريقي العظيم، حيث غطت الأغشية البازلية والحرات مساحات واسعة من بلاد الشام والجزيرة العربية وشرقي إفريقيا. كما ارتفعت المخاريط والجبال البركانية الرباعية فوق بقاع كثيرة من العالم الإسلامي تتوزع على نطاقات الصدوع والالتواءات ومناطق الضعف في القشرة الأرضية.

تؤلف المخاريط البركانية بنوعها الخامدة والناشطة - الثائرة ، أعلى القمم في كثير من البقاع الإسلامية كما في إندونيسيا وإيران والقفقاس وتركيا وكينيا وليبيا وتشاد والجزائر وغيرها . كما أنها ولاسيما الناشطة والثائرة منها ، إضافة إلى الزلازل والهزات الأرضية ، تؤكد عدم استقرار أرض العالم الإسلام في البقاع التي تتعرض للانفجارات البركانية والزلازل ، وتؤلف شواهد على استمرار تكوين أرضه وبحره من دون توقف . وما يدعم هذا الواقع أيضاً حقيقة حركة الصفائح التكتونية البطيئة جداً (٢ - ١٠ سم سنوياً) في أنحاء العالم وصفائحه .

إن دراسة الزمن الرابع الجيولوجي في العالم الإسلامي وحوادثه ، لا يمكن لها أن تكون متكاملة إذا لم تتطرق إلى معالجة العصور الجليدية ومقابلاتها المطيرة ، وما بينها من فترات دافئة . وتأتي أهمية ذلك من الدور الملموس للتغيرات المناخية في عصر البلايستوسين وأثرها في تضاريس العالم الإسلامي وبيئاته الجغرافية الطبيعية والعمليات الجيومورفولوجية التي أثرت في أشكال الأرض حتى نهاية البلايستوسين وبداية الهولوسين ، ولعل أبرز نتائج تلك التغيرات ذات الطابع المناخي الشامل ، هو تغير مستوى البحار وارتفاع مياهها (٩٠ متراً) من جراء ذوبان جليد القطبين بعد

العصر الجليدي المتأخر ، مما أدى إلى تحول جنوب شرقي العالم الإسلامي من شبه جزيرة كانت تتصل بقارة آسيا إلى أرخبيل كبير آلاف الجزر المنفصلة عن آسيا . ومن النتائج ذات الأهمية الجغرافية والبيئية تغير حدود النطاقات النباتية والتربة والبيئات الطبيعية ، وتراجعها بالاتجاه الذي سمح بانتشار الصحراء ، وأشباهاها وغلبتها في العالم الإسلامي .

إن الزمن الرابع هو الزمن الذي أخذت فيه وفي نهايته معالم التضاريس وخطوطها والبيئات الجغرافية وسواحل القارات وحدود اليابسة ، صورتها وهيئتها الراهنة التي تعالجها الفصول التالية وفقراتها .

التضاريس

تضاريس العالم الإسلامي انعكاس صادق للأوضاع الجيولوجية وتاريخ التطور الجيولوجي والبنائي (التكتوني) الذي عاشه، وسبق الحديث عنه في الفصل السابق . لكنها نتيجة طبيعية أيضاً لمجموع الأعمال الجيومورفولوجية وتضافرها مع العناصر الجيولوجية في رسم الصورة الراهنة للتضاريس . فالبقاع السهلية والهضبية الواطئة تتفق في توزيعها مع أراضي الكتل الصفائحية والمجنتات البنائية القديمة ، وتغلب على قواعدها وسطحها الصخور الصلبة والقاسية . أما الجبال العالية والشاهقة فتمتد مؤلفة سلاسل ذات بنى جيولوجية حديثة . كذلك تنتشر الهضاب والكتل الجبلية المتفرقة والمنعزلة بين التضاريس القديمة والحديثة . مثلها في ذلك مثل الأحواض الواسعة والأودية الحوضية المندسة بين سلاسل الجبال وبين الجبال والسهول والهضاب . أما السهول الساحلية فهي اللمسات الأخيرة في عمليات رسم حدود اليابسة مع البحار .

يحووم الارتفاع المتوسط للعالم الإسلامي حول ١٠٠٠ - ١١٠٠ متر ، فوق مستوى سطح البحر ، وفيه أكبر مجموعة من القمم الجبلية الشاهقة التي يزيد ارتفاعها على ٧٠٠٠ متر . أي أن العالم الإسلامي هو أعلى كتلة (قارية) على اليابسة (مقابل ٩٦٠ متر) لآسيا ذات أعلى متوسط بين القارات) . كذلك يشتمل العالم الإسلامي على أكبر شبه جزيرة في العالم هي شبه الجزيرة العربية (٢٧٣٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع) وأكبر بحر داخلي هو قزوين (٣٧١٨٠٠٠ كيلو متر مربع) ، وعلى أخفض نقطة دون مستوى البحر على سطح الأرض (البحر الميت - ٤٠٣ متراً) . ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي :

أولاً : السلاسل الجبلية :

يغلب على السلاسل الجبلية الأصل الالتوائي والالتوائي - الصدعي وتؤلف حزاماً شبه مستمر يمتد من جبال الأطلس الداخلي (ما وراء الأطلس) على المحيط الأطلسي في أقصى الغرب وحتى شبه جزيرة ملقة وجبالها ، ثم في جبال سومطرة وجاوة وبقية الجزر الإندونيسية حتى القسم الغربي من جزيرة غينيا الجديدة في أقصى الشرق . ويتخلل هذا الحزام انقطاعان هما الانقطاع الواقع بين جبال الأطلس التلي والساحلي والأوراس في المغرب وجبال آسيا الصغرى في تركيا ، حيث يفصل بينهما حوض البحر المتوسط الشرقي ومياهه ، ورحف الهضاب والأراضي السهلية في ليبيا ومصر حتى سواحلها على البحر المتوسط .

أما الانقطاع الثاني للحزام الجبلي في العالم الإسلامي فهو في أقصى الجنوب الشرقي والشرق حيث فصلت مياه البحار والمحيطات المتوغلّة في أرخبيل إندونيسيا وماليزيا ، بين جبال جزرها . ويتصف هذا الحزام الجبلي بخصائص عديدة منها أن سلسله قد تكون منفردة واحدة ، وقد تكون أكثر من سلسلة تتقارب وتتباعد ، تتلاقى وتفترق ، تعرض وتضييق ، ترسم أقواساً وتعرجات واسعة وطويلة . كثيراً ما تحيط بأحواض داخلية وتطوقها فلا تصل مياهها الجارية إلى بحار العالم . وهذه السلاسل وإن طغى عليها الاتجاه الشرقي - الغربي ، فإنها تتجه نحو الجنوب فالجنوب الشرقي في بورما وماليزيا وإندونيسيا ، حيث يعود المحور شرقياً غربياً مع رسم أقواس ذات انحناءات متعددة الاتجاهات .

ومما يلفت النظر في هذا الحزام الجبلي الإسلامي الذي يمتد آلاف الكيلومترات وجود عدد من العقد التضاريسية التي تؤلف ملتقى لسلاسل عديدة ، كما تؤلف منطلقاً لسلاسل تنبثق منها ، وهي عقدة طوبقال وعقدة الحضنة - أوراس في المغرب ، ثم عقدة الأناضول الشرقي - كردستان بين جبال آسيا الصغرى والقفقاس وإيران ، ثم عقدة بامير وهضبتها التي تعد أضخم عقدة في العالم تلتقي فيها وتتفرع عنها أعلى جبال العالم الإسلامي وسلاسلها ، وتفصل بين المرتفعات الإيرانية - الأفغانية وجبال وهضاب وأحواض تركستان والتبت والهمالايا (شكل رقم ٣) .

تتألف السلاسل الجبلية في العالم الإسلامي من السلاسل التالية :

(١) جبال الأطلس :

وهي سلاسل جبلية تشغل الشريط الشمالي الغربي من العالم الإسلامي في بلاد المغرب العربي ، تمتد من المحيط الأطلسي نحو الشرق ، الشمال الشرقي مسايرة لسواحل البحر المتوسط والصحراء الكبرى . وتتألف من طيات التوائية تعرف بالأطلس الساحلي أو التلي وهي السلسلة الشمالية المحاذية للبحر المتوسط بين خليج تونس في الشرق وحتى وادي نهر الملوية حيث تتصل بسلسلة الأطلس الأوسط في الجنوب الغربي . بينما تتممها سلسلة الأطلس الريفي في الشمال وعلى امتداد سواحل المغرب على البحر المتوسط حتى مضيق جبل طارق، ويعد عمر تازة أهم المعابر الجبلية بين الأطلس الريفي والأوسط ويربط المغرب بالجزائر .

وإلى الجنوب من الأطلس الساحلي تبرز سلسلة التوائية ثانية هي الأطلس الصحراوي الذي يلتحم في الجنوب الغربي بالأطلس الأعلى (أو الكبير) الذي يرتبط بالأطلس الأوسط من جهة الشمال وبالأطلس الداخلي في الجنوب الغربي . وجبال الأطلس عالية تكثر فيها القمم التي يزيد ارتفاعها على ٢٥٠٠ متر ، وأعلى قممها جبل طوبقال (١٦٥ متر) وجبل إيغيل مغون (٤٠٧١ متر) . تكون عالية في الجنوب الغربي وفي منطقة تقارب وتلاقي الأطلس الأوسط مع الأطلس الأعلى والأخير مع الأطلس الداخلي . . . لكن الارتفاعات تأخذ في التناقض باتجاه الشمال الشرقي والشرق ويكون الأطلس الصحراوي أقل ارتفاعاً من الأطلس الساحلي . أما في الشرق فتؤلف كتلة أوراس عقدة تعلو لأكثر من ٢٣٠٠ متر ، تربط بين الأطلس الصحراوي والساحلي وجبال تونس حيث تنخفض الجبال لأقل من ١٥٠٠ متر ، ثم تنتهي في السهول التونسية .

تتألف جبال الأطلس من سلاسل عديدة وأودية طويلة تسايرها ، وتفصل بينها فروق ارتفاعات كبيرة (١٠٠٠ - ٢٠٠٠ متر وسطياً) وتكثر فيها الجروف القاسية والسفوح الشديدة الانحدار ، كما توجد فيها الخنادق في أعالي الأودية السيلية والأنهار التي عمقت مجاريها متعامدة مع محاور الالتواءات ، مما أوجد العديد من الممرات الواصلة بين أنحاء الأطلس والبحر المتوسط في الشمال، والصحراء الكبرى في الجنوب ، وتربط الممرات الشرقية - الغربية الأساسية بشبكة من المعابر العرضية .

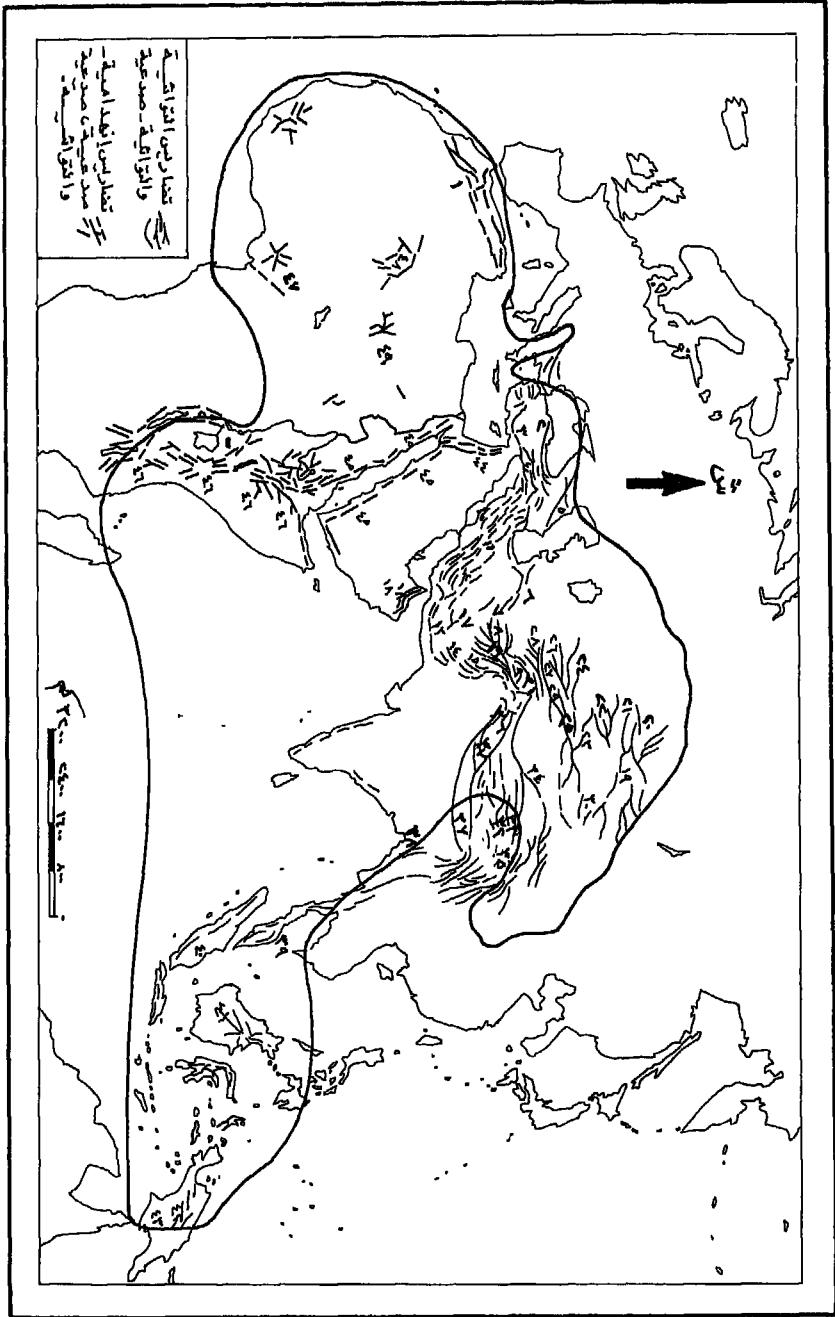
تسود جبال الأطلس أشكال التضاريس البنيوية والكارستية (الطباشيرية) في المناخ المتوسطي. كما تنشط فيها أعمال الحت والتعرية المائية بالأنهار والسيول التي خلقت الأحاديد والجروف والنواشز. وتعاني الجبال العالية من نسبة تعرية قدرت بنحو ٩, ٤٤ سم في ١٠٠٠ سنة، وقد أدى تغير المناخ في العصر الجليدي المتأخر (القرم) إلى نشوء مصاطب الأنهار والأودية. كما عثر على آثار جليدية وأشكال شبه جليدية (Periglacial) في المرتفعات. وتشير شواهد كثيرة إلى دورة حتية بدأت منذ خمسة قرون، أعقبت دورة ترسيب سابقة دامت ١٠٠٠ سنة. وهذا الأمر ينسحب على أشكال تضاريس حوض البحر المتوسط. ومع ذلك تبقى التضاريس البنيوية الالتوائية الأصل هي الراسمة لصورة البيئة الجغرافية .

(٢) جبال آسيا الصغرى :

تندعم السلاسل الجبلية الالتوائية المهمة على طول السواحل الإسلامية المتوسطية الإفريقية ، إلى الشرق من جبال الأطلس ، إذ لا يظهر فيها سوى كتل جبلية منخفضة مثل جبل نفوسة (٧١٦ متراً) والجبل الأخضر (٨٧٨ متراً) . لكنها وبالمقابل تعود فتظهر في الشمال في شبه جزيرة آسيا الصغرى ، في تركيا، على هيئة سلسلتين جبليتين التوائتين متوازيتين لهما محور شرقي - غربي عام . السلسلة الأولى منهما هي سلسلة جبال البحر الأسود (البوننتية)، وهي استمرار لجبال رودوب وجبال بلغاريا . وهي سلسلة ضيقة وتتألف من عدد من السلاسل المتجاورة تفصل بينها أودية

۳۷- ہمالیا (الورا جیل)	۲۵- تیان شان	۱۲- مکران	۱- جبال الاتلس
۳۸- اراکان	۳۱- ترکستان	۱۴- بلوچستان	۲- جبال البحر الاسود (بٹلس)
۳۹- بیلوکھنڈ	۲۷- زلفشان	۱۵- جبال سلیمان	۳- ملروس
۴۰- پارسان	۲۸- قیسار	۱۶- بابا - کوه	۴- ملروس الداخليہ
۴۱- مول	۲۹- الای	۱۷- صرخد	۵- جبال القفاس (القوتان)
۴۲- مارکہ	۳۰- قارلق طاغ	۱۸- عمان	۶- کوبت داغ
۴۳- بسمارک	۳۱- بامیر	۱۹- الطای	۷- جبال خراسان
۴۴- جبال بلاد القمام	۳۲- التبت	۲۰- بلوچا	۸- سفید-کوه
۴۵- جبال البحر الاحمر	۳۳- کون لون	۲۱- تریقٹای	۹- ہنوکوش
۴۶- جبال شرقی افریقہ	۳۴- التون شان	۲۲- الاتار الجوفقاریہ	۱۰- کوردستان
۴۷- مرتفعات الکمرنٹ	۳۵- بوزجان بولہای	۲۳- بوزخرد	۱۱- زاغروس
۴۸- جبال الاحجار (الہوقار)	۳۶- قرہ کورم	۲۴- طلاس (طلس)	۱۲- کرمان
۴۹- جبال تیسٹی			

مفتاح شکل (۳)



شكل (٣) التصاريح الخيلية وتوزيعها بحسب بنيتها في العالم الاسلامي

عميقة، تسامر سواحل البحر الأسود وترسم أقواساً منطبقة على تعرجات السواحل ،
تصل ارتفاعاتها لأكثر من ٣٥٠٠ متر (٣٩٣٧ متر في جبل كاتشكار في الشرق)
بينما تقع بطون الأودية التي تفصل بينها على ارتفاعات متوسطة تراوح بين ٥٠٠ و
٧٠٠ متر ، مما يعكس الفروق التضاريسية الكبيرة وأثرها على الجريان المائي ، وعنق
العمليات الجيومورفولوجية ، ولاسيما أن المسافات إلى البحر الأسود قصيرة مما يزيد
في سرعة الجريان المائي للأنهار الساحلية .

أما السلسلة الثانية فتتضح معالمها ابتداء من جنوب غرب تركيا ، وتظهر على
هيئة قوس تنطبق على مسار سواحلها الجنوبية ، مؤلفة من جبال طوروس التي تتجه نحو
الشمال الشرقي وامتدادها في سلسلة جنوب شرق الأناضول (أنتي طوروس -
طوروس الداخلية) . وتصل الارتفاعات في السلاسل الجنوبية إلى ٣٠٠٠ متر (وفي
قمة أرجياس البركاني ٣٩١٦ متر) . ومع غلبة المحاور الشرقية الغربية على سلاسل
تركيا الالتوائية على ساحلي البحر الأسود والبحر المتوسط ، وعلى جبال إيجه التي
تتألف أقسام منها من صخور بلورية قاسية قديمة ، انتشرت في جبال آسيا الصغرى
الأودية العميقة والتي تشغلها أنهار تسامر المحاور الجبلية حتى تجذ لها منفذاً إلى البحر
الأسود أو المتوسط ، أما أودية الغرب فأقل عمقاً وذات قاع أعرض وقصيرة تنتهي في
بحر إيجه مباشرة (غديز ومندرس وغيرهما) .

تقترب السلسلتان من بعضهما في الشرق حيث تظهر هضبة الأناضول الشرقية
(١٤٠٠ - ١٨٠٠ متر) . وعقدتها التي تعلوها جبال منفردة وسلاسل جبلية .
وتغلب على صخور الهضبة الصخور البلورية والشيستية كما تغطي الصخور البازلتية
والصبات الاندفاعية مساحات من سطحها . كما أن أعلى قممها هي عبارة عن
براكين حديثة العمر خامدة مثل سيحان داغ (٤١٧٥ متر) والأغوز (٤٩٩٥ متر)
وأارات (٥١٥٦ متر) ، تغطي أعاليها ثلوج دائمة . ومما يدل على حدوثها الزلازل
التي تضرب شرقي الأناضول والينابيع الكثيرة ذات المياه الدافئة والحارة .

أما جيومورفولوجياً فإن تضاريس آسيا الصغرى ولاسيما الواقعة على ساحل البحر المتوسط ، شبيهة بمثلاتها في منطقة الأطلس . أما جبال البحر الأسود فالغالب عليها تعاقب الأودية البنيوية مع الطيات السنامية ، كما في حوض يشيل إرماق وقيزيل إرماق وتشوروخ ، وتتصف السفوح الموجهة نحو البحر الأسود بعنف عمليات الحت والتعرية فيها لفرق الارتفاع بين البحر والجبال وشدة الانحدار وغزارة التساقط مما ساعد الأنهار على تكوين دالات بحرية . وتكثر في آسيا الصغرى الداخلية الأشكال المورفولوجية البركانية الحديثة والقديمة .

(٣) جبال القفقاس :

تلامس أطراف العالم الإسلامي أوروبا في إقليم القفقاس . وتؤلف جباله سلسلة التواتية حديثة طولها ١٢٠٠ كم بعرض يراوح بين ٦٠ و ١٢٠ كم وأعلى قممها في جبل أوشحة مافة (البروز) (٥٦٣٣ متراً) وكازيك (٥٠٤٧ متراً) . ويتألف نواة هذه الجبال من صخور بلورية ، كما أدت الحركات البنائية إلى ارتفاع المخاريط البركانية مؤلفة أعلى القمم فيها ، وإلى حدوث صدوع أظهرت مجموعة كبيرة من الينابيع المائية الحارة والمعدنية في بلاد الشركس ، ويسير محور جبال القفقاس من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، كتلة متماسكة تؤلف جداراً طبيعياً منيعاً بين السهول الشمالية والقفقاس الشمالي ، وما وراء القفقاس الجنوبي، تربط بينهما ممرات وخوانق وعرة على ارتفاعات تتراوح بين ٢٥٠٠ و ٣٥٠٠ متر.

وتتصف السفوح الشمالية للقفقاس باتساعها وتتابع سلاسلها من النواة البركانية إلى النطاق الشيستي (الصخور المتحولة) إلى الهوامش الرسوبية . أما سفوحها الجنوبية فقصيرة وأشد انحداراً . وخلافاً لما عليه الأوضاع في سلاسل الأطلس وآسيا الصغرى ، فإن الأودية العميقة القفقاسية تتعامد مع محور الجبال وتقطعها بخوانق كثيرة تعيق الاتصال إلا على امتداد أقدام الجبال .

وللقفقاس تمة في شبه جزيرة القرم في شمال البحر الأسود ، وكان سكانها كلهم مسلمين قضت عليهم القيصرية الروسية وأبادتهم الشيوعية وأحلت محلهم غير المسلمين من الروس والأوكرانيين ، فلم تترك للمسلمين من تثار القرم أثراً يعتقد به اليوم . أما في الجنوب الشرقي فتتم جبال شمال إيران ولاسيما كوت داغ ، ويلخان (في تركمنستان) استمرار التواءات القفقاس ، بعد انقطاع قصير سببه منخفض بحر (قزوين) . كذلك تتصل جبال القفقاس بسلسلة القفقاس الصغيرة التي تلتحم بعقدة الأناضول الشرقية وبجبال إيران عن طريق ألسنة جبلية تلتقي عند تفليس .

القفقاس غني بالأشكال التضاريسية ذات الأصول البنيوية والبنائية ، فإلى جانب التضاريس الالتوائية العادية ، تظهر حافات من نوع (الكويستا) والسنامات المفرغة ، والأودية العميقة والخنادق الحتية النهرية ، كما تظهر فيه التضاريس البركانية، وتكثر فيه التضاريس الكارستية أي الطباشيرية وجوبات Dolineds . لكن أشكال التضاريس المميزة للقفقاس العالي ، هي التضاريس الجليدية والأودية المعلقة والحلبات والأودية المعلقة التي تتغذى شلالاتها من ألسنة جليدية حالية . وتنشط عمليات الترسيب النهري والسيلي عند أقدام الجبال وفي أحواض الأنهار ومجاريها الدنيا بالذات ، حيث تشاهد المصاطب النهرية دليل تعاقب الحت والترسيب في لحقيات الأنهار ، كما تنتهي أغلب أنهار القفقاس بدالات ناشطة على سواحل بحر آزوف والخزر خاصة .

(٤) جبال إيران - أفغانستان :

وتتألف من مجموعة من السلاسل والكتل الجبلية ذات البنية الالتوائية الحديثة . وهي عبارة عن أقواس جبيلة تحيط بهضبة إيران من جميع أطرافها . تبدأ في الغرب والشمال الغربي بجبال البورز ، وأعلى قممها ، جبل ديمانند (٥٦٧١ متر) ، وتطوق بحر قزوين من الجنوب ، وتتصل بسلسلة كوت - داغ (٣١٤٧ متر) فسلاسل جبال خراسان (٣٤١٦ متر) ثم تتصل في الشرق بسلسلة سفيد - كوه فجبال كوهي بابا ثم جبال هندوكوش الشاهقة الارتفاع التي تندمج بهضبة بامير .

تتصف هذه الجبال بتعدد سلاسلها وبكثرة الأودية البنائية الفاصلة بينها ، والتي تسلكها الأنهار والسيول ، مسائرة لمحاور التضاريس ، وتقطعها عمودياً في مجاريها الدنيا مشكلة خنادق تؤدي إلى بحر قزوين أو إلى أحواض داخلية مغلقة مؤلفة من سبخ أو خبرات (تاكير في تركستان) أو تنتهي إلى رمال تركستان أو صحراء (دشت) كفير وناماك في إيران . وتعد جبال هندوكوش التي تتزايد ارتفاعاتها باتجاه الشرق إلى ٦٠٠ - ٧٠٠ متر ، وأعلى قممها جبل تيريش مير (٧٦٩٠ متر) ، العمود الفقري لجبال أفغانستان .

أما في الغرب فتتفرع عن عقدة الأناضول الشرقية سلسلة جبال عالية تبرز بينها كتل بركانية ، مثل جبل سبلان (٤٨١١ متر) ، وساهاند (٣٧١٠ متر) ، تليها سلاسل جبلية تتجه نحو الجنوب الشرقي أغلبها قصير ينتهي في حوض طهران - قم . باستثناء سلاسل كردستان وزاغروي ، التي تعد واحدة من أكثر السلاسل الالتوائية الحديثة نموذجية في العالم ، ولا سيما جبال زاغروس . ففي زاغروس تتجاور الطيات الالتوائية الرشيفة التي يراوح عددها بين ١ - ٥ وحتى ١٥ - ١٦ طية ، تتقارب وتتباعد ، تفصل بينها أودية بنائية (مقعرات) سارت فيها مئات الأودية والأنهار راسمة شبكة تصريف مياه تميز البنية الجبلية الالتوائية . وتعد قمة زرد - كوه (٤٥٤٨ متر) أعلى قمم زاغروس . ومحور كردستان وزاغروس شمالي غربي - جنوبي شرقي ، يرسم قوساً طولها نحو ٢٠٠٠ كم تنحرف شرقاً على سواحل الخليج العربي . وتستمر هذه الجبال في سلاسل كرمان ولارستان وهرمز ، على امتداد ساحل البحر العربي ، حيث تظهر سلسلتان بينهما حوضه جازموريان المغلقة ، تتحدان في الشرق في سلسلة مكران . بعدها تنحرف محاور الجبال نحو الشمال الشرقي فالشمال في سلاسل بلوچستان والسلاسل السنديّة التي ترتفع إلى ١٥٠٠ - ٢٥٠٠ متر ، وسطياً . لكنها ترقى إلى ٣٥٩٣ متر في جبل زارغون المطل على مدينة كيتا . ويخترق هذه الجبال ممر بولان . وتلتحم هذه الجبال بجبال سليمان (٣٤٤١ متر) في الشمال وبجبال

أفغانستان الشرقية التي يمر فيها ممر خيبر التاريخي . وأخيراً تندمج في جبال أفغانستان المركزية المؤلفة من سلاسل تتفرع كالأصابع المنفرجة أو كالمروحة المفتوحة نحو الغرب والجنوب الغربي ، معصمها عقدة جبال بابا - هندوكوش ، تخدها أودية أنهار وسيول تنتهي في صحاري راجستان ومارغو وسيستان .

تتكرر هنا صورة آسيا الصغرى التضاريسية ، على مقياس أكبر ، إذ تحيط السلاسل الجبلية بهضاب وأحواض داخلية مغلقة ارتفاعها (٥٠٠ - ٧٠٠ متر) . والفارق بينهما أن الهضبة الإيرانية - الأفغانية مفصولة في الداخل إلى حوضين بواسطة حزام جبلي يمتد من جبال خراسان في الشمال حتى جبال صرخد في الجنوب ، لكن هذا العارض الجبلي لا يؤلف حاجزاً تضاريسياً لغناه بالمفاوز والفجاج الواسعة . والعائق الحقيقي في هذه البقاع ليس التضاريس بل الأوضاع المناخية والمائية القاسية في أنحاءها الصحراوية فتسمية (دشت مارغو) تعني صحراء الموت .

وتحتل جبال عمان في العالم الإسلامي مكانة مميزة ، فهي سلسلة قوسية تسير خليج عمان تعلو حتى ٣٠١٨ متر في الجبل الأخضر ، لكنها ليست سلسلة التوائية بالمفهوم الدقيق ، بل هي جبال كتلية ذات صخور اندفاعية خضراء تحف بها صخور رُفعت على امتداد صدوع ضربت خلية عمان وتمتد إلى جبال لارستان وزاغروس ، ويرجع نسبة جبال عمان إلى الجبال الالتوائية الإيرانية بنائياً ، لغلبة الطابع الالتوائي عليها .

تلتحم مجموعة جبال إيران وأفغانستان في أقصى شمالها الشرقي وبوساطة جبال هندوكوش بهضبة بامير التي تحتل مركزاً متوسطاً بين السلاسل الالتوائية في قلب العالم الإسلامي .

تسود في زاغروس وامتداداتها أشكال تضاريس التوائية نموذجية من أودية بنيوية تسلكها المجاري المائية ، وطيات سنامية تقطعها أودية منطبعة ، كما تنتشر فيها

الحافات والأعراف السنامية والسنامات المفرغة . وتكرر هذه المظاهر التضاريسية في الجبال الإيرانية - الأفغانية بدرجات متفاوتة بحسب الأوضاع المناخية والعوامل الحتمية الأخرى ، ولاسيما ازدياد الشروط القارية والصحراوية باتجاه الداخل الإيراني والشمال الشرقي . ونتيجة ضعف عامل النقل ، فإن نتاج عمليات التجوية والحطام الصخري والأنقاض السفحية ، يتكدس في حضيض الجبال بحيث أخذ هذا النتاج يغرق الجبال ويدفنها باستمرار . وعلى العموم فإن سفوح الجبال الموجهة نحو اليابسة غنية بالمؤثرات الجيومورفولوجية الصحراوية بينما تتلقى السفوح المواجهة للبحر العربي بعض الرطوبة مما يعطيها بعض مظاهر التضاريس المتوسطة .

(٥) جبال آسيا الوسطى :

وتتألف من مجموعة من السلاسل الالتوائية العالية حتى الشاهقة الارتفاع ، تغلب عليها المحاور الشرقية الغربية القوسية ، تحيط بها هضاب ومنخفضات وصحاري طوران وتركستان في الغرب والشمال الغربي ، وتضاريس الصين الشرقية ومنغوليا وغوبي في الشرق والجنوب الشرقي . أما جنوباً فتؤلف أقدام جبال الهيمالايا (القراجيل) حدود هذه المجموعة الجبلية مع شبه جزيرة الهند وسهول الغانج والسند . كذلك تصل التضاريس الجبلية في الشمال حتى هضاب كازاخستان وجنوب سيبيريا الغربية .

وتجدر الإشارة إلى أن سلاسل جبال آسيا الوسطى (أو المركزية أو الداخلية أيضاً) تضم مجموعتين من الالتواءات ، الأولى منها حديثة من النموذج الألبى - القفقاسي - الهياملاتي في الجنوب ، والثانية قديمة من النموذج الهرسيني - الكاليوني في الشمال ، والفاصل بينهما هو كتلة بامير وهضبة التبت وسلاسلها الشمالية (كون - لون) وامتدادها شرقاً وجنوباً شرقياً . لذا تغلب على السلاسل الشمالية المظاهر الصدعية والالتوائية الصدعية التي تجدد نشاط الحركات الأرضية فيها . أما السلاسل الجنوبية فهي تضاريس التوائية .

تبدأ جبال هذه المجموعة في الشمال بسلسلة ألتاي (الطاي المنغولية) على امتداد حدود العالم الإسلامي الشمالية مع منغوليا . وارتفاعاتها المتوسطة بحدود ٣٠٠٠ متر . وأعلى قممها جبل بلوخا BELUKA (٤٥٠٦ متر) ومحورها شمالي غربي - جنوبي شرقي تشرف على منخفض جونغارية من الشمال الشرقي . تليها سلاسل قصيرة ترتفع بين حوض جونغارية في الشرق وحوض بحيرة بلخاش في الغرب هي سلسلة تربغتاي وسلسلة ألتاوا الجونغارية التي تخترقها البوابة الجونغارية (ألتاوا شان كول) أحد الممرات العالمية المشهورة . ثم سلسلة بورخور فسلسلة كتمن KETMEN . واستمرارها غرباً في سلسلة زايل ألتاوا المشرفة على مدينة ألتاوا في الشمال . وسلسلة طلاس (طلس) . وإلى الجنوب من هذه السلاسل التي تكثر فيها القمم الواقعة على ارتفاع ٤٠٠٠ - ٤٥٠٠ متر وسطياً . تمتد سلسلة جبلية ضخمة هي سلسلة تيان شان التي تظهر بدايتها الغربية إلى الشرق من سمرقند ممثلة بثلاث سلاسل متوازية هي جبال تركستان (وهنا تسمية محلية للسلسلة) ثم جبال زرفشان فجبال غيسار، تلتقي في الشرق مع سلسلة ألاي (شمال بامير) حيث تزيد الارتفاعات على ٥٠٠٠ متر . ومن هنا تبدأ السلسلة الأم لتيان شان التي يتجه محورها من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي حيث تشرف على حوض تاريم وتكلاماكان من ارتفاعات تزيد على ٦٠٠٠ متر (أعلى قمة فيها قمة تامور فنج TAMUR - FENG (٧٤٣٩ متر) ، وتستمر شرقاً بعد مدينة أورومتشي في جبال بوغدا (٥٤٤٥ متر) وقارلق طاغ (٤٩٢٥ متر) . وتلتحم بسلسلة تيان شان سلاسل صغيرة أو تتفرع من جوانبها السنة جبلية كثيرة ذات اتجاهات تسود عليها المحصلة الغربية الشرقية مع انحرافات بسيطة . وتمتد تيان شان على مسافة نحو ٢٠٠٠ كم وتؤلف عارضاً تضاريسياً مهماً بين أحواض شمالي العالم الإسلامي وجنوبه تصل بينها ممرات جبلية كثيرة ، وبين ما يعرف بتركستان الصينية (سينكيانغ) وتركستان الطورانية وسهوب كازاخستان وظهراتها إلى الشرق من عقدة بامير وجنوب حوض تاريم - تكلاماكان

تأخذ مجموعة أخرى من الحزم الجبلية الالتوائية بالظهور ، لتؤلف سلاسل قوسية طويلة تحيط بها أكبر هضبة في العالم هي هضبة التبت . وتمثل بسلسلة جبال كون لون (كون لون شان) التي ترتفع جنوب حوض تاريم - تكلاماكان على امتداد الأطراف الشمالية للتبت وترتفع إلى ٥٠٠٠ - ٦٠٠٠ متر وسطياً ، وأعلى قممها في جبل موزتاغ ٧٧٢٣ متر .

وتتفرع عن كون لون الشرقية سلسلة ضيقة نسبياً هي آلتون شان (أو آستين طاغ) واستمرارها باتجاه الشمال الشرقي فالشرق لتحيط بمنخفض تسايдам (قايدام) من الشمال ، وكذلك سلسلة بوكالك طاغ وبورخان بودأي شان المطوقة للمنخفض من الجنوب ، وتعود هاتان السلسلتان فتلتقيان شرق المنخفض لتؤلف سلسلة داتونغ شان، وتنتهي في دابان شان شمال مدينة لانجو (لانشو) في مقاطعة كانسو GANSU المسلمة في وسط الصين .

وأخيراً وليس آخراً تتفرع من عقدة بامير ومن حاصرتها الجنوبية الشرقية أضخم وأعلى سلسلتين جبليتين التوائيتين في العالم هما سلاسل كراكوروم والهيماالايا، التي تلتقي مع جبال هندوكوش في منطقة واخان والهونزا . وتؤلف هذه السلاسل أقواساً جبلية ضخمة تمتد من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي فالشرق والشمال الشرقي ، تحيط بهضبة التبت وهوامشها الجنوبية ، تتصف بالارتفاعات الشاهقة التي تتراوح بين ٦٠٠٠ - ٦٥٠٠ متر ، وتنتشر فيها أكثر من ٣٠ قمة جبلية ترقى لأعلى من ٧٠٠٠ متر ، أعلاها قمة جبل تشومولانغما CHOMOLANGMA (افرست أو ساغاراتا) (٨٨٤٨ متر) أعلى قمة في العالم . كذلك تكثرت في هذه السلاسل الجليديات أو الثلجات الجليدية GACIERS التي تغذي مئات الأنهار والروافد بالمياه التي ترسم شبكة أودية من النموذج الجبلي الالتوائي ، حيث تسير الأودية محاور الجبال لمسافات طويلة حتى تجد لها مخرجاً إلى أحواض داخلية في هضبة التبت والشمال ، أو تنتهي إلى شبكة أنهار المحيط الهندي

في الجنوب (الجانج والسند) .

قامت الحركات البنائية بدور كبير في رسم معالم جيومورفولوجية جبال آسيا الوسطى . فعمليات رفع التضاريس أدت إلى تجدد شباب الدورة الحتية فنشطت أعمال تعمق الأودية وتوغلت في الجبال . لكن أعمال النقل المائي في شروف المناخ القاري وشبه الجاف حدت من تحرك المجروفات والحطام ، إلا في الجنوب حيث الأنهار الكبرى والألسنة الجليدية في الجبال الشاهقة . وتظهر في الشمال مستويات جيومورفولوجية متعددة نتيجة تكرار النهوض والحت وتعرض التضاريس للترسيب مما عقد الأشكال التضاريسية .

وتنتشر في الجبال العالية مظاهر التضاريس الجليدية ولاسيما في الجنوب والجنوب الغربي . كما تظهر على السفوح المطلة على الأحواض الداخلية أشكال تضاريسية قارية صحراوية قاسية . أما في مخارج الجبال فإن الأودية ترسم دالات جافة تحمل أنهارها وسيولها مواد ترسب عند أقدامها ، يقوم الريح بنقل المواد الناعمة فيها إلى داخل الأحواض المغلقة مؤلفة صحاري رملية . أما على السطوح البنيوية فتتحول بقايا التجوية وشظاياها إلى صحاري حجرية . كما تتكرر هنا ظاهرة تغريق أو دفن الجبال بالحطام والأنقاض المتكدسة عند حضنها .

(٦) جبال الجنوب الشرقي :

وتشتمل على جبال شبه جزيرة الهند الصينية وشبه جزيرة مالقة واستمرارها في جزر إندونيسيا وماليزيا . فشرق الثنية الرئيسة لنهر براهما بوترا في نهاية سلسلة جبال الهيمالايا الشرقية تبدأ سلاسل جبلية التوائية تتجه من الشمال نحو الجنوب مع تقوس عام نحو الغرب . وهي جبال التوائية يتراجع ارتفاعها باتجاه الجنوب وتتألف من عدد من السلاسل المتجاورة تفصل بينها أنهار كثيرة تجري في أدوية عميقة في بورما (مينمار) أشهرها سلاسل تلال ناغا Naga وجبال أراكان (قمة فيكتوريا ٣٠٥٣

متراً) في سلسلة رونغ كلانغ ، ثم سلاسل نون شان وامتدادها جنوباً حيث تتفرع وتتشعب إلى سلاسل عديدة في شمالي شبه جزيرة الهند الصينية ، تفصل بينها أودية نهريّة عميقة تنتهي في سهول وأحواض واسعة مثل وادي نهر الايراوادي وحوضه ونهر تشاو فرايا ونهر الميكونغ . وتستمر هذه السلاسل الالتوائية في الغرب في أرخبيل جزر أندامان ونيكوبار ، وفي الوسط في شبه جزيرة ملقة تقع ارتفاعاتها بحدود (١٠٠٠ - ١٥٠٠ متر) مثل سلسلة بيلاوكتاونغ وسلسلة كربا (٢١٨١ متر) وسلسلة الساحل الشرقي (٢١٩٠ متر في جبل تاهان) .

أما في جزر إندونيسيا فتظهر سلاسل التوائية حديثة تعورها عشرات المخاريط البركانية الخاملة والناشطة . أبرزها سلسلة سومطرة أو (سلسلة باريسان Barisan (جبل كيرنيكي ٣٨٠٥ متر) وسلسلة مولر في بورنيو (كليمنتان) وغيرها من سلاسل أخرى في جاوة والجزر الأخرى ولاسيما في جزيرة سولاويسي . أما جزيرة عينيا الجديدة فتتوسطها سلسلة جبلية عالية تمتد من أقصاها إلى أقصاها في سلسلة ماوكة في الغرب (قمة جايا ٥٠٣٠ متراً) وسلسلة بسمارك وأورين ستانلي في الشرق ، وتعكس تضاريسها التعقيد البنائي - البنيوي الناجم عن تداخل الوحدات البنائية الحديثة بالوحدات القديمة في مقعر أرضي كبير .

تحتوي جبال هذه المجموعة على أشكال تضاريسية تتأثر بالأوضاع الاستوائية والمدارية والعوامل البنائية ، فالحت النهري يرسم أشكالاً حتية عنيفة لقصر مجاري الأنهار وشدة فرق الارتفاع وغزارة الأمطار ، كما تقوم المياه برسم دالات ومصبات محلية لغناها بالمجروفات والغرين . إضافة إلى دورها في نشوء تضاريس ساحلية من نموذج الأخوار والقرم (بتدخل النبات) . وتنتشر في الأنحاء الغنية بالصخور القابلة للتحلل مظاهر تضاريس الكارست ولاسيما الكارست البرجي (كارست الأبراج) والموغوت (الكارست القبائي) ، وكلاهما من التضاريس المميزة للكارست المداري - الاستوائي . وللارتفاع فوق سطح البحر أثره في وجود بقايا تضاريس جليدية شاهدة

على جليديات رباعية بلايستوسينية عندما كان حد الثلج الدائم أخفض بنحو ١٠٠٠ متر .

ثانياً : الجبال الكتلية :

تختلف هذه الزمرة عن السلاسل الجبلية بغلبة الطابع الكتلي المشوش عليها وندرة ظهورها على شكل وحدات تضريرية خطية شبيهة بالسلاسل الالتوائية التي سبق الحديث عنها . كذلك تختلف عنها بصخورها التي تغلب عليها الأنواع الصلبة والبلورية دون غياب الأنواع الرسوبية المتطبقة ، وبنيتها التي رسمتها الحركات الصدعية، فأبرزتها على شكل تضاريس كتلية انهدامية مخلعة ومشوشة ذات أغوار ونجود وحروف صدعية ، قد تكون متصلة ومستمرة أو تؤلف كتلاً تضريرية عالية مستقلة منعزلة . لكنه وخلافاً لهذا كله ففي العالم الإسلامي مجموعة من الجبال الكتلية التي ترسم سلاسل واضحة ، أصلها التوائي تعرض لحركات صدعية انهدامية متأخرة . وتتكون تلك الجبال من الآتي :

(١) جبال الأخدود الأفريقي العظيم :

تشكلت على امتداد الصدوع الانهدامية وعلى جانبيها مجموعة من التضاريس الجبلية المرتفعة في بلاد الشام وسواحل خليجي العقبة والسويس ، وعلى جانبي البحر الأحمر وخليج عدن وكذلك على امتداد الأخدود الأفريقي العظيم وتشعباته وتفرعاته في شرقي إفريقيا (شكل رقم ٤) وتشمل هذه المجموعة :

أ - جبال بلاد الشام الكتلية :

وتتألف من شريطين جبليين يسيران الساحل الشرقي للبحر المتوسط . تبدأ في الشمال على شكل فرع التوائي يخرج من جبال طوروس يتجه نحو الجنوب ، شطره الانهدام إلى شريط جبلي غربي وآخر شرقي داخلي تفصل بينهما سلسلة من الأغوار في سهول العمق والغاب والبقاع فالأغوار الأردنية والبحر الميت ووادي عربة

. ويكثر تداخل الصدوع مع الالتواءات في الشمال ، لتصبح الكتل المصدوعة والانهدامية غالبية باتجاه الجنوب على جانبي خليج العقبة . وتتصف جبال بلاد الشام بشدة انحدار سفوحها المطلة على الأغوار . وبدورها الحاجز للتواصل بين البحر والداخل عن طريق عدد من الممرات مثل ممر طرابلس - حمص وغيره . وتصل الارتفاعات العامة فيها إلى ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ متر ، وإلى ٣٠٨٧ متر ، في القرنة السوداء ٢٨١٦ متر في جبل الشيخ . وتتفرع من هذا الجناح الشرقي الداخلي أذرع جبلية تغلب عليها البنية الالتوائية المصدوعة تتجه نحو الشمال الشرقي والشرق تضيع في الهضاب الداخلية . أبرزها الجبال التدمرية (١٠٠٠ - ١٣٠٠ متر) . أما في الأغوار فقسم كبير منها يقع دون مستوى سطح البحر ، وفيها أخفض نقطة في العالم (البحر الميت ٤٠٣ متر تحت سطح البحر) .

ب - جبال البحر الأحمر وأذرعه :

يحصر خليج العقبة والسويس مثلث سيناء الذي يرتفع جنوبيها إلى ٢٦٦٧ متر في جبل كاترينا ، كما ترتفع جبال مدين في الشرق والجلاليتين في الغرب إلى مستويات ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ متر . وتستمر الجبال الكتلية على جانبي البحر الأحمر في جبال الحجاز واليمن مجزأة في الشمال ومتلاحمة جنوب مكة المكرمة والطائف ، فتصل أعلى مستويات لها في جبال اليمن حول صنعاء (أعلى من ٣٠٠٠ متر) . أما على الجانب الغربي فترتفع جبال مصر والسودان وأريتريا على هيئة كتل تفصل بينها أودية سيلية جافة تنتهي في البحر الأحمر ، أو باتجاه الغرب إلى النيل ، وتحوم الارتفاعات حول ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ متر . ولأعلى من ٢٧٠٠ في جبال أريتريا . وهنا يتفرع انهدام البحر الأحمر إلى شعبة جنوبية غربية تشمل مثلث أريتريا - جيوتي - أثيوبيا ، وهو مثلث خاسف انهدامي (يعرف أحياناً بمثلث عفار) تشرف عليه مرتفعات أثيوبيا، وهضابها من الغرب وجبال هرر من الجنوب .

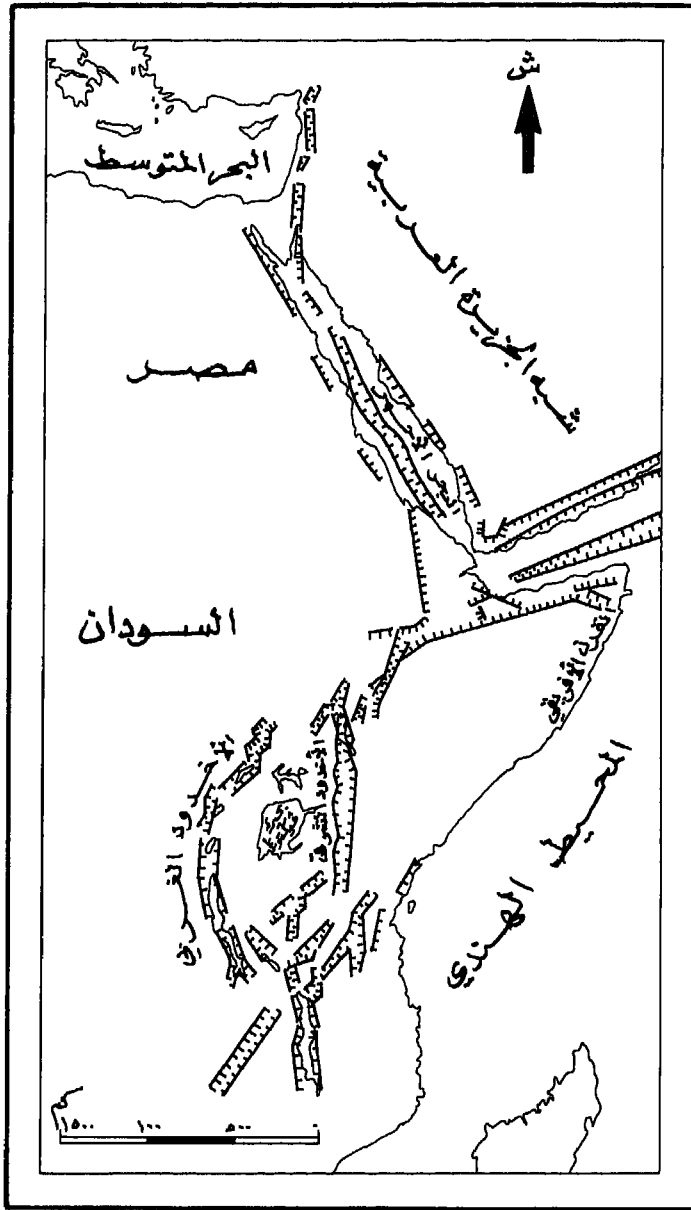
ولجبال البحر الأحمر حافات وسفوح شديدة الانحدار باتجاه البحر ولطيفة

الانحدار (نسبياً) باتجاه الداخل والقارة ، ويغلب عليها التدرج السلمي من جراء تعدد خطوط الصدوع التي ضربتها رفعاً وخفضاً ، في صخور قديمة صلبة بلورية غالبية . ونتيجة لذلك تكثر الحروف الصدعية على امتداد سفوح الجبال ذات المحور الشمالي الغربي - الجنوبي الشرقي . كذلك تكثر التضاريس البركانية - الاندفاعية على طول الأخدود الإفريقي العظيم ، مما يزيد في قسوة تضاريس الجبال الكتلية وتعقيداتها . وهي تضاريس مازالت في طور التكوين كما سبق ذكره .

وتزداد التضاريس تعقيداً وتشويشاً باتجاه باب المنذب ، حيث تتفرع شعبة انهدامية باتجاه الشرق تؤلف خليج عدن والجبال المشرفة عليه في (اليمن وحضر موت وجبال الصومال والقرن الإفريقي الشمالية حيث تصل الارتفاعات لأعلى من ٢٠٠٠ متر) . وتشبه جبال خليج عدن سابقاتها من حيث اتجاه السفوح الشديدة الانحدار والجروف نحو البحر ، واللطفية الانحدار نحو البر ، مع وجود التدرج .

ج - جبال شرقي إفريقيا ومرتفعاتها :

تستمر أغوار الأخدود الإفريقي العظيم بعد مثلث عفار المذكور أعلاه باتجاه الجنوب الغربي فالجنوب لترسم خطوط تضاريس الشرق الإفريقي المسلم ومحاورها في كامل الإقليم الواقع بين أعالي النيل وبحيرات البرت وأدوارد وكيفو ونياسا في الغرب والمحيط الهندي في الشرق وجنوباً حتى الزامبيزي ، وتتراوح معدلات الارتفاع بين (١٠٠٠ - ١٥٠٠ متر) لكنها تزيد على ٢٠٠٠ متر وسطياً في مرتفعات أثيوبيا وهضابها (أعلى قمة فيها ٤٦٢٠ متر في رأس داشان) ، التي تسقط سفوحها الشرقية على منخفض الداناكل ومثلث عفار بحروف حادة حتى قائمة بارتفاعات كبيرة ، مثلها في ذلك مثل سفوحها الغربية المطلة على السودان ، مما يبرز صفتها الانهدامية - الكتلية ، لاسيما وأنها هي ومعظم مرتفعات شرقي إفريقيا ذات صخور بلورية تنكشف على السطح ، أو أنها مغطاة بغشاء من الصخور البازلتية (الثلاثية) بسمك يصل إلى نحو ٢٠٠٠ متر أحياناً ، تدفقت من شقوق الصدوع ومن البراكين الكثيرة المتناثرة على طول خطوط الصدوع .



شكل (٤) الاخدود الافريقي العظيم وخطوط الصدوع

Das Gesicht d. Erde Brockhaus 1965

المصدر :

وعلى الرغم من التشويه الكبير وتعقيد تضاريس هذا الإقليم فإن محاور الأغوار ترسم خطوط التضاريس وتوزع كتلها . فعلى جانبي الغور القاطع لأراضي أئيوبيا ومحوره شمالي شرقي - جنوبي غربي المسائر لوادي أوأش ، ترتفع جبال وهضاب أئيوبيا في الغرب وجبال دلو وباتو (٤٣٠٧ متر) وغوغو وهرر في الشرق .

وبعد هذا الغور المعروف بغور فونجي (Wonji) ونحو الجنوب ، ينقسم الغور إلى شعبتين ترسمان قوسين من الأغوار العميقة يحيطان بهضبة بحيرة فيكتوريا من الشرق ومن الغرب . ظهرت على جوانبهما وبينهما جبال انهدامية ونجود كاملة ونجود ناقصة ، قطعتها صدوع وأودية انهدامية لا تخصى . تشملها كتل نجود إفريقيا الشرقية وجبالها الانهدامية في الشرق ، مثل جبال كينيا وإبرادر وتنزانيا التي تتداخل مع براكين ضخمة مثل إيلغون (٤٣٢١ متر) وكيرنيغايا أو كينيا (٥٢٠٠ متر) وكليمنجارو (٥٨٩٥ متر) ، وكذلك نجود إفريقيا المركزية على جانبي الغور الإفريقي المركزي في الغرب ، منها جبال غربي أوغندا وروينزوري (٥١١٠ متر) وجبال فيرونغا (Virunga) (٤٥٠٧ متر) ورواندا وبوروندي وجبال غربي تنزانيا وغيرها على الجانب الشرقي من القوس الغوري الغربي ، الذي تشغله سلسلة من بحيرات طولانية مقوسة هي : ألبرت وأدوراد وكيفو وتنجانيقا . وتقابل هذه الجبال الكتلية الانهدامية سلسلة من الكتل المشابهة على الجانب الغربي من القوس المذكور تقع في أراضي زائير مثل جبال ميتومبا وموغيليا . وهنا مرة أخرى تكون سفوح الجبال غير متناظرة ، إذ تكون جرفية شديدة الانحدار وعالية باتجاه الأغوار . وأقل انحداراً على السفوح المقابلة . وعلى العموم فإن جبال نجود إفريقيا الشرقية تشرف على الأغوار بحروف عنيفة أو قائمة من ارتفاعات تزيد على ١٠٠٠ - ١٥٠٠ متر .

أما التضاريس المحصورة بين القوسين الغوريين وجبالهما الهامشية فتتألف في

أغلبها من هضبة وسطوح مائدية تعلو ١٠٠٠ - ١٥٠٠ متر ، تتناثر على سطحها جبال صغيرة متفرقة من نموذج الفرائد (أي الجبال الانعزالية أو المنعزلة) ، وتحتل أخفض أجزائها بحيرة فكتوريا (١١٣٣ متر) ثالث أكبر بحيرة في العالم .

وفي أقصى الجنوب الإفريقي الشرقي من العالم الإسلامي تستمر الكتل الجبلية الانهدامية على جانبي الغور الذي تكوّن من اتحاد النهايات الجنوبية للقوسين ، وتحتله بحيرة نياسا (ملاوي) ، في جبال جنوب غربي تنزانيا وجبال ملاوي وكتلة جبل جسي Jesi في موزمبيق (١٨٢٠ متر) .

إن جبال شرقي إفريقيا ومرتفعاتها وإن كانت خاضعة في خطوط سيرها ومحاورها ومظاهرها التضاريسية العامة والشاملة للأغوار والانهدامات الرئيسة فإنها تضاريس معقدة ومشوشة جداً بآلاف الصدوع والانكسارات والشقوق الأرضية التي تؤلف شبكة كثيفة من خطوط الضعف في الكتل الصخرية الصلبة، مما سبب انتشار النجود والأغوار الكاملة والناقصة ، وكذلك الحافات الصدعية والجروف البنائية ذات الرمىة العالية التي تصل إلى ١٠٠٠ - ١٥٠٠ متر. وأكثر من ذلك في بعض المناطق. كما تكثر في شتى الانحاء ولاسيما بجوار الأغوار الكبيرة تضاريس متدرجة سلمية وأودية انهدامية على امتداد صدوع متوازية متتالية، سببت رفع الأرض أو خفضها ، إضافة إلى البراكين .

ومع هذا لا تشكل جبال هذا الإقليم عقبات طبيعية أمام المواصلات ، إذ إن كثرة التنوع في التضاريس وفروق الارتفاع المتجاورة على مسافات قصيرة سمحت بوجود منافذ وعمرات تربط الساحل بالداخل والشمال بالجنوب ، مما ساعد على انتشار الدين الإسلامي الحنيف في العمق الإفريقي حتى حوض الكونغو في الغرب .

(٢) مرتفعات الكمرون :

توجد في أراضي الكمرون وجاراتها الغربية نيجيريا المسلمتين ، سلسلة من

الكتل الجبلية المتعاقبة على محور يبدأ في الجنوب الغربي في خليج بيافرا (في زاوية خليج غينيا) في جزيرة بيوكو البركانية ثم في بركان الكمرون (٤٠٩٥ متر) فجبال أداماوا في الشمال الشرقي ، وتمتد مسافة ٨٥٠ كم . وقد ظهرت هذه الجبال على جسم الركيزة الإفريقية الوسطي المؤلفة من الصخور البلورية القديمة التي تعرضت لصدوع ضربتها في الزمن الثاني نتج عنها خسف غور البينوه الذي يسير فيه نهر البينوه وامتلات نهايته الجنوبية الغربية بلحقيات ، أي رسوبيات ، دلنا نهر النيجر . لكن صدوعاً مسائرة للغور أدت إلى ظهور البراكين ثلاثية العمر فانساحت حممها على جوانب الجبال مما زاد في تعقيدها . ونظراً لقدم صخور الركيزة فقد تعرضت السفوح المطلة على الغور لعمليات حت وتعرية وترسيب قللت من عنف الانحدارات المرافقة للصدوع والأغوار الحديثة النشأة عادة . وعلى الرغم من أن النجود التي نشأت عن عمليات الرفع نهضت حتى : ١٥٠ - ٢٠٠٠ متر ، فإن الأودية في هذه الكتل وجوانبها مارالت شديدة الانحدار حتى قائمة . كما تنتشر على السطوح العالية المائدية أعداد من الفرائد (الجبال الانعزالية أو المنعزلة) . ومما يلفت النظر انطباق محور مرتفعات الكمرون وغور البينوه وصدوعه على محور صدوع كتلة جبال تيبستي في وسط الصحراء الكبرى ، مع أن الشقة بينهما كبيرة (نحو ١٣٠٠ كم) .

ثالثاً : الجبال المنعزلة (الفرائد) :

تكثر في العالم الإسلامي وحدات جبلية صغيرة نسبياً منعزلة وتقف منفردة خارج نطاق جبال المجموعات التي تقدم ذكرها . أغلبها عبارة عن مخاريط بركانية ترتفع فوق الهضاب والسهول والمنسطات أو السطوح المائدية والأحواض الداخلية مثل جبل السوده والهروج الأسود في الصحراء الليبية ، أو أنها عبارة عن بقايا صخرية من نموذج الفرائد الذي ينتشر في بقاع متفرقة من سطوح الركائز القارية القديمة ولاسيما في إفريقيا الإسلامية وشبه الجزيرة العربية .

لكن أبرز الجبال المنعزلة في العالم الإسلامي وتضاريسه هي جبال الأحجار

(١) جبال الأحجار :

وتعرف بـ (الأجار والهقار والحجار) أيضاً . هي كتلة جبلية تبرز منعزلة فوق سطح الصحراء الكبرى ذي الارتفاع المتوسط (٤٠٠ - ٥٠٠ متر) . وتعلو إلى ٣٠٠٣ متر في جبل تاحات ، أما ارتفاعها المتوسط فيزيد على ١٠٠٠ متر . وتتألف هذه الكتلة الضخمة التي تغطي مساحة قدرها ١٥٠٠٠٠ كيلو متر مربع من ركيزة ترجع إلى ما قبل عصر الكامبري المكونة للصفحة الإفريقية الظاهرة علي السطح . وهي مؤلفة من صخور بلورية وباطنية يغلب عليها الجرانيت تغطيها صخور بركانية - اندفاعية على شكل جزر متفرقة في قلب الجبال ، يتفق توزيعها مع خطوط الصدوع الشمالية الجنوبية ، وتؤلف هذه الصخور قممها الحادة البارزة علي هيئة مسلات قائمة الجوانب فوق بحر من التضاريس الوعرة التي جزأتها الأودية العميقة والضيقة الجرفية الحافات . ويغلب علي شبكة الأودية النموذج الشعاعي الذي تنطلق فيه الأودية من مركز الكتلة نحو جميع الأطراف إلى هضاب الصحراء وأحواضها المغلقة . وتحيط بجبال الأحجار هضاب تحف بها من جميع أطرافها وتعرف بـ (تاسيلي) وهي هضبة بلغة الطوارق الأمازيغ سكان الإقليم . أهمها تاسيلي عاجر في الشمال .

(٢) جبال تيبستي :

تشغل مساحة تقدر بنحو ١٠٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع من وسط الصحراء الكبرى أيضاً ، وهي كتلة مثلثية الشكل ، ارتفاعها المتوسط يزيد على ١٧٠٠ متر، تكثر فيها القمم التي تحوم حول ٣٠٠٠ متر، وتشمخ على شكل مخاريط ضخمة أو مسلات عالية من أصول بركانية . كما في قمة توسيده (٣٢٦٥ متر) وإيمي كوسي (٣٤١٥ متر) وغيرها . ويتكرر وضع جبال الأحجار هنا أيضاً ، إذ تغطي المسكوبات

والحمم البازلتية الاندفاعية الحديثة القاعدة البلورية القديمة من الركيزة الإفريقية المكشوفة . كذلك تحدد الأودية العميقة والفجوج الخانقة أنحاء جبال تيبستي وهوامشها وتفصلها إلى سطوح وعرة تعرف محلياً بـ (تارسو) . ومن مظاهر تضاريس تيبستي المميزة، الفوهات البركانية المعروفة بـ (الكالديرات) . وأكبرها كالديراتارسو وون بقطر يزيد على ٢٠ كم ، أما كالديرا ترو نظرون فهي أكثرها نموذجية وروعة على الرغم من صغر أبعادها .

رابعاً : الهضاب :

تحتل الهضاب مساحات واسعة من العالم الإسلامي ولاسيما في إفريقيا وفي شبه الجزيرة العربية وتركستان وكازاخستان . ومن الهضاب ماهو عالٍ ومرتفع مثل هضبة بامير والتبت ، وأجزاء واسعة من مرتفعات أثيوبيا ، ومنها ماهو متوسط الارتفاع كالداخل الأناضولي والإيراني - الأفغاني ونجد وغيرها ، أو منخفض كما في هضاب الصحراء الكبرى وكازاخستان وبلاد الشام ووسط شبه الجزيرة العربية . وعلى العموم فإن الهضاب المنخفضة التي تقع بين ٢٥٠ - ٣٠٠ متر و ٥٠٠ - ٦٠٠ متر فوق سطح البحر أوسع انتشاراً من الهضاب الأعلى . وتشتمل مجموعة الهضاب على الآتي :

(١) هضاب شمالي إفريقيا والصحراء الكبرى :

تساير الأقدام الغربية لجبال الأطلس سطوح هضابية على شكل نطاق يقع بين سهول المغرب الساحلية والجبال، تخترقها الأنهار الهابطة من الجبال . وقد تتوغل الألسنة الهضابية بين السلاسل الجبلية كما هو الحال في منطقة تدلا في حوض نهر أم الربيع . وكذلك في مطنقة الحوض في وادي تنسفت، كما توجد هضاب محدودة الأبعاد في الأحواض الوسطي لأنهار أخرى في الشمال مثل وادي الملوية، ثم هضبة النجود العليا أو هضبة الشطوط بين سلاسل الأطلس الساحلي - التلي والأطلس

الصحراوي، على علو ١٠٠٠ - ١٥٠٠ متر.

ويتسع نطاق الهضاب وتكبر أبعادها جنوب جبال الأطلس ، ومن أبرزها هضبة الدرعة وهضاب الحمادات والمزاب ثم هضاب تادمايت وتنغرت وتنزروفت وإيفوراس وأدرار وأوكر ، وكلها تقع شمال وغرب جبال الأحجار . أما جنوبها وشرقها وشمالها الشرقي فتوجد هضاب حمادة الحمراء ، ثم هضبة مرزوق وهضبة جاد وتينوي وعابر (أزبين) وتاسيلي أحجار وتاسيلي عاجر . كما تظهر هضاب تحف بجبال تيسيتي من أطرافها المختلفة مثل هضبة يردي وإينيدي وبوركو ووداي .

نشأت غالبية الهضاب المذكورة على قواعد من صخور ما قبل الكامبري في الصفيحة الإفريقية ، على ارتفاعات تتراوح بين ٤٠٠ - ٥٠٠ - ١٠٠٠ متر . وتشترك في معظم الحالات بانسباط السطح وتوجه الريب وبإحاطة هوامشها بجروف صخرية قاسية تعلو بين ١٠ - ٥٠ متراً وسطياً ، وتشكل درجة بين سطوحها وأرض السهول . كذلك تنظمر مساحات شاسعة من الهضاب وأطرافها بأغشية من الرمال والكثبان أو الحمادات في الأصباع الصحراوية .

(٢) هضاب إقليم غربي إفريقيا :

تفتقر هضاب هذا الإقليم إلى المظهر المنبسط الريب ، إذ يحل محله سطوح متموجة غنية بالأودية ، وهذه الهضاب هي أجزاء من الصفيحة الإفريقية أيضاً خضعت لعملية رفع كوّنت الركيزة السيراليونية والغينية . فنشأت أعلى هضاب هذا الإقليم وهي هضبة فوتا جالون في الغرب ذات الارتفاع المتوسط البالغ ١٢٠٠ متر ، ثم هضبة غينيا الشرقية وساحل العاج . وتستمر هذه الهضاب باتجاه الشرق في هضاب ما يعرف بغينيا العليا حتى هضبة باوتشي (جوس) في نيجيريا . ويقسم

مجري نهر النيجر هضاب هذا الإقليم إلى ثلاث ظهرات هضابية ، الأولى في الغرب ، والثانية في الشرق في هضبة باوتش ، أما الثالثة ففي الوسط وبين الهضبتين وجنوب ثنية النهر وهي أكثر انخفاضاً ، نحو (٤٠٠ - ٥٠٠ متر) وهي أقرب إلى السهول منها إلى الهضاب .

وتستمر المظاهر الهضابية باتجاه الشرق بعد جبال الكمرون وأداماوا لتؤلف ظهرة أسانده الفاصلة بين حوض نهر الكونغو وحوض النيل وأعلي نهر شاري ، وتبرز على سطحها الجبال المنفردة من نموذج الفرائد والتلال الشاهدة على مستويات سابقة أعلى ، أزالها الحت .

(٣) هضاب حوض النيل وشرقي إفريقيا :

تعد هضبة دارفور ، وأعلى نقطة فيها جبل مرة (٣٠٧٠ متر) ، الهضبة الرئيسية في غربي إقليم حوض النيل . وهي استمرار شمالي لهضاب ظهرة أسانده ، وامتدادها شمالاً في كتلة بونغوس (١٤٠٠ متر) ، ودار - رونغا ، كما أنها تتصل في الغرب بهضاب وداي وإينيدي وفي الشرق بكردفان . وتستمر سلسلة الهضاب هذه باتجاه الشمال حتى هضبة الجلف الكبير (١٠٦٠ متر) وما يحيط به من سطوح متموجة منبسطة تعلو بين ٥٠٠ - ١١٠٠ متر (في جبل العوينات ١٨٩٣ متراً) . بعدها ينخفض السطح ليؤلف هضاباً منخفضة حول الواحات والمنخفضات المصرية غرب وادي النيل ، تشرف علي المنخفضات بجروف قاسية مدرجة ، ويتكرر بروز التلال الشاهدة والفرائد والجروف على امتداد حافات الهضاب والأودية التي تخدها ، في هضاب حوض النيل غرب النهر وواديه في شتى أنواع الصخور القديمة والأحدث . كما أن أغلب السطوح تكون مغطاة ببهار من الرمال .

أما إلى الشرق من وادي النيل ، فتظهر هضاب مسايرة لأقدام جبال البحر الأحمر ، أهمها هضبة المعزة وهضاب الصحراء الشرقية وصحراء النوبة والقضارف

وما حولها . وتنتهي هذه الهضاب بحافات جرفية تطل على وادي النيل ، كما تكثر فيها الأودية الضيقة ذات الجوانب الجرفية . وتتناثر هنا أيضا الفرائد والتلال الشاهدة على السطح ولاسيما في الجنوب في النوبة والقضارف حتى أقدام هضاب ومرتفعات أثيوبيا ، حيث تبدأ هضاب إقليم شرقي إفريقيا .

وخلافاً للهضاب المنخفضة أو المتوسطة الارتفاع التي سبق ذكرها ، فإن الغالب على هضاب شرقي إفريقيا ، الارتفاع الكبير لمستوياتها مثل مرتفعات أثيوبيا وهضابها ، أو في مرتفعات الأراضي الانهدامية والغورية . إذ يندر أن يقل ارتفاعها المتوسط عن ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر . اللهم إلا في هضاب القرن الإفريقي . وتأتي هضبة أثيوبيا في مقدمة التضاريس التي تتألف من عدة هضاب ، تعلو فوقها أو تفصل بينها كتلة جبلية إنهدامية أو أودية ضيقة سحيقة ، فتتجزأ الهضبة على الهوامش المطلة على السودان غرباً والدناكل وأرتيريا شرقاً . ومن أبرزها هضاب تانا وأعالي النيل الأزرق (١٨٠٠ - ٢٠٠٠ متر) وهضاب شيوا وأرسي التي تتصل مع هضاب سيدامو (١٠٠٠ متر) في الجنوب .

أما في الشرق وباتجاه القرن الإفريقي فإن أوسع هضبة فيه هي هضاب الصومال وأوغادين وهضبة الحوض ، التي تأخذ بالانخفاض لأقل من ١٠٠٠ متر . ليصبح ارتفاعها بحدود ٥٠٠ - ٦٠٠ متر في الهوامش الشرقية ، وكثيراً ما تتماس الهضاب بسهول القرن الإفريقي وأودية الأنهار التي تخترقها ، بجروف وحافات صخرية شديدة الانحدار . ويغلب على هضاب القرن الإفريقي الانبساط ، وازدياد التجزؤ باتجاه السواحل . يليها وباتجاه الجنوب ، مجموعة هضاب البحيرات التي تتوسطها أكبر هضبة عالية هي هضبة أوغندا وفكتوريا واونياماساي على ارتفاع ١١٠٠ - ١٥٠٠ متر . تحيط بها هضاب أصغر مجزأة بالصدوع والانهدامات ، على مستويات تعلو حتى ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ متر . ويبرز الطابع الهضابي في الأجزاء الشرقية فيما يعرف بـ (الظهرة الإفريقية الشرقية) الممتدة إلى الشرق من هضاب

أوغندا وفكتوريا - أونياماساي، ابتداءً من هضبة وبحيرة توركانا (رودولف) في الشمال حتى هضاب جنوبي تنزانيا وشرق بحيرة نياسا في الجنوب .

إن هضاب حوض النيل وشرقي إفريقيا في العالم الإسلامي هي إما أجزاء من ركائز الصفيحة الإفريقية والصومالية ذات الصخور البلورية القديمة الصلبة المكشوفة إلا من غشاء رقيق من الرسوبيات ، أو أنها هضاب غطتها أغشية اندفاعية بركانية قديمة نسبياً (من الزمن الثاني) أو أحدث (من الزمنين الثالث والرابع) كما هو الحال في أغلب أنحاء هضاب أثيوبيا وفي الهضاب القائمة على جانبي الغور الانهدامي في القوس الشرقي . وهذه الهضاب هي التي تكثر فيها المخاريط البركانية البارزة على سطوحها .

وهناك زمرة ثالثة من هضاب هذا الإقليم هي ذات البنية الرسوبية الحديثة نسبياً (من الزمنين الثاني والثالث) هي هضاب القرن الإفريقي (الصومال وأوغادين والحوض) .

(٤) هضاب الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية :

تمتد هضاب بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية على مساحات واسعة تقع بين جبال البحر الأحمر والبحر المتوسط في الغرب ، وحتى سهول الرافدين والخليج العربي في الشرق ، وتتراوح ارتفاعاتها بين ٥٠٠ - ١٠٠٠ متر بصورة عامة . لكن بعضها يعلو لأكثر من ذلك كما في نجد واليمن ، وتبدأ هذه الهضاب في الشمال بهضبة الجزيرة العليا ، فالشامية الشمالية ، ثم هضبة الحماد، فالصحراء السورية (بادية الشام) . ثم هضاب حسمى والحجرة شمال النفود والدهناء وهوامشهما ، ثم هضبة نجد التي توجد فيها حافة طويق ويحدها الدهناء في الشرق ونطاق هضاب الحرات البركانية (عويرض وخيبر ورهاط والبقوم) في الغرب . وهنا تعود ظاهرة انتشار الجبال المنعزلة من نموذج الفرائد للبروز على سطح هضبة نجد . إضافة إلى

تغطية أغلب السطح بأغشية رملية رقيقة ، تزداد سماكة باتجاه صحراء الربع الخالي والدهناء والنفود . وباستثناء هذه الجبيلات والتلال وحافات (كويستات) طويق والبادية السورية ، فإن الانبساط المتموج الرتيب هو الظاهرة الغالبة على هضاب هذا الإقليم . وتصل هضاب هذا الإقليم في الجنوب حتى سواحل خليج عدن وبحر العرب في حضر موت وظفار .

ويتكرر ظهور دور البنية المتعددة مثل الركيزة الصخرية القديمة البلورية (المجد وتوابعها) والغشاء البركاني الاندفاعي (الخرات واليمن) والصخور الرسوبية (بلاد الشام وشرقي شبه الجزيرة العربية) في تكوين هضاب هذا الإقليم . كما هو الحال في هضاب شرقي إفريقيا . مما يبين القرابة الجغرافية الطبيعية التضاريسية ذات القاعدة البنيوية والبنائية الجيولوجية بين أجزاء العالم الإسلامي في جناحيه الآسيوي والإفريقي .

(٥) هضاب النطاق الجبلي لغربي آسيا وشبه القارة الهندية :

يكاد الحديث هنا يقتصر على الهضاب الحوضية والعالية التي تقع على مستويات أعلى من ١٠٠٠ متر إلا ما ندر ، وتضم في الغرب هضبة الأناضول الداخلية التي تتجزأ إلى هضاب أصغر مثل هضاب أوبروك وجيهان بيلي وهاماننه وبوزوك ، التي تحيط بالبحيرة المالحة (تور غول) في وسط الأناضول الداخلي . وتحوم ارتفاعات هذه الهضاب حول ١٣٠٠ - ١٥٠٠ متر وسطياً ، تحيط بها السلاسل الجبلية من الأطراف المختلفة مما يعطيها شكل هضاب حوضية . وتتصل في الشرق بهضبة أعلى مستوى (٢٠٠٠ متر) وأقصى تضاريس هي هضبة الأناضول الشرقية التي تكثر فيها وحولها الجبال التي تتفرع عنها ، وتشغل بعض أجزائها بحيرة وان وغيرها من بحيرات أصغر . كما تشمل بحيرة أورمية ، لكن المظهر الهضابي ينقلب هنا إلى تضاريس جبلية متداخلة .

يلي ذلك وفي الشرق والجنوب الشرقي هضبة حوضية واسعة هي الهضبة الإيرانية بقسميها الغربي في إيران (٦٠٠ - ١٢٠٠ متر) الذي يتألف من دشت كفير ودشت لوط ، وهضاب هوامش الجبال المحيطة بالهضبة وقسمها الشرقي في (أفغانستان) ويشمل سيستان ودشت مارغو رجستان ، وكذلك هضاب هوامش جبال أفغانستان وتلحق بهذه الهضبة هضاب بلوخستان في الجنوب .

إن الميزة الرئيسة لهضاب هذا الجزء من العالم الإسلامي أنها تضاريس لا منفذ لها إلى البحار المفتوحة ، فهي هضاب داخلية محاطة بالجبال من جميع أطرافها . كما تقوم جبال داخلية بتقسيمها إلى هضاب أصغر وأصغر ولاسميا في القسم الإيراني - الأفغاني - البلوجي ، فهي هضاب حوضية .

أما خارج هذه الهضاب وإلى الشرق من السلاسل الجبلية والسلاسل السندية فتقتصر الهضاب على هوامشها الضيقة المتصلة بسهول السند ، تتسع في الشمال في هضبة بوتوار Potwar (٤٠٠ - ٥٠٠ متر) وأقدام جبال الهيمالايا باتجاه دلهي وأمريتسار . وتتصل بهضاب شبه جزيرة الهند الواسعة عن طريق هضبة مالفا Malva وعشرات الهضاب الصغيرة التي تنضوي كلها تقريباً تحت اسم هضبة الدكن تحف بها جبال الغات المنخفضة من الغرب . وتحوم ارتفاعات هضاب الهند حول ٥٠٠ - ٧٠٠ متر بصورة عامة .

(٦) هضاب آسيا الوسطى والعالية :

وهي هضاب منخفضة وأخرى عالية جداً . فالهضاب المنخفضة هي مظاهر تضاريسية تمتد في فيافي الشمال الإسلامي في كاراخستان وأطراف حوض طوران على هوامش الجبال التي تحف بها من الجنوب والشرق . وتقع على ارتفاعات متوسطة بين ٣٠٠ - ٦٠٠ متر ، وقد تنخفض أحياناً إلى أقل من ذلك لتؤلف سطوحاً مائدية لها مظهر الهضاب كما هو الحال في تلك التضاريس المتناثرة على السواحل الشرقية لبحر

قزوين وتسمى تجاوزاً (هضاباً) . مثل هضبة أوست يورت وهضبة مانغشلاك والأراضي المحيطة بخليج قره - بوغاز . ولأغلب هذه الهضاب المنخفضة حافات جرفية على الأحواض المغلقة وعلى سواحل بحر قزوين الشرقية وسواحل بحر آرال الغربية .

وتنتشر الهضاب المنخفضة في شمال كازاخستان على مساحات واسعة ، وتتألف من هضبة تورغاي وتضاريسها المائدية ثم هضبة الظهرة الكازاخية وهضبة قره غانده ، وتتصل بها هضبة بيت باك دالا . بعدها تلتصق الهضاب المنخفضة بهوامش جبال تيان شان وتفرعاتها على جانبي المجرى الأوسط لنهر سيحون (سيرداريا) وقيزيل قوم (كيزيل كوم) . ثم هضبة كارشين وبخارى ، فهضبة كارايبيل وبدخز على الهوامش الشمالية لجبال أفغانستان الشمالية .

تتصف الهضاب المنخفضة المذكورة والمحيطة بحوض طوران وآرال بأنها ذات سطوح منبسطة تعلوها بعض الجبيلات ، وتغطيها الرمال في هوامشها القريبة من الصحاري .

أما الهضاب العالية في آسيا الوسطى فتوجد بين الجبال ، وأعلاها هضبة بامير الواقعة في طاجكستان الإسلامية، وتعرف بسقف العالم لعولها (٥٠٠٠ متر) . وترتفع في الشرق لأكثر من ٦٠٠٠ متر حيث تعلوها جبال وتخترقها أودية عمقها بين ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ متر ، وفي الغرب لأعلى من ٧٠٠٠ متر في سلاسل جبلية فيها قمة درواز (كومونسم) (٧٤٩٥ متر) التي تضم جليدية فيدنتشكنو وجليديات كثيرة رخرى في جبال وهضاب آسيا الوسطى . وتقوم بامير بدور الموزع البنائي - التضاريسي ، تنبثق منه جبال هندوكوش وآلاي والهيملايا وكون لون وغيسار وغيرها .

تليها هضبة التبت الواقعة بين سلاسل كون لون والهيملايا . وترتفع إلى ٥٠٠٠ متر ، وسطياً ، تكثر على سطحها البحيرات التي تتجمد مياهها شتاءً ، كما يغطيها غشاء من الحطام والشظايا الحجرية الهابطة من الجبال التي تعلو سطح الهضبة وحافاتهما . ويغلب علي بنيتها الصخور الرسوبية الكريتاسية (الطباشيرية)، بينما تعود جبالها الشمالية إلى الزمن الأول وجبالها الجنوبية إلى الزمن ما قبل الكامبري مع اندفاعات بركانية أحدث .

ويوجد على الهامش الشمالي للتبت حوض تساي دام وهضبته (٢٠٠٠ - ٢٣٠٠ متر) ، كما توجد هضاب مع أحواض مغلقة في أنحاء متفرقة في تركستان الصينية . تقل أهمية الهضاب في ملقة وإندونيسيا ، بحيث يقتصر وجودها على هضاب مادي وسيراواك في جزيرة بورنيو .

تتصف هضاب العالم الإسلامي بمظاهر جيومورفولوجية مزدوجة . فعلى سطوحها المنبسطة والمتموجة تسود الأشكال الرسوبية الموضعية أو المنقولة إليها من الجبال من جهة ، وتكثر على هوامشها الأشكال الحتية الغنية بالأودية العميقة ، إذا كانت الهضاب مشرفة على سهول منخفضة من جهة ثانية . وتنتهي الهضاب الأخيرة عادة بحافة جرفية صخرية تكثر أمامها النواشز الصخرية والتلال الشاهدة .

أما على السطوح المنبسطة فتظهر بعض الأشكال الحتية مثل النواشز والصخوريات والفرائد في بحر الغشاء الرسوبي السائد ولاسيما في البقاع الجافة وشبه الجافة التي يتكون على سطوح هضابها صحاري حجرية (حمادة) وحصوية (سرير) ورملية . وقد تغطي السطح أغشية من الحمم البركانية تؤلف الحرات البازلتية ، كما في حرات شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وغيرها .

خامساً : السهول والأحواض :

تشغل السهول والأحواض الداخلية والنهرية مساحات واسعة من أراضي

العالم الإسلامي الواقعة دون مستوى ٢٥٠ - ٣٠٠ متر ، فوق سطح البحر .
ولاسيما في الجناح الغربي من العالم الإسلامي . وترتبط غالبية السهول الداخلية
بأحواض ومنخفضات مغلقة ، تقابلها سهول الأحواض النهرية والسهول الساحلية
المفتوحة التصريف على محيطات العالم وبحاره . وتشتمل تلك السهول والأحواض
على الآتي :

(١) السهول الساحلية والنهرية :

تختلف السهول الساحلية في العالم الإسلامي اتساعاً وامتداداً واستمراراً ،
كما تختلف من حيث ظهريها التضاريسي ، إذ قد يكون هضبياً أو تلياً أو جبلياً
صخرياً ، أو يكون سهلياً منبسطاً يؤلف استمراراً لها في الداخل في البر ، لكنها
تتفق من حيث مظاهر سطحها المنبسطة الضعيفة الانحدارات والمنخفضة ، بغض النظر
عن تكوينها وبنية المواد المؤلفة لها . وسهول العالم الإسلامي تمتد على سواحل
المحيطات والبحار كما يلي :

أ - سهول سواحل المحيط الأطلسي :

وتبدأ من مضيق جبل طارق حتى قبيل مصب نهر الكونغو ، لكنها لا تستمر
بعرض واحد كما أنها لا تكون متصلة .

فمن رأس اسبارطل (مارتل) وجنوباً يبدأ سهل أصيلة - الرباط الساحلي
الذي يأخذ شكل مثلث ، في سهل الغرب والحوض الأدنى لنهر السبو ، يضيق
بعدها ليعود فيتسع في سهول تادلا الساحلية (نحو ٧٠ - ٨٠ كم) التي تضيق باتجاه
الجنوب الغربي حتى تنقطع لتقدم نهايات جبال الأطلس الأعلى باتجاه رأس غير ، يلي
ذلك سهل السوس . وبعد انقطاع يبدأ في منطقة السهل الساحلي في طرفاية بالاتساع
في الصحراء الغربية وولاية العيون وباتجاه الجنوب الغربي بعرض متوسط يزيد على

١٧٥ كم ، لينفتح باتجاه الجنوب ويتسع اتساعاً كبيراً متوسطه ٤٠٠ - ٤٥٠ - ٥٠٠ كم . ثم يمتد مسافات تصل إلى نحو ١٠٠٠ كم في سهول السنغال الساحلية وحوض وادي السنغال . وتعرف هذه المنطقة التي يقل ارتفاع أغلبها عن ١٠٠ متر ، بمنخفض سنغامبيا (أي السنغال - غامبيا) . ويغلب على هذه السهول ولاسيما شمال نهر السنغال الأغشية والكثبان الرملية التي تزحف عليها .

تعود هذه السهول فتضيق إلى حدود ١٠ - ١٥ كم في منطقة كوناكري ، نتيجة تقدم نهايات هضبة ومرتفعات فوتاجالون ، لكنها تتسع مرة أخرى في سيراليون التي يتألف ثلثاها من السهول الساحلية تليها سهول ساحلية منخفضة عرضها ٧٥ - ١٥٠ كم تمتد حتى دلتا نهر النيجر . ويتصل بهذه السهول سهل نهري يؤلف حوض نهر الفولتا في غانا ، تحتل معظمه مياه بحيرة سد اكوسومبو .

تؤلف دلتا نهر النيجر سهلاً ساحلياً - نهرياً مثلثياً قاعدته بطول ٤٥٠ - ٥٠٠ كم وامتداده ٢٠٠ كم . ولهذا السهل امتداد في الداخل لمسافات طويلة في مجرى نهر النيجر وتعرجاته . وتعود الصورة التضريبية بعد سهل مصب النيجر فتتكرر اتساعاً وضيقاً باتجاه الجنوب حتى مصب الكونغو الذي يختلف عن مصب النيجر بافتقاره إلى الدلتا السهلية .

إن السهول الساحلية - النهرية على المحيط الأطلسي إلى الجنوب من حوض نهر السنغال ، مغايرة لتلك الواقعة شماله (حتى رأس غير) . إذ تخلو من الأغشية الرملية والكثبان ، اللهم إلا الكثبان الساحلية ، وتكثر مكانها المساحات المستنقعية والأخوار والبحيرات الساحلية المالحة ولاسيما على الأجزاء المحاذية للساحل وعند مصاب الأنهار .

ب - سهول سواحل المحيط الهندي :

تتقدم نهايات مرتفعات إفريقيا الشرقية شرقاً إلى المحيط الهندي بحيث لا

ترك سوى شريط ضيق من السهول الساحلية لا يزيد عرضه على ١٠ - ٤٠ كم، وأقل من ذلك في بعض الأجزاء . وذلك على طول الساحل الممتد من حدود تنزانيا الجنوبية مع موزمبيق حتى ممباسة وملندي . والاستثناء الوحيد هو السهل الساحلي لدار السلام ومجرى نهر روفيجي الأدنى ومصبه ، حيث يقرب عرضه من ١٥٠ كم . ومن ملندي وباتجاه الشمال الشرقي تأخذ سهول الصومال الساحلية بالانتساع حتى يصبح عرضها بين ١٥٠ - ٤٠٠ كم ، لتعود فتضيق باتجاه الشمال الشرقي حتى تنعدم عند رأس غوردافوي .

وبعد انقطاع للسهول المهمة على ساحل البحر الأحمر تظهر على سواحل أريتريا وعند ساحل طوكر وسواكن . كما يتسع السهل على ساحل حلايب إلى نحو ٣٠ كم ، ولأقل من ذلك باتجاه الشمال الشرقي ، ثم بعرض ٣٠ - ٤٠ كم مقابل مدخل خليج السويس حتى منطقة سهل الزعفرانة ، أما على الساحل الشرقي لخليج السويس فيسير شريط سهلي عرضه ٣٠ - ٣٥ كم منقطع عريض في الشمال ، وفي سهل القاع في الجنوب .

وتتكرر ظاهرة ضيق السهل الساحلي أو انعدامه حتى ينبع البحر ، وفي سهول تهامة بأقسامها (تهامة الحجاز والشام وعسير واليمن) حيث يراوح العرض بين ٣٠ - ٥٠ كم . بعدها وعلى طول سواحل الجزيرة العربية ترسم السهول شريطاً ضيقاً في منطقة عدن والمهرة وخليج القمر . يتسع بين شرقي ظفار حتى رأس الحد . حيث يتصل السهل الساحلي المنخفض بأراضي جدة الحراسيس فالربع الخالي التي تقع أرضها دون ٢٠٠ متر .

أما في ذراع خليج عمان والخليج العربي : فيظهر سهل الباطنة الساحلي بين مسقط وخورفكان . فالسهول الساحلية الواسعة العريضة على الجانب الغربي من الخليج العربي ، التي تغطيها الأغشية والكثبان الرملية في صحراء الربع الخالي والسبخ والأراضي الصحراوية الأخرى في الأحساء وحتى الكويت وصدر الخليج .

ويتصل السهل الساحلي لمنطقة البصرة وشط العرب بسهول نهريّة واسعة منخفضة في حوضي نهري الفرات ودجلة ، تؤلف سهول بلاد الرافدين بين جبال زاغروس وكردستان وهضاب بادية الشام بعرض متوسط قدره ٥٠٠ - ٧٠٠ كم وامتدادها نحو الشمال الغربي حتى الجزيرة العليا يزيد على ١٠٠٠ كم وارتفاعاتها بحدود ٥٠ - ١٠٠ متر تزداد باتجاه الهوامش ، وتغلب عليه اللحيقيات (الروسيات) والأهواز والمستنقعات في الجنوب .

أما على الجانب الشرقي والشمالي للخليج العربي فتظهر سهول ساحلية شريطية عريضة نسبياً في الشمال ، وضيقة جداً ومتقطعة في الجنوب ، تتسع قليلاً حول مضيق هرمز لكنها تبقى بحدود عرض متوسط قدره ١٠ - ٢٥ كم ، على سواحل بحر العربي حتى كراتشي .

تتابع السهول الساحلية على المحيط الهندي سيرها على الوتيرة ذاتها حتى كراتشي . حيث يبدأ سهل ساحلي - نهري آخر هو سهل السند (الهندوس) وحوض نهري الذي يتوغل بعيداً حتى أقدام جبال الهيمالايا وكاراكوروم . بعرض متوسط قدره ٥٠٠ كم وطول يزيد على ١٠٠٠ كم ، وارتفاع متوسط يحوم حوالي ٢٠٠ متر ، ودون ١٠٠ متر في الجنوب وفي سهل كوجرات والسهل الحقي (رسوبي) نهري أصلاً لكن رمال صحراء ثار تغطيه في أجزائه الشرقية ، والمستنقعات الواسعة في الجنوب .

إلى الجنوب من كوجرات يمتد سهل ساحلي يساير السواحل الغربية لشبه جزيرة الهند عرضه المتوسط بحدود ٣٥ - ٤٠ كم ، يتسع عند مصب نهري كويشتا وغودافاري ، وكذلك في منطقة دالتا نهر ماهانادي وسهله الساحلي الذي يلتحم في الشمال الشرقي بسهول مصب نهر الجانج وشبكة دلتاه المتشعبة والواسعة في صدر خليج البنغال والمعروف بـ (سوندربان Sunerban) . وتتصل سهول البنغال هذه بسهول

الجانج - البراهما بوتر في الشمال وشعبته : الشرقية على امتدا البراهما بوتر والغربية - الشمالية الغربية في حوض نهر الجانج وهي الأوسع ويقع سطح هذا المركب السهلي الساحلي - النهري الضخم دون مستوى ٢٠٠ متر فوق سطح البحر . ويتصل بسهل السند الداخلي - النهري عن طريق منطقة دلهي التي تعلو نحو ٢٠٠ - ٢٥٠ متراً ليؤلفا معاً سهول السند - الجانج التي ترسم فاصلاً تضاريسياً له شكل الميزاب بين شبه جزيرة الهند (الدكن) في الجنوب وسلاسل الهملايا الالتوائية في الشمال .

إن بقية السهول الساحلية على المحيط الهندي المسيرة لسواحل مينمار (بورما) وتايلاند الغربية وشبه جزيرة ملقة ضيقة تكثر فيها المستنقعات والأهوار وتتطاول من الشمال نحو الجنوب ، وتتصل بها بسهول نهريّة ضيقة لها المحاور ذاتها . أبرزها سهول حوض الإيراوادي وحوض الميكونغ ودلتاه الواسعة .

ج- سهول جنوب شرقي آسيا الساحلية :

وهي سهول جزر الأرخيل الإندونيسي ، ولاسيما جزره الكبيرة لأن أغلب الجزر الصغيرة صخرية أو بركانية وخالية من مساحات سهلية تستحق الذكر . وتعد جزيرة سومطرة وكليمتان (بورنيو) وغينيا الجديدة أغنى الأماكن بالسهول الساحلية . ففي جزيرة سومطرة المتطاولة (نحو ١٧٥٠ كم) تظهر على جانبي السلسلة الجبلية الممتدة على طول الجزيرة سهول منخفضة على شكل شريط ضيق في الجنوب الغربي من الجزيرة ، وعلى هيئة سهل عريض (٢٠٠ - ٢٥٠ كم) على الجانب الشمالي الشرقي وهو غني بالمستنقعات والأهوار ونبات القرم وتقطعه عشرات الأنهار والجداول الصغيرة .

أما في كليمتان فتحيط السهول الساحلية بالجهات الشرقية والجنوبية الشرقية وتشبه سهول سومطرة بصورة عامة .

كذلك فإن سهول غينيا الجديدة شديدة الشبه بسهول سومطرة من حيث امتداد السهول على جانبي السلسلة الجبلية (جبال ماوكه) ، فإلى الجنوب منها يمتد سهل مستنقعي منخفض جداً تكثر فيه الأهوار والنباتات المستنقعية وغيرها .

أما في الشمال فالسهل ضيق ، تسايهه جبال نان ريس التي تفصله عن سهل نهري تاريخي ، وتاريخي رافدا نهر مامبيرامو .

د - سهول سواحل البحر المتوسط :

تصنف السهول الساحلية على امتداد القسم الإسلامي من البحر المتوسط في زمرتين الأولى زمرة السهول الضيقة والمتقطعة التي تتناوب مع أجزاء صخرية جبلية أو هضبية . وتمتد من مضيق جبل طارق وحتى بنزرت في تونس ، أبرزها سهل عكار وجبله واسكندرونه ثم سهل أضنه (تشوكورأوفا) المتصل بسهلي نهري سيحان وجيحان . كما تنتمي إليها سواحل آسيا الصغرى التي تؤلف الجبال أغلب سواحلها باستثناء سهل أنطالية وسهول أنهار ساحل بحر إيجه ، وبحر مرمرة ومنطقة تراكية وعمر البوسفور . أما على البحر الأسود فتتخصص السهول الساحلية بمصايب الأنهار المهمة والدالات التي كونتها في سهل بافرا ودلتا نهر قيزيل إرماق ، وسهل دلتا نهر يشيل إرماق . ثم بعد انقطاع يظهر سهل كولخيدية والمجرى الأدنى لنهر ريوني (ريون) في جورجيا وأبجازيا تختفي بعده السهول على الساحل الشرقي للبحر الأسود - لتعود وتمتد من سواحل بحر آزوف وباتجاه القفقاس الشمالي وحوض وادي نهر يشيز (الكوبان) .

أما الزمرة الثانية من سهول سواحل البحر المتوسط فهي السهول الواسعة والعريضة المنخفضة والممتدة بعيداً في البر . وأبرزها سهول تونس ثم الحفارة

وطرابلس ، تليها سهول خليج سرت حيث تنقطع بكتلة الجبل الأخضر في ليبيا ثم تسمر حتى فلسطين . وأبرز مظهر تضريسي سهلي في هذا القطاع هو دلتا النيل الذي يتصل بها سهل النيل على طول النهر حتى أسوان . وتمتد هذه السهول على مساحات كبيرة باتجاه البر الصحراوي الليبي والمصري ، وتغطيه أغشية من الرمال والكثبان التي تتصل حتى البحر .

(٢) الأحواض :

في العالم الإسلامي الكثير من الأحواض الداخلية البعيدة عن السواحل ، ويغلب على الأحواض أنها مغلقة . وتقع على ارتفاعات مختلفة ، عالية في الأحواض الجبلية والهضابية ومنخفضة في البقاع السهلية والمنبسطة المنخفضة . كذلك فإن الكثير من الأحواض يؤلف بحيرة أو سبخة أو خبرة أو شطاً أو مستنقاً في أخفض أجزائه بعضها دائم والآخر مؤقت موسمي . وتتفق الأحواض الكبيرة مع وحدات بنائية مطابقة لبنيتها الحوضية أيضاً مثل المقعرات الأرضية (Geosyncline) والخسوف والأغوار الصدعية .

وتفترق الأحواض العالية من الأحواض المنبسطة - المنخفضة ، بإحاطة الأولى من أغلب أطرافها أو جميعها بجبال أو مرتفعات تطوقها . لكنها تتفق معها في كثير من الحالات باحتواء أخفض أجزائها على مستنقعات أو خبرات أو بحيرات تؤلف مستوى أساس ، أي مستوى قاعدي ، (Base - level) جميع شبكات الأنهار والأودية السيلية فيها . ويمكن التمييز بين النوعين كالآتي :

أ - الأحواض المنخفضة :

وهي أحواض كبيرة تضم أحواضاً أصغر ، أهمها حوض الصحراء الكبرى

الغربية وحوض العرق الشرقي - الجريد وحوض تشاد وأحواض غرب النيل وحوض
طوران - قزوين .

يتألف حوض الصحراء الكبرى الغربية من أحواض غات والجوف والخانق
وكارت وعرق الأحمر وتيديكلت والخناشيش ، تفصل بينها سطح منبسطة ، وقد
تحيط بها جروف أو تتصل بالسهول عن طريق منبسطات مغطاة بأغشية رملية وكثبان
منتقلة . وتحيط بهذا الحوض الواسع مرتفعات الأطلس وحمادات الدرعة وغيرها ،
وجبال الأحجار وهضابها ، كما تطل عليه من الجنوب والغرب هضاب تفصله عن
حوض نهر النيجر وسهول الصحراء الغربية . وتقع أخفض أجزاء هذا الحوض وتوابعه
على ارتفاعات تراوح بين ١٣٠ - ١٥٠ متراً ، وتكثر فيها سبخة كبيرة مثل سبخة
مكرغان (تيديكلت) وسبخة أم الضروس ، وسبخة كثيرة وقيعان جافة .

أما حوض العرق الشرقي - الجريد فيقع بين مرتفعات وهضاب الصحراء
الكبرى الغربية إلى الشمال من كتلة جبال الأحجار . وهو امتداد طبيعي لحوض
الصحراء الكبرى الغربية السابق ، تفصل بينهما هضبة تاديمايت ويتصل حوض العرق
الشرقي في شماله الشرقي بحوض الجريد والملغير الذي يقع دون مستوى سطح البحر
(-٣١ متراً) . ولا يفصله عن البحر المتوسط في خليج قابس سوى ظهرة منخفضة مما
يشير إلى اتصال سابق بينهما . وتتألف أرض حوض العرق الشرقي - الجريد من
منبسطات تغطيها الرمال والكثبان الضخمة ، كما تحزر الأودية الجافة حافات الشمالية
والغربية .

ويقع حوض تشاد في وسط الصحراء الكبرى جنوب جبال تيبستي ، وتحيط
به من بقية الأطراف هضاب متوسطة الارتفاعات تقدم الحديث عنها . والحوض عبارة
عن فيافي واسعة جداً تحتل بحيرة تشاد المنخفض الجنوبي منه (٢٨٠ متراً) بينما يشغل
منخفض بوديله الجاف أخفض أجزاء الحوض (١٥٥ متراً) . وتنتهي إلى بحيرة تشاد
أودية سيلية تأتيه من الجهات المختلفة لكن أهمها هي أودية شبكة نهر شاري في الجنوب

والجنوب الشرقي .

تتألف أحواض غرب النيل من عدة منخفضات مغلقة تقع دون سطح البحر هي في الشمال منخفض القطارة (١٣٣ متراً) ومنخفض سيوه الملحق به . وهما مستنقعان محليان وغنيان بالسبخ . وبالقرب من النيل يوجد منخفض وادي النطرون (٢٤ متراً) ثم منخفض الفيوم (٤٥ متراً) الذي تحتل قاعه بحيرة (بركة) قارون ، تليها باتجاه الجنوب منخفضات الواحات المصرية (الغرافرة والداخلة والخارجة) .

أما أهم أحواض آسيا المسلمة ، وأوسعها فهو حوض طوران - قزوين ، الذي تحيط به الجبال الآسيوية الوسطى من الجنوب والشرق ، وسهوب سيبيريا وهضاب كاراخستان من الشمال وبحر قزوين والقفقاس من الغرب .

تكوّن حوض طوران نتيجة صدوع كبيرة سببت خسف الأرض ، وكان عبارة عن بحر داخلي كبير تراجع في الزمن الثالث ، ووصل إلى الوضع الراهن في الزمن الرابع المتأخر . وتقدر مساحة الحوض بنحو ثلاثة ملايين كيلو متر مربع ، وترتفع أرضه نحو ١٠٠ متر ، وسطياً فوق سطح البحر . تغطيها المجروفات المحمولة من الجبال المحيطة بها بوساطة السيول والأنهار التي يغيب أغلبها في هوامش الحوض وفي أنقاض أقدام الجبال ، وترسم نهايات كثير منها دالات (مخاريط أنقاض وانصباب) جافة . وتكثر في طوران المنخفضات المغلقة من نموذج السبخ وتعرف بـ (شور) والخبرات وتسمى (تاكير) ، كما تغطي القشرات الصحراوية والتراب الصحراوية (اللومية) وأغشية اللوس سطح مساحات مهمة من طوران . لكن التكوينات الريفية الأصل هي الأكثر انتشاراً في صحاريها الرملية في فيزيل قوم (الصحراء الحمراء) وقره قوم (الصحراء السوداء) وغيرهما .

تخترق الحوض مياه نهري أموداريا (جيجون) وسرداريا (سيحون) القادمة من جبال آسيا العالية وتنتهي في بحر آرال الآخذ بالزوال والاندثار . أما الأنهار الأخرى

الهابطة من الجبال الجنوبية مثل تهيرات كويت - داغ ونهر مرغاب (مرغ آب) ، وكذلك القادمة من الجبال الشرقية مثل نهر زرفشان ونهر تشو ، فتنتهي متشعبة على أطراف الحوض أو في منخفضات مغلقة صغيرة مثل أشيكول . وتكثر في طوران أمثال هذه الأحواض ، مثل منخفضات كاركاتا ومينولاق ومولال وأريس في الشرق . ثم منخفضات ساري - قاميش (-٣٨ متراً) وقره شور (-٢٨ متراً) وقازاخلي شور (-٢٨ متراً) وسورباساكليمس (٦٢ متراً) وكارنجار (-٧٠ متراً) ، وغيرها في الغرب وبين بحري آرال وقزوين .

ومما يميز تضاريس طوران تناثر التلال الشاهدة والجبيلات الصخرية والياردانغات (الخرايش) والحافات الجرفية لسطوح مائدية فيها ، مما يدل على أعمال حت وتعرية سابقة وراهنه ، للعمل الريحي بينها الغلبة الواضحة . في أحوال مناخ صحراوي قاري جداً .

ب - الأحواض المرتفعة :

تغلب على هذه الأحواض الطبيعة الجبلية أو الهضبة الواضحة . كما أنها تكون عالية ذات سطح منبسط تعتوره أراض وعرة وجبيلات بل وهضاب ومنخفضات قد تشغل قباغانها بحيرات أو مستنقعات أو سبخ وغيرها . وأهم هذه الأحواض :

حوض تاريم :

حوض مغزلي الشكل طوله نحو ١٥٠٠ كم وأقصى عرض له نحو ٦٥٠ كم تحيط به جبال تيان شان من الشمال وكون لون في الجنوب ، ومن ناحية الغرب هضبة ومرتفعات بامير . أما في الشرق فيقل الارتفاع حيث توجد بوابة يومن Yumen المفارة التاريخية لطريق الحرير . أما الارتفاع المتوسط فيقع بين ٧٠٠ - ١٣٠٠ متر ، فوق سطح البحر . وترجع نشأته إلى الخسف الذي حصل بين الجبال الالتوائية المحيطة به والتي تراكمت مع صدوع سببت هبوطاً في أرض الحوض . وقد رافق هذه

الصدوع صدوع جانبية أدت إلى نشوء حوض طرفان وأحواض أخرى صغيرة على الهامش الشمالي الشرقي لحوض تاريم ، ويتميز حوض طرفان عن أحواض العالم الإسلامي العالية بوقوع أرضه دون مستوى سطح البحر (- ١٥٤ متراً) .

تتصف أرض حوض تاريم بانتشار أشرطة من المجروفات والأنقاض الصخرية عند أقدام الجبال يليها نطاق من التربة الناعمة مع اللوس ، ثم الأغشية والكثبان الرملية التي تؤلف صحراء تكلاماكان التي تقدر مساحتها بنحو ٤٠٠.٠٠٠ كيلو متر مربع كما تكثر في الحوض ولاسيما في أجزائه الشمالية والشرقية السبخ والأراضي المالحة إضافة إلى الأراضي اللحية (الرسوبية) والمستنقعات التي ترافق وادي نهر تاريم (ياركنداريا) الذي يتزود بالمياه من جبال تيان شان وهضبة بامير ، ويغير مجراه ومنتهاه أكثر من قره بوران إلى بحيرة لوب نور ومستنقعاتها .

حوض جونغارية :

أبعد الأحواض موقعاً على الهامش الشمالي للعالم الإسلامي وهو مثلثي الشكل تحيط به هضاب منغوليا في الشرق وجبال تيان شان من الجنوب وألطي من الشمال والشمال الشرقي وسلاسل تربغتاى وكونغارية - ألطي في الغرب، تفصل بينها مفاوز طبيعية كانت ممرات لطرقت تجارية وهجرات شعوب في التاريخ، أشهرها بوابة جونغارية المؤدية إلى كازاخستان وتركستان الغربية . ويقع الحوض على ارتفاع ٢٥٠ - ٣٠٠ - ٧٥٠ متراً وسطياً . تغطى وسطه وأغلب أجزائه صحراء رملية ، بينما تكثر على هوامشه البحيرات والمستنقعات والدالات الجافة والسبخ الملحية . وفي جونغارية تقع أبعد نقطة عن أي بحر أو محيط مفتوح في قارة آسيا والعالم وتبعد عن أقرب ساحل مسافة ٢٥٠٠ كم .

سادساً : السواحل والجزر :

تنقسم سواحل العالم الإسلامي إلى سواحل عالية وسواحل منخفضة

فسواحل البحر الأحمر تغلب عليها التضاريس العالية الصخرية ولاسيما في خليج العقبة وأجزاء من خليج السويس ، وتقترب الجبال والهضاب من البحر على الجانب المصري والسوداني والأريتري إلا في القطاعات التي تتسع فيها السهول الساحلية ويتكرر الأمر على الجانب السعودي واليميني حيث الشريط السهلي أطول وأعرض . أما على جانبي خليج عدن فتصبح السواحل عالية وصخرية في أغلبها . وتتعاقب السواحل المنخفضة مع العالية على ساحل كينيا بحسب تقدم الجبال والهضاب أو إفساحها المجال للسهول الساحلية .

تعود السواحل العالية والصخرية للظهور على السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية حتى ظفار ، وبعد انقطاع تعود ثانية لترسم السواحل بين رأس الحد ومسقط ثم في شبه جزيرة مسندم ، ومعظم أجزاء الساحل الإيراني على الخليج العربي وبحر العرب شريطاً متقطعاً من السواحل الصخرية .

وجدير بالذكر أن ساحل إيران على الخليج العربي قريب الشبه من نموذج السواحل الدلماسية ، كما أن ساحل غربي تركيا علي بحر ايجه شبيهه بالنموذج البروتاني للسواحل ، وكلاهما من زمرة السواحل البنائية - الالتوائية المتعامدة محاورها مع محاور التضاريس أو المسائرة لها .

وتفصل السهول الساحلية على جانبي شبه جزيرة الدكن بين جبال الغات الغربية والشرقية والبحر ، لكنها مع ذلك تتقدم بالسنة صخرية حتى البحر فتظهر السواحل العالية في أماكن عديدة .

ويصبح معظم السواحل صخرياً وعالياً على السواحل الجنوبية الغربية والجنوبية لجزر إندونيسيا ولاسيما في سومطرة وجاوة ، تقطعها أشرطة من السواحل المنخفضة لاسيما عند مصاب الأنهار . وتظهر سواحل هذه الزمرة في أجزاء متباعدة من سواحل جزيرة كليمتتان وبصورة خاصة شماليها . أما بقية جزر إندونيسيا فالغالب

عليها أنها جبلية وسواحلها عالية وصخرية ذات طبيعة اندفاعية - بركانية . وفي جزيرة غينيا الجديدة تساير السواحل العالية شمالي شبه جزيرة تشيندرا فاسيخ وأكثر السواحل المطلة على خليج إيربان وعلي بحر سيرام وتيمور .

وتقوم الأشكال التضريبية الكارستية من نموذج الموغوت (الكارست المخروطي) في جنوب شرقي العالم الإسلامي حيث بنية الصخور كلسية رسوبية ، بدور واضح في رسم السواحل الصخرية ذات الجروف القائمة .

ومن السواحل العالية النموذج المعروف بسواحل الشرم المنتشرة على جانبي البحر الأحمر وسيناء ومسنم . وهي عبارة عن خلجان مغرقة ذات جوانب صخرية وعالية يظن أنها نهايات أودية جافة تعرضت لخسف بنائي . كذلك يكثر في سواحل العالم الإسلامي العالية نموذج السواحل الصدعية الأصل وتعرف أحياناً بالسواحل البنائية ، وتوجد في مناطق نشاط الصدوع . مثلها مثل السواحل البركانية - الاندفاعية الأصل . وفي كل هذا تبقى الأعمال الختية الساحلية طاغية على غيرها من العوامل المؤدية إلى تشكل السواحل العالية والصخرية ، وتعرف بسواحل الحت البحري ، التي تتميز بأشكالها الجيومورفولوجية المعروفة من جدار ساحلي وقاعدة حت (نحر) ومسلات وكهوف وقناطر وغيرها من أشكال ساحلية .

من ناحية أخرى فإن هناك عدداً من السواحل المنخفضة تؤلف نهايات جميع السهول الساحلية في العالم الإسلامي ، التي تقدم ذكرها . ومع ذلك تختلف مظاهرها بين مكان وآخر بحسب العوامل المؤثرة في تكوينها . وعلى العموم فالسواحل المنخفضة هي تسمية مرادفة للسهول الساحلية لأن السهول المنخفضة ضعيفة الانحدار وتستمر حتى مسافات بعيدة في البحر الضحل ، وتتألف صخورها الطرية من الرواسب الناعمة والحصى القادرة من البر أو من البحر ، أو ذات منشأ عضوي . وتساير السيوف (ج سيف بكسر السين) أغلب هذه السواحل ويغلب على بنيتها الرمل ، وفي العالم الإسلامي توجد نماذج عديدة في السواحل المنخفضة هي :

١ - سواحل الدالات النهرية :

يكثر هذا النموذج على سواحل النطاقات المطيرة وعند مصاب الأنهار سواء كانت الأنهار كبيرة أم صغيرة كما هو الحال في سواحل جزر إندونيسيا الكبيرة مثل كليمنتان وجاوه وسومطرة حيث توجد عشرات الدالات الصغيرة والمتوسطة الناشطة ، وكذلك على سواحل ملقة وجنوب شرقي آسيا وآسيا الموسمية وأكبر هذه الدالات دلتا الجانج - براهما بوترا في صدر خليج البنغال ، ودلتا نهر السند والدالات الصغيرة قبله وبعده . وكذلك دالات أنهار ماهانادي وغودافاري وكريشنا على الساحل الشرقي للدكن . ومن الدالات المهمة التي لا ترسم قوساً متقدمة في البحر ، دلتا شط العرب .

وتظهر على ساحل شرقي إفريقيا الإسلامي دالات صغيرة ومحدودة العدد - أهمها دلتا نهر روفيجي ، أما دلتا نهر النيجر فتعد واحدة من أكبر الدالات العالمية وساحتها تمتد مسافات طويلة على خليج غينيا على شكل قوس محدبة متقدمة في مياهها . وهناك دالات أقل أهمية إلى الغرب منه مثل دلتا نهر الفولتا وغيرها من دالات صغيرة .

يعود نموذج ساحل الدالات للظهور في دلتا نهر النيل المحدبة والمتقدمة في مياه البحر المتوسط . ثم في لسان سهل أضنة المكوّن من دلتا نهري جيحان وسيحان . أما على سواحل البحر الأسود فتظهر دلتا قيزيل إرماق ودلتا يشيل إرماق بالسنة متقدمة على الساحل الشمالي لتركيا . وأخيراً فإن الساحل الغربي لبحر قزوين يتلقى مياه نهر الكورا ونهر التيرك من جبال القفقاس وما وراءه فيرسمان ساحلاً دلتاويّاً لهما .

إن نموذج سواحل الدالات النهرية غير ثابت أو مستقر من حيث المساحة والاتساع والشكل ، لأن الأنهار والمياه الجارية تحمل إليها سنوياً ، بل ويومياً كميات من المجروفات والطيني تغير في أشكالها . فمياه الجانج - براهما بوترا تحمل نحو

١٥٤ طناً من المواد الصلبة لكل كيلو متر مربع واحد سنوياً ، ودلتا نهر التيرك في القفقاس (داغستان) ناشطة جداً بحيث تتقدم سنوياً نحو ٥٠٠ متر ونهر سولو في جاوة تتقدم دلتاه بمقدار ١٠٠ متر سنوياً . ولكن بالمقابل هناك دالات معطلة عن العمل أو تعيش حالة توازن بين ما يصلها من مواد صلبة وما تحمله التيارات الساحلية منها ، كما في دلتا نهر النيل وجيحان .

إن سواحل الدالات النهرية وإن كانت لا تحتل مساحات كبيرة من أشرطة السواحل الإسلامية فإنها تتميز بمظاهرها التضرسية وبيئتها الطبيعية، حيث الأرض منخفضة جداً وامتسعة ومستوية تقطعها أذرع وتشعبات قنوات مائية متفرعة عن النهر الأم تعد بالعشرات أو بالمئات بحسب حجم الدلتا والنهر يسودها الغرين والوحول والأراضي الرطبة، والنباتات التي تألف الرطوبة. كما تتميز بالبيئات والأوضاع المناخية السائدة على كل ساحل . فبيئة دلتا النيل غير بيئة دلتا الجانج - براهما بوترا . كما تكون عرضة للغمر والفيضان ولتخريبها بمياه المد العالي أو الإعصارات البحرية في العروض المدارية . إضافة إلى أنهار من البقاع الكثيفة بالسكان والتي تعج بالنشاط الاقتصادي الزراعي خاصة .

٢ - السواحل المرجانية :

في العروض الواقعة بين ٣٢ درجة شمالاً و٣٢ درجة جنوباً وفي المياه البحرية الدافئة والصفية ذات الأعماق التي لا تزيد على ١٠٠ متر ، تنتشر المستعمرات المرجانية التي تميز أرصفة كثير من سواحل العالم الإسلامي ، ولاسيما الأرصفة اللاصقة والأرصفة الحاجزة من الشعاب المرجانية التي قد تظهر فوق سطح الماء في حالات الجزر أو عندما ينخفض مستوى سطح البحر لأسباب مناخية أو نهوض اليابسة بنائياً . ويكثر انتشار هذا النموذج في أرخبيل إندونيسيا، وسواحل ملقة ، وفي جزر أندامان وسواحل شرقي خليج البنغال . ثم في أرخبيل المالديف (ذبية المهل) ولاكاديف ، وأجزاء من ساحل الهند الغربية ، فسواحل الخليج العربي وجزره ولاسيما على الجانب الغربي والجنوبي ثم في سواحل خليج مصيره وبعد انقطاع نسبي

في سواحل خليج عدن ، تعود السواحل المرجانية الأصل للسيادة على سواحل البحر الأحمر من مضيق باب المندب حتى صدر خليج السويس ، إلا أجزاء قصيرة وقليلة تخلو من الشعاب المرجانية . وأخيراً تتألف بعض أجزاء سواحل شرقي إفريقيا أمام سواحل دار السلام وجزيرة مافية وجنوبها حتى أرخبيل جزر القمر والسواحل الإفريقية المقابلة لها ، من أشرطة من الشعاب المرجانية . وما يدخل في هذا الإطار الجزر المرجانية الحلقية (الآتول) والشعاب الجزرية (شكل رقم ٥) .

إن تضاريس هذه السواحل تجعلها ذات بيئة طبيعية مميزة بالشعاب ذات الممرات والمسارب والقنوات المتشابكة والمتداخلة ذات المياه الضحلة التي تجعل الملاحظة فيها صعبة وخطيرة. وقد لوحظ على المرجانيات الساحلية في العالم الإسلامي مرضها وموتها في عدد من الأماكن من جراء التلوث البحري. هذا وتعد مياه بحار العالم الإسلامي أغنى بحار العالم بالتضاريس والأشكال المرجانية.

٣ - سواحل المستنقعات وأشجار القرم :

تمتد في هذا النموذج أشرطة من المستنقعات الغنية بالنباتات المحبة للأملح وبالأشنيات والأعشاب البحرية المختلفة التي تنمو على قاعدة وحية ، على السواحل المعرضة لحركات المد والجزر في المياه الدافئة بين المدارين . من أبرز أشكالها سواحل أشجار القرم القصيرة (المالحروف) ، وتعد بيئة الدالات النهرية والمستنقعات الساحلية في العروض الاستوائية والمدارية أنسب أماكن انتشار القرم .

وتوجد سواحل القرم على سواحل إيريان الغربية الجنوبية وإلى حد ما الشمالية ، وأجزاء من سواحل جاوة الشمالية ومعظم سواحل سومطرة الشمالية الشرقية وأجزاء من سواحلها الجنوبية الغربية ، وأشرطة طويلة من سواحل كليمنتان الشرقية والجنوبية والجنوبية الغربية . كما يؤلف هذا النموذج الساحلي أغلب قطاعات ساحل ملقة ، ثم سواحل بورما ومنها إلى دلتا نهر الجانج - يراهما بوترا ، ثم

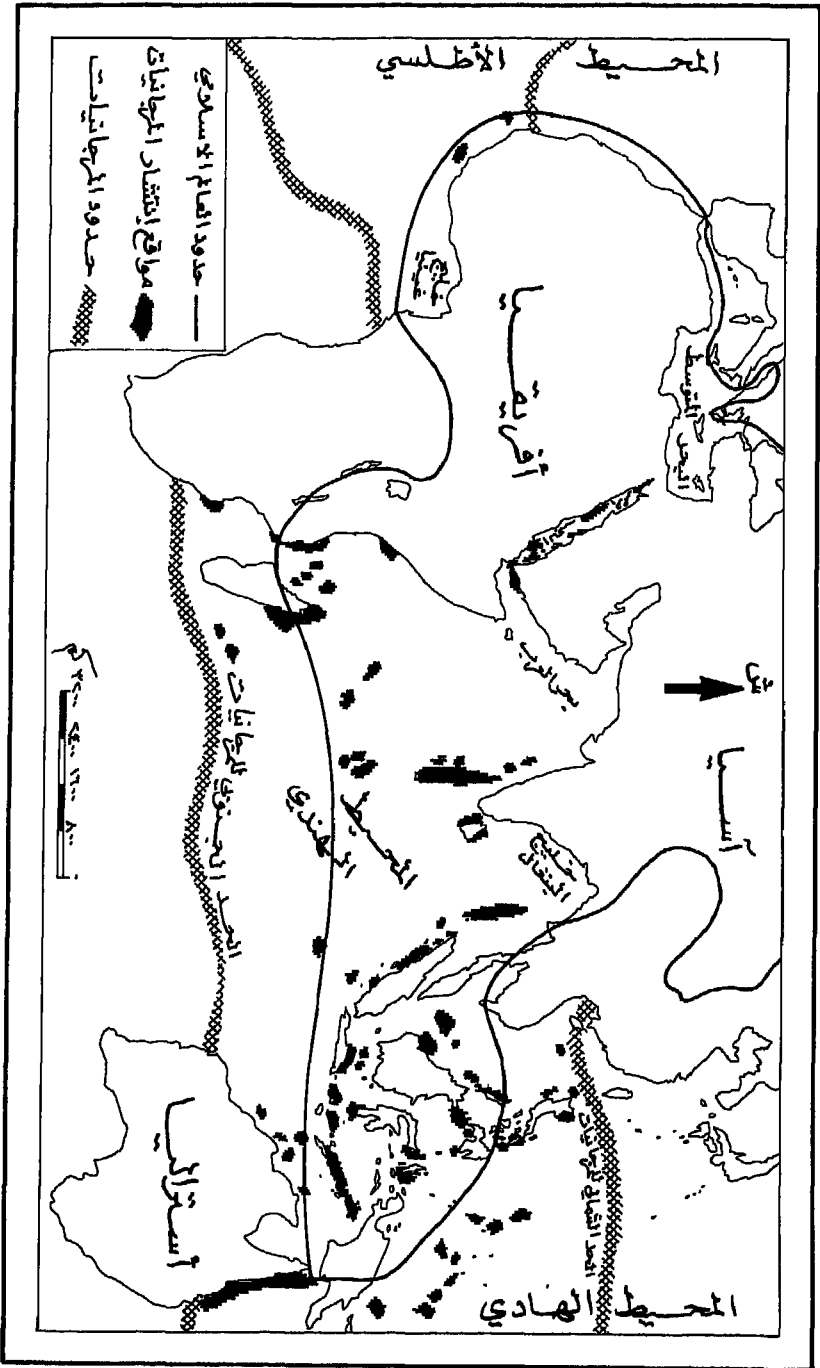
سواحل دالات غربي الهند وأجزاء قصيرة من سواحل الخليج العربي الغربية في البحرين والإمارات والسعودية .

وبعد انقطاعها على سواحل بحر العرب وخليج عدن والبحر الأحمر ، تظهر سواحل القرم (المانجروف) على سواحل تنزانيا على شكل متقطع . وتعود للظهور في خليج غينيا على سواحل الكمرون ودلتا النيجر وعلى شكل متقطع في باقي سواحل إفريقيا الغربية على خليج غينيا ثم على سواحل سيراليون وحتى مدينة داكار في السنغال .

٤ - سواحل الأخوار ومصاب الأنهار :

وهي سواحل منخفضة تصب فيها أنهار وتتهي فيها أودية ذات مستويات أدنى من مستويات مياه المد البحري العالي ، مما يجعلها تدخل المصاب إلى مسافات متباينة . وتكثر هذه السواحل المعروفة بسواحل الأخوار على سواحل الخليج العربي وفي كثير من سواحل العالم الإسلامي المنخفضة وهي وثيقة الصلة بسواحل المستنقعات والدالات وتوجد حيث تنتشر هذه النماذج وتتداخل معها كما في سواحل سومطرة وكليمنتان وإيربان الغربية الجنوبية وسواحل شرقي خليج البنغال والمصاب والدالات التي مر ذكرها . ويكثر تفاغم القنوات المائية في الدالات ومصاب الأنهار المهمة بحيث تصبح أجزاء كثيرة من الساحل جزراً أو أشباه جزر منخفضة تقع تحت رحمة الفيضانات النهرية وغمر الطوفانات الاعصارية البحرية المدارية كما توجد على سواحل غربي إفريقيا بين السنغال وليبيريا .

وللتيارات الساحلية على السواحل الرملية والوحلية والمنخفضة أثر واضح في رسم نموذج آخر من هذه الزمرة ، هو نموذج سواحل الليدو أو الحيل أو اللاغون (المستنقعات الساحلية المالحة) التي تكثر على السواحل الممتدة غربي دلتا نهر النيجر حتى سيراليون . وينطبق ذلك على ساحل دلتا النيل بشكل أو بآخر ، كما توجد على السواحل الغربية والجنوبية من الخليج العربي حيث يشيع اسم (الحيل) .



شكل (٥) إنتشار المذاهب في بحار العالم الإسلامي وحدوده

وإضافة إلى ما تقدم من نماذج السواحل ، فإن بقية السواحل المنخفضة في العالم الإسلامي هي نتاج عمليات ترسيب للمواد الناعمة والطرية القادمة من البر ومن البحر أو العضوية المنشأ في طبوغرافية سهلية منبسطة ذات فروق ارتفاعات قليلة في البر وتحت الماء في نطاق الرصيف القاري . وعلى العموم فإن هذه السواحل تخضع لأعمال النقل والترسيب بالدرجة الأولى وتراجع أعمال الحت والتعرية ، خلافاً لما عليه حال جيومورفولوجية السواحل الصخرية العالية ، حيث يكون الحت والنحت والتآكل هو العامل النشط في رسم أشكال تضاريس . كما أن السواحل المنخفضة في خطوطها العامة أكثر استقامة من السواحل العالية والصخرية الغنية بالتعاريح .

أما فيما يتعلق بالجزر ، ففي العالم الإسلامي دول مؤلفة من أرخبيلات من الجزر الكبيرة والصغيرة كإندونيسيا وعدد جزرها ١٣٦٧٧ أو من الجزر المتوسطة والصغيرة (المالديف ١٠٨٧ ، وجزر القمر ٤) وكذلك أرخبيل لاكاديف التابع للهند وأغلبية سكانه مسلمون ، وكذلك جزر جنوب الفلبين حيث الأكثرية إسلامية (منداو وسولو وبالادان وما يحيط بها من عشرات الجزر) .

ويقل عدد الجزر على سواحل بحر العرب إلا من جزر سقطرى والحلانيات (خوريا - موريا) وجزر صغيرة أخرى ، كذلك توجد جزر قليلة قبالة ساحل شرقي إفريقيا الإسلامية أهمها جزر زنجبار ومبا وما فيه والقمر .

أما في الخليج العربي فتظهر أعداد من الجزر ولاسيما في مياهه الجنوبية وقبالة ساحل الإمارات وقطر ثم البحرين وأرخبيلها ، إضافة إلى العديد من الجزر الساحلية على الساحل الغربي للخليج العربي . ويغلب على هذه الجزر أنها منخفضة إلا القليل ، بينما جزر الساحل الإيراني عالية وأوسع . لكن أعدادها أقل ، والقسم الأكبر منها من أصل مرجاني ، وبالذات الجزر المنخفضة ، أما العالية فهي إما صخرية عالية أو قبات ملحية بنائية .

وتكثر الجزر المرجانية وغير المرجانية في البحر الأحمر ، وتعد بالعشرات حيث تؤلف في الجنوب أرخبيلات حنيش وفرسان وقمران ودهلك ، وفي الوسط أرخبيل سواكن وفي الشمال شدوان وتيران . عدا عشرات الجزر من الصخور والشعاب المرجانية على ساحلي البحر .

أما في مياه المحيط الأطلسي فالجزر الإسلامية أو الواقعة قبالة سواحل إسلامية قليلة ، منها بيوكو والجزر الرملية المنخفضة المصاغبة لساحل خليج غينيا أو قبالة ساحل سيراليون وغينيا بيساو والسنغال .

وفي البحر المتوسط عدد من الجزر الإسلامية الصخرية على ساحل المغرب العربي ، ثم جزر خليج تونس والحمامات وقابس . وبعض الجزر الصخرية أمام ساحل بلاد الشام ، مع جزيرة قبرص . وتكثر الجزر الصخرية والعالية في بحر إيجه قبالة السواحل التركية الغربية .

وتقسم الجزر الإسلامية إلى مجموعتين من حيث وجهة النظر التضاريسية هما :

١ - الجزر العالية والجبلية :

وهي الجزر البركانية الأصل أو القرية من سواحل عالية جبلية وصخرية قاسية . وقد تكون عبارة عن قباب ملحية بنائية ، ويغلب عليها أن تكون مساحتها كبيرة حتى كبيرة جداً كما في جزيرة كليمنتان أكبر جزر العالم الإسلامي (١٨ . ٧٣٧٠ كيلو متر مربع) وهي ثالث أكبر جزيرة في العالم بعد جرينلاند وغينيا الجديدة .

٢ - الجزر المنخفضة :

وهي الأكثر عدداً لكنها ليست الأوسع مساحة في جزر العالم الإسلامي ، وهي جزر منبسطة قد تعلوها تلال منخفضة ، أغلبها من أصول مرجانية أو ترسبات رملية حصوية أو عضوية ، تكون قريبة من السواحل وبين الجزر الكبيرة . والمياه المحيطة بها قليلة العمق خلافاً للجزر العالية المحاطة بمياه عميقة في أغلب الأحيان . ومن الجزر المنخفضة الواسعة الانتشار في نطاق تكوّن المرجانيات ، الجزر الحلقية

المعروفة بالآتول التي تكثر في أرخبيلات جزر المحيط الهندي وإندونيسيا .

إن جزر العالم الإسلامي وإن كانت تعد بالآلاف فإن المأهول منها قليل ويقتصر على الجزر الكبيرة ، وحيث تتوافر شروط الحياة من مياه عذبة (ينابيع أو مياه أمطار أو آبار . . .) وموارد عيش طبيعية أخرى .

هذا وتضم جزر العالم الإسلامي عدداً كبيراً من جزر لا يعدو كونها صخورات صغيرة تعلوها مياه المد العالي . وأخيراً فإن أعداد الجزر غير ثابت لما تتعرض له من زوال أو نشوء من جراء الحركات البنائية ولاسيما الجزر المرجانية والجزر البركانية التي قد تختفي وقد تظهر .

من جانب آخر فإن في العالم الإسلامي أهم الممرات البحرية الطبيعية ذات القيمة التجارية والاستراتيجية الكبرى في العالم باستثناء قناة بنما الاصطناعية أصلاً . وهذه الممرات هي مضيق جبل طارق وباب المندب وهرمز وملقة إضافة إلى قناة السويس الاصطناعية . أما مضيقا البوسفور والدرديل فهما أهمية إقليمية بين العالم الإسلامي وأوروبا . كذلك توجد ممرات بحرية كثيرة بين جزر أرخبيل إندونيسيا وماليزيا والفلبين وأستراليا لها أهمية قليلة بل ومحلية محدودة . ويمكن إلقاء بعض الضوء على أهم الممرات البحرية وذلك على النحو التالي :

١ - مضيق جبل طارق :

هو أكثر الممرات حيوية ونشاطاً طوله نحو ٥٨ كم بعرض ١٢ر٥ كم وعمق المياه الأقصى فيه هو ٩٣٥ متراً ، والأدنى ٣٢٠ متراً . وله دور طبيعي في تعويض نحو ٧٥٪ من المياه المتبخرة من البحر المتوسط ، إذ يسمح بدخولها من المحيط الأطلسي ، وهو ممر دولي بين أوروبا والعالم الإسلامي يربط بالبحر المتوسط بالمحيط الأطلسي . عرف بالزقاق في التراث الإسلامي ، ينسب اسمه إلى طارق بن زياد منذ عام ٩٣هـ (٧١١م) .

٢ - مضيق باب المندب :

نشأ نتيجة حركة بنائية صدعية ، يربط البحر الأحمر بخليج عدن فالمحيط الهندي ، عرضه بين إفريقيا وآسيا ٢٦ كم ، فيه جزيرة بريم (ميون) اليمينة التي تمر السفن العابرة للمضيق إلى الغرب منها . عمق المياه فيه ١٠٠ - ٢٠٠ متر ويقدر عدد السفن العابرة بنحو ٢٠٠٠٠٠ سفينة سنوياً . وقد ازدادت أهمية باب المندب بعد حفر قناة السويس .

٣ - مضيق هرمز :

يربط الخليج العربي والمحيط الهندي ويقع بين نهايات جبال عُمان وجبال إيران ، عرضه في أضيق أجزائه ٣٩ كم بعمق ٧٠ - ٩٠ متراً . وترتبط أهميته بوجود أكبر منتجي ومصدري النفط والغاز في العالم في هذا الجزء من العالم الإسلامي . تعبره ناقلات النفط العملاقة ، ويقدر أن نحو ٨٠ سفينة تعبره يومياً . وترجع نشأته إلى الحركات المولدة لجبال المنطقة وعمليات غمر مياه البحر لتضاريسها .

٤ - ممر ملقة :

يربط بين عالمي المحيطين الهندي والهادي بين شبه جزيرة ملقة وجزيرة سومطرة ، وهو ممر طويل عرضه في أضيق نقاطه نحو ٦٠ كم ، تكثر الجزر في نهايته الجنوبية الشرقية مقابل سنغافورة . وهو من أقدم الممرات ذات الأهمية التجارية والثقافية الرابطة بين العالم الإسلامي في جنوب شرقي آسيا وبقية أنحاء دارة الإسلام غربه . ترجع نشأته إلى غمر المياه البحرية لأرخبيل جزر جنوب شرقي آسيا ورصيفها القاري كما تقدم ذكره .

٥ - البوسفور والدردينيل :

بمران طبيعيان ، طول البوسفور نحو ٢٧ كم وعرضه ٦٤٠ متراً في أضيق أجزائه وعمق مياهه ٧٠ متراً ، فيه تيارات بحرية سريعة نسبياً . أما طول الدردينيل

فهو ٥٨ كم وعرضه ٨٦٨ متراً في أضيق أجزائه ، وعمق مياهه يتراوح بين ٥٠ - ٩٠ متراً . ويفصل بين الممرين بحر مرمرة .

٦ - قناة السويس :

إن قناة السويس وإن كانت صناعية لا تدخل في هذه الدراسة الطبيعية الصرفية ، فإن حفرها سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) بطول ١٩٣,٥ كم وعرض ٣٠٠ متر ثم ٣٥٠ متراً بعد التوسيع سنة ١٤٠١هـ (١٩٨٠م) ، منح ممرات العالم الإسلامي أهمية كبيرة جداً ، لما حققته القناة من ربط بحري بين أقصى الشرق الإسلامي وأقصى غربه .

سابعاً : البحار :

يطل العالم الإسلامي على محيطات العالم الكبرى ، الهادي والهندي والأطلسي ، وبحارها المفتوحة عليها والمتصلة بها . ويعد المحيط الهندي أهم هذه الكتل البحرية لما له من دور فعال في الأوضاع الجغرافية الطبيعية ولاسيما المناخية السائدة على العالم الإسلامي ، وكذلك في قيامه بدور صلة الوصل بين أنحائه المختلفة . ويمكن دراسة بحار العالم الإسلامي على النحو التالي :

١ - تضاريس بحار العالم الإسلامي :

تتألف بحار شرقي العالم الإسلامي من بحار ضحلة في نطاق الرصيف القاري . في بحر الصين الجنوبي وعمقه (٢٢ - ٦٢ متراً) وبحر جاوة و بحر ملقة وغربي شبه جزيرة ملقة (٣١ متراً) ، وبين جزر إندونيسيا الأخرى وحولها حتى قوس وهدة جاوة وعمقها أكبر من ٦٠٠٠ متر . ويمتد الرصيف القاري بعمق ٤٦ - ٥١ متراً في بحر أرافورا ، وفي خليج البنغال (٥٩ متراً) ، وهنا يتكون مخروط انصباب ضخيم في أرض الخليج هو امتداد لدلتا الجانج - براهما بوترا . ويعود الرصيف القاري فيتسع على الساحل الغربي للهند ، ليضيق باتجاه

سواحل بحر العرب ، ليعود فيؤلف قاع الخليج العربي بعمق ٥٠ - ٧٠ متراً . وهنا يظهر مخروط انصباب آخر في قاع بحر العرب هو امتداد لدلتا نهر السند . كما تظهر في أرض المحيط الهندي الغربي سلاسل وظهيرات بحرية وأغوار وأحواض عميقة (حوض الصومال ٤٩٦٢ متراً) وهوة أميرانته (٥٢٧٣ متراً) . ويتألف أغلب قاع البحر الأحمر من رصيف قاري يتوسطه غور صدعي عميق (٢٠٠٠ - ٢٦٠٠ متر) .

أما على ساحل المحيط الأطلسي والبحر المتوسط فإن الرصيف القاري متباين العرض (٣ - ٥ - ٥٠ كم) لكنه قد يصل إلى ٢٠٠ كم في سواحل سيراليون - السنغال وساحل تونس الشرقي . ويتصل الرصيف القاري بأحواض بحرية مختلفة الأعماق تتراوح بين ١٠٠٠ - ٣٠٠٠ - ٤٠٠٠ متر ، تفصل بينها في قاع المحيط أو البحر ظهيرات أو سلاسل جبال تقسمها إلى أحواض أصغر . هذا وللرصيف القاري قيمة كبيرة في العالم الإسلامي لغناه بمكامن النفط والغاز .

٢ - مياه بحار العالم الإسلامي :

تعد مياه المحيط الهندي والبحار الإندونيسية دافئة نتيجة موقعها من العروض الجغرافية ، وتذبذب خط الاستواء الحراري مدأً وجزراً على طولها . وتدعم درجات حرارة المياه التي تتراوح بين ٣٠ - ٣١ درجة مئوية ، ما تظهره الخرائط الحرارية المصنوعة بتقنيات الاستشعار عن بُعد ، إذ أظهرت خريطة عام ١٤١٤هـ (١٩٩٣م) وجود بؤر ماء واسعة ذات حرارة قدرها ٣٠ درجة مئوية في البحر الأحمر و٣٤ درجة مئوية في الخليج العربي في فصل الصيف . وتقل درجات الحرارة على سواحل الصومال وشمال غربي المحيط الهندي نتيجة التيارات المائية الصاعدة أو القادمة إليها من عروض أعلى .

إن حرارة مياه المحيط الهندي هذه وتوزع البر والبحر في هذه العروض الجغرافية تؤثر في مناخات العالم الإسلامي تأثيراً كبيراً ولاسيما في النظام المناخي للموسميات .

ونتيجة للأوضاع الحرارية ومقادير المياه العذبة الداخلة في المحيط الهندي ، ترتفع ملوحة مياهه إلى نحو ٣٦ بالآلف ولأعلى من ذلك في بحاره الهامشية في

الشمال الغربي الجاف القليل الأمطار والأنهار ، مقابل ملوحة أقل في الشرق حيث الأمطار الغزيرة والأنهار الكبيرة .

أما التيارات البحرية فتخضع لحركات التيار الاستوائي الشمالي والجنوبي ، والتيار المعاكس لهما ، وخضوع هذه الحركات لمواقعها على جانبي خط الاستواء وتأثرها بقوة انحراف الأجسام المتحركة (كوريوليس) .

وفيما يخص العالم الإسلامي على المحيط الهندي ، فإن حركة التيارات هذه شمال دائرة العرض ١٠° جنوباً تخضع لآلية الرياح الموسمية ، فتتحرك في الصيف من الشرق نحو الغرب فالشمال الغربي فالشمال الشرقي مع حركة عقارب الساعة ، ولاسيما في البحر العربي حيث يلحتم التيار الموسمي مع تيار الصومال . أما في الشتاء فتسود تيارات تتجه غرباً حيث تتفرع شمالاً وجنوباً باصطامها بجزيرة مدغشقر وساحل إفريقيا الشرقي ، وتكون سرعة التيارات هذه عالية في الصيف تصل إلى أكثر من عقدتين في الساعة وسطياً ، علماً أن أكبر سرعة مسجلة هي ٦ عقد في الساعة وكان ذلك في شهر أغسطس ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) عند دائرة العرض ٨ شمالاً .

أما خصائص مياه بحار المحيط الهندي فهي كالآتي :

١ - البحر الأحمر :

وهو بحر ضيق طوله ١٩٣٣ كم وعرضه ٣٠٦ كم وحجم مياهه نحو ٢٥١٠٠٠ كيلو متر مكعب ، حرارات مياهه عالية في الصيف (٢٧ - ٣٢ درجة مئوية) وأقل من ذلك في الشتاء (٢٢ - ٢٦,٥ درجة مئوية) ، والتبخر فيه شديد يقدر بـ ٢٥٠٠ ملم سنوياً مما يفسر الملوحة الزائدة لمياهه (٣٦,٥ - ٤٠,٥ بالآلف). وتقدر خسارة البحر بنحو ١٠٠٠ كيلو متر مكعب من المياه سنوياً تعويضها مياه قادمة من المحيط الهندي . أما حركة المياه فمعقدة جداً ، لكنها مع هذا تظهر اتجاهها عاماً للمياه من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي صيفاً وعكسه شتاءً .

ب - البحر العربي :

والسيادة فيه هي للتيارات الموسمية ، إذ تدفع الموسميات الشتوية بالمياه نحو الجنوب فالغرب فيدخل التيار خليج عدن ، وفرع منه يساير ساحل الصومال الشرقي . أما في الصيف فيخرج التيار من خليج عدن نحو الشرق مع انحراف نحو الجنوب . وتراوح درجات المياه الصيفية بين ٢٨ - ٣٠ درجة مئوية وأقل من ذلك على السواحل العربية وشرقي إفريقيا (٢٤ - ٢٥ درجة مئوية) ، وتراوح في الشتاء بين ٢١ - ٢٣ درجة مئوية . وتقع ملوحة المياه بين ٣٥,٤ بالآلف في الشرق و ٣٦,٥ بالآلف في الغرب . وكتلة مياه البحر هي نحو ١٠ ملايين كيلو متر مكعب .

ج - الخليج العربي :

تقدر كتلة مياهه بـ ٦ آلاف كيلو متر مكعب ، يتلقى مياهاً عذبة في الشمال، والتبخر فيه مرتفع والرطوبة عالية . وتراوح درجات مياهه بين ١٥ - ٢١ درجة مئوية في الشتاء و ٣٠ - ٣٣,٨ درجة مئوية في الصيف . وتراوح ملوحتها بين ٣٧ - ٣٨ بالآلف جنوباً و ٤٠ - ٤١ بالآلف في الغرب والشمال الغربي ، تنخفض إلى ٣٠ بالآلف قرب مصب شط العرب . أما حركة التيارات البحرية فيه فدورانية تدخل من مضيق هرمز نحو الشمال مسايرة الساحل الإيراني وتعود إليه نحو الجنوب مسايرة الساحل العربي . وحركة المد والجزر فيه واضحة تراوح بين ١,٦ متر في الوسط و ٣,١ أمتار في الجنوب و ٣,٤ أمتار في الشمال .

د - خليج البنغال :

وتسوده الشروط المدارية الموسمية مع تأثير المياه العذبة التي يحملها نهر الجانج - براهما بوترا إلي مياهه فتتخفض ملوحتها إلي ٣٠ بالآلف و ٢٠ بالآلف قرب المصب . أما حرارة المياه فتراوح بين ٢٤ درجة مئوية شتاءً و ٢٨ درجة مئوية صيفاً وقد

تصل إلى ٣٠ درجة مئوية . وحركة التيارات فيه دورانية أيضاً تتحرك باتجاه عقارب الساعة ومعها . ويتأثر خليج البنغال والبحر العربي بوصول أعاصير مدارية مدمرة إلى حوضيهما .

هـ - البحار الإندونيسية :

عبارة عن سلسلة من البحار المتوسطة المتداخلة بين آلاف الجزر . وتؤلف بحراً انتقالياً بين المحيط الهادي والمحيط الهندي . من بحاره بحر جاوة وبحر مكسر ، وسولاويسي وسيرام وباندا وأرافورا وتيمور وبحار أخرى صغيرة ، يضاف إليها بحر الصين الجنوبي . وهي بحار استوائية يمر في وسطها خط الاستواء ، مياهها على الهوامش عميقة وبين أغلب الجزر ضحلة وتؤلف رصيفاً قارياً ، وهي مياه دافئة بصورة عامة وتسخن حتى القاع في البحار الضحلة . وتراوح درجات الحرارة بين ٢٧ - ٣٠ و ٢٩ - ٣٠ درجة مئوية . لكن البحر الإندونيسي يتلقى مياهها باردة نسبياً عن طريق فتحات تربطه بالمحيط الهادي . فتصل المياه الباردة إلى بحر الملوك وسيرام وباندا وهالماهيريا . لكن الممرات الأساسية لدخول مياه المحيط الهادي هي عن طريق بحر الملوك وسولاويسي . وتحوم ملوحة المياه حول المعدل العام لمياه البحار (٦, ٣٤ - ٣٥ بالآلف). أما حركات التيارات البحرية فترتبط باتجاهات التيارات الهوائية والرياح التي تغلب عليها الرياح الشمالية في الشتاء والرياح الجنوبية في الصيف .

من ناحية أخرى فإن مياه المحيط الأطلسي تختلف عن مياه المحيط الهندي بامتدادها على العروض الشمالية والجنوبية مما يجعل مياه الأطلسي على اتصال بالبحار الباردة ويسمح بحركة مياه وتيارات متماثلة الألية تقريباً على جانبي خط الاستواء .

فدرجات الحرارة تتناقص في مياه العالم الإسلامي الأطلسية باتجاه الشمال وترتفع باتجاه النطاق الاستوائي في خليج غينيا . ويتأثر هذا التوزيع بالتيارات المائية المحيطية الأفقية وبحركة المياه الصاعدة . وللدوامة المائية المتفككة مع حركة عقارب الساعة في الأطلسي الشمالي دور بارز في تشكل تيار الكناري البارد الذي يسير من الشمال نحو الجنوب مسائراً لسواحل المغرب وموريتانيا حتى السنغال حيث يتفرع إلى

تيار جنوبي غربي يندمج مع التيار الاستوائي الشمالي المتجه غرباً مبتعداً عن العالم الإسلامي ، و تيار جنوبي شرقي فشرقي يؤلف تيار خليج غينيا الدافئ . ويدعم التيار الاستوائي المعاكس حركة التيار المتجه شرقاً إلى خليج غينيا .

أما في الجنوب فتصل نهايات تيار بنغويلا البارد القادم من الجنوب باتجاه الشمال قريباً من خليج غينيا ، لكن تأثيره على مياه العالم الإسلامي يبقى محدود الأثر .

أما ملوحة مياه الأطلسي فهي بحدود النسبة العامة ٣٥ بالآلف وحرارة مياهه السطحية تتفق والعروض الجغرافية ونطاقاتها المناخية .

و - البحر المتوسط :

يقدر حجم مياهه بنحو ٣,٨ ملايين كيلو متر مكعب ، يتصل بالمحيط الأطلسي والبحر الأسود بممرات طبيعية (جبل طارق والدرديل - والبوسفور) وبالبحر الأحمر بوساطة قناة السويس . ولموقعه في العروض فوق المدارية تأثير كبير في خصائص مياهه وأهميته بالنسبة للعالم الإسلامي .

تقع حرارة مياه البحر المتوسط بين ٢٠ درجة مئوية في الغرب و ٣٢ درجة مئوية في الشرق صيفاً ، وبين ١٢ و ١٨ درجة مئوية شتاءً ، وتتفق الملوحة مع درجات الحرارة فتكون ٣٦ بالآلف في الغرب و ٤٠ بالآلف في الشرق ، لكنها تقل عن ذلك عند مصاب الأنهار . وتنخفض حرارة البحر الأسود إلى ٢١ - ٢٥ درجة مئوية صيفاً و ٥ - ٩ درجات مئوية شتاءً ، والملوحة العامة إلى ٣٥ بالآلف .

تتحرك تيارات المياه في البحر المتوسط من الغرب نحو الشرق بمحاذاة سواحله الجنوبية ثم نحو الشمال على امتداد سواحل بلاد الشام ، ونحو الغرب على طول السواحل الشمالية . وتتفرع عن هذه الحركة العامة دارات عديدة ، كما يخرج منها تيار يدخل البحر الأسود يساير سواحله بحركة تتم بعكس حركة عقارب الساعة .

٣ - الحياة العضوية في بحار العالم الإسلامي :

الحياة العضوية في مياه البحار الإسلامية غنية ومتنوعة تنوع مواقعها ومناخاتها وخصائص مياهها الطبيعية والكيميائية وحركاتها . ففي المحيط الهندي وبحاره أنواع كثيرة جداً من الأسماك والقشريات والمرجانيات وغيرها مما يعيش على ثروة المياه من البلاكتون ، الذي تصل كميته إلى ٧٠٠ ميلليجرام في المتر المكعب في البحر العربي والخليج العربي والمياه غرب الهند . ويعرف نحو ١٠٠ نوع حيواني رئيس في خليج البنغال ، بينما تقفز الأرقام في البحار الإندونيسية إلى أكثر من ٤٠٠٠٠ نوع من الأسماك والقشريات والمرجانيات والشوكيات الجليدية وغيرها ، تضمها عشرات الأسر الرئيسة ، كما تكثر النباتات البحرية ولاسيما في المياه الضحلة وحول الشعاب المرجانية والسواحل المنخفضة .

أما في المحيط الأطلسي فالحياة العضوية على امتداد العالم الإسلامي ، أفقر بصورة عامة بالأسر والأنواع الحيوانية والنباتية ، وينطبق ذلك على مياه البحرين المتوسط والأسود ، الفقيرة بالعناصر العضوية اللازمة لحياة الكائنات الحية البلاكتونية ونموها، الأمر الذي يفسر الشفافية العالية لمياه البحر المتوسط البالغة ٦٠ - ٧٠ متراً.

ثامناً : التربة :

تغطي صخور العالم الإسلامي طبقة من التربة مختلفة السماكة تزداد في مكان وترق في آخر ، وقد تنعدم كلياً في أماكن ، وبصورة خاصة على المنحدرات الشديدة . وبحسب عوامل نشأتها وتشكلها المعروفة وهي الصخر الأم والمناخ والتضاريس والحياة العضوية ، تتنوع ترب العالم الإسلامي وتختلف . ويمكن دراسة ذلك على النحو التالي :

(١) عوامل تكوين ترب العالم الإسلامي :

يؤثر كل عامل من عوامل تكوين التربة بنسب متفاوتة ، بحسب اختلاف

أنواع الصخور والعضويات والنطاقات المناخية والتضاريس إضافة إلى عامل الزمن في أرجاء العالم الإسلامي . وتبقى الغلبة في معظم الحالات للعاملين ، العضوي والمناخي في تكوين النطاقات التربية في العالم الإسلامي . ويظهر ذلك في بروز دور الأثر النطاقي المناخي - النباتي في تعاقب النطاقات التربية في إفريقيا الإسلامية بشكل خاص . حيث تتألى النطاقات التربية على هيئة أشرطة من سواحل البحر المتوسط وحتى خط الاستواء .

يتجلى دور الصخور الأم في تكوين الترب ونشأتها ، بالتنوع الكبير لأنواع الصخور في العالم الإسلامي ، ففيه الصخور الرسوبية والمتحولة والنارية الباطنية والاندفاعية - البركانية ، وفيه الصخور الطرية والقاسية والحديثة والقديمة . . . وغيرها . وجميع هذه الصخور لا تخضع في توزيعها إلى نظام واحد محدد ، على الرغم من ظهور بعض أشكال نطاقية عامة على امتداد محاور الجبال الالتوائية الحديثة . وبالتالي فإن أثر الصخور في تكوين الترب في العالم الإسلامي وتوزيعها يبقى محلياً غير نطاقي في أغلب الحالات .

وتتفق التضاريس وانحدارات سطوحها مع صخورها ، فتشتد الانحدارات في الأنحاء الجبلية والعالية فترق التربة أو تنعدم ، بينما تصبح الأرض ضعيفة الانحدارات في السهول والهضاب المنبسطة وفي الأحواض ، مما يسمح بتشكيل التربة .

ويظهر عامل الزمن واضحاً في ترب الأراضي القديمة جداً في العالم الإسلامي ، التي ظلت بتماس مع العوامل الخارجية المناخية والعضوية مئات ملايين السنين ، حيث تنتشر ترب قديمة في الداخل المنبسط على سطح أغلب الأراضي الأولية والثنائية العمر . كذلك يظهر دور عامل الزمن في الترب الحديثة المرافقة للبراكين الناشطة الرباعية العمر ، كما في الشرق الإسلامي .

ومع هذا يبقى دور العامل المزدوج - المناخ والعضويات - مؤثراً سياسياً في ترب العالم الإسلامي ، بحيث يعكس توزيعها النطاقي لمجموعات الترب من نطاق السودان في العروض المعتدلة - الباردة في الشمال حتى نطاق الترب المدارية في

الجنوب . هذا وتجدر الإشارة إلى وجود مجموعات من أشباه الترب تسود مساحات واسعة من العالم الإسلامي مثل الصحاري الرملية والحجرية والحصوية والسبخ والشطوط وحيث القشرات الصحراوية والملحية .

(٢) أنواع الترب وتوزيعاتها الجغرافية :

تقسم ترب العالم الإسلامي إلى زمر الترب النطاقية ، والترب اللانطاقية، وبين النطاقية (البينية) ثم زمرة الترب الجبلية وذلك على النحو التالي:

أولاً : الترب النطاقية وتوزيعها :

وهي مجموعة الترب المتأثرة بالعامل المناخي - العضوي أكثر من أية مجموعة تربية أخرى ، وتتفق في توزيعها مع توزيع النطاقات المناخية في العالم الإسلامي وهي :

أ - نطاقات ترب العروض العليا :

وتنتشر أنواع ترب هذا النطاق في الأنحاء الشمالية من العالم الإسلامي ابتداء من أراضي كازاخستان الشمالية ، ويشتمل على :

* التربة السوداء المعروفة بـ (التشرونوزم) ، وهي تربة السهوب والأعشاب الطويلة في العروض شبه الرطبة القارية ، وهي غنية بالدبال ، وتزدهر فيها الحياة العضوية الحيوانية ، وتعد من أكثر الترب خصباً . ما يوجد منها في العالم الإسلامي هو أنواع ثانوية تمتد على هيئة أشرطة في أراضي كازاخستان ، حيث تسير حدودها الشمالية حتى سهوب كولوندا بين المجاري العليا لنهري إيرتيش والأوب ، كما توجد في منبسّات القفقاس الشمالي .

* التربة الكستنائية ، وهي تربة السهوب والأعشاب القصيرة في المناخ القاري شبه الجاف ، وتظهر في نطاق يلي نطاق الترب السوداء باتجاه الجنوب ، نسبة الدبال فيها أقل وتراوح بين ٢,٥ - ٤,٥ ٪ ، كما أن خصوبتها متدنية . وتنتشر في

سهوب كازاخستان والقفقاس الشمالي الشرقي ، وتصل جنوباً حتى دائرة العرض ٤٧ درجة شمالاً ، وتخرج من هذا النطاق ألسنة تصل حتى دائرة العرض ٤٥ درجة شمالاً وجزر منعزلة توجد على عروض ٣٨ - ٤٠ درجة شمالاً في الداخل الأناضولي .

* تربة السهوب الصحراوية البنية ، وتنتشر على نطاق عرضه نحو ٢٥٠ كم يقع جنوب النطاق السابق ويمتد من شمال بحر قزوين في الغرب حتى بحيرة بلخاش وجبال ترينغاي في الشرق ، وكذلك على طول شريط ضيق يساير أقدام الجبال المشرفة على حوض جونغارية من الجنوب ، كما تظهر في حوض تسايдам ، وهذه التربة منخفضة الخصوبة نسبة الدبال فيها ٢٪ تنمو فيها أعشاب جفافية (متكيفة مع الجفاف).

* تربة الصحاري الرمادية - البنية ، وهي تربة فقيرة نسبة دبالها ١٪ وأقل ، أملاحها مرتفعة النسبة ، تنتشر على نطاق يقع جنوب النطاق السابق بين بحر الخزر وبحر آرال ، وعلى مساحات تقع بين شرقي كازاخستان وشرقي حوض تاريم وشمالى جونغارية . كما تظهر في أحواض دشت كفير ودشت لوط وسيستان .

ب - نطاقات ترب العروض المتوسطة (فوق المدارية) :

وتشتمل على نطاقات الترب التالية :

* تربة السهوب الصحراوية الرمادية (السيروزوم) وتعرف بالتربة الرمادية لأشباه الصحاري والصحاري الهامشية أيضاً وهي نطاق السهوب الجافة وسهوب الشجيرات ، نسبة الدبال فيها ١ - ٢٪ ، غنية بالكلس وفقيرة بالأملاح ، ومع ذلك تتحول إلى تربة ملحية في المنخفضات المغلقة ، تنتشر على الهوامش الغربية لجبال آسيا الوسطى ، وهوامش جبال أفغانستان والباكستان ومكران وحول حوض كفيروسىستان وغربي جبال زاغروس وشمالى بلاد الشام ،

وتتداخل مع أنواع ترب أخرى في الصحراء السورية وشمالى الجزيرة العربية .
وتؤلف هذه التربة نطاقاً متصلاً يمتد من غرب دلتا النيل حتى المحيط الأطلسى ،
جنوب جبال الأطلس بعرض ٥٠ كم فى الشرق و ٣٥٠ كم فى الغرب .

* تربة الصحارى الهامشية والصحارى ، وهى تربة صحارى العروض فوق المدارية
حتى المدارية الجافة ، لونها رمادى غالباً مائل إلى الصفرة أو الحمرة، دبالها أقل
من ١٪ تنتشر على مساحات شاسعة من وسط وغربى العالم الإسلامى فى شبه
الجزيرة العربية والقرن الإفريقى والدناكل و عفار والصحراء الكبرى حتى دوائر
العرض ١٥ - ١٨ درجة شمالاً ، ويعد هذا النطاق مع نطاق الصحارى
الرملىة، أوسع نطاقات الأراضى الإسلامىة ، وتصل مساحتها إلى نحو ١٣
مليون كيلو متر مربع أى قرابة ٣٥٪ من مساحة العالم الإسلامى، وهى جرداء
غير صالحة للزراعة والإنتاج إلا فى الواحات وأودية الأنهار العابرة.

* تربة البحر المتوسط البنية والحمراء (تيرارورا) ، وتظهر هاتان الترتان متداخلتين فى
بقاع حوض البحر المتوسط فى إقليم الأطلس وفى برقة وغربى بلاد الشام
وشمالىها وفى طوروس وغربى آسيا الصغرى وفى قبرص ، وفى هضبة بوتوار
وشمالها فى أعالي وادى السند . والتربة المتوسطية البنية أوسع انتشاراً وتنشأ
على قاعدة صخور سيليكاتية غنية بالأحجار وفقيرة بالدبال ، أما التربة الحمراء
فيكثر ظهورها فى بقاع الأحراج والشجيرات المتوسطية على أرضية من الصخور
الكلسية والغنية بالحديد ، وترافق تربة التيرارورا - أحد أنواع التربة الحمراء -
بقاع انتشار التضاريس الكارستية .

ج- نطاقات الترب المدارية :

وتضم فى العالم الإسلامى الترب التالىة :

* الترب البنية والبنية الحمراء ، وهى ترب السافنا الشوكية ، الفقيرة بالدبال، تهطل

عليها أمطار صيفية تُنشط العمليات الكيميائية فيها . تنتشر في شريط يمتد من السنغال حتى حوض النيل في السودان بعرض يراوح بين ٢٥٠ - ٣٥٠ كم ، كما تظهر في هضاب القرن الإفريقي وفي بقاع متفرقة من تنزانيا ، وفي عُمان الشرقية والساحل الإيراني على خليج عمان .

* الترب البنية الحمراء والحمراء ، وتؤلف نطاقاً يقع جنوب النطاق السابق بين السنغال وحوض النيل أيضاً . كما تظهر في شرقي هضبة البحيرات من الصومال وكينيا وتنزانيا وفي شمالي الهند ووسط بورما . وهي مرتبطة بالأنحاء الرطبة من نطاق السافانا الجافة ، وبنطاق الغابات الجافة المدارية ، دبالها منخفض .

* الترب اللاتيرائية . وهي ترب حمراء تميز نطاقات الغابات المدارية المطيرة السافانا الرطبة والغابات الموسمية في العالم الإسلامي وخارجه ، وهي فقيرة بالدبال وتعاني من عمليات التجوية والغسل . وغنية بالحديد وأوكسيد الألمنيوم . وتنتشر في نطاقات الغابات السافانا على شريط يمتد من غربي إفريقيا حتى هضاب شرقي إفريقيا ، كما تظهر في تنزانيا وموزمبيق متداخلة مع ترب أخرى ، وكذلك في جزيرة مدغشقر . وتنتشر في جنوبي الهند وشمالها الشرقي وشمال شرقي خليج البنغال وفي أغلب أنحاء شبه جزيرة ملقة وفي جزر إندونيسيا ، ولاسيما في بورنيو وسومطرة وغيرها .

ثانياً : الترب اللانطاقية والبينية في العالم الإسلامي :

وتظهر الترب اللانطاقية في جميع النطاقات المناخية ، وهي ترب غير متطورة، أما الترب البينية فهي الترب المتأثرة بعوامل غير مناخية بالدرجة الأولى ، مع ظهور عامل المناخ في ارتباط توزيعها المبعثر بنطاقات مناخية معينة . أما المساحات التي تغطيها هذه المجموعة من الترب في العالم الإسلامي فمحدودة وصغيرة ومتفرقة ، وأهمها هي :

أ - الترب المبللة ،

وهي التي ترتفع فيها نسبة المياه الجوفية أو المحجورة فيها ، في أودية الأنهار والأحواض والأراضي ذات الصرف المائي السيء أو المعدوم ، منها :

* التربة المبللة الغنية بالمعادن ، وهي تربة لحقية (رسوبية) تتألف من الطمي الحديث في السهول النهرية الفيضية ، ومن أنواعها التربة النزازة (الجلي Gley) التي ترتفع فيها المياه المبللة لها حتى السطح . وتوجد هذه الترب المبللة في أودية أنهار السنغال والنيجر وروافده والنيل والشاري والفرات ودجلة والسندو الجانج - براهما بوترا وبقية الأنهار المهمة في آسيا الوسطي والقفقاس والأناضول .

* تربة المستنقعات - القرمية ، وتتألف من الوحول والغرين والرمال الناعمة على شكل مستنقعات عند مصاب الأنهار في العروض المدارية ، ترافقها أحراج شجيرات القرم (المانجروف) أو نباتات مستنقعية أخرى . على سواحل غربي إفريقيا وخليج غينيا وفي دالات السند والجانج - براهما بوترا وأنهار غربي الهند وحول خليج البنغال واندونيسيا .

ب - الترب القلوية والملحية ،

وهي ترب المناطق شبه الجافة والجافة ، تتوضع في المنخفضات والأحواض العديمة التصريف المائي حيث المياه الجوفية قريبة من السطح ، ومن أصنافها في العالم الإسلامي :

* ترب السولونتس ، وهي قلوية تظهر متفرقة في أنحاء كازاخستان وشمال القفقاس وهوامش الجبال المحيطة بجونغارية وتسايدام . وهي من أقل الترب خصوبة .

* تربة السولونتشاك ، وهي تربة ذات تركيز ملحي شديد ، يتشكل على سطحها قشرة ملحية في السبخ تنشر في الأحواض المغلقة في صحاري العالم الإسلامي وأشبه صحاريه ، في تسايدام وبيت بساك دالا وفي طوران وثار ولوط وكفير

وغربي شبه الجزيرة العربية والصحراء السورية وشمالى مصر وفي الدناكل وأحواض الصحراء الكبرى وشطوط المغرب .

* تربة الخبزاوات (التاكبر) ، وتتألف من مواد ناعمة حملتها المياه الجارية (السيول) ووضعها في المنخفضات الصحراوية وشبه الصحراوية المغلقة ، تتكون عليها قشرة دقيقة تشقق بالتجفف . تنتشر تربة الخبزاوات في منخفضات هوامش تاريم وجونغارىة وفي كازاخستان الشمالية . وهوامش جبال كويت - داغ وخراسان وفي سيستان وجنوبى السند وفي بادية الشام وأنحاء متفرقة من صحاري وأشباه صحاري دائرة الإسلام .

ج - الترب المتأثرة بالصخور والتضاريس :

وهي عبارة عن ترب حديثة وترسبات شبيهة بالترب وتضم :

* تربة الريفندورينا التي تتكون على صخور كلسية - مارلية ، نسبة الدبال والأحجار فيها عالية . تنتشر في جبال طوروس وجبال البحر الأسود في تركيا ، وفي بقاع صغيرة من حوض البحر المتوسط .

* تربة الاندوزول ، وهي تربة شابة تتكون على صخور بركانية وغنية بالغضار . يكثر وجودها في جبال سومطرة وجاوة وجزر إندونيسيا أخرى ، وفي بقاع في شرقي إفريقيا وفي جزر القمر .

* تربة الفرتيزول . أو التربة الداكنة الثقيلة ، ولها أنواع ثانوية مثل الكروموزول والريفوزول ، وتوجد في سهول ومنبسطات وأحواض غربي المغرب وجنوبه وأنحاء من حوض نهري النيجر والسنغال ، وفي حوض تشاد وأرجاء واسعة من السودان وأعالى النيل وشرق فيكتوريا وجنوبها ، وفي هضبة أثيوبيا . وفي أرجاء الهند الوسطى والشمالية الغربية وجنوبى الباكستان وغيرها .

د - الكشبان وحقول الرمال المتنقلة :

ولا تعد من الترب . بل تراكمات رملية تحركها الرياح ، وتغطي مساحات كبيرة جداً من صحاري العالم الإسلامي في تكلاماكان وطروان وثار وأفغانستان وإيران وشبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى .

ثالثاً : ترب الجبال :

تشتمل هذه الترب على أصناف متفرعة من أنواع الترب المتقدم ذكرها . كما يظهر عليها تعاقب نطاقاتها بالاتجاه العمودي بحيث يحل التسلسل النطاقي بالارتفاع محل التعاقب الأفقي في السهول والمنبسطة تبعاً للعروض الجغرافية والنطاقات المناخية - النباتية . لكن ترب الجبال تفتقر عن الترب المذكورة أعلاه في عدد من الأمور والخصائص هي : قلة سماكة التربة ، وغناها بالأحجار والشظايا الحجرية ، وعدم ثباتها ، وحركتها حركة تتناسب ودرجة انحدار السفوح ، وتوازن محتواها من الماء والهواء توازناً جزئياً ، وانخفاض خصوبتها، وتعرضها للحت والتعرية ولاسيما إذا كانت عارية من النباتات المثبتة لذراتها.

وأخيراً فإن مجموعات الترب وأصنافها وأنواعها وتوزيعاتها المذكورة فيما تقدم ، هي المجموعات والأنواع الرئيسة والعامية ، التي أمكن الإحاطة بها في إطار دراسة موسوعية محددة شاملة لمساحة شاسعة جداً . لذا وللإستزادة في هذا المجال وفي تفصيلات مجموعات الترب الثانوية يرجى الرجوع إلى البحوث الجغرافية الطبيعية الخاصة بكل بلد إسلامي على حدة .

المناخ

منح الخالق عز وجل العالم الإسلامي موقعاً جغرافياً فريداً ، وسعة في المكان كبيرة وامتداداً على عروض جغرافية كبيرة وإطلالاً على كتل مائية ضخمة ، مما جعله يتمتع بأكثر من نموذج مناخي ، يختلف باختلاف العوامل المؤثرة في مناخ العالم الإسلامي .

- العوامل المؤثرة في مناخ العالم الإسلامي :

(أ) الموقع الجغرافي والأبعاد :

يأتي موقع العالم الإسلامي واتساعه في مقدمة العوامل المؤثرة في مناخه ونماذجه . إذ تقدم الحديث عن موقعه الجغرافي على عروض جغرافية تزيد على ٦٨ درجة عرض ، مما جعله يمتد على نطاقات مناخية عديدة تبدأ من النطاق المناخي المعتدل والمعتدل البارد وتنتهي بالنطاق المداري - الاستوائي . كذلك فإن مساحة العالم الإسلامي الكبير تؤدي إلى اختلافات في شروط وصول الأشعة الشمسية إلى يابسته ، وما يتبع ذلك من حرارة وضغط جوي وحركات هواء .

(ب) الكتل المائية البحرية :

يتأثر مناخ العالم الإسلامي بالعلاقة التبادلية القائمة بين أكبر كتلة قارية يقع العالم الإسلامي في وسطها ، تضم آسيا وإفريقيا وأوروبا ، ومساحتها ٨٥٣ مليون كيلو متر مربع ، من جهة وأكبر كتلة مائية بحرية تشمل مياه المحيطات الثلاثة ، الهادي والهندي والأطلسي ومساحتها معاً بحدود ٢٢٦,٣ مليون كيلو متر مربع . إذ يختلف مدى توغل المؤثرات البحرية والمحيطية في اليابسة بحسب محاور التضاريس وحركات الهواء والرياح ، وكذلك بحسب القرب والبعد عن السواحل وأثر ذلك في ازدياد قيم قرينة القارية أو تراجعها . وفي ضوء توزيع الماء واليابسة في العالم الإسلامي تتوزع الحرارة وبقية العناصر المناخية . كما تقوم التيارات البحرية بدور واضح في إضفاء خصائص معينة على مناخات البقاع الساحلية المتأثرة بها مثل تيارات الكناري وبنغويلا وموزمبيق والصومال .

وللكتل المائية الضخمة دور مهم في نشأة مراكز للعمل الجوي ثابتة المواقع تقريباً ، مثل مراكز الضغط الجوي المرتفع الأزمدي وفي المحيط الهندي ، ومراكز الضغوط الجوية المنخفضة الأيسلندية والهندية - الباكستانية .

(ج) عامل التضاريس :

يستحيل تفسير الكثير من الأوضاع المناخية في العالم الإسلامي من دون أخذ هذا العامل بالحسبان . فمحاور التضاريس ولاسيما الجبلية قد تقف في وجه توغل مؤثرات معينة إلى القارة (جدار الهيمالايا أمام الموسميات الصيفية) ، وقد تتفق محاور التضاريس وخطوط سير الهواء وكتله فتصل المؤثرات إلى أعماق اليابسة (البحر المتوسط وجبال الأطلس والمنخفضات الجوية) .

وللتضاريس تأثير آخر ينشأ عن ارتفاعها فوق مستوى سطح البحر . فتقوم بتبريد الهواء بصعوده الجبال وتسخينه بهبوطه عنها . وفي الجبال الكبيرة والعالية تتعاقب النطاقات المناخية وتندرج حتى المناخات الباردة والجليدية كما في جبال الهيمالايا وجبال آسيا الوسطى وجبال القفقاس وغيرها .

وفي ضوء هذه العوامل والعوامل الأخرى الطبيعية والبشرية يمكن تفسير عناصر المناخ واستعراضها على النحو التالي :

الإشعاع والشمس والحرارة :

العالم الإسلامي ، باستثناء أنحائه الاستوائية في إفريقيا وجنوبه الشرقي ، من أكثر بقاع الكرة الأرضية سطوعاً وخلواً من الغيوم التي تحجب الأشعة الشمسية وتمنع وصولها إلى الأرض . حيث تراوح نسب التغميم فيه بين ٢٠ - ٥٠٪ سنوياً . وتقل عن ٢٠٪ في الصحاري المدارية ، لكنها تزيد على ٦٠٪ في أغلب البقاع الاستوائية (إندونيسيا وخليج غينيا) . وفي ضوء ذلك لا يقل متوسط عدد ساعات سطوع الشمس عن ٣٠٠٠ ساعة سنوياً . ويرقى لأكثر من ٣٦٠٠ ساعة في الصحاري المدارية وفوق المدارية . فالعالم الإسلامي من أشد بقاع العالم تسخيناً ، تؤكد معطيات المسح المناخي الأرضي والفضائي .

إن النتيجة الطبيعية لهذا الوضع الإشعاعي ، هي سيادة درجات حرارة مرتفعة نسبياً حتى عالية في أغلب الأنحاء ، تختلف بحسب اختلاف الموقع والارتفاع فوق سطح البحر والقرب والبعد عن البحر ، وتورع البر والبحر ، وبحسب الفصول وتعاقبها . كذلك توجد في العالم الإسلامي أعلى درجات حرارة سنوية يصل متوسطها إلى ٣٥ درجة مئوية في منخفض الدناكل ، وأقصى درجة حرارة مطلقة في العالم وقدرها ٥٧,٨ درجة مئوية ، سجلها موقع العزيزية في ليبيا في ١٣ سبتمبر سنة ١٩٢٢ م .

(أ) الحرارة في الصيف :

تنحيز النطاقات الحرارية في العالم الإسلامي في فصل الصيف نحو الشمال فينتقل خط الاستواء الحراري إلى النصف الشمالي للكرة الأرضية ، كما تسقط الأشعة الشمسية عمودية على مدار السرطان الذي يكاد ينصف يابسة العالم الإسلامي في ٢١ يونيو . لذلك تتسخن أرضه وجوه فتصل متوسطات الحرارة الفعلية في أنحاء الصحراوية علي جانبي مدار السرطان وفي بلاد الرافدين وشمال الخليج العربي وحوض السند إلى أكثر من ٣٨ درجة مئوية . كذلك تغطي المتوسطات السنوية للحرارة الفعلية بين ٢٥ - ٣٥ درجة مئوية مساحات واسعة من العالم الإسلامي ، ولا تقل عن ٢٥ درجة مئوية إلا في المناطق الجبلية والهضابية العالية ، حيث تنخفض إلى ١٠ - ١٥ درجة مئوية في أغلب الجبال ، بل وإلى أقل من (-٥) درجات مئوية في الجبال الشاهقة الارتفاع في جبال الهيمالايا وتيان شان وكون لون ، وفي المرتفعات الواقعة بين ٥٠٠٠ - ٦٠٠٠ متر . أما في الأحواض العالية فهي بحدود ٢٥ - ٣٠ درجة مئوية ، وأكثر من ذلك (٢٥ - ٣٥) درجة مئوية في الأحواض المنخفضة . وتعمل الأمطار الغزيرة والرطوبة العالية في الأنحاء الاستوائية الجبلية على خفض الحرارة الفعلية حتى متوسطات تراوح بين ١٥ - ٢٠ درجة مئوية سنوياً .

كذلك فإن درجات حرارة الأنحاء الواقعة إلى الجنوب من النطاق الاستوائي الحراري (وليس الجغرافي) في فصل الصيف هي أدنى من درجات حرارة الأنحاء الواقعة شماله . ويبين الجدول رقم (١) أعلى معدلات درجات الحرارة اليومية في محطات مختارة من العالم الإسلامي .

(ب) الحرارة في الشتاء :

تنخفض الحرارة في أغلب أنحاء العالم الإسلامي مع حلول فصل الشتاء وتحرك النطاقات الحرارية جنوباً ، وانتقال بؤر الحرارة العالية إلى مناطق قريبة من خط الاستواء في أعالي حوض النيل جنوبي السودان وأجزاء من إندونيسيا .

تسود البقاع الواقعة جنوب دائرة العرض ١٥ درجة شمالاً ، درجات حرارة فعلية تقع بين ٢٣ - ٢٥ درجة مئوية ، ولاسيما على الأراضي الممتدة على جانبي خط الاستواء كما في إفريقيا المسلمة وسواحل الهند في ملقة وإندونيسيا . لكن درجات الحرارة هذه تتراجع في أراضي العالم الإسلامي الواقعة في النصف الشمالي للكرة الأرضية لتصبح ١٥ - ٢٣ درجة مئوية فعلية في العروض المدارية حتى مدار السرطان . وتشمل نطاقاً يمتد في إفريقيا الإسلامية وهامشاً حول الجزيرة العربية وهضبة الدكن ، وفي مرتفعات شرقي إفريقيا وإندونيسيا .

ويستمر انخفاض درجات الحرارة الفعلية باتجاه نطاق شمالي يشمل الصحراء الكبرى وصحاري الجزيرة العربية وجنوبي إيران والبنجاب وجنوب جبال الهمالايا ، حيث تراوح بين ١٠ - ١٥ درجة مئوية . وتبرز في هذا النطاق بؤر باردة نسبياً يقل متوسط حرارتها عن ٥ - ١٠ درجات مئوية تظهر في وسط الصحراء الكبرى والصحراء السورية وفي شريط يحيط بالهضبة الإيرانية - الأفغانية وأحواضها .

جدول رقم (١) النهايات القصوى والدنيا لدرجات الحرارة اليومية .

أعلى معدلات الحرارة اليومية (يمين) وأدناها (يسار) في محطات مختارة (درجة مئوية)			
داكار ١٧/٣٢	تمبكتو ٣/٤٣	مراكش ٤/٣٨	أنقرة ٤- /٣١
باماكو ١٦/٣٩	نيامي ١٤/٤٢	تونس ٦/٣٣	مايكوب ٢٥- /٣٦
كوناكري ٢٢/٣٢	نجامينا ١٤/٤٢	طرابلس ٨/٣٠	باكو ١/٣٨
لاغوس ٢٣/٣٢	الخرطوم ١٥/٤٢	الإسكندرية ١١/٣١	طهران ٣- /٣٧
دار السلام ١٩/٣١	جدة ١٣/٤٢	سبها ٥/٣٩	كابل ٨- /٣٣
مقديشو ٢٣/٣٢	الرياض ٢١/٤٢	القاهرة ٨/٣٦	المانا ٥- /٢٧
عدن ٢٣/٣٥	المنامة ١٤/٣٨	أسوان ٦/٤٢	كاشغر ٢٠- /٤٠
بومباي ١٩/٣٣	كراتشي ١٣/٣٤	القدس ٥/٣١	
جاكرتا ٢٣/٣١	لاهور ٤/٤١	دمشق ٧/٣٧	
بالي ٢١/٣١	دكا ١٣/٣٣	بغداد ٤/٤٣	
نواكشوط ١٣/٣٤	الدار البيضاء ٧/٢٧	اسطنبول ٢/٢٨	

يلي ذلك وباتجاه الشمال نطاق حراري فعلي تراوح قيمته بين (٠ - ٥) درجات مئوية في الأناضول وصحاري طوران وفي أفغانستان والقفقاس والسفوح الجنوبية للهملايا . أما في الشمال الإسلامي فتسود درجات حرارة أقل من الصفر ، وتنخفض إلى (-٢٠) درجة في جبال آسيا الوسطى حيث الشتاء القارس والرياح الباردة جداً والثلوج .

أما درجات حرارة الربيع والخريف فانقلابية الطبيعة ترتفع درجاتها تدريجياً من نهاية الشتاء حتى الربيع وتنخفض تدريجياً من نهاية الصيف حتى الخريف . علماً أن الفصول الانتقالية غير طويلة ، تقصر وتطول بحسب النطاقات المناخية .

- وفي ضوء ما تقدم يمكن القول إن درجات الحرارة في العالم الإسلامي هي :
- ١ - مرتفعة في النطاقات المدارية والاستوائية ، بحيث تبقى المتوسطات السنوية لخطوط الحرارة المتساوية وفي الظل أعلى من ٢٠ درجة مئوية على مدار السنة ، ودون ذلك في المرتفعات .
 - ٢ - حرارة البقاع الشمالية فوق المدارية والمعتدلة - الباردة عالية صيفاً (أعلى من ٢٠ درجة مئوية) ومنخفضة شتاءً (٠ - ١٠ درجات مئوية) .
 - ٣ - تتمتع مرتفعات شرقي إفريقيا وإندونيسيا بدرجات حرارة معتدلة تراوح بين ١٠ - ٢٠ درجة مئوية مسواة وفي الظل على مدار السنة .
 - ٤ - مرتفعات العروض العالية نسبياً في آسيا الوسطى والقفقاس ، ذات صيف معتدل (١٠ - ٢٠ درجة مئوية) وشتاء بارد (دون الصفر المئوي) .
 - ٥ - الجبال والهضاب العالية جداً في آسيا الوسطى . ذات صيف بارد (دون الصفر المئوي) وشتاء بارد جداً .
 - ٦ - هضاب وصحاري آسيا الوسطى وإيران وأحواضهما ذات صيف حار وشتاء بارد (دون الصفر المئوي) .
 - ٧ - الصيف في باقي الأراضي الإسلامية حار (أعلى من ٢٠ درجة مئوية) ، والشتاء معتدل (١٠ - ٢٠ درجة مئوية) .
 - ٨ - تكون الفروق الحرارية الفصلية واليومية قليلة في النطاق المناخي الاستوائي - المداري ، تزداد باتجاه العروض العالية وباتجاه اليابسة القارية لتصل إلى قيم عالية في صحاري إفريقيا وآسيا الوسطى ، تظهرها أرقام محطات حوض تاريم (جدول رقم ٢) .

جدول رقم (٢) الحرارة القصوى والدنيا في حوض تاريم (بالدرجات المئوية)

الموقع	الحرارة القصوى المطلقة	الحرارة الدنيا المطلقة	المدى الحراري السنوي
خوتان	٤٢,٥	٢٠,٥	٦٣
تشرشن	٤١,٣	٢٥,٢	٦٦,٨
كوتشا	٤١,٥	٢٧,٤	٦٨,٩

الضغط الجوي والرياح في العالم الإسلامي :

تسود العالم الإسلامي ضغوط جوية تعكس الأوضاع الحرارية والتضاريسية فيه من حيث قيم الضغط وتوزع مراكزه وبؤر نشاطه بحسب الفصول والعروض الجغرافية ، والحركة العامة للهواء على الكرة الأرضية ، وتأثير القوانين الطبيعية وسواها من عوامل أخرى ، وذلك على النحو التالي :

أ - الضغوط الجوية ومراكز النشاط الجوي :

تخضع الضغوط الجوية في العالم الإسلامي لمؤثرات محلية مثل الاتساع الشاسع لأرجاء العالم الإسلامي ، ولموقعه الجغرافي ولتضاريسه وتوزعها ، وتوزع الماء واليابسة ، ولمؤثرات خارجية ترتبط بالأوضاع الجوية للكرة الأرضية في العروض والنطاقات المناخية المغطية لأرض العالم الإسلامي ومياهه (محيطاته وبحاره) . كما تخضع في تبايناتها لاختلاف الفصول وتعاقبها .

١ - الضغط الجوي في فصل الصيف :

إن النتيجة الطبيعية لغلبة اليابسة على العالم الإسلامي ، ولارتفاع درجات الحرارة فيه في فصل الصيف ، هي ميل الضغوط الجوية نحو الانخفاض لأقل من ٧٦٠ ملم (١٠١٣ ميلليبار) بصورة عامة ، مع نشوء بؤرة ضغط جوي منخفض أكثر في جنوب العالم الإسلامي هو المنخفض الجوي الهندي - العربي الذي تنخفض فيه

الضغوط إلى أقل من ٧٥٢ ملم (١٠٠٣ ميلليبار) . وبالمقابل تسود في المحيطات والكتل البحرية بالعالم الإسلامي من الجهات الأربع بؤر أو مراكز للضغط الجوي المرتفع ، هي المرتفع الجوي الآزوري في المحيط الأطلسي الشمالي ، ومرتفع الأطلسي الجنوبي ، ثم المرتفع الاسترالي - الهندي ، فمرتفع المحيط الهادي الجنوبي والشمالي . وبذا يكون العالم الإسلامي مسرحاً لضغوط جوية منخفضة تحيط به مناطق ضغوط جوية منخفضة في الصيف ، فيترتب على ذلك تحرك الهواء والرياح باتجاه العالم الإسلامي ، فتدخله الكتل الهوائية البحرية - المحيطية المدارية والقارية المدارية الدافئة من الجنوب ، والكتل الهوائية المعتدلة حتى الباردة ، وأغلبها من أصل قاري إلا في الغرب الإسلامي، قادمة من الشمال . وفي الصيف تكون الجبهة القطبية الهوائية الشمالية تراجعت شمالاً حتى شمالي آسيا الوسطى ، ويكون نطاق التلاقي أو الفاصل المداري لحق بها شمالاً حتى جنوب الصحراء الكبرى وجنوب جبال الهيمالايا .

وتبعاً لهذه الانزياحات تتأثر حركة الهواء والرياح الدائمة والموسمية والمحلية فتغير اتجاهاتها بحسب موقعها في النصف الشمالي أو الجنوبي ، وخضوع حركتها لقانون انحراف الأجسام المتحركة .

٢ - الضغط الجوي في فصل الشتاء :

يتميز فصل الشتاء بتزحزح الجبهة والنطاق السابقين عن مواقعهما الصيفية وتحركهما جنوباً ، فتصل الجبهة القطبية الشمالية إلى حوض البحر المتوسط وإيران والهيمالايا ، كما يتجاوز نطاق التلاقي أو الفاصل المداري خط الاستواء إلى النصف الجنوبي من الكرة الأرضية ليسود على شرقي إفريقيا وأغلب أنحاء أندونيسيا .

يقع العالم الإسلامي في الشتاء تحت تأثير ضغوط جوية مرتفعة تمتد على أغلب يابسة آسيا حيث يستقر مركز الضغط المرتفع السيبيري في مناطق منغوليا وبيكال حتى كازاخستان الشمالية ويراح فيها الضغط بين ٧٧٦ (١٠٣٤ ميلليبار)

و ٧٦٨ ملم (١٠٢٣ ميلليبار). كذلك تتشكل بؤر ضغوط مرتفعة أصغر في شبه الجزيرة العربية وفوق الصحراء الكبرى امتداداً للضغط المرتفع الآزوري الذي يصل ضغطه إلى ٧٦٦ ملم. كما تظهر مواطن للضغط المرتفع في العروض فوق المدارية في النصف الجنوبي للكرة الأرضية خارج نطاق العالم الإسلامي ، لكن تأثيراتها تتوغل في أنحاء الجنوبية، ولاسيما في مجال حركات الرياح التجارية الجنوبية الشرقية ومحاور سيرها. لكن في المقابل يتشكل مركز للضغوط الجوية المنخفضة في الجنوب الإفريقي تصل تأثيراته إلى جنوبي السودان ، كما يتحول مجال الضغط المرتفع الأسترالي في الصيف إلى منطقة ضغط منخفض تمتد على جنوب شرق العالم الإسلامي. ويبقى المحيط الهندي الأوسط والشمالى حتى مدار الجدي تحت تأثير ضغوط منخفضة في الشتاء .

ب - الرياح في العالم الإسلامي :

تهب على العالم الإسلامي رياح دائمة وموسمية ومحلية وعواصف وأعاصير، سببها اختلاف قيم الضغوط الجوية وتوزيعها على نصفي الكرة الأرضية وعلى اليابسة والبحر وغيرها من عوامل تتحكم بعنصر الرياح . وأهم الرياح وأكثرها دواماً هي :

١ - الرياح التجارية :

وتهب من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي ، ومن الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي على جانبي النطاق الاستوائي. لكنها نتيجة لتزحزح نطاق الحرارة والضغط الجوي شمالاً في الصيف وجنوباً في الشتاء تجتاز هذه الرياح خط الاستواء فتتحرف عن مساراتها الأرضية بزوايا ٩٠ درجة مئوية أو قريبة منها. فتهب الرياح التجارية الجنوبية الشرقية في المحيط الهندي واندونيسيا وخليج غينيا رباحاً جنوبية غربية في الصيف، وتتحد مع الرياح الموسمية على سواحل البنغال والهند وخليج غينيا. وتلتقي الرياح التجارية الصيفية مع التجارية الشمالية الشرقية فتتحرفها عن مساراتها الأصلية في آسيا الوسطى وشبه الجزيرة العربية.

أما في الشتاء فتجتاز الرياح التجارية الشمالية الشرقية خط الاستواء وتنحرف عن مسارها الأصلي أيضاً . لكنها ولهبوبها من القارة تكون جافة خلافاً للرياح التجارية الجنوبية الغنية بالرطوبة التي تحمل للقارة الأمطار .

ومن الرياح الدائمة أيضاً ، الرياح الشتوية الغربية التي تهب على حوض البحر المتوسط وتخف شدتها في الصيف ، وكذلك الرياح الغربية الاستوائية العالية .

٢ - الرياح الموسمية :

ويخضع تشكلها لفروق تسخن اليابسة والماء بين المحيط الهندي ويابسة القارة الآسيوية . ففي الصيف ينخفض الضغط على اليابسة العالم الإسلامي في آسيا فتتحرك الرياح من المحيط نحو الشمال الشرقي حتى سفوح جبال الهيمالايا حاملة الرطوبة والدفء والأمطار . أما في الشتاء فتتحرك بالاتجاه المعاكس لارتفاع الضغط على اليابسة ، وتكون جافة ، إلا إذا مرت على كتلة مائية تزودها ببعض الرطوبة .

وللرياح الموسمية أهمية بالغة في العالم الإسلامي لارتباط المواسم الزراعية بها ولدورها في الملاحة البحرية الإسلامية ونشر الدين الإسلامي في حوض المحيط الهندي وجنوب آسيا .

٣ - الرياح المحلية :

وهي رياح كثيرة الاتجاهات والخصائص تهب في أنحاء عديدة من العالم الإسلامي في شتى الفصول ، من أبرزها رياح البوهوروك والكومبانغ والسومطريات والبارات في إندونيسيا . وتهب البورهوروك والكومبانغ بأكية شبيهة بأكية رياح الفوهن الهابطة من الجبال بينما تتأثر رياح البارات بنظام شبيه بنظام الموسميات ، وتهب السومطريات من ناحية الغرب بسرعة ٨٠ كم/ساعة على إندونيسيا الغربية .

وتهب رياح حارة وجافة ومغبرة على الباكستان والهند تعرف برياح اللو ، وعلى إيران وأفغانستان وتسمى بسيستان والسّمون . وهي رياح صيفية وشديدة السرعة

حتى عاصفية . وتهب رياح البوران والقره بوران الجافة الباردة، أو الحارة على مساحات واسعة من الشمال الإسلامي في آسيا ولاسيما في آسيا الوسطى . كما تهب رياح الأفغاني نحو حوض طوران وهي جافة وحارة شبيهة برياح الفوهن . وتهب على كازاخستان رياح السوخوفي الحارة الصيفية مما يرفع درجات الحرارة إلى ٤٠ درجة مئوية ويخفض الرطوبة النسبية إلى ٢ ٪ .

أما في بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية فتهب رياح محلية مثل السموم الحارة والجافة في الربيع والخريف ورياح الشمال التي تهب على الخليج العربي وهي باردة وجافة وأحياناً رطبة ، ورياح الجنوب والكوس الحارة الرطبة المرهقة صيفاً والدافئة شتاءً .

وتتصف الرياح المحلية الهابة من الصحراء الكبرى باتجاه البحر المتوسط بكونها جافة وحارة ومغبرة منها رياح الليفيش والسيروكو والقبلي والشيلي (الشهيلي) ، والخماسين ، . وتهب في حوض البحر المتوسط الرياح الغربية شبه الدائمة والرياح الإيتيزية التي تهب على غربي تركيا قادمة من بحر إيجه .

ومن رياح إفريقيا الإسلامية رياح الهرمتان وهي رياح صحراوية المصدر وشديدة السرعة حارة وجافة تهب من الصحراء الكبرى من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي على مناطق غربي إفريقيا وتصل إلى سواحل خليج غينيا . . وتتفق في حركتها مع حركة الرياح التجارية في الخريف والشتاء ، ولاسيما في شهر أكتوبر ويمتد أثرها على السنغال . وهذه الرياح وإن كانت جافة وتؤثر في هطول الأمطار سلباً فإنها تؤدي إلى تلطيف أجواء السواحل الاستوائية على خليج غينيا ، مما يدعو إلى تسميتها برياح الطيب . علماً أن هذه التسمية المعروفة على سواحل غينيا ، قد تطلق على نسيم البحر وهبات الرياح التجارية المملطة للجو الرطب الخائق في النطاق الاستوائي .

إن الرياح المحلية في العالم الإسلامي كثيرة وإن لم تحمل أسماء خاصة بها ، أسبابها ومظاهرها متشابهة يحركها فرق الضغط الجوي ، منها ما يهب على سواحل البحار والمحيطات والبحيرات على شكل نسيم البر والبحر ، ومنها ما ينحصر بالتضاريس الجبلية ذات الأودية حيث تنشط حركة نسيم الجبل والوادي ، ولاسيما حيث الأودية العميقة والكبيرة . أما الرياح من النموذج الصاعد لسفوح الجبال والهابطة منها على السفوح المقابلة بحسب مبدأ رياح الفوهن ، فمعروفة في أنحاء العالمي الإسلامي حيث تجاور الجبال السهول أو الهضاب الممتدة عند أقدامها .

وعلى العموم فإن سرعة الرياح وشدتها في أنحاء العالم الإسلامي متباينة ، إذ تزداد سرعتها في البقاع السهلية والهضابية والأراضي المنبسطة حيث تنعدم العوائق التضاريسية والنباتية والصناعية (مدن ، منشآت اقتصادية وبشرية . . . الخ) مما يفسر شدتها في صحاري العالم الإسلامي دون استثناء ، ويفسر نشوء الكثير من الأشكال الصحراوية الريحية المنشأ . وللسهول الساحلية التأثير ذاته في زيادة شدة الرياح وسرعتها ولاسيما القادمة من البحر .

٤ - الأعاصير والعواصف :

تبلغ السرعة والشدة والطاقة الريحية حدودها القصوى في العالم الإسلامي في ظاهرة الأعاصير والعواصف المدارية ، التي تزيد السرعة فيها على ٣٣,٧ متراً في الثانية (أي ما يعادل الدرجة ١٢ في مقياس بوفورت للرياح) ، وتتولد هذه الأعاصير في المناطق الحارة من المحيطات والبحار بين المدارين في نطاقات قريبة من خط الاستواء دون أن تصله (على بعد ٥ درجات شمال وجنوب الاستواء) . وتتكوّن نتيجة انخفاض كبير وسريع للضغط الجوي مما يؤلّد سرعة غير عادية للهواء حول الإعصار ومركزه تبلغ أحياناً ٤٠٠ كم في الساعة . وقد تترافق الأعاصير الشديدة بظهور دوّامات على هيئة أقماع متدلّية من أسفل الغيوم تقترب من سطح الأرض أو البحر أو تتصل به . وتعرف الأعاصير المدارية في العالم الإسلامي بالتايفون ، وفي

بحر العرب بالأعاصير . أما في المحيط الأطلسي فهي الهريكين . وتهب الأعاصير المدارية سنوياً ويبلغ متوسط عددها في بحر الصين وجزر الفيليبين وجنوبي اليابان ٢٥ إعصاراً سنوياً ، تتشكل خلال الفترة مايو - ديسمبر . وفي المحيط الهندي الشمالي تتشكل سنوياً بين إبريل وديسمبر بمتوسط ١٥ إعصاراً سنوياً يتجه ١٢ إعصاراً منها إلى خليج البنغال وسواحله ، ويتجه اثنان إلى بحر العرب . كذلك تتكون أربعة أعاصير سنوياً في المحيط الهندي الجنوبي الشرقي في أواخر الصيف ومطلع الخريف ، كما تتكون في الجزء الجنوبي الغربي من المحيط الهندي أربعة أعاصير سنوياً بين نوفمبر - إبريل (شكل رقم ٦) .

وقد سجلت سرعات وصلت إلى ٩٠ متراً في الثانية في بعض الأعاصير ، وأمطار غزيرة قد تصل إلى ١٠٠ ملم في يوم واحد أو يومين ، فتسبب فيضانات ورياحاً عاصفة تصل سرعتها إلى أكثر من ٢٥٠ كم في الساعة وأمطاراً غزيرة في زمن قصير يعد بالساعات . وقد تسبب مدأً بحرياً وارتفاعاً للأمواج (٥ - ١٠ أمتار) كما تحدث انخفاضاً شديداً للضغط الجوي فيؤدي إلى تطاير أسقف المنازل وتفجر المساكن .

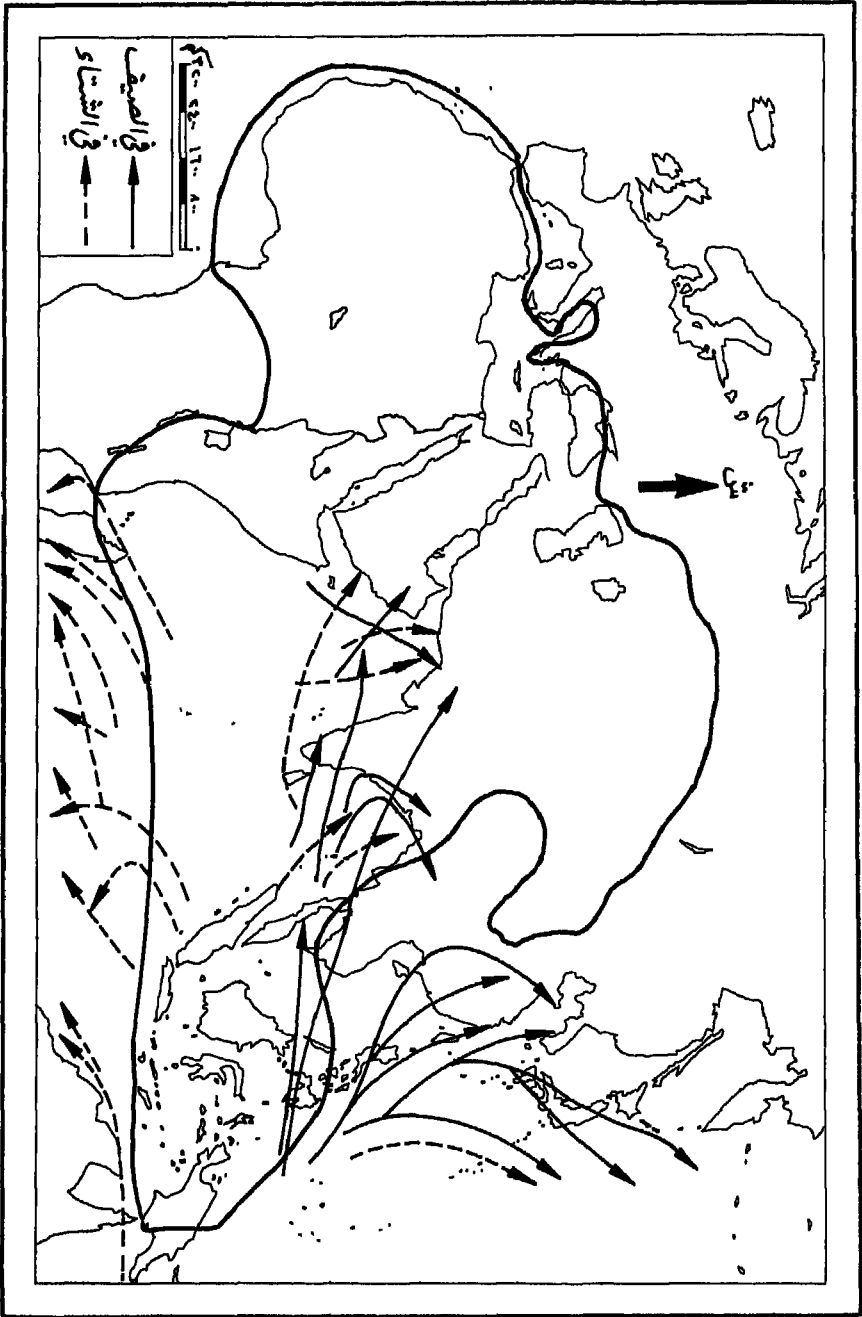
وتتبع الأعاصير المدارية في العالم الإسلامي مسارات واحدة بصورة عامة . فهي تتشكل في نطاق العروض الاستوائية بين ٥ - ١٠ درجات شمالاً ، وتتحرك غرباً مع انحراف متزايد نحو الشمال الغربي كلما تقدمت غرباً مما يجعلها تضرب الجزر الشمالية لإندونيسيا، وجزر الفيليبين ، وشبه جزيرة ماليزيا ومنها تدخل خليج البنغال فتضرب سواحله الشمالية، (ولاسيما بنغلاديش) والغربية (الهند وسيلان) وتتوغل في البر بعيداً حتى يصل بعضها إلى شمال غربي الهند وحتى الباكستان . ومن الأعاصير المتكونة في المحيط الهندي ما يتحرك نحو الشمال الغربي إلى بحر العرب وسواحله . وأغلب أعاصير هذا الجزء من العالم الإسلامي تحدث بين شهري مايو ونوفمبر، وأقلها بين شهري نوفمبر ومايو . وتدوم الأعاصير مدة محدودة تراوح من ٧ - ١٠ أيام وسطياً .

ومن أخطر الأعاصير المدارية إعصار بنغلاديش لعام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) الذي عبر ملقة وجزر أندمان ووصل بنغلاديش في ١٢ - ١٣ نوفمبر، وضرب اليابسة مترافقاً مع مد بحري ارتفعت فيه مياه البحر (٣ - ٩ أمتار). مما سبب غمر مساحات شاسعة من أراضي بنغلاديش بالمياه ، وأحدث أضراراً مادية جسيمة ووفاة نحو ٣٠٠,٠٠٠ نسمة. وقد قدر عدد ضحايا الأعاصير المدارية في منطقة خليج البنغال والهند بين عامي ١١٥٠ - ١٤٠٠هـ (١٧٣٧ - ١٩٧٩م) بنحو ١,١٠٠,٠٠٠ نسمة .

وهناك أعاصير النصف الجنوبي المدارية التي تتعرض لها سواحل شرقي إفريقيا وجزيرة مدغشقر وجزر القمر، ولاسيما سواحل موزمبيق. تحدث بين نوفمبر ومايو .

الرطوبة والتساقط في العالم الإسلامي :

تبين خرائط ومقادير ما يتبخر من السطوح المائية ، وتوزعها على امتداد العالم الإسلامي قيماً متباينة بين الغرب الذي تراوح فيه المتوسطات السنوية بين صفر في الصحاري و ٤٠٠ ملم في البقاع شبه الصحراوية والسهبية ، وبين الشرق الإسلامي حيث تحوم المقادير حول ١٠٠٠ - ١٥٠٠ ملم . إلى جانب منطقة ثلاثة تقع فيها قيم التبخر بحدود ٦٠٠ - ٨٠٠ ملم في غربي إفريقيا على امتداد خليج غينيا ، علماً أن المساحات المائية المحيطة بالعالم الإسلامي وفي داخله معرضة لفقدان كميات من بخار الماء أكبر وتقدر بـ ١٠٠٠ - ١٥٠٠ ملم في البحر المتوسط والأحمر والمحيط الهندي وبحار إندونيسيا وبـ ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ ملم في خليج البنغال والبحر العربي والخليج العربي وخليج عدن ومياه المحيط الهندي شرقي إفريقيا وتقل مقادير ما تفقده مياه الأطلسي من بخار ماء سنوياً عن ١٥٠٠ - ١٠٠٠ ملم .



مسارات الأعاصير المدارية في العالم الإسلامي
شكل (٦)

وتتفق هذه القيم مع قيم الرطوبة النسبية التي تتأثر بقيم الحرارة إضافة إلى كميات بخار الماء في الجو في يابسة العالم الإسلامي ومياهه . إذ تبين خريطة الرطوبة النسبية وجود نطاق من الحدود الدنيا للرطوبة النسبية على امتداد عرض الخيل ، أو المناطق الجافة في الصحاري الإسلامية وأشباهها المدارية وفوق المدارية . أما في المناطق الاستوائية فإن الرطوبة النسبية عالية ، وتراوح بين ٨٠ - ٨٥٪ من جراء التبخر العالي لمياه المحيطات والبحار والغابات المطرية في إندونيسيا وجنوب شرقي العالم الإسلامي .

أما في المناطق الجافة في الصحراء الكبرى وشبه جزيرة العرب وإيران وطوران وغيرها فإن انعدام الغيوم ، وقلة بخار الماء يؤديان إلى تسخين التربة بشدة مما يخفض قيم الرطوبة النسبية إلى أقل من ٥٠٪ ، إذ تصل في الصحراء الإفريقية الكبرى إلى أقل من ٢٠٪ وعلى العموم فإن التوزيع الجغرافي للرطوبة النسبية في العالم الإسلامي يبين ظهور حدين أقصىين الأول في إقليم غربي إفريقيا علي امتداد خليج غينيا ، والثاني في الشرق في أرخبيل إندونيسيا وماليزيا . أما في البحر فيكون الحد الأقصى شاملاً للمحيط الهندي الشمالي من سومطرة والملايو حتى بحر العرب . إلى الشمال من هذه الحجيرات التي تراوح فيها الرطوبة النسبية بين ٨٥٪ وأكثر ، تظهر نطاقات من الرطوبة النسبية متصلة من المحيط الأطلسي حتى أواسط آسيا تراوح فيها القيم بين ٧٠ - ٨٠٪ ، ثم باتجاه الشمال بين ٥٠ - ٧٠٪ ، ثم في البقاع الجافة دون الـ ٥٠٪ ، مع وجود حجييرة حول البحر المتوسط والأسود وتركيا رطوبتها النسبية بين ٧٠ - ٨٠٪ (جميع الأرقام هي لفصل الصيف الذي يشتد فيه التبخر) . ولا تختلف القيم السنوية كثيراً عما تقدم .

في ضوء أوضاع التبخر والرطوبة الجوية تتوضح أوضاع التساقط عامة والأمطار منها بصورة خاصة وذلك على النحو التالي :

أ - الأمطار :

إن تشبع الجو بالرطوبة وانخفاض درجات حرارة الهواء وتكاثف بخار الماء وتشكل السحب يؤدي في نهاية المطاف إلى هطول الأمطار أو تساقط الثلوج بحسب الظروف الحرارية الطبيعية التي تسود منطقة ما دون منطقة أخرى .

وعلى العموم فإن العالم الإسلامي يجمع النقيضين بالنسبة للأمطار ، ففيه أفرق بقاع العالم بالتساقط ، وأغناها ، كما يشتمل على شتى أشكال الأنظمة المطرية والتساقطية المختلفة .

تعد الأمطار في معظم أنحاء العالم الإسلامي من العناصر المناخية الكبيرة التباين، التي تعتمد على الكتل الهوائية ومصادرها سواء أكانت مدارية بحرية أم استوائية بحرية، أم مدارية قارية، أم باردة - قطبية بحرية أم باردة - قطبية قارية .

فالكتل البحرية ترافقها منخفضات جوية تجلب الأمطار إلى مناطق المناخ المتوسطي المغطي للشمال الإفريقي وبلاد الشام وتركيا ويمتد شرقاً حتى أفغانستان شتاءً، كما تحمل الأمطار الغزيرة إلى العالم الإسلامي الموسمي صيفاً. بينما تكون الكتل القارية جافة أو قليلة الرطوبة ولاسيما في القسم الآسيوي الإسلامي.

أما نماذج الأمطار فمتنوعة من حيث المنشأ والانتماء . فهناك الأمطار التصاعدية (Convective) (وتعرف بالحملائية أيضاً) والأمطار التضريبية (Orographic) الصاعدة سفوح الجبال ، والأمطار الجبهية (Frontal) المرافقة لممر منخفض جوي جهبي في العروض الوسطى (شتوية)، ثم الأمطار الإعصارية (Cyclonic) وهي المصاحبة للأعصاب المدارية، وقد تطلق على الجبهية أيضاً .

فالأمطار التصاعدية نموذج يميز البقاع الدافئة والحارة من العالم الإسلامي في نطاق المناخات الحارة والرطبة . لكنها تلازم أيضاً الفصول الحارة (الصيف) في مناخات أخرى . وتهطل الأمطار التصاعدية عادة في ساعات بعد الظهر حيث تهطل

على شكل زخات عنيفة في زمن قصير مميز للنموذج الاستوائي - المداري الدائم الرطوبة . ومع دوام التساقط على مدار السنة في هذه العروض ترتفع قيم الأمطار السنوية إلي آلاف المليليمترات ، كما في شرقي العالم الإسلامي في إندونيسيا وحول خليج غينيا . والأمطار التصاعديّة المدارية محلية النشأة والحدوث ، يندر أن تتأثر بمصدر هوائي خارجي إلا إذا خالطها وصول أعاصير طارئة في أنحاء المحيط الهندي الشرقية والشمالية الشرقية .

وجدير بالإشارة أن التساقط التصاعدي قد يكون صلباً ، حيث تتساقط الثلوج على قسم الجبال العالية جداً في هذه العروض من العالم الإسلامي . وهي من الأماكن الفريدة النادرة في العالم حيث يحدث تساقط ثلجي من منشأ تصاعدي كما في براكين شرقي إفريقيا وشرقي آسيا المسلمة .

أما الأمطار التضاريسية فتحدث نتيجة اصطدام كتلة هواء رطبة بجبال أو عوائق تضاريسية . وهذا النموذج من التساقط ينتشر في الأجزاء الجبلية من العالم الإسلامي ، كما هو الحال في العالم الإسلامي حول المحيط الهندي . ولاسيما في أثناء الموسميات الصيفيّة . وفي هذا النموذج من التساقط تكون السفوح المواجهة للهواء الرطب الصاعد عليها هي المطيرة ، بينما تكون السفوح المقابلة قليلة الأمطار أو جافة لوقوعها في ظل المطر . ومع ازدياد الارتفاع واستمرار وصول الهواء الرطب وتكدسه في خلجان تضاريسية ، تزداد كميات الأمطار السنوية كما هو الحال في موقع تشيرابونجي في شمال شرقي بنغلاديش (في أسام) ، الذي سجل أعلى تساقط أمطار سنوية مطلق (١٠٨٨٠ ملم) في الهيمالايا الشرقية حيث ينحسر الهواء الموسمي الرطب في خليج بين الهيمالايا وجبال بورما (مينمار) .

أما الأمطار الجبهية فتتميز الأجزاء فوق المدارية من العالم الإسلامي في الفصول الباردة الشتوية ، واحتمال حدوثها في الصيف قليل جداً دون أن تنعدم كلية .

وهذا النموذج من التساقط المعروف في حوض البحر المتوسط ، يرتبط بخطوط سير المنخفضات الجوية ومرور جبهاتها . وأمطارها تدوم لساعات قليلة وموضعية تنقطع بعد مرور الجبهة وتلاشي المنخفض الجوي الذي يسلك في العالم الإسلامي محوراً عاماً يتجه نحو الشرق . وتتعاقد المنخفضات الجوية على محور السير الخامس في البحر المتوسط وشمال إفريقيا باتجاه بلاد الشام وشمال غربي شبه الجزيرة العربية وتكون الأمطار الجبهية من طبيعة عاصفية .

إن هذا التقسيم بين نماذج الأمطار وإن كان غالباً ، فإن اختلاط نمودجين أو أكثر في المناطق المدارية أمر مألوف ، ولاسيما في البقاع الجبلية التي تقع في طريق الرياح الموسمية والأعاصير المدارية .

تهطل الأمطار في العالم الإسلامي في جميع فصول السنة ولاسيما في الشتاء والصيف في أنحاء المتفرقة ، وفي أنحاء أخرى تهطل على مدار السنة . ففي إندونيسيا والبقاع الاستوائية الإسلامية في إفريقيا لا تنقطع الأمطار طوال السنة ، كما أن تقلباتها كمياً وكيفياً محدودة جداً . وتصبح أمطاراً مزدوجة الموسم تهطل عندما تصبح الشمس عمودية ، على هوامش نطاق الأمطار الاستوائية في إندونيسيا وملقة وغيرها .

ويغطي هذا النموذج المزدوج الموسم أراضي نطاق يبدأ من القرن الإفريقي ويستمر غرباً حتى غربي إفريقيا وسيراليون ، وتجد هذا النموذج سائداً على أغلب الشرقي الإفريقي الإسلامي .

إلى الشمال من هذا النطاق يسود نطاق أعرض وأطول امتداداً ، يتميز بأمطار فصل واحد يتفق مع سقوط الأشعة الشمسية عمودية في النصف الشمالي ، وفي موسم واحد هو الصيف ، ويغطي النطاق المعروف بـ (إقليم الساحل الإفريقي) من غربي إفريقيا حتى أريتريا فجنوبي شبه الجزيرة العربية وجميع أنحاء الدكن والسند وجنوب شرقي آسيا وهي بقاع الأمطار الموسمية الصيفية .

أما نطاق التساقط القليل الذي لا يزيد على ٢٠٠ ملم سنوياً والذي يغطي أكبر مساحة من أراضي العالم الإسلامي ويمتد من المحيط الأطلسي حتى الخليج العربي وداخل الهضبة الإيرانية ، فتهدل فيه أمطار صيفية في الهوامش الجنوبية ، وشتوية في الأطراف الشمالية ، إن هطلت .

وإلى الشمال من نطاق الصحاري هذا يبدأ نطاق الأمطار الشتوية في حوض البحر المتوسط الغالب على شمالي إفريقيا وبلاد الشام وما بين النهرين وإيران وأفغانستان . ثم نطاق أمطار دورية سنوية تغلب عليها أمطار الربيع في آسيا الصغرى والقفقاس ، وفي جبال آسيا الوسطى وهضابها العالية ، أما منبسطات طوران وكازاخستان فصحرافية تقل أمطارها عن ٢٠٠ ملم سنوياً وهي شتوية .

هذا من حيث مواسم التساقط أما من حيث كمياته فإنها متباينة بشكل صارخ ليس بين منطقة وأخرى ، بل وبين سنة وأخرى في منطقة واحدة . فقد منح الباري عز وجل العالم الإسلامي هبة التنوع في التساقط كما وكيفاً ومكاناً وزماناً ، مما أفسح المجال لتنوع في البيئات الجغرافية الطبيعية وما يتبع ذلك من تعدد في النشاطات البشرية وفي المجتمعات . ويبلغ هذا التباين حده الأقصى بين المناطق الاستوائية في إندونيسيا حيث يقل الانحراف عن معدل التساقط السنوي عن ١٠٪ ، والمناطق الجافة في الصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية حيث الانحراف يزيد على ٦٠ - ٧٠٪ .

تنحصر مناطق الأمطار الغزيرة في الشرق الإسلامي في العروض الاستوائية - المدارية ، حيث تبلغ كمية التساقط السنوي في أغلب الجزر الإندونيسية ٣٠٠٠ ملم ، ترتفع في جبال سومطرة إلى أكثر من ٤٠٠٠ ملم ، وتصل إلى حدود قصوى في شمالي وسط جاوة (٦٦٥٥ ملم) . وتبقى المعدلات عالية ٣٠٠٠ - ٤٠٠٠ ملم في شبه جزيرة ملقة والسواحل الشرقية لخليج البنغال وبنغلاديش (٢٠٠٠ - ٣٥٠٠ ملم) لترتفع إلى معدلات عالية جداً في سفوح الهيمالايا الشرقية (تشيرابونجي ١٠٨٨٠ ملم) . وهناك شريط ضيق من تساقط يراوح بين ١٠٠٠ - ٤٠٠٠ ملم يمتد على الساحل الغربي للهند حيث جبال الغات التي تتلقى الرياح الموسمية الصيفية .

أما في الغرب الإسلامي فتَهطل أمطار بين ٣٠٠٠ - ٤٠٠٠ سنوياً في سواحل الكمرون ودلتا النيجر ثم في سواحل سيراليون . وتقل كميات التساقط مع التقدم في العروض الجغرافية على نطاقات شرقية غربية (وجنوبية غربية - شمالية شرقية في شرقي أفريقيا) وتدرج من ٢٠٠٠ - ١٠٠٠ ملم ، حتى البقاع الصحراوية المدارية الحارة والصحراوية المعتدلة في آسيا الوسطى حيث تتدنى الأرقام إلى أقل من ١٠٠ ملم و ٥٠ ملم . وتشذ الجبال والمرتفعات والسواحل المواجهة لكتل هواء رطبة أو لمنخفضات جوية ماطرة عن هذا التدرج ، إذ تتلقى أمطاراً تزيد على ١٥٠٠ - ٢٥٠٠ ملم وسطياً في أثيوبيا ومرتفعات شرقي إفريقيا وآسيا الصغرى وبلاد الشام وشمالى إيران والقفقاس وآسيا الوسطى وجبال الهيمالايا الغربية والوسطى وبامير . علماً أن قسماً مهماً من التساقط في الجبال المرتفعة يسقط ثلوجاً .

ب - الثلوج :

إن أغلب التساقط في العالم الإسلامي يهطل أمطاراً ، لكن قسماً منه يسقط ثلوجاً وذلك في شروط توافر درجات حرارة تحوم حول الصفر المئوي وما دونه ، ولما كان ذلك مرتبطاً إما بالعروض الجغرافية العالية أو بالارتفاع فوق سطح البحر ، فإن مناطق سقوط الثلوج محصورة في الجبال في العروض الشمالية والجبال العالية جداً في العروض الدنيا . إن مرتفعات شرقي إفريقيا الاستوائية وإن كان بعض براكينها وهضابها مرتفعاً كفاية لتساقط الثلوج عليها فإن سماكة الثلج عليها قليلة ومدة بقاءه قصيرة إلا في القمم العالية جداً كما في جبل كليمنجارو مثلاً . أما في الجبال المتوسطة (الأطلس وبلاد الشام وآسيا الصغرى وإيران وأفغانستان) فإن سماكة الثلوج أكبر وبقائها أطول كما أنها تغطي مساحات أوسع . وقد يسقط الثلج في بعض فصول الشتاء على أراضي منخفضة منبسطة لم تألفه عادة ، ولكن بكميات قليلة ولبضع ساعات .

وتصبح الثلوج دائمة في الجبال العالية والشاهقة مع تزايد درجات العروض أو انخفاض درجات الحرارة في الشتاء القاري ، كما في جبال شرقي آسيا الصغرى وفي القفقاس وأغلب جبال آسيا الوسطى وهضبة بامير والسلاسل الجبلية المتفرعة عنها ولاسيما جبال كاراكوروم وهيمالايا وهندوكوش ، ثم جبال تيان شان وغيرها .

وقد تحول الثلج الدائم في جبال آسيا الوسطى وهيمالايا والقفقاس إلى جليديات جبلية أو هضبية ، خرجت منها ألسنة مألأت أعالي آلاف الأودية . وفي هضبة بامير (سقف العالم) وجبال كاراكوروم توجد أكثر من ألف جليدية ، لعل أكبرها جليدية فيدتشينكو إحدى أكبر جليديات العروض غير القطبية في العالم ، إذ يبلغ طولها نحو ٨٠ كم .

إن أهمية التساقط الثلجي في العالم الإسلامي تبرر في ذوبان الثلج والجليد البطيء . مما يسمح بتزويد خزانات المياه الجوفية والتربة السطحية بمزيد من المياه والرطوبة ، كما أنها ولاسيما الجليديات تؤلف مصدراً ومنبعاً لكثير من الأنهار والجداول الجبلية ، بل ولأنهار تتجاوز نطاق الجبال إلى بقاع جافة عطشي ، كما هو الحال بالنسبة لأنهار تاريم وسيحون وجيحون والسند .

مسألة القارية والمناطق الجافة في العالم الإسلامي ومشكلاتها :

رسمت حدود المناطق الجافة والقارية في العالم الإسلامي على ضوء الكثير من القرائن الحسائية أو الإحصائية ، تعرف بقرائن الجفاف والرطوبة أو القارية وغيرها من قرائن وضعها مصنفو الأقاليم المناخية منذ منتصف القرن الميلادي الماضي ومازالوا يعدلون لها . وبحسب خلاصة هذه القرائن فإن البقاع الجافة في العالم الإسلامي تنتشر على حزام ممتد من الغرب نحو الشرق مع انحراف نحو الشمال الشرقي في آسيا الإسلامية طوله نحو ٩١٠٠ كم ومتوسط عرضه ٢٤٠٠ كم ، بين درجتي طول ١٨ غرباً و٧٥ شرقاً وبين درجتي عرض ٤٨ شمالاً و١٣ جنوباً . وهذا يعني أكثر من ٢١

مليون كيلو متر مربع ، أي ما يعادل أكثر من ٧٠٪ من مساحة يابسة العالم الإسلامي الذي يشمل الصحاري وأشباه الصحاري والسهوب الجافة وغيرها . الأمر الذي يدعو للاهتمام بمشكلات هذه المساحات الشاسعة شبه المعطلة في أغلبها عن الإنتاج والقليلة الكثافة السكانية أو شبه الخالية من العمران .

إن أهم المشكلات الطبيعية في المناطق الجافة في العالم الإسلامي هي :

أ - المياه :

أي المياه العذبة الصالحة للاستعمالات المنزلية والمدنية والاقتصادية . وهي كما تبين دراسة المياه في العالم الإسلامي ، قليلة من حيث الكمية ومدنية الجودة من حيث النوعية في المناطق الجافة الإسلامية . باستثناء مياه الأنهار القليلة العابرة وبعض الينابيع المحدودة والواحات المتباعدة وآبارها .

وتبقي الأنهار الدائمة الجريان أهم شرايين الحياة في المناطق الجافة ، مثل نهر النيل والفرات ودجلة وجيحون (اموداريا) وسيحون (سرداريا) والسند ، وغيرها من أنهار أقل أهمية قدرت كميات مياهها السنوية بنحو ٣٩٦,٥ مليار متر مكعب . (سميث ، ١٩٧٠م ، ص ٤٠٧ - ٤٢٥) . وبغض النظر عن كمية المياه هذه ومناقشة كفايتها أو عجزها عن تلبية الاحتياجات البشرية ، فإن البقاع خارج أودية الأنهار وعلى مئات آلاف الكيلو مترات المربعة جافة ، تفتقر إلى مياه كافية لإقامة مجتمع ثابت مستقر . ففي مناطق الصحراء حيث الرطوبة النسبية بحدود ٢٥٪ والأمطار بحدود ٥٠ ملم ، يكون الجريان صفرأ ، وهو ، أي الجريان لا يزيد على ١٠ ملم في الأنحاء شبه الصحرواية حيث تكون نسبة الجريان إلى الأمطار ٥٪ فقط ، أما في السهوب حيث يصل الجريان إلى ٤٠ ملم ، فلن نسبة الجريان إلى الأمطار ترتفع إلى ٤٠٪ وهي أرقام عامة تبين خطورة العجز المائي السطحي في أكثر من ٧٠٪ من العالم الإسلامي .

ولا تقتصر المسألة المائية على ندرتها وقلتها بل وعلى نوعيتها ، إذ أن نسبة
لابأس بها من الملوحة تتزايد باتجاه المجاري الدنيا والمصاب النهرية . وترتفع نسبة
الملوحة والتلوث المعيقين للاستعمال ، بتدخل الإنسان وإساءته إلى البيئة النهرية
بتلويثها وتخريبها كما هو الحال في وادي جيحون (أموداريا) ونهر الأردن والفرات
الأدنى وأنهار إسلامية أخرى . ومع ازدياد أعداد سكان الأحواض النهرية الإسلامية
يزداد الطلب على المياه فترتفع نسبة العجز وتقفز قي التلوث وتراجع جودة المياه .

إن المشكلة المائية في المناطق الجافة الإسلامية تمتد إلى مصادر المياه الجوفية
أيضاً ، فكميات المخزون منها محدودة ونوعيات نسبة مهمة منها متدنية . هذا من
ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن أكثر مياه الخزانات الجوفية في الصحاري الإسلامية هي
مياه (أحفورية أو جيولوجية) وتعرف بـ (القديمة) أيضاً ، مما يحد من فائدتها في
مواجهة المشكلة إذ إنها مياه غير متجددة ومستنزفة .

ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة للسيول والأمطار المفاجئة ، إذ إن كمياتها وإن
كانت كبيرة أياً فإنها عاجزة عن تغيير ظروف البيئة الجافة . بل وقد يكون تأثيرها
سلبياً بما تسببه من تخريب وتلحقه من أضرار في التربة والأرض والسكان ، لطبيعة
التساقط الشديد والعاصفي بكميات مطر كثيرة في زمن قصير (أجزاء من الساعة ،
حتى الساعات) ونتيجة لتدفق السيول المفاجئة . ولعل الضرر الطويل الأمد الذي
تسببه السيول والأمطار العاصفة هو جرفها للتربة الزراعية ، أو غمرها بالمجروفات
الحجرية والمواد الخشنة .

ب - الحرارة والتبخر :

تعاني المناطق الجافة الإسلامية من قسوة الأحوال الجوية المتطرفة من حرارة
وإشعاع ، ففي الوقت الذي ترتفع فيه درجات الحرارة الفعلية المطلقة إلى ٧٠ - ٨٥
درجة مئوية مع قيم الإشعاع ، فإنها تهبط إلى درجات حرارة مطلقة دنيا أقل من

(١٠) درجات مئوية. (-٣٠ درجة في طشقند في فبراير ، ١٣٦٩هـ، (١٩٤٩م). وبالتالي يصل المدى الحراري إلى حدود ١٠٠ درجة مئوية . لكنه أقل من ذلك في موقع واحد وفي يوم واحد . ومما يزيد الأوضاع المناخية قسوة ، هو استمرار درجات الحرارة العالية أو المنخفضة مدداً طويلة تؤثر في أحوال النبات والحيوان والإنسان . فقد تستمر حرارة الـ ٤٠ درجة بمعدل يراوح بين ٨ - ١٢ ساعة يومياً في أشهر الصيف (كما في الصحراء الكبرى وصحراء الربع الخالي) . ويزداد الأمر سوءاً إذا ترافق ذلك برطوبة عالية كما في السواحل الشرقية والغربية لشبه الجزيرة العربية وجنوبي إيران والباكستان .

إن ارتفاع الحرارة يسبب تبخراً ونتحاً شديدين ، مما يفقد الأرض ما يمكن أن تكون اختزنته من رطوبة وماء عقب هطول المطار القليلة أو النادرة أصلاً ، ولاسيما في الصحراء الكبرى وصحاري شبه الجزيرة العربية وإيران ، وبالتالي يزداد الجفاف بخاصة في الأجزاء القارية الداخلية من المناطق الجافة الإسلامية .

ج- الرياح :

تعد الرياح من العناصر المناخية المؤثرة سلباً في المناطق الإسلامية الجافة ولاسيما الصحراوية منها ، لأنها في أغلب الحالات والأنحاء ذات مصدر قاري مما يجلب الجفاف والحرارة العالية في الصيف والبرد الشديد في الشتاء . ونظراً لسرعتها الكبيرة في منبسطات الأراضي الجافة فإنها تسبب تعرية وحتاً للتربة ، كما تجفف التربة وترفع نسبة التبخر مما يزيد في الجفاف والقحولة .

ويرتبط بدور الرياح السلبي مشكلة حركة الرمال وعدم ثباتها في أماكن انتشارها . فالرياح الشديدة تحمل الرمال إلى بقاع صالحة للاستعمال الاقتصادي فتغطي الترب الزراعية وتضرّ بها ، كما تزحف الكثبان الرملية على المزارع والمنشآت البشرية المختلفة ، مما يزيد في التصحر ويرفع من شأن الجفاف .

د - ومن المشكلات الطبيعية المرتبطة بالجفاف في العالم الإسلامي :

تعرض التربة الزراعية والأراضي الصالحة للزراعة إلى التملح والتلوث من جراء التسخن الشديد ونشاط الخاصية الشعرية وملء مسامات التربة بالأملاح باقتراب الأفق الرطب الضمني من سطح الأرض ، كما في واحات العالم الإسلامي وأحواضه المغلقة في المناطق الجافة منه . إضافة إلى ذلك تنخفض نسبة الدبال في ترب هذه المناطق ، مما يعرقل استغلالها اقتصادياً .

وتزداد الأمور سوءاً والمشكلات تعقيداً بتدخل الإنسان الجائر في البيئة الجافة وشبه الجافة التي تصنف في قائمة الأراضي المتصحرة ، وقيامه بتخريبها وتلويثها لدرجة تصعب معها إمكانية استعادة البيئة لعافيتها .

التغيرات المناخية في العالم الإسلامي :

تعرض العالم الإسلامي إلى تغيرات مناخية حدثت في عصر البلايستوسين في الزمن الرابع ، ومازال يتعرض لتغيرات في عصر الهولوسين . والتغيرات طويلة الأمد تتضمن تغيرات قصيرة الأمد نسبياً تراوح بين عقد وثلاثة عقود من الزمن ونيف . (أي في أثناء دورة مناخية مدتها ٣٠ - ٣٥ سنة) .

إن الدلائل على تغيرات مناخية في عصر البلايستوسين كثيرة ، وتنتشر في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي ، منها انخفاض مستوى البحار الذي أدى إلى تحول جنوب شرقي آسيا من شبه جزيرة متصلة بآسيا إلى أشباه جزر وأرخبيلات جزر في إندونيسيا وملقة . كذلك انتشار الجزر والشعاب المرجانية وظروف تكونها في البحار الدافئة . ومنها آثار الجليديات الرباعية في جبال الأطلس الأعلى وجبال لبنان الشرقية والغربية والأناضول في الغرب ، وفي جبال غينيا الجديدة في الشرق . وكذلك جفاف بحيرات كبيرة قديمة في أحواض المناطق الجافة من العالم الإسلامي ، تحولت اليوم إلى بحيرات صغيرة أو سبخ تحيط بها ترسبات بحيرية رباعية تشهد على مناخ مطير سابق ، كما في حوض تشاد وأحواض عديدة في بلاد الشام منها بحيرة دمشق

الرباعية والجبول ومنخفض الأزرق ، وفي إيران وفي تركستان في أحواض تاريخ وجونغارية وطران وغيرها . وتؤكد الدلائل المشابهة في أنحاء العالم عدم بقاء المناخ مستقراً في الزمن الرابع ، من أبرزها حدوث العصور الجليدية والعصور الدافئة بينها ، والتي تقابلها في أغلب أنحاء العالم الإسلامي العصور المطيرة وبين المطيرة . وبعد آخر عصر جليدي - مطير وابتداء من عصر الهولوسين فإن أوضاع المناخ في العالم الإسلامي أخذت تنحو نحو الدفء وارتفاع الحرارة وانخفاض قيم الرطوبة بشكل عام ، يشهد عليها توسع نطاق الأراضي الجافة وشبه الجافة ، مع الإشارة إلى حدوث تغيرات إيجابية في المناخ حصلت في أثناء الآلاف العشرة الماضية (بدأ عصر الهولوسين قبل ١١ - ١٠ ألف سنة) .

وعلى الرغم من أن النظام المناخي في النطاقات التي يقع فيها العالم الإسلامي مرتبط بالنظام المناخي العالمي ، وهو نتاج التفاعلات الجوية - المائية (المحيطية) والعناصر الجغرافية الطبيعية الأخرى ، فإن تأثير البشر في المناخ وتغيراته الحاضرة أخذ بالتزايد في هذا القرن ويتوقع له أن يتصاعد في المستقبل . وقد أخذ ذلك بالظهور على شكل حالات مناخية بل وجوية متطرفة ، فحيث يجب هطول مطر يسود جفاف (نطاق الساحل الإفريقي) وحيث سادت ظروف جفاف لسنوات ، تنفجر الأعاصير المطيرة وتهب العواصف والفيضانات (المغرب) أو تتساقط الثلوج . وتعزو الدراسات الحديثة ذلك إلى ازدياد الحرارة الكلية للككرة الأرضية أو ما يسمى بظاهرة الاحتباس الحراري الناتج عن تزايد الغازات التي تحتجز الحرارة وتعيق عودتها إلى الفضاء الخارجي ، وأبرزها غاز ثاني أوكسيد الكربون ، الذي ترتفع نسبته خارج نطاق العالم الإسلامي وفيه أيضاً في بلدان الخليج العربي وفي ليبيا وشمالى بورنيو وفي ماليزيا . ومع كل هذا وغيرها من عوامل بشرية تسهم في تغير المناخ ، يبقى أثر البقع (الكلف) الشمسية ودورتها (١١ - ١٢,٥ سنة) ودروة بروكنر والعوامل الكونية المؤثرة في محور دوران الأرض حول نفسها ، في رأس قائمة الأسباب الكامنة وراء القوى الفاعلة بأمر الخالق عز وجل في التغيرات المناخية القصيرة والطويلة الأمد .

الأقاليم المناخية في العالم الإسلامي :

وضعت تصنيفات كثيرة للأقاليم المناخية في العالم . ومع ذلك بقي تصنيف كوبن أساساً للتصنيفات التي جاءت بعده ، لعل أبرزها تصنيف كوبن المعدل من قبل تريوارثا Trewartha . وفي ضوء هذا التصنيف والتصنيفات الأخرى وبحسب ما تقدم من واقع المناخ في العالم الإسلامي، فإن الأقاليم المناخية فيه تتألف من نطاقات تبدأ من العروض الاستوائية وتتجه نحو العروض العليا على الشكل التالي (شكل رقم ٧).

أ - إقليم المناخ المداري الرطب :

ويشتمل على إقليم الغابات المدارية في إندونيسيا وملقة والساحل الشرقي لخليج البنغال وصدر الخليج والساحل الشرقي للهند حيث تنشط الموسميات ، ثم على سواحل غينيا في العالم الإسلامي .

ب - إقليم المناخ المداري الجاف :

وهو إقليم السافنا الصرف ، مع تداخلاته مع الإقليم السابق . ويؤلف نطاقاً عريضاً في إفريقيا الإسلامية يمتد حتى مرتفعات أثيوبيا وشرقي إفريقيا ، وفي أغلب الشرق والشمال من هضبة الدكن .

ج - إقليم السهوب الجافة :

ويقع بين إقليم السافنا وإقليم الصحراء على شكل شريط ضيق نسبياً يمتد أيضاً من المحيط الأطلسي حتى الشرق الإفريقي . وفي أشربة متعرجة في شرقي إفريقيا . حيث تسود شروط جفاف في الشتاء ودرجات حرارة تقع أعلى من الصفر المتوي . ويسود هذا النموذج في مرتفعات شبه الجزيرة العربية الغربية ووسط تركيا والهلال الخصيب والهضبة الإيرانية حيث الصيف الحار والجاف كما يظهر إقليم السهوب في شمالي العالم الإسلامي على جانبي دائرة العرض ٥٠ درجة شمالاً حيث تقل درجات الحرارة عن الصفر المتوي في فصل واحد على الأقل .

د - إقليم الصحراء :

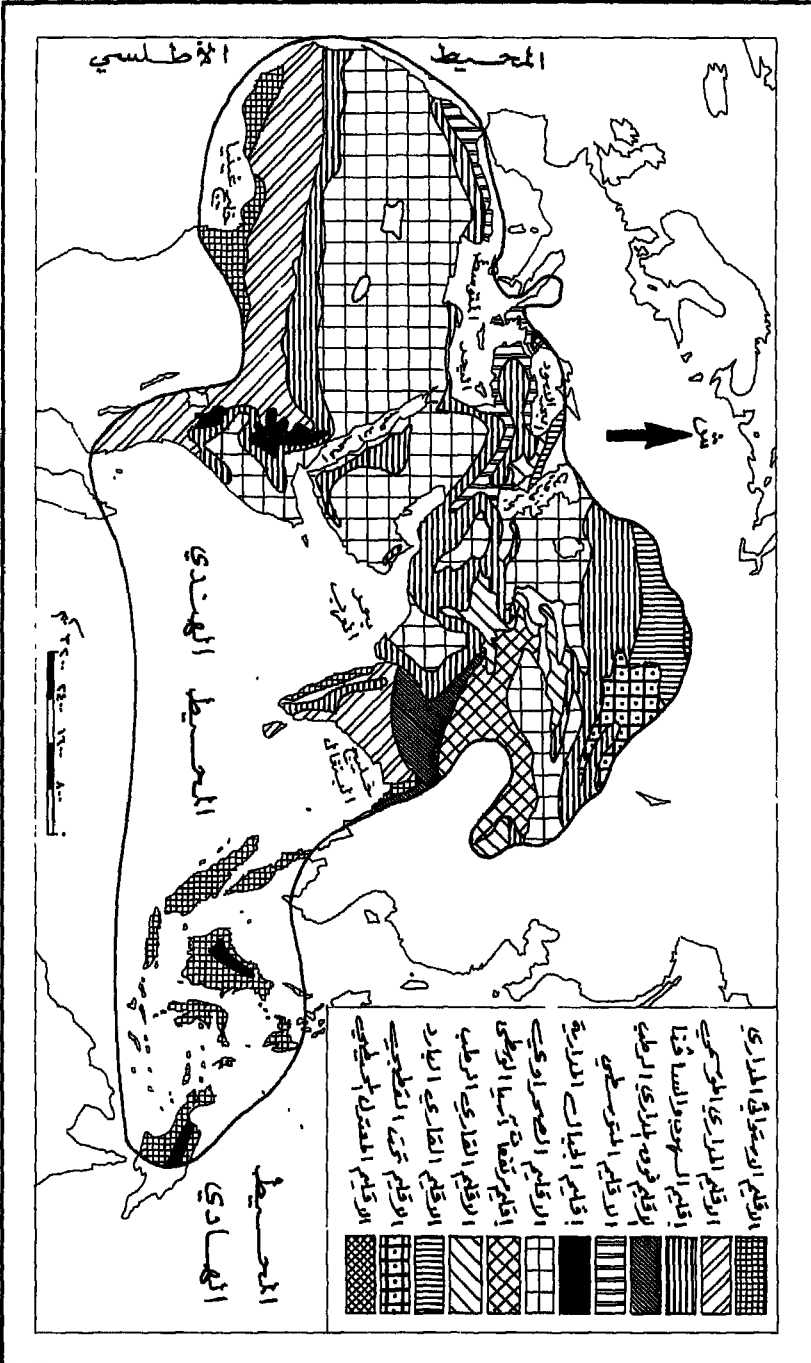
وهو أوسعها انتشاراً ويغطي الصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية في العروض المدارية وفوق المدارية ثم في صحاري العروض المعتدلة في آسيا الوسطى وطوران وتاريم وبقية أحواض آسيا الوسطى ، حيث تكون درجات الحرارة عالية وفروقها كبيرة مع سيادة الجفاف .

هـ - إقليم البحر المتوسط :

وهو عبارة عن أشرطة ضيقة تسير البحر المتوسط وسواحل وسواحل البحر الأسود الجنوبية والهلال الخصيب ، حيث الصيف الجاف الدافئ ، حتى الحار والشتاء المطير المعتدل .

و - أقاليم الجبال :

وهي أكثر من إقليم ، وتتصف بتدرج النطاقات المناخية فيها ابتداء من النموذج السائد في الأراضي المنخفضة المحيطة بها ، وصعوداً نحو القمم حيث تتعاقب النطاقات المناخية التي تليها ، ممثلة لشبهاتها في العروض الجغرافية الأعلى . كما في جبال الأطلس والأحجار وتيبستي ومرتفعات شرقي إفريقيا وغربي شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وتركيا وإيران ، وجبال آسيا الوسطى والقفقاس وجبال كليمتان وغينيا الجديدة .



الأنواع المناخية في العالم الإيسلامي

شكل (٧)

مصادر المياه

قال الله عز وجل ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ . وأهمية الماء في العالم الإسلامي تحتل الأولويات الرئيسة في سياسات بلدانه ، ولاسيما الواقعة في النطاقات الجافة التي تتلقى أمطاراً قليلة أو نادرة ، ولا تمر بها أنهار قادمة من مناطق تغذيها بالمياه . وقد أخذت الثروات المائية المحدودة في أغلب البلدان الإسلامية تسبب لسكانها مشكلات وأزمات اقتصادية واجتماعية وحتى توترات سياسية بينها وبين جاراتها ، مما زاد الاهتمام بهذه الثروة الحيوية . ومياه العالم الإسلامي هي مياه سطحية وجوفية (ضمنية أو باطنية أيضاً) . يمكن دراستها على النحو التالي :

أولاً : المياه السطحية :

تتوزع الأمطار والثلوج في العالم الإسلامي توزيعاً غير متساو ، وبالتالي تفاوتت كميات مياه الأقاليم الإسلامية بشكل صارخ ، ففي إقليم جنوب شرقي آسيا وأغلب أنحاء إقليم غربي إفريقيا ومساحات في إقليم شبه جزيرة الهند والجبال العالية ترتفع كميات المياه المتساقطة مطراً أو ثلجاً ، بينما تعاني باقي الأقاليم من عجز واضح في المياه العذبة ، لانخفاض مقادير التساقط فيها ، ولاسيما أقاليم الشمال الإفريقي والصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية وأغلب إقليم الهلال الخصيب وغربي آسيا والهضبة الإيرانية - الأفغانية منه ، وصحاري وأحواض آسيا الوسطى . وتبعاً لهذا التوزيع تتمتع الأقاليم المطيرة بجريان سطحي نهري أو سيلبي وينابيع دائمة الجريان على مدار السنة ، بينما لا يوجد في أغلب أنحاء بقية الأقاليم الإسلامية سوى السيول الموسمية أو المؤقتة ، التي تجف مياهها بعد أمد قصير من هطول الأمطار عليها أو على المرتفعات المحيطة بها لكنها لا تعدم بعض الجريان الدائم على شكل أنهار عابرة ، منابعها تقع خارجها .

وعلى ضوء تصريف هذه الأنهار وروافدها ونظامها ، يقسم الجريان النهري والسيلبي للمياه السطحية إلى عدد من شبكات التصريف هي :

أ - شبكة المحيط الأطلسي :

وتتضمن جميع الأنهار والمجاري المائية والمسيلات التي تنتهي في مياه المحيط الأطلسي بشكل مباشر أو غير مباشر بين مضيق جبل طارق وخليج غينيا شمال خط الاستواء .

ومن أهم أنهار هذه الشبكة التي يعتمد نظام الجريان فيها على التساقط المتوسطي في الشمال والمداري - الاستوائي في الجنوب ، هي أنهار :

لوكوس شمال مدينة العرائش ، ونهر السيبو (٥٠٠ كم) الذي يمتد حوضه في الشرق في ممر تازة ويتلقى مياه روافد هابطة من جبال الأطلس الريفني وشمالى الأطلس الأوسط ومنطقة فاس ومكناس ويقطع هو وروافده الدنيا سهل الغرب ، ويصب غرب مدينة القنيطرة عند ميناء المهديّة ، وهو من أنهار المغرب المهمة غزارة واستخداماً على مساحة حوضه البالغة نحو ٤٠٠٠٠ كيلو متر مربع ترفده سيول كثيرة أهمها وادي الورغة (يميني) والبهت (يساري) ، ويزيد تساقط حوضه على ٤٠٠ ملم ، بعضها على شكل ثلج ، ونظامه مطري محيطي . والنهر والحوض معرضان لفيضانات متكررة كان أبرزها فيضان عام ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) ، وعندما وصلت غزارة سبو إلى ٣٦٠٠ متر مكعب في الثانية والورغة ٦٠٥٠ متر مكعب في الثانية ، وعند مقرنهما ٨٠٠٠ متر مكعب في الثانية وغمرت الفيضانات ١٨٠ ألف هكتار من الأرض الزراعية . والفيضان الثاني حدث في ١٩٩٦م ، وكانت له نتائج مدمرة مشابهة .

يليه نهر بورقرق الذي يصب في الأطلسي عند مدينة الرباط - سلا ، ثم نهر أم الربيع وطوله ٦٠٠ كم ، الذي تقع روافده العليا في جبال الأطلس الأعلى ويتتهي في المحيط عند مدينة أزموور ، يليه جنوباً نهر تنسيفت القادم من الأطلس الأعلى ويصب في المحيط جنوب آسفي . أما نهر السوس الذي يقطع سهل السوس فهو آخر

نهر دائم أطلسي في المغرب ، لأن وادي الدرعة جنوبه يصبح متقطع الجريان .
وتسهم في تغذية هذه الأنهار بالمياه الأمطار ونسبة ثلوج لا بأس بها . ثم يبدأ حوض
نهر السنغال الذي يغطي ٤٤٠٠٠٠ كيلو متر مربع بطول قدره ١٤٣٠ كم ، وتقع
منابع النهر في مرتفعات فوتاجالون ذات الأمطار السنوية العالية (١٠٠٠ - ٢٠٠٠
ملم) وأغلبها صيفية ، وبالتالي فنظام الجريان هو مطري - محيطي .

يلي نهر السنغال أنهار غامبيا وكاسامانس وكابا ومووا وكافالاي وساساندرا
وبانداما وكوموه حتى نهر الفولتا ثم نهر النيجر . وتعد الأنهار الصغيرة والقصيرة ،
التي تنبع من الهضاب والظهورات المسائرة لساحل خليج غينيا وتصب في مياهه
بالعشرات ، ويبقى نهر النيجر أكبر أنهار إقليم غربي إفريقيا .

يبلغ طول نهر النيجر ٤١٦٠ كم ، ومساحة حوضه ١٢٠٠٠٠٠ كيلو متر
مربع ، تقع منابعه في هضبة فوتاجالون ومنها يتجه شمالاً شرقياً ثم وبعد ثنية
(بوريم) يتجه النهر نحو الجنوب الشرقي بزاوية قائمة تماماً حتى ينتهي في خليج غينيا
بدلتا واسعة ومتقدمة ، وقبل وصوله إلى البحر بنحو ٣٥٠ كم يتلقى أهم روافده وهو
نهر بينوه القادم من الشمال الشرقي حاملاً مياه مرتفعات أداماوا وهضبة جوس .

ونهر النيجر وإن كان أقصر من نهر النيل فهو ذو تصريف وغازة عاليتين
تفوقان غازة نهر النيل . إذ تصل عند مصبه إلى ٣٠٠٠٠ متر مكعب في الثانية .
وتؤكد جميع الشواهد على أن النيجر كان ينتهي في بحيرة قبيل الثنية ، قام نهر
النيجر الأدنى بأسر مياهها ومياه النيجر الأعلى مكوناً النهر الحالي . وتقدر غازة
النيجر عند نهاية الفصل الجاف بنحو ٣٠ متراً مكعباً في الثانية . لكنها تصل في
أيلول (سبتمبر) إلى ١٠٠٠٠ متر مكعب في الثانية . وعلى العموم فإن نظامه
استوائي - مداري مطري محيطي ، يبلغ الذروة في أغسطس وسبتمبر .

إلى الشرق من نهر النيجر وعلى سواحل الكمرون تجري أنهار أقل أهمية طولاً وتصريفاً منها نهر كروس ونهر ساناغا وغيرهما من أنهار شبكة المحيط الأطلسي في العالم الإسلامي .

ب - شبكة البحر المتوسط والبحر الأسود :

وجريان مياه أنهارها وسيولها يخضع للنظام المطري المتوسطي في أغلب الأنحاء ، عدا حوض النيل المتعدد الأنظمة المطرية ، لجريانه من العروض الاستوائية حتى فوق المدارية ، وبعض أنهار البحر الأسود التي تتغذى بمياه الأمطار ومياه ذوبان الثلوج والجليديات .

وأهم أنهار هذه الشبكة هي :

نهر الملوية (٥٣٠ كم) الذي يتلقى مياهه من جبال الأطلس الأعلى والأوسط وينتهي في البحر المتوسط .

ثم نهر تفتنة والحمام ، ونهر الشليف (٦٩٠ كم) القادم من جبال الأطلس الصحراوي لينتهي في البحر المتوسط شمال مدينة مستغانم . يليه نهر السمّام والرمل ثم نهر المجردة في تونس . بعد ذلك تنعدم الأنهار الجارية وتحل الأودية السيلية محلها حتى نهر النيل .

أما نهر النيل فهو أطول أنهار العالم (٦٦٧١ كم) ومساحة حوضه حوالي ١٩٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع (من دون الأودية الجافة وأحواضها) . وتقع منابعه في منطقة هضبة فيكتوريا وبحيرتها ، يمر بعدها بسلسلة من البحيرات ويشكل بحر الجبل والنيل الأبيض أهمها كما يرفده بحر الغزال من اليسار وسواط والنيل الأزرق وعطربة من اليمين . ويعد النيل الأزرق القادم من هضبة إثيوبيا وبحيرة تانا فيها من أهم روافده . بعدها يتابع جريانه عبر الصحراء حتى البحر المتوسط . وعلى هذا الشكل يجري النيل من الجنوب نحو الشمال ماراً بنطاقات مناخية متعددة ، هي النطاق

الاستوائي المطير والمداري المطير في المجرى الأعلى ، والمداري والصحراوي والمتوسطي في المجرى الأدنى ، مما يعني تعدد أنظمة تغذيته بالمياه ، وفي ضوء ذلك تتغير مواسم الفيضان وكميات التصريف ، مع الأخذ بعين الاعتبار خسارة النيل لكميات كبيرة من مياهه نتيجة التبخر في النطاق الصحراوي إضافة إلى ما يخسره من التبخر على سطح بحيرات السدود عليه . وتقدر غزارة النيل القصوى عند مدينة وادي حلفا بنحو ١١٠٠ متر مكعب في الثانية في شهر أكتوبر ، والغزارة الدنيا ٤٠٠ - ٥٠٠ متر مكعب في الثانية في شهر أغسطس ، وعند أسوان يبلغ متوسط الغزارة السنوية نحو ٢١٥٠ متر مكعباً في الثانية . أما متوسط التصريف السنوي العادي للنيل فهو ٨٤ مليار متر مكعب ، علماً أن فيضان سنة ١٢٩٦ - ١٢٩٧هـ (١٨٧٨ - ١٨٧٩م) حمل ١٥١ مليار متر مكعب وسبب دماراً كبيراً ، ولاسيما في الدلتا البالغة مساحتها ٢٤٠٠٠ كيلو متر مربع .

يلي النيل وعلى سواحل شرقي البحر المتوسط أنهار بلاد الشام الساحلية القصيرة والمتذبذبة الغزارة أبرزها نهر العاصي (٥٧١ كم) وعدد من الأنهار الصغيرة وكثير من الأودية السيلية . ثم يأتي نهر سيحون (٥٢٠ كم) جيحون (٤٨٠ كم) فمندرس (٣٨٠ كم) وغديز (٣٥٠ كم) على سواحل آسيا الصغرى على المتوسط .

وتكثر في شبكة أنهار البحر الأسود الأودية السيلية الجبلية القصيرة وكذلك النهيرات والجداول الساحلية التي قد تجف تماماً في فصل انقطاع الأمطار أو توقف ذوبان الثلوج على الجبال ، لكنها تشمل على عدد من الأنهار المهمة مثل نهر سقارية (٨٠ كم) وقيزيل إرماق (١٤٠٠ كم) ويشيل إرماق (٤٠٠ كم) وتشوروخ في شمالي آسيا الصغرى ، وجميعها تتغذى بمياه الأمطار ويقدر محدود بمياه ذوبان الثلوج . وتكرر ظاهر الأودية السيلية والجداول الجبلية على طول ساحل القفقاس على البحر الأسود مع وجود نهر مهم نسبياً هو نهر ريون (٣٢٧ كم) ، ثم شبكة حوض نهر بشيز (الكوبان) الذي يصب في بحر آزوف المتصل بالبحر الأسود ، وطوله ٩٨٧٠ كم ، وتغلب عليه التغذية الثلجية - الجليدية في أعاليه في جبال القفقاس .

ج - شبكة المحيط الهندي :

وتشتمل على شبكات أذرعه في البحر الأحمر وخليج عدن والخليج العربي . وأغلب الأودية في هذه الشبكات عبارة عن أودية جافة ومسيلات غير دائمة الجريان ، وتظهر الأنهار الفعلية في صدر الخليج العربي متمثلة بشط العرب وشبكة نهري الفرات ودجلة وروافدهما وروافد شط العرب وعشرات المجاري المائية الهابطة من جبال زاغروس وفارس ، وأهمها نهر زوهره ونهر مند ونهر كول .

أما شبكة الفرات - دجلة فتتوغل بعيداً في بلاد الرافدين وجبال الأناضول وزاغروس . فنهر الفرات وطوله ٢٧٠٠ كم (٣٠٦٥ كم مع مرادصو) ومساحة حوضه ٩٨٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع ، ينبع من مرتفعات شرقي الأناضول المغطاة بالثلوج الشتوية ، وبالتالي ترتفع غزارة مياهه في الربيع لذوبان الثلوج . لكن أثر الأمطار المتوسطة في مجراه الأوسط والأدنى واضح أيضاً . ويقدر تصريف الفرات بـ ٣٢٧ مليار متر مكعب سنوياً (نهر الخابور ١٧٧ مليار متر مكعب والبليخ ٣٠٠ مليون متر مكعب) .

ولدجلة خصائص قريبة من خصائص الفرات ، طوله ١٨٤٠ كم ومساحة حوضه ١٦٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع ، تصريفه السنوي أعلى ، وقدره ٤٩٢ مليار متر مكعب سنوياً . والسبب يعود إلى ارتفاع كميات المياه التي تجلبها روافد دجلة من جبال زاغروس (خابور دجلة والزاب الكبير والزاب الصغير وديالي وغيره) . ويصل تصريف شط العرب إلى ٨٢ مليار متر مكعب سنوياً .

وتتعدم الأنهار على طول سواحل خليج عمان وبحر العرب باستثناء السيول المؤقتة وقلة من الأنهار الصغيرة والقصيرة منها نهر داسليت ونهر هوغول . لكن أهم شبكة نهريّة تنتهي إلى بحر العرب ، فهي شبكة نهر السند، الذي تقع بداياته في جبال شمالي باكستان والهند العالية (٤٠٠٠ - ٤٥٠٠ متر). تتغذى روافد السند

الأساسية (جيلاام وجيناب ورافي وبياس وسوتلج) بمياه ذوبان الثلوج والجليديات، ثم تتحد في نهر السند في أرض البنجاب وتعني (أرضي الأنهار الخمسة). ويقطع إلى المحيط الهندي مسافة ٢٩٠٠ كم في حوض مساحته ١١٦٥٠٠٠ كيلو متر مربع. ويؤلف السند عند مصبه دلتا مهمة. أما غزارته فترتفع إلى ٦٤٠٠ متر مكعب في الثانية في موسم الأمطار الصيفية وموسم ذوبان الثلوج والجليد في الربيع والصيف. فنظام الجريان ثلجي - مطري .

وهناك عشرات الأنهار الصغيرة نسبياً التي تهبط من جبال الغات الغربية والغات الشرقية من هضبة الدكن . أبرزها نهر كريشنا ونهر غودافاري ونهر ماهانادي، تنتهي في خليج البنغال . لكن أهم أنهار هذا الخليج هو نهر الجانج - براهماپوترا، الذي يتألف من شبكة كثيفة من الروافد والأنهار الهابطة من جبال الهيمالايا ، أهمها نهر براهماپوترا وطوله ٢٩٠٠ كم ونهر جمنة . أما نهر سون رافد الجانج الأيمن فيأتي من هضبة الدكن ونظام مياهه مطري موسمي (٣٣ متراً مكعباً في الثانية في شهر مايو و ٤٦٨٠ متراً مكعباً في الثانية في شهر أغسطس) ، بينما نظام بقية الروافد هو ثلجي - جليدي في الأعلى ومطري في المجرى الأدنى ، ويبلغ طول الجانج ٢٧٠٠ كم ، وتقدر غزارته المتوسطة بنحو ٢٠٠٠٠ - ٢٨٠٠٠ متر مكعب في الثانية أما غزارة براهماپوترا فتراوح بين ١٠٠٠٠ - ١٥٠٠٠ متر مكعب في الثانية ويكون نظام جريانه ثلجياً - جليدياً في الأعلى ومطرياً موسمياً في السهول .

بعد شبكة الجانج وبتجاه بورما (مينمار) وملقة ، توجد أنهار عديدة تنتهي مياهها في خليج البنغال أهمها نهر الإيراوادي ونهر سالوين ونهر ساراوا وغيره من أنهار أصغر نظام جريانها مطري موسمي واستوازي مداري .

وتوجد على الجانب الغربي من المحيط الهندي مجموعة من الأنهار التي تحمل مياه شرقي إفريقيا إلى المحيط أبرزها (من الشمال إلى الجنوب) أنهار شيبيلي وجوبا وتانا وغالانا وروفيجي وروفوما ، ثم نهر الزامبيزي وهو أهمها كلها (طوله

٢٦٠٠ كم ومساحة حوضه ١٣٣٠٠٠٠ كيلومتر مربع) . يقع مجراه الأدنى في موزمبيق وباقيه يصرف مياه مساحات كبيرة من الجنوب الإفريقي خارج العالم الإسلامي . ونظام جريان هذه الأنهار مطري يخضع لمواسم هطولها في الشمال (الصومال) والجنوب (تنزانيا وموزمبيق) .

د - شبكة المحيط الهادي :

وتتضمن مجموعة كبيرة من الأنهار الصغيرة والمتوسطة الأطوال والأبعاد والجداول ذات المياه الدائمة الجريان ، في جزر أرخبيل إندونيسيا وملقة وجنوبي الفيليبين المسلم . وأطول هذه الأنهار وأوسعها حوضاً ، هي الموجودة في الجزر الكبرى ولاسيما جزيرة كليمتان (بورنيو) وجزيرة سومطرة . وأهم أنهار هذه الشبكة أنهار كابواس (٧٠٠ كم) ، ومهاكام وكاهايان وباريتو في كليمتان ونهر باتانغاري في سومطرة وأنهار سولو وبارنتاس في جاوة ، وديغول ومامبيرامو وغيره في إيريان الغربية في جزيرة غينيا الجديدة .

تتصف أنهار ونهيرات هذه الشبكة بنظام جريان دائم يتأثر بالأمطار الاستوائية المدارية الهائلة على مدار العام ، وبغزارات عالية كثيراً ما تسبب فيضانات في مجاريها الدنيا ، كما تتصف باستمرار الجريان ووفرة المياه ، مما يبعد عن بلدان هذه الأنحاء شبح العجز المائي الذي تعاني منه المناطق الجافة وشبه الجافة من العالم الإسلامي . وترتفع مياه الأنهار إلى حددين أعظمين يتفقان مع زمن الاعتدالين عادة (مارس وسبتمبر) .

هـ - شبكة الأحواض المغلقة :

تتألف هذه الشبكة في الواقع من مجموعة شبكات تشترك في خاصية أن أنهارها ومياه سيولها الدائمة أو المؤقتة لا تصل إلى البحار المفتوحة ، بل تنتهي في أحواض عديمة التصريف أو مغلقة .

وأبرز أنهار هذه المجموعة هي :

نهر جيحون (أموداريا) :

وطوله ٢٥٤٠ كم ومساحة حوضه ٣٠٩٠٠٠ كيلو متر مربع . وهو الذي يسمى بـ (النهر) في التراث الإسلامي . ينبع من جبال هندوكوش وبامير وجليدياتها وثلوجها التي تزوده بمياه ذوبانها ، فتفيض في مارس وحتى مايو عندما تذوب الثلوج وتهطل الأمطار ، وفي أشهر الصيف عندما يذوب الجليد . وينقل نهر أموداريا إلى بحر آرال حيث ينتهي ، كميات ضخمة من المواد الصلبة المعلقة تبلغ ١٣٠ مليون طن سنوياً . وتصل غزارة مياهه المتوسطة إلى ٢٠٠٠ - ٢٢٠٠ متر مكعب في الثانية . ويعاني حوض النهر وبحر آرال من آثار كارثة بيئية مدمرة لم تتوقف بعد ، نشأت نتيجة سياسة مائية - زراعية فاشلة في العهد الشيوعي ، محورها تحويل مياه النهر إلى قناة ري صحراء قرة قوم ، مما أدى إلى اختصار بحر آرال ووادي النهر .

أما النهر التوأم لـجيحون :

وهو نهر سيحون (سرداريا) فطوله ٣٠١٩ كم ومساحة حوضه نحو ٢١٩٠٠٠ كيلو متر مربع وينبع من جبال آسيا الوسطى (تيان شان) ويمر بحوض فرغانة وينتهي في بحر آرال الذي لم تعد مياهه تصل إليه من جراء استنزافها في حوضه الأعلى ومنطقة طشقند . تغذيه ثلوج وجليديات الجبال بالمياه ، فيفيض في الربيع ، وتقدر غزارته الوسطية عند مصبه بنحو ٤٩٠ متراً مكعباً في الثانية قبل ضياع مياهه في غرينه المكون لدلتاه على شاطئ بحر آرال .

وتصل إلى بحر آرال وأحواض طوران الأخرى مياه سيول قادمة من الشمال المعتدل البارد ، مثل مسيل نهر تورغاي الذي ينتهي في سبخة (سولونتشاك) شالكار تينيز ، ونهر كولان تبس الذي يصب في بحيرة تينغز المالحة . كما تخرج من شمالي كازاخستان مجارٍ تؤلف روافد لأنهار سيبيريا الغربية ، وهناك مجموعة أنهار تصب في بحيرة بيكال مصدرها جبال تربغتاي وجونغارية وبوروخورا .

وتصل إلى حوض طوران مياه أنهار قادمة من جبال كويت - داغ وأفغانستان الشمالية في الجنوب ، يضيع معظمها في رمال ومواد دالاتها الجافة مثل نهر مورغاب وهري رود - تيجين ، وروافد أموداريا . ومن الأنهار التي تصب في بحر قزوين المغلق نهر أمبه ونهر أورال ، ثم أنهار القفقاس التي تنتهي على ساحل البحر الغربي وأهمها نهر التيرك ونهر الكورا وعشرات الأنهار الصغيرة ذات النظام الثلجي - الجليدي المطري . كذلك يتلقى بحر قزوين مياه نهر سفيد رود القادم من جبال البورز التي تأتي منها عشرات النهيرات والسيول .

تستمر سلسلة الشبكات المائية المغلقة في أحواض آسيا الوسطى في جونغارية حيث نهر أورونغو ، وفي طرفان حيث نهر الغوي الناشئ من جليدية أوكين . لكن أهمها هو نهر تاريم في حوض تاريم - تكلاماكان .

يتألف نهر تاريم من اجتماع أنهار ياركند وكوك شال وكاشغر وأك صو وخوتان عند بلدة غالدرد ويسير شرقاً على الحافة الشمالية لصحراء تكلاماكان حتى ينتهي في بحيرة لوب نور بعدما يقطع مسافة ١٨٥٠ كم في حوض مساحته ٣٧٥٠٠٠ كيلو متر مربع . أما تغذيته فهي ثلجية - جليدية جبلية ، وتفيض مياهه فتخرج من المجرى ، مما يؤدي إلى تغييره وترنحه بين الشتاء والصيف .

كذلك تكثر الشبكات المغلقة في الهضبة الإيرانية - الأفغانية حيث تستقبل أحواضها المغلقة العديدة الكثير من السيول الهابطة من الجبال الهامشية للهضبة . أهمها شبكة أنهار هلمند وخاش - رود وفره - رود وهاروت رود في حوض سيستان وبحيرة هامون متهى مياه المنطقة ، ومثلها شبكات حوض جازموريان ودشت لوط ودشت كفير وغيره من أحواض أصغر تضيع في مالحها وسباخها مياه شبكات السيول الجبلية ذات النظام المطري .

ولا يختلف الأمر كثيراً في بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية حيث تكثر المنخفضات والأحواض المغلقة الصغيرة والكبيرة (خبروات وسباخ ومستنقعات . . . الخ) التي تشكل كل واحدة منها مع الأودية المنتهية إليها شبكة مستقلة . وهي ذات نظام مطري شتوي - ربيعي . أبرزها نهر بردى ونهر الأعوج ونهر قويق والذهب في سوريا ، ثم نهر الأردن ورافده اليرموك وهو أهم أنهار الشبكات المغلقة في هذا الجزء من العالم الإسلامي ، حيث ينبع الأردن من جنوبي لبنان وجبل الشيخ ويتجه جنوباً لينتهي في البحر الميت الآخذ بالتقلص ومستواه بالانخفاض (٤٠٣ متر تحت سطح البحر) . وكذلك تتشابه أوضاع الشبكات المغلقة في الصحراء الكبرى مع أوضاع الشبكات السابقة ، مع فارق أن الجريان في الصحراء الكبرى شبه معدوم ومياه السيول شحيحة جداً . وأهم هذه الشبكات شبكة تشاد وبحيرتها التي تنتهي إليها مياه نهر شاري البالغ طوله ١٥٤٠ كم ومساحة حوضه ٧٠٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع وغزارته ١٢٠٠ متر مكعب في الثانية ، كذلك شبكة أنهار نغاداً وكوما دوغو - يوبه . وعشرات الأودية الجافة الموروثة عن عصور مطيرة سابقة .

وتكثر الأودية الجافة التي تنتمي إلى شبكات مغلقة مستقلة على أطراف جبال الأحجار وتيبستي ، حيث تتناثر المنخفضات والأحواض الصغيرة حولها وتؤلف مستوى أساس مياه السيول . وتتكرر هذه الصورة على جوانب جبال الأطلس في نطاق أودية المزاب ووادي جدي الذي ينتهي في شط الملغير ، لكن أبرز الأودية هو وادي غير - الساعورة ووادي زيز .

كذلك توجد شبكات مشابهة في هضبة النجود العليا حيث توجد الضيآت والشطوط في الجزائر .

وأخيراً تكثر الشبكات المغلقة في الشريط الأرضي الواقع شرقي إفريقيا بين منخفض الدناكل في الشمال ، وشرق حوض بحيرة فيكتوريا في الجنوب . إذ يضم هذا الشريط بحيرات عديمة التصريف تشكل مستوى أساس أنهار صغيرة عديدة ذات نظام جريان استوائي - مداري ، منها شبكات بحيرات إياسي ، ومانيار ونظرون وبارينغو وغورفونجي الانهدامي والبحيرات المرتصفة على طوله .

و - الأنظمة المائية للجريان السطحي في العالم الإسلامي :

تنتشر في العالم الإسلامي أنظمة مختلفة للجريان المائي تنضوي تحت مجموعات الأنظمة الرئيسة المعروفة في العالم . والأنظمة الموجودة في العالم الإسلامي هي :

١ - النظام المطري للجريان :

وفيه تخضع مياه الأنهار فيضانياً وشحاً وحركة وجرياناً لكميات الأمطار التي تغذي النهر وحوضه ، ولتقلبات كميات الأمطار ومواسمها ومعدلاتها والانحراف عنها . ويسود هذا النظام في أحواض نسبة عالية من أنهار العالم الإسلامي ولاسيما التي تقع منابعها بعيداً عن الجبال والمرتفعات العالية التي تكفلها الثلوج والجليديات مثل أغلب جبال آسيا الوسطى وجبال الأناضول والقفقاس ، أو الأنهار التي تنبع من عروض مدارية - استوائية لا يتساقط فيها الثلج ، كما هو الحال في نهر النيل ونهر النيجر . وتختلف مواسم الشح والفيضان في أنهار النظام المطري بحسب مواسم المطر والجفاف ، بحيث يحدث الفيضان مع حلول موسم المطر، والشح في موسم الجفاف وانقطاع التساقط . كما أن هذا النظام يؤثر في المجاري الدنيا لأنهار تمتد أحواضها على أكثر من نطاق مناخي (الفرات ودجلة مثلاً) أو على نطاقين تصاريسين متباينين (جبال عالية وسهول منخفضة) كما هو الحال في نهر السند ونهر الجانج - براهماپوترا . وتعد أنهار إندونيسيا وخليج غينيا أمثلة نموذجية لنظام الجريان المطري .

٢ - نظام الجريان البسيط (العادي) :

ويسود في الأنهار المتأثرة بالتساقط والتبخر - التتح ، ويشتمل على أنهار إندونيسيا وخليج غينيا ومناطق الأمطار المحيطية ، وتبرز فيها أعلى قيم الجريان في الشتاء ، وأدناها في الصيف المتأخر . وتكون الفروق بين الفيضان والشح في هذا النظام ضئيلة في النطاق الاستوائي ، لكنها تصبح واضحة في النطاق المداري الهامشي

حيث تتفق فترة الفيضان مع وقوع الأشعة الشمسية عمودية . والغالب في أنهار الجريان البسيط أن تتأثر المياه بمصدر واحد مطراً كان أم ثلجاً ، من دون تداخل بين مصادر التغذية . لذا كانت أنهار هذا النظام قصيرة أو متوسطة الطول تنبع وتنتهي في نطاق مناخي واحد أو نطاقات متشابهة من حيث سيادة أنظمة التساقط والجريان . ففي الجبال العالية في العروض المتوسطة يسود نظام الجريان الجليدي في جبال آسيا الوسطى والقفقاس التي تغطي فيها الثلوج الدائمة والجليديات نسبة ١٥ - ٢٠٪ من مساحة أحواض الأنهار .

٣ - النظام الثلجي :

يتحكم هذا النظام بجريان مياه أنهار جبال آسيا الوسطى التي تسقط عليها الثلوج سنوياً وبكميات كبيرة تتحول في الارتفاعات الكبيرة فوق ٤٠٠٠ - ٤٥٠٠ متر إلى ثلوج دائمة وجليديات . وكذلك في كثير من الأنهار الجارية في البقاع الجبلية الأخرى . ولاسيما في مجاريها العليا الواقعة في الجبال . كالفرات والبراهمابوترا وجيخون وتاريم وأنهار غيرها تتزود بمياه ذوبان الثلوج . وقد تتضافر الجليديات مع الثلوج في رسم منحى الفيضان والشح في جريان بعض الأنهار التي تنبع من جبال عالية أو شاهقة الارتفاع مثل أنهار جبال الهيمالايا والقفقاس وبامير وكرا كوروم وغيرها . حيث تقع فترة الفيضان في الصيف بالنسبة للأنهار التي تتغذى بمياه ذوبان الجليد ، وفي الصيف والربيع إذا كانت تتزود بمياه ذوبان الجليد والثلج .

٤ - نظام الجريان المعقد (المركب) :

وهو نظام تتداخل فيه أنظمة جريان عدة في نهر واحد . فقد يتداخل النظام المطري مع الثلجي ، أو مع الثلجي والجليدي . كما في الأنهار الكبيرة في شبكة أنهار المحيط الهندي (السند والجانج - براهمابوترا) . لكن التعقيد لا يقتصر على مصدر المياه مطراً كان أم ثلجاً ذائباً أو جليداً ذائباً ، بل على مواسم التساقط لنموذج واحد من نماذج التساقط كما هو الحال في نظام جريان نهر النيل الذي يكون التساقط

فيه مطرباً لكنه يتدرج من مطري استوائي إلى مطر مداري وفوق مداري ومتوسطي ، وكذلك في نظام جريان نهر النيجر .

إن تعدد أنظمة الجريان في أنهار العالم الإسلامي له نتائج إيجابية من حيث تنوع أشكال الاستفادة من مياهها في أوقات ومواسم السنة المختلفة ، وفي بيئات جغرافية متفرقة ، وغيرها من الأمور التي تنعكس على التوزيع السكاني والعمراي الاقتصادي ، وارتباطها بالماء السطحي .

ز - المياه الراكدة (البحيرات والبحار الداخلية) في العالم الإسلامي :

في العالم الإسلامي الكثير من مساحات المياه الراكدة في أخفض أجزاء الأحواض المغلقة أو التي تعترض مجاري الأنهار (أعالي نهر النيل مثلاً) . منها ماهو صغير مثل البرك والمستنقعات والسبخ والبحيرات الصغيرة ، وهي الأكثر عدداً ، ومنها ماهو واسع وكبير مثل بحيرات فيكتوريا وبلخاش وإيسيك كول وأورمية ووان وتوبا والبحر الميت وبحر آرال وبحر قزوين . كذلك تفترق المياه الراكدة من حيث طبيعة مياهها ، فمنها العذبة ، ومنها المالحة ومنها ذات المياه الآسنة والمجة (أي المرّة) وغيرها .

١ - البحيرات :

تقسم البحيرات في العالم الإسلامي إلى مجموعتين كبيرتين هما :

* بحيرات من أصل بنائي (تكتوني) : وهي البحيرات التي تشكلت في منخفضات وأحواض نشأت نتيجة حركات بنائية التوائية أو انهدامية - صدعية كما في بحيرات جبال آسيا الوسطى والعديد من بحيرات آسيا الصغرى وإيران وغيرها ، التي يغلب عليها الأصل البنائي الالتوائي . أما البحيرات الانهدامية - الصدعية الأصل فتكثر في نطاق الأخدود الإفريقي العظيم في بلاد الشام وأغوار الأردن - فلسطين مثل بحيرة طبرية والبحر الميت ثم بحيرات شرقي إفريقيا الكثيرة مثل بحيرات نياسا وتنجانيقا وألبرت ورودولف وغيرها .

ومن بحيرات هذه المجموعة بحيرات الفوهات البركانية وتشمل الفوهات العادية والمار والكالديرات والقيعان في الأغشية الاندفاعية . وتشاهد هذه البحيرات في البقاع البركانية من العالم الإسلامي ولاسيما في إندونيسيا وشرقي إفريقيا وفي بلاد الشام والأناضول ، وفي براكين منعزلة مثل واوالناموس في سرير تيبستي في الصحراء الكبرى .

* بحيرات من أصل حتي- رسوبي : وتشتمل على بحيرات ومستنقعات الأحواض الحثية ومنخفضات التعرية الريحية والتحلل الكارستي . وهي كثيرة وتعد بالآلاف مثل الجراوات (تاكيرات) والسباخ والمستنقعات المنتشرة في صحاري وأشباه صحاري العالم الإسلامي . كذلك تكثر بحيرات الأصل الكارستي في حوض البحر المتوسط وهضابه وجباله ذات الصخور الكلسية وكذلك في القفقاس وفي ألبانيا والبوسنة والهرسك . وتدخل في هذه المجموعة بحيرات محدودة العدد من أصل جليدي متخلف عن تراجع جليدي سابق ، في الشمال الإسلامي . وكذلك البحيرات الساحلية بأنواعها وأصولها المختلفة .

أما البحيرات ذات الأصل الرسوبي فنشأت نتيجة قيام رسوبيات بسد الطريق أمام المياه الجارية ، منها بحيرات سدود الانهيارات الصخرية والانزلاقات الأرضية التي تكثر في جبال آسيا الوسطى والأناضول وفي المناطق المطيرة . وللأغشية البركانية - الاندفاعية دور مشابه في نشوء بعض البحيرات في مناطق جنوب شرقي آسيا وبلاد الشام وشرقي إفريقيا حيث قامت الحمم البركانية الزاحفة باعتراض سير بحارٍ مائية ، وحجزت مياهها مشكلة بحيرات أو مستنقعات .

إن الأكثر شيوعاً في العالم الإسلامي هو أن مياه البحيرات الرئيسية عذبة . لكنها تصبح مالحة بنسبة متفاوتة في كثير من بحيرات المناطق الجافة وشبه الجافة نتيجة التبخر الشديد وقلّة ما يصب فيها من مياه أنهار وسيول أو يسقط عليها من أمطار ، مما يرفع من تركيز الأملاح . كما في بحيرات توزغول وإيسيك كول وبحر آرال

والبحر الميت وبحيرة بلخاش ذات النصف الشرقي المالح والنصف الغربي العذب المياه. ويدخل في هذه المجموعة بحر قزوين وأعداد كبيرة من السباخ والمستنقعات المالحة في صحاري وأشباه صحاري العالم الإسلامي، وعلى امتداد سواحل المنخفضة.

وتختلف نسبة ملوحة المياه بين السباخ التي تتشكل على سطحها قشرة ملحية في موسم الجفاف في الصيف ، ومياه البحيرات الدائمة التي تقدر ملوحتها بـ ٥٨٠ بالآلاف في إيسيك كول و ٩, ١٠ بالآلاف في بحر آرال و ١٢ - ١٣ بالآلاف في بحر قزوين و ٢٠٠ - ٣٠٠ بالآلاف في خليج قره بوغاز ، و ٢٨٨ في مياه السطح و ٣٢٥ في مياه قاع البحر الميت .

تتأثر حرارة مياه البحيرات بالعروض الجغرافية والفروق الحرارية اليومية والفصلية . إذ تسود درجات حرارة دون ٤ درجات مئوية سنوية في بحيرات كازاخستان الشمالية وبحيرات الجبال العالية في آسيا الوسطى ، تتجمد مياه بعضها ، كما في بحيرات بامير والتبت الواقعة على ارتفاع ٥٠٠٠ متر أو أكثر . أما باقي بحيرات العالم الإسلامي فدرجة حرارة مياهها أعلى من ٤ درجات مئوية .

ويلاحظ على البحيرات أنها تنتشر في العالم الإسلامي على هيئة زمر ودرافات في أغلب المناطق كما في بحيرات البقاع البركانية والبقاع الكارستية والبقاع الانهدامية والساحلية والبقاع الجافة . ولكل قاعدة شواذها . كذلك يلاحظ أن الكثير من البحيرات ذات التغذية الدائمة المنتظمة يحافظ على حجم مياهه ومساحته بصورة عامة بينما توجد بحيرات تتعرض مياهها لتذبذب كبير من حيث الكمية والانتشار بين فصل وآخر وبين سنوات وأخرى وبين عصر وآخر ، تبعاً لسيادة شروط مناخية مطيرة ومعتدلة الحرارة أو شروط جفاف وحرارة عالية. وفي العالم الإسلامي أمثلة كثيرة على تحول بحيرات كبيرة إلى مستنقعات أو سباخ ، مثل بحيرة دمشق الرباعية القديمة التي تحولت إلى مستنقع بحيرة العتبية . ومثل البحر الميت الذي انخفض مستوى مياهه من ٣٨٠ متراً تحت سطح البحر عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) إلى ٤٠٣ متر تحت سطح البحر عام ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) - مع عدم إغفال دور الإنسان في ذلك - ، وبحر

آرال الذي كان للإنسان دور كبير في تقليص مساحته من ٦٦٥٠٠ كيلو متر مربع قبل عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) إلى ٣٦٥٧٠ كيلو متر مربع في عام ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) ، وتعريض حوضه لأخطر كارثة بيئية في تركستان (شكل رقم ٨) وتبقى بحيرة تشاد وتقلبات أوضاعها المائية مثلاً نموذجياً لما تتعرض له بحيرات المناطق الجافة من تغيرات طبيعية .

يبلغ العمق المتوسط لمياه بحيرة تشاد ١ - ٣ أمتار وكمية الأمطار الهاطلة على حوضه ٣٣٠ ملم سنوياً ومقدار الصبيب المتوسط لنهر شاري وشبكة أوديته ٤٠ مليار متر مكعب والتبخّر السنوي يصل إلى ٢٢٠٠ ملم . لكن هذه المتوسطات السنوية تخضع لتغيرات كبيرة من حيث كميات مياه الأمطار والنهر والأودية السيلية ، تنعكس على استناع البحيرة . ففي شهر يونيو تنقلص مساحة البحيرة إلى نحو ١٠٠٠٠ كيلو متر مربع ، لكنها تتسع إلى أكثر من ٢٥٠٠٠ كيلو متر مربع في شهر ديسمبر عندما يصبح عمق المياه ٦ أمتار . هذا ومن ناحية أخرى فإن بحيرة تشاد اليوم هي وريثة بحيرة أكبر كانت تمتد حتى هضبة اينيدي في شمالها الشرقي في مطلع الزمن الرابع الجيولوجي ، لكنها تعرضت للجفاف والتراجع .

٢ - البحار الداخلية :

في العالم الإسلامي أكبر بحر داخلي أو (بحيرة داخلية) في العالم هو بحر قزوين ، الذي تبلغ مساحته ٣٧١٠٠٠ كيلو متر مرفع (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) وأكبر عمق فيه ١٠٢٥ متراً وارتفاع مستوى مياهه - ٢٨ متراً علماً أن مساحته كانت ٣٧٢٠٠٠ كيلو متر مربع قبل عقدين من الزمن ، ومستوى مياهه كان على ارتفاع ٨٨ متراً في العصر الجليدي الأخير وكان متصلاً بالبحر الأسود . ويميل الرأي إلى أن انخفاض مستوى مياهه وانعزاله يرجع إلى التغيرات المناخية، ورأي آخر يرى أن السبب بنائي (تكتوني) نتيجة نهوض مرتفعات ستافروبول وشمالى بلاد الشركس ، مما فصل بين البحرين ، لكن انخفاض مستوى المياه يرجع إلى عوامل مناخية بالدرجة الأولى .

تراوح ملححة مياه بحر قزوين بين ٧٥,٠ بالألف عند مصاب نهر الفولغا وأنهار الققفاس ، و ٤,١ بالألف في بقية المياه ، وترتفع في خليج قره بوغاز ومساحته ١٨٣٠٠ كيلو متر مربع إلى ٢٥٠ بالألف وسطياً . وعلى العموم فإن مستوى مياه بحر قزوين ينخفض ببطء من جراء تناقص ما يرده من مياه الأنهار التي يستخدمها إنسان أحواضها لأغراضه المدنية والاقتصادية .

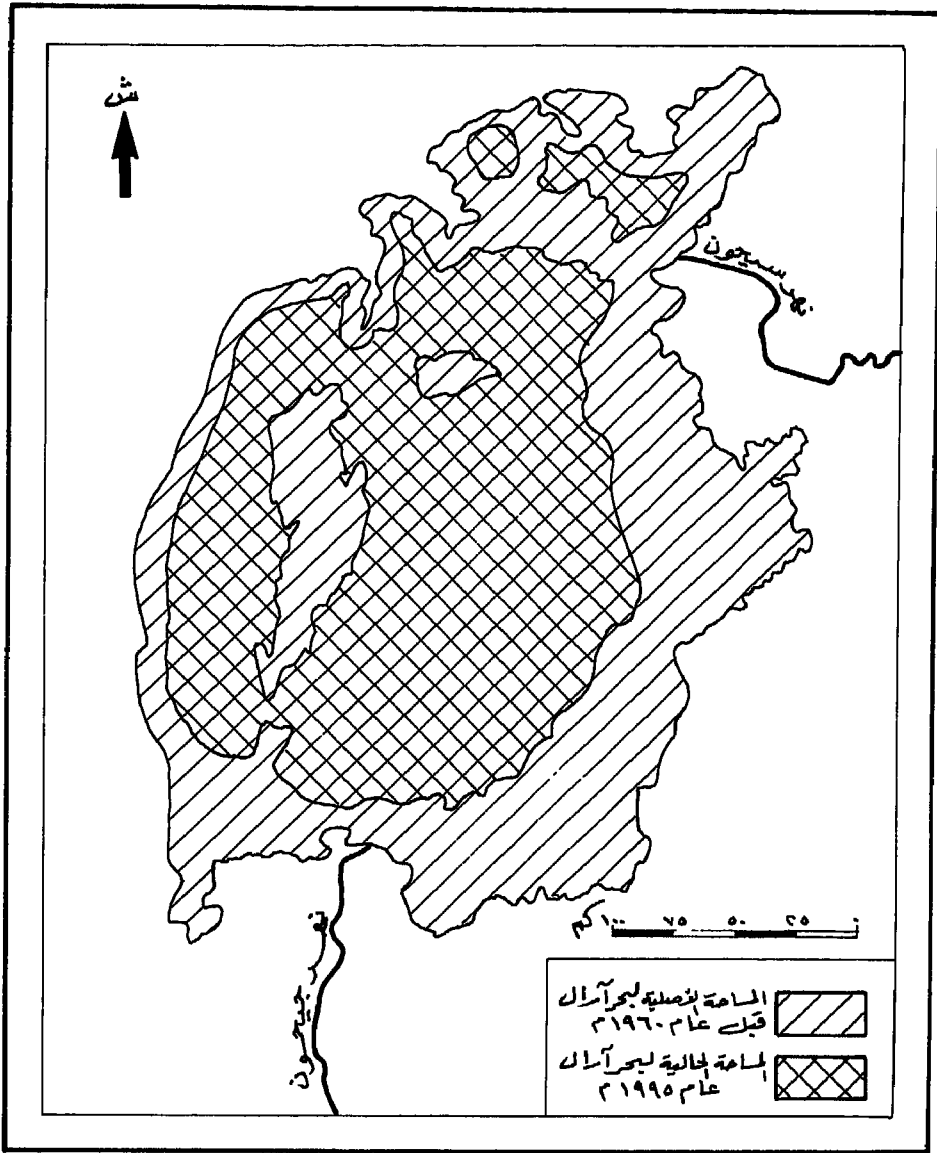
ثانياً : المياه الجوفية :

أخذت أهمية هذه الثروة الطبيعية بالتزايد في المناطق الجافة وشبه الجافة في العالم الإسلامي منذ نحو نصف قرن مضى ، نتيجة التطورات الكبيرة التي طرأت على عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي أفرزها التزايد الكبير لأعداد السكان والتوسع في إعمار الأرض واستعمالها في البقاع التي تعاني من عجز في المياه السطحية .

والمياه الجوفية في العالم الإسلامي نوعان هما :

أ - المياه الجوفية المتجددة :

وتوجد خزانات جوفية وطبقات حاملة لها ، بشكل حر أو ارتوازي ، في أغلب أصقاع العالم الإسلامي ولاسيما في كتله وسلاسله الجبلية وهضابه ومرتفعاته الأخرى وهوامشها والأحواض القريبة منها أو بينها . حيث تقوم كميات التساقط المطري والثلجي السنوي بتزويد المياه الجوفية بما يمكن أن تفسده عن طريق الينابيع والاستعمالات البشرية وتجديد هذا الفاقد وتعويضه سنوياً دون الإساءة إلى الاحتياطي المائي والمخزون الجوفي منه . كما هو الحال في أقاليم العالم الإسلامي في شرقي وجنوب شرقي آسيا وفي آسيا الجنوبية الموسمية وآسيا الجبلية والوسطى وجبال غربي آسيا وما حولها والمناطق الاستوائية - المدارية المطيرة في إفريقيا ومرتفعاتها . وباقي البقاع الخارجة عن نطاق الأراضي الجافة وشبه الجافة في العالم الإسلامي .



شكل (٨) تغير مساحة بحر آزال بين عامي ١٩٦٠ م و ١٩٩٥ م

Fischer Weltalmanach , 1996

المصدر :

يختلف عمق المياه الجوفية المتجددة بين مكان وآخر، يزيد على مئات الأمتار كما في بعض أحواض الهلال الخصيب وآسيا الصغرى والأطلس وإيران وهوامش جبال آسيا الوسطى وشرقي إفريقيا وغيرها ، أو يقل عن المتر ، بل وتظهر المياه على السطح في مناطق الأمطار الاستوائية والموسمية وفي دالات الأنهار الكبرى وسهولها الفيضية . كما في إندونيسا وبنغلاديش وغيرها . كذلك يختلف العمق بحسب الفصول ، إذ يزداد في المواسم الجافة ويقل في مواسم الأمطار وذوبان الثلوج . وبحسب هذه المواسم وبحسب المواقع الجغرافية للأحواض والطبقات المادية الجوفية وما يصلها من مياه التساقط ، تتفاوت كميات المخزون المائي الجوفي في العالم الإسلامي .

وتعاني المياه الجوفية ولاسيما العميقة ، من مسألة ارتفاع ملوحتها في كثير من أنحاء العالم الإسلامي ، وبخاصة الأنحاء شبه الجافة وحيث اعتماد الإنسان على هذا المورد الطبيعي كبير وأخذ بالتزايد ، كما في هوامش حوض طوران وأحواضه الثانوية مثل حوض بخاري - كارسين وحوض زرفشان وحوض قيزيل قوم وبوادي الهلال الخصيب وهوامش جبال الأطلس وإقليم الساحل الإفريقي ، وغيره .

ب - المياه الجوفية القديمة (الاحفورية أو المستحاثية) :

وتعرف بـ (الجيولوجية) أيضاً ، وهي مصدر مائي غير متجدد ، مخزون في طبقات صخرية حاملة للمياه منذ عشرات آلاف السنين ، تسربت إليها عندما كان المناخ مطيراً رطباً في مناطق وجود أحواض هذه المياه وما حولها . وقد تم الكشف حتى الآن عن أحواض واسعة جداً في صحاري العالم الإسلامي في الجزائر في أحواض تنزروفت والعرق الشرقي ، وفي ليبيا في أحواض فزان والسرير والكفرة . وفي مصر في حوض الصحراء الغربية المتصل بحوض الكفرة، وفي شبه الجزيرة العربية في حوض النفود وحوض الرياض وحوض الربع الخالي وفي أحواض صغيرة في صحاري طوران .

ويعد هذا المصدر مهماً في إطار التخفيف من حدة أزمة العجز المائي في المناطق الجافة في العالم الإسلامي ، لكنه يواجه مشكلات عديدة أبرزها : أنه مصدر غير متجدد مهدد بالانحسار بالاستعمال أولاً ، وأنه عميق الغور ثانياً ، وأن مياهه مالحة تحتاج إلى معالجة أو إلى مزجها مع مياه عذبة (مياه مدينة الرياض مثلاً) ثالثاً ، مما يستدعي الحذر الشديد في الاعتماد على هذا المصدر المائي على المدى الطويل ، أو النظر إليه أنه حل دائم نهائي لأزمات النقص المائي . ولا يجب المساس به إلا في ظروف اضطرارية مؤقتة وبأسلوب مدروس .

المسألة المائية في العالم الإسلامي :

يقسم العالم الإسلامي من حيث ثرواته المائية إلى قسمين أساسيين هما القسم الشرقي والجنوبي الذي يضم البلدان الاستوائية المطيرة والمدارية - الموسمية في أرخبيلات إندونيسيا وماليزيا ، وأغلب أصقاع حوض المحيط الهندي . ثم جبال آسيا وهوامشها ، وأنحاء إفريقيا الاستوائية وغيرها من بقاع تتمتع بوفرة في المياه السطحية والجوفية . ثم القسم الغربي والشمال الغربي الذي يشمل بقية أنحاء العالم الإسلامي الجاف وشبه الجاف ، التي تعاني من قلة في المياه العذبة .

ففي القسم الأول لا توجد مسألة مائية ملحة ناشئة عن نقص أو عجز في الرصيد المائي ، بل على العكس فإن وفرة المياه الزائدة تسبب في بعض الأنحاء مشكلات بيئية وأضراراً مثل تعرية التربة وتجريفها ، وتخريب الحقول والمنشآت البشرية والاقتصادية بالفيضانات ، وهطول الأمطار الغزيرة ، لاسيما إذا صاحبتهما الأعاصير المدارية ، كما يحصل في بنغلاديش .

أ - مشكلة المياه في المناطق الجافة في العالم الإسلامي :

أوضحت مسألة العجز المائي ونقص المياه العذبة في المناطق الجافة وهوامشها شبه الجافة ، أخطر المشاكل التي يواجهها العالم الإسلامي ، وتهدد مستقبله القريب .

وهي في تآزم وتفاقم متزايدين يوماً بعد يوم في بلدان المناطق المذكورة حتى في تلك التي منحها الله عز وجل مصادر مائية مهمة على شكل أنهار وفيرة المياه مثل نهر النيل والفرات والسند والنيجر وغيره . والسبب يرجع إلى اختلال التوازن بين طرفي معادلة بسيطة ، طرفها الأول ثابت تقريباً ، وهو المياه وكمياتها في العالم الإسلامي ، وطرفها الثاني متغير باتجاه الزيادة ، وهو أعداد السكان الذين يتزايدون بنسب نمو عالية تتصف بها المجتمعات الإسلامية ، إضافة إلى التزايد المضطرد في متطلبات السكان واحتياجاتهم من المياه النقية والعذبة في المجالات المدنية والاقتصادية وأسباب الحياة الأخرى . وتتحول المشكلة إلى كارثة طبيعية حقيقية إذا تعرضت منطقة تقع في نطاق مائي حرج ، كميات مياهها تكافئ احتياجاتها منها ، إلي موجة من الجفاف لعدة سنوات عجاف سببها التغيرات المناخية القصيرة الأمد كما هو الحال في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي مثل الصومال وبلدان إقليم الساحل الإفريقي (من السودان غرباً حتى موريتانيا والسنغال) ، حيث بلغت مسألة العجز المائي والجفاف حدود كوارث أدت إلى مجاعات قضت على ملايين البشر والحيوانات في العقود الثلاثة الماضية وخاصة سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) ، وسنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٤م) .

إن ثروات المناطق الجافة وشبه الجافة في العالم الإسلامي من المياه ثابتة الكميات تقريباً على المدى الطويل ، فالثروة المائية السطحية لبعض البلدان الإسلامية، على سبيل المثال لم تتغير منذ عقود عرفت فيها كمياتها وقيست ، كما في الجدول رقم (٣) .

جدول رقم (٣) الثروات المائية في العالم الإسلامي .

الدولة	الثروة المائية السطحية	الدولة	الثروة المائية السطحية
الباكستان	١٦٤ مليار متر مكعب	سوريا	٢٩ مليار متر مكعب
إيران	٤٢ مليار متر مكعب	فلسطين والأردن	١,٥ مليار متر مكعب
العراق	٨٦ مليار متر مكعب	مصر والسودان	٨٤ مليار متر مكعب

وبمقارنة هذه الأرقام شبه الثابتة بأعداد سكان هذه البلدان ونموها السريع وارتفاع معدلات استهلاك الفرد من المياه في أثناء ثلاثة عقود ماضية فقط ، تتضح صورة المشكلة وحجمها وضخامة الأزمة التي تواجه الكثير من بلدان العالم الإسلامي التي تعاني من عجز مائي . وتزداد المسألة حدة وخطورة في البلدان الخالية من مصادر مياه سطحية دائمة وأنهار مثل موريتانا وليبيا وبلدان شبه الجزيرة العربية .

أمام الأزمة ، أو الحاجة المتزايدة إلى الماء العذب ، وعدم كفاية المياه السطحية لتلبية الطلب المتزايد عليها لجأت البلدان المعنية إلى إقامة السدود للاستفادة من أكبر قدر ممكن من المياه المهذورة فكثرت السدود على أنهار السند والفرات ودجلة وروافدهما ، والنيل وروافده ، وعلى أنهار إيران وأفغانستان والمغرب ، وفي أودية اليمن وعمان وفي السعودية التي تسعى إلى بناء ٦٠ سداً . لكن ذلك لن يغير من واقع طبيعي ، هو أن كمية المياه في الطبيعة لا يمكن زيادتها بالسدود وغيرها ، ولكن يمكنها التقليل من الهدر وتحسين أساليب استعمال كميات أكبر من المياه السطحية .

وما يزيد أزمة المياه السطحية حدة ، هو أن المشكلة لا تقتصر على كميات المياه المتوافرة ، بل تتعداها إلى نوعيتها الأخذة بالتردي والتلوث . فمعظم الأنهار الكبيرة والمهمة في العالم الإسلامي لا تجري فيها مياه طبيعية نقية . فأغلبها قامت عليها حضارات زراعية قديمة واستمر استغلال مياهها حتى اليوم مما كان يزيد في ملوحتها ولو بمقدار ، بخاصة في أحواضها الدنيا والوسطى حيث النشاط البشري الكثيف . لكن الأمر لم يكن خطيراً بقدر ما هو عليه منذ استعمال الأسمدة الكيميائية والمبيدات الزراعية وغيرها مما تسرب إلى مياه الأنهار، وما يقذف فيها من فضلات الإنسان ونفاياته وما يرمى فيها من القطاع الصناعي من ملوثات ومخلفات رفعت من نسب التلوث إلى درجة عجزت المياه عن تنقية نفسها بنفسها بصورة طبيعية .

دعت الحاجة وإصلاح المسألة المائية إنسان العالم الإسلامي إلى الاهتمام المتزايد بالمصدر المائي الجوفي لسد العجز المائي . فبدأ باستغلال مياه الطبقات السطحية أولاً ، لكن الحاجة دفعته للتعلم ببحثاً عن المياه في طبقات أعمق وأقدم . لكن الاستغلال الكبير وغير المنظم أو المقنن للمياه أدى إلى الإساءة إليها فتناقص مخزونها وانخفض مستواها في أحواض كثيرة ، لدرجة نضبت معها مياه بعض الأحواض الجوفية في بلاد الشام وبلدان إسلامية أخرى . كذلك أدى الاستخراج الجائر للمياه الجوفية بالمحركات القوية إلى ارتفاع نسبة الملوحة فيها . ومما يزيد المسألة تعقيداً هو اختلال التوازن بين ما يستخرج من الحوض الجوفي وما يرده من مياه تجدد الفاقد وتعوضه ، مما يؤدي إلى تدهور نوعية المياه وتركيبها الكيميائي مع ازدياد عمق المياه الجوفية ، ولاسيما إذا كانت المياه المترشحة ملوثة وغير نقية لمروها بهواء وتربة ملوثتين .

أما فيما يتعلق بالمياه الجوفية القديمة غير المتجددة ، فإن تملحها سيتضاعف مع ازدياد استغلالها وارتفاع كميات المرفوع منها ، لأنها في الأصل مياه غير نقية . وبغض النظر عن مسألة نوعيتها فإن هذا المصدر المائي غير دائم، وقد ينقطع في زمن أقصر مما يتوقع لبعض أحواضه في الصحاري الإسلامية . نتيجة الضخ الكبير لتنفيذي مشاريع ري ضخمة، كما هو الحال بالنسبة لمشروع النهر العظيم في الصحراء الليبية.

كما تتصف مصادر المياه ، وبصورة أدق مياه الأنهار الدائمة الجريان في العالم الإسلامي بأن المهمة والعالية التصريف منها تأتي من خارج الأراضي الإسلامية أو من بلدان غير إسلامية ولو كانت فيها نسبة عالية من المسلمين ، مثل نهر النيل والراهمابوترا والجنانج وغيرها من أنهار أقل قيمة . كذلك تتصف أنها أنهار تقطع حدوداً سياسية بين بلدان إسلامية وهذا يعني بلغة أخرى ، أن غالبية الأنهار ذات صفة دولية ، يخضع تقسيم حصص مياهها إلى قوانين واتفاقيات .

البيئة الحيوية

أولاً : النبات الطبيعي :

يقع العالم الإسلامي بالنسبة لنباته الطبيعي في نطاقات تنتمي إلى المملكة النباتية المدارية القديمة Palacotropic في الجنوب ، وإلى المملكة النباتية القطبية Holarktuis في الشمال . ومن نباتات هاتين المملكتين تسود في العالم الإسلامي الأنواع العائدة إلى العائلات النباتية الصحراوية - السندية والمتوسطة والقفقاسية - السيبيرية والإيرانية - الطورانية ، وفي أقصى الجنوب الشرقي العائلة الهندية - الباسيفيكية .

إن الإحاطة بأنواع النبات وأصنافه أمر شبه مستحيل . لأن تقديرات أعداد أنواع الكائنات الحية والنبات في العالم تراوح بين ٤ , ٤ - ٤ ملايين ، وبعضها يرفع الرقم إلى ٣٠ مليون نوع . أما التوزيع العام للنباتات على المناطق والنطاقات الجغرافية على النحو التالي :

١ - نطاق الغابات الاستوائية المطيرة :

ويمتد على شريط يبدأ في الشرق من أرخبيل إندونيسيا وينتهي في بلدان خليج غينيا في إقليم غربي إفريقيا ، مع بعض الانقطاعات في الهند وشرقي إفريقيا . وقد قدر عدد المجموعات النباتية في الغابة الاستوائية بنحو ٥٠٠ مجموعة ، مما يدل على أنواع كثيرة جداً حيث عثر على ٧٠٠ نوع من الأشجار على مساحة عشرة هكتارات في جزيرة كليمتان وحدها .

وتتميز هذه الغابات بأشجارها الباسقة التي ترتفع حتى ٥٠ متراً وأكثر وتؤلف طباقاً عالياً ، وأوراقها وروؤوسها التيجانية تحجب الأشعة الشمسية والضوء عن أرض الغابة ، وعن أشجار متوسطة الطول تؤلف طباقاً متوسطاً ، دونه طباق ثالث مؤلف من شجيرات قصيرة وأعشاب طويلة . ومعظم الأشجار والنباتات هنا، دائمة الخضرة

إلا القليل . وتكثر في الغابة الاستوائية النباتات المتسلقة التي تلتف حول الأشجار وترتبط بينها مؤلفة شبكة كثيفة تقلل من شدة الرياح . أما أكثر الأنواع انتشاراً فهي أشجار النخيليات مثل *Oreodoxa, Bactris, Nipa* . ونخيل الأريكو *Areco* الذي يكثر في جنوب شرقي آسيا . ونخيل السوغا ، ثم أشجار المطاط في إفريقيا وماليزيا . وتنمو في الطابق الأدنى أنواع السرخسيات والخيزران . كذلك تنمو على سواحل هذا النطاق أنواع مختلفة من القرم (المانجروف) ، ولاسيما في وحول الدالات النهرية ومصابها والخلجان الخورية المعرضة لحركة مد وجزر ومن أنواعها قرم ابن سينا *Avicennia* المنسوب علمياً عالمياً إلى العالم المسلم ابن سينا .

تقدم هذه الغابة أحشاباً وثماراً طبيعية كثيرة ، يعيق عدم تجانس أشجارها أعمال قطعها على نطاق كبير ، مما أدى إلى حمايتها جزئياً . أما المساحات التي قطعت أشجارها فنتج المطاط والموز والكاكاو وزيت النخيل في شرقي النطاق وغريبه .

٢ - الغابات المدارية الرطبة (الموسمية) :

وتنتشر في بنغلاديش وأقدام الهيمالايا وغربي الهند وفي إندونيسيا الشرقية ، على هوامش الغابات الاستوائية ، وإلى الشمال من دائرة العرض ٧ درجات شمالاً . وتتصف أشجارها بتعدد أنواعها النفضية وبقصر أشجارها بالمقارنة مع أشجار الغابة الاستوائية ، التي تكون أكثف من الغابة الموسمية ، لكن الأخيرة غنية بالأشجار ذات القيمة الاقتصادية العالية مثل أشجار الساج والسال والصندل والبينكادو والبانيان .

تتعرض الغابة الموسمية لبعض الحرائق في فصل الجفاف مما يؤدي إلى خسائر كبيرة، وكانت السبب في انقراض مجموعة نباتية من عائلة الـ *Scitamineae* .

أما ما يسمى بالغابة المدارية الجافة والتي تنسبها بعض التصنيفات النباتية إلى نطاق السافانا الرطبة ، فتنتشر على هوامش حوض الكونغو الشرقية الداخلة في العالم الإسلامي وفي أجزاء من السودان ، ومن أشجارها شجرة خبز الفرد *Adansonia* ونخيل الدو *Hyphaene* ثم الجفافيات *Xerophytes* . والسنطيات مثل السنط والطلح . كما تنمو في أرض هذا النطاق أعشاب السافانا الرطبة .

٣ - نطاق السافنا :

تتدخل نباتات هذا النطاق مع النطاق السابق بالسنة وجزر نباتية انتقالية مبعثرة في أنحاء متفرقة في شمالي الهند والباكستان وشرقي إفريقيا ومرتفعات بحيراتها وفي القرن الإفريقي . أما نطاق السافنا الصرفة فيؤلف شريطاً نباتياً مستمراً يمتد من المحيط الأطلسي حتى منطقة البحيرات المذكورة بين دوائر العرض ٥ - ٧ و ١٠ - ١٥ درجة شمالاً ، والسافنا هي موطن الأعشاب المدارية التي تنثر فيها الشجيرات القصيرة (٣ - ٥ أمتار) . أما الأعشاب فهي طويلة في الأجزاء الأقرب إلى الاستواء ، وقصيرة باتجاه المدار . وأهم أنواع الأعشاب أعشاب الفيل ومن الأشجار السنطيات (السنط والطلح) والتمر الهندي والنباتات العصارية (الحافظة للعصارات) والنباتات الشوكية . وتصنف السافنا إلى سافنا رطبة وسافنا جافة وسافنا الجبال والهضاب .

والسافنا من المراعي الجيدة لتربية الأبقار ولاسيما في السافنا الرطبة . ويقوم السكان بحرق أعشاب السافنا لإفساح المجال لنمو أعشاب جديدة . كما قاموا بتحويل مساحات من السافنا إلى أرض زراعية في السودان ودول إسلامية أخرى . لكن زراعة منطقة السافنا غير مأمونة لأن هذا النطاق مهدد بالجفاف المتكرر في إطار التغيرات المناخية القصيرة والمتوسطة المدى ، وبصورة خاصة شريط إقليم الساحل الإفريقي المحاذي للصحراء الكبرى والممتد جنوبها . وتقابل السافنا الجافة (أو الفقيرة) في إفريقيا المسلمة نباتات السهوب العشبية في وادي الهلال الخصيب وهوامش الهضبة الإيرانية - الأفغانية وحوض الأناضول الداخلي وهوامش جبال آسيا الوسطى المصاحبة (أي الموافقة) لصحاري تركستان .

٤ - النباتات الصحراوية :

وهي نباتات عشبية تندر بينها الأشجار إلا في الواحات والمنخفضات الصحراوية التي تقترب فيها المياه الجوفية من السطح ، وفي الأودية ، وعند حُضُض

المرتفعات وأصولها . أما أكثر أنواع الأعشاب انتشاراً فهي الجفافيات ، والأليفة الملوحة Halophytic في الأراضي الملحية والسبخ ، في الصحراء الكبرى وصحاري شبه الجزيرة العربية والصحراء السورية والإيرانية - الأفغانية والباكستانية - الهندية . وصحاري تركستان وطوران . وتتصف النباتات الصحراوية بالكثافة المتدنية بل وتنعدم من مساحات كبيرة انعداماً تاماً .

ومن الأعشاب المعروفة في الصحاري الإسلامية ، النصي والقرنة والشمام والمرار والبركان وغيرها في صحاري شبه الجزيرة العربية وأجزاء من الصحراء الكبرى ، ومن الشجيرات ، شجيرات السمر والسدر والغاف والسلم ، وغيرها . ويقابلها في الصحاري الإيرانية - التركستانية الساكساؤل Haloxylon والأثل والجركس وأنواع من السنطيات ويكثر الساكساؤل في سهوب وأشباه صحاري آسيا الوسطى حتى أنها تدعى بـ (سهوب الساكساؤل) . بينما أعشاب الصحاري الإيرانية - التركستانية تتألف من الحلفا والشيح ونوع منه يسمى سوليانكا ، وأنواع من النجيليات التي تكثر شمالي صحاري تركستان . وعلى الرغم من تعدد الأنواع العشبية والشجيرية في البقاع الصحراوية فإن هذا النطاق فقير جداً بالنبات الطبيعي بل وعاٍرٍ منه في أغلب أنحاء .

٥ - النباتات المتوسطة :

وتنتشر على شريط يحيط بالبحر المتوسط شمالي إفريقيا وبلاد الشام وتركيا ويمتد شرقاً حتى الهضبة الإيرانية . وتتألف غاباتها من أشجار الأرز والبلوط الفليني والبلوط الأخضر والبلوط الجبلي والصنوبر والسندروس والسرو وأشجار وشجيرات أخرى تؤلف الطويلة والمستقيمة منها غابات ، والقصيرة المعوجة الأغصان والساق والشوكية منها أحراج البحر المتوسط المعروفة بالماكي .

أما أعشاب هذا النطاق فكثيرة الأنواع يتعرض أغلبها للجفاف في فصل الصيف ، منها الشيح والعاقول والنفل والخافور والكيوان .

٦ - النباتات الجبلية :

لا تؤلف هذه النباتات نطاقاً بحد ذاته ، لأنها نموذج من تعاقب النطاقات النباتية المعروفة على العروض الجغرافية المختلفة ، ولكن بتسلسل عمودي ، تبدأ بالنباتات السائدة في السهول والهضاب المنخفضة المحيطة بالجبال وتدرج صعوداً حتى نهاية الغابات والمروج الجبلية فالثلوج الدائمة والجليديات إذا كانت الارتفاعات كافية وتسمح بالوصول إلى هذه النطاقات . كما في جبال آسيا الوسطى وبامير والهميلايا والقفقاس وغيرها ، حيث تتالى النطاقات بحسب مواقع الجبال في العروض الجغرافية . ففي جبال البحر المتوسط تبدأ النباتات من أحراج الماكي وتتحول إلى غابات نفضية نيجانية ومخروطية وغابات مختلطة . وفي جبال القفقاس تدرج النطاقات من النباتات السهبية إلى الغابية المتنوعة إلى المروج الجبلية ثم إلى الثلوج الدائمة والجليديات .

لكن سفوح كثير من الجبال في العالم الإسلامي عارية من النباتات لشدة انحداراتها أو لغلبة الصخور الجرداء عليها ، أو لقيام الإنسان بقطع أشجارها وإزالة أعشابها بالرعي الجائر ، مع عدم إهمال دور العوامل المناخية في هذا المجال .

مشكلات الغطاء النباتي في العالم الإسلامي :

الغطاء النباتي الحالي في معظم أنحاء العالم الإسلامي هو وريث غطاء نباتي سابق أصيل وأوسع انتشاراً وأكثر أنواعاً . وقد تراجع الغطاء النباتي وتدهورت بيئته على امتداد قرون طويلة عانى منها النبات الطبيعي من عمليات قطع الأشجار والرعي الجائر للغطاء العشبي . ولقد تأثر الغطاء النباتي بقدر إعمار الإنسان لأنحاء العالم الإسلامي المختلفة ، وبارتفاع كثافات السكان فيها . فكانت النتيجة إزالة الغطاء النباتي لتلبية احتياجات الإنسان من الأخشاب وتأمين غذاء الحيوان من الأعشاب ، ولتوسيع مساحات الحقول والبساتين والبقاع العمرانية ومرافقها . وقد أسهمت الحرائق الطبيعية والتي أشعلها الإنسان في نظام الزراعة المتنقلة وما شابهها ، في تقليص مساحات

الغطاء النباتي الشجري والعشبي على حد سواء . ولقد بلغ تدمير الغطاء النباتي في بعض البقاع حداً أصبحت فيه مساحات واسعة منها جرداء ، لا تجدي معه أعمال التحريج الاصطناعي التي تقوم بها دول كثيرة في العالم الإسلامي لإعادة الحياة إلى الغطاء النباتي وللحفاظ على البيئة وحمايتها . وبالمقابل ما زالت أعمال القطع على نطاق واسع مستمر ، إذ تقدر مساحة ما يقطع من أشجار غابات إندونيسيا سنوياً بنحو ٦٠٠٠٠٠ هكتار ، وبنحو ٤٠٠٠٠٠ هكتار في ساحل العاج ، كما يقدر أن عدداً من البلدان المالكة لغابات استوائية وموسمية في العالم الإسلامي يمكن أن تفقد قرابة ٣٠ - ٤٠٪ من غاباتها مع حلول القرن الميلادي القادم ، كما تقدر الإحصائيات الدولية أن أكثر من ٧٥ مليون نسمة من سكان هامش الصحراء الكبرى يعانون من التصحر الشديد نتيجة الرعي الجائر وقطع الأشجار للوقود والطهي . وبناء على ما تقدم فإن اتهام الطبيعة والتغيرات المناخية والحرائق التي تسببها الصواعق والانفجارات البركانية ، بأنها السبب الرئيسي في تخریب الغطاء النباتي وتراجعها في العالم الإسلامي غير دقيق ، بل هو محاولة لتبرئة الإنسان وحيواناته من الأخطاء التي ارتكبها ومازال يقترفها تجاه الغطاء النباتي ، أهم عناصر البيئة الجغرافية الطبيعية التي خلقها الله تعالى في أدق توازن وانسجام في الأصل .

ثانياً : الحيوانات الفطرية (الفونا Fauna) :

تسمى الوحيش أيضاً وتشمل المملكة الحيوانية ، وتنتمي أنواعها وأصنافها في العالم الإسلامي إلى المملكة الحيوانية القطبية القديمة و الأثيوبية والمدغشقرية والشرقية . ويمر الحد الفاصل بين المملكة القطبية في الشمال وبقية الممالك في الجنوب ، مسيراً للعروض الجغرافية الممتدة وسط العالم الإسلامي . وتتوزع أنواع الحيوانات في بقاع ومناطق ذات بيئات طبيعية تؤمن لها سبل الحياة مع حرية في الحركة واسعة ، لا تتمتع بها النباتات الثابتة والمرتبطة بنطاقات واضحة الحدود لا تعرفها الأنواع الحيوانية إلا بقدر محدود .

أنواع الحيوانات وتوزيعها الجغرافي :

يتمثل عالم الحيوان في الشمال الإسلامي السهبي والصحراوي في كاراخستان وشمالى آسيا الوسطى وصحاريها بأنواع القوارض كالجرذ وفأر الحقل واليربوع ، ثم الظربان فأنواع من زواحف الصحاري المجاورة مثل الأفاعي والعظايا ثم السلاحف ، وكذلك الطيبي التركستاني (الجايران) ، كما تعيش في أجسام الأسل والقصب حول مواطن الماء ، والوعول والقطط البرية والثعالب والذئاب ، وبقر وحش (السايباك) . وتكثر فيها أنواع من الطيور ، أبرزها طائر الساكساؤل ، ثم النسر والحبارى والغرنوق والسنقور وأبو زريق والديك البري والأوز والبط ومالك الحزين والغراب والبجع . ومن حيوانات الجبال الآسيوية الماعز الجبلي ودب تيان شان والنمر المرقط (الثلجي) وحيوان الياك (مدجن) . وتعيش في هذه الأنحاء العناكب والعقارب ، وحشرات كثيرة تتكاثر حول المياه الراكدة والمستنقعات .

أما جنوب جبال الهيمالايا وفي شرقي وجنوب شرقي آسيا ، فتعيش أنواع كثيرة من القرودة في الغابة الاستوائية المطيرة ، منها الأورانغ اوتان المهدد بالانقراض ، كذلك الأسود في الدكن وإيران ، والنمور والفهود التي تشاهد في نطاق ممتد من الهيمالايا حتى إندونيسيا . كذلك يعيش في هذه الأصفقاع النمس والزبادة وعناق الأرض وابن آوى والضبع والثيران البرية والأيل الأسود وأيل المسك وظباء متنوعة وسناجب . كما يوجد فيها الكركدن ذو القرن وذو القرنين ، وكذلك التابير والفيل الهندي والزيبو (البقر البراهمي) المدجن في الدكن ، ومثله جاموس الماء الذي يصادف على امتداد شريط يبدأ في مصر وينتهي في الفلبين .

وتكثر التماسيح في أنهار الدكن وإندونيسيا ، وكذلك السلاحف والعظايا ، منها نوع طائر . ثم أنواع كثيرة من الأفاعي والبرمائيات مثل الضفادع ، ومنها ضفدع الطين (العلاجوم) . وفي مياه هذه البقاع تكثر أنواع مختلفة بأعداد كبيرة تنتمي إلى المملكة الحيوانية الشرقية ، وكذلك أنواع لا تخصى من الحشرات والهلاميات واللافقاريات بعضها نادر الوجود مثل الفراش الخطاف .

أما طيور جنوبي وجنوب شرقي آسيا الإسلامية فأكثر من أن تحصى أنواعاً وأعداداً وتتميز بالوانها الجميلة والصارخة في الغابات الاستوائية والمدارية الرطبة ، منها الطاووس والتدرج (الدرج) وأنواع من دجاج الغابة والببغاوات والحمام والهدهد والوقواق والوروار وأبو قردان وغيره . كذلك تكثر في الأنتحاء الغربية من هذه المنطقة الطيور الجارحة مثل الخدأة والنسر والصقر والشاهين .

لا يقل الجناح الإفريقي من العالم الإسلامي غنى وتنوعاً في حيواناته عن الجناح الآسيوي . إذ تكثر في ربوعه ذوات الأظلاف (٩٠ نوعاً) ومن اللواحم الثديية (٦٠ نوعاً) ، وكذلك القوارض وخنازير البر من نوع أبو دقن Aardvark . أما فصيلة القردة فتضم نحو ٤٥ نوعاً منها الضخم كالغوريلا ومنها الصغير جداً كالليمور الصغير (غالاغوس) . كما تعيش في مدغشقر فصيلة مهمة من آكلات الحشرات الطويلة الأنف . وتكثر في الغرب الإسلامي الزواحف ، والتماسيح والأفاعي والعظايا والسلاحف ، ومن البرمائيات السلمندر والضفادع وأشهرها ضفدع الكمرون الشعري .

وتعيش في المياه العذبة أنواع أسماك يزيد عددها على ٢٠٠٠ نوع ، يرجع وجود بعضها لأكثر من ٧٠ مليون سنة . كذلك تعيش في هذه الأنتحاء الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى قرابة ١٤٠٠ نوع من الطيور المقيمة ونحو ٢٧٥ نوعاً من الطيور المهاجرة منها النعام وأبو مطرقة والسكرتير وأسرة الحبارى وطيهوج الرمل والقبرات . كما تكثر اللاقاريات والحشرات في جميع الأرجاء .

أما في الصحراء الكبرى وشمالها حتى البحر المتوسط فتعيش الضباع وبنات آوى والثعالب وكلاب الصحراء Fennecus Zerda والقطط البرية والمهاه والغزال وخروف ودان ، كما تعيش القنافذ والجردان اللسيية واليرابيع وفثران الماء وأنواع من الأفاعي والعظايا والحشرات الكثيرة الأنواع .

ومن طيور هذه البقاع الرخمة والصفقر بأنواعه والكروان والقطا وأنواع القبرات والغراب والأبلىق والعنديلين والحسون والزمير والعصفور الدوري والبري . وتشبه حيوانات الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية وآسيا الصغرى ، أنواع حيوانات الشمال الإفريقي ونطاق البحر المتوسط بصورة عامة .

الأخطار المهددة للحياة الفطرية في العالم الإسلامي :

تعاني المملكة الحيوانية في العالم الإسلامي من أخطار تهدد بقاءها ، نتيجة تدمير مواطنها ولاسيما في الغابات التي تقلص مساحاتها يوماً بعد يوم . إذ يقدر أن مساحتها تراجعت بنحو ٥٥٪ عن مساحتها في العصر الرباعي المطير الأخير ، وأنها تتناقص سنوياً بمعدل ١٠٠٠٠٠ هكتار في أنحاء العالم . وأكثر الغابات تعرضاً للتدمير هي الغابة الاستوائية والمدارية الرطبة . ومما زاد في تدهور الأنواع الحيوانية وانخفاض أعدادها وانقراض بعض أنواعها ، انتشار استعمال المبيدات الحشرية والكيميائية ، وكذلك استخدام الأسلحة النارية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، والإقبال الكبير على الصيد وتزايد جشع الباحثين عن الفراء والجلود الثمينة وعاج الفيلة وقرون الكركدن وغيرها من حيوانات وأعضاء حيوانات تدر على المتاجرين بها دخلاً كبيراً . وتضم هذه القائمة الكثير من الطيور والقرود وغيرها .

إن توسع مدى النشاطات البشرية أضر بالبيئة الطبيعية كثيراً . ففي الماضي كانت أعداد الإنسان قليلة واحتياجاته وتقنياته متواضعة ، وكان صيده للحيوان يهدف إلى تأمين غذائه وحفظ بقاءه ، وظلت البيئة الجغرافية متوازنة نباتياً وحيوانياً وبشرياً . لكن ارتفاع أعداد الإنسان إلى قرابة ستة مليارات وتطور تقنياته واتساع مجال احتياجاته ، أدى إلى تدخله في البيئة واعتماده على عناصرها ، ومن بينها الحيوانات، فانصب اهتمامه على أربع مجموعات حيوانية تؤمن كل منها ناحية من رغبات واحتياجات الإنسان ، هي ، الحيوانات التي تقدم الغذاء ، ثم الحيوانات التي تشكل خطراً عليه وعلى منشآته الاقتصادية (مزرعاته وحيواناته المستأنسة) والحيوية ، ثم الحيوانات ذات القيمة الاقتصادية - التجارية ، وأخيراً الحيوانات النادرة والفريدة من نوعها المهددة بالانقراض ويرغبها الهواة .

وللتدليل على الدور الخطير للإنسان في تدهور البيئة والمملكة الحيوانية تذكر المصادر أن أعداد أحد أنواع الانتيلوب في إفريقيا التي كانت تقدر بنحو ١,٠٠٠,٠٠٠ رأس سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) تراجعت إلى أقل من ٧٠٠٠ رأس اليوم .

إن مسؤولية الإنسان في تعديه المتعمد وغير المتعمد على الملكتين النباتية والحيوانية وإن كانت جسيمة فإن للطبيعة نفسها دوراً في تخريب البيئة وتهديد الثروتين النباتية والحيوانية . فكثير من الحرائق يحدث من جراء ضرب الصواعق أو الحمم البركانية اللاهبة . كذلك تبيد أرجال الجراد في العالم الإسلامي مساحات شاسعة من الغطاء النباتي ومن ثم القضاء على حيوانات تعيش عليه . كما أن انتشار حشرات وجراثيم ناقلة لأوبئة يقضي على أعداد كبيرة من الحيوانات والكائنات الحية، وأن مرور عاصفة إعصارية تدمر كل ما يعترض طريقها، وكذلك فإن تغيرات المناخ تؤدي إلى تغيرات شاملة في الأنوع كما ونوعاً وتوزيعاً .

وعلى الرغم من ذلك كله ، فإن إنسان العصر الحاضر يبقى المخرب الأول للبيئة بشكل عام . ويزداد خطره في البقاع الهامشية ذات الأوضاع المناخية الحرجة والبيئة الهشة ، مثل نطاقات السافنا والسهوب والنطاقات شبه الجافة من أنحاء العالم الإسلامي المهتدة بالتصحح والتصححير الأمر الذي يدعو إلى توعية الإنسان وإرشاده وهديه وجعله يدرك الأخطار المهتدة لبقاء الجنس البشري .

تلوث البيئة الطبيعية وتخريبها

تركز غالبية البحوث والدراسة البيئة والتلوث على دور الإنسان في تخريب وتلويث البيئة ، نظراً لما لهذا الدور من تأثير بالغ ومتزايد . لذلك فإن هذا البحث وإن كان يُعنى بالجوانب الطبيعية من تلوث البيئة ومسبباته وتخريبها، فإن دور الإنسان لا يمكن إغفاله ، ولاسيما أن تدخله الذي أدخل في التوازن البيئي ، قوى دور الأعمال الطبيعية في تلويث البيئات وتخريبها وضاعف من فعاليتها . فالبيئات الطبيعية كانت قبل استفحال خطر الإنسان ، قادرة على مجابهة الملوثات والمخربات وتمثلها واستيعابها وإعادة التوازن الطبيعي فيها إلى حاله العادي . وباختصار فإن الملوثات والمخربات الطبيعة الأصل والمصدر أصبحت أشد تأثيراً وفعالية ، بما تلقاه من دعم وتحضير عن طريق التدخل البشري وأنشطته .

يتضمن العالم الإسلامي بيئات طبيعية كثيرة ومتنوعة البنية والتركيب ، وبالتالي تنوع أشكال تلويثها وتخريبها وبنسب متباينة بحسب الملوثات والمخربات الطبيعية التي تنشط فيها ، وبحسب درجات التجاوب بين الفعل ورد الفعل لكل من عناصر البيئة لعناصر التلويث والتخريب .

أشكال تلوث البيئة وتخريبها وتوزعها الجغرافي في العالم الإسلامي :

يعاني العالم الإسلامي من أشكال تلوث الساحل والبحر ، وتلوث الهواء والماء والتربة بدرجات متفاوتة وفي مناطق مختلفة ، وبغض النظر عن أسباب التلوث ومصادر التلويث والتخريب (طبيعية أو بشرية) فإن المناطق الملوثة وتوزيعها الجغرافي في العالم الإسلامي هي كالتالي :

١ - التلوث الساحلي البحري ومناطق انتشاره :

يبدأ تلوث مياه البحر والسواحل وضحاً على الساحل المغربي بين الدار البيضاء وحتى مضيق جبل طارق ، ومنه على ساحل البحر المتوسط حتى منطقة

وهران . وبعد انقطاع يعود التلوث فيظهر في مياه ساحل مدينة الجزائر حتي بجاية ، ثم كامل السواحل التونسية بين بنزرت حتى قابس . يليها ساحل طرابلس وبرقة ، ثم السواحل الشرقية لمصر على المتوسط فسواحل فلسطين وبلاد الشام الأخرى وسواحل تركيا الغربية والممرات مع بحر مرمرة . ويتراجع التلوث على سواحل البحر الأسود إلا من ساحل أجزرية وجورجيا ويعد البحر المتوسط من أكثر بؤر العالم الإسلامي والعالم تلوثاً تنتهي إلى مياهه مئات ملايين أطنان الرواسب التي تنقل معها فضلات المدن والإنسان والنفايات الصناعية ولاسيما قرب مصافي النفط والمصانع البتروكيميائية ، كما يعاني من تسرب النفط إلى مياهه من الناقلات والموانئ النفطية .

وتظهر في البحر الأحمر بؤر متفرقة للتلوث تتركز في خليج السويس حيث يشتد التلوث في شماليه ، ثم على سواحل مدينتي جدة وينبع البحر حيث التلوث محدود نسبياً . أما على ساحل البحر الأحمر الإفريقي فتظهر بؤرة تلوث على ساحل السودان وفي خليج جيبوتي ومضيق باب المندب .

ومن بؤر التلوث الشديد في العالم الإسلامي ، مياه وسواحل الخليج العربي حيث معدلات التلوث عالية جداً سببها النفط والغاز الطبيعي ، استخراجاً ومعالجة وتسويقاً ، وما يرتبط بهما من صناعات . وتشير الدراسات إلى أن تلوث الخليج يزيد على ٤٣ ضعفاً من أشكال تلوث مشابهة في العالم .

ويصل التلوث الساحلي - البحري ذروته على سواحل الكويت والعراق وإيران شمالي الخليج العربي . مما يبين مدى الأخطار المحدقة بهذا الجزء الغني جداً من العالم الإسلامي ، ويتطلب تكثيف جهود مكافحة التلوث ومنعه من تخريب البيئة البحرية والساحلية .

يلي ذلك نطاق من التلوث الساحلي يحيط بشبه جزيرة الدكن ابتداء من منطقة كراتشي وخليج سومنياني وحتى مصب نهر الجانج . وترتفع نسبة التلوث في

موانئ هذا النطاق ومع اتجاه حركة التيارات الساحلية . وتعمل حركة التيارات الموسمية التي تغير اتجاهها بمقدار ١٨٠ درجة بين الصيف والشتاء ، على انتشار التلوث من مصادره على السواحل البعيدة عنها .

وتظهر سواحل ملوثة على الجانب الشرقي من خليج البنغال ، يبلغ التلوث فيها أشده في خليج مارتابان ومنطقة يانغون (رانغون) ومصب نهر الإيراوادي . وبعد تراجع نسبي لقيم التلوث ، يعود فيزداد تدريجياً على الساحل الغربي لشبه جزيرة ملقة وممر ملقة حتى يبلغ ذروته مقابل سنغافورة . لكنه يقل ويضعف في أرخبيل إندونيسيا ما عدا الساحل الشمالي لجزيرة جاوة حيث يتشكل في منطقة جاكرتا وشرقها شريط تلوث ساحلي خطير بطول ١٠٠ كم تقريباً .

وقد أصاب التلوث الساحلي البحري شرقي إفريقيا ولاسيما في مياه موانئها المهمة مثل بربرة ومقديشو ملندي ومومباسا وجزر بمبا وزنجبار ودار السلام وحتى حدود تنزانيا مع موزمبيق . كذلك يتركز التلوث الخطير في ساحل خليج غينيا الملوث، قبالة الموانئ والمراكز الصناعية المهمة مثل سواحل أييدجان ولاجوس وأكرا .

وأخيراً فإن سواحل بحر قزوين ملوثة على طول السواحل الغربية والجنوبية ولاسيما قبالة باكو وأجزاء من ساحل داغستان حيث توجد أشرطة تلوث شديد . أما بحر آرال فإن تلوثه يعد كارثة بيئية خطيرة .

٢ - تلوث الهواء والماء والتربة :

أخذ تلوث الهواء يظهر جلياً في كثير من مدن العالم الإسلامي التي أصبحت تعاني من تلوث شديد لهوائها كما في مدن الجزائر وطرابلس وتونس والإسكندرية والقاهرة (شديد جداً) أييدجان ولاجوس (شديد) وجيبوتي وجدة والجبيل والبحرين والكويت وعبادان وتبريز وطهران وباكو وباطوم وجامبول وأماتأ ولاهور وكلكتا بومبي ودلهي وكوالالمبور وسنغافورة وجاكرتا . كذلك بدأت تظهر بوادر تلوث

بالأمطار الحامضية وعلى مقياس محدود في بلدان خليج غينيا مثل نيجيريا والكمرون ، وفي غربي الدكن وجميع أنحاء جنوب شرقي آسيا باستثناء جزر إندونيسيا الشرقية وأغلب أراضي كليمتان . وتأتي الغازات والمواد الصلبة والغبار التي تنفثها المصانع وعوادم السيارات ومداخن المساكن والمنشآت البشرية والاقتصادية المختلفة وغيرها في رأس ملوثات الهواء ، إضافة إلى ما تحمله الرياح من ملوثات طبيعية مختلفة إلى أجواء المناطق والمدن المذكورة .

وتعاني بقاع إسلامية كثيرة من تخريب التربة والماء نتيجة التلوث والتملُّح ، ولاسيما في المناطق المروية وأحواض الأنهار ذات الصرف الزراعي السيء ، وبصورة خاصة في المجاري الدنيا التي تنتهي إليها الأملاح والملوثات المنقولة بالمياه . ويُظهر التوزيع الجغرافي لتخرب التربة وتلوث الماء بالتملُّح ، الارتباط الوثيق بالمجاري الدنيا للأنهار ومشروعات الري عليها . فمن أشد بقاع العالم الإسلامي معاناة من التملُّح الناجم عن سوء تعامل الإنسان مع البيئة ، المجرى الأدنى لنهر السنغال ووادي نهر النيجر بين تمبكتو وسيغو ، وأجزاء متفرقة من سهول المغرب المروية على الوجهة الأطلسية وسهل وهران ووادي الشليف الأدنى ، وسهول تونس الشرقية . ويشمل تملُّح التربة والماء أنحاء دلتا النيل وغربها وأقساماً من وادي النيل شمال ثنية قنا ، ثم واحات غرب النيل ، وأراضي مشروع الجزيرة والمجرى الأدنى للنيل الأزرق في السودان ، وكذلك وادي الأردن الفرات الأوسط والأدنى ، ووادي دجلة في منطقة بغداد وجنوبها ثم منطقة الأهوار العراقية ، وأطراف بحيرة أورمية وسهل الكورا الأدنى والمجاري الدنيا لأنهار القفقاس على بحر قزوين كما يشمل عدداً من المساحات المروية في إيران .

وقد تعرضت المجاري الدنيا لنهري هري رود ومرغاب ومناطق متفرقة مروية في أوزبكستان وقرغيزستان للتملُّح ، لكن أشدها تضرراً هو المجرى الأدنى لنهر جيحون (أموداريا) ونهر سيحون أيضاً . وتعود الأراضي والمياه المتضررة بالتملُّح

للظهور في أحواض جونغارية وطرفان وحوض نهر تاريم . أما أوسع مساحة في العالم الإسلامي متضررة من التملح فهي أراضي حوض نهر السند المروية ، حيث تمتد هذه الأراضي من مصب النهر حتى مدينة لاهور .

وعلى العموم فإن تلوث المياه والتربة بالتملح ، يزداد خطورة بتلقي المياه ما تطرحه المعامل والمصانع والمدن وقنوات الصرف الصحي والزراعي من فضلات ونفايات ومخلفات .

ومن أشكال التلوث الخطير جداً ، تلوث الهواء والمياه المحيطية في الشرق الإسلامي بالإشعاع النووي ، نتيجة التفجيرات النووية التجريبية في جزر المحيط الهادي القريبة من أرخبيل إندونيسيا . والتي بلغ عددها قرابة ٢٩١ تفجيراً نووياً أمريكياً وفرنسياً وبريطانياً حتى نهاية عام ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) . وشبيه بهذا ما حدث في شمالي كاراخستان حيث توجد منطقة تجارب نووية سوفيتية ، وفي موقع ليرمنتوف في شمالي القفقاس ، وفي موقع ديمونا في جنوبي فلسطين المحتلة وفي الهند .

مصادر التلوث والتخريب :

مصادر التلوث والتخريب في العالم الإسلامي بشرية وطبيعية . وهي نفسها المعروفة في العالم كله . لكنها وبحسب توزعها الجغرافي تتمتع بخصوصيات مكانية في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي .

أما المخزّنات والملوّثات ذات الأصل والمصدر الطبيعيين في العالم الإسلامي فهي التالية :

١ - البراكين كمصدر ملوث ومخرب :

تقدم الحديث عن غنى العالم الإسلامي بالبراكين الناشطة . ففي مناطق انفجارها وخارجها تتعرض البيئة للتخريب والتلوث بمقدوفاتها الصلبة والغازية . ويتم ذلك عن طريق :

* الانفجارات المدمرة لما حول البركان كما حدث في انفجار بركان كراكاتاو الذي أطاح بمعظم جسم الجزيرة التي انفجر فيها . وفي هذه الحالة يبقى التخريب محدود الساحة والانتشار .

* الغازات التي تنفثها البراكين ، وهي غازات يغلب عليها بخار الماء ثم ثاني أكسيد الكربون فالأزوت (التروجين) والكبريت وغازات أخرى ، ترتفع في الجو إلى علو يزيد على ١٥ - ٢٠ كم . ويشكل غاز ثاني أكسيد الكربون خطورة على البيئة والمناخ من حيث قيامه بتنشيط مفعول البيت الزجاجي Greenhouse Effect (الجنة أو الدفيئة) في الأربخيل الإندونيسي خاصة . وذلك نتيجة ازدياد نسبة هذا الغاز في الجو ومن ثم تسخين كوكب الأرض .

* الرماد والمواد الصلبة الأخرى ، وتتألف من مواد ناعمة ودقيقة تقذف بها الانفجارات عالياً وتؤلف سحباً . فقد ارتفعت مواد بركان كراكاتاو حتى ٧٠ - ٨٠ كم وبقيت معلقة في الجو عدة سنوات على شكل سحابة دارت حول الكرة الأرضية ، كذلك سميت سنة ١٢٣٤هـ (١٩١٦م) بالسنة عديمة الصيف لقيام رماد وغبار انفجار بركان تامبورا في إندونيسيا بحجب الشمس عن الأرض في صيف ذلك العام في العروض الوسطى للنصف الشمالي من الكرة الأرضية حيث أغلب العالم الإسلامي . وقد انخفضت المتوسطات الحرارية السنوية درجة واحدة ، وضرب الصقيع كثيراً من المحصولات .

وقد تحط سحب الرماد الملتهبة على الأرض فتحرق الغابات والمزروعات وتقتل الكائنات الحية وتلوث الهواء .

* الحمم والمسكوبات اللايية الزاحفة . التي تسيل من جميع براكين العالم الإسلامي الناشطة ومن الشقوق المرافقة لها ، فتدمر كل ما يعترضها وتحرقه ، كما أنها قامت بتحويل اتجاه الأنهار التي تعترضها أو تشكل في أوديتها بحيرات

ومستنقعات كما حصل في سهل الغاب وسهل طبرية - الحولة وبقاع أخرى من أغوار الأخدود الإفريقي العظيم ، وفي أودية الحجاز مما أدى إلى تغيير البيئة الأصلية أو تخريبها وطمس معالمها كلياً .

* السيول الوحلية : وتنتشر في إندونيسيا وتعرف بـ (لاهار) محلياً . وتقضي على الغطاء النباتي والكائنات الحية التي تقع في طريق انسيابها ، وتخرب التربة والنبات .

فالبراكين هي واحدة من الملوثات والمخربات الطبيعية للبيئة . تضربها آتياً، كما تسهم في تغيير الأوضاع البيئية والمناخية على المدى الطويل مع استمرار نشاطها .

٢ - الرياح والعجاج :

والعجاج هو الغبار الذي تثيره الرياح . ويعد من الملوثات للجو في بقاع واسعة من العالم الإسلامي ، هي المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية وهوامشها التي تهب عليها رياح قادمة من مناطق قارية عارية السطح ، صعيدها مؤلف من مواد ناعمة ودقيقة من الغبار والرمل . ويرتفع العجاج عالياً في الجو كما تحمله الرياح مسافات طويلة على شكل غبار وهباء معلق يحجب الأشعة الشمسية عن الأرض لأيام قد تمتد ١٠ - ٤٠ يوماً ، ولما كانت ذرات العجاج تمتص الحرارة الآتية من الشمس ، فإنها تسبب اضطرابات مناخية في المناطق المعنية في العالم الإسلامي . وتصل الآثار الضارة للعجاج والعواصف الغبارية إلي خارج مناطق نشأتها ، حيث يتساقط الغبار بكميات كبيرة أحياناً . أو على شكل رمال تطمر عناصر البيئة وتؤذيها، كما تدمر المنشآت البشرية - الاقتصادية . وقد قدرت كمية الغبار المتساقط في الكويت في أغسطس سنة ١٩٧٨م بنحو ٢٣٩ طناً على الكيلو متر المربع الواحد . ويشتد تأثير العجاج في الصيف وتدوم عواصفها في السودان والصحراء الكبرى والخليج العربي وبوادي الهلال الخصيب ساعات قد تتجاوز ١٠ ساعات . لكن الغبار المعلق في الجو

ويحجب الأشعة الشمسية قد يبقى في الجو أياماً عندما تحوم سرعة الرياح حول خمسة أمتار في الثانية في المناطق الجافة الإسلامية وهوامشها . فقد وصل عدد أيام العجاج في بعض السنوات إلى ٥٠ - ٧٠ يوماً في السعودية . ومن أشكال التلوث بالغبار والرياح ، هطول الأمطار في جو عاصفة غبارية ، حيث تصبح قطرات المطر عكرة موحلة تهطل مطراً ملوثاً يعرف بـ (المطر الترابي) و (مطر دم) .

٣ - الحرائق :

والمعني بها هنا الحرائق الطبيعية التي تحدث من جراء الصواعق أو الاحتكاك أو اللحم والسحب النارية البركانية ، وبصورة خاصة في مواسم الجفاف في المناطق المدارية في هوامش الصحراء الكبرى ونطاق السافانا والأحراج والسهوب العشبية في العالم الإسلامي . وينتج عن احتراق الغابة والأعشاب سناج Soot وغازات أبرزها ثاني أكسيد الكربون وأحادي أكسيد الكربون والهيدروكربونات وأوكسيد التتريك وغيرها من غازات تلوث الجو وتخل بتوازن غازاته ، وتسبب رفع حرارة الأرض . فالحرائق في العالم الإسلامي عدا عن تدميرها الغطاء النباتي بالحرق المباشر ، تسبب تلوثاً خطيراً للجو . كما تسبب أضراراً تلحق بالتربة التي تتعري من غطائها النباتي فتصبح عرضة للتعرية والانجراف ، مما يزيد في العمليات التخريبية للبيئة ، كما هو الحال في المناطق الموسمية والمتوسطة والمدارية من العالم الإسلامي .

٤ - العواصف والأعاصير :

وهي ريحية أو ريحية مطرية أو ثلجية . وينجم عنها تخريب البيئة على سواحل المحيط الهندي ، التي تتعرض للأعاصير المدارية العاصفة والمطيرة . وللعواصف الثلجية في البقاع الجبلية في آسيا الوسطى والأناضول والقفقاس والسهوب الشمالية ، وبنسبة أقل في جبال إيران - أفغانستان والأطلس الأعلى وغيرها . وتسبب هذه العواصف أضراراً بيئية بما ينجم عنها من انهيارات ثلجية تكتسح

سفوح الجبال وغاباتها ، كما يسبب ذوبانها فيضانات وانزلاقات أرضية تخرب التربة والغطاء النباتي وتكشف الصخور ، كما حدث في جاوة بين ١٠ - ١٧ مايو وفي شمالي إفريقيا في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٨١ م ، وفي جبال الحجاز بين ٢ - ٤ فبراير ثم بين ١٢ - ١٥ مارس سنة ١٩٨٧ م . كذلك تضررت أنحاء متفرقة في إفريقيا الاستوائية ولاسيما الكمرون ، نتيجة العواصف المطرية التي تعرضت لها سنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٦م) ، وهطل فيها ١٨٦ ملم في ست ساعات، ولم تشهدا المنطقة منذ ثلاثة عقود ، كذلك تعرضت الكمرون في مارس من السنة ذاتها لعاصفة رعدية قوية رافقها سقوط برد غزير وكبير الحبات، مما سبب والعواصف الأخرى تخريباً للبيئة الطبيعية إضافة إلى الإضرار بالمؤسسات البشرية والمنشآت الاقتصادية . ولما كانت مسارات الأعاصير المدارية والمنخفضات الجوية في العروض فوق المدارية شبه ثابتة ، فإن المناطق الواقعة في طريقها تعاني من التخريب والتدمير الطبيعيين للبيئة .

٥ - الزلازل :

تعرض العالم الإسلامي لمئات الزلازل التي تزيد شدتها على ٥ درجات ريخترية في أثناء العقود الأربعة الماضية ، موزعة عليه ابتداء من المغرب وانتهاء بإندونيسيا . وتخريب الزلازل وإن كانت له صفة موضعية ومحدودة ، فإن نتائجها تصبح ملموسة إذا تكررت .

وتسبب الزلازل الشقوق والانهيارات والانزلاقات الأرضية وحسف الأرض وتغير مجاري الأنهار والمياه وغيرها . وأكثر البقاع الإسلامية تعرضاً لأخطار الزلازل هي مناطق الالتواءات الجبلية والصدعية - الانهدامية والبركانية النشيطة . ومن الحالات التدميرية التي تمتد على نطاق كبير هي حدوث الأمواج الزلزالية البحرية (تسونامي) التي تخرب البيئة الساحلية ويبتتها . أحدثها الزلزال الذي صرب إيربان جايا في إندونيسيا وبلغت شدته ٧ درجات في مقياس ريختر وسبب موجة مدمرة مدمرة في ٢٨ رمضان ١٤١٦هـ (١٧ فبراير ١٩٩٦م) .

٦ - الجراد :

تقضي أرجال الجراد التي تمتد رحلتها في المناطق المدارية وفوق المدارية الجافة وشبه الجافة في العالم الإسلامي ، آلاف الكيلو مترات ، على العطاء النباتي ، وبصور خاصة العشبي منه . إذ قوم الجراد بالتهام ١٠٠ طن من النبات في اليوم الواحد ، ويغطي مساحات شاسعة بمعدل ٥٠ مليون جرادة في الكيلو متر المربع الواحد ، وبسرعة ١٠٠ كم في اليوم الواحد . وينتقل الجراد على خطوط سير تمتد من السودان إلى موريتانيا والمغرب مروراً بإقليم الساحل الإفريقي ، ثم عودة إلى السودان مروراً بشمال إفريقيا . والمحور الآخر يبدأ من السودان ويتجه إلى شبه الجزيرة العربية وبلدان الهلال الخصيب وإيران . وهناك طريق ثالثة يسلكها الجراد القادم من الهند والباكستان تتجه نحو شبه الجزيرة العربية والقرن الإفريقي .

إن الجراد كعامل طبيعي مخرب للغطاء النباتي ، يتسبب عدا إضراره بالنبات ، في إضعاف تماسك التربة التي تصبح عارية ومن ثم عرضة للتعرية والتسفية بالرياح أو الانجراف بالمطار . وهو وإن كانت غزواته متقطعة ، والإجراءات للقضاء عليه ومكافحته ناجعة ، فإن بقاعاً كثيرة من العالم الإسلامي ما زالت تهددها أرجال الجراد بين الحين والآخر ، مما يسهم في تدمير البيئة الطبيعية وتغييرها ويزيد في تصحرها .

وعلى الرغم من تعدد المخربات والملوثات الطبيعية وتداخلها مع مثيلاتها التي يسببها الإنسان ، تبقى التغيرات المناخية الشاملة لكوكب الأرض العامل الفعّال في البيئة الطبيعية وتوازن عناصرها . مما يدعو إلى معالجة الأمر من خلال دراسة تأثير المناخ بالعوامل الطبيعية والبشرية المخربة والمؤثرة للبيئة ومدى إسهامها في تغيير المناخ ، من جهة ، ومن خلال دراسة تأثير المناخ في العوامل المذكورة ودورها في تغيير البيئة ، في حلقة تكون فيها النتائج سبباً والأسباب نتائج في آن واحد .

إجراءات حماية البيئة في العالم الإسلامي :

مازالت عمليات مكافحة التلوث والحفاظ على البيئة السليمة ، والجهود المبذولة في هذا السبيل في العالم الإسلامي محدودة ومتواضعة . ومازال التصحر يهدد مساحات واسعة تتزايد سنة بعد سنة مع أن الكل يتحدث عن المشكلة البيئية ، كما سنت تشريعات لحماية البيئة وصيانة الموارد الطبيعية ، وأصبح في كثير من البلدان الإسلامية وزارات ومؤسسات رسمية للبيئة .

إن التلوث وتخريب البيئة آخذان بالاستفحال في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي وبأشكال مختلفة من مكان إلى آخر كما تبين الفقرات السابقة ، مما يعني أن المشكلات البيئية لم تعد محدودة أو إقليمية خاصة ببلد إسلامي أو آخر، بل تتجاوز الحدود السياسية إلى ما وراءها . مما يستدعي اتخاذ إجراءات جماعية على مستوى العالم الإسلامي بالتعاون مع الجهات العالمية . ولاسيما فيما يتعلق بالتلوث الجوي والبحري والنهري (إذا كان النهر دولياً) ، وفيما يخص الكوارث والمخربات والملوثات الطبيعية التي لا تعرف الحدود السياسية .

تلقى معالجة التلوث والتخريب البيئي المحلي ، مثل التلوث المائي ومعالجته بالتركيب والتحلية ، والتملح ومقاومته بعمليات الغسل والصرف وغيرها ، عناية متزايدة في البلدان الإسلامية المفتقرة إلى المياه العذبة وإلى الأراضي الزراعية الكافية . وقد اتخذت إجراءات ناجحة في هذا المجال في الكثير من البلدان المعنية ، لكنها بقيت محلية فردية بعيدة عن التعاون الجماعي ، والتكامل في توزيع المهام وفي توفير المصادر الطبيعية . وحتى هذه الإجراءات المحلية لم تتمكن من مواجهة الأزمات البيئية ومواكبة تفاقم انتشارها ، نتيجة التزايد السريع لأعداد سكان العالم الإسلامي وتصاعد احتياجاتهم من الماء والغذاء والمواد الاستهلاكية الضرورية الأمر الذي يدعو إلى زيادة الاهتمام في مجال مكافحة مسببات التلوث والتخريب البيئيين وبصورة خاصة البشرية المصدر، وإزالة آثارهما القائمة فعلاً والناجمة عن احتراق الوقود ومن وسائط النقل

والنشاط الصناعي والزراعي والاستعمالات المنزلية والمدنية ، وعن شتى أشكال النفايات والفضلات والمخلفات في الهواء والماء والتربة . والتفكير جدياً بإيجاد البدائل للمصادر والموارد الطبيعية غير المتجددة ، مثل الاعتماد على الطاقة الشمسية ، التي تعد مناطق واسعة من العالم الإسلامي مؤهلة للاستفادة منها ، الأمر الذي بدأت السعودية بتحقيقه عملياً . كل ذلك وغيره في إطار تعاون شامل بين بلدان العالم الإسلامي وخطط مشتركة تنفذ بتمويل مشترك للوصول إلى تأمين حياة كريمة للإنسان في بيئة نظيفة وسليمة ومتوازنة .

وعلى الرغم من كل ما تقدم فإن أشكال التلوث ومستواها وبؤرها في العالم الإسلامي مارالت في مراحل وأبعاد أقل خطورة من أشكاله في أوروبا وأمريكا ، إلا في بعض البؤر القليلة العدد . لكن هذا لا يعني أن الوضع سيئ على ما هو عليه ، بل تشير جميع الدلائل إلى أنه يسير نحو الأسوأ . والأخطار القادمة أكثر تهديداً من القائمة ، مما يتطلب الاستعداد لمواجهةها في إطار القوانين والنواميس الطبيعية التي تحرك كل شيء في كوكب الأرض والنظام الكوني ويسير بقدرته تعالى ، بحيث لا يتم أي حدث أو يجري إلا بأمره ولحكمة منه عز وجل ، ومما يساعد على مواجهة الأخطار المستقبلية ، هو أن المشكلات البيئية في أغلب دول العالم الإسلامي لم تتجاوز الخطوط الحمراء بعد ، لذلك فإن الفرصة متوافرة لوضع حد لها قبل استفحال أمرها .

المراجع

أولاً : المراجع العربية :

- أبو العينين ، حسن سيد أحمد (١٩٦٧م) ، آسيا الموسمية وعالم المحيط الهادي ، دار النهضة العربية ، بيروت .
- بارانوف ، أ.ن. (محرر) (١٩٦٧م) ، أطلس العالم (أطلس ميرا) الكبير ، ط ٢ ، المؤسسة الرئيسة للجيوديزيا والكارتوغرافيا ، وزارات السوفييت ، موسكو (بالروسية) .
- بحوث مجلة العلوم ، الترجمة العربية (١٩٩٠م) ، عدد خاص عن البيئة ، مخاطر وحلول ، م ٧ ، ع ٣ ، الكويت .
- بحوث الدورة الأولى لمستقبل الموارد المائية بمنطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ، المشكلات الإيكولوجية لاستخدام المياه ، الكويت .
- براون ، اي . ب . وأوغدن سي . ج . (١٩٩٤م) ، ايضاض المرجان في : العلوم ، الترجمة العربية . م ١٠ ، ع ١ و ٢ ، ص ٥٨ - ٦٥ ، الكويت .
- بيتروف ، م . ب . (١٩٦٦م) ، صحاري آسيا الوسطى ، مجلدان . ناوك ، موسكو (بالروسية) .
- جمال آغا ، شاهر (١٩٩٥م) ، الزلازل ، عالم المعرفة ٢٠٠ ، الكويت .
- جمعية حماية البيئة (١٩٧٤م) ، يوم البيئة العالمي ، الكويت .
- جوهر ، دلال (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، جغرافية العالم الإسلامي ، جزءان ، بيروت .
- حسن محمد إبراهيم (١٩٨٩م) ، دراسات في جغرافية الوطن العربي ، حوض البحر المتوسط ، الإسكندرية .
- سعودي ، محمد عبدالغني (١٩٦٧م) ، الوطن العربي ، بيروت .

- الشامي ، صلاح الدين وعبدالمقصود ، زين الدين (١٩٧٤م) ، جغرافية العالم الإسلامي ، الإسكندرية .
- صادق ، دولت وآخرون (١٩٦٦م) ، جغرافية العالم ، ثلاثة أجزاء ، القاهرة .
- الطائي ، محمد حامد وآخرون (١٩٦٧م) ، جغرافية العالم الإقليمية ، جزاءن ، بغداد .
- عبدالسلام ، عادل (١٩٧٣م) ، جغرافية سوريا ، الجزء الأول ، دمشق .
- (١٩٧٥م) ، هذه هي البحرين في : دولة البحرين ، دراسات في تحديات البيئة والاستجابة البشرية ، ص ٤٩ - ١٣١ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة .
- (١٩٧٨م) ، الأرض التي عليها الدولة ، في : دولة الإمارات العربية المتحدة ، دراسة مسحية ، ص ٨٥ - ١٥٨ ، والنبات والحيوان في دولة الإمارات العربية المتحدة ، في الدراسة نفسها ، ص ١٨٥ - ١٩٧ .
- (١٩٧٩م) ، مشكلة الأراضي الجافة في العالم الإسلامي ، في : بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، الرياض .
- (١٩٨٠م) ، أشكال الأرض ، جامعة دمشق ، دمشق .
- (١٩٩٠م) ، الأقاليم الجغرافية السورية ، دمشق .
- (١٩٩٠م) ، الثروة المائية ومستقبلها في الوطن العربي ، مكتبة الأسد ، دمشق .
- عبدالقادر ، حليمي (١٩٦٧م) ، جغرافية الجزائر ، مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر .
- عبدالمقصود ، زين الدين (١٩٧٩م) ، مشكلة التصحير في العالم الإسلامي ، في : بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، الرياض .
- العيوطي ، مصطفى كمال (محرر) (١٩٧٣م) ، مصادر المياه الأرضية في البلاد العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة .

- غلاب ، محمد السيد وآخرون (١٩٧٩م) ، البلاد الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ، وزارة التعليم العالي ، الرياض .
- فايد ، يوسف عبدالمجيد (١٩٧٩م) ، الخلفية المناخية للأراضي الجافة في العالم الإسلامي، في : بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، الرياض .
- فرانسيس ، ب (١٩٩٠م) ، الكلدريات العملاقة ، في : العلوم ، الترجمة العربية ، م ٧ ، ع ٢ ، ص ٧٠ - ٨١ ، الكويت .
- متولي ، محمد (١٩٧٥م) ، حوض الخليج العربي ، جزءان ، الأملجو أمريكية ، القاهرة .
- المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (١٩٩٠م) ، الموارد المائية في الوطن العربي ، وثيقة مرجعية وتفسيرية للمصور الهيدروجيولوجي للوطن العربي ، دمشق .
- مؤنس ، حسين (١٩٨٧م) ، أطلس تاريخ الإسلام ، القاهرة .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

- Abdulsalam, Adel. 1988. Middle East, Natural Regions, in : Tuebinger Atlas des Vorderen Orient. (TAVO) Wiesbade .
- Blake, G. et al. 1987. The Combridge Atlas of the Middle East and North Africa. Cambridge .
- Bloom, A. L. 1978. Geomorphology. Englewood Cliffs .
- Bluthigen. J. 1964. Allgemeine Klimageographie . Berlin .
- Brice, W. C. (ed.). 1981. An Historical Atlas of Islam . Brill. Leiden .
- Bryson, R. A. 1973 . Drought in Sahelia, who or what is to blame, in : Ecolgist, 3 (10) . pp. 366 - 371 .
- Bryson, R. A. and Murray, The , J, 1977. Climates of Hunger, Univ. of Wisconsin. Press. Madison .
- Bullard. F. M. 1976. Volcanoes of the Earth, Austin, Tex .
- Carley. P, 1995. Turkey's Role in the Middle East, a Conference Report, The U. S. Institute of Peace . Washington .
- Clarke, S. P. 1971. Structure of the Earth . Englewood Cliffs .
- Cook, R. V. and Warren, A. 1973 . Geomorphology in Deserts. Berkley .
- Cressey. G. B. 1963. Asia's Lands and Peoples. Mac Graw. N. Y.
- Curray, J. R. and Moore, D. G. 1971. Growth of the Bengal deep sea fan and denudation in the Himalayas, in : Geol Soc . American Bull, v 82. pp. 363 - 72 .

- Du Bois. V. D. 1974, The Drought in Niger, Amer. Universitis Field Staff Reports. Wast Africa Series. 15 (4). N. Y.
- Dupree, L. 1973. Afghanistan, Princeton Univ. Press .
- Fairbridge, R. W., e. 1966 . The Encyclopedia of Oecenography. Reinhold, N. Y.
- Fisher, G. A. 1964, South East Asia, London .
- Fisher, W. B. 1978, The Middle East, Methuen, London .
- Gannsen, R, 1968, Trockengebiete. Manntheim .
- Gannsen, R. and Haedrich, F., 1965, Atlas zur Bodenkunde. Mannheim .
- Gishler, C., 1979. Water Resurces in the Arab Middle East and Noth Africa. Menas. London .
- Griffiths, J. F., 1972, The Ceimate of Africa. Elsevier .
- Guilcher, A. 1965 . Precis d'Hydrologie, Marine et Continentale. Paris .
- Harms Erdkunde, 1964, Band III Asien. Muenchen .
- Harms Erdkunde, 1962, Band IV Afrika. Muenchen .
- Heathcote, R. L. 1983. Arid Lands, Their Use and Abuse, Langmans. London .
- Loeffler, E., 1972. Pleistocene Glaciation in Papua and New Guinea. in : Zeitshc. f. Geomorphologie . Supp V. pp. 32 - 58 .
- Meigs, P. 1966. Geography of Coastal Deserts. Arid Zone Research, XXZIIIin UNESCO .
- Oberlandern Th. 1965, The Zagros Streams. Syracuse .

- Oliver, Ronald and Crowder, Michael, eds., 1981, The Cambridge Encyclopaedia of Africa. Cambridge .
- Pakistan, an official HandBook, 1985, Islamabad .
- Perera, J. 1983., On the Eve of Destruction. in : Middle East 105, pp. 25 - 33 .
- Programme, des N. U. pour l'Environnement, 1977. Le Bassin Mediterranéen. Plan Bleu .
- Robinson, F. 1982. Atlas of the Islamic World since 1500. Phaidon. Oxford .
- Smith. C. S. 1970. Water Resources and Irrigation Development in the Middle East. in : Geogr. v. IV, part 4, pp. 407 - 25 .
- Takahashi, K. and Arakawa, H., eds. 1981, Climates of Southern and Western Asia. Elsevier .
- Tarakanov, G. G. 1982. Tropical Meteorology. Mir. Moscow .
- Thomas, M. F., 1974., Tropical Geomorphology. N. Y.
- The Times Atlas of the World, 8 th comprehensive edition, 1990 . Bartholomew and Times Books. New York .
- Van Andel, and Tjeerd, H., 1985., New Views of an Old Planet, Continental Drift and History of Earth. Cambridge .

فهرس الأشكال

الصفحة	العنوان	الرقم
٦١ الحدود العامة للعالم الإسلامي	(١)
٧٢ مقطع تضاريسي في هضبة وبحيرة فيكتوريا	(٢)
٨٩	التضاريس الجبلية وتوزعها بحسب بنيتها في العالم الإسلامي	(٣)
١٠٣ الأخدود الإفريقي العظيم وخطوط الصدوع	(٤)
١٣٤ انتشار المرجانيات في بحار العالم الإسلامي وحدوده	(٥)
١٦٨ مسارات الأعاصير المدارية في العالم الإسلامي	(٦)
١٨٣ الأقاليم المناخية في العالم الإسلامي	(٧)
٢٠٢ تغير مساحة بحر آرال بين عامي ١٩٦٠ و١٩٩٥ م	(٨)

فهرس الجداول

الصفحة	العنوان	الرقم
١٥٨	النهايات القصوى والدنيا لدرجات الحرارة اليومية . . .	(١)
١٦٠	الحرارة القصوى والدنيا في حوض تاريم	(٢)
٢٠٥	الثروات المائية في العالم الإسلامي	(٣)

سكان العالم الإسلامي

الدكتور / السيد خالد المطري

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢٤٣	الملامح العامة لسكان العالم الإسلامي
٢٦٥	عناصر نمو سكان العالم الإسلامي
٢٦٥	أولاً: - الزيادة الطبيعية: -
٢٦٥	أ- معدلات المواليد الخام
٢٧٢	ب- الخصوبة الكلية
٢٧٥	ج- معدلات الوفيات الخام
٢٨٠	د- معدلات وفيات الرضع
٢٨٦	هـ- متوسط عمر الفرد
٢٩٠	ثانياً: - معدلات الزيادة الطبيعية
٢٩٦	ثالثاً: - الهجرة الدولية
٣٠٠	رابعاً: نمو السكان
٣٠٢	خامساً: - السنوات اللازمة لمضاعفة عدد السكان
٣١١	سادساً: - توقعات السكان
٣١٨	توزيع السكان وكثافتهم: -
٣١٨	أولاً: - التوزيع العام
٣٢٤	ثانياً: - الكثافة العامة
٣٢٩	ثالثاً: - العوامل المؤثرة في توزيع وكثافة السكان
٣٣٠	أ- العوامل الطبيعية
٣٣٦	ب- العوامل الاقتصادية
٣٣٧	ج- العوامل البشرية
٣٤٠	- تركيب السكان: -
٣٤٠	١- التركيب السلالي
٣٤٦	٢- التركيب النوعي

«تابع» فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣٤٧	٣- التركيب العمري
٣٦٥	٤- التركيب الاقتصادي
٣٧٠	٥- التركيب الثقافي
٣٨٢	٦- الحالة الزوجية
٣٨٦	٧- التركيب اللغوي
٣٩٤	٨- التركيب الديني
٤٠٤	٩- التركيب حسب نمط السكن
٤١٣	- بعض مؤشرات النمو والتقدم السكاني في العالم الإسلامي
٤١٣	١- الدخل الفردي
٤١٤	٢- المستوى الصحي
٤٢١	٣- نسبة الإنفاق على التعليم
٤٢٤	٤- نصيب الفرد من أجهزة الاتصال ووسائل الإعلام
٤٣٢	- الخاتمة:
٤٣٢	أولاً: التباينات بين أرجاء العالم الإسلامي
٤٣٩	ثانياً: مقارنة العالم الإسلامي بمناطق العالم الأخرى
٤٤٤	ثالثاً: نظرة مستقبلية لأحوال السكان في العالم الإسلامي
٤٤٨	- المراجع
٤٥٣	- فهرس الأشكال
٤٥٤	- فهرس الجداول

الملامح العامة لسكان العالم الإسلامي

يتصف سكان العالم الإسلامي بمجموعة من الملامح تميزهم عن غيرهم من المجموعات السكانية الأخرى في مختلف مناطق العالم، أهمها:-

١- تبلغ نسبة المسلمين في نطاق العالم الإسلامي ٨٥,٥ ٪ من جملة السكان، في حين لايشكل أتباع الديانات الأخرى الذين يعيشون في العالم الإسلامي إلا ١٤,٥ ٪ من جملة السكان وتزيد نسبة المسلمين في الشطر الآسيوي من العالم الإسلامي إلى ٩٢ ٪ من جملة سكانه بينما تنخفض نسبتهم في الشطر الأفريقي إلى ٧٥,٦ ٪ من جملة سكانه. وتختلف نسبة المسلمين بين الأقاليم الإسلامية من ٩٩-٥٠ ٪، كما تختلف نسبتهم بين الدول الإسلامية من ١٠٠ ٪ إلى ٥٠ ٪ من السكان. وبينما يشكل النصارى نحو ٧,١٥ ٪ من جملة السكان وتقل نسبة اليهود إلى ٣٨ ٪، وتبلغ نسبة الوثنيين ٢,٩١ ٪، بينما تنخفض نسبة الكونفوشييين إلى ٠,٤٢ ٪ من جملة السكان، ونسبة البراهمة إلى ٠,٤٦ ٪، ونسبة البوذيين ٠,٣٤ ٪، إلى جانب نسب قليلة من أتباع الزرادشتية والسيخ والراجبوت والشتوية والجينية.

٢- تعدد اللغات التي يتحدث بها سكان العالم الإسلامي، فهناك ١٩ لغة رئيسة يتحدث بها ٨٧ ٪ من جملة السكان أبرزها العربية التي يتحدث بها نحو خمس السكان (١٩ ٪)، ثم البنغالية والهوسا والبنجابية والجاوية والتركية والأناضولية والأردو والبهاسا والفارسية والسوند.

٣- تعدد الاجناس والسلالات والمجموعات السكانية، فهناك الأجناس الثلاثة:

القوقاري، والمغولي، والزنجي بسلالاتها المختلفة. وقد اختلطت هذه الأجناس والسلالات والمجموعات معاً ففقدت نقاءها الأصلي.

ويختلف التركيب السلافي بين شطري العالم الإسلامي وأقاليمه ودوله بصورة واضحة. وهناك عشر مجموعات رئيسة تشكل نحو ثلاثة أخماس إجمالي السكان، هي: العرب- البنغاليون - الجاويون- البنجابيون - الأتراك الأناضوليون- الفرس- المتحدثون بالأردو- السوند- الملايا- الهوسا، إلى جانب ٢٩ مجموعة تشكل خمس السكان، بينما يتشكل الخمس الباقي من العديد من الجماعات السلافية الصغيرة.

٤- تركز أكثر من ثلاثة أخماس عدد السكان (٣٧, ٦٠٪) في الشطر الآسيوي مقابل ٦٣, ٣٩٪ في الشطر الأفريقي، وهو ما يتفق مع تاريخ انتشار الإسلام من آسيا إلى مختلف القارات.

٥- التوزيع غير المستوى للسكان على الأقاليم الإسلامية، فأكثر الأقاليم سكاناً هو شبه القارة الهندية الذي يضم ٢٥٤,٧ مليون نسمة بزيادة أكثر من الخمس من جملة السكان (٩, ٢١٪)، يليه إقليم جنوب شرقي آسيا بعدد ٢١٤,٦ مليوناً وبنسبة ١٨,٥٪، ثم إقليم حوض النيل بعدد ١٦٣,١ مليوناً وبنسبة ١٤٪، ثم إقليم غربي آسيا بعدد ١٤٥,٤ مليوناً وبنسبة ١٢,٥٪، وإقليم غربي أفريقيا (ب) بعدد ١٣٧,٩ مليوناً وبنسبة ١١,٩٪. وتضم هذه الأقاليم الخمسة ٩١٥,٧ مليون نسمة بنسبة تقترب من الأربعة أخماس (٨, ٧٨٪) من جملة السكان. بينما لا تضم الأقاليم السبعة الأخرى سوى ٢٤٦ مليون نسمة نسبتهم ٢, ٢١٪ من جملة السكان أقلها إقليماً شبه الجزيرة العربية (أ) و (ب) وإقليم غربي أفريقيا (أ) التي تتراوح نسبة سكانها بين ١,٥-٢٪ من جملة السكان.

٦- تتباين الدول الإسلامية في عدد سكانها ويمكن تصنيفها ثلاث مجموعات: الأولى الدول ضخمة السكان (١٠٠ مليون فأكثر) أكبرها أندونيسيا بعدد ١٩٥,٦ مليوناً وبنسبة ١٦,٧٦٪ من جملة السكان في العالم الإسلامي

و ٣,٥ ٪ من جملة سكان العالم. ثم باكستان بعدد ١٣٦,٦ مليوناً وبنسبة ١١,٨ ٪، ثم بنجلاديش ونيجيريا بعدد ١١٧,٨ و ١٠٨,٥ مليون على التوالي. وتضم هذه الدول الأربع ٥٥٨,٥ مليون نسمة تشكل نحو نصف إجمالي السكان.

أما المجموعة الثانية فهي الدول كبيرة السكان (٥٠- أقل من ١٠٠ مليون نسمة) وتشمل إيران - مصر- تركيا - أثيوبيا التي يبلغ عدد سكانها معاً ٢٤١,٦ مليوناً يمثلون خمس إجمالي السكان في العالم الإسلامي وبذلك يتركز أكثر من ثلثي السكان (٦٨,٨ ٪) في ثماني دول فقط، في حين لاتضم الدول الأربعين الأخرى التي تشكل المجموعة الثالثة (أقل من ٥٠ مليون نسمة) أي أقل من ثلث السكان (٣١,٢ ٪)، مما يدل على التركيز الشديد من جانب والتخلخل الكبير من جانب آخر في توزيع السكان.

٧- ارتفاع الكثافة السكانية إلى ٥٤ نسمة في الكيلومتر المربع، بزيادة ١١ شخصاً عن معدل العالم عام ١٩٩٤م، وذلك على الرغم من زيادة المساحات الصحراوية والأراضي غير المعمورة ويتصل بذلك عدم التوازن الإقليمي في توزيع السكان بين الشطرين (الآسيوي ٨٠، والأفريقي ٢٨,٥ نسمة في الكيلومتر المربع)، مع اختلاف واضح بين كثافة الأقاليم فبعضها يبلغ ٢٥٠ نسمة في الكيلومتر المربع مثل شبه القارة الهندية، بينما تنخفض في البعض الآخر إلى خمسة أشخاص فقط في الكيلومتر المربع مثل الصحراء الكبرى، إلى جانب التباين الكبير في كثافة سكان الدول بين ٨٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع وأكثر (مثل بنجلاديش والبحرين والمالديف)، وبين خمسة أشخاص في الكيلومتر المربع (مثل ليبيا وموريتانيا) بسبب تباين العوامل المؤثرة في كثافة السكان في كل منها.

٨- يشكل سكان المدن في العالم الإسلامي ٤٣٪ من جملة سكانه، بزيادة ١٪ عن متوسط العالم، ٩,٠٪ عن المناطق الأقل تقدماً. وتزيد هذه النسبة إلى ٥٢٪ في الشطر الآسيوي بينما تنخفض في الشطر الأفريقي إلى ٣٤٪. كما تتباين هذه النسبة بين الأقاليم الإسلامية من ٨٦٪ إلى ٢٣٪، كذلك تختلف بين الدول الإسلامية من ٩٦٪ إلى ٩٪ فقط. وقد زادت هذه النسبة بنحو ١٩٪ بين عامي ١٩٧٩-١٩٩٣م في العالم الإسلامي، وتراوح بين ٣١-٥٦٪ في الدول الإسلامية.

٩- انخفاض نسبة سكان الريف من ٦٢,١٪ إلى ٥٢,٥٪ بين عامي ١٩٧٩-١٩٩٣م، كما انخفضت هذه النسبة في شطري العالم الإسلامي وأقاليمه ودوله بنسب متباينة تراوحت بين ٤٠٪ وأقل.

١٠- ارتفاع نسبة الزواج وانخفاض نسبة العزاب أو المطلقين. وتتباين الدول الإسلامية في ذلك، فبينما ترتفع نسبة المتزوجين إلى ١٨,١ في الألف في بعضها تنخفض في البعض الآخر إلى ٣,٢ في الألف. وبينما تنخفض نسبة الطلاق إلى ٤٦ حالة لكل ١٠٠,٠٠٠ من المتزوجين في بعض الدول ترتفع إلى ١٤٦ حالة طلاق لكل ١٠٠,٠٠٠ متزوج في دول أخرى.

١١- ارتفاع معدلات المواليد في العالم الإسلامي (تبلغ ٣٨ في الألف) بزيادة ١٣ في الألف عن متوسط العالم، و ٢٥ في الألف عن المناطق الأكثر تقدماً، وإن كانت تقل بنسبة ٥ في الألف عن متوسط المناطق الأقل تقدماً.

١٢- ارتفاع معدلات الخصوبة الكلية للمرأة المسلمة بالمقارنة بمناطق العالم المختلفة. ويبلغ هذا المعدل ٥,٤ مواليد بزيادة ٢,٣ مولودين عن متوسط العالم وبأكثر من ثلاث مرات متوسط المناطق الأكثر تقدماً، هذا المتوسط من مثيله في المناطق الأقل تقدماً الذي يبلغ ٥,٨ مواليد للمرأة.

١٣- ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية إلى ٢,٧٪ (١٩٩٠-١٩٩٥م) بزيادة تسع مرات عن المناطق الأكثر تقدماً.

١٤- بعض أقاليم العالم الإسلامي مناطق جذب للهجرة الوافدة التي نسهم في نمو السكان (٢,٧-٤,٧٪ سنوياً)

١٥- ارتفاع نسبة النمو السنوي للسكان إلى أكثر من ٣٪ سنوياً بين عامي ١٩٧٩-١٩٩٣م، بزيادة نحو ٢٪ عن معدل العالم، وعشر مرات عن معدل المناطق الأكثر تقدماً.

١٦- ونتيجة لذلك كله حدث تطور سريع في عدد سكان العالم الإسلامي خلال القرن العشرين الميلادي من ٥, ٢١٠ مليون نسمة في بدايته إلى ٢, ١١٦١ مليوناً في عام ١٩٩٤م، بنسبة تغير ٤٥٢٪ خلال أقل من مائة سنة، بحيث صاروا يشكلون ٢٠, ٦٣٪ من جملة سكان العالم بعد أن كانت نسبتهم ١٨٪ قبل خمسة عشر عاماً. والمتوقع أن تصل نسبتهم إلى ٢٤, ٦٥٪ في عام ٢٠١٥م وإلى نحو ٣٠٪ في بداية منتصف القرن الحادي والعشرين إن شاء الله.

١٧- قلة عدد السنوات اللازمة لمضاعفة عدد السكان إلى ٢٦ سنة ٢ منخفض في بعض الأقاليم إلى ٢٢ سنة فقط، مقابل ٤٢ سنة في العالم و١٦٢ سنة في المناطق الأكثر تقدماً.

١٨- انخفاض متوسط الدخل الفردي بالعالم الإسلامي إلى نحو ألف دولار في السنة عام ١٩٩١م بنقص كبير يبلغ الثلثين عن حد الفقر وعن حد اللازم لتغطية الاحتياجات الضرورية للفرد ويمثل هذا المتوسط خمس مثيله المتوسط العالمي ويقل عن متوسط المناطق الأكثر تقدماً بنحو ١٥ مرة ٢٠ ويرتفع هذا

المتوسط في الشطر الآسيوي عن مثيله في الشطر الأفريقي بنحو ثلاث مرات (١٥٠٠: ٥٠٠ دولار في السنة تقريبا). كما يتفاوت هذا المتوسط بين الأقاليم الإسلامية من ٧٦٠٠ - ٢٥٠ دولارا في السنة، كما يتفاوت بين الدول الإسلامية من نحو ٢٠,٠٠٠ إلى ٢٠٠ دولار في السنة.

١٩- انخفاض المستوى الصحي بين السكان في بعض أرجاء العالم الإسلامي سواء بمقياس مايقدمه الطبيب أو عضو هيئة التمريض الواحد من السكان، أو عدد الأسرة للسكان.

٢٠- ارتفاع معدلات الوفيات الخام إلى ١١,٢ في الألف عام ١٩٩٤م، بزيادة ٢,٢ في الألف عن متوسط العالم، و١,٢ في الألف عن متوسط المناطق الأكثر تقدما، وإن كان يقل بنحو ٣,٨ في الألف عن متوسط المناطق الأقل تقدما، مع وجود تباينات كبيرة بين الأقاليم الإسلامية. وهذا المعدل آخذ في الانخفاض السريع خلال ربع القرن الأخير بنحو ٥,٣ في الألف.

٢١- ارتفاع معدلات وفيات الرضع (أقل من سنة) بدرجة واضحة بلغت ٧٦ في الألف عام ١٩٩٥م، بزيادة ١٢ في الألف عن متوسط العالم، وبنحو سبع مرات ونصف عن المناطق الأكثر تقدما، وإن كان يقل عن معدل المناطق الأقل تقدما بنحو ٣٤ في الألف. وقد هبط هذا المعدل بنحو ٥٠ في الألف منذ عام ١٩٧٩م.

٢٢- ينخفض متوسط عمر الفرد إلى ٥٩ سنة، وهو يقل بنحو خمس سنوات عن معدل العالم عام ١٩٩٤م، وبنحو ١٥ سنة عن معدل المناطق الأكثر تقدما، وبنحو ٨ سنوات عن معدل المناطق الأقل تقدما.

٢٣- زيادة نسبة الذكور عن الإناث (٨,٥٠ : ٤٩,٢٪ على التوالي)، مع زيادة

نسبتهم في الشطر الآسيوي عن الأفريقي، مع اختلافات واضحة في التركيب النوعي بين الأقاليم والدول الإسلامية.

٢٤- زيادة نسبة صغار السنة (أقل من ١٥ سنة) إلى ٤٢٪ من جملة السكان في العالم الإسلامي أي أكثر من ضعف نسبتهم في المناطق الأكثر تقدماً، وبزيادة ١٠٪ عن العالم، مع زيادة نسبة الأطفال في الشطر الأفريقي عن الآسيوي (٤٣، ٥ : ٣٩، ٥٪ على التوالي)، ومع تساينات واضحة بين الأقاليم والدول الإسلامية في ذلك.

٢٥- انخفاض نسبة متوسطي السن إلى ٥٥٪ من جملة السكان بنقص قدرة ٧٪ عن متوسط العالم و ١٢٪ عن المناطق الأكثر تقدماً. وتزيد هذه النسبة إلى ٥٧٪ في الشطر الآسيوي مقابل ٥٣٪ في الشطر الأفريقي، ومع وجود تباينات واضحة بين الأقاليم والدول الإسلامية، وهناك اتجاه عام نحو زيادة هذه النسبة بنحو ٢٪ خلال الفترة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٤ م.

٢٦- انخفاض نسبة كبار السن في العالم الإسلامي إلى ٣٪ فأقل من جملة السكان، وهي أقل من نصف مثيلتها في العالم، وأقل من ربعها في المناطق الأكثر تقدماً. ويتساوى الشطران المسلمان في هذه النسبة، وإن كانت هناك اختلافات واضحة بين الأقاليم والدول الإسلامية.

٢٧- اشتغال نحو نصف إجمالي السكان بالحرف الأولية (٤٧٪)، مع زيادة هذه النسبة إلى أكثر من الثلاثة أضعاف في الشطر الأفريقي (٦٢٪) مقابل ٣١، ٥٪ في الشطر الآسيوي وبينما تزيد هذه النسبة إلى ثلاثة أضعاف إجمالي السكان في بعض الأقاليم تنخفض إلى عشر السكان وأقل في أقاليم أخرى، كما تتفاوت هذه النسبة بشكل جلي بين الدول الإسلامية. وقد انخفضت هذه النسبة بنحو ٨٪ بين عامي ١٩٨٠-١٩٩٣ م في العالم الإسلامي، وبأكثر من

ذلك القدر في بعض الدول الإسلامية .

٢٨- ارتفاع نسبة الأمية إلى ٤٩٪ بين الجنسين عام ١٩٨٧م بانخفاض قدره ١١٪ عن عام ١٩٧٩م . وتنخفض هذه النسبة في الشطر الآسيوي إلى ٣١,٥٪ من السكان فوق ١٥ سنة بينما ترتفع إلى ٦٦,٢٪ في الشطر الأفريقي . وتتراوح هذه النسبة بين ٨٢٪ في بعض الأقاليم (مثل الصحراء الكبرى) و ١٨,١٪ في أقاليم أخرى (مثل الهلال الخطيب) . كما تتفاوت بين ٩١,٢٪ و ٠,٥٪ في الدول الإسلامية وتتصف الإناث بأنهن أكثر أمية من الذكور في العالم الإسلامي . والملاحظ أن هذه النسبة قد انخفضت في السنوات التالية في العالم الإسلامي وأقاليمه ودوله المختلفة بسبب الجهود الحكومية الكبيرة المبذولة في مكافحة الأمية وبسبب تطور التعليم الأساسي في الدول المختلفة .

٢٩- انخفاض نسبة طلبة وطالبات التعليم الجامعي إلى ٦٨,٠٪ من جملة السكان، مع ارتفاع هذه النسبة في الشطر الآسيوي عنها في الأفريقي، ومع وجود تباين واضح بين الأقاليم والدول الإسلامية في هذه الظاهرة .

٣٠- اختلاف نسبة الإناث في التعليم الجامعي، وهو ما يعكس درجة التقدم الاجتماعي بينما تبلغ ٣٣٪ في العالم الإسلامي تزيد إلى ٤١,٧٪ في الشطر الآسيوي وتنخفض إلى ٢٢,٥٪ في الشطر الأفريقي، ومع اختلافات واضحة بين الأقاليم والدول في ذلك وتبلغ نسبة الإناث في التعليم الثانوي بالعالم الإسلامي ٤١٪ تزيد إلى ٤٤٪ في الشطر الآسيوي بينما تنخفض إلى ٣٩٪ في الشطر الأفريقي، مع وجود اختلافات واضحة بين الأقاليم والدول الإسلامية .

٣١- انخفاض نسبة الإنفاق على التعليم في العالم الإسلامي ككل وارتفاعه في

الشرط الآسيوي عن الأفريقي. وتتباين الأقاليم والدول الإسلامية بشكل واضح حيث ترتفع في بعضها إلى ١٦٪ من جملة النفقات الحكومية السنوية بينما تنخفض في البعض الآخر إلى ٣٪ فقط.

٣٢- انخفاض نصيب الفرد من أجهزة الاتصال ووسائل الإعلام فهناك هاتف واحد لكل ١٩ شخصًا، يتحسن في الشرط الآسيوي إلى هاتف لكل عشرة أشخاص، بينما ينخفض في الشرط الأفريقي إلى هاتف لكل ٨٩ شخصًا مع وجود تفاوت واضح بين الأقاليم والدول الإسلامية من هاتف لكل ستة أشخاص إلى هاتف لكل ٥٥٦ شخصًا. ويمتد ذلك إلى تفاوت نصيب الفرد من أجهزة التلفزة بين الأقاليم والدول الإسلامية بصورة جلية بين جهاز لكل ٣ أشخاص إلى جهاز لكل ٥٠٠ شخص.

نمو سكان العالم الإسلامي

أولاً: سكان العالم الإسلامي قبل القرن العشرين الميلادي:

من الصعب إعطاء صورة دقيقة موثوق بها عن سكان العالم الإسلامي قبل القرن العشرين الميلادي لعدة أسباب منها:-

١- أن كثيراً من دول العالم الإسلامي لم يكن قد ظهر إلى الوجود باسمه وحدوده الحالية المعترف بها دولياً، كما أن أغلبها لم يكن قد حصل على استقلاله وهويته الوطنية.

٢- ندرة البيانات المتعلقة بسكان العالم الإسلامي آنذاك من إحصاءات وتقديرات وصعوبة الاعتماد عليها.

٣- حرص الاستعمار - الذي كان يسيطر على معظم الدول الإسلامية في القرن التاسع عشر- على طمس بياناتها السكانية حتى تظل أمورها مجهولة أمام العالم.

٤- عدم وضوح حدود العالم الإسلامي بالمفهوم الحالي، وغموض الكثير من قضاياها وانصراف جهود الدول الإسلامية إلى الكفاح ضد الاستعمار والحصول على استقلالها الوطني.

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي كان عدد سكان العالم الإسلامي ضئيلاً يقدر بنحو ٥, ٢١٠ مليون نسمة، وهو ما يقترب من سكان اندونيسيا وحدها حالياً ولايزيد عن سدس العدد الحالي للعالم الإسلامي (١, ١٨٪). وكان الشطر الآسيوي أكثر ثقلًا من نظيره الأفريقي (٥٢, ٦٥٪ مقابل ٤٧, ٣٤٪ على التوالي)، أما العدد المطلق لسكانهما فكان ١٣٧, ٩١٧, ٠٠٠ نسمة مقابل ٧٢, ٥٤٧, ٠٠٠ نسمة، كما يظهر من الجدول رقم (١).

وفي ذلك الوقت كان إقليم شبه القارة الهندية أكثر الأقاليم سكانا بعدد ٤٥,٥٧٧,٠٠٠ نسمة يمثلون ٣٢,٠٥٪ من سكان الشطر الآسيوي ٢١,٦٦٪ من جملة سكان العالم الإسلامي آنذاك، يليه إقليم غربي آسيا بعدد ٤٢,٣٦٣,٠٠٠ نسمة يمثلون ٣٠,٧٢٪ من سكان الشطر الآسيوي و ١٣,٢٠٪ من سكان العالم الإسلامي، ثم إقليم جنوب شرقي آسيا بعدد ٤٠,٦٧٥,٠٠٠ نسمة يشكلون ٢٩,٤٩٪ من سكان الشطر الآسيوي و ١٩,٣٣٪ من سكان العالم الإسلامي. وكانت هذه الأقاليم الثلاثة معاً تضم جل سكان الشطر الآسيوي (٩٣,٧٤٪) وأكثر من ثلاثة أخماس سكان العالم الإسلامي (٦١,١١٪).

وكان إقليم غربي أفريقيا (ب) يأتي رابعا بعدد ٢١,٧٥٨,٠٠٠ نسمة يمثلون ٣٠٪ من سكان الشطر الأفريقي و ١٠,٣٤٪ من سكان العالم الإسلامي، يليه خامسا إقليم حوض النيل بعدد ٢٠,١٣٧,٠٠٠ نسمة يمثلون ٢٧,٧٦٪ من سكان الشطر الأفريقي و ٩,٥٧٪ من سكان العالم الإسلامي، ثم إقليم شمالي أفريقيا سادسا بعدد ١٤,٣٦٨,٠٠٠ نسمة وبنسبة ١٩,٨١٪ من سكان الشطر الأفريقي و ٦,٨٣٪ من سكان العالم الإسلامي.

وكانت الأقاليم الستة السابقة تضم غالبية سكان العالم الإسلامي آنذاك بعدد ١٨٤,٨٧٨,٠٠٠ نسمة بنسبة ٨٧,٨٤٪ من جملة السكان. أما الأقاليم الستة الأخرى فكان عدد سكانها حوالي ٢٥ مليون نسمة يمثلون ١٦,١٢٪ فقط من جملة سكان العالم الإسلامي، أولاها إقليم الصحراء الكبرى (بعدد ٦,١٦٧ مليون نسمة وبنسبة ٨,٥٪ من سكان الشطر الأفريقي و ٢,٩٣٪ من سكان العالم الإسلامي)، ثم إقليما غربي أفريقيا (أ) وشرقي أفريقيا بعدد ٥,٠٧١,٥,٠٤٦ ملايين نسمة على التوالي وبنسبة ٧٪ من سكان الشطر الأفريقي، ٢,٤٪ من سكان العالم الإسلامي، ثم إقليم الهلال الخطيب بعدد ٤,٢٨٨ ملايين نسمة يشكلون ٣,١١٪ من سكان الشطر الآسيوي و ٢٪ من سكان العالم الإسلامي، ثم إقليم شبه الجزيرة

جدول رقم (١) سكان العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي

الإقليم/ الدولة	عدد السكان (ألف نسمة)	/ من سكان العالم الإسلامي	الإقليم/ الدولة	عدد السكان (ألف نسمة)	% من سكان العالم الإسلامي
شبه الجزيرة العربية أ	٣,٠٧٠	١,٤٦	جنوب شرقي اسيا	٤٠,٦٧٥	١٩,٣٣
السعودية	٣,٠٠٠	١,٤٣	ماليزيا	٢,٩٥٩	١,٤١
الكويت	-	-	بروناي	٢٢	٠,٠١
قطر	-	-	إندونيسيا	٣٧,٦٩٤	١٧,٩١
البحرين	٠,٧٠	٠,٠٣	حوض النيل	٢٠,١٣٧	٩,٥٧
شبه الجزيرة العربية ب	١,٩٤٤	٠,٩٢	السودان	٣,٠٠٠	١,٤٣
الإمارات	-	-	أثيوبيا	٤,٥٠٠	٢,١٤
عمان	١,٠٠٠	٠,٤٨	أوغندا	٢,٨٤٣	١,٣٥
اليمن	٠,٩٤٤	٠,٤٤	مصر	٩,٧٩٤	٤,٦٥
الهلال الحبيب	٤,٢٨٨	٢,٠٤	شمالي أفريقيا	١٤,٣٦٨	٦,٨٣
العراق	١,٣٩٨	٠,٦٦	ليبيا	١,٠٠٠	٠,٤٨
فلسطين	-	-	تونس	١,٩٣٩	٠,٩٢
لسان	٠,٢٠٠	٠,١٠	الجزائر	٤,٤٢٩	٢,١٠
سوريا	٢,٦٩٠	١,٢٨	المغرب	٧,٠٠٠	٣,٣٣
الأردن	-	-	شرقي أفريقيا	٥,٠٤٦	٢,٣٩
غربي آسيا	٤٢,٣٦٣	٢٠,١٣	جيبوتي	٢٨٠	٠,١٢
تركيا	٢٨,٨١٣	١٣,٦٩	الصومال	٤٠٠	٠,١٨
إيران	٩,٠٠٠	٤,٢٨	تنزانيا	٤,٣٤٢	٢,٠٥
أفغانستان	٤,٥٥٠	٢,١٦	جزر القمر	٩٦	٠,٠٤
شبه القارة الهندية	٤٥,٥٧٧	٢١,٦٥	أريتريا	٠٠	٠٠
باكستان	١٦,٠	٧,٨٨	الصحراء الكبرى	٦,١٦٧	٢,٩٣
سجلاديش	٢٨,٩٢٨	١٣,٧٤	تشاد	٨٨٥	٠,٤٢
المالديف	٠,٧٢	٠,٠٣	البيجر	٥,٠٥٩	٢,٤٠
			مالي	٥,٠٥٩	٢,٤٠

«تابع» جدول رقم (١)

الإقليم/ الدولة	عدد السكان (ألف نسمة)	٪ من سكان العالم الإسلامي	الإقليم/ الدولة	عدد السكان (ألف نسمة)	٪ من سكان العالم الإسلامي
موريتانيا	٢٢٣	٠,١١	عربي أفريقيا «ب»	٢١,٧٥٨	١٠,٣٤
عربي أفريقيا «أ»	٥,٠٧١	٢,٤١	سين	٧٤٩	٠,٣٦
السنغال	١,٢٤٧	٠,٥٩	بيجيريا	١٧,١٣٣	٨,١٤
غامبيا	١٠٣	٠,٠٤	الكامرون	٣,٥٠٠	١,٦٦
غينيا بيساو	٨٢٠	٠,٤٠	بوركينافاسو	٠٠	٠٠
سيراليون	١,٤٠٣	٠,٦٧	الجابون	٣٧٦	٠,١٨
غينيا	١,٤٩٨	٠,٧١	العالم الإسلامي	٢١٠,٤٦٤	١٠٠,٠٠

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

أ - Showers,v.(1969),World Facts And Figures,pp.321-326.

ب - من حساب الباحث .

العربية (أ) بعدد ٣,٠٧٠ ملايين نسمة نسبتهم ٢,٢٪ من سكان الشطر الآسيوي و ١,٥٪ من سكان العالم الإسلامي، بينما كان إقليم شبه الجزيرة (ب) أقل الأقاليم سكانًا بعدد ١,٩٤٤ مليون نسبتهم ١,٤٪ من سكان الشطر الآسيوي و ٠,٩٢٪ من سكان العالم الإسلامي.

وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كان عدد الدول الإسلامية أربعين دولة يتباين عدد سكانها تباينًا كبيرًا على النحو التالي:-

١- الدول الضخمة السكان (٢٠ مليون نسمة فأكثر) .. وعددها ثلاث هي: أندونيسيا بعدد ٣٧,٦٩٤ مليونًا ونسبة ١٧,٩١٪ من سكان العالم الإسلامي، وبنجلاديش بعدد ٢٨,٩٢٨ مليونًا ونسبة ١٣,٧٤٪، ثم تركيا بعدد ٢٨,٨١٣ مليونًا ونسبة ١٣,٦٩٪. وكانت الدول الثلاث تضم معًا ٩٥,٤٣٥ مليون نسمة نسبتهم ٤٥,٣٥٪ من جملة سكان العالم الإسلامي.

٢- الدول الكبيرة السكان (١٥-٢٠ مليون نسمة) .. وتضم دولتين فقط هما نيجيريا بعدد ١٧,١٣٣ مليون نسمة ونسبة ٨,١٤٪، وباكستان بعدد ١٦,٥٧٧ مليونًا ونسبة ٧,٨٨٪. وكانت الدولتان معًا تضمان ٣٣,٧١٠ مليون نسمة نسبتهم ١٦٪ من جملة سكان العالم الإسلامي آنذاك.

٣- الدول المتوسطة السكان (٥-١٠ ملايين نسمة) .. وتضم أربع دول هي: مصر بعدد ٩,٧٩٤ ملايين نسمة بنسبة ٤,٦٥٪، وإيران بعدد تسعة ملايين نسمة ونسبة ٤,٢٨٪ والمغرب بعدد سبعة ملايين نسمة ونسبة ٣,٣٣٪، ثم النيجر ومالي معًا بعدد ٥,٠٥٩ ملايين نسمة ونسبة ٢,٤٪. وتضم الدول الأربع معًا ٣٠,٨٥٣ مليونًا نسبتهم ١٤,٦٦٪ من سكان العالم الإسلامي.

٤- الدول قليلة السكان (١-٥ ملايين نسمة) .. وعددها ١٧ دولة، هي: أفغانستان - أثيوبيا - الجزائر - تنزانيا - الكمرون - السعودية - العراق - ماليزيا - أوغندا - سوريا - تونس - سيراليون - السنغال - السودان - ليبيا - عمان.

٥- الدول قزمية السكان (أقل من مليون نسمة) .. وتضم ١٤ دولة، هي: بروناي- البحرين- المالديف- جزر القمر- غامبيا- لبنان - جيبوتي- موريتانيا- الجابون - الصومال- بنين- غينيا بيساو- تشاد- اليمن، وذلك على النحو المبين في الجدول السابق رقم (١).

ثانياً: نمو السكان خلال القرن العشرين الميلادي :-

تطور سكان العالم الإسلامي تطوراً كبيراً خلال القرن العشرين الميلادي، فقد زاد العدد بنسبة ٤٥٢٪ بين عامي ١٩٠٠ و١٩٩٤م (من ٤٦٤, ٢١٠ إلى ٢٢٨, ١١٦١ مليون نسمة) بين العامين. وتميز الشطر الأفريقي بسرعة نمو سكانه عن نظيره الآسيوي (٥٣٤٪ : ٤٠٨٪ على التوالي) حيث زاد الأول من ٧٢, ٥٤٧ مليوناً إلى ١٣٧, ٤٦٠ مليوناً، بينما زاد الثاني من ١٣٧, ٩١٧ إلى ٧٠١, ٠٩١ مليوناً خلال الفترة ذاتها.

وقد اختلفت الزيادة خلال نصفي القرن على النحو التالي :-

١- في النصف الأول (١٩٠٠ - ١٩٥٠م) :

بلغت نسبة الزيادة السكانية ٩٧٪، إذا ارتفع العدد من ٤٦٤, ٢١٠ مليون نسمة إلى ٤١٣, ٩٤٤ مليون نسمة، وبلغت نسبة زيادة سكان الشطر الأفريقي ٨٤, ٤٪ مقابل ٦٨, ٨٪ للشطر الآسيوي. وتميزت غالبية أقاليم العالم الإسلامي ببطء النمو، وكان أقلها نمواً إقليم غربي آسيا (من ٤٢, ٣٦٣ إلى ٤٩, ٤٩٧ مليوناً بنسبة ١٧٪)، ثم إقليم الصحراء الكبرى (من ٦, ١٦٧ إلى ٨, ٣٧٢ مليوناً بنسبة ٣٦٪) فإقليم غربي أفريقيا أ (من ٥, ٠٧١ إلى ٧, ٣١٢ ملايين بنسبة ٤٤٪)، بينما زاد إقليم شمالي أفريقيا من ١٤, ٣٦٨ إلى ٢٢, ١٢٧ مليوناً بنسبة ٥٤٪، ثم إقليم شبه القارة الهندية (من ٤٥, ٥٧٧ إلى ٩٥, ٩٢٤ مليوناً بنسبة ٦٧٪). كما زاد إقليم غربي أفريقيا "ب" من ٢١, ٧٥٨ إلى ٣٨, ٨٦٩ مليوناً بنسبة ٧٩٪. أما إقليم شرقي أفريقيا فزاد من ٥, ٠٤٦ إلى ٩, ٧٤١ ملايين بنسبة ٩٣٪. وكل هذه الأقاليم أقل من نسبة الزيادة العامة لسكان العالم الإسلامي.

أما إقليم الهلال الخصيب فكان أسرع نمواً (من ٤,٢٨٨ إلى ١٢,١٦٣ مليوناً بنسبة ١.٨٤٪، وتلاه إقليم حوض النيل (من ٢٠,١٣٧ إلى ٤٧,٣٣١ مليوناً بنسبة ١.٣٥٪)، فإقليم شبه الجزيرة العربية (أ) (من ٣,٠٧٠ إلى ٦,٢٩٧ ملايين بنسبة ١.٠٥٪)، ثم إقليم جنوب شرقي آسيا (من ٤٠,٦٧٥ إلى ٨٣,١ مليوناً بنسبة ١.٠٤٪). ويعد إقليم شبه الجزيرة العربية (ب) الأسرع نمواً (من ١,٩٤٤ إلى ٥,٨٨ ملايين بنسبة ٢.٠٢٪).

وفي هذه الفترة كانت أسرع الدول زيادة في السكان هي: لبنان (٥٢٩٪)، والإمارات (٣٥٠٪) والصومال (٣٣٧٪)، والعراق (٢٤٤٪)، وأثيوبيا (٢٣٣٪)، بينما كانت أقل الدول نمواً في السكان هي: الجابون وليبيا (٩٪ لكل)، والمالديف (١٤٪)، والكمرون (١٧٪)، والمغرب وسوريا (٣٠٪ لكل)، وبنجلاديش (٤٥٪)، وسيراليون (٣٢٪).

وقد انخفض عدد سكان أربع دول في هذه الفترة هي: جيبوتي (٧٣ - ٠٪)، وعمان (٤٥ - ٠٪)، وغينيا بيساو (٣٨ - ٠٪)، وتركيا (٣٧ - ٠٪) إما بسبب الهجرة العائدة منها أو بسبب إعادة تخطيط الحدود السياسية.

٢- في النصف الثاني (١٩٥٠ - ١٩٩٤ م):

بلغت نسبة زيادة السكان خلال هذه الفترة ١.٨١٪ (من ٤١٣,٩٤٤ إلى ١١٦١,٢٢٨ مليوناً)، وكان الشطر الأفريقي أسرع نمواً من نظيره الآسيوي (٢٤٤٪: ٢٠١٪ على التوالي) إذا زاد عدد سكان الأول بنحو ٣٢٦,٣٨٥ مليوناً بينما زاد سكان الثاني ٢٣,٤٦٨ مليوناً.

وكان إقليم شرقي أفريقيا الأسرع نمواً (من ٩,٧٤١ إلى ٤٢,٥٥٦ مليوناً بنسبة ٣.٣٧٪)، تلاه إقليم الهلال الخصيب (من ١٢,١٦٣ إلى ٤٨,٤٣١ مليوناً بنسبة ٢.٩٨٪)، ثم إقليم غربي أفريقيا (ب) (من ٤٧,٣٣١ إلى ١٦٣,٠٥٢ مليوناً

وبنسبة ٢٤٤٪)، فإقليم شبه القارة الهندية (من ٧٥, ٩٢٤ إلى ٦٧٨, ٢٥٤ مليوناً
بنسبة ٢٣٥٪)، ثم إقليم الصحراء الكبرى (من ٨, ٣٧٢ إلى ٢٧, ٧٠٨ مليوناً بنسبة
٢٣١٪)، فإقليم شبه الجزيرة العربية (أ) (من ٦, ٢٩٧ إلى ١٧٣, ٢٠ مليوناً بنسبة
٢٢٠٪)، ثم إقليم شمالي أفريقيا (من ٢٢, ١٢٧ إلى ٦٧, ٧٧١ مليوناً بنسبة
٢٠٦٪)، ثم إقليم شبه الجزيرة العربية (ب) (من ٥, ٨٨ إلى ١٧, ٨١١ مليوناً بنسبة
٢٠٣٪).

أما أبداً الأقليم فكان إقليم جنوب شرقي آسيا (من ٨٣, ١ إلى ٢١٤, ٥٩
مليوناً بنسبة ١٥٨٪)، تلاه إقليم غربي أفريقيا "أ" (من ٧, ٣١٢ إلى ١٣٦, ٢١
مليوناً بنسبة ١٨٩٪)، ثم إقليم غربي آسيا (من ٤٩, ٤٩٧ إلى ١٤٥, ٤٠٨ مليوناً
بنسبة ١٩٤٪).

وفي هذه الفترة زاد عدد سكان ٣٤ دولة إسلامية بين ٢٣ مرة إلي مرتين،
بينما زاد عدد سكان ١٢ دولة من مرة إلى أقل من مرتين وكانت الزيادة ٢٪ فقط
في دولة واحدة. وكانت قطر أسرع الدول نمواً (٣٠٧٦٪)، تلتها الإمارات
(٢٢٢٦٪)، ثم جيبوتي والكويت (٩١١٪، ٨٦١٪)، ثم بروناي (٥٨٣٪)،
فالصومال (٤٢٠٪)، وفلسطين (٣٩٥٪)، والبحرين (٣٨٩٪) وليبيا (٣٨٠٪)،
وأوغندا (٣١٦٪)، والعراق (٣١٤٪)، فباكستان وسوريا (٣٠٥٪ لكل منهما). أما
إيران فزاد سكانها بنسبة ٢٩٧٪، والأردن ٢٩١٪، والسنغال ٢٨٧٪، وجزر القمر
٢٨٠٪، وغامبيا ٢٨٦٪، ونيجيريا ٢٦٥٪، وعمان ٢٧٨٪، وأثيوبيا ٢٥٦٪،
وتزانيا ٢٧١٪، وماليزيا ٢٤٠٪، ومصر ٢٢٤٪، وبروكينا فاسو ٣٢٣٪، والجزائر
والكمرون ٢١٥٪ لكل، والجابون ٢١٤٪، ومالي وموريتانيا ٢١٣٪ لكل،
والمالديف ٢٠٠٪، والسودان ٢٢٨٪، كما يظهر من الجدول رقم (٢).

أما أبطاً الدول نموا فكانت أفغانستان (من ١٢ إلى ١٨,٨٧٩ مليوناً بنسبة ٥٧٪ فقط)، بسبب الحروب والقتال السياسية المستمرة فيها (شكل رقم ١).

وتفسر الزيادة السكانية في العالم الإسلامي خلال القرن العشرين الميلادي بثلاثة عوامل هي: ارتفاع معدلات المواليد، وانخفاض معدلات الوفيات العامة ووفيات الأطفال بخاصة، وما نتج عن هذين العاملين من زيادة طبيعة مرتفعة، ثم الهجرة الأجنبية الوافدة من الخارج (غلاب وزميله، ١٩٧٤م، من ١١٧).

جدول رقم (٢) نمو عدد سكان العالم الإسلامي خلال القرن العشرين الميلادي
(ألف نسمة)

الإقليم/ الدولة	١٩٥٠م (١)	١٩٣٠م (١)	١٩٥٠م (١)	التغير (%) (ج)	
				١٩٥٠-١٩٠٠م	١٩٩٤-٥٠م
شبه الجزيرة العربية ^أ	٣,٠٧٠	٤,٣٨٠	٦,٢٩٧	٢٠,٥+	٣٢٠+
السعودية	٣,٠٠٠	٤,٢٠٠	٦,٠٠٠	٢٠٠+	٢٩١+
الكويت	-	٥٠	١٧٠	-	٩٦١+
قطر	-	٣٠	١٧	-	٣١٧٦+
البحرين	٠,٧٠	١٠٠	١١٠	١٥٧+	٤٩٩+
سسه الجزيرة العربية ^ب	١,٩٤٤	٣,٧٠٠	٥,٨٨٠	٣٠٢+	٣٠٣+
الإمارات	-	٥٠٠	٨٠	-	٢٣٢٦+
عمان	١,٠٠٠	٥٠٠	٥٥٠	٤٥-	٣٧٨+
اليمن	٩٤٤	٢,٧٠٠	٥,٢٥٠	٥٥٦+	٢٦٤+
الهلال الحبيب	٤,٢٨٨	٦,٧٠٠	١٢,١٦٣	٢٨٤+	٣٩٨+
العراق	١,٣٩٨	٣,٣٠٠	٤,٨١٦	٣٤٤+	٤١٤+
فلسطين	-	١,٠٠٠	١,٢٥٨	-	٤٩٥+
لبنان	٢٠٠	٦٠٠	١,٢٥٧	٦٢٩+	٢٣٢+
سوريا	٢,٦٩٠	١,٥٠٠	٣,٥٠٣	١٣٠+	٤٠٥+
الأردن	-	٣٠٠	١,٣٢٩	-	٣٩١+
غربي اسيا	٤٢,٣٦٣	٣٥,٧٠٠	٤٩,٤٩٧	١٧+	٢٩٤+
تركيا	٢٨,٨١٣	١٣,٧٠٠	٢٠,٩٤٧	٣٧-	٢٩٠+
إيران	٩,٠٠٠	١٥,٠٠٠	١٦,٥٥٠	١٨٤+	٣٩٧+
أفغانستان	٤,٥٥٠	٧,٠٠٠	١٢,٠٠٠	٢٦٤+	١٥٧+
شبه القاره الهنديه	٤٥,٥٧٧	٥٦,٩٨٠	٧٥,٩٢٤	٦٧+	٣٣٥+
باكستان	١٦,٥٧٧	٢١,٣٠٠	٣٣,٧٧٩	٢٠٤+	٤٠٥+
بنجلاديش	٢٨,٩٢٨	٣٥,٦٠٠	٤٧,٠٦٢	١٤٥+	٢٨٠+
المالديف	٧٢	٨٠	٨٢	١١٤+	٣٠٠+

تابع جدول رقم (٢)

التغير (%) (ج)		١٩٩٤م	١٩٥٠م	١٩٣٠م	١٩٠٠م	الإقليم/ الدولة
١٩٩٤-٥٠م	١٩٥٠-١٩٠٠م	(ب)	(١)	(١)	(١)	
٢٥٨+	٢٠٤+	٢١٤,٥٩٠	٨٣,١٠٠	٦٥,٢٣٠	٤٠,٦٧٥	جنوب شرقي آسيا
٣٤٠+	١٩٦+	١٩,٦٩٥	٥,٧٨٨	٤,٥٠٠	٢,٩٥٩	ماليزيا
٦٨٣+	١٨٦+	٢٨٠	٤١	٣٠	٢٢	بروناي
٢٥٢+	٢٠٥+	١٩٤,٦١٥	٧٧,٢٧١	٦٠,٧٠٠	٣٧,٦٩٤	إندونيسيا
٣٤٤+	٢٣٥+	١٦٣,٠٥٣	٤٧,٣٣١	٢٨,٨٠٠	٢٠,١٣٧	حوض النيل
٣٢٨+	٢٧٨+	٢٧,٣٦١	٨,٣٥٠	٥,٥٠٠	٣,٠٠٠	السودان
٣٥٦+	٣٣٣+	٥٣,٤٣٥	١٥,٠٠٠	٥,٥٠٠	٤,٥٠٠	أثيوبيا
٤١٦+	١٧٤+	٢٠,٦٢١	٤,٩٥٩	٣,٦٠٠	٢,٨٤٣	أوغندا
٣٢٤+	١٩٤+	٦١,٦٣٦	١٩,٠٢٢	١٤,٢٠٠	٩,٧٩٤	مصر
٣٠٦+	٥٤+	٦٧,٧٧١	٢٢,١٢٧	١٥,٩٠٠	١٤,٣٦٨	شمالي أفريقيا
٤٨٠+	١٠٩+	٥,٢٢٥	١,٠٨٩	٧٠٠	١,٠٠٠	ليبيا
٢٧٠+	١٦٧+	٨,٧٣٣	٣,٢٣١	٢,٤٠٠	١,٩٣٩	تونس
٣١٥+	١٩٦+	٢٧,٣٢٥	٨,٦٨٢	٦,٦٠٠	٤,٤٢٩	الجزائر
٢٩٠+	١٣٠+	٢٦,٤٨٨	٩,١٢٥	٦,٢٠٠	٧,٠٠٠	المغرب
٣٧+	٩٣	٤٢,٥٥٦	٩,٧٤١	٧,٠٧٠	٥,٠٤٦	شوقي أفريقيا
١٠١١+	٧٣-	٥٦٦	٥٦	٧٠	٢٠٨	جيبوتي
٥٢٠+	٤٣٧+	٩,٠٧٧	١,٧٤٧	١,٠٠٠	٤٠٠	الصومال
٣٧١+	١٧٩+	٢٨,٨٤٦	٧,٧٧٢	٥,٣٠٠	٤,٣٤٢	تنزانيا
٣٨٠+	١٧٣+	٦٣٠	١٦٦	١٠٠	٩٦	جرر القمر
٠٠	-	٣,٤٣٧	-	٦٠٠	-	أريتريا
٣٣١+	٢٦+	٢٧,٧٠٨	٨,٣٧٢	٥,١٠٠	-	الصحراء الكبرى
٢٧٦+	٢٥٢+	٦,١٨٣	٢,٢٤١	١,٠٠٠	٦,١٦٧	تشاد
٤١٦+	١٠٨+	٨,٨٤٦	٢,١٢٧	١,٢٠٠	٨٨٥	النيجر

تابع جدول رقم (٢)

التغير (%) (ج)		١٩٩٤م	١٩٥٠م	١٩٣٠م	١٩٠٠م	الإقليم / الدولة
١٩٩٤-٥٠م	١٩٥٠-١٩٠٠م	(ب)	(١)	(١)	(١)	
٣١٣+	٢٩٥+	١٠,٤٦٢	٣,٣٤٧	٢,٦٠٠	٥,٠٥٩	مالي
٣٣٧+	-	٢,٢١٧	٦٥٧	٣٠٠	٢٢٣	موريتانيا
٢٨٩+	٤٤+	٢١,١٣٦	٧,٣١٢	٥,٩٠٠	٥,٠٧١	عربي أفريقيا «أ»
٣٨٧+	١٦٨+	٨,١٠٢	٢,٠٩٣	١,٤٠٠	١,٢٤٧	السنغال
٣٨٦+	٢٧٢+	١٠٨١	٢٨٠	٢٠٠	١٠٣	عاميا
٢٠٥+	٣٨+	١,٠٥٠	٥١١	٤٠٠	٨٢٠	غيبيانيساو
٢٣٧+	١٣٢+	٤,٤٠٢	١,٨٥٨	١,٨٠٠	١,٤٠٣	سيراليون
٢٥٣+	١٧٢+	٦,٥٠١	٢,٥٧٠	٢,١٠٠	١,٤٩٨	عيبيا
٣٥٥+	٧٩+	١٣٧,٩١٣	٣٨,٨٦٩	٢٦,٨٠٠	٢١,٧٥٨	عربي أفريقيا «ب»
٣٤٢+	٢٠٥+	٥,٢٤٦	١,٥٣٥	١,٠٠٠	٧٤٩	سين
٣٦٥+	١٧٤+	١٠٨,٤٦٧	٢٩,٧٣١	١٩,٢٠٠	١٧,١٣٣	بيجيريا
٣١٥+	١١٧+	١٢,٨٧١	٤,٠٨٥	٣,٠٠٠	٣,٥٠٠	الكومرون
٣٢٣+	-	١٠,٠٤٦	٣,١٠٩	٣,٢٠٠	-	موركينا فاسو
٣١٤+	١٠٩+	١,٢٨٣	٤٠٩	٤٠٠	٣٧٦	الجانون
٢٨١+	٩٧+	١١٦١,٢٢٨	٤١٣,٩٤٤	٢٦٢,٢٦٠	٢١٠,٤٦٤	العالم الإسلامي

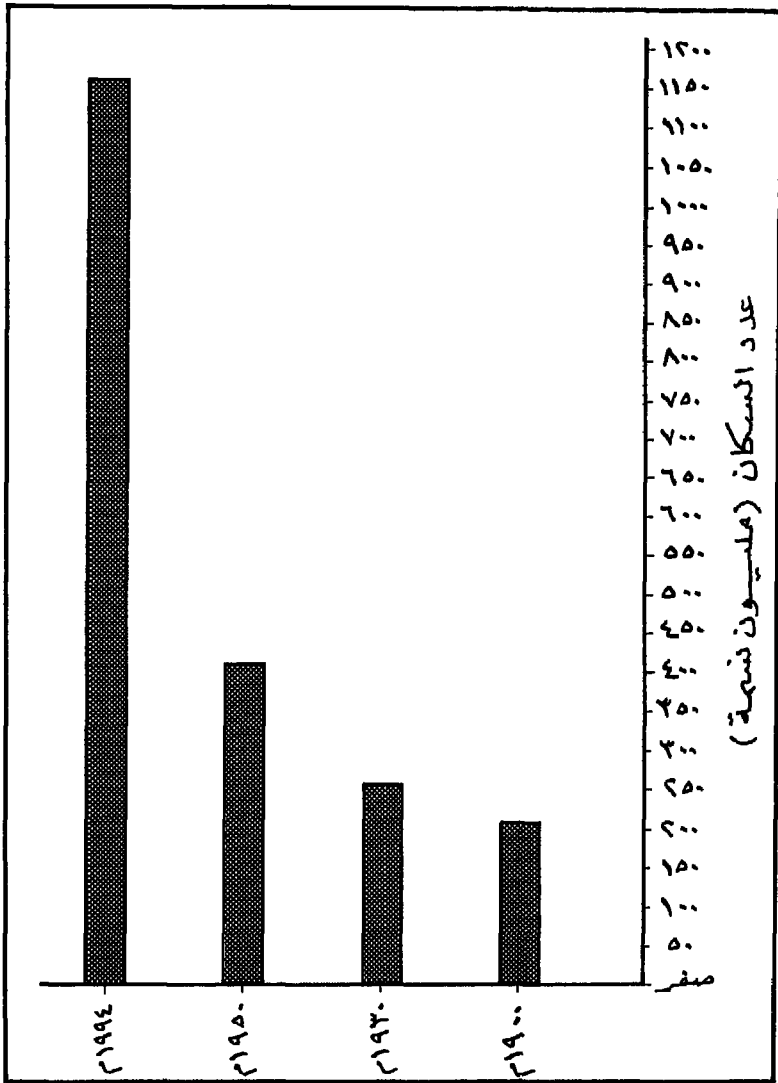
١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

١ - Showers, V.,(1979), World Facts and Figures, PP.321-326.

U. N., (1994), WORLD POPULATION.

ب -

ج - من حساب الباحث.



شكل (١) نمو عدد سكان العالم الإسلامي خلال القرن العشرين الميلادي

المصدر :

- Showers, V.(1979): World facts and Figures .

- U.N. (1994) : World Population.

عناصر نمو سكان العالم الإسلامي

أولاً : الزيادة الطبيعية :-

أ- معدلات المواليد الخام :

للمواليد أهميتها في التغيرات التي تصيب المجتمعات البشرية، إلى جانب أهميتها في عمليات التخطيط المختلفة في التغيرات السكانية بخاصة بعد فقد الهجرة الدولية لأهميتها الكبيرة في زيادة السكان بسبب القيود العديدة التي فرضت عليها من جانب الدول المختلفة (حسين وزميله، ١٩٧٥، ١٩٧٥ م، ص ٢٠ - ٢٢).

ويتميز العالم الإسلامي بنقص التسجيلات الحيوية (Trewartha, 1972.p.6) ولذلك سيتم الاعتماد على التقديرات الدولية في دراسة الخصائص الحيوية.

وتتصف معدلات المواليد في العالم الإسلامي بالارتفاع إلى ٣٨ في الألف مقارنة مع ٢٥ في الألف معدل العالم و١٣ في الألف معدل المناطق الأكثر تقدماً و٢٣/ الألف معدل المناطق الأقل تقدماً. وهناك تفاوت كبير بين الأقاليم الإسلامية في ذلك على النحو التالي وإن كانت تزيد كلها عن معدل العالم :-

١- الأقاليم ذات المعدلات المرتفعة جداً (٤٠ في الألف فأكثر) . . وهي ستة أعلاها إقليم الصحراء الكبرى (٥٠ في الألف)، وإقليم غربي أفريقيا "أ" (٤٧ في الألف) وإقليم شبه الجزيرة العربية (ب) (٤٦ في الألف وإقليم شرقي أفريقيا وإقليم غربي أفريقيا "ب" (٤٥ في الألف)، ثم إقليم حوض النيل (٤٠ في الألف)

٢- الأقاليم ذات المعدلات العالية (٣٠ - ٣٩ في الألف .. وتضم خمسة أقاليم هي إقليم شبه القارة الهندية (٣٨ في الألف) وإقليم الهلال الخصيب (٣٦ في الألف)، وإقليم شبه الجزيرة العربية (أ) وإقليم غربي آسيا (٣٣ في الألف)، ثم إقليم شمالي أفريقيا (٣٠ في الألف).

٣- الأقاليم ذات المعدلات المتوسطة (٢٥- ٢٩ في الألف) . . وتضم إقليمياً واحداً هو إقليم جنوب شرقي آسيا (٢٥ في الألف).

وتزيد معدلات المواليد في ٤٢ دولة إسلامية (٨٧,٥٪ من جملتها) عن معدلات العالم، بينما تتعادل دولة واحدة، وتقل عنها خمس دول. وتبلغ معدلات المواليد أعلاها في أو غندا (٥٢ في الألف)، والصومال وأفغانستان (٥٠ في الألف) واليمن (٤٩ في الألف)، وأثيوبيا وجزر القمر (٤٨ في الألف)، وعمان (٤٤ في الألف) وتنزانيا وأريتريا (٤٣ في الألف)، والمالديف وليبيا (٤٢ في الألف)، وسوريا وباكستان (٤١ في الألف)، والسودان (٤٠ في الألف). بينما تبلغ ٣٨ في الألف في السعودية وجيبوتي، ٣٩ في الألف في الأردن، ٣٥ في الألف في إيران وبنجلاديش، وتنخفض إلى ٢٩ في الألف في ماليزيا ومصر والجزائر والمغرب، ٢٨ في الألف في البحرين، و٢٧ في الألف في تركيا ولبنان، ٢٦ في الألف في تونس، كما تنخفض إلى ٢٤ في الألف في بروناي والكويت، ٢٣ في الألف في الإمارات، ٢١ في الألف في قطر وفلسطين.

ويرجع ارتفاع معدلات المواليد في العالم الإسلامي بعامه إلى عدة عوامل أهمها أثر الدين الإسلامي الذي يمنع تحديد النسل ويبيح تعدد الزوجات ويسمح بزواج المطلقة والأرملة إضافة إلى عوامل أخرى منها: التكوين القلبي للمجتمعات الإسلامية، والطابع الزراعي والرعوي لهذه المجتمعات، والاستفادة من الأطفال في العمل وزيادة عدد القبائل، واعتماد الآباء المسنين عليهم عند الكبر، وحرص الأمهات على زيادة الإنجاب كوسيلة للحماية والأمان من الطلاق، وانخفاض سن الزواج وارتفاع نسبة الأمية، وقلة عمل المرأة المسلمة، وكثرة سكان الريف، وارتفاع معدلات الخصوبة الكلية (Clarks 1974.p 129)، وانخفاض الدخل الفردي بعامه.

وخلال الفترة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٥م انخفضت معدلات المواليد في العالم الإسلامي بنسبة ٦ في الألف، كما شهدت عشرة أقاليم انخفاضات مماثلة أكبرها في إقليم شبه الجزيرة العربية (أ) (من ٤٨ - ٣٣ في الألف)، وفي إقليم شمالي أفريقيا (من ٤٧ - ٣٠ / الألف)، وفي إقليم غربي أفريقيا (ب) من ٤٩ - ٤٥ في الألف وشبه القارة الهندية (من ٤٦ - ٣٨ في الألف)، وفي إقليم غربي آسيا (من ٤١ - ٣٣ في الألف). كما انخفضت مواليد إقليم جنوب شرقي آسيا من ٣٥ إلى ٢٥ في الألف، ومواليد إقليم شرقي أفريقيا من ٤٦ إلى ٤٥ في الألف، ومواليد إقليم حوض النيل من ٤٤ إلى ٤٠ في الألف، وزادت مواليد إقليم الصحراء الكبرى من ٤٨ إلى ٥٠ في الألف، بينما ظلت مواليد إقليم غربي أفريقيا (أ) ثابتة عند ٤٧ في الألف، كما يظهر من الجدول رقم (٣) والشكل رقم (٢).

جدول رقم (٣) تطور معدلات المواليد في العالم الإسلامي (في الألف) (١)

التغير	١٩٩٥/٩٠م	١٩٧٩م	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٥/٩٠م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة
١٠ -	٢٥	٣٥	حوض سرقى اسيا	١٥ -	٣٣	٤٨	شبه الجزيرة العربية ^أ
٢ -	٢٩	٣١	ماليزيا	١٤ -	٣٥	٤٩	السعودية
٤ -	٢٤	٢٨	بروناي	١٨ -	٢٤	٤٢	الكويت
١٠ -	٢٥	٣٥	إندونيسيا	٢٣ -	٢١	٤٤	قطر
٤ -	٤٠	٤٤	حوض النيل	١٦ -	٢٨	٤٤	اليحريين
٦ -	٤٠	٤٦	السودان	٢ -	٤٦	٤٨	شبه الجزيرة العربية ^ب
٢ -	٤٨	٥٠	أثيوبيا	٢١ -	٢٣	٤٤	الإمارات
٧ +	٥٢	٤٥	أوغندا	٥ -	٤٤	٤٩	عمان
٩ -	٢٩	٣٨	مصر	١ +	٤٩	٤٨	اليمن
١٧ -	٣٠	٤٧	شمالي أفريقيا	١ +	٣٦	٣٥	الهلال الخصيب
٥ -	٤٢	٤٧	ليبيا	٩ -	٣٨	٤٧	العراق
١٠ -	٢٦	٣٦	تونس	٥ -	٢١	٢٦	فلسطين
١٩ -	٢٩	٤٨	الجزائر	٩ -	٢٧	٣٦	لبنان
١٧ -	٢٩	٤٦	المغرب	٣ -	٤١	٤٤	سوريا
١ -	٤٥	٤٦	شرقي أفريقيا	٧ -	٣٩	٤٦	الأردن
١٠ -	٣٨	٤٨	جيبوتي	٨ -	٣٣	٤١	غربي آسيا
٢ +	٥٠	٤٨	الصومال	٨ -	٢٧	٣٥	تركيا
٣ -	٤٣	٤٦	تنزانيا	٩ -	٣٥	٤٤	إيران
٨ +	٤٨	٤٠	حوض القفر	٠	٥٠	٥٠	أفغانستان
٧ -	٤٣	٥٠	أريتريا	٨ -	٣٨	٤٦	شبه القارة الهندية
٢ +	٥٠	٤٨	الصحراء الكبرى	٣ -	٤١	٤٤	باكستان
٠	٤٤	٤٤	تشاد	١٢ -	٣٥	٤٧	بنجلاديش
٢ +	٥٣	٥١	البيجر	٨ -	٤٢	٥٠	المالديف

تابع جدول رقم (٣)

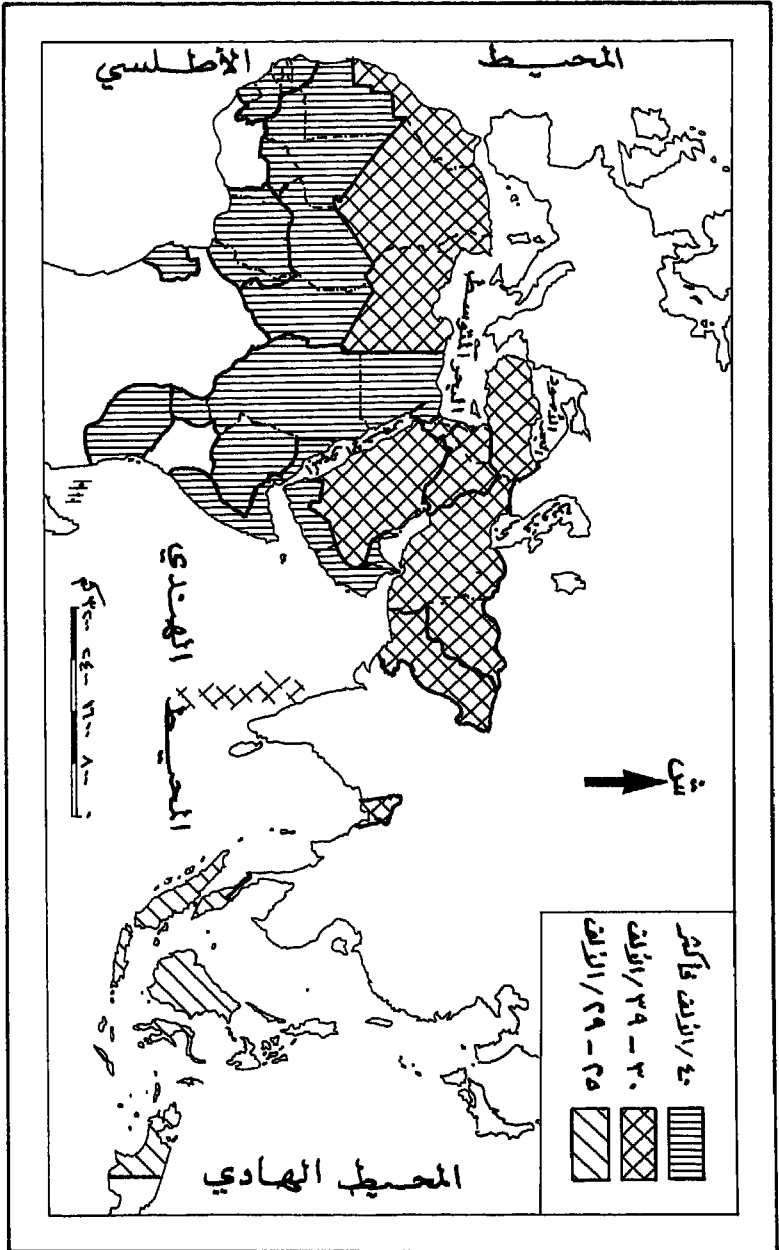
التغير	١٩٩٥/٩٠ م	١٩٧٩ م	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٥/٩٠ م (ب)	١٩٧٩ م (أ)	الإقليم/ الدولة
٤ -	٤٥	٤٩	عربي أفريقيا «ب»	٢ +	٥١	٤٩	مالي
٠	٤٩	٤٩	سين	١٠ -	٤٠	٥٠	موريتانيا
٥ -	٤٥	٥٠	بيجيريا	٠	٤٧	٤٧	عربي أفريقيا «أ»
١ -	٤١	٤٢	الكومون	٥ -	٤٣	٤٨	السعال
١ -	٤٧	٤٨	بوركينافاسو	٤ -	٤٤	٤٨	غامبيا
٤ +	٣٧	٣٣	الخانوب	٢ +	٤٣	٤١	غينيايساو
٦ -	٣٨	٤٤	العالم الإسلامي (ح)	٣ +	٤٩	٤٦	سيراليون
٣ -	٢٥	٢٨	العالم	٢ +	٥١	٤٦	غينيا
٣ -	١٣	١٦	المناطق الأكثر تقدما	٢ +	٥١	٤٦	
١٠ +	٤٣	٣٣	المناطق الأقل تقدما				

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

١ - THE POPULATION REFERENCE BUREAU, (1979)
POPULATION DATA SHEET, WASHINGTON,

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

ج - من حساب الباحث.



شكل (٢) معدلات النمو اليد في أفالييم العالم الإسلامي (١٩٩٠ - ٢١٩٩٥)
 هذه الخريطة وكلت حركات اليمن لا تعتبر من خريطة النمو والسياسية.

وكذلك شهدت معظم الدول الإسلامية انخفاضاً في معدلات مواليدها، مع تباين واضح على النحو التالي:-

١- دول حدث بها انخفاض كبير جداً في معدلات المواليد (-١٥ في الألف). .
وتعد قطر وأولاًها (٥-٢٣ في الألف)، تليها الإمارات (٢١ في الألف)،
والجزائر (-١٩ في الألف)، والكويت (-١٨ في الألف)، ثم المغرب (١٧ في الألف).

٢- دول حدث بها انخفاض كبير في معدلات المواليد (١٠-١٤ في الألف) . .
أولاًها السعودية (-١٤ في الألف)، وبنجلاديش (-١٢ في الألف)، وأندونيسيا
وتونس وجيبوتي (-١٠ في الألف).

٣- دول حدث بها انخفاض متوسط في معدلات المواليد (٥-٩ في الألف). .
وتشمل ١٢ دولة هي: العراق- لبنان- إيران- مصر (٩ في الألف) ونزكيا-
المالديف (-٨ في الألف)، والأردن- أريتريا (-٧ في الألف)، والسودان (-٦ في الألف)،
وعُمان - فلسطين- ليبيا (-٥ في الألف).

٤- دول حدث به انخفاض بسيط في معدلات المواليد (٤ في الألف فأقل). . وتضم
ست دول، هي: بروناي (-٤ في الألف)، سوريا- باكستان- تنزانيا (-٣ في الألف)،
ماليزيا- أثيوبيا (-٢ في الألف).

ويرجع انخفاض المواليد في الدول الإسلامية السابقة إلى عدة عوامل،
منها:

تأخر الزواج، أو زيادة نسبة الأجانب غير المصحوبين بأسرهم بين السكان،
أو لآثار الحروب والقتال السياسية، أو بسبب ارتفاع المستوى الثقافي، أو ارتفاع
الدخل الفردي، أو انخفاض نسبة الأمية، أو لخروج المرأة إلى العمل، أو لتقدم

الحرفة، أو بها كلها أو معظمها.

وعلى عكس الدول السابقة ارتفعت المواليد في أربع دول هي: جزر القمر (+
٨ في الألف)، وأوغندا (+٧ في الألف)، والصومال (+٢ في الألف)، واليمن
(+١ في الألف).

ويفسر ذلك الارتفاع إما بأخطاء التقدير الأول، أو لزيادة الفقر، أو كرد فعل
مباشر لارتفاع الوفيات بسبب الحروب، أو لغيرها من الأسباب.

وهناك دولة واحدة ظلت مواليدها ثابتة دون تغيير هي أفغانستان (٥٠ في
الألف) خلال الفترة المذكورة.

ب- الخصوبة الكلية:

للخصوبة أثر كبير على المواليد، وتمتد فترتها عادة من سن ١٥ - ٤٩ سنة مع
اختلاف بدايتها أحيانا إلى سن العاشرة ونهايتها إلى سن ٥٦ سنة في المجتمعات
البشرية المختلفة أو المجموعات السكانية أو بين طبقة وأخرى داخل القطر الواحد
تبعاً لاختلاف الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية (غلاب وزميله، ١٩٧٤م،
ص ٣٧).

ويتصف العالم الإسلامي بارتفاع معدل الخصوبة الكلية إلى ٤, ٥ مواليد
للمرأة مقابل ١, ٣ مواليد في العالم، و ٧, ١ مولد للمناطق الأكثر تقدماً، مع
اختلاف واضح بين الأقاليم الإسلامية على النحو التالي:-

١- أقاليم ذات خصوبة عالية جداً (أكثر من ضعف معدلات العالم).. وتشمل
خمسة أقاليم هي إقليم الصحراء الكبرى (١, ٧ مواليد)، وشبه الجزيرة العربية
"ب" ٢, ٧، وشرقي أفريقيا (٣, ٦ مواليد)، ثم إقليمي غربي أفريقيا "أ"
(٦, ٦ مواليد)، "ب" (٥, ٦) مواليد.

٢- أقاليم ذات خصوبة عالية وتشمل ستة أقاليم هي: حوض النيل (٦ مواليد)، وشبه القارة الهندية (٤, ٥ مواليد)، وإقليم غربي آسيا (١, ٥ مواليد)، ثم إقليم الهلال الخصيب (٧, ٥ مواليد)، ثم إقليم شبه الجزيرة العربية "أ" (٨, ٥ مواليد)، وإقليم شمالي أفريقيا (٨, ٣ مواليد وكلها تزيد معدلاتها عن المعدل العالمي أما إقليم جنوب شرقي آسيا فتقل خصوبته إلى ٩, ٢ مولودين للمرأة.

وتزيد معدلات الخصوبة الكلية عن المعدل العالمي في كل دول العالم الإسلامي عدا دولتين هما: فلسطين وأندونيسيا (-٢, ٠ مولدا)، مع تباين واضح بين الدول على النحو التالي (جدول رقم ٤):-

١- دول تزيد خصوبتها عن ضعفي معدل العالم، وعددها ١٨ دولة.

٢- دول تتراوح معدلات الخصوبة فيها بين ضعف إلى أقل من ضعفي معدل العالم، وتضم ٢٨ دولة ويرجع الارتفاع في معدلات الخصوبة الكلية في العالم الإسلامي إلى عدة عوامل هي عادة المؤثرة في المواليد، إلى جانب نسبة المتزوجين العالية، والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ودرجة الثقافة، ومعدل الدخل الفردي (اسماعيل، ١٩٧٦م، ص ٤٦-٤٧)، حيث يبلغ معامل الارتباط بينه وبين الخصوبة الكلية (-٦٢, ٠) أي علاقة عكسية متوسطة واضحة.

جدول رقم (٤) معدلات الخصوبة الكلية في العالم الإسلامي (٩٠-١٩٩٥م) (١)
(مولود/ للمرأة)

المعدل (١)	الإقليم/ الدولة	المعدل (١)	الإقليم/ الدولة	المعدل (١)	الإقليم/ الدولة
٥,٨	أريتريا	٤,٤	سجلاديش	٥,٨	شبه الجزيرة العربية (أ)
٥,٩	الصحراء الكبرى:	٦,٨	المالديف	٦,٤	السعودية
٧,٤	تشاد	٢,٩	جنوب شرقي آسيا:	٣,١	الكويت
٧,١	البحر	٣,٦	ماليزيا	٤,٣	قطر
٥,٤	مالي	٣,١	بروناي	٣,٨	البحرين
٦,٦	موريتانيا	٢,٩	إندونيسيا	٧,٢	شبه الجزيرة العربية (ب)
٦,١	غربي أفريقيا (أ)	٦,٠	حوض النيل:	٤,٢	الإمارات
٥,٦	السنغال	٥,٧	السودان	٧,٢	عمان
٥,٨	غامبيا	٧,٠	أثيوبيا	٧,٦	اليمن
٦,٥	غينيا بيساو	٧,٣	أوغندا	٥,٧	الهلال الخصيب:
٧,٠	سيراليون	٣,٩	مصر	٥,٧	العراق
٦,٥	غينيا	٣,٨	شمال أفريقيا:	٢,٩	فلسطين
٧,١	غربي أفريقيا (ب)	٦,٤	ليبيا	٣,١	لبنان
٦,٤	سين	٣,١	تونس	٥,٩	سوريا
٥,٧	بيجيريا	٣,٨	الجزائر	٥,٦	الأردن
٦,٥	الكامرون	٣,٨	المغرب	٥,١	غربي آسيا:
٥,٣	بوركينافاسو	٦,٣	شرقي أفريقيا:	٣,٣	تركيا
٥,٤	الخابون	٥,٨	جيبوتي	٥,٠	إيران
٣,١	العالم الإسلامي	٧,٠	الصومال	٦,٩	أفغانستان
١,٧	المناطق الأكثر تقدماً	٥,٩	تنزانيا	٥,٤	شبه القارة الهندية:
٥,٨	المناطق الأقل تقدماً	٧,٠	جزر القمر	٦,٢	باكستان

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

U. N., (1994), WORLD POPULATION.

- أ -

ب - من حساب الباحث.

ج- معدلات الوفيات الخام:

تؤثر الوفيات على تركيب السكان، وبخاصة التركيب العمري، ومتوسط العمر والزيادة الطبيعية، كما تؤثر في معدلات النمو المرتفعة التي تعتبر أحد الملامح المميزة لتاريخ البشرية الحديث (Clarke,1976-A.p.118).

تصل وفيات العالم الإسلامي إلى ١١,٢ في الألف، بزيادة ٢,٢ في الألف عن معدل العالم وبنحو ١,٢ في الألف عن المناطق الأكثر تقدماً. وتنخفض وفيات الشطر الآسيوي إلى ٧,٥ في الألف بينما ترتفع إلى ١٤,٩ في الألف بالشطر الأفريقي. أما الأقاليم الإسلامية فتتباين معدلات وفياتها بشدة على النحو التالي (جدول رقم ٥ وشكل رقم ٣):-

١- الأقاليم ذات الوفيات الخام المرتفعة جدا (+١٤ في الألف).. وتضم خمسة أقاليم هي: غربي أفريقيا أ (١٩,٥ في الألف)، والصحراء الكبرى (١٨,٥ في الألف)، وغربي أفريقيا ب، ١٦ في الألف)، وشرقي أفريقيا (١٥ في الألف)، وشرقي أفريقيا (١٥ في الألف)، ثم حوض النيل (١٤ في الألف).

٢- أقاليم مرتفعة الوفيات (٩-١٣ في الألف).. وتضم ثلاثة أقاليم: غربي آسيا (٩ في الألف)، وشبه القارة الهندية (١٠ في الألف). وشبه الجزيرة العربية "ب" (١٢,٥ في الألف).

٣- أقاليم منخفضة الوفيات (٦-٨ في الألف).. وتضم ثلاثة أقاليم هي: جنوب شرقي آسيا (٧,٥ في الألف)، وإقليم شمالي أفريقيا (٧ في الألف)، والهلال الخطيب (٦,٥ في الألف)، كما يظهر من الجدول السابقة رقم (٥).

٤- أقاليم منخفضة الوفيات جدا (٦ في الألف فأقل).. وتضم إقليمًا واحدًا هو شبه الجزيرة العربية "أ" (٤,٧ في الألف).

جدول رقم (٥) تغير معدلات الوفيات في العالم الإسلامي (%) (١)

التغير	١٩٩٤م	١٩٧٩م	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (ا)	الإقليم/ الدولة
٦,٥ -	٧,٥	١٤	حوض سرقى آسيا	١١,٣ -	٤,٧	١٦	شبه الجزيرة العربية أ
١ -	٥	٦	ماليزيا	١٣ -	٥	١٨	السعودية
١ -	٣	٤	بروناي	٣ -	٢	٥	الكويت
٦ -	٨	١٤	إندونيسيا	١١ -	٣	١٤	قطر
٣ -	١٤	١٧	حوض النيل	٩ -	٤	١٣	البحرين
٥ -	١٣	١٨	السودان	٩,٥ -	١٢,٥	٢٢	شبه الجزيرة العربية ب
٧ -	١٨	٢٥	أثيوبيا	١١ -	٣	١٤	الإمارات
٥ +	١٩	١٤	أوغندا	١٤ -	٥	١٩	عمان
٤ -	٨	١٢	مصر	٨ -	١٥	٢٣	اليمن
٧ -	٧	١٤	شمالي أفريقيا	٥,٥ -	٦,٥	١٢	الهلال الخصيب
٥ -	٨	١٣	ليبيا	٦ -	٧	١٣	العراق
٤ -	٦	١٠	تونس	٠	٧	٧	فلسطين
٨ -	٦	١٤	الجزائر	٤ -	٧	١١	لبنان
٦ -	٨	١٤	المغرب	٧ -	٦	١٣	سوريا
٢ -	١٥	١٧	شرقي أفريقيا	٨ -	٥	١٣	الأردن
٨ -	١٦	٢٤	جيبوتي	٦ -	٩	١٥	عربي آسيا
٢ -	١٨	٢٠	الصومال	٣ -	٧	١٠	تركيا
٢ -	١٤	١٦	ترايبا	٧ -	٧	١٤	إيران
٦ -	١٢	١٨	حزر القمر	٥ -	٢٢	٢٧	أفغانستان
١٠ -	١٥	٢٥	أريتريا	٦ -	١٠	١٦	شبه القارة الهندية
٣,٥ -	١٨,٥	٢٢	الصحراء الكبرى	٥ -	٩	١٤	باكستان
٣ -	١٨	٢١	تشاد	٦ -	١٢	١٨	سحلاديش
٣ -	١٩	٢٢	البحر	٤ -	٩	١٣	المالديف

تابع جدول رقم (٥)

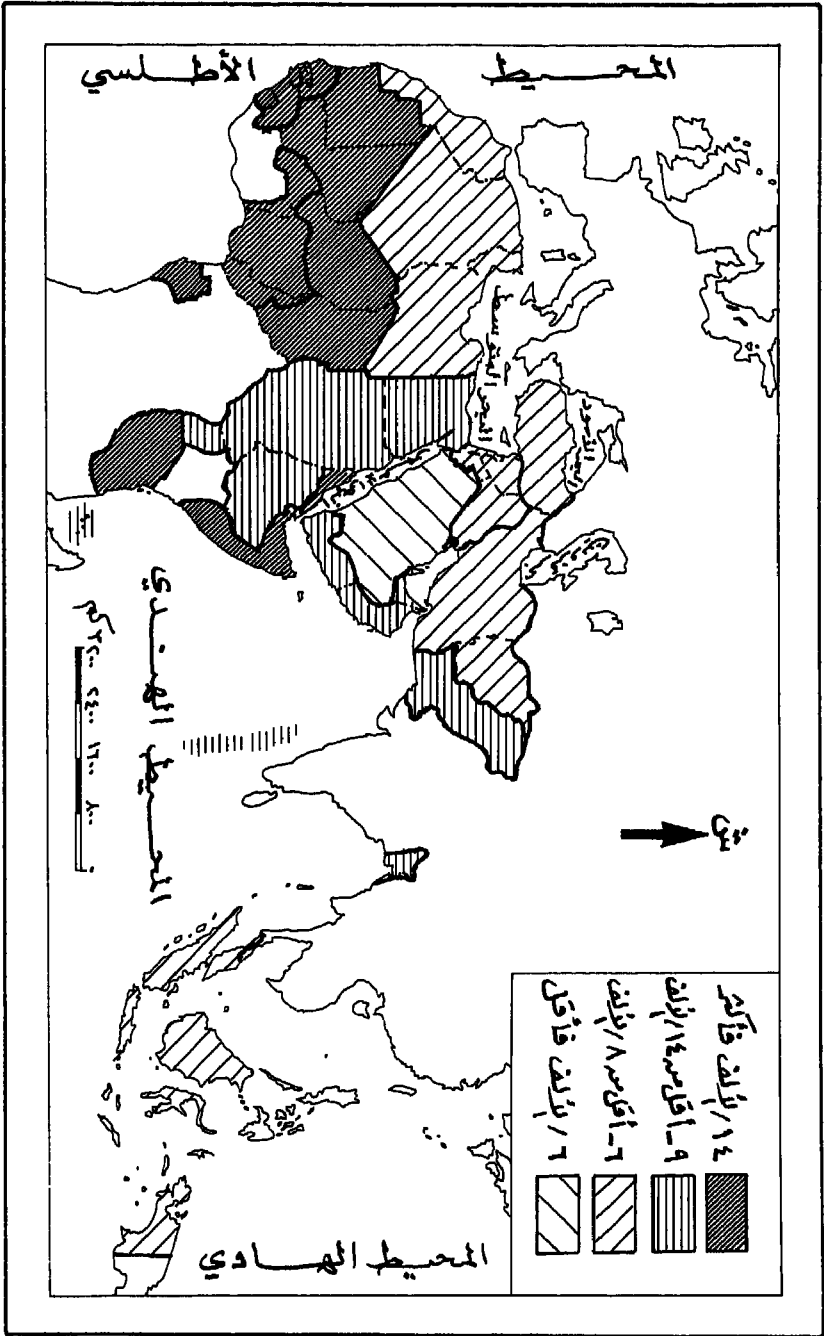
التغير	١٩٩٤م	١٩٧٩م	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة
١-	١٦	١٧	غربي أفريقيا (ب)	٣-	١٩	٢٢	مالي
١-	١٨	١٩	بين	٨-	١٤	٢٢	موريتانيا
٣-	١٥	١٨	نيجيريا	١,٥-	١٩,٥	٢١	غربي أفريقيا (ب)
٧-	١٢	١٩	الكامرون	٦-	١٦	٢٢	السنغال
٤-	١٨	٢٢	بوركينا فاسو	٤-	١٩	٢٣	غامبيا
٧-	١٥	٢٢	الجانون	٢-	٢١	٢٣	غينيا بيساو
٥,٣-	١١,٢	١٦,٥	العالم الإسلامي	٦+	٢٥	١٩	سيراليون
٢-	٩	١١	العالم	١-	٢٠	٢١	غينيا
١+	١٠	٩	المناطق الأكثر تقدما				
٣+	١٥	١٢	المناطق الأقل تقدما				

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

١ - THE POPULATION REFERENCE BUREAU, (1979)

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

ج - من حساب الباحث.



شكل (٣١) معدلات الوفقات الخام في أقاليم العالم الإيسلاي (١٩٩٤م)

ويرجع انخفاض الوفيات الخام في الأقاليم السابقة إلى التطور الهائل في الخدمات الصحية، وإلى ارتفاع نسبة متوسطي السن، وارتفاع مستوى السكنى، والخدمات العامة ومستوى المعيشة، وارتفاع الدخل الفردية، حيث توجد علاقة ارتباط عكسية قوية بين معدلات الوفيات العامة والدخل الفردي يبلغ معامل ارتباطها (-, ٧٧,٠).

وإلى النمط الأول المرتفع الوفيات جدا تنتمي ٢١ دولة هي: سيراليون (٢٥ في الألف)، أفغانستان (٢٢ في الألف)، غينيا بيساو (٢١ في الألف)، غامبيا - مالي - النيجر - أو غندا (١٩ في الألف)، نيجريا - الجابون - اليمن - أريتريا (١٥ في الألف).

بينما ينتمي إلى النمط الثاني المرتفع الوفيات ست دول هي: موريتانيا - تنزانيا (١٤ في الألف)، السودان (١٣ في الألف)، بنجلاديش - جزر القمر - الكمرون (١٢ في الألف).

أما إلى النمط الثالث المنخفض الوفيات فتتسمى ١١ دولة هي: باكستان - المالديف (٩ في الألف)، أندونيسيا - مصر - ليبيا - المغرب (٨ في الألف)، العراق - فلسطين - لبنان - تركيا - إيران (٧ في الألف).

وإلى النمط الرابع المنخفض الوفيات جدا تنتمي ١٢ دولة هي: سوريا - تونس - الجزائر (٦ في الألف)، السعودية - عُمان - الأردن - ماليزيا (٥ في الألف)، البحرين (٤ في الألف)، قطر - الإمارات - بروناي (٣ في الألف)، الكويت (٢ في الألف).

وخلال الفترة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٤م حدث انخفاض واضح في معدلات الوفيات الخام في العالم الإسلامي بلغ ٣,٥ في الألف، وكان هذا الانخفاض أكثر وضوحا في الشطر الآسيوي منه في الشطر الأفريقي (٣,٦ - ٣,٤ في الألف على

التوالي). وقد اختلف معدل الانخفاض في الأقاليم الإسلامية فبلغ ٩,٥ في الألف في إقليم شبه الجزيرة العربية (ب)، وكان ١١,٣ في الألف في إقليم شبه الجزيرة العربية (أ)، بينما كان ٦ في الألف في أقاليم شبه القارة الهندية وغربي آسيا، وكان ٥,٥ في الألف في إقليم الهلال الخصيب، و٧ في الألف في إقليم شمالي أفريقيا وبلغ ١ في الألف في إقليم غربي أفريقيا (ب)، ٦,٥ في الألف في إقليم جنوب شرقي آسيا، و٣ في الألف في إقليم حوض النيل، ولم يزد عن ١,٥ في الألف في إقليم غربي أفريقيا (أ).

وقد اختلف معدل الانخفاض في الدول الإسلامية بدرجة كبيرة، فكان ١٤ في الألف في عُمان، و١٣ في الألف في السعودية، و١١ في الألف في الإمارات، و١٠ في الألف في أريتريا، و٩ في الألف في قطر والبحرين، و٨ في الألف في كل من اليمن-الأردن-الجزائر-المغرب-جيبوتي-موريتانيا، و٧ في الألف في سوريا-وتركيا-إيران-أثيوبيا الكمرون، و٦ في الألف في العراق-بنجلاديش-المالديف-أندونيسيا-جزر القمر-السنغال-بوركينا فاسو-٥ في الألف في أفغانستان-باكستان-السودان-ليبيا، و٤ في الألف في لبنان-مصر-تونس-غامبيا، و٣ في الألف في الكويت-تشاد-النيجر-مالي-نيجريا، و٢ في الألف في الصومال وتنزانيا وغينيا بيساو، بينما كان ١ في الألف فقط في ماليزيا-بروناي-غينيا-بنين. وظل هذا المعدل ثابتا في فلسطين (٧ في الألف)، بينما زاد في أوغندا بمقدار ٥ في الألف وفي سيراليون بمقدار ٦ في الألف.

د- معدلات وفيات الرضع (أقل من سنة):-

يقصد بوفيات الرضع عدد أولئك الذين يموتون خلال سنة ما قبل أن يكملوا السنة الأولى من عمرهم إلى كل ألف من المواليد الأحياء الجدد خلال السنة نفسها. ويعتبر هذا المعدل معياراً مهماً لقياس متوسط عمر الفرد في أية مجموعة سكانية، كما أنه مؤشر مهم على الظروف الصحية العامة، وعامل مؤثر في معدلات الوفيات الحام.

وتقدر الأمم المتحدة أن المعدل العالمي لوفيات الرضع يبلغ خمس معدل المواليد ويزيد إلى ١٠ في الألف في الدول النامية عموماً بينما يقل إلى ١٠ في الألف في الدول المتقدمة . أما في العالم الإسلامي فقد وصل هذا المعدل إلى ٧٦ في الألف خلال الفترة ١٩٩٠-١٩٩٥م، بزيادة ١٢ في الألف عن معدل العالم، وبنحو ٦٦ في الألف عن معدل المناطق الأكثر تقدماً، وينخفض هذا المعدل في الشطر الآسيوي إلى ٥٢ في الألف بينما يرتفع إلى ١٠٠,٥ في الألف في الشطر الأفريقي .

وتتباين أقاليم ودول العالم الإسلامي تبايناً كبيراً في معدلات وفيات الرضع على النحو المبين في الجدول رقم (٦) والشكل رقم (٤) وذلك على النحو التالي :-

١- الأقاليم التي تتصف بارتفاع معدل وفيات الرضع (+٦٤ في الألف)، وهي تزيد عن معدل العالم، وتشمل ثمانية أقاليم هي: إقليم غربي أفريقيا "أ" (١١٥ في الألف)، وإقليم الصحراء الكبرى (١٣٥ في الألف)، وإقليم شرقي أفريقيا (٩٥ في الألف)، وإقليم حوض النيل (٩١ في الألف)، وإقليم غربي أفريقيا (ب) (٨٥ في الألف)، وإقليم غربي آسيا (٦٥ في الألف)، وإقليم شبه القارة الهندية (٩٩ في الألف) وتسبب الجزيرة العربية "ب" (١١٦ في الألف). وإلى هذا النمط تنتمي ٢٩ دولة .

جدول رقم (٦) تغير معدلات وفيات الرضع (أقل من سنة)
في العالم الإسلامي (%) (١)

التغير (ج)	١٩٩٥م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٥م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة
٢١ -	٥٤	٧٥	جنوب شرقي آسيا	١٠٥ -	٢٨	١٣٣	شبه الجزيرة العربية ^أ
٣١ -	١٣	٤٤	ماليزيا	١٢١ -	٢٩	١٥٠	السعودية
١٥ -	٨	٢٣	بروناي	٢١ -	١٨	٣٩	الكويت
٣٣ -	٥٨	٩١	إندونيسيا	١١٨ -	٢٠	١٣٨	قطر
٤٣ -	٩١	١٣٤	حوض النيل	٦٠ -	١٨	٧٨	البحرين
٦٣ -	٧٨	١٤١	السودان	٣٨ -	١١٦	١٥٤	شبه الجزيرة العربية ^ب
٤٣ -	١١٩	١٦٢	أثيوبيا	١١٩ -	١٩	١٣٨	الإمارات
٢١ -	١١٥	١٣٦	أوغندا	١١٢ -	٣٠	١٤٢	عمان
٤١ -	٦٧	١٠٨	مصر	٣٩ -	١١٩	١٥٨	اليمن
٧٥ -	٦٠	١٣٥	شمال أفريقيا	٣٤ -	٤٢	٧٦	الهلال الخصيب
٦٢ -	٦٨	١٣٠	ليبيا	٤٦ -	٥٨	١٠٤	العراق
٨٢ -	٤٣	١٢٥	تونس	١١ -	٩	٢٠	فلسطين
٨٧ -	٥٥	١٤٢	الجزائر	٢٥ -	٣٤	٥٩	لسان
٦٥ -	٦٨	١٣٣	المغرب	٧٥ -	٣٩	١١٤	سوريا
٤١ -	٩٥	١٣٦	شرفي أفريقيا	٣١ -	٣٦	٦٧	الأردن
٤٧ -	١١٥	١٦٢	حيوتي	٦٨ -	٦٥	١٣٣	غربي آسيا
٥٥ -	١٢٢	١٧٧	الصومال	٥٤ -	٦٥	١١٩	تركيا
٤٠ -	٨٥	١٢٥	تنزانيا	٦٨ -	٣٦	١٠٤	إيران
٧١ -	٨٩	١٦٠	جزر القمر	٦٣ -	١٦٣	٢٢٦	أفغانستان
٥٧ -	١٠٥	١٦٢	أريتريا	٤٦ -	٩٩	١٤٥	شبه القارة الهنديه
٥١ -	١٣٥	١٨٦	الصحراء الكبرى	٤٥ -	٩١	١٣٦	باكستان
٤٣ -	١٢٢	١٦٥	تشاد	٤٥ -	١٠٨	١٥٣	نحلاديش
٧٦ -	١٢٤	٢٠٠	البيجر	٧٥ -	٦٠	١٣٥	المالديف

تابع جدول رقم (٦)

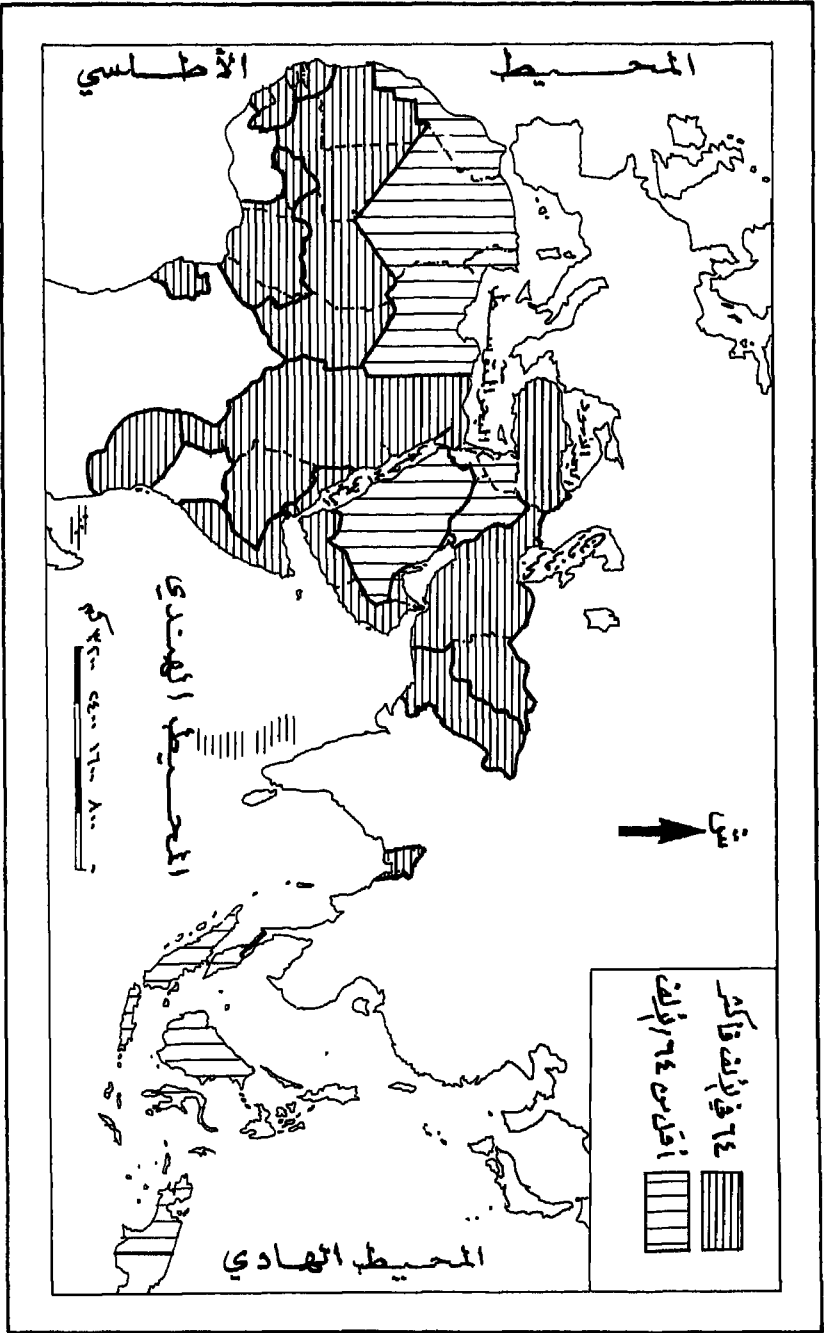
التغير (ج)	١٩٩٥م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٥م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة
٧٢-	٨٥	١٥٧	عربي أفريقيا «ب»	٣١-	١٥٩	١٩٠	مالي
٦٣-	٨٦	١٤٩	سين	٨٦-	١٠١	١٨٧	موريتانيا
٧٣-	٨٤	١٥٧	بيجيريا	٧٠-	١١٥	١٨٥	عربي أفريقيا «أ»
٧٤-	٦٣	١٣٧	الكامرون	٩١-	٦٨	١٥٩	السنگال
٥٢-	١٣٠	١٨٢	موريتانيا فاسو	٣٣-	١٣٢	١٦٥	غامبيا
٨٤-	٩٤	١٧٨	الجابون	٦٨-	١٤٠	٢٠٨	غينيا بيساو
٥٠-	٧٦	١٢٦	العالم الإسلامي	٧٠+	١٦٦	٢٣٦	سيراليون
٣١-	٦٤	٩٥	العالم	٤١-	١٣٤	١٧٥	غينيا
١٨-	١٠	٢٨	المناطق الأكثر تقدما				
٣+	١١٠	١٠٧	المناطق الأقل تقدما				

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

١ - THE POPULATION REFERENCE BUREAU, (1979)

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

ج - من حساب الباحث .



شكل (٤) معدل وفيات الرضيع (أقل من سنة) في أقاليم العالم الإسلامي (٢١٩٩٥)

٢- الأقاليم التي تتصف بانخفاض معدل وفيات الرضع فيها عن معدل العالم، ونضم أربعة أقاليم هي: إقليم شبه الجزيرة العربية "أ" (٢٨ في الألف)، إقليم جنوب شبه شرقي آسيا (٢١ في الألف)، إقليم الهلال الخطيب (٣٤ في الألف)، إقليم شمالي أفريقيا (٦٠ في الألف)، وإلى هذا النمط تنتمي ١٩ دولة وخلال الفترة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٥ م شهد العالم الإسلامي انخفاضا كبيرا في معدل وفيات الرضع. وقد بلغ هذا الانخفاض ٥٠ في الألف، زاد في الشطر الآسيوي إلى ٥٨,٧ في الألف وكان قريبا من ذلك في الشطر الأفريقي (٥٨,٥ في الألف). كما حدث انخفاض مماثل في الأقاليم والدول الإسلامية بنسب متفاوتة على النحو التالي:-

١- الأقاليم التي شهدت انخفاضا كبيرا في معدل وفيات الرضع يزيد عن معدل الانخفاض الذي حدث بالعالم، وتشمل ١١ إقليما هي: إقليم شبه الجزيرة العربية "ب" (- ٣٨ في الألف)، إقليم شبه الجزيرة العربية "أ" (- ١٠٥ في الألف)، إقليم شمالي أفريقيا (- ٧٥ في الألف)، إقليم غربي أفريقيا "ب" (- ٧٢ في الألف) إقليم شرقي أفريقيا (- ٤١ في الألف)، إقليم غربي آسيا (- ٦٨ في الألف)، إقليم الصحراء الكبرى (٥١ في الألف) إقليم شبه القارة الهندية (٤٦ في الألف)، إقليم حوض النيل (٤٣ في الألف)، إقليم غربي أفريقيا "أ" (- ٧٠ في الألف)، إقليم الهلال الخصيب (- ٣٤ في الألف). وإلى هذا النمط تنتمي ٣٩ دولة

٢- الأقاليم التي حدث بها انخفاض بسيط يقل عن انخفاض العالم أو يساويه، وتشمل إقليمًا واحدًا هو جنوب شرقي آسيا (- ٢١ في الألف)، وتنتمي إلى هذا النمط سبع دول.

هـ- متوسط عمر الفرد :

يعتبر متوسط عمر الفرد انعكاسا للوفيات الخام بخاصة وفيات الرضع (غلاب وزميله، ١٩٧٤م. ص ٧٦ - ٧٧).

ويتصف العالم الإسلامي بانخفاض متوسط عمر الفرد، إذا بلغ ٥٩ سنة بين عامي ١٩٩٠ و ١٩٩٥م، بنقص قدرة خمس سنوات عن معدل العالم، وبنحو ١٥ سنة عن المناطق الأكثر تقدما، ويزيد بنحو ٨ سنوات عن المناطق الأقل تقدما. ويرتفع متوسط العمر في الشطر الآسيوي إلى ٦٦ سنة مقابل ٥٢ سنة في نظيره الأفريقي (جدول رقم ٧ وشكل رقم ٥).

وتتباين أقاليم ودول العالم الإسلامي في ذلك على النحو التالي :-

١- الأقاليم التي يزيد فيها متوسط عمر الفرد عن معدل العالم (+٦٤ سنة)، وتضم ثلاثة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "أ" (٧١ سنة)، الهلال الخصيب (٦٨ سنة)، وشمال أفريقيا (٦٥ سنة). ويرجع ذلك إلى انخفاض معدل الوفيات الخام حيث يبلغ معامل الارتباط بينهما (-٩٦، ٠)، كما يرجع إلى انخفاض وفيات الرضع حيث يبلغ معامل الارتباط بينهما (-٩٧، ٠) وينتمي إلى هذا النمط ١٧ دولة إسلامية.

٢- الأقاليم التي يتساوى فيها متوسط عمر الفرد مع معدل العالم أو يقل عنه، وتضم تسعة أقاليم هي: شبه القارة الهندية (٥٩ سنة)، غربي آسيا (٦٣ سنة)، حوض النيل (٥٣ سنة)، شرقي أفريقيا (٥١ سنة)، الصحراء الكبرى (٤٧ سنة)، غربي أفريقيا "أ" (٤٥ سنة)، وشبه الجزيرة العربية "ب" (٥٥ سنة)، وجنوب شرقي آسيا (٦٣ سنة)، وغربي أفريقيا "ب" (٥٠ سنة) وينتمي إلى هذا النمط بقية الدول الإسلامية.

جدول رقم (٧) التغير في متوسط عمر الفرد في العالم
الإسلامي (سنة) (١)

التغير (ج)	١٩٩٥م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٥م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة
١٢+	٦٣	٥١	جنوب شرقي اسيا	٢٢+	٧١	٤٩	شبه الجزيرة العربية أ
٥+	٧١	٦٦	ماليزيا	٢٥+	٧٠	٤٥	السعودية
٨+	٧٤	٦٦	روباي	٦+	٧٥	٦٩	الكويت
١٣+	٦٣	٥٠	إندونيسيا	٢٣+	٧١	٤٨	قطر
٥+	٥٣	٤٨	حوض النيل	٩+	٧٢	٦٣	البحرين
٧+	٥٣	٤٦	السودان	١٠+	٥٥	٤٥	شبه الجزيرة العربية ب
٧+	٤٧	٤٠	أثيوبيا	٢٦+	٧٤	٤٨	الإمارات
٥-	٤٥	٥٠	أوغندا	٢٣+	٧٠	٤٧	عمان
٩+	٦٤	٥٥	مصر	٥+	٥٠	٤٥	اليمن
١١+	٦٥	٥٤	شمالي أفريقيا	١٠+	٦٨	٥٨	الهلال الحبيب
١٠+	٦٣	٥٣	ليبيا	١٣+	٦٦	٥٣	العراق
١٣+	٦٨	٥٥	تونس	٣+	٧٦	٧٣	فلسطين
١٣+	٦٧	٥٤	الجزائر	٦+	٦٩	٦٣	لسان
١٠+	٦٣	٥٣	المغرب	١٠+	٦٧	٥٧	سوريا
٥+	٥١	٤٦	شرقي أفريقيا	١٥+	٦٨	٥٣	الأردن
٧+	٤٨	٤١	حيوتي	٨+	٦٣	٥٥	عربي اسيا
٦+	٤٧	٤١	الصومال	٧+	٦٦	٥٩	تركيا
٥+	٥٢	٤٧	تنزانيا	١٠+	٦٧	٥٧	إيران
١٠+	٥٦	٤٦	حرر القمر	٤+	٤٣	٣٩	أفغانستان
١٠+	٥٠	٤٠	أريتريا	١١+	٥٩	٤٨	شبه القارة الهندية
٧+	٤٧	٤٠	الصحراء الكبرى	١١+	٦٢	٥١	باكستان
٦+	٤٧	٤١	تشاد	١٠+	٥٦	٤٦	سجلاديش
٧+	٤٧	٤٠	البحر	١٢+	٦٢	٥٠	المالديف

تابع جدول رقم (٧)

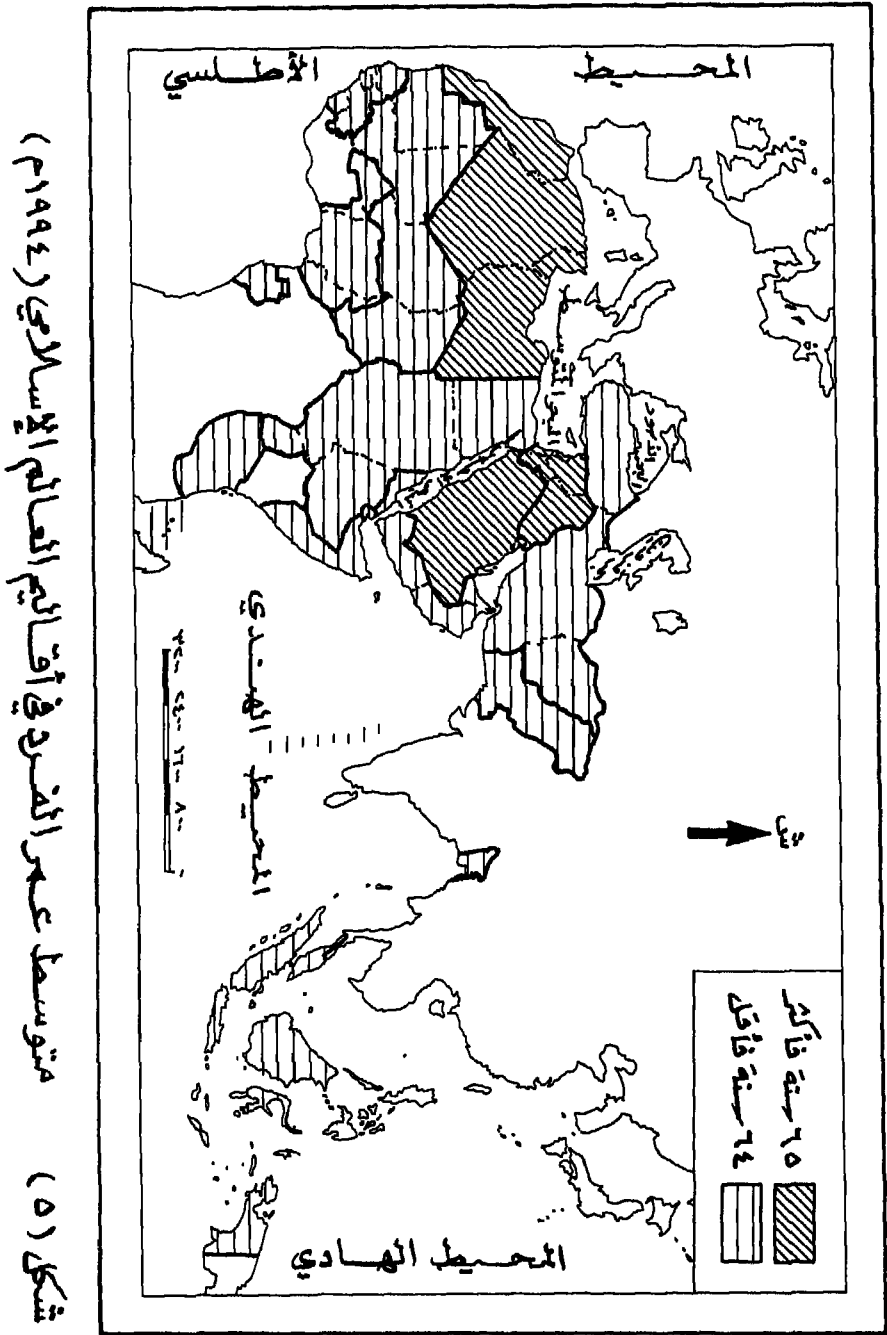
التغير (ج)	١٩٩٥م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٥م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة
٥+	٥٠	٤٥	عربي أفريقيا «ب»	٦+	٤٦	٤٠	مالي
٧+	٥٠	٤٣	سوس	١١+	٥١	٤٠	موريتانيا
٥+	٥٠	٤٥	نيجيريا	٣+	٤٥	٤٢	غربي أفريقيا «أ»
١٢+	٥٦	٤٤	الكامرون	٧+	٤٩	٤٢	السنغال
٧+	٤٧	٤٠	بوركينا فاسو	٤+	٤٥	٤١	غامبيا
١٣+	٥٤	٤١	الجايبون	٥+	٤٤	٣٩	عنيايسار
١٠+	٥٩	٤٩	العالم الإسلامي	٧-	٣٩	٤٦	سيراليون
٤+	٦٤	٦٠	العالم	٣+	٤٤	٤١	غينيا
٣+	٧٤	٧١	المناطق الأكثر تقدما				
٥-	٥١	٥٦	المناطق الأقل تقدما				

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

١- THE POPULATION REFERENCE BUREAU, (1979)

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

ج - من حساب الباحث.



شكل (٥) متوسط عمر الفسرد في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤م)

وقد زاد متوسط عمر الفرد في العالم الإسلامي زيادة كبيرة خلال الفترة ١٩٧٩-١٩٩٤ م (حوالي عشر سنوات) وكان الشطر الآسيوي أفضل حالا من الشطر الأفريقي (١٣,٥ سنة : ٨,٦ سنة على التوالي). وقد تباينت أقاليم دول العالم الإسلامي في ذلك على النحو التالي :-

١- الأقاليم التي شهدت زيادة في معدلات متوسط عمر الفرد بها تزيد عن معدل العالم الإسلامي، وهي: شبه الجزيرة العربية "ب" (+١٠ سنة)، شبه الجزيرة العربية "أ" (+٢٢ سنة)، شبه القارة الهندية (+١١ سنة)، شمالي أفريقيا (+١١ سنة) والهلال الخطيب (+١٠ سنوات)، وجنوب شرقي آسيا (+١٢ سنة). وإلى هذا النمط تنتمي ١٤ دولة إسلامية.

٢- الأقاليم التي بلغت زيادة متوسط عمر الفرد فيها أقل من العالم الإسلامي، وتضم ستة أقاليم هي: الصحراء الكبرى (+٧ سنوات) شرقي أفريقيا وغربي أفريقيا "ب" وحوض النيل (٥ سنوات)، وغربي أفريقيا "أ" (٣ سنوات آسيا (+٨ سنوات).

وإلى هذا النمط تنتمي ٣٣ دولة إسلامية.

وعلى خلاف الدول السابقة حدث انخفاض في متوسط عمر الفرد في دولة سيراليون مقداره ٧ سنوات (من ٤٦ إلى ٣٩ سنة).
ثانياً: معدلات الزيادة الطبيعية :-

يتصف العالم الإسلامي بارتفاع معدل الزيادة الطبيعية كثيرا إذا بلغ ٧,٢٪ خلال الفترة ١٩٩٠-١٩٩٥ م بزيادة ١,١٪ عن معدل العالم، وهذا يساوي تسعة أضعاف المعدل في المناطق الأكثر تقدما التي تبلغ ٣,٠٪، ويقترب من معدل المناطق الأقل تقدما البالغ ٨,٢٪. ويعد الشطر الآسيوي أقل من نظيره الأفريقي (٦٢, ٢ : ٧٧, ٢٪ على التوالي). (جدول رقم ٨ وشكل رقم ٦).

وهناك تباين واضح بين الأقاليم على النحو التالي :-

١- الأقاليم ذات معدلات الزيادة الطبيعية المرتفعة (+٥, ٢٪ فأكثر) . . وتضم عشرة أقاليم هي : شبه الجزيرة العربية " ب " (٤, ٣٪)، الصحراء الكبرى (١, ٢٪)، شبه القارة الهندية وشبه الجزيرة العربية (أ) وغربي آسيا (٨, ٢٪)، وغربي إفريقيا " ب " (٩, ٢٪)، الهلال الخصيب (٠, ٣٪)، غربي إفريقيا " أ " (٧, ٢٪)، وحوض النيل ٦, ٢ وشرقي أفريقيا (٣٪) وإلى هذا النمط تنتمي ٢٩ دولة إسلامية.

٢- الأقاليم ذات معدلات الزيادة الطبيعية المتوسطة (٢-٤, ٢٪ سنوياً) . . وتضم إقليمين هما : شمالي أفريقيا (٣, ٢٪)، وجنوب شرقي آسيا (١, ٢٪). وإلى هذا النمط تنتمي ١٦ دولة إسلامية.

ويرجع ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية في العالم الإسلامي - بعامه - إلى عدة عوامل أهمها : انخفاض الوفيات الخام مع بقاء معدل المواليد مرتفعا كما يرجع إلى انخفاض وفيات رضع .

جدول رقم (٨) تطور معدلات الزيادة الطبيعية
في العالم الإسلامي (%) (١)

التغير (ج)	١٩٩٥/٩٠م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٥/٩٠م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة
٠	٢,١	٢,١	حوض شرقي آسيا	٠,٤-	٢,٨	٣,٢	شبه الجزيرة العربية ^أ
٠,١-	٢,٤	٢,٥	ماليزيا	٠,١-	٣,٠	٣,١	السعودية
٠,٣-	٢,١	٢,٤	بروناي	١,٥-	٢,٢	٣,٧	الكويت
٠,٤-	١,٧	٢,١	إندونيسيا	١,٢-	١,٨	٣,٠	قطر
٠,١-	٢,٦	٢,٧	حوض النيل	١,١-	٢,٤	٣,٥	البحرين
٠,١-	٢,٧	٢,٨	السودان	١,٤-	٣,٤	٢	شبه الجزيرة العربية ^ب
٠,٥+	٣,٠	٥,٢	أثيوبيا	١,٠-	٢,٠	٣,٠	الإمارات
٠,٢+	٣,٣	٣,١	أوغندا	٠,٩+	٣,٩	٣,٠	عمان
٠,٥-	٢,١	٢,٦	مصر	٠,٩+	٣,٤	٥,٢	اليمن
١,٠-	٢,٣	٣,٣	شمالي أفريقيا	٠,٧+	٣,٠	٢,٣	الهلال الخصيب
٠	٣,٤	٣,٤	ليبيا	٠,٣-	٣,١	٣,٤	العراق
٠,٦-	٢,٠	٢,٦	تونس	٠,٥-	١,٤	١,٩	فلسطين
١,١-	٢,٣	٣,٤	الجزائر	٠,٥-	٢,٠	٢,٥	لسان
١,١-	٢,١	٣,٢	المغرب	٠,٤+	٣,٥	٢,١	سوريا
٠,١+	٣	٢,٩	شرقي أفريقيا	٠,١+	٣,٤	٣,٣	الأردن
٠,٢-	٢,٢	٢,٤	جيبوتي	٠,٢+	٢,٨	٢,٦	عربي آسيا
٠,٤+	٣,٢	٢,٨	الصومال	١,٠-	٢,٠	٣,٠	تركيا
٠,١-	٢,٩	٣,٠	تنزانيا	٠,٢-	٢,٨	٣,٠	إيران
١,٤+	٣,٦	٢,٢	جزر القمر	٠,٥-	٢,٨	٢,٣	أفغانستان
٠,٣+	٢,٨	٢,٥	أريتريا	٠,٢-	٢,٨	٣	شبه القارة الهندية
٠,٥+	٣,١	٢,٦	الصحراء الكبرى	٠,٢+	٣,٢	٣,٠	باكستان
٠,٢+	٢,٦	٢,٣	تشاد	٠,٦-	٢,٣	٢,٩	نحلاديش
٠,٢+	٢,٤	٣,٢	النيجر	٠,٦+	٣,٣	٢,٧	المالديف

تابع جدول رقم (٨)

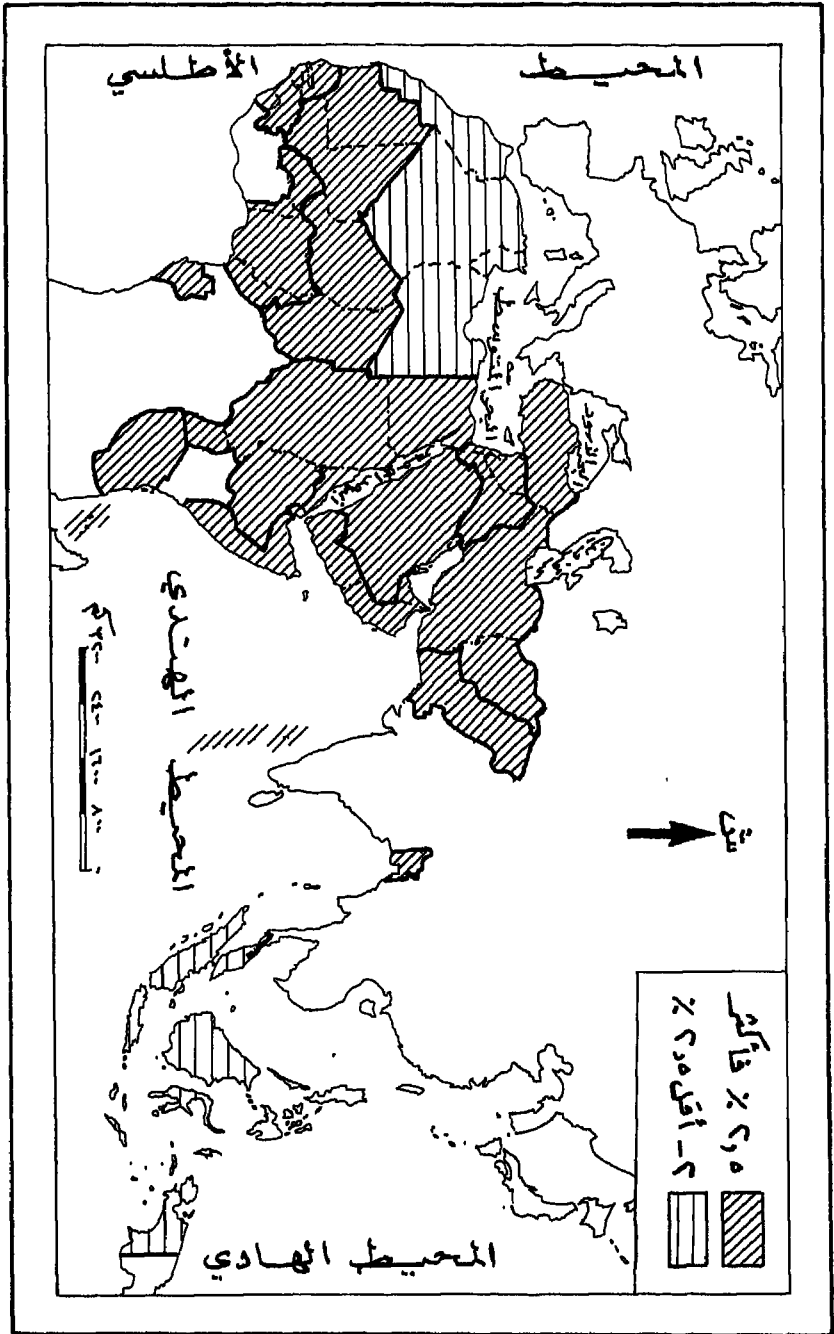
التغير (جـ)	١٩٩٥/٩٠ م (ب)	١٩٧٩ م (أ)	الإقليم/ الدولة	التغير (جـ)	١٩٩٥/٩٠ م (ب)	١٩٧٩ م (أ)	الإقليم/ الدولة
٠,٣-	٢,٩	٣,٢	غربي أفريقيا «ب»	٠,٥+	٣,٢	٢,٧	مالي
٠,١+	٣,١	٣,٠	نوب	٠,٢-	٢,٦	٢,٨	موريتانيا
٠,٢-	٣,٠	٣,٢	بيجيريا	٠,١+	٢,٧	٢,٦	عربي أفريقيا «أ»
٠,١+	٢,٩	٢,٢	الكمرن	٠,١+	٢,٧	٢,٦	السنغال
٠,٣+	٢,٩	٢,٦	بوركنينا فاسو	٠,١+	٢,٧	٢,٦	غامبيا
١,١+	٢,٢	١,١	الجانون	٠	٢,٥	٢,٥	غينيا بيساو
٠,١-	٢,٧	٢,٨	العالم الإسلامي	٠,٤+	٢,٢	١,٨	سيراليون
٠,١-	١,٦	١,٧	العالم	٠,٣-	٢,٤	٢,٧	غينيا
٠,٤-	٠,٣	٠,٧	المناطق الأكثر تقدما	٠,٦+	٣,١	٢,٥	
٠,٧+	٢,٨	٢,١	المناطق الأقل تقدما				

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

١ - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1979)

ب - من حساب الباحث بناء على جداول المواليد والوفيات الخام.

ج - من حساب الباحث.



شكل (٦) معدلات الزيادة الطبيعية في أقاليم العالم الإسلامي (٢١٩٩٥)

وقد حدثت بالعالم الإسلامي تغيرات طفيفة في معدلات الزيادة الطبيعية، فقد انخفضت بمعدل ١,٠٪ خلال الفترة من ١٩٧٩م إلى ١٩٩٥، وبلغ هذا الانخفاض في الشطر الآسيوي ٢,٠٪ في الشطر الأفريقي. أما الأقاليم والدول الإسلامية فتباين التغيرات علي النحو التالي:-

١- الأقاليم التي انخفضت فيها معدلات الزيادة الطبيعية، وتضم خمسة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "أ" (-٤,٠٪)، شمالي أفريقيا (-٠,١٪)، شبه القارة الهندية (-٢,٠٪)، حوض النيل (-١,٠٪) وغربي أفريقيا "ب" (-٣,٠٪) وينتمي إلى هذا النمط ٢٥ دولة.

٢- الأقاليم التي ارتفعت فيها معدلات الزيادة الطبيعية، وتضم ستة أقاليم هي: غربي أفريقيا (١) وشرقي أفريقيا (+١,٠٪)، وغربي آسيا (+٢,٠٪)، وشبه الجزيرة العربية (٤,١٪)، والصحراء الكبرى (+٥,٠٪) والهلال الخيطيب (+٧,٠٪) وإلى هذا النمط تنتمي عشرون دولة.

٣- الأقاليم التي ظلت معدلات زيادتها الطبيعية ثابتة، وتضم إقليمًا واحدا هو إقليم جنوب شرقي آسيا (١,٢٪). وينتمي إلى هذا النمط دولتان هما: ليبيا (٤,٣٪)، غامبيا (٥,٢٪).

ثالثاً : الهجرة الدولية

يقصد بالهجرة الدولية التيارات الضخمة من السكان الوافدين إلى العالم الإسلامي من خارجه أو النازحين منه إلى دول غير إسلامية وكذلك الهجرة بين دول وأقاليم العالم الإسلامي ولهذه الهجرة دور في توزيع السكان وفي تغيير عددهم، وفي تركيبهم .

وقد قام الباحث بحساب نسبة الهجرة الدولية في العالم الإسلامي عن طريق حساب نسبة النمو للسكان خلال فترتين مختلفتين ثم طرح معدلات الزيادة الطبيعية منها، فيكون الفرق هو معدل الهجرة الدولية . وقد تبين أن صافي الهجرة الدولية كان له دور ضئيل في زيادة سكان العالم الإسلامي لم يتعد ٢٧,٠٪ سنوياً خلال الفترة من ١٩٧٩م إلى ١٩٩٣م مقابل ٨,٢٪ تساهم بها الزيادة الطبيعية في نمو السكان على النحو المبين في الجدول رقم (٩) . ويزيد أثر الهجرة في نمو سكان الشطر الآسيوي بنسبة ٠,٨٪ سنوياً بينما ينخفض دورها في الشطر الأفريقي إلى ٣٩,٠٪ سنوياً . أما في الأقاليم والدول الإسلامية فيختلف دور الهجرة الدولية في نمو السكان على النحو التالي :-

١ - الأقاليم التي تساهم الهجرة الدولية في زيادة سكانها بسبب زيادة عدد الوافدين إليها، وتضم عشرة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية أ (٦,٤٪ مقابل ٧,٢٪ للزيادة الطبيعية)، غربي أفريقيا أ (٦٦,٢٪ مقابل ٥,٢٪ للزيادة الطبيعية)، إقليم شرقي أفريقيا (٨٤,٢٪ مقابل ٣,٢٪ للزيادة الطبيعية)، حوض النيل (٢٣,١٪ مقابل ٨,٢٪ للزيادة الطبيعية)، شبه الجزيرة العربية "ب" (٧٤,٠٪ مقابل ٣,٢٪ للزيادة الطبيعية)، شمالي أفريقيا (٨١,٠٪ مقابل ٦,٢٪ للزيادة الطبيعية)، غربي آسيا (٢٣,٠٪ مقابل ٨,٢٪ للزيادة الطبيعية) والهلال الخصيب (+٢٩,٠٪)، شبه القارة الهندية (+١٧,٠٪) جنوب شرقي آسيا (+٣,٠٪) .

والى هذا النمط تنتمي ٣٣ دولة إسلامية هي: قطر (٨,٦ / مقابل ١,٢٪
للزيادة الطبيعية)، الإمارات (٦,٧٢ / مقابل ٨,٢٪ للزيادة الطبيعية)، السعودية
(٥,٠٩ / مقابل ٣,٢٪ للزيادة الطبيعية)، البحرين (٢,٣٦ / مقابل ٤,٢٪ للزيادة
الطبيعية)، عُمان (٢,٠٦ / مقابل ٣,٥٪ للزيادة الطبيعية)، ليبيا (١,٩٦ / مقابل
٤,٣٪)، كما تساهم الهجرة الدولية في زيادة سكان الجابون بنسبة ١٧,٦٪ مقابل
٨,٢٪ للزيادة الطبيعية، وإيران (+١,٧١٪)، وفلسطين (+١,٣٢٪)، والمالديف
(٣,٧٤٪)، وأثيوبيا (٢,٧٩٪)، وتنزانيا (١,٤٤٪)، والنيجر (١,٤٧٪)، وغينيا
بيساو (٢,٥٧٪)، وجامبيا (١,٠٧٪).

جدول رقم (٩) نور الهجرة الدولية في ريادة سكان دول وأقاليم العالم الإسلامي

(بين عامي ١٩٧٩م، ١٩٩٣م)

الترتيب (ب)	النسبة % (من العالم الإسلامي) (ب)	معدل النمو الكلي في السنة (أ)	الإقليم / الدولة	الفرق بينهما، (ج)	معدل الريادة الوطنية (١) (ب) سنوياً	معدل النمو الكلي في السنة (أ)	الإقليم / الدولة
٠.٨١+	٢.٣	٣.١١	شمالى أفريقيا	٤.٦+	٢.٨	٧.٤	شبه الجزيرة العربية، أ
١.٩٦+	٣.٤	٥.٣٦	ليبيا	٥.٠٩+	٣.٢	٨.٢٩	السعودية
٠.٥٦+	١.٩	٢.٤٦	تونس	٠.٧٩+	٣.٠	٢.٢١	الكويت
٠.٣٦+	٢.٧	٣.٠٧	الجزائر	٨.٦+	٢.١	١٠.٧	قطر
٠.٧١+	٢.٤	٣.١١	المغرب	٢.٣٦+	٢.٤	٤.٧٦	المحرين
٢.٨٤+	٣.٠	٥.٨٤	سرقى أفريقيا	٠.٧٤+	٣.٤	٤.١٤	شبه الجزيرة العربية، ب
٢٥.٦+	٣.٠	١٨.٦	جيبوتي	٦.٧٢+	٢.٨	٩.٥٢	الإمارات
٩.١٤+	٣.٠	١٢.٢٤	الصومال	٢.٠٦+	٣.٥	٥.٥٦	عمان
١.٤٤+	٣.١	٤.٥٤	تنزانيا	٠.١٦-	٣.٢	٣.٣٤	اليمس
١.٧١-	٢.٥	١.٧٨	جزر القمر	٠.٢٩+	٣.٠	٣.٢٩	الهلال الحصب
٠.٧٧+	٢.٨	٣.٥٧	أزيريا	٠.٢١-	٣.٧	٣.٤٩	العراق
٠.١-	٢.١	٣.٠	الصحراء الكبرى	١.٣٢+	١.٥	٢.٨٢	فلسطين
٠.٨٨	٢.٥	١.٦٢	تشاد	٠.٩٥+	٢.١	١.١٥	لبنان
١.٤٧+	٢.٢	٤.٦٧	النيجر	٠.٥٤+	٣.٨	٤.٣٤	سوريا
٠.٣٦	٢.٠	٢.٦٤	مالي	١.٧-	٣.٦	١.٩	الأرس
٠.١٢-	٢.٨	٢.٦٨	موريتانيا	٠.٢٣+	٢.٨	٣.٠٣	عربى آسيا
٢.٦٦+	٢.٧	٥.٣٦	عربى أفريقيا (١)	٠.٤٤+	٢.٢	٢.٦٤	توكيا
٠.٤١+	٢.٧	٣.١١	السعال	١.٧١+	٣.٥	٥.٢١	إيران
١.٠٧+	٢.٥	٣.٥٧	غامبيا	٢.٦٩-	٢.٨	٠.١١	أفغانستان
١.٠٦-	٢.١	٤.٦٧	عينيا بيساو	٠.١٧+	٢.٨	٢.٩٧	شبه القارة الهندية
٠.٦-	٢.٦	١.٥٤	سيرالون	٠.٧٣+	٣.١	٣.٨٢	باكستان
٠.٦-	٢.٥	١.٩	غينيا	٠.٢٢-	٢.٤	٢.١٨	بنجلاديش
٠.٦١-	٢.٩٠	٢.٢٩	شرقى أفريقيا (ب)	٣.٧٤+	٣.٤	٧.١٤	المالديف
٠.٢٧+	٣.٠	٣.٢٧	سس	٠.٣+	٢.١	٢.٤	جنوب شرق آسيا
١.٢-	٣.١	١.٩	بيجيريا	٠.٤٤+	٢.٣	٢.٧٤	ماليزيا
٠.٥٤+	٢.٩	٣.٤٤	الكرون	٠.٩٦+	٢.٦	٣.٥٧	بروناي
٠.١٢+	٣.٤	٣.٥٢	بوركينافاسو	٠.٦٧+	١.٧	٢.٣٧	اندونيسيا
٦.١٧+	٢.٤	٨.٥٧	الجابون	١.٢٣+	٢.٦	٣.٩٢	حوص النيل
٠.٣٧+	٢.٧	٣.٠٧	العالم الإسلامي	٠.٦٩+	٣.١	٣.٧٩	السودان
				٢.٧٨+	٢.٨	٥.٥٩	أثيوبيا
				٠.٤٥-	٣.١	٢.٦٥	اوعندا
				٠.٨١+	٢.٣	٣.١١	مصر

THE POPULATION REFERENCE BUREAU,

١ - الحصول من إعداد الباحث بناء على
من حساب الباحث

ويزيد دور الهجرة الدولية في زيادة سكان الصومال بنسبة ٥٦, ٢٪ سنوياً، والجابون (٩, ١٤٪)، بينما تبلغ نسبتها ٩٦, ٠٪ في بروناي، و٨١, ٠٪ في مصر، و٧٧, ٠٪ في أريتريا، و٧٣, ٠٪ في باكستان، و٧١, ٠٪ في المغرب، و٦٩, ٠٪ في السودان، و٦٧, ٠٪ في أندونيسيا، و٥٦, ٠٪ في تونس، و٥٤, ٠٪ في الكمرون وسوريا، و٤٤, ٠٪ في ماليزيا وتركيا، و٤١, ٠٪ في السنغال، و٣٧, ٠٪ في الجزائر، و٢٧, ٠٪ في بنين، و١٢, ٠٪ في بوركينا فاسوسنويا.

٢- الأقاليم التي تتسبب الهجرة الدولية في خفض سكانها بسبب كثرة النازحين منها وتشمل إقليما واحدا هو غربي أفريقيا "ب" (-٦١, ٠٪ سنوياً والصحراء الكبرى (-٨, ٠٪). وإلى هذا النمط تنتمي ١٥ دولة هي: أفغانستان (-٦٩, ٢ سنوياً مقابل +٢, ٨٪ للزيادة الطبيعية)، والمالديف (١, ٧١٪ مقابل +٣, ٥٪ للزيادة الطبيعية)، ونيجيريا (-١, ٢٪ مقابل +٣, ١٪ للزيادة الطبيعية)، والأردن (-١, ٧٪ سنوياً)، والعراق (-٢١, ٠٪ سنوياً)، واليمن (١٦, ٠٪)، ولبنان (-٩٥, ٠٪)، وتشاد (-٨٨, ٠٪)، أوغندا (-٤٥, ٠٪)، وبنجلاديش (٢٢, ٠٪)، ومالي (-٣٦, ٠٪)، وموريتانيا (-١٢, ٠٪)، وغينيا (-٦, ٠٪ سنوياً). وكانت الكويت- قبل حرب الخليج- من الدول التي يشكل الأجانب أكثر من ثلاثة أخماس سكانها ولكن هذه الحرب وما تلاها من عدم استقرار سياسي نتج عنها خفض نمو السكان بنسبة ٧٩, ٠٪ سنوياً مقابل زيادة طبيعية نسبتها +٣, ٠٪ سنوياً، كما يظهر من الجدول السابق (٩).

ويفسر اختلاف دور الهجرة الدولية في نمو سكان الأقاليم والدول الإسلامية باختلاف مستويات المعيشة فيها، فقد تبين أن هناك علاقة ارتباط قوية بينهما وموجبة معامل ارتباطها (٠, ٨٦).

رابعاً: - نمو السكان:

تؤثر العوامل الثلاثة السابقة (المواليد - الوفيات - الهجرة الدولية) في نمو - سكان العالم الإسلامي بدرجات متباينة تميزه عن مناطق العالم الأخرى. فخلال الفترة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٣ م زاد السكان من ١, ٧٧٠ مليون نسمة إلى ٦, ١١٠ مليون نسمة، بزيادة كلية قدرها ٥, ٣٣١ مليوناً ونسبة ٤٣٪، أو بمعدل نمو سنوي قدره ٠,٧ ٪ مقابل ١,٩ ٪ في العالم، ٣٤,٠ ٪ في المناطق الأكثر تقدماً.

وتكاد نسبة النمو السنوية تتساوى في شطري العالم الإسلامي الآسيوي والأفريقي (٨٨, ٣: ٩٢, ٣ ٪ على التوالي). بينما تختلف الأقاليم والدول الإسلامية بصورة واضحة على النحو التالي: -

١- الأقاليم سريعة النمو جداً، ويزيد معدل نموها السنوي عن ٥٪، وتضم ثلاثة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "أ" (٧, ٤٣ ٪)، شرقي أفريقيا (٥, ٨٤ ٪).
غربي أفريقيا (٥, ٣٦ ٪). وإلى هذا النمط تنتمي ١٢ دولة هي: جيبوتي (٦, ٢٨ ٪)، الصومال (١٢, ٢٤ ٪)، الإمارات (٩, ٥٢ ٪)، قطر (٧, ١٠ ٪)، السعودية (٨, ٢٩ ٪)، الجابون (٨, ٥٧ ٪)، المالديف (٧, ١٤ ٪)، عُمان (٥, ٥٦ ٪)، أثيوبيا (٥, ٥٩ ٪)، ليبيا (٥, ٣٦ ٪)، إيران (٥, ٢١ ٪).

٢- الأقاليم سريعة النمو (وتتراوح بين ٣- ٥٪ سنوياً). . وتضم ستة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "ب" (٤, ١٤ ٪ سنوياً)، حوض النيل (٣, ٩٣ ٪)، الهلال الخصيب (٣, ٢٩ ٪)، شمالي أفريقيا (٣, ١١ ٪)، غربي آسيا (٣, ٠٣ ٪)، الصحراء الكبرى (٣ ٪).

وإلى هذا النمط تنتمي ١٨ دولة هي غينيا بيساو - النيجر (٤, ٦٧ ٪) تنزانيا - أريتريا- غامبيا (٣, ٥٧ ٪)، بوركينا فاسو (٣, ٥٢ ٪)، العراق (٣, ٤٩ ٪)، الكمرون (٣, ٤٤ ٪)، اليمن (٣, ٣٥ ٪)، بنين (٣, ٢٧ ٪)، مصر- المغرب - السنغال (٣, ١١ ٪)، الجزائر (٣, ٠٧ ٪).

ويتميز عدد كبير من الدول السابقة بارتفاع معدل المواليد (+٣٥ في الألف) مع انخفاض معد الوفيات الخام (+١٣ في الألف)، وبارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية إلى +٣٪ سنوياً. ويعني ذلك أن نحو ثلاثة أخماس الدول الإسلامية تدخل في المرحلة الانتقالية السكانية التي تعرف أيضاً بمرحلة الثروة الديموجرافية أو الانفجار السكاني، إحدى مراحل النظرية الديموجرافية السكانية (اسماعيل، ١٩٧٦ ص، ٢١٠) التي يتضاعف فيها السكان بمعدلات كبيرة جداً خلال مدد زمنية قصيرة جداً.

٣- الأقاليم متوسطة النمو (٩، ١-٣٪ سنوياً).. وتضم ثلاثة أقاليم هي: شبه القارة الهندية (٩٧، ٢٪)، جنوب شرقي آسيا (٤، ٢٪)، غربي أفريقيا "ب" (٢٩، ٢٪).

وإلى هذا النمط تنتمي ١٣ دولة هي: فلسطين (٨٢، ٢)، ماليزيا (٧٤، ٢٪)، موريتانيا (٦٨، ٢٪) أو غندا (٦٥، ٢٪)، تركيا - مالي (٦٤، ٢٪)، تونس (٤٦، ٢٪)، الكويت (٢١، ٢٪)، أندونيسيا (٣٧، ٢٪)، بنجلاديش (١٨، ٢٪)، غينيا - نيجيريا - الأردن (٩، ١٪).

ويتميز معظم هذه الدول بانخفاض معدلات المواليد (أقل من ٣٥/الألف) وبارتفاع معدلات الوفيات الخام (١٣-٢٠/الألف) مما يتسبب في انخفاض معدلات الزيادة الطبيعية.

٤- الدول شديدة الانخفاض في معدلات النمو السكاني (أقل من معدل العالم).. وتضم خمس دول هي: أفغانستان (١١، ٠٪ سنوياً)، لبنان (١٥، ١٪)، سيراليون (٥٤، ١٪)، تشاد (٦٢، ١٪)، جزر القمر (٧٩، ١٪). كما يظهر من الجدول رقم (١٠) والشكل رقم (٧).

وهكذا يتضح أن تسعة أعشار دول العالم الإسلامي تزيد معدلات نموها السكاني عن المعدل العالمي، مما يتسبب في الزيادة السريعة جداً لسكانها.

خامساً: - السنوات اللازمة لمضاعفة عدد السكان

يتضاعف عدد سكان العالم الإسلامي في عدد قليل من السنوات لا يتجاوز ٢٦ سنة بسبب ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية، مقابل ٤٢ سنة للعالم و١٦٢ سنة للمناطق الأكثر تقدماً. وتقل هذه الفترة إلى ٢٥,٣ سنة للشطر الأفريقي مقابل ٢٦,٥ سنة للشطر الآسيوي.

وتتفاوت المدد اللازمة للأقاليم والدول الإسلامية لمضاعفة عدد سكانها على النحو التالي: -

١- الدول التي يتضاعف عدد سكانها كل ٢٠ سنة فأقل، وتضم سبع دول هي: سوريا (١٨ سنة)، الأردن والعراق (١٩ سنة)، عمان، إيران، المالديف وجزر القمر (٢٠ سنة).

٢- الأقاليم والدول التي يتضاعف عدد سكانها بين ٢١ - ٢٩ سنة . . وتضم أحد عشر إقليمًا هي: شرقي أفريقيا، شبه الجزيرة العربية "ب" (كل ٢٢ سنة)، شبه القارة الهندية، غربي أفريقيا "ب" (كل ٢٤ سنة)، حوض النيل، الصحراء الكبرى (كل ٢٥ سنة)، غربي آسيا (كل ٢٦ سنة)، الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية "أ" (كل ٢٧ سنة)، شمالي أفريقيا وغربي أفريقيا "أ" (كل ٢٨ سنة).

وإلى هذا النمط تنتمي ٣٢ دولة هي: ليبيا وبوركينا فاسو (٢١ سنة)، السعودية، اليمن، السودان، الصومال، تنزانيا والنيجر (٢٢ سنة)، الكويت، باكستان، أوغندا، جيبوتي، مالي، بنين ونيجيريا (٢٣ سنة)، الكمرون (٢٤ سنة)، الإمارات.

جدول رقم (١٠) معدلات النمو السكاني في العالم الإسلامي (%) (١)

الإقليم / الدولة	عدد السكان (مليون نسمة)		الزيادة (%) (ج)	
	١٩٧٩ م (أ)	١٩٩٣ م (ب)	الكلية	السوية
شبه الجزيرة العربية ^أ	٩,٩	٢٠,٢	١٠٤	٧,٤٣
السعودية	٨,١	١٧,٥	١١٦	٨,٢٩
الكويت	١,٣	١,٧	٣١	٢,٢١
قطر	٠,٢	٠,٥	١٥٠	١٠,٧
البحرين	٠,٣	٠,٥	٦٧	٤,٧٦
شبه الجزيرة العربية ^ب	٩,٥	١٥,٠	٥٨	٤,١٤
الإمارات	٠,٩	٢,١	١٣٢	٩,٥٢
عمان	٠,٩	١,٦	٧٨	٥,٥٦
اليمن	٧,٧	١١,٣	٤٧	٣,٣٤
الهلال الخصيب	٣١,٢	٤٥,٣	٤٦	٣,٢٩
العراق	١٢,٩	١٩,٢	٤٩	٣,٤٩
فلسطين	٣,٨	٥,٣	٣٩	٢,٨٢
لبنان	٣,١	٣,٦	١٦	١,١٥
سوريا	٨,٤	١٣,٥	٦١	٤,٣٤
الأردن	٣,٠	٣,٨	٢٧	١,٩
عربي آسيا	٩٨,٩	١٤٠,٩	٤٢	٣,٠٣
تركيا	٤٤,٣	٦٠,٧	٣٧	٢,٦٤
إيران	٣٦,٣	٦٢,٨	٧٣	٥,٢١
أفغانستان	١٨,٣	١٨,٦	٢	٠,١١
شبه القارة الهندية	١٦٧,١	٢٣٦,٥	٤٢	٢,٩٧
باكستان	٧٩,٧	١٢٢,٤	٥٤	٣,٨٣
بنجلاديش	٨٧,٣	١١٣,٩	٣٠	٢,١٨
المالديف	٠,١	٠,٢	١٠٠	٧,١٤

تابع جدول رقم (١٠)

الزيادة (%) (ج)		عدد السكان (مليون نسمة)		الإقليم / الدولة
السنوية	الكلية	١٩٩٣ م (ب)	١٩٧٩ م (أ)	
٢,٤٠	٣٤	٢٠٦,٣	١٥٤,٤	جنوب شرقي آسيا
٢,٧٤	٣٨	١٨,٤	١٣,٣	ماليزيا
٣,٥٧	٥٠	٠,٣	٠,٢	بروناي
٢,٣٧	٣٣	١٨٧,٦	١٤٠,٩	إندونيسيا
٣,٩٣	٥٥	١٦٠,٥	١٠٣,٥	حوض النيل:
٣,٧٩	٥٣	٢٧,٤	١٧,٩	السودان
٥,٥٩	٧٨	٥٦,٧	٣١,٨	أثيوبيا
٢,٦٥	٣٧	١٨,١	١٣,٢	أوغندا
٣,١١	٤٤	٥٨,٣	٤٠,٦	مصر
٣,١١	٤٤	٦٨,٨	٤٧,٧	شمال أفريقيا
٥,٣٦	٧٥	٤,٩	٢,٨	ليبيا
٢,٤٦	٣٤	٨,٦	٦,٤	تونس
٣,٠٧	٤٣	٢٧,٣	١٩,١	الجزائر
٣,١١	٤٤	٢٨,٠	١٩,٤	المغرب
٥,٨٤	٨٢	٣٨,٩	٢١,٤	شرقي أفريقيا
٢٨,٦٠	٤٠٠	٠,٥	٠,١	جيبوتي
١٢,٢٤	١٧١	٩,٥	٣,٥	الصومال
٤,٥٤	٦٤	٢٧,٨	١٧,٠	تنزانيا
١,٧٩	٢٥	٠,٥	٠,٤	جزر القمر
٣,٥٧	٥٠	٠,٦	٠,٤	أريتريا
٣,٠٠	٤٢	٢٥,٠	١٧,٦	الصحراء الكبرى
٢,٦٢	٢٣	٥,٤	٤,٤	تشاد
٤,٦٧	٦٧	٨,٥	٥,١	البيجر

تابع جدول رقم (١٠)

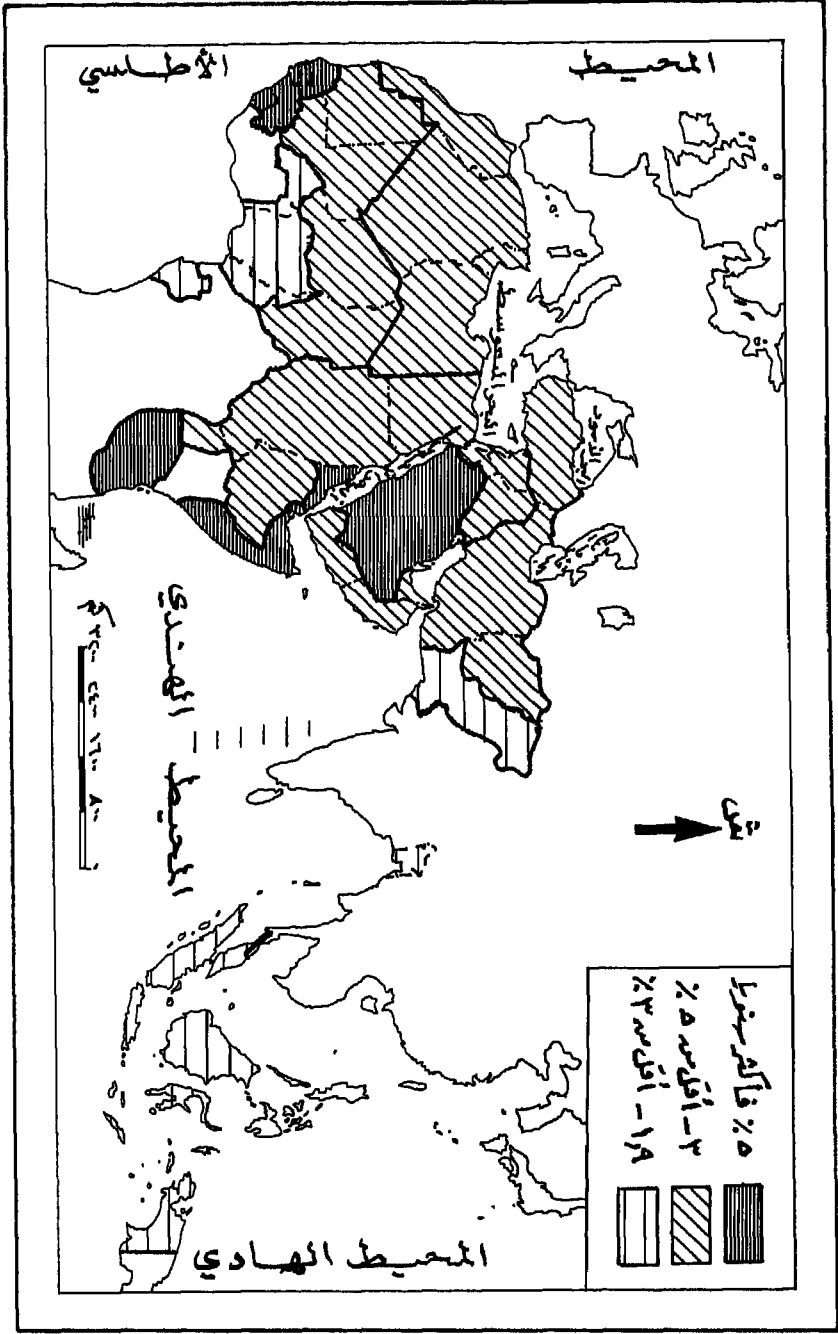
الإقليم/ الدولة	عدد السكان (مليون نسمة)		الزيادة (%) (ج)
	١٩٧٩ م (أ)	١٩٩٣ م (ب)	
مالي	٦,٥	٨,٩	٣٧
موريتانيا	١,٦	٢,٢	٣٨
غربي أفريقيا	١٥,٣	٢٠,٥	٣٤
السنغال	٥,٥	٧,٩	٤٤
غامبيا	٠,٦	٠,٩	٥٠
غينيا بيساو	٠,٦	١,٠	٦٧
سيراليون	٣,٧	٤,٥	٢٢
غينيا	٤,٩	٦,٢	٢٧
غربي أفريقيا	٩٣,٦	١٢٣,٦	٣٢
نيجر	٣,٥	٥,٢	٤٦
نيجيريا	٧٤,٦	٩٥,١	٢٧
الكامرون	٨,٣	١٢,٣	٤٨
بوركينافاسو	٦,٧	١٠,٠	٤٩
الغانا	٠,٥	١,١	١٢٠
العالم	٤٣٢١	٥٥٠٦	٢٧
العالم الإسلامي	٧٧٠,١	١١٠١,٦	٤٣
المناطق الأكثر تقدما	١١٧٣,٠	١٢٣٠,٠	٥

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

١- THE POPULATION REFERANCE BUREAU,(1979) .

ب - ----- (1993)

ج - من حساب الباحث .



أنماط النمو السكاني في أقاليم العالم الإيست الايجي (١٩٩٣م) شكل (٧)

أفغانستان، أثيوبيا، أريتريا، موريتانيا و السنغال (٢٥ سنة)، الجزائر (٢٦ سنة)، بروناي، غامبيا وسيراليون (٢٧ سنة)، الجابون، غينيا وتشاد (٢٨ سنة)، البحرين، بنجلاديش والمغرب (٢٩ سنة).

٣- الأقاليم والدول التي يتضاعف عدد سكانها بين ٣٠-٣٩ سنة، وتضم إقليمًا واحدًا هو جنوب شرقي آسيا (٣٣ سنة). وتنتمي إلى هذا النمط سبع دول هي: ماليزيا ومصر (٣٠ سنة)، تركيا (٣٢ سنة)، قطر ولبنان (٣٣ سنة)، غينيا بيساو (٣٤ سنة)، تونس (٣٦ سنة).

٤- الدول التي يتضاعف عدد سكانها خلال مدد زمنية طويلة تزيد عن ٤٠ سنة، وتشمل دولتين فقط هما أندونيسيا (٤٢ سنة) وفلسطين (٤٧ سنة).

ونتيجة للتغيرات في معدلات النمو السكاني فإن الفترات اللازمة لتضاعف عدد السكان شهدت تغيرًا واضحًا خلال الفترة من ١٩٧٩م إلى ١٩٩٣م إذا انخفضت المدد اللازمة لمضاعفة عدد سكان العالم الإسلامي ٤ سنوات (٣٠-٢٦ سنة)، وزاد عدد السنوات اللازمة للمضاعفة في الشطر الآسيوي سنة واحدة، بينما انخفض عددها في الشطر الأفريقي سنتين بسبب ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية. أما الأقاليم والدول الإسلامية فتباينت على النحو التالي (جدول رقم ١١):

١- الأقاليم التي زادت المدد اللازمة لمضاعفة سكانها، وتضم أربعة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "أ" (+٦ سنوات)، شمالي أفريقيا (+٥ سنوات)، جنوب شرقي آسيا (سنتان)، الهلال الخطيب (سنة). وإلى هذا النمط تنتمي ١٦ دولة إسلامية هي: فلسطين (١١ سنة)، قطر والبحرين (+١٠ سنوات)، تونس (+٩ سنوات)، المغرب (+٧ سنوات)، الجزائر وبنجلاديش (+٥ سنوات)، الكويت، لبنان و تركيا (+٤ سنوات)، مصر (+٣ سنوات) الإمارات وماليزيا (+ سنتان)، ليبيا ونيجيريا (سنة واحدة).

٢- الأقاليم التي انخفضت المدد اللازمة لمضاعفة سكانها، وتشمل سبعة أقاليم هي: غربي أفريقيا "ب" (-٩ سنوات)، شرقي أفريقيا (-٥ سنوات) شبه الجزيرة "ب" (-٣ سنوات)، غربي أفريقيا "أ" (-٢ سنتان)، غربي آسيا، حوض النيل والصحراء الكبرى (سنة). وتنمى إلى هذا النمط ٢٦ دولة هي: الجابون (-٣٥ سنة)، جزر القمر (-١٢ سنة)، اليمن- المالديف - الكمرون وبوركينا فاسو (-٦ سنوات) أفغانستان و جيبوتي (-٥ سنوات)، سوريا، وغينيا بيساو (-٤ سنوات)، ومان، ، إيران، آثيوبيا، الصومال وأريتريا (-٣ سنوات)، الأردن، برونواي، تشاد النيجر، السنغال وغامبيا (-سنتان)، السعودية، العراق وتنزانيا (-سنة واحدة).

٣- الأقاليم التي بقيت المدد اللازمة لمضاعفة سكانها ثابتة.. وتشمل إقليم شبه القارة الهندية (٢٤ سنة) وإلى هذا النمط تنتمي ست دول هي: باكستان، أوغندا وبنين (٢٣ سنة)، موريتانيا (٢٢ سنة)، سيراليون (٢٧ سنة)، غينيا (٢٨ سنة).

وقد أوضحت دراسة علاقة الارتباط بين معدل الزيادة الطبيعية والمدد اللازمة لمضاعفة عدد السكان في أقاليم العالم الإسلامي أن هناك علاقة ارتباط عكسية قوية بينهما، إذا يبلغ معامل الارتباط (- ٨١, ٠)، فكلما زاد الأول انخفض الثاني، والعكس صحيح.

جدول رقم (١١) عدد السنوات اللازمة لمضاعفة
عدد سكان العالم الإسلامي (سنة) (١)

التغير (ج)	١٩٩٣م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٣م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة
٢+	٣٣	٣١	جنوب شرقي آسيا:	٦+	٢٧	٢١	شبه الجزيرة العربية ^(١)
٢+	٣٠	٢٨	ماليزيا	١-	٢٢	٢٣	السعودية
٢-	٢٧	٢٩	بروناي	٤+	٢٣	١٩	الكويت
٧+	٤٢	٣٥	إندونيسيا	١٠+	٣٣	٢٣	قطر
١-	٢٥	٢٦	حوض النيل:	١٠+	٢٩	١٩	الحرين
٤-	٢٢	٢٦	السودان	٣-	٢٢	٢٥	شبه الجزيرة العربية ^(ب)
٣-	٢٥	٢٨	أثيوبيا	٢+	٢٥	٢٣	الإمارات
٠	٢٣	٢٣	أرعدا	٣-	٢٠	٢٣	عمان
٣+	٣٠	٢٧	مصر	٦-	٢٢	٢٨	اليمن
٥+	٢٨	٢٣	شمالي أفريقيا:	١+	٢٧	٢٦	الهلال الخصيب:
١+	٢١	٢٠	ليبيا	١-	١٩	٢٠	العراق
٩+	٣٦	٢٧	تونس	٧+	٤٧	٣٦	فلسطين
٥+	٢٦	٢١	الجزائر	٤+	٣٣	٢٩	لبنان
٧+	٢٩	٢٢	المغرب	٤-	١٨	٢٢	سوريا
٥-	٢٢	٢٧	شرقي أفريقيا:	٢-	١٩	٢١	الأردن
٥-	٢٣	٢٨	حيوتي	١-	٢٦	٢٧	غربي آسيا:
٣-	٢٢	٢٥	الصومال	٤+	٣٢	٢٨	تركيا
١-	٢٢	٢٣	تنزانيا	٣-	٢٠	٢٣	إيران
١٢-	٢٠	٣٢	جر القمر	٥-	٢٥	٣٠	أفغانستان
٣-	٢٥	٢٨	أريتريا	٠	٢٤	٢٤	شبه القارة الهندية:
١-	٢٥	٢٦	الصحراء الكبرى:	٠	٢٣	٢٣	باكستان
٢-	٢٨	٣٠	تشاد	٥+	٢٩	٢٤	بنجلاديش
٢-	٢٢	٢٤	البحر	٦-	٢٠	٢٦	المالديف

تابع جدول رقم (١١)

التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٣م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة
٩ -	٢٤	٣٣	غربي أفريقيا هب	٣ -	٢٣	٢٦	مالي
٠	٢٣	٢٣	نين	٠	٢٥	٢٥	موريتانيا
١ +	٢٣	٢٢	بيجيريا	٢ -	٢٨	٣٠	غربي أفريقيا (أ)
٦ -	٢٤	٣٠	الكمرون	٢ -	٢٥	٢٧	السنغال
٦ -	٢١	٢٧	بوركنيا فاسو	٢ -	٢٧	٢٩	غامبيا
٣٥ -	٢٨	٦٣	الجانون	٤ -	٣٤	٣٨	عينيايسار
٤ -	٢٦	٣٠	العالم الإسلامي	٠	٢٧	٢٧	سيراليون
				٠	٢٨	٢٨	عييا

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

أ - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1979)

وانظر: المطري، دراسات في سكان العالم الإسلامي، جدول (٦)، ص، ٥٦-٥٨.

ب - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1993).

ج - من حساب الباحث.

سادساً: توقعات السكان :

للتوقعات السكانية أهميتها في التخطيط الحكومي أو الخاص أو للجامعات والمؤسسات الثقافية، أو غيرها (Peterson, 1973,pp 165-166)، خاصة إذا تم حسابها طبقات لخطة مرسومة وإذا لم تحدث أية كوارث تغير من الحسابات (Stanford,1972,p.28). وأهم ما يؤثر في هذه التوقعات التغيرات في معدلات النمو الحالية، والحروب، والأزمات الاقتصادية، والمجاعات وغيرها (Ibid,Pp 22-23) كما تؤثر فيها صحة تقديرات الخصوبة والوفيات والهجرة وانتشار الشعور الوطني الذي يجعل الهجرة من المناطق المزدهمة أمرا صعبا (Ibid,P.242). ويمكن حساب توقعات السكان بالعالم الإسلامي على أساس التطورات التي طرأت منذ أوائل القرن العشرين الميلادي على النحو التالي المبين من الجدول رقم (١٢):

أ- تقدير عدد السكان عام ٢٠١٥م:

يقدر عدد سكان العالم الإسلامي عام ٢٠١٥م بحوالي ١,٢٨,٠٠٠,٨٤١ نسمة، بزيادة ٥٩٪ عن عام ١٩٩٤م، مقابل زيادة ٣٣٪ للعام و ٥٪ فقط للمناطق الأكثر تقدما، و ٤٠٪ في المناطق الأقل تقدما. وسيشكل هذا العدد نحو ربع إجمالي سكان العالم.

جدول رقم (١٢) توقعات السكان في العالم الإسلامي عامي ٢٠١٥ و ٢٠٥٠ (١)

عام ٢٠٥٠ م		عام ٢٠١٥ م		الإقليم/ الدولة
الزيادة (%) عن عام ١٩٩٤ م (ب)	العدد (مليون نسمة) (أ)	الزيادة (%) عن عام ١٩٩٤ م (ب)	العدد (مليون نسمة) (أ)	
٢٢٨	٦٦,٢١٦	٨٥	٣٧,٢٩٨	شبه الجزيرة العربية ^(١)
٢٤٩	٦٠,٨٩٧	٩٠,٦	٣٣,٢٥٥	السعودية
٣٧	٣,٣٧٤	٥٢	٢,٤٨١	الكويت
٦٥	٠,٨٨٩	٣٨	٠,٧٤٦	قطر
٩١	١,٠٤٦	٤٩	٠,٨١٦	البحرين
٢٥٢	٦٢,٧٠٨	٨٨	٣٣,٤٩٤	شبه الجزيرة العربية ^(٢)
٨٤	٣,٤٢٣	٤٤	٢,٦٨٨	الإمارات
٣٨٢	١٠,٠٠٥	١١٦	٤,٤٨٧	عمان
٢٥٥	٤٩,٢٨٠	٩٠	٢٦,٣١٩	اليمن
١٨١	١٣٥,٨٩٣	٧١	٨٢,٨٠٤	الهلال الخصيب:
١٩٠	٥٧,٦٩١	٧٦	٣٤,٩٩٨	العراق
٦٤	٨,٩٢٧	٣١	٧,١٥٩	فلسطين
٧٨	٥,١٨٩	٣٦	٣,٩٦١	لبنان
٢٣٣	٤٧,٢١٢	٩٠	٢٦,٩٩١	سوريا
٢٢٥	١٦,٨٧٤	٨٧	٩,٦٩٥	الأردن
١٢٧	٣٢٩,٣٥٢	٥٥	٢٢٥,٤٢٣	شربي آسيا:
٧٥	١٠٦,٢٨٤	٣٥	٨٢,٠٧٥	تركيا
١٤٨	١٦٣,١٠٨	٦١	١٠٥,٨٣٧	إيران
٢١٨	٥٩,٩٦٠	٩٩	٣٧,٥١١	أفغانستان
١٤٤	٦٢٠,٧٧٧	٦٢	٤١١,٥٤٥	شبه القارة الهندية:
١٨٧	٣٨١,٤٨٨	٧٣	٢٣٦,٢٥٤	باكستان
١٠٢	٢٣٨,٥١٢	٤٨	١٧٤,٨٣٧	بنغلاديش
٢١٥	٠,٧٧٧	٨٥	٠,٤٥٤	المالديف

تابع جدول رقم (١٢)

عام ٢٠٥٠م		عام ٢٠١٥م		الإقليم / الدولة
الزيادة (%) عن عام ١٩٩٤م (ب)	العدد (مليون نسمة) (أ)	الزيادة (%) عن عام ١٩٩٤م (ب)	العدد (مليون نسمة) (أ)	
٦٧	٣٥٧,٣٨٣	٣١	٢٨٠,٣٩٩	جنوب شرقي آسيا:
٩٣	٣٨,٠٨٩	٤٢	٢٧,٩٧٠	ماليزيا
٧٦	٠,٤٩٢	٣٦	٠,٣٨٢	بروناي
٦٤	٣١٨,٨٠٢	٣٠	٢٥٢,٠٤٧	إندونيسيا
١٨٧	٤٦٨,٥٦١	٦٥	٢٦٨,٥٥٢	حوض النيل:
٢١٠	٨٤,٨٢٩	٧١	٤٦,٨٧٩	السودان
٢٦٣	١٩٤,٢٠٣	٨٣	٩٧,٩٢١	أثيوبيا
٢٥٠	٧٢,١٣١	٨٠	٣٧,٠٧٨	أوغندا
١١٧	١١٧,٣٩٨	٤١	٨٦,٦٧٤	مصر
١٠٤	١٣٨,٢٤٨	٤٥	٩٨,٤١٧	شمال أفريقيا:
٢٦٦	١٩,١٠٩	٩٢	١٠,٠٥٠	ليبيا
٧٩	١٥,٦٠٧	٣٦	١١,٩١٧	تونس
١٠٤	٥٥,٦٧٤	٤٧	٤٠,١٠٦	الجزائر
٨١	٤٧,٨٥٨	٣٧	٣٦,٣٤٤	المغرب
٢٢١	١٣٦,٦٩٤	٧٥	٧٤,٥٥٢	شرقي أفريقيا:
١٤٨	١,٤٠٣	٥٧	٠,٨٨٦	حيوتي
٢٥٣	٣٢,٠٦٢	٨٣	١٦,٦١٥	الصومال
٢١٦	٩١,١٣٢	٧٣	٥٠,٠١٥	تنزانيا
٢٩٤	٢,٤٨٤	١٠٠	١,٢٥٧	جزر القمر
١٨٠	٩,٦١٣	٦٨	٥,٧٧٩	أرتريا
٢٤٦	٩٥,٩٢٠	٨٢	٥٠,٣٩٣	الصحراء الكبرى:
١٩٨	١٨,٤٥٠	٦٩	١٠,٤٥٥	تشاد
٢٩١	٣٤,٥٧٦	٩٣	١٧,٠٩٦	النيجر

تابع جدول رقم (١٢)

عام ٢٠٥٠م		عام ٢٠١٥م		الإقليم/ الدولة
الزيادة (%) عن عام ١٩٩٤م (ب)	العدد (مليون نسمة) (أ)	الزيادة (%) عن عام ١٩٩٤م (ب)	العدد (مليون نسمة) (أ)	
٢٥٢	٣٦,٨١٧	٨٣	١٩,١٧٩	مالي
١٧٤	٦,٠٧٧	٦٥	٢,٦٦٣	موريتانيا
٢٠١	٦٣,٦٦٧	٧١	٣٦,٠٧١	غربي أفريقيا
١٨٩	٢٣,٤٤٢	٧٠	١٣,٧٥٩	السعال
١٥٦	٢,٧٦٢	٦٤	١,٧٧٢	عاميا
١٦٣	٢,٧٦٦	٥٦	١,٦٣٤	غيبيايساو
١٧٥	١٢,٠٩٠	٦١	٧,١٠٨	سيراليون
٢٤٨	٢٢,٦٠٧	٨١	١١,٧٩٨	غينيا
٢١٧	٤٣٧,٥٩٩	٧٦	٢٤٢,١٨٠	غربي أفريقيا
٢٥٥	١٨,٦٤٩	٨١	٩,١٥٢	بنين
٢١٢	٣٣٨,٥١٠	٧٦	١٩٠,٩٢٢	بيحيريا
٢٣٥	٤٣,١٠٠	٧٩	٢٢,٩٨٩	الكمرون
٢٣٢	٣٣,٣٦٥	٦٩	١٦,٩٥٨	بوركنيا فاسو
٢١٠	٣,٩٧٥	٦٨	٢,١٥٩	الحابون
١٥١	٢,٩١٣,٠١٨	٥٨	١,٨٤١,١٢٨	العالم الإسلامي
٧٥	٩,٨٣٣,١٦٧	٣٣	٧,٤٦٨,٨٩٦	العالم
٤	١,٢٠٧,٥٠٤	٥٠	١,٢٢٣,٧٣٣	المناطق الأكثر تقدماً
٩٣	٨,٦٢٥,٦٦٣	٤٠	٦,٢٤٥,١٦٣	المناطق الأقل تقدماً
	% ٢٩,٦٢		% ٢٤,٦٥	نسبة العالم الإسلامي من العالم

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

١ - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

ب - من حساب الباحث.

(٦٥، ٢٤٪)، بزيادة ٣٪ عن نسبتهم عام ١٩٩٤م. وتختلف الأقاليم والدول الإسلامية في زيادة عدد سكانها على النحو التالي :-

١- الأقاليم التي سيزداد سكانها بنسبة كبيرة جدا (أكثر من ضعفي زيادة العالم).. . وتضم سبعة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "ب" (+٨٥٪)، الصحراء الكبرى (+٨٢٪)، غربي أفريقيا "ب" (٦٦٪)، شرقي أفريقيا (+٧٥٪)، الهلال الخصيب وغربي أفريقيا "أ" (+٧١٪). وإلى هذا النمط تنتمي ٢٧ دولة هي: عُمان (+١١٦٪)، جزر القمر (+١٠٠٪)، أفغانستان (+٩٩٪)، النيجر (+٩٣٪)، السعودية (+٩٠، ٦٪)، سوريا واليمن (+٩٠٪)، الأردن (+٨٧٪)، المالديف (+٨٥٪)، الصومال، مالي وأثيوبيا (+٨٣٪)، بنين وغينيا (+٨١٪)، أوغندا (+٨٠٪)، الكمرون (+٧٩٪)، نيجيريا-العراق (+٧٦٪)، باكستان- تنزانيا (+٧٣٪)، السودان (+٧١٪)، السنغال (+٧٠٪)، تشاد وبوركينا فاسو (+٦٩٪)، أريتريا والجابون (+٦٨٪)

٢- الأقاليم التي سيزداد سكانها بنسبة كبيرة (من ضعف إلى أقل من ضعفي زيادة العالم).. . وتضم أربعة أقاليم هي: حوض النيل (+٦٥٪)، شبه القارة الهندية (+٦٢٪)، غربي آسيا (+٥٥٪)، شمالي أفريقيا (+٤٨٪). وإلى هذا النمط تنتمي عشر دول هي: موريتانيا (+٦٥٪) غامبيا (+٦٤٪) سيراليون وإيران (+٦١٪)، جيبوتي (+٥٧٪)، غينيا بيساو (+٥٦٪)، الكويت (+٥٢٪)، البحرين (+٤٩٪)، بنجلاديش (+٤٨٪)، الجزائر (+٤٧٪)، الإمارات (+٤٤٪)، ماليزيا (+٤٢٪)، مصر (+٤١٪)، قطر (+٣٨٪)، المغرب (+٣٧٪)، تونس، لبنان وبروناي (+٣٦٪)، تركيا (+٣٠٪).

٣- الأقاليم التي سيزداد سكانها بنسبة متوسطة (أقل من زيادة سكان العالم).. . وتضم إقليم جنوب شرقي آسيا (+٣١٪). وتنتمي إلى هذا النمط دولتان هما: فلسطين (+٣١٪)، وأندونيسيا (+٣٠٪).

ب- تقدير عدد السكان عام ٢٠٥٠م:

يقدر أن يبلغ عدد سكان العالم الإسلامي عام ٢٠٥٠م حوالي ٢,٩١٣,٠١٨,٠٠٠ نسمة بزيادة ١٥١٪ عن عام ١٩٩٤، مقابل زيادة ٧٥٪ للعالم و ٤٪ فقط للمناطق الأكثر تقدما و ٩٣٪ للمناطق الأقل تقدما. وسيشكل هذا العدد حوالي ٢٩,٦٢٪ من جملة عدد سكان العالم حينذاك، بزيادة ٨٪ عن نسبتهم عام ١٩٩٤م.

أما الأقاليم والدول الإسلامية فستباين زيادة سكانها على النحو التالي:-

١- الأقاليم والدول التي سيزيد سكانها كثيرا جدا (أكثر من ثلاثة أضعاف زيادة العالم)، وتضم ثلاثة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "ب" (+٢٥٢٪)، الصحراء الكبرى (+٢٤٦٪)، شبه الجزيرة العربية "أ" (+٢٢٨٪). وإلى هذا النمط تنتمي ١٦ دولة هي: عُمان (+٣٨٢٪)، جزر القمر (+٢٩٤٪)، النيجر (+٢٩١٪)، ليبيا (+٢٦٦٪)، أثيوبيا (+٢٦٣٪)، بنين و اليمن (+٢٥٥٪)، الصومال (+٢٥٣٪)، مالي (+٢٥٢٪)، أوغندا (+٢٥٠٪)، السعودية (+٢٤١٪)، بوركينافاسو (+٢٣٢٪)، سوريا (+٢٣٣٪)، الأردن (+٢٢٥٪).

٢- الأقاليم والدول التي سيزيد سكانها كثيرا (بين ٢-٣ أضعاف زيادة العالم)، وتضم أقاليم هي: شرقي أفريقيا (+٢٢١٪)، غربي أفريقيا "ب" (+٢١٧٪)، غربي أفريقيا "أ" (+٢٠١٪) حوض النيل (+١٨٧٪) والهلال الخصيب (+١٨١٪).

وإلى هذا النمط تنتمي ١٥ دولة هي أفغانستان و المالديف (+٢١٥٪)، تنزانيا (+٢١٦٪)، نيجيريا (+٢١٢٪)، الجابون (+٢١٠٪)، تشاد (+١٩٨٪)، العراق (+١٩٠٪)، السنغال (+١٨٩٪)، باكستان (+١٨٧٪)، أريتريا (+١٨٠٪)، سيراليون (+١٧٥٪)، موريتانيا (+١٧٤٪)، غينيا بيساو (+١٦٣٪) وغامبيا (+١٥٦٪).

٣- الأقاليم والدول التي سيزيد سكانها بدرجة متوسطة (١-٢ ضعف زيادة سكان العالم). . وتضم ثلاثة أقاليم هي: شبه القارة الهندية (+١٤٤٪)، غربي آسيا (+١٢٧٪)، شمالي أفريقيا (+١٠٤٪). وإلى هذا النمط تنتمي ١٤ دولة هي: إيران - جيبوتي (+١٤٨٪)، الكويت (+١٠٧٪)، الجزائر (+١٠٤٪)، بنجلاديش (+١٠٢٪)، ماليزيا (+٩٣٪)، البحرين (+٩١٪)، مصر (+٩٠٪)، الإمارات (+٨٤٪)، المغرب (+٨١٪)، لبنان (+٧٨٪)، تونس (+٧٩٪)، بروناوي (+٧٦٪) وتركيا (+٧٥٪).

٤- الأقاليم التي سيزداد سكانها بدرجة منخفضة (أقل من نسبة زيادة العالم)، وتضم إقليم جنوب شرقي آسيا (+٦٧٪). وإلى هذا النمط تنتمي ثلاث دول هي: قطر (+٦٥٪)، فلسطين وأندونيسيا (+٦٤٪).

وبذلك يتضح أن جل أقاليم ودول العالم الإسلامي سيزيد عدد سكانها خلال نصف القرن الميلادي القادم بمعدلات أعلى بكثير من معدلات زيادة سكان العالم، بسبب الزيادة الطبيعية المرتفعة والهجرة الوافدة الكبيرة.

توزيع السكان وكثافتهم

أولاً : التوزيع العام :-

بلغ عدد سكان العالم الإسلامي ١,٢٢٨,٠٠٠,١٦١ نسمة عام ١٩٩٤م وكانوا حينئذ يشكلون ٦٣,٢٠٪ من جملة سكان العالم. ويتوزع هذا العدد على أرجاء العالم الإسلامي على النحو التالي :-

أ- التوزيع على شطري العالم الإسلامي :

يضم الشطر الآسيوي ٧٠١,٠٩١,٠٠٠ نسمة يشكلون ٣٧,٦٠٪ من جملة السكان بينما لا يزيد سكان الشطر الأفريقي عن ٤٦٠,١٣٧,٠٠٠ نسمة يمثلون ٦٣,٣٩٪ من جملة العالم الإسلامي. ويتفق هذا التوزيع منطقياً مع تاريخ انتشار الإسلام منذ بداية الرسالة حتى الآن كانت آسيا- ولاتزال - بيت الإسلام وقلبه الحقيقي والتي انتشر منها إلى بقية أجزاء العالم.

ب- التوزيع حسب الأقاليم :

يتباين عدد السكان من إقليم لآخر على النحو التالي (شكل رقم ٨) :-

١- الأقاليم كثيرة السكان (+١٠٠ مليون نسمة) . . وتضم خمسة أقاليم هي : شبه القارة الهندية (وبها ٦٧٨,٠٠٠,٢٥٤ نسمة بنسبة ٢١,٩٢٪ من جملة سكان العالم الإسلامي)، إقليم جنوب شرقي آسيا (٢١٤,٥٩٠,٠٠٠ نسمة بنسبة ١٨,٤٨٪)، وإقليم حوض النيل (١٦٣,٠٥٣,٠٠٠ نسمة بنسبة ١٤,٠٤١٪) وغربي آسيا (١٤٥,٤٠٨,٠٠٠ نسمة بنسبة ١٢,٥٢٢٪)، وغربي أفريقيا "ب" (١٣٧,٩١٣,٠٠٠ نسمة بنسبة ١١,٨٧٦٪) وتعد هذه الأقاليم الخمسة مراكز الثقل السكاني الرئيسة في العالم الإسلامي إذا يوجد بها ٩١٥,٦٤٢,٠٠٠ نسمة تمثل حوالي أربعة أخماس السكان (٧٨,٨٥٪).

٢- الأقاليم متوسطة السكان (٤٠ - ٧٠ مليون نسمة) .. وتضم ثلاثة أقاليم هي:
شمال أفريقيا (٦٧,٧٧١,٠٠٠ نسمة بنسبة ٥,٨٣٦٪)، والهلال الخصيب
(٤٨,٤٣١,٠٠٠ نسمة بنسبة ٤,١٧١٪)، وشرقي أفريقيا (٤٢,٥٥٦,٠٠٠
نسمة بنسبة ٣,٦٦٥٪). وتضم هذه الأقاليم الثلاث معا ١٥٨,٧٥٨,٠٠٠
نسمة أو ما يعادل ١٣,٦٧٢٪ من جملة سكان العالم الإسلامي.

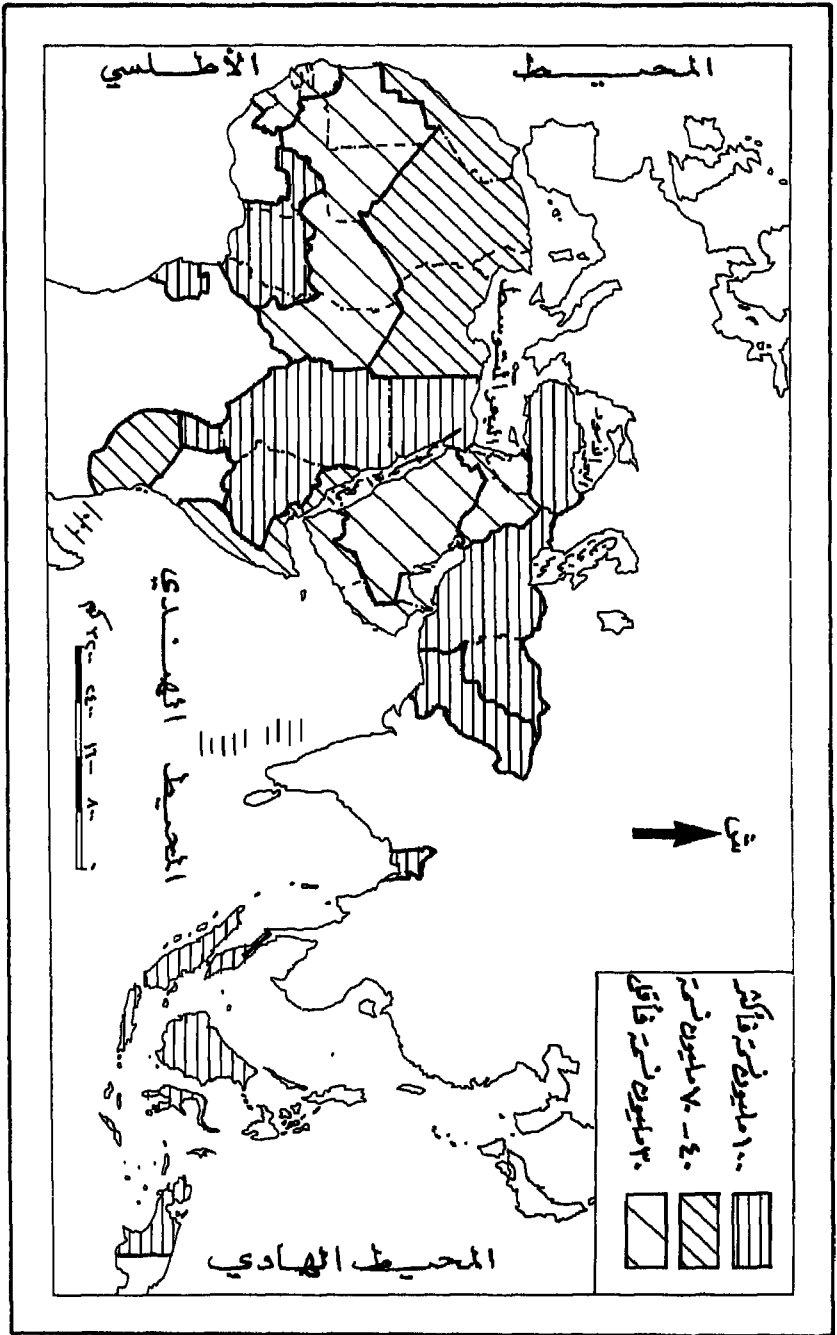
وتضم الأقاليم الثمانية السابقة ١٠٧٤,٤٠٠,٠٠٠ نسمة أو أكثر من تسعة
أعشار سكان العالم الإسلامي (٩٢,٥٢٢٪).

٣- الأقاليم صغيرة السكان أقل من ٣٠ مليون نسمة) .. وتضم أربعة أقاليم هي:
الصحراء الكبرى (٢٧,٧٠٨,٠٠٠ نسمة بنسبة ٢,٣٨٦٪)، وغربي أفريقيا
"أ" (٢١,١٣٦,٠٠٠ نسمة ونسبة ١,٨٢٪)، شبه الجزيرة العربية "أ"
(٢٠,١٧٣,٠٠٠ نسمة بنسبة ١,٧٣٧٪)، وشبه الجزيرة العربية "ب"
(١٧,٨١١,٠٠٠ نسمة بنسبة ١,٥٣٤٪). وتبلغ جملة الأقاليم الأربع
٨٦,٨٢٨,٠٠٠ نسمة لاتزيد نسبتهم عن ٧,٤٧٧٪ من جملة سكان العالم
الإسلامي.

ج- التوزيع حسب الدول:

يتباين توزيع السكان حسب الدول على النحو التالي (جدول رقم ١٣):-

١- الدول الضخمة السكان (+١٠٠ مليون نسمة) .. وتضم أربع دول هي:
أندونيسيا (١٩٥,٦١٥,٠٠٠ نسمة بنسبة ١٦,٧٥٩٪ من جملة سكان العالم
الإسلامي)، وتعد رابعة دول العالم سكانا بنسبة ٣,٥٪، باكستان
(١٣٦,٦٤٥,٠٠٠ نسمة بنسبة ١١,٧٦٧٪)، وهي سابع دول العالم سكانا
بنسبة ٢,٤٪، ثم بنجلاديش (١١٧,٧٨٧,٠٠٠ نسمة بنسبة ١٠,١٤٣٪)
وهي تاسع دول العالم سكانا بنسبة ٢,١٪، ثم نيجريا (١٠٨,٤٦٧,٠٠٠
نسمة بنسبة ٩,٣٤١٪)، وهي عاشر دول العالم سكانا بنسبة ١,٩٪.



شكل (٨) توزيع السكان حسب أقاليم العالم الإسلامي (٢٠١٩٩٤)

وتمثل هذه الدول الأربع مراكز الثقل السكاني الرئيسة في العالم الإسلامي إذ تضم معا ٥٥٧,٥١٤,٠٠٠ نسمة تشكل ٤٨,٠١٪ من جملة سكانها، ونحو عُشر إجمالي سكان العالم (٩,٩٪) عام ١٩٩٤م.

٢- الدول كبيرة السكان (٥٠- أقل من ١٠٠ مليون نسمة) وتضم أربع دول هي إيران (٦٥,٧٥٨,٠٠٠ نسمة بنسبة ٥,٦٦٣٪)، ومصر (٦١,٦٣٦,٠٠٠ نسمة بنسبة ٥,٣٠٨٪)، وتركيا (٦٠,٧٧١,٠٠٠ نسمة ونسبة ٥,٢٣٣٪)، ثم أثيوبيا (٥٣,٤٣٥,٠٠٠ نسمة ونسبة ٤,٦٠٢٪) وتضم هذه الدول الأربع معا ٢٤١,٦٠٠,٠٠٠ نسمة يمثلون ٢٠,٨٠٦٪ من جملة سكان العالم الإسلامي.

وبإضافة عدد سكان هذه الدول إلى الدول الضخمة السكان نجد ثمان دول فقط تضم ٧٩٩,١١٤,٠٠٠ نسمة أو أكثر من ثلثي إجمالي السكان في العالم الإسلامي (٦٨,٨١٦٪)، مما يوضح مدى الثقل السكاني لهذه المجموعة من الدول.

٣- الدول متوسطة السكان (٢٥- أقل من ٥٠ مليون نسمة) .. وتضم أربع دول هي: السودان (٢٧,٣٦١,٠٠٠ نسمة بنسبة ٢,٣٥٦٪)، الجزائر (٢٧,٣٢٥,٠٠٠ نسمة ونسبة ٢,٣٥٣٪)، المغرب (٢٦,٤٨٨,٠٠٠ نسمة ونسبة ٢,٢٨١٪)، تنزانيا (٢٨,٨٤٦,٠٠٠ نسمة ونسبة ٢,٤٨٤٪). وتضم هذه الدول معا ١١٠,٠٢٠,٠٠٠ نسمة يمثلون ٩,٤٧٤٪ من جملة عدد سكان العالم الإسلامي.

٤- الدول صغيرة السكان (١٠- أقل من ٢٠ مليون نسمة) .. وتضم عشر دول هي: أوغندا (٢٠,٦٢١ نسمة ونسبة ١,٧٧٦٪)، العراق (١٩,٩٢٥,٠٠٠ نسمة ونسبة ١,٧١٦٪) ماليزيا (١٨,٨٧٩,٠٠٠ نسمة ونسبة ١,٦٢٦٪)،

جدول رقم (١٣) تصنيف دول العالم الإسلامي حسب عدد ونسبة السكان
(عام ١٩٩٤م)

الترتيب (ب)	النسبة % (من العالم الإسلامي) (ب)	عدد السكان (بالآلاف) (د)	الدولة	الترتيب (ب)	النسبة % (من العالم الإسلامي) (ب)	عدد السكان (بالآلاف) (د)	الدولة
			الدول صيغة السكان (١ - أقل من ١٠ مليون)				الدول نسخة السكان (١٠ مليون)
٢٣	٠,٧٨٢	٩,٠٧٧	الصومال	١	١٦,٧٥٩	١٩٤,٦١٥	أندونيسيا
٢٤	٠,٧٦٢	٨,٨٤٦	النيجر	٢	١٤,٧٦٧	١٣٦,٦٤٥	باكستان
٢٥	٠,٧٥٢	٨,٧٣٣	بوتس	٣	١٠,١٤٣	١١٧,٧٨٧	بنجلاديش
٢٦	٠,٦٩٨	٨,١٠٢	السنگال	٤	٩,٣٤١	١٠٨,٤٦٧	نيجيريا
٢٧	٠,٥٦٠	٦,٥٠١	غينيا		٤٨,٠١	٥٥٧,٥١٤	الجملة
٢٨	٠,٥٣٦	٦,٢٢٢	فلسطين				الدول كبيرة السكان (٥٠- أقل من ١٠٠ مليون)
٢٩	٠,٥٣٢	٦,١٨٣	شاد				إيران
٣٠	٠,٤٥٢	٥,٢٤٦	بمن	٥	٥,٦٦٣	٦٥,٧٥٨	مصر
٣١	٠,٤٥٠	٥,٢٢٥	ليبيا	٦	٥,٣٠٨	٦١,٦٣٦	تركيا
٣٢	٠,٤٤٨	٥,١٩٨	الأردن	٧	٥,٢٣٣	٦٠,٧٧١	أثيوبيا
٣٣	٠,٣٧٩	٤,٤٠٢	سيراليون	٨	٤,٦٠٢	٥٣,٤٣٥	الجملة
٣٤	٠,٢٩٦	٣,٤٣٧	ارنتريا		٢٠,٨٠٢	٢٤١,٦٠٠	الدول متوسطة السكان (٢٥- أقل من ٥٠ مليون)
٣٥	٠,٢٥١	٢,٩١٥	لبنان				تنزانيا
٣٦	٠,١٩١	٢,٢١٧	موريتانيا	٩	٢,٤٨٤	٢٨,٨٤٦	السودان
٣٧	٠,١٧٩	٢,٠٧٧	عمان	١٠	٢,٣٥٦	٢٧,٣٦١	الجزائر
٣٨	٠,١٦٠	١,٨٦١	الإمارات	١١	٢,٣٥٢	٢٧,٣٣٥	المغرب
٣٩	٠,١٤١	١,٦٣٣	الكويت	١٢	٢,٢٨١	٢٦,٤٨٨	الجملة
٤٠	٠,١١٠	١,٢٨٣	الجابون		٩,٤٧٤	١١٠,٠٢٠	الدول صغيرة السكان (١٠- أقل من ٢٥ مليون)
٤١	٠,٠٩٣	١,٠٨١	غامبيا				أوغندا
٤٢	٠,٠٩٠	١,٠٥٠	غينيا بيساو	١٣	١,٧٧٦	٢٠,٦٢١	العراق
	٧,٨٦٢	٩١,٢٨٩	الجملة	١٤	١,٧١٦	١٩,٩٢٥	ماليزيا
			الدول القميه (أقل من ١ مليون)	١٥	١,٦٩٦	١٩,٦٩٥	أفغانستان
٤٣	٠,٠٥٤	٦٣٠	جزر القمر	١٦	١,٦٢٦	١٨,٨٧٩	السعودية
٤٤	٠,٠٤٩	٥٦٦	حبوبي	١٧	١,٥٠٣	١٧,٤٥١	سوريا
٤٥	٠,٠٤٧	٥٤٩	البحرين	١٨	١,٢٢٠	١٤,١٧١	اليمن
٤٦	٠,٠٤٧	٥٤٠	قطر	١٩	١,١٩٥	١٣,٨٧٣	الكمرون
٤٧	٠,٠٢٤	٢٨٠	روباى	٢٠	١,١٠٨	١٢,٨٧١	مالي
٤٨	٠,٠٢١	٢٤٦	الماليف	٢١	٠,٩٠٥	١٠,٤٦٢	بوركينافاسو
	٠,٢٤٢	٢,٨١١	الجملة	٢٢	٠,٨٦٥	١٠,٠٤٦	الجملة
					١٣,٦٠٦	١٥٧,٩٩٤	

السعودية (١٧,٤٥١,٠٠٠ نسمة ونسبة ١,٥٠٣٪)، وسوريا (١٤,١٧١ نسمة ونسبة ١,٢٢٪)، واليمن (١٣,٨٧٣,٠٠٠ نسمة ونسبة ١,١٩٥٪)، والكمرون (١٢,٨٧١,٠٠٠ نسمة ونسبة ١,١٠٨٪)، ومالي (١٠,٤٦٢,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٩٠١٪)، وبوركينا فاسو (١٠,٠٤٦,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٨٦٥٪). وتضم هذه الدول العشر معا ١٥٧,٩٩٤,٠٠٠ نسمة يمثلون ١٣,٦٠٦٪ من جملة سكان العالم الإسلامي.

٥- الدول ضئيلة السكان (١- أقل من ١٠ مليون نسمة) .. وتضم ٢٠ دولة هي: الصومال (٩,٠٧٧,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٧٨٢٪)، والنيجر (٨,٨٤٦,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٧٦٢٪) وتونس (٨,٧٣٣,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٧٥٢٪)، والسنغال (٨,١٠٢,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٦٩٨٪)، وغينيا (٦,٥٠١,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٥٦٪)، وفلسطين (٦,٢٢٢,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٥٣٦٪)، وتشاد (٦,١٨٣,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٥٣٢٪)، وبين (٥,٢٤٦ نسمة ونسبة ٤٥٢٪) وليبيا (٥,٢٢٥,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٤٥٪)، والأردن (٥,١٩٨,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٤٤٨٪)، وسيراليون (٤,٤٠٢,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٣٧٩٪)، وأريتريا (٣,٤٣٧,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٢٩٦٪)، ولبنان (٢,٩١٥,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٢٥١٪)، وموريتانيا (٢,٢١٧,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,١٩١٪)، وعمان (٢,٠٧٧,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,١٧٩٪)، والإمارات (١,٨٦١,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,١٦٪)، والكويت (١,٦٣٣,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,١٤١٪)، والجايبون (١,٢٨٣,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,١١٪)، وغامبيا (١,١٠٨,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٩٣٪)، وغينيا بيساو (١,٠٥٠,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٩٪).

وتتضمن هذه الدول معاً ٩١,٢٨٩,٠٠٠ نسمة يمثلون ٧,٨٦٢٪ من جملة سكان العالم الإسلامي .

٦- الدول القزمية السكان (أقل من مليون نسمة) .. وتتضمن ست دول هي: جزر القمر (٦٣٠,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٥٤٪)، جيبوتي (٥٦٦,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٤٩٪)، البحرين (٥٤٩,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٤٧٪)، وقطر (٥٤٠,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٤٧٪)، بروناي (٢٨٠,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٢٤٪)، ثم المالديف (٢٤٦,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٢١٪).

وتتضمن هذه الدول معاً ٢,٨١١,٠٠٠ نسمة يمثلون ٢,٤٢٪ فقط من جملة سكان العالم الإسلامي .

ثانياً: الكثافة العامة:

تعتبر كثافة السكان عن العلاقة بين الأرض والسكان . ويتميز العالم الإسلامي بارتفاع كثافته السكانية عن العالم حيث بلغت ٥٤ نسمة في الكيلومتر المربع عام ١٩٩٤م مقابل ٤٣ نسمة في الكيلومتر المربع للعالم . ويتصف العالم الإسلامي كذلك بعدم التوازن الإقليمي في الكثافة السكانية، حيث تبلغ كثافة الشطر الآسيوي ٨٠ نسمة في الكيلومتر المربع مقابل ٢٨,٥ نسمة في الكيلومتر المربع للشطر الأفريقي، كما يظهر عدم التوازن الإقليمي بين الأقاليم الإسلامية على النحو التالي الذي يبينه الجدول رقم (١٤) والشكل رقم (٩):-

١- الأقاليم ذات الكثافة المرتفعة جداً (+١٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع) .. وتتضمن إقليمًا واحدًا هو شبه القارة الهندية (٢٥٠ نسمة في الكيلومتر المربع).

٢- الأقاليم ذات الكثافة المرتفعة (٥٠- أقل من ١٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع) .. وتتضمن أربعة أقاليم هي: جنوب شرقي آسيا (٩٢ نسمة) شرقي أفريقيا (٨٥ نسمة) الهلال الخصيب (٦٢,٥ نسمة)، حوض النيل (٥٢ نسمة)

في الكيلو متر المربع).

٣- الأقاليم ذات الكثافة المتوسطة (٢٥- أقل من ٥٠ نسمة في الكيلو متر المربع) خمسة أقاليم هي: غربي آسيا (٤٦ نسمة) شمالي أفريقيا (٤٠ نسمة)، غربي أفريقيا "أ" (٣٣ نسمة) غربي أفريقيا "ب" (٣٠ نسمة) الصحراء الكبرى (٢٥ نسمة في الكيلو متر المربع).

٤- الأقاليم ذات الكثافة المنخفضة (أقل من ٢٤ نسمة في الكيلو المتر المربع).. وتضم إقليمين هما: شبه الجزيرة العربية "أ" (١٧,٤ نسمة) شبه الجزيرة العربية "ب" (٩,٣ نسمة).

ويظهر عدم التساوي والتوازن الإقليمي في كثافة السكان بين الدول الإسلامية على النحو التالي:-

١- النمط المكتظ السكان (أكثر من ٨٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع)، ويضم ثلاث دول هي: المالديف (٨٢٧ نسمة)، البحرين (٨١٠ نسمة)، بنجلاديش (٨١٨ نسمة) في الكيلو متر المربع) وكلها ذات مساحات صغيرة.

٢- النمط المرتفع الكثافة جدا (أكثر من ١٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع)، ويضم ست دول هي:

جزر القمر (٢٨٢ نسمة) لبنان (٢٨٠ نسمة) فلسطين (٢٥٩ نسمة)، باكستان (١٧٢ نسمة) نيجيريا (١١٧ نسمة)، أندونيسيا (١٠٢ نسمة) في الكيلومتر المربع).

٣- النمط المرتفع الكثافة (٥٠ - ٩٩ نسمة في الكيلو متر المربع)، ويضم إحدى عشرة دولة هي: غامبيا (٩٦ نسمة)، الكويت (٩٢ نسمة)، أو غندا (٨٧ نسمة) تركيا (٧٨ نسمة) سوريا (٧٧ نسمة)، مصر (٦٢ نسمة) سيراليون (٦١ نسمة) ماليزيا وتركيا (٦٠ نسمة)، المغرب (٥٩ نسمة) تونس والأردن (٥٣ نسمة) في الكيلو متر المربع.

جدول رقم (١٤) تطور كثافة السكان في العالم الإسلامي (١)

الكثافة (نسمة/الكم ^٢)			الإقليم/ الدولة	الكثافة (نسمة/الكم ^٢)			الإقليم/ الدولة
التغيير. %	١٩٩٤م	١٩٧٩م		التغيير. % (ج)	١٩٩٤م (١)	١٩٧٩م (١)	
٣٣+	٩٢	٦٩	جنوب شرقي آسيا	١٠٧+	٩,٣	٤,٥	شبه الجزيرة العربية ^أ
٥٠+	٦٠	٤٠	ماليزيا	١٠٠+	٨,٠	٤,٠	السعودية
٣٤+	٤٩	٣٦,٥	بروناي	٢٨+	٩٢	٧٢	الكويت
٣٨+	١٠٢	٧٤	إندونيسيا	١٧٢+	٤٩	١٨	قطر
٣٢+	٣٢	٢١	حوض النيل	٦٨+	٨١٠	٤٨٢	البحرين
٥٣+	١١	٧	السودان	٥٨+	١٧,٤	١١	شبه الجزيرة العربية ^ب
٨٥+	٤٨	٢٦	أثيوبيا	٩١+	٢٢	١١,٥	الإمارات
٣٨+	٨٧	٥٤	أوغندا	١٥٠+	١٠	٤	عمان
٥٣+	٦٢	٤٠,٥	مصر	٤٤+	٢٦	١٨	اليمن
٤٠+	١٤	١٠	شمالي أفريقيا	٤٥+	٦٢,٥	٤٣	الهلال الخصيب
١٠٠+	٣	١,٥	ليبيا	٥٣+	٤٥	٢٩,٥	العراق
٣٦+	٥٣	٣٩	تونس	٤٣+	٢٥٩	١٨١	فلسطين
٣٨+	١١	٨	الجزائر	٦-	٢٨٠	٢٩٨	لبنان
٨٤+	٥٩	٣٢	المغرب	٦٩+	٧٧	٤٥,٥	سوريا
٨٥+	٢٤	١٣	شرقي أفريقيا	٧٤+	٥٣	٣٠,٥	الأردن
٤٧-	٢٤	٤٥,٥	جيبوتي	٤٤+	٤٦	٣٢	غربي آسيا
١٥٥+	١٤	٥,٥	الصومال	٣٧-	٧٨	٥٧	تركيا
٧٢+	٣١	١٨	ترانيا	٨٢+	٤٠	٢٢	إيران
٢٧+	٢٨٢	٢٢٢	جزر القمر	٤+	٢٩	٢٨	أفغانستان
١٢+	٢٩	٢٦	أريتريا	٤٢+	٢٥٠	١٧٦	شبه القارة الهندية
٢٥+	٥	٤	الصحراء الكبرى	٧٣+	١٧٢	٩٩,٥	باكستان
٤٣+	٥	٣,٥	تشاد	٣٤+	٨١٨	٦١٠,٥	بنجلاديش
٧٥+	٧	٤	النيجر	١٤٦+	٨٢٧	٣٣٦	المالديف

تابع جدول رقم (١٤)

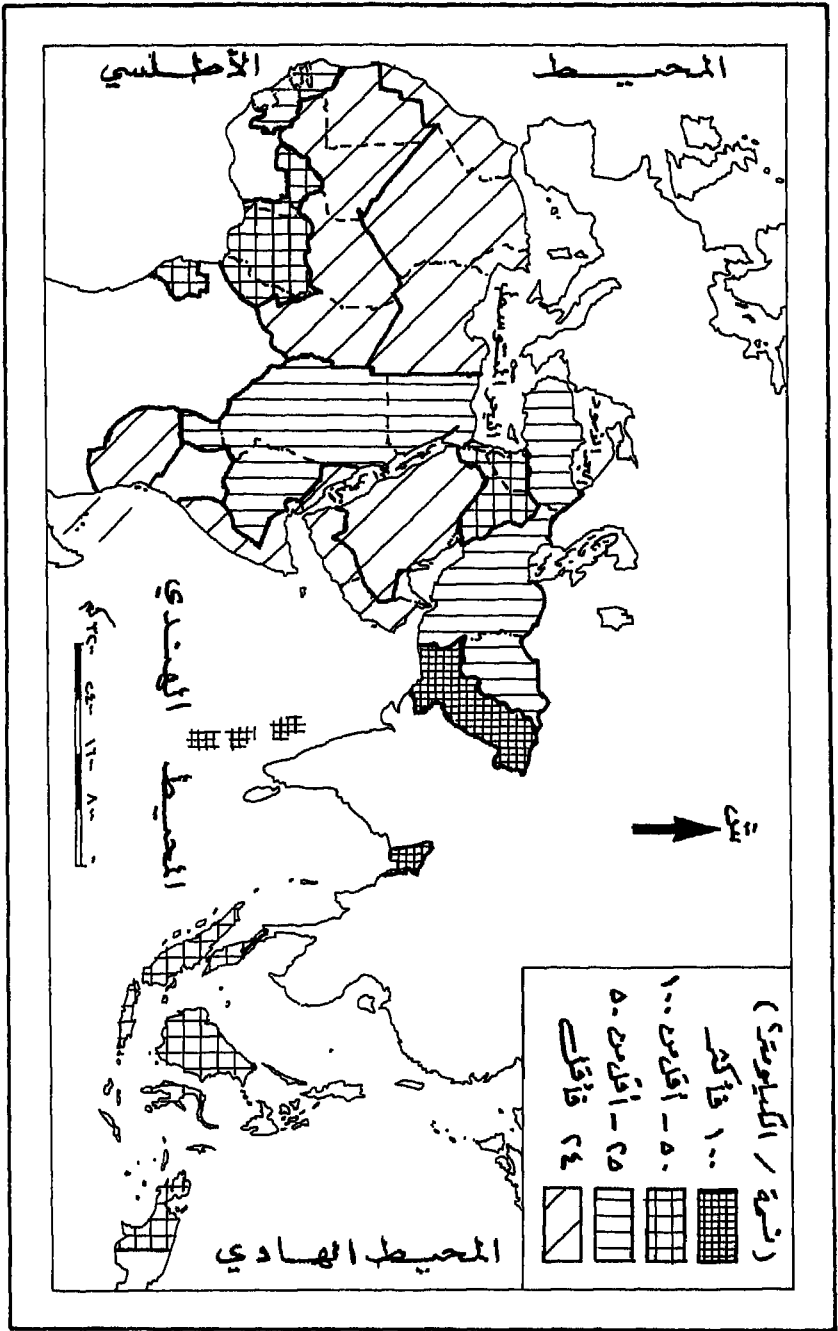
الكثافة (نسمة/الكم ^٢)			الإقليم/ الدولة	الكثافة (نسمة/الكم ^٢)			الإقليم/ الدولة
التغيير. %	١٩٩٤م	١٩٧٩م		التغيير. % (ج)	١٩٩٤م (أ)	١٩٧٩م (ب)	
٣٠+	٦٠	٤٦	عربي أفريقيا «ب»	٤٥+	٨	٥,٥	مالي
٥٧+	٤٧	٣٠	بنين	٣٣+	٢	١,٥	موريتانيا
٤٦+	١١٧	٨٠	بيجيريا	٣٣+	٣٦	٢٧	عربي أفريقيا «أ»
٥٤+	٢٧	١٧,٥	الكامرون	٤٦+	٤١	٢٨	السعال
٥٤+	٣٧	٢٤	موركينا فاسو	٩٢+	٩٦	٥٠	غامبيا
١٥٠+	٥	٢	الجابون	٤٤+	٢٩	١٧	غيبيايساو
٣٥+	٥٤	٤٠	العالم الإسلامي	٢٠+	٦١	٥١,٥	سيراليون
٣٠+	٤٣	٣٣	العالم	٣٠+	٢٦	٢٠	غيبيا

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

أ - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1979)

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

ج - من حساب الباحث.



شكل (٩) أنماط الكثافة السكانية في آسيا (١٩٩٤م)

٤- النمط المتوسط الكثافة (٢٥- ٤٩ نسمة في الكيلو متر المربع)، ويضم ٢٥ دولة هي: قطر وبروناي (٤٩ نسمة) أثيوبيا (٤٨ نسمة) بنين (٤٧ نسمة)، العراق (٤٥ نسمة) السنغال (٤١ نسمة)، إيران (٤٠ نسمة)، بوركينا فاسو (٣٧ نسمة)، غينيا بيساو، أفغانستان و أريتريا (٢٩ نسمة) الكمرون (٢٧ نسمة) اليمن وغينيا (٢٦ نسمة) في الكيلو متر المربع).

٥- النمط المنخفض الكثافة (١٠- ٢٤ نسمة في الكيلو متر المربع)، ويضم ست دول هي: جيبوتي (٢٤ نسمة)، الإمارات (٢٢ نسمة) الصومال (١٤ نسمة)، السودانو الجزائر (١١ نسمة) عمان (١٠ نسمة) في الكيلو متر المربع).

٦- النمط ذو الكثافة المنخفضة جدا (أقل من ١٠ نسمة في الكيلو متر المربع)، ويضم سبع دول هي: السعودية و مالي (٨ نسمة)، تشاد والجابون (٥ نسمة)، ليبيا (٣ نسمة)، موريتانيا (٢ نسمة) في الكيلو متر المربع.

وبسبب ثبات المساحة وتغير السكان من سنة لأخرى فإن الاتجاه العام للكثافة هو نحو التزايد المستمر. فبين عامي ١٩٧٩م و١٩٩٤م زادت كثافة العالم الإسلامي بنسبة ٣٥٪ (من ٤٠-٥٤ نسمة في الكيلو متر المربع)، كما زادت كثافة الأقاليم الإسلامية بين ٢٥- ٥٠٪، وزادت كثافة الدول بين ٤٪ كما في أفغانستان و ١٧٢٪ كما في قطر، عدا جيبوتي ولبنان واللتان انخفضت كثافتهما بنسبة ٤٧٪ و ٦٪ على التوالي.

ثالثاً: العوامل المؤثرة في توزيع وكثافة السكان:

يتأثر توزيع السكان وكثافتهم في العالم الإسلامي بالعوامل نفسها التي تؤثر في توزيع السكان وكثافتهم على مستوى العالم والتي من أهمها العوامل: الطبيعية، والبشرية، والاقتصادية، ويضم كل منها عددا من العوامل الثانوية. ويؤدي تفاعل

هذه العوامل معا إلى ظهور أنماط خاصة من التوزيع والكثافة تميز كل شطر وإقليم ودولة، بحيث لا يعد التوزيع والكثافة انعكاساً لواحد فقط من هذه العوامل دون غيرها، فضلا عن اختلاف التوزيع والكثافة من فترة لأخرى (Clarke, 1976-A- P.14) وفيما يلي دراسة لكل من هذه العوامل .

أ- العوامل الطبيعية:

وتشمل المناخ ، والتربة، والتضاريس، والموقع، والعلاقات المكانية، والموارد الطبيعية والحيوية، على النحو التالي:-

١- المناخ:

يظهر أثر المناخ في سكان العالم الإسلامي في سكنى عدد كبير منهم في المناطق المرتفعة تجنباً للحرارة الشديدة والرطوبة العالية في المناطق السهلية، وحيث تكون الحرارة والرطوبة أكثر اعتدالا في المرتفعات مثل إقليم شبه القارة الهندية، وإقليم شبه الجزيرة العربية (أ) وإقليم الهلال الخصيب خاصة في سوريا ولبنان، وإقليم شمالي أفريقيا بخاصة في المغرب (Hance,1975,P.20) كما يظهر أثر المناخ الجاف الحرارة في قلة سكان إقليم الصحراء الكبرى وإقليمي شبه الجزيرة العربية (أ) و (ب) وفي المناطق شبه الجافة التي تضم عددا قليلا من السكان الزراعيين المتناثرين (Ibid, P.21) ومن دراسة علاقة الارتباط بين المناخ السائد وأعداد السكان في أقاليم العالم الإسلامي تظهر علاقة ارتباط موجبة شبه كاملة بينهما، حيث يبلغ معامل الارتباط بينهما (٠.٩٨)، بمعنى زيادة عدد السكان كلما زاد اعتدال المناخ بخاصة الحرارة والأمطار، والعكس صحيح .

٢- المياه:

تعتبر المياه عاملاً مهماً في جذب السكان لفائدتها في الإنتاج والمعيشة المنزلية أو كمصادر للأسماك والطيور، إلى غير ذلك. وغالباً ما يتركز السكان عند خطوط الينابيع ورؤوس الملاحه والمصابب والجزر النهريه أو الثنيات وعقد النهر، أو عندما يشكل النهر ثغرة في التلال، أو يترك التلال إلى السهول أو يدخل بحيرة.

ويفسر ذلك كله تجمع سكان العالم الإسلامي حول المياه مهما كانت مصادرها (Brian, 1977, P. 86)، مثل الأنهار (كالجانب في بنجلاديش، والسند وفروعه في باكستان، ودجلة والفرات في سوريا والعراق، والنيل في مصر والسودان، والنيجر وفرعه بنوي في نيجيريا والنيجر، والسنگال في غربي أفريقيا وأنهار بلاد المغرب الجبلية وأثيوبيا وتركيا)، ومثل مناطق الواحات في قلب الصحراء، والسفوح الجبلية الممطرة في لبنان وأطلس بالمغرب والجزائر.

ومع ذلك فإن أنهار العالم الإسلامي ليست كلها جاذبة للسكان لانتشار الحشرات في بعضها أو لفيضاناتها المدمرة، أو لعمقها الكبير الذي يصعب معه استغلالها أو لكثرة جداولها وشلالاتها (HanCe, 1975, P. 20)

وقد أظهرت دراسة علاقة الارتباط بين مصادر المياه المستديمة وتوزيع السكان وكثافتهم وجود علاقة ارتباط موجبة شبة كاملة بينهما حيث يبلغ معامل ارتباطها (٩٨، ٠)، إذ كلما زادت الأولى زادت الثانية بالدرجة نفسها، والعكس صحيح.

٣- التضاريس:

تؤثر التضاريس بصور شتى في توزيع السكان وكثافتهم في العالم الإسلامي، منها القيود الفسيولوجية التي تضعها الارتفاعات على سكنى الإنسان بسبب انخفاض الضغط الجوي، والأوكسجين، والحرارة، وبسبب شدة الانحدار، وصعوبة النقل الميكانيكي، وصعوبة الزراعة والسكنى عموماً (Ibid.pp17-18). ولذلك تزداد أعداد السكان وكثافتهم في السهول الفيضية حول أنهار العالم الإسلامي. وإن كانت هذه الكثافة وزيادة السكان تزداد فوق المرتفعات المدارية حتى ارتفاع ٢٥٠٠ متر مثلما هو الحال في أثيوبيا بسبب جاذبية الجبال الصحية عن السهول، أو جاذبيتها لبعض الجماعات البشرية الباحثة عن استقلالها، أو لمقاومة السلطات، كما هو الحال في جبال لبنان أو جبال الجزائر أيام الاحتلال الفرنسي (إبراهيم، ١٩٧٥م ص ٦٧).

وتجذب سواحل العالم الإسلامي السكان، وإن قلت كثافتهم مع الانتشار للدخل كما يتجمع السكان في الجزر المجاورة للسواحل الإسلامية مثل جزيرة جربة التونسية ونجبار التنزانية وجزر القمر، وغيرها. كذلك يتأثر توزيع السكان باتجاه التضاريس، فالسفوح والسواحل المواجهة للرياح الممطرة أكثر سكاناً من تلك التي تقع في ظل المطر مثل سفوح جبال لبنان الغربية والسفوح الغربية لجبال أطلس المغربية والسفوح الشمالية لأطلس بالجزائر وتونس، وساحل خليج سرت الشرقي في ليبيا، والسفوح الجنوبية لجبال وسط آسيا.

وقد أوضحت دراسة علاقة الارتباط بين السهول الفيضية وكثافة المكان وجود علاقات ارتباط موجبة شبه كاملة بينهما حيث يبلغ الارتباط (٠,٩٩)، إذ كلما زادت الأولى زادت الثانية بالدرجة نفسها والعكس صحيح.

٤- التربة :

يظهر أثر التربة على توزيع السكان وكشافتهم في العالم الإسلامي في نوع المحصول الزراعي المنتج، وفي طبيعة السكن الدائم أو المؤقت (Chishom,1972,p.706)، وفي وسائل الزراعة الريفية (أبو عيانه، ١٩٧٧م، ص ٨٣). ولذلك يتركز السكان في الترب الفيضية في دالات الأنهار الإسلامية، وفي الترب البركانية الخصبة بأندونيسيا - بخاصة جزيرة جاوة- وفي الكمرون واليمن، وغيرها، وفي تربة التشرنوزيم الخصبة بأراضي حشائش الاستبس بينما لاتعول الترب المدارية- الجافة والرطوبة- قليلة الخصوبة إلا أعداداً محدودة من السكان، كما تؤدي التعرية الشديدة- مثل تربة الجزائر- إلى انخفاض قدرتها الإنتاجية وبالتالي انخفاض كثافة سكانها (Hahce,1475,P.22-23).

وقد أظهرت دراسة علاقة الارتباط بين خصوبة التربة وكثافة السكان في أقاليم العالم الإسلامي وجود علاقة ارتباط موجبه قوية بينهما حيث يبلغ معامل الارتباط بينهما (٩٢ ، ٠)، بمعنى أنه كلما زادت خصوبة التربة زادت الكثافة بدرجة قوية جدا، والعكس صحيح (المطري، ١٤٠٨هـ ص ٩١-١١٤)

٥- العلاقة المكانية :

يقصد بها الطرق التي تربط أجزاء العالم الإسلامي ببعضها أو بغيرها من أجزاء العالم الأخرى، وما ينتج عنها من تبادل تجاري ونقل للأفكار والحضارات والبشر، وقد تميز العالم الإسلامي بكونه معبرا واسعا وبوجود مناطق ربطت بين أجزاء عديدة من العالم، منها نطاق الاستبس المتقطع، والوحدات الخصبة على طول سفوح جبال ألبرز بإيران التي انتشرت بواسطتها جماعات بشرية كبيرة داخل غربي أوراسيا، ومنطقة الاستبس بالأناضول التي ربطت وسط آسيا بأوروبا، ومنطقة الاستبس التي ربطت إيران والعراق وجنوب شرق الأناضول بالمشرق ومكنت الغزاة

من الوصول إلى سواحل البحر المتوسط ووادي النيل، والتي انتشرت بواسطتها الحضارة المصرية القديمة داخل آسيا. وقد سهلت البحار المحيطة بالعالم الإسلامي الاتصال بين سكان السواحل، كما كنت شبه جزيرة سيناء طريقاً عظيمة لحركة السكان بالعالم الإسلامي، إلى جانب باب المنذب الذي شكل بوابة بين أفريقيا وشبه الجزيرة العربية (Fisher, 1971, PP. 102-103).

وعلى عكس ذلك كانت بعض مناطق العالم الإسلامي معزولة يصعب وصول السكان إليها، مثل شبه الجزيرة العربية، وجبال شرق الأناضول وراجروس، وجبال... سنجار بشمالي العراق.

وكان للموقع الجزري والقاري تأثير واضح على جاذبية السكان، مثل جاذبية الموقع الجزري لأندونيسيا، وانعزال الموقع الداخلي لإيران المخلخل للسكان.

كذلك فإن بعض السواحل الإسلامية اشتهرت بأهميتها التجارية وبوجود نويات متناثرة من الموانئ والمواضع الملائمة، بينما كان بعضها الأخرى طارداً للسكان مثل سواحل البحر المتوسط في عصر القرصنة، والنطاق الساحلي لأفريقيا الغربية في عصر تجارة الرقيق.

٦- العوامل الحيوية:

يعتبر توزيع السكان وكثافتهم في العالم الإسلامي انعكاساً واضحاً لتوزيع النباتات والحيوانات فيه. ويظهر أثر ذلك العامل في قلة سكان المناطق الصحراوية وكثرتهم في المناطق الموسمية والاستوائية كثيفة الغابات والحيوانات، وفي قلة السكان والكثافة في الأقاليم شبه الجافة عكس إقليم البحر المتوسط الكثيف النباتات نسبياً. وكذلك يظهر أثر هذا العامل في طرد الحيوانات الضارة أو المؤذية للإنسان من المناطق التي تتكاثر فيها ذبابة التسي- تسي والجراد وبعوض الملاريا رغم ما يمتلكه الإنسان من وسائل حديثة للدفاع عن نفسه ضدها.

وقد أظهرت دراسة علاقة الارتباط بين نوع النبات وكثافة السكان في أقاليم العالم الإسلامي وجود علاقة ارتباط موجبة قوية بينهما، إذ يبلغ معامل الارتباط بينهما (٠,٨٢)، بمعنى أنه كلما زادت الأولى زادت الثانية بدرجة قوية، والعكس صحيح. (المطري، ١٤٠٨هـ، ص ١٢٣هـ مابعدها).

٧- الموارد الطبيعية:

يؤثر توافر موارد الطاقة والموارد المعدنية والصناعية في أعداد السكان وكثافتهم، كما تؤثر أعداد السكان وخبراتهم وأساليب تنظيمهم وتطورهم الاجتماعي في هذه الموارد من حيث استخراجها واستثمارها. وتؤدي الظروف المناخية القاسية في معظم أرجاء العالم الإسلامي إلى الحيلولة دون استخراج الكثير من هذه المعادن بطريقة اقتصادية. كما يؤثر رأس المال والخبرات التقنية الصناعية على اختلاف الاستثمار المعدني من مكان لآخر. ولذلك تختلف صور جاذبية الموارد للسكان ودرجة كثافتهم (Hance, 1475, Pp.24-25).

٨- الأمراض والجوع:

يظهر أثر هذا العامل في تخلخل السكان في المناطق المصابة بالأمراض أو نقص التغذية، مثلما هو الحال في المناطق المدارية من العالم الإسلامي المرتفعة الحرارة والتي تتخذها بعض الأمراض ببيئات ومواطن طبيعية ومثالها مرض التراخوما في المناطق شبه الجافة ومناطق البحر المتوسط، ومناطق الحمى الصفراء الذي يرتبط بأفريقيا المدارية، ومرض النوم الذي يرتبط بمناطق انتشار ذبابة التسي-تسي، والأمراض المدارية كالملاريا، ومرض الكوليرا والدرن الرئوي، وغيرها من الأمراض التي ترتبط بمناطق معينة من العالم الإسلامي.

كذلك يتسبب نقص التغذية وسوءها في كثرة الوفيات وقلة السكان، وفي انتشار أمراض البلاجرا والسبري برى، وكساح الأطفال، وتضخم الغدة الدرقية،

والكراشركور، وغيرها من أمراض سوء التغذية (Ibidpp23-24). كما تؤدي الأمراض الأخرى المنتشرة في العالم الإسلامي مثل: التيفوس، والجذري، والطاعون، والجذام، والسل، والأمراض التناسلية، وغيرها إلى حدوث وفيات عالية وانخفاض متوسط عمر الفرد، ويؤثر ذلك كله على توزيع السكان وكثافتهم رغم ما يبذل من جهود لمكافحتها (Church, 1473, p. 71).

ب - العوامل الاقتصادية :

وتشمل نوع الحرف ونمط النشاط الاقتصادي، والنقل، والدخل الفردي، وذلك على النحو التالي :-

١- الحرف والنشاط الاقتصادي :

يختلف أثر حرف السكان في أعدادهم وكثافتهم . فالحرفة الأولى تؤدي إلى خلخلة السكان وقلة عددهم سواء كانت رعيًا أو صيدا بريًا أو بحريًا، أو زراعة واسعة أو تجارة عدا الزراعة الكثيفة التي تؤدي إلى تجمع السكان فوق مساحة صغيرة من الأرض فتترفع كثافتهم . أما الحرفة الثانية (الصناعية- البناء والتشييد- الغاز - الطاقة والكهرباء) والثالثة (التجارة- النقل والمواصلات- الخدمات بأنواعها) فيرتبط بها كثرة السكان وارتفاع كثافتهم (Cluvke, 1974, p111) . ويؤدي وجود مجتمعات بدوية في عديد من الدول الإسلامية بخاصة في الشطر الأفريقي - إلى وجود تخلخل في تركيزات السكان، كما تتسبب الاقتصاديات الواسعة التي تمارسها هذه الجماعات في تناثر السكان .

٢- النقل والمواصلات :

تؤدي كثافة شبكة النقل والمواصلات وقلة تكلفتها إلى تجمع السكان وارتفاع كثافتهم، إذا تعد التجارة الناجمة عن كفاءة النقل والمواصلات بمشابة الدعائم المهمة للهياكل المدنية وبالتالي كثافة السكان المرتفعة (Hovvxe, 1475, Ππ.25-26) .

ومن هنا فإن مناطق الكثافة السكانية هي التي تشتهر بكفاءة طرق النقل والمواصلات في العالم الإسلامي، والعكس صحيح.

ج- العوامل البشرية:

وتشمل العوامل الديموجرافية والحروب، والعوامل الاجتماعية والسياسية والتاريخية، والسياسات الحكومية على النحو التالي:-

١- العوامل الديموجرافية:-

تسهم الزيادة الطبيعية والهجرة بدور مهم في توزيع السكان وكثافتهم في العالم الإسلامي، فزيادة الهجرة أو نقصها عن الزيادة الطبيعية تسبب في تغيرات سكانية مهمة، وكذلك يؤدي اختلاف خصائص السكان الثقافية والدينية والاجتماعية وتكوينهم النوعي إلى التأثير على توزيع وكثافة السكان (Ibid, pp 20-27)

٢- الحروب والعلاقات السياسية:

تسبب الحروب والاضطرابات السياسية في انخفاض أعداد السكان وكثافتهم في مناطق المعارك والحدود بين القبائل (Church,1473). وقد أدى الدفاع الحربي إلى وجود الكثير من مناطق الاستقرار البشري في كثير من أرجاء العالم الإسلامي، مثل هضبة فوتاجالون التي تسبب سهولة الدفاع فيها إلى السكن الكثيف لقبائل الفولاني، وإن كان هذا العامل لا يظهر أثره بشكل واضح في المناطق التي يسهل الانسحاب منها مثل مناطق سكنى السافى في بنين، وفي مناطق السوركو والسوموفو الذين سكنوا أول الأمر بالقرب من نهر النيجر حتى يسهل عليهم الهروب إذا هوجموا. كما يظهر أثر هذا العامل في مناطق الحدود العربية-الإسرائيلية التي تأثرت كثافتها وعدد سكانها بسلسلة الحروب المتتالية بين عامي ١٩٤٨ و١٩٧٣م.

٣- العوامل الاجتماعية والسياسية والتاريخية :

يفسر هذا العامل الكثير من أنماط التوزيع السكاني في العالم الإسلامي، فالسكان قليلو الكثافة بالعراق يرتبطون بالغزوات السابقة بدرجة ما، والسلاسل الجبلية بجنوب غربي آسيا اجتذبت المطاردين فصارت كثيفة السكان، كما أن آثار اصطياذ العبيد والحاجة إلى مراكز الدفاع يظهر آثارها في توزيع سكان غربي أفريقيا وشرقها. كذلك يفسر ارتفاع الكثافة في جبال فوتاجالون وأطلس بضمنان حماية اللاجئين إليها. وكذلك فإن الاستقرار السياسي في أجزاء من إثيوبيا وأوغندا وجنوبي نيجريا يفسر نمو السكان (Ibid.,pp.163-167)، إلى جانب ارتفاع الكثافة في المجتمعات التي مارست التنظيم منذ أمد بعيد والتي تنوعت اقتصادياتها (Clarke,1974,p.110).

وتعتبر قدرة الشعوب على تنظيم شؤونها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عاملاً مهماً في توزيع السكان مثل منطقة كانداب في نيجيريا حيث ساعد ذلك الهوسا على الاستقرار، ومثل المناطق الأخرى متوسطة الكثافة في خط العرض نفسه (Church,1473,p167).

وقد أثرت تجارة الرقيق على خلخلة السكان في النطاق الأوسط من أفريقيا المسلمة، وشجعت الاستيطان على طول طرق الهروب مثل نهر السنغال والنيجر والمدن المسورة بشمالي أفريقيا وغربها، وبعد أن قتل حوالي ٢٠ مليون أفريقي بين القرنين ١٦ و ١٩ الميلاديين وبعد نقل ١٠-١٢ مليون أفريقي آخر إلى مناطق أخرى. وقد تسبب قتل هذه الأعداد وبيع مواليدهم إلى جعل أراضي أفريقيا الغربية أقل سكاناً مما كانت عليه من قبل (Ibid.,p.71) كذلك أدت العادات والتقاليد - ولاتزال - إلى بقاء السكان داخل مناطقهم الخاصة بصورة صارمة (Ibid.,p.234) وساهمت الحدود السياسية الحالية بدور صغير نسبياً في توزيع السكان وكثافتهم (Ibid.,P.70).

السياسات الحكومية :

وقد لعبت دوراً مهماً في توزيع السكان في العديد من مناطق العالم الإسلامي . ومثالها سياسات توطين السكان البدو مثلما فعلت السعودية في مشروعات التوطين العديدة، وسياسات نقل بعض السكان إلى مناطق أخرى مثلما فعلت مصر والسودان بنقل سكان النوبة بعد انتشار بحيرة ناصر (النوبة) وكما فعلت أندونيسيا بنقل بعض سكان جزيرة جاوة إلى الجزر الأخرى، أو سياسات التعمير لمناطق جديدة أو استصلاح أراض جديدة في مديرية التحرير بمصر أو غيرها من مناطق العالم الإسلامي .

تركيب السكان

التركيب السلالي :-

يضم العالم الإسلامي الأجناس الثلاثة الرئيسية: القوقازي، والمغولي، والزنجي مع سلالاتها الرئيسية والفرعية. فالجنس القوقازي ينتشر في جنوب غربي آسيا وشمالي أفريقيا وبلاد القوقاز، كما ينتشر الجنس المغولي في وسط وجنوبي وجنوب شرقي آسيا، بينما يوجد الجنس الزنجي في المنطقة المدارية الاستوائية من أفريقيا. وفي العالم الإسلامي تتعدد ألوان البشرة، كما تتعدد الأقوام والشعوب من: عرب، وترك، ومغول، وفرنس، وهنود، وماليزيين، وهوسا، وفلاني، وبانتو، وباندنج، وغيرها. وقد اختلقت كلهما معا بفضل الإسلام الذي لايفرق بين الأجناس والألوان (شاكر، ١٩٧٦م، ص ١٦).

وللموقع الجغرافي للعالم الإسلامي أثر كبير على تركيبه السلالي حيث إنه سهل هجرة واختلاط الأجناس القوقازية والمغولية والزنجية. ومن ناحية أخرى فقد أثرت الموجات العربية المهاجرة من بلاد العرب في التركيب السلالي للبلاد الإسلامية الأخرى، بخاصة هجرة الكنعانيين والفينيقيين والعبرانيين إلى بلاد الشام وشرق البحر المتوسط، والهجرات التي صاحبت انتشار الإسلام قرونا طويلة (إبراهيم، ١٩٧٥م، ص ٥-٧)، إلى جانب اجتذاب العالم الإسلامي للمهاجرين من شتى جهات العالم الإسلامي بسبب موقعه المتوسط وقد ترتب على تجمع الأجناس والسلالات المختلفة في العالم الإسلامي فقد نقائها الأصلي.

ويختلف التركيب السلالي لشطري العالم الإسلامي عن بعضهما بشكل

واضح على النحو التالي :-

أولا - الشطر الأفريقي :-

يتميز هذا الشطر بوجود خط تقسيم حضاري واضح يعد أحد التقسيمات الحضارية العظمى في العالم، ويعد خط تقسيم جنسي أيضا. ويجري هذا الخط من مصب نهر السنغال نحو الشرق إلى تمبوكتو وبحيرة تشاد والخرطوم متعمقا نحو الجنوب على طول الحدود الغربية لأثيوبيا ثم جنوبا بشرق نحو مصب نهر جوبا (Carlson, 1967, P.26). ويميز هذا الشطر بوجود ثلاث مجموعات جنسية واضحة على النحو التالي :-

أ- في غربي أفريقيا: - يوجد الأقباط وهم من أقدم الشعوب الأفريقية ولهم خصائص طبيعية تجعلهم متميزين تماما عن الزنوج (Church, 1973, P.60)، ويوجدون في مجتمعات متناثرة معزولة في الكمرون والجابون. كما يوجد الزنوج في أثيوبيا وبين نهر السنغال والكمرون، وتوجد أنقى أنماطهم على طول ساحل غينيا متجمعين في قبائل كبيرة قوية متنوعة مثل الأشانتي واليوروبا والولوف. كما يوجد الزنوج السودانيون في منطقة السافانا بين السنغال غربا وإقليم كردفان السوداني شرقا وتسود بينهم إمارات الفولاني القوية وممالك الهوسا، ومنها قدم كثير من الزنوج الذين يعيشون في الواحات الصحرواية. أما في حوض أو بالنجي- ويل بين النيل والكونغو فتوجد مجموعات أخرى من الزنوج المتميزين مثل الزاندي بجنوبي السودان والنوبة بجنوبي كردفان (Ibid, Pp 61-62).

ب- في شمالي أفريقيا: - يوجد الحاميون وقد دخلوا شمالي أفريقيا من منطقة إرسال حول البحر الأحمر، وأدى تقدمهم نحو الجنوب إلى نشوب صراع بين الزنوج والبوشمان الذين اختلطوا معهم. وينقسمون إلى مجموعتين: الحاميين الشرقيين ويشملون المصريين والبجة والبرابرة والصوماليين وكثير من

الأثيوبيين. وقد أقاموا العديد من الدول الأفريقية الكبيرة. وهنا يوجد أيضا الزنوج الحاميون (Hamiticized NegroS) ويصنفون إلى ثلاث مجموعات: النيليين، والحاميين النيليين، والبانتيو. ويعيش النيليون في حوض النيل الأعلى بالسودان ومنهم الدينكا والشلوك. كذلك يوجد هنا الساميون الذين دخلوا فاتحين إلى شمالي أفريقيا وقدموا من الشرق في القرن السابع الميلادي. وكانت غزوتهم الرئيسية بين القرنين ١١-١٤ الميلاديين، وقد اختلطوا مع البربر في أماكن كثيرة. وترجع أصولهم إلى البداوة ولعبوا دورا مهماً كتجار في شرقي أفريقيا في القرون ١٦، ١٧، ١٨ الميلادية، كما تركوا آثاراً كثيرة في التكوين الجنسي لها (Ibid, P.63). وهنا نجد البربر المواطنين الأصليين للمغرب ويسودون في بعض الأماكن خاصة مرتفعات أطلس المغرب ومناطق جبال القبائل والأوراس في الجزائر.

ج- في شرقي أفريقيا: - تتميز باختلاط الصفات الجنسية - خاصة لون البشرة ومظهر الوجه والشعر (Hahce, 1975,P.95)، ويمثل الأفريقيون ٩٨٪ من سكان المنطقة، وينتمون إلى ٥٢٠ مجموعة قبلية متميزة يعتبرون أحفادا للجماعات الحامية القديمة التي اختلطت مع الزنوج ولا توجد هنا دماء زنجية نقية رغم تميز الكثير من السكان بدماء زنجية. وأشهر القبائل هي الشاجا (CHAGGA)، والكروجو (CROGO)، والنياموزي، والهايا، والسكون بتنانيا، ثم الجامو أو السوجا، والكيما، والتورو بأوغندا، والأشول أكبر الجماعات السكانية. كما يوجد هنا النيليون الحاميون كالماساي، والتوسو بأوغندا، إلى جانب بعض العناصر الآسيوية كالعرب، والهنود، والباكستانيين والجاويين الذين دخلوا شرقي أفريقيا منذ أمد بعيد (Ibid.P.65)

ثانياً: الشطر الآسيوي:

توجد المجموعات الجنسية الآتية:-

أ- في جنوب شرقي آسيا:- يعتبر الإقليم منحفا بشريا بسبب تقابل واختلاط الحضارات والأجناس التي دخلت الإقليم بطرق مختلفة لموقعه الممتار الذي يجعله جسرا وحاجزا سلاليا في آن واحد أمام حركات السكان والأفكار (المطري، ١٩٨٤م ص ٢٨٠). وتوجد هنا آثار الجنس الزنجي بين كثير من سكان التلال وسكان بعض الجزر الشرقية بأندونيسيا بخاصة مجموعة جزر فلور تيمور في مواجهة الساحل الشمالي لأستراليا. كذلك توجد مجموعات عديدة من الزنوج الحقيقيين كلهم من السكان الذين يعيشون حياة بدائية جداً في مواضع منعزلة بالمرتفعات الداخلية في أجزاء عديدة مثل سمانج الملايا والتاييرو. كما توجد الدماء الزنجية بين كثير من الشعوب الأخرى المختلفة نسبيا مثل التاوي في جاوة خاصة سكان جزر الملوك شرقي سوندا الصغرى. أما المالينيزيون فيوجدون بأعداد قليلة ويزيدون بين الألفور في ملقا، كما يسود البابوان في معظم الأجزاء الداخلية من الإقليم (Fisher, 1971, p.66). كما يوجد النسيوت المتمون لسلالة البحر المتوسط ويتشرون بالجزر الأندونيسية، إلى جانب وجود المغول.

ب- في جنوب غربي آسيا:- نشأ بعض السكان هنا وقدم البعض الآخر من الخارج (Cressey, 1975, p.396). ففي هضبة الأناضول لم تأت تسربات جنسية مهمة من الشرق وإن تأثرت بالغزوات من كل اتجاه كالعرب من شبه الجزيرة العربية والإغريق والأكراد وغيرهم من الغرب، والسكان ذوي الأصل الإيراني-الهندي، والكاسبيت، والحيثيين، وغيرهم. كما قدمت للإقليم هجرات كبيرة تركت آثارها الجنسية واستقرت بمناطق خاصة مثل الجال،

والقبائل الكردية، والقبائل المتكلمة بالبشتو شمال غربي باكستان والأجزاء المجاورة من أفغانستان ذوي الأصل النوردي. أما في إيران فدخل الأتراك القبليون ذوو الأصل التركي السلجوقي، والكثير من الطوائف المتحدثة بالتركية في أذربيجان. كما شهد الأقليم غزوتين رئيسيتين من سكان البحر المتوسط الأولى للاستيطان والثانية كان هدفها الغزو والانتصار خلال العصور التاريخية. وتسود هنا السلالة الألبية بعد سلاسل البحر المتوسط خاصة في المناطق المرتفعة، كما ينتشر نوع أكثر طولاً وخشونة من سلالة البحر المتوسط بجنوبي الجزيرة العربية بين العرب الساميين أو الأوراسيين الأفريقيين ويشبهون بعض سكان القرن الأفريقي (Brice, 1966, p.58-59). ويعني هذا أن أصول السكان في جنوبي الجزيرة العربية مختلطة وتضم خليطاً من الجنس القوقازي المتوطن والدرا فيدي المنتشر حول ساحل المحيط الهندي، إلى جانب جماعات من الزنوج والبلوخ (البلوش والشحوح).

وأهم الجماعات السلالية الكبرى بالعالم الإسلامي هي: العرب - البنغاليون - الجاويون - البنجابيون - الأتراك الأناضوليون - الفرس - المتحدثون بالأوردو - السوند - الملايا - الهوسا - البوشتان - البربر - الفولاني - المادورا - الأزيدي - السنديون - الأكراد - اليوروبيا - الأرومو - المكاسارويجين - الصوماليون - الهوى - المينامجابوا - الماييلا - المهاراشيرن - الكانوري - الماندج - البلوخ - المور - الأسهن - الولوف - الاسويون - الساساك - البانتو - الصفار - السونغهاي - البجة - الماساي - التاييل - الفجر. ولكل من هذه الجماعات خصائصها المميزة ومناطقها التي تعيش فيها (المطري، ١٩٨٤م ص ٢٨٤ - ٣٣٩). وتشكل هذه الجماعات ٨٠٪ من سكان العالم الإسلامي. كما يظهر من الجدول رقم (١٥).

جدول رقم (١٥) المجموعات السلالية الإسلامية الكبرى في العالم الإسلامي

اسم المجموعة	/ من جملة السكان	الأقاليم والدول التي توجد فيها	اسم المجموعة	/ من جملة السكان	الأقاليم والدول التي توجد فيها
العرب	١٥,٦	ج.غ. آسيا -	المابيلا	٠,٧	ح.ق آسيا
البنغاليون	١١,٤	شمالي أفريقيا	الكانوري	٠,٥	بيجيريا - النيجر
الجاويون	٨,٥	بنجلاديش	المهاراسيرين	٠,٧	غ. أفريقيا
البنجابيون	٦,٨	أندونيسيا	الماندنغ	٠,٥	بركها ماسو مالمو - ع. أمريكا
الأتراك	٤,٣	باكستان			مالي - غ أفريقيا
الأناضوليون		تركيا	البلوخ	٠,٥	ايران - باكستان
الفرس	٣,٣	إيران	المور	٠,٥	شمالي أفريقيا
المتحدثون بالأوردو	٣,١	باكستان	الاسهن	٠,٣	أندونيسيا
السوند	٢,٨	أندونيسيا	الولوف	٠,٣	ع. أفريقيا
الملايا	٢,٤	ج. آسيا	الآسيويون (هنود وباكسانون)	٠,٣	باكستان
الهوسا	٢,٤	غ. أفريقيا			
البوشتان	١,٨	ج. آسيا	الساساك	٠,٣	أندونيسيا
البربر	١,٥	شمالي أفريقيا	البانتو	٠,٢	نزانيا
الفولاني	١,٥	غ. أفريقيا	العفار	٠,٢	أثيوبيا - جنوبية
المدورا	١,٣	أندونيسيا	السونغهاي	٠,٢	غ. أفريقيا
المنديون	١,١	باكستان	البحه	٠,٢	السودان
الأكراد	١,١	ج.غ. آسيا	الماساي	٠,٢	غ. أفريقيا
البوربا	١,٠	غ. أفريقيا	التابيل	٠,١	غ. أفريقيا
الارومو	١,٠	أثيوبيا	العجر	٠,١	أنحاء متفرقة
المكاساريوجين	١,٠	أندونيسيا			في آسيا خاصة
الصوماليون	٠,٨	شرقي أفريقيا	الجملة	٨٠,٠	
الهوى	٠,٨	ج. ق. آسيا			
المينا نجابوا	٠,٧	ج. ق. آسيا			

١ - العنوان من إعداد الباحث ببا. علي - WEEKES, R, V, (1978), MUSLIM PEOPLES ` A WORLD ETHNO-GRAPHIC SURVEY, P 535.

ب - المطري، (١٩٨٤) دراسات في سكان العالم الإسلامي، حول ٤٢، ص ٣٣٩ (تصرف).

التركيب النوعي

للتركيب النوعي للسكان أهميته الكبيرة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. فالذكور هم الذين يعملون ويكتسبون الأجر- غالباً- ويرعون الأسرة ويشكلون الجيوش وقوة العمل أساساً. كذلك فإن للتركيب النوعي أهميته في تكوين الأسرة وعدد الزيجات المحتملة بالدولة (Peterson, 1975, P.69)

وتتأثر النسبة النوعية بزيادة عدد الذكور الموليد واختلاف معدل وفيات الجنسين والهجرة (Clarke 1476,P.77)

وبلغت نسبة الذكور في العالم الإسلامي ٨, ٥٠٪، بينما بلغت نسبة الإناث ٢, ٤٩٪ عام ١٩٩٤م على التوالي). ونسبة الذكور في العالم الإسلامي تقل عن مثلتها في العالم التي تبلغ ٢٢, ٥١٪. وترتفع نسبة الذكور في الشطر الآسيوي إلى ١, ٥١٪ مقابل ٣, ٥٠٪ بالشطر الأفريقي (١٢٢, ٣٦٠, ٣٥٨ مقابل ٩٢٤, ٤٠٢, ٢٣١ نسمة على التوالي) بسبب عوامل الجذب، المتعددة بالشطر الآسيوي.

وتباين نسب الذكور والإناث في أقاليم ودول العالم الإسلامي على النحو التالي (جدول رقم ١٦ وشكل رقم ١٠):-

١- الأقاليم التي تزيد فيها نسبة الذكور عن الإناث:- وأولها إقليم شبه الجزيرة العربية "أ" (٨, ٥٣٪ للذكور)، وإقليم شبه القارة الهندية (٤, ٥٢٪، وغربي آسيا (٢, ٥١٪ وشبه الجزيرة العربية "ب" والهلال الخصيب (١, ٥١٪، وإقليم حوض النيل (٩, ٥٠٪، ثم إقليم شمالي أفريقيا (٧, ٥٠٪).

وإلى هذا النمط تنتمي ٣٤ دولة إسلامية هي: قطر (١٩, ٦٣٪)، والإمارات (٦٢٪)، والكويت (٧, ٥٦٪)، وغينيا بيساو (٥٤٪)، وتتراوح نسبة الذكور بين

٥٣٪ إلى أقل من ٥٤٪ في: البحرين- بروناي- السعودية- ليبيا، كما تتراوح بين ٥٢٪ إلى أقل من ٥٣٪ في: المالديف- باكستان، وبين ٥١- أقل من ٥٢٪ في عُمان- العراق سوريا- إيران- أفغانستان- بنجلاديش- أثيوبيا-مصر- تشاد- السنغال- غامبيا- جيبوتي- أريتريا، وتكون بين ٥٠٪ إلى أقل من ٥١٪ في كل من فلسطين- لبنان- الأردن- تركيا - ماليزيا- السودان- أو غندا- نونس- الجزائر- المغرب- نيجيريا.

٢- الأقاليم التي تقل فيها نسبة الذكور عن الإناث:- وتشمل إقليم شرقي أفريقيا (١، ٤٩٪)، وجنوب شرقي آسيا والصحراء الكبرى (٤، ٤٩٪)، وغربي أفريقيا "أ" (٨، ٤٩٪).

والى هذا النمط تنتمي ١٤ دولة بسبب الهجرة النازحة منها وهي: غينيا - بنين- بوركينافاسو- الجابون (٨، ٤٨٪)، وتتراوح هذه النسبة بين ٤٨- أقل من ٤٩٪ في: موريتانيا- تنزانيا- النيجر- مالي- سيراليون- الكمرون- الصومال- جزر القمر، كما تبلغ ٣، ٤٩٪ في أندونيسيا و٥، ٤٩٪ في اليمن.

٢- وتساوى نسبة الجنسين في إقليم غربي أفريقيا (ب).

٣- التركيب العمري:

للتكوين العمري أهميته في الدراسات السكانية (Clarke, 1976 A.p.60) لتأثيره على الهجرة ومعدلات المواليد والوفيات المظلمة أحيانا (Stanford,1972,p.8)، كما تتأثر به جميع الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية وغيرها.

جدول رقم (١٦) التركيب النوعي لسكان العالم الإسلامي (١) (%)

نسبة الإناث (%)	نسبة الذكور (%)	الإقليم/ الدولة	نسبة الإناث (%)	نسبة الذكور (%)	الإقليم/ الدولة
٥٠,٦	٤٩,٤	حوض شرقي آسيا	٤٦,٣	٥٣,٨	شبه الجزيرة العربية ^أ
٤٩,٧	٥٠,٣	ماليزيا	٤٦,٨	٥٣,٢	السعودية
٤٦,٦	٥٣,٤	بروناي	٤٣,٣	٥٦,٧	الكويت
٥٠,٧	٤٩,٣	إندونيسيا	٣٢,٨٥	٦٣,١٥	قطر
٤٩,١	٥٠,٩	حوض النيل	٤٦,٣	٥٣,٧	البحرين
٤٩,٥	٥٠,٥	السودان	٤٩,٠	٥١,٠	شبه الجزيرة العربية ^ب
٤٩,٠	٥١,٠	أثيوبيا	٣٨,٠	٦٢,٠	الإمارات
٤٩,٥	٥٠,٥	أوغندا	٤٩,٠	٥١,٠	عمان
٤٩,٠	٥١,٠	مصر	٥٠,٥	٤٩,٥	اليمن
٤٩,٣	٥٠,٧	شمال أفريقيا	٤٩,٠	٥١,٠	الهلال الخصيب
٤٦,٨	٥٣,٢	ليبيا	٤٩,٠	٥١,٠	العراق
٤٩,٣	٥٠,٧	تونس	٤٩,٧	٥٠,٣	فلسطين
٤٩,٦	٥٠,٤	الجزائر	٤٩,٣	٥٠,٨	لبنان
٤٩,٥	٥٠,٥	المغرب	٤٨,٧	٥١,٣	سوريا
٥٠,٩	٤٩,١	شرقي أفريقيا	٤٩,١	٥٠,٩	الأردن
٤٩,٠	٥١,٠	جيبوتي	٤٨,٨	٥١,٢	عربي آسيا
٥١,٠	٤٩,٠	الصومال	٤٩,٤	٥٠,٦	تركيا
٥١,٢	٤٨,٨	تنزانيا	٤٨,١	٥١,٩	إيران
٥١,٠	٤٩,٠	جزر القمر	٤٩,٠	٥١,٠	أفغانستان
٤٩,٠	٥١,٠	أريتريا	٤٧,٦	٥٢,٤	شبه القارة الهنديه
٥٠,٦	٤٩,٤	الصحراء الكبرى	٤٧,١	٥٢,٩	باكستان
٤٩,٠	٥١,٠	تشاد	٤٨,١	٥١,٩	بجلايش
٥١,٠	٤٩,٠	النيجر	٤٧,٦	٥٢,٤	المالديف

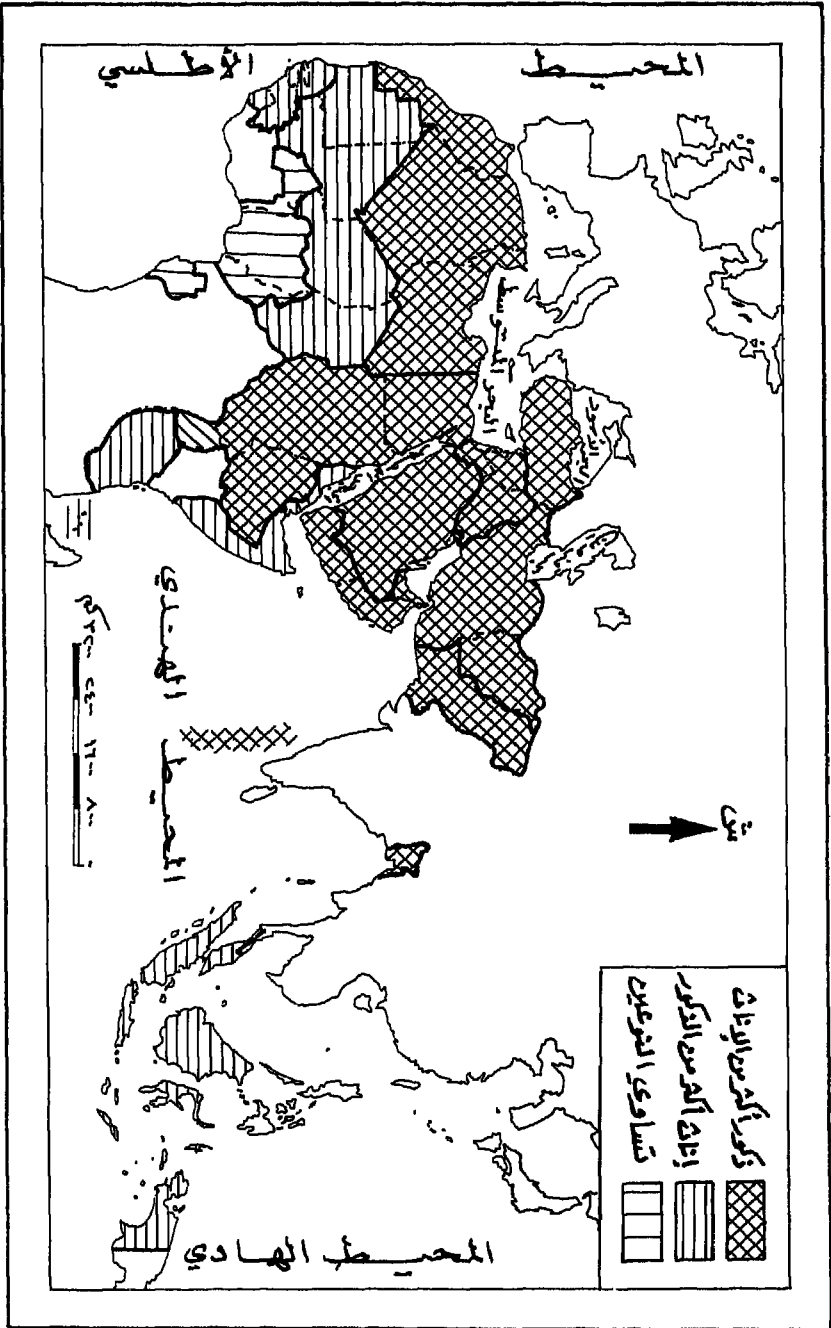
«تابع» جدول رقم (١٦)

نسبة الإناث (%)	نسبة الذكور (%)	الإقليم/ الدولة	نسبة الإناث (%)	نسبة الذكور (%)	الإقليم/ الدولة
٥٠	٥٠	عربي أفريقيا «ب»	٥١,٠	٤٩,٠	مالي
٥٢,٠	٤٨,٠	بين	٥١,٥	٤٨,٥	موريتانيا
٤٩,٠	٥٠,٥	بيجيريا	٥٠,٢	٤٩,٨	عربي أفريقيا «أ»
٥١,٠	٤٩,٠	الكمرون	٤٩,٠	٥١,٠	السنغال
٥٢,٠	٤٨,٠	بوركينا فاسو	٤٩,٠	٥١,٠	غامبيا
٥٢,٠	٤٨,٠	الجابون	٤٦,٠	٥٤,٠	غينيا بيساو
٤٩,٩	٥٠,١	العالم الإسلامي	٥١,٠	٤٩,٠	سيراليون
٤٨,٧٨	٥١,٢٢	العالم	٥٢,٠	٤٨,٠	غينيا

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

أ- THE EUROPA YEARBOOK, 1988,(1988), A WORLD SURVEY, DIFFERENT PAGES

ب - المطري، (١٩٨٤م)، سكان العالم الإسلامي، جدول رقم (٤٥)، ص، ٣٩٣.



شكل (١٠) أنماط التركيب السكاني في أقاليم العالم الإسلامي

ويتأثر التركيب العمري بالوفيات، والخصوبة، والهجرة، والظروف الاجتماعية والاقتصادية (Clarke,1976- B,P.46) .

وفي بعض دول العالم الإسلامي لايسجل العمر في البيانات الإحصائية بسبب الجهل أو الإهمال أو سوء التمثيل، ففي سير اليون لايعرف معظم السكان- خاصة الريفيين- تاريخ ميلادهم، وتكون الإحصاءات مجرد تخمينات. (Clarke, 1976- A,p.60) .

ويقسم السكان إلى ثلاث فئات: الأطفال (-١٥ سنة)، ومتوسطي السن (١٥-٦٤ سنة)، وكبار السن (٦٥ سنة فأكثر) (Peterson, 1975, P.71) وذلك على النحو التالي:-

أ- الأطفال (الصغار أقل من ١٥ سنة):-

يتصف العالم الإسلامي بارتفاع نسبة الاطفال (أقل من ١٥ سنة) إلى ٤٢٪ من جملة سكانه، بزيادة ١٠٪ عن معدل العالم، و٢٢٪ عن معدل المناطق الأكثر تقدما، وبنقص قدره ٢٪ عن المناطق الأقل تقدما. وتزيد هذه النسبة إلى ٤٣,٥٪ بالشطر الأفريقي مقابل ٣٩,٥٪ في الشطر الآسيوي. كما تزيد نسبة الأطفال في كل الأقاليم الإسلامية عن معدل العالم فتبلغ ٤٦٪ في إقليم شرقي أفريقيا وغربي أفريقيا "ب" والصحراء الكبرى، وتكون ٤٥٪ في إقليم غربي أفريقيا "أ"، و ٤٣٪ في حوض النيل، و٣٩٪ في غربي آسيا، وتبلغ ٣٦٪ في إقليم شبه الجزيرة العربية "ب"، بينما تبلغ ٤٢٪ في إقليمي الهلال الخصيب وشبه القارة الهندية و٣٨٪ في إقليم شمالي أفريقيا، و٤١٪ في إقليم الجزيرة العربية "أ"، بينما تكون ٣٣٪ في إقليم جنوب شرقي آسيا، كما يظهر من الجدول السابقه رقم (١٦).

وتختلف نسبة الأطفال في الدول الإسلامية على النحو التالي :-

١- الدول التي تزيد نسبة أطفالها عن معدل العالم . . وتشمل ٤٤ دولة إسلامية أو تسعة أعشار إجمالها (٩٢٪)، وهي: أوغندا- جزر القمر (٤٩٪)، سوريا- النيجر (٤٨٪)، المالديف- الصومال- مالي- غينيا- بنين (٤٧٪)، أثيوبيا- تنزانيا- نيجيريا (٤٦٪)، ليبيا- السنغال- بوركينا فاسو (٤٥٪)، العراق- إيران- باكستان- السودان- أريتريا- سيراليون- الكمرون (٤٤٪)، الأردن- تشاد- موريتانيا (٤٣٪)، السعودية- جيبوتي- غينيا بيساو (٤٢٪)، أفغانستان- غامبيا (٤١٪)، الكويت- بنجلاديش (٤٠٪)، الجزائر- الجابون (٣٩٪)، ماليزيا- مصر (٣٨٪)، عُمان- اليمن- المغرب (٣٧٪)، تونس (٣٦٪)، لبنان- تركيا- بروناي (٣٤٪)، أندونيسيا (٣٣٪).

٢- الدول التي تتعادل نسبتها مع العالم . . أي ٣٢٪، وتشمل واحد هي البحرين .

٣- الدول التي تقل نسبتها عن العالم . . وتضم ثلاثة دول هي: قطر (٢٨٪) والإمارات (٣١٪) بسبب زيادة نسبة الأجانب غير المصحوبين بأسرهم، وفلسطين (٢٩٪).

وقد تبين وجود علاقة ارتباط موجبة شبه متكاملة بين نسبة الأطفال ومعدل الدخل الفردي في أقاليم العالم الإسلامي، حيث يبلغ معامل الارتباط بينهما (٩٩،٠)، بمعنى أنه كلما زاد الدخل الفردي انخفضت نسبة الأطفال، والعكس صحيح .

وقد حدثت تغيرات واضحة في نسبة الأطفال بالعالم الإسلامي خلال الفترة ١٩٧٩ - ١٩٩٤م، إذ انخفضت هذه النسبة بمعدل ٢٪ في العالم الإسلامي وبمعدل ٣،٦٪ في الشطر الآسيوي، وبمعدل ٤،٠٪ في الشطر الأفريقي، بينما اختلفت الأقاليم الإسلامية على النحو التالي الذي يبينه الجدول رقم (١٧) والشكل رقم (١١) :-

١- أقاليم انخفضت نسبة أطفالها، وعددها سبعة هي: جنوب شرقي آسيا (١١٪)، وشمالي أفريقيا (-٩٪)، وإقليم شبه الجزيرة العربية "أ" (٤,٠٪)، وإقليم الهلال الخصيب (-٣٪)، وإقليم غربي آسيا (-٤٪). وشبه الجزيرة العربية "ب" (-١٠٪) وجنوب شرقي آسيا (-١١٪).

٢- أقاليم زادت نسبة أطفالها، وتضم ثلاثة هي: شرقي أفريقيا والصحراء الكبرى (١+٪)، وإقليم غربي أفريقيا "أ" (٢+٪).

٣- أقاليم ظلت نسبة أطفالها ثابتة، وهما إقليمان: حوض النيل (٤٣٪)، وإقليم غربي أفريقيا "ب" (٤٦٪).

ب- متوسط السن (١٥-٦٤ سنة) :-

وتعرف بأسماء عدة منها: البالغون، والمتجون نظريا، وقوة العمل النظرية أي الفئة القادرة على الكسب والعمل سواء كانت تعمل فعلا أو لاتعمل بسبب العجز أو لأسباب أخرى.

بلغت نسبة هذه الفئة في العالم الإسلامي ٥٥٪ من جملة السكان عام ١٩٩٤م بنقص قدره ٧٪ عن العالم و١٢٪ عن المناطق الأكثر تقدما، وزيادة ٢٪ عن المناطق الأقل تقدما. كانت هذه النسبة ٥٧٪ في الشطر الآسيوي مقابل ٥٣٪ في الشطر الأفريقي، كما بلغت ٥٦٪ في إقليم شبه الجزيرة العربية (أ)، و٦٣٪ في إقليم جنوب شرقي آسيا، و٥٨٪ في إقليم شمالي أفريقيا، و٥٣٪ في إقليم شبه الجزيرة العربية "ب"، و٥٤٪ في حوض النيل والهلال الخصيب، و٥٢٪ في إقليم غربي أفريقيا (أ)، و٥٥٪ في شبه القارة الهندية، و٥١٪ في أقاليم شرقي أفريقيا والصحراء الكبرى وغربي أفريقيا (ب)، و٥٦٪ في غربي آسيا، وذلك كما يظهر من الجدول (١٨) و الشكل رقم (١٢) :-

جدول رقم (١٧) نسبة السكان أقل من ١٥ سنة (الأطفال) بين سكان العالم الإسلامي (%) (١)

التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة
١١ -	٣٣	٤٤	جنوب شرقي اسيا	٤ -	٤١	٤٥	شبه الجزيرة العربية
٣ -	٣٨	٤١	ماليزيا	٣ -	٤٢	٤٥	السعودية
١ +	٤٤	٤٣	بروناي	٤ -	٤٠	٤٤	الكويت
١١ -	٣٣	٤٤	إندونيسيا	١٧ -	٢٨	٤٥	قطر
٠	٤٣	٤٣	حوض النيل	١٢ -	٣٢	٤٤	البحرين
٠	٤٤	٤٤	السودان	١٠ -	٣٦	٤٦	شبه الجزيرة العربية
١ +	٤٦	٤٥	أثيوبيا	٣ -	٣١	٣٤	الإمارات
٤ +	٤٩	٤٥	أوغندا	٢ +	٣٧	٤٥	عمان
٣ -	٣٨	٤١	مصر	١٠ -	٣٧	٤٧	اليمن
٩ -	٣٨	٤٧	شمال أفريقيا	٣ -	٤٣	٤٦	الهلال الخصيب
٤ -	٤٥	٤٩	ليبيا	٤ -	٤٤	٤٨	العراق
٩ -	٣٦	٤٥	تونس	٤٤ -	٢٩	٣٣	فلسطين
٩ -	٣٩	٤٨	الجزائر	٨ -	٣٤	٤٢	لبنان
٩ -	٣٧	٤٦	المغرب	١ -	٤٨	٤٩	سوريا
١ +	٤٦	٤٥	شرقي أفريقيا	٤ -	٤٣	٤٧	الأردن
١ +	٤٢	٤١	حيوتي	٤ -	٣٩	٤٣	عربي آسيا
٢ +	٤٧	٤٥	الصومال	٦ -	٣٤	٤٠	تركيا
١ +	٤٦	٤٥	تنزانيا	١ -	٤٤	٤٥	إيران
٥ +	٤٩	٤٤	جرر القمر	٣ -	٤١	٤٤	أفغانستان
٠	٤٤	٤٤	أريتريا	٢ -	٤٢	٤٤	شبه القارة الهندية
١ +	٤٦	٤٥	الصحراء الكبرى	٢ -	٤٤	٤٦	باكستان
١ +	٤٣	٤٢	نشاد	٣ -	٤٠	٤٣	بنغلاديش
٢ +	٤٨	٤٦	البيجر	٣ +	٤٧	٤٤	المالديف

تابع جدول رقم (١٧)

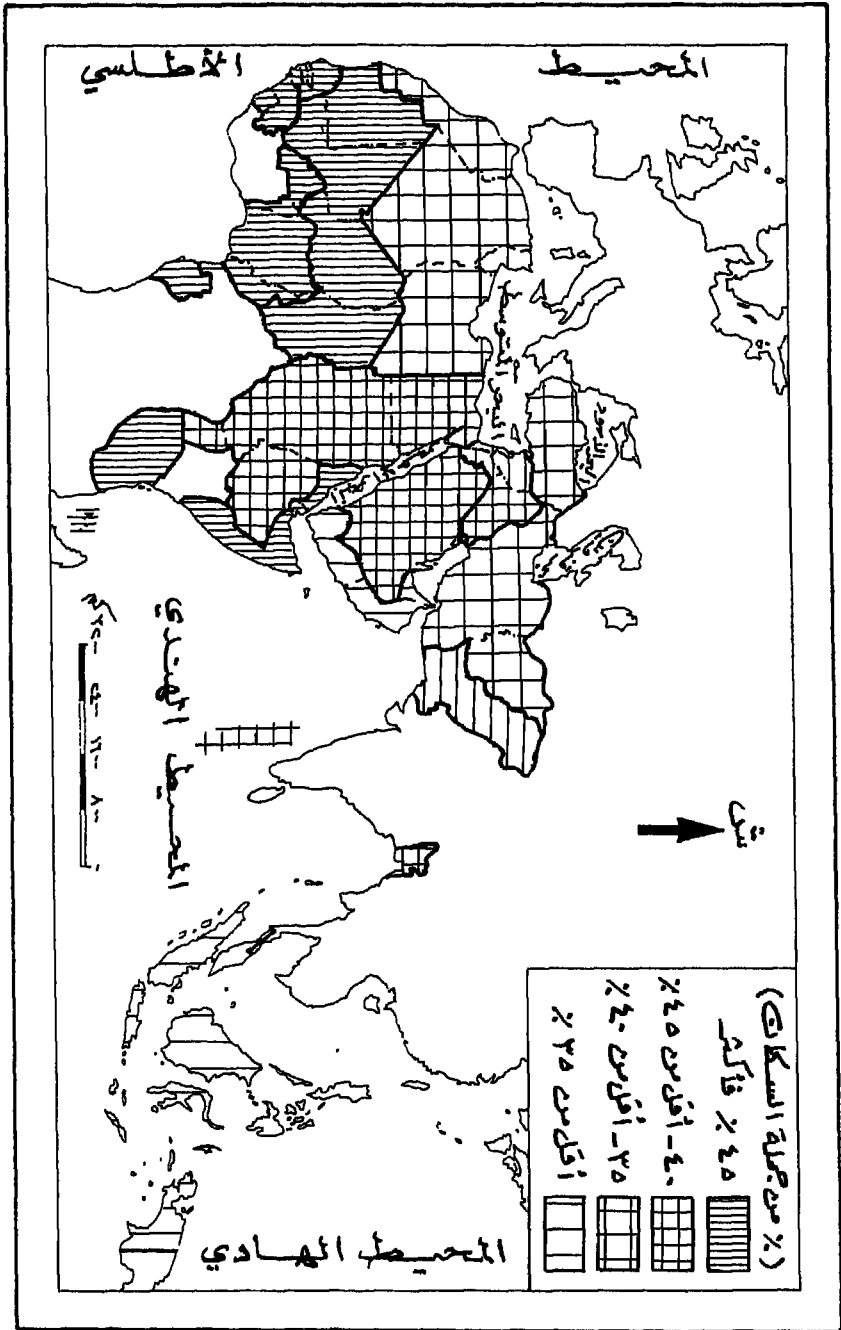
التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم / الدولة	التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم / الدولة
٠	٤٦	٤٦	عربي أفريقيا «ب»	١ -	٤٧	٤٨	مالي
١ +	٤٧	٤٦	سبب	١ +	٤٣	٤٢	موريتانيا
١ -	٤٦	٤٧	بيجيريا	-	-	-	عربي أفريقيا «أ»
٣ +	٤٤	٤١	الكامرون	٢ +	٤٥	٤٣	السفغال
١ +	٤٥	٤٤	موركينا فاسو	١ +	٤٥	٤٤	عامبيا
٢ +	٣٩	٣٧	الجابون	١ -	٤١	٤٢	عينيايساو
٢ -	٤٢	٤٤	العالم الإسلامي	٥ +	٤٢	٣٧	سيراليون
٤ -	٣٢	٣٦	العالم	١ +	٤٤	٤٣	غينيا
٥ -	٢٠	٢٥	المناطق الأكثر تقدما	٤ +	٤٧	٤٣	
٤ +	٤٤	٤٠	المناطق الأقل تقدما				

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

١ - THE POPULATION REFERENCE BUREAU, (1979)

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

ج - من حساب الباحث.



شكل (١١) نسبة السكان أقل من ٥١ سنة (الخطوط) في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٥٤م)

وتختلف نسبة متوسطي السن في الدول الإسلامية على النحو التالي :-

١- دول ذات نسبة مرتفعة جدا، تزيد فيها النسبة عن ثلثي إجمالي السكان، وهي قطر (٧١٪)، الإمارات (٦٧٪)، بسبب ارتفاع نسبة الأجانب وانخفاض نسبة الأطفال.

٢- دول مرتفعة النسبة . (٦٠ - ٦٥٪)، وتضم سبع دول هي البحرين (٦٥)، بروناي - أندونيسيا (٦٣٪)، فلسطين (٦٢٪)، لبنان - تركيا (٦١٪) تونس (٦٠٪).

٣- دول متوسط النسبة (٥٥ - ٥٩٪)، وتضم إحدى عشرة دولة هي: الجزائر (٥٩٪)، مصر- ماليزيا- الكويت (٥٨٪)، المغرب- بنجلاديش (٥٧٪)، أفغانستان- غامبيا (٥٦٪)، السعودية- الجابون- جيبوتي (٥٥٪).

٤- دول منخفضة النسبة (٥٠ - ٥٤٪)، وتضم ٢٥ دولة هي: غينيا بيساو- الأردن- موريتانيا (٥٤٪)، سيراليون- تشاد- أريتريا- السودان- باكستان- العراق (٥٣٪)، إيران، ليبيا، السنغال، بوركينا فاسو، الكمرون (٥٢٪) تنزانيا- نيجيريا اليمن، أثيوبيا (٥١٪)، عمان- المالديف- الصومال- النيجر- مالي- بنين- غينيا (٥٠٪).

٥- دول منخفضة النسبة جدا، وهي سوريا- أوغندا جزر القمر (٤٩٪).

وقد تبين وجود علاقة ارتباط موجبه قوية بين الدخل الفردي ونسبة متوسطي السن إذ يبلغ معامل الارتباط بينهما (٠,٨٤)، يعني أنه كلما زاد الدخل الفردي زادت نسبة متوسطي السن بدرجة قوية، والعكس صحيح.

وقد حدث تغير واضح في نسبة متوسطي السن في العالم الإسلامي ودوله وأقاليمه المختلفة خلال الفترة من ١٩٧٩ - ١٩٩٤م. فقد زادت هذه النسبة ٤٪ في العالم الإسلامي وبالشطر الآسيوي مقابل ١٪ بالشطر الأفريقي، بينما اختلف التغير في الأقاليم والدول الإسلامية على النحو التالي :-

جدول رقم (١٨) نسبة متوسطي السن في العالم الإسلامي (١)

التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة
٩+	٦٣	٥٤	جنوب شرقي آسيا	٤+	٥٦	٥٢	شبه الجزيرة العربية ^أ
٢+	٥٨	٥٦	ماليزيا	٣+	٥٥	٥٢	السعودية
٩+	٦٣	٥٤	بروناي	٤+	٥٨	٥٤	الكويت
٩+	٦٣	٥٤	إندونيسيا	١٩+	٧١	٥٢	قطر
٠	٥٤	٥٤	حوض النيل	١٢+	٦٥	٥٣	اليحسين
٠	٥٣	٥٣	السودان	٢+	٥٣	٥١	شبه الجزيرة العربية ^ب
١-	٥١	٥٢	أثيوبيا	٤+	٦٧	٦٣	الإمارات
٣-	٤٩	٥٢	أرغندا	٢-	٥٠	٥٢	عمان
٢+	٥٨	٥٦	مصر	١+	٥١	٥٠	اليمن
٨+	٥٨	٥٠	شمالي أفريقيا	٢+	٥٤	٥٢	الهلال الحبيب
٥+	٥٢	٤٧	ليبيا	٤+	٥٣	٤٩	العراق
٩+	٦٠	٥١	تونس	٢-	٦٢	٦٤	فلسطين
١١+	٥٩	٤٨	الجزائر	٨+	٦١	٥٣	لبنان
٥+	٥٧	٥٢	المغرب	١-	٤٩	٥٠	سوريا
١-	٥١	٥٢	شرقي أفريقيا	٤+	٥٤	٥٠	الأردن
٤+	٥٥	٥١	جيبوتي	١+	٥٦	٥٥	عربي آسيا
٣-	٥٠	٥٣	الصومال	٢+	٦١	٥٩	تركيا
١-	٥١	٥٢	تنزانيا	٠	٥٢	٥٢	إيران
٤-	٤٩	٥٣	جزر القمر	٣+	٥٦	٥٣	أفغانستان
١+	٥٣	٥٢	أريتريا	٢+	٥٥	٥٣	شبه القارة الهندية
٠	٥١	٥١	الصحراء الكبرى	٢+	٥٣	٥١	باكستان
٢-	٥٣	٥٥	تشاد	٣+	٥٧	٥٤	بنجلاديش
١-	٥٠	٥١	النيجر	٤-	٥٠	٥٤	

تابع جدول رقم (١٨)

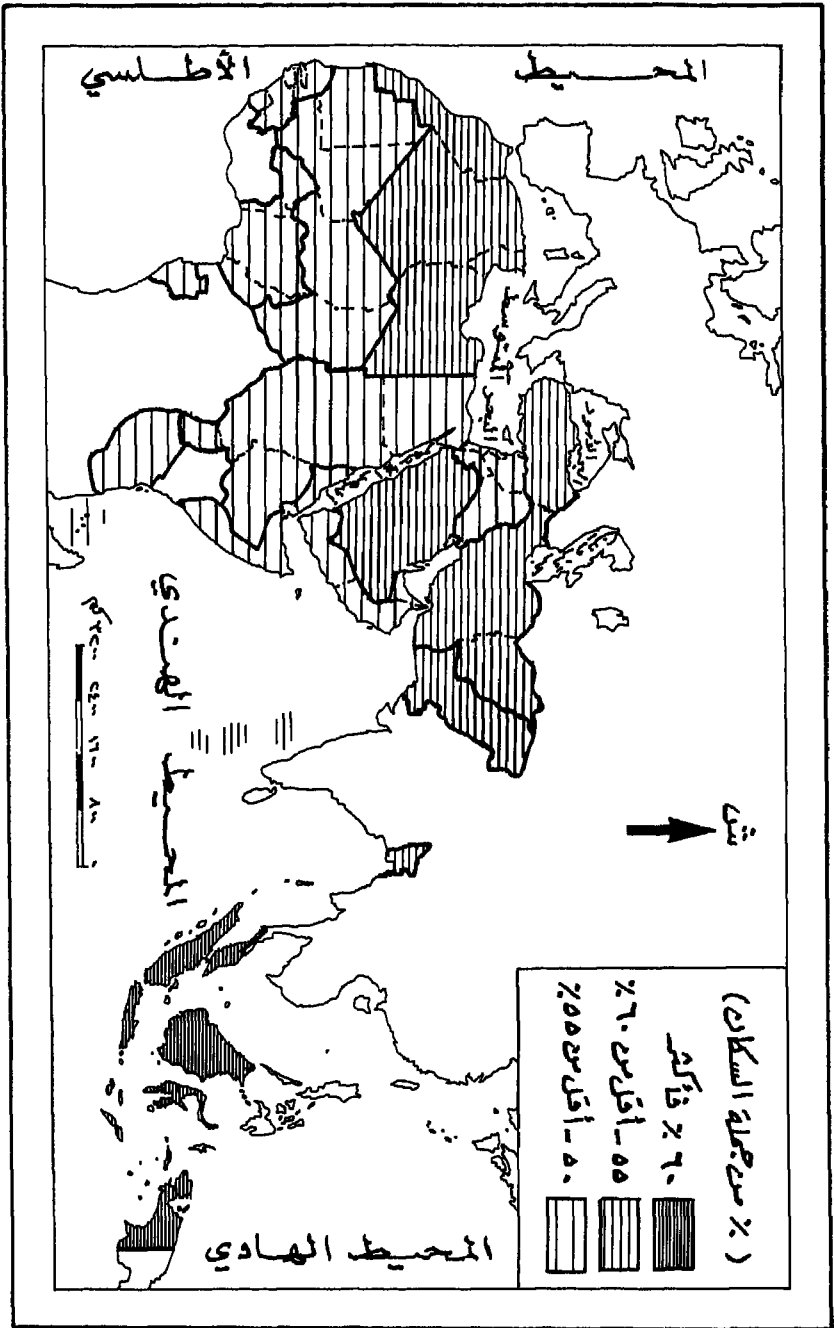
التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (١)	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (١)	الإقليم/ الدولة
٠	٥١	٥١	عربي أفريقيا «ب»	٢+	٥٠	٤٨	مالي
٠	٥٠	٥٠	ننيس	١+	٥٤	٥٣	موريتانيا
٠	٥١	٥١	نيجيريا				
٣-	٥٢	٥٥	الكامرون	١-	٥٢	٥٣	غربي أفريقيا «أ»
١-	٥٢	٥٣	موريتانيا	١-	٥٢	٥٣	السفغال
٣-	٥٥	٥٨	الجزائريون	٠	٦٥	٥٦	عاميا
٤+	٦٢	٥٨	العالم الإسلامي	٦-	٥٤	٦٠	غيانيساو
٢+	٥٥	٥٣	العالم	٠	٥٣	٥٣	سيراليون
٥-	٦٧	٧٢	المناطق الأكثر تقدما	٣-	٥٠	٥٣	غينيا

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

١- THE POPULATION REFERENCE BUREAU, (1979)

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

ج - من حساب الباحث.



شكل (١٢) نسبة متوسطي السن في أقاليم العالم الإحصائي (١٩٩٢)

١- الأقاليم والدول التي زادت نسبة متوسطي السن فيها، وتضم سبعة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية (أ) (+٤٪)، شمالي أفريقيا (+٨٪)، جنوب شرقي آسيا (+٩٪)، الهلال الخصيب وشبه الجزيرة (ب) وشبه القارة الهندية (+٢٪)، وغربي آسيا (+١٪). وإلى هذا النمط تنتمي ٢٥ دولة إسلامية.

٢- الأقاليم والدول التي انخفضت نسبة متوسطي السن فيها، وتضم إقليمين هما: غربي أفريقيا (أ)، وشرقي أفريقيا (-١٪). وإلى هذا النمط تنتمي ١٦ دولة.

٣- الأقاليم والدول التي ظلت نسبتها ثابتة وتضم ثلاثة أقاليم هي: الصحراء الكبرى وغربي أفريقيا (ب) (٥١٪) وحوض النيل (٥٤٪) وتضم ست دول:

ج- كبار السن: (٦٥ سنة فأكثر) :-

وتعرف أيضا باسم الشيوخ أو الكهول، وتعكس الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للسكان ومستوى معيشتهم، فارتفاع نسبتها يشير إلى ارتفاع مستوى المعيشة وتحسن ظروف العمل والصحة وقلة الجهد المبذول من جانب متوسطي السن للحصول على العيش قبل هذه المرحلة السنوية، والعكس صحيح.

ويتميز العالم الإسلامي بانخفاض هذه النسبة إذ تبلغ ٣٪ من جملة السكان وهي نصف معدل العالم وتقل عن ربع معدل المناطق الأكثر تقدما، وتعادل مثلتها في المناطق الأقل تقدما. وتتساوى هذه النسبة في الشطرين الآسيوي والأفريقي، بينما تبلغ ٣٪ في إقليم الهلال الخصيب، وشبه الجزيرة (أ)، وشبه القارة الهندية، وحوض النيل وشرقي أفريقيا وغربي أفريقيا (أ) وغربي أفريقيا (ب) والصحراء الكبرى، وترتفع إلى ١١٪ في إقليم شبه الجزيرة العربية (ب)، وإلى ٥٪ غربي آسيا و٤٪ في شمالي أفريقيا وجنوب شرقي آسيا.

وتختلف نسبة كبار السن من دولة إلى أخرى على النحو التالي (جدول رقم ١٩):-

١- الدول المرتفعة النسبة . . (٦٪ فأكثر)، وهي فلسطين (٩٪)، واليابون (٦٪)، وذلك لانخفاض نسبة الاطفال .

٢- الدول المتوسطة النسبة (٤-٥٪)، وتضم ١٢ دولة هي: تركيا - لبنان (٥٪)، إيران- ماليزيا- أندونيسيا- مصر- تونس- الجزائر- المغرب- تشاد- غينيايساو- الكمرون (٤٪) .

٣- الدول المنخفضة النسبة (٣٪)، وتضم ٢٤ دولة هي: قطر (١٪)، الكويت- الإمارات- اليمن- أو غندا- جزر القمر- النيجر (٢٪) السعودية- البحرين- عُمان- العراق- سوريا- الأردن- باكستان- أفغانستان- بنجلاديش- المالديف- بروناي- السودان- أثيوبيا- سيراليون- غينيا- بنين- نيجريا- بوركينا فاسو (٣٪) .

ويرجع انخفاض نسبة كبار السن بين سكان العالم الإسلامي بعامة إلى عدة أسباب أهمها ارتفاع نسبة صغار السن، وإلى جانب أسباب أخرى منها: انتشار الأمراض، وأخطار العمل التي تؤدي بحياة الكثيرين من متوسطي السن قبل بلوغهم مرحلة كبار السن، والحروب القبلية والدولية في كثير من أرجاء العالم الإسلامي .

وموجات القحط التي تتعرض لها بعض الدول الإسلامية ولايستطيع كبار السن خاصة أن يتحملوها فتودي بحياتهم (المطري، ١٩٨٤م ص٤٠٩) .

جدول رقم (١٩) نسبة كبار السن في العالم الإسلامي (١)

التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة
٢+	٤	٢	جنوب شرقي آسيا	٠	٣	٣	شبه الجزيرة العربية ^أ
١+	٤	٣	ماليزيا	٠	٣	٣	السعودية
٠	٢	٣	بروناي	٠	٢	٢	الكويت
٢+	٤	٢	إندونيسيا	٢-	١	٣	قطر
٠	٣	٣	حوض النيل	٠	٣	٣	البحرين
٠	٣	٣	السودان	٨+	١١	٢	شبه الجزيرة العربية ^ب
٠	٣	٣	أثيوبيا	١-	٢	٣	الإمارات
١-	٢	٣	أوغندا	٠	٣	٣	عمان
١+	٤	٣	مصر	١-	٢	٣	اليمن
١+	٤	٣	شمالي أفريقيا	١+	٣	١	الهلال الخصيب
١-	٣	٤	ليبيا	٠	٣	٣	العراق
٠	٤	٤	تونس	٦+	٩	٣	فلسطين
١+	٤	٣	الجزائر	٠	٥	٥	لسان
٢+	٤	٢	المغرب	٢+	٣	١	سوريا
٠	٣	٣	شرقي أفريقيا	٠	٣	٣	الأردن
١+	٣	٢	حيوتي	٣+	٥	٢	غربي آسيا
١+	٣	٢	الصومال	٤+	٥	١	تركيا
٠	٣	٣	تنزانيا	١+	٤	٢	إيران
١-	٢	٣	جزر القمر	٠	٣	٣	أفغانستان
٠	٣	٣	أريتريا	٠	٣	٣	سبه الفارة الهندية
١-	٣	٤	الصحراء الكبرى	٠	٣	٣	باكستان
١+	٤	٣	تشاد	٠	٣	٣	سحلاديش
١-	٢	٣	النيجر	١+	٣	٢	المالديف

تابع جدول رقم (١٩)

التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة
٠	٣	٣	غربي أفريقيا «ب»	١ -	٣	٤	مالي
١ -	٣	٤	بين	٢ -	٣	٥	موريتانيا
١ +	٣	٢	بيجيريا				
٠	٤	٤	الكامرون	١ -	٣	٤	عربي أفريقيا «أ»
٠	٣	٣	بوركينافاسو	٠	٣	٣	السنغال
١ -	٦	٥	الجزائريون	١ +	٣	٢	غامبيا
٠	٣	٣	العالم الإسلامي	١ +	٤	٣	غينيا بيساو
٠	٦	٦	العالم	٠	٣	٣	سيراليون
١ +	١٣	١٢	المناطق الأكثر تقدما	٠	٣	٣	غينيا
١ -	٣	٤	المناطق الأقل تقدما	٠	٣	٣	

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

١ - THE POPULATION REFERENCE BUREAU, (1979)

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

ج - من حساب الباحث.

وقد تعرضت نسبة كبار السن بالعالم الإسلامي لتغيرات كبيرة خلال الفترة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٤م على النحو التالي:-

١- الأقاليم والدول التي ارتفعت فيها هذه النسبة، وتشمل إقليم الهلال الخصيب وشمال أفريقيا (+١٪) وشبه الجزيرة "ب" (٨٪)، غربي آسيا- جنوب شرقي آسيا (+٢٪). وتنتمي إلى هذا النمط ١٦ دولة هي: فلسطين (+٦٪)، تركيا (+٤٪)، سوريا- أندونيسيا- المغرب (+٢٪)، إيران- المالديف- ماليزيا- مصر- الجزائر- جيبوتي- الصومال- تشاد- غامبيا- غينيا بيساو- نيجيريا- الجابون (+١٪).

٢- الأقاليم والدول التي انخفضت فيها هذه النسبة، وتضم إقليمي غربي أفريقيا (أ) والصحراء الكبرى (-١٪). وينتمي لهذا النمط عشر دول هي: قطر- موريتانيا (-٢٪)، الإمارات- اليمن أوغندا- ليبيا- جزر القمر- النيجر- مالي- بنين (-١٪).

٣- الأقاليم والدول التي بقيت فيها هذه النسبة ثابتة، وتشمل بقية الأقاليم والدول الإسلامية.

٤- التركيب الاقتصادي:

تنقسم الأنشطة الاقتصادية للسكان إلى ثلاثة: أولية، وثنائية، وثالثة (Stanford, 1472, P. 90-91). وتختلف نسبة المشتغلين بكل منها بين الدول والمناطق المختلفة، ففي الدول النامية تزيد نسبة المشتغلين بالأنشطة الأولية عن الثلثين إلى أربعة أخماس عدد النشطين اقتصادياً، بينما تنخفض نسبتهم في الدول المتقدمة إلى خمس السكان النشطين اقتصادياً أو أقل، وتزداد نسبتهم في القطاعات الأخرى (Ibid, P.92). ويرتبط بالأنشطة الأولية انخفاض الدخل الفردي والوطني عادة وتختلف المستوى الاجتماعي والاقتصادي، بينما يرتبط بانخفاض نسبتهم ارتفاع مستوى المعيشة وتقدم الحياة الاقتصادية والاجتماعية عادة.

وكانت الزراعة - ولا تزال - أهم الأنشطة الاقتصادية في العالم الإسلامي فضلا عن أنها تشكل حوالي تسعة أعشار قيمة الصادرات - عدا النفط - .

وقد بلغت نسبة المشتغلين بها ١, ٤٧٪ من جملة السكان على مستوى العالم الإسلامي، تنخفض إلى ٥, ٣١٪ في الشطر الآسيوي وترتفع إلى ٧, ٦٢٪ في الشطر الأفريقي من جملة السكان النشطين اقتصاديا .

وتتباين نسبة المشتغلين بالزراعة والأنشطة الأولية في الأقاليم والدول الإسلامية على النحو التالي (جدول رقم ٢٠ وشكل رقم ١٣) :-

١- الأقاليم والدول التي ترتفع فيها نسبة المشتغلين بهذه الحرفة (٥٠٪ فأكثر)، وتضم سبعة أقاليم هي: شرقي أفريقيا (٧٥٪)، الصحراء الكبرى (٧٦٪)، غربي أفريقيا "أ" (٧٠٪)، غربي أفريقيا "ب" (٦٤٪)، حوض النيل (٥٨٪)، شبه القارة الهندية (٥٦٪). وشبه الجزيرة العربية "ب" (٥٠٪). وينتمي إلى هذا النمط ٢٣ دولة.

٢- الأقاليم والدول متوسطة النسبة (٢٥- أقل من ٥٠٪)، وتضم أربعة أقاليم هي: غربي آسيا (٤٨٪) جنوب شرقي آسيا (٤٤٪)، شبه الجزيرة العربية "أ" (٣١٪) وشمال أفريقيا (٢٦٪) وينتمي إلى هذا النمط تسع دول.

٣- الأقاليم والدول منخفضة النسبة (أقل من ٢٥٪)، وتضم إقليمياً واحداً هو إقليم الهلال الخصيب (١٥٪). وينتمي إلى هذا النمط ١٢ دولة.

وقد حدث انخفاض عام في نسبة المشتغلين بالزراعة في العالم الإسلامي بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٩٣ م مما يشير إلى التقدم الاقتصادي، وبلغ هذا الانخفاض ٧, ٧٪ على مستوى العالم الإسلامي كله، و ١٤, ٥٪ بالسودان، و ١٣, ٦٪ في تونس، و ١٣, ٣٪ في تركيا، و ١٢, ٧٪ في عمان، و ١٢, ١٪ في ماليزيا،

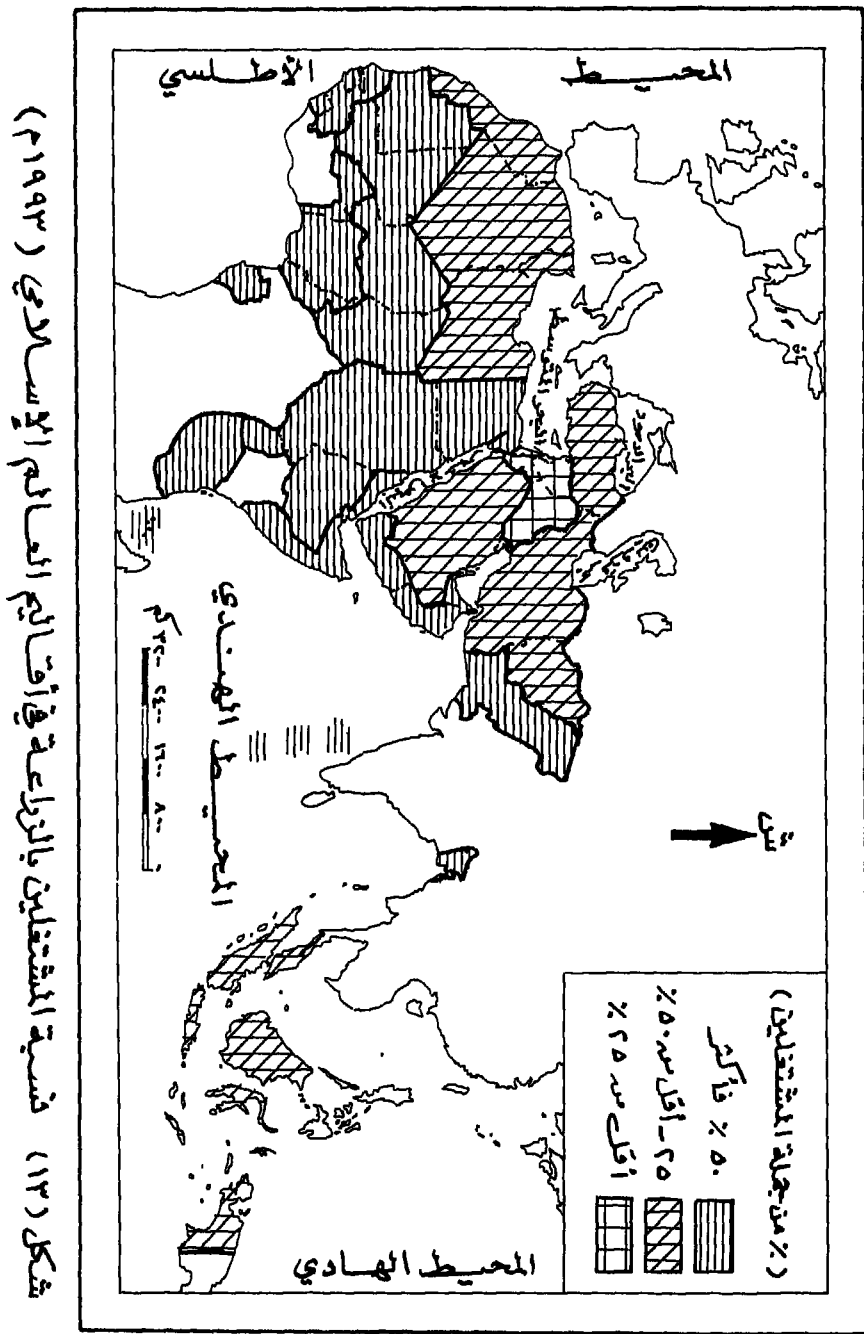
جدول رقم (٢٠) نسبة المشتغلين بالزراعة في العالم الإسلامي (١)

(% من جملة النشاطين اقتصاديا)

التغير (ج)	١٩٩٣م (ب)	١٩٨٠م (أ)	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٣م (ب)	١٩٨٠م (أ)	الإقليم/ الدولة
١٢ -	٤٤	٥٦	حوض شرقى اسيا	٩ -	٣١	٤٠	شبه الجزيرة العربية أ
١٢,١ -	٢٩,٥	٤١,٦	ماليزيا	١١,٨ -	٣٦,٦	٤٨,٤	السعودية
٠٠	٠٠	٠٠	بروناي	٠,٢ -	١,٧	١,٩	الكويت
١١,٤ -	٤٥,٨	٥٧,٢	إندونيسيا	٠,١ -	١,٨	٢,٨	قطر
٨ -	٥٨	٦٦	حوض النيل	١,٥ -	١,٥	٣,٠	البحرين
١٤,٥ -	٥٦,٦	٧١,٠	السودان	٥,١ -	٥٠	٥٥,١	شبه الجزيرة العربية ب
٧,٠ -	٧٢,٨	٧٩,٨	أثيوبيا	٢,٥ -	٢,١	٤,٦	الإمارات
٦,٨ -	٧٩,١	٨٥,٩	أوغندا	١٢,٧ -	٣٧,٢	٤٩,٩	عمان
٦,٧ -	٣٩,٠	٤٥,٧	مصر	٧,٩ -	٥٣,٧	٦١,٦	اليمن
١١ -	٢٦	٣٧	شمالي أفريقيا	٩,٥ -	١٥	٢٤,٥	الهلال الحصب
٥,٣ -	١٢,٩	١٨,٢	ليبيا	١٢,٠ -	١٨,٤	٣٠,٤	العراق
١٣,٦ -	٢١,٤	٣٥,٠	تونس	٢,٤ -	٣,٨	٦,٢	فلسطين
٨,٣ -	٢٢,٨	٣١,١	الجزائر	٦,٩ -	٧,٤	١٤,٣	لبنان
١١,٦ -	٣٤,٠	٤٥,٦	المغرب	٩,٩ -	٢٢,٥	٣٢,٤	سوريا
٨ -	٧٥	٨٣	شرقي أفريقيا	٥,٣ -	٤,٩	١٠,٢	الأردن
٠٠	٠٠	٠٠	حيوتي	٣ -	٤٨	٥١	عربي اسيا
٧,١ -	٦٨,٤	٧٥,٥	الصومال	١٣,٣ -	٤٥,٦	٥٨,٩	تركيا
٦,٤ -	٧٩,٢	٨٥,٦	تنزانيا	١١,٠ -	٢٥,٤	٣٦,٤	إيران
٥,٢ -	٧٧,٧	٨٢,٩	حزر القمر	٨,٣ -	٥٢,٧	٦١,٠	أفغانستان
٩ -	٧٦	٨٥	الصحراء الكبرى	٩ -	٥٦	٦٥	شبه القارة الهندية
١١,٨ -	٧١,٥	٨٣,٣	تشاد	٦,٤ -	٤٨,٢	٥٤,٦	باكستان
٥,٢ -	٨٥,٩	٩١,١	البيجر	٨,٣ -	٦٦,٥	٧٤,٨	سجلاديش
				٠٠	٠٠	٠٠	المالديف

تابع جدول رقم (٢٠)

التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة	التغير (ج)	١٩٩٤م (ب)	١٩٧٩م (أ)	الإقليم/ الدولة
٧-	٦٤	٧١	عربي أفريقيا «ب»	٦,٣-	٧٩,٢	٨٥,٥	مالي
٧,٦-	٥٨,٦	٧٠,٢	سين	٦,١-	٦٣,٢	٦٩,٣	موريتانيا
٤,٤-	٦٣,٧	٦٨,١	بيجيريا	٨-	٧٠	٧٨	عربي أفريقيا «أ»
١١,٤-	٥٨,٤	٦٩,٨	الكامرون	٢,٨-	٧٧,٧	٨٠,٥	السنغال
٣,١-	٨٣,٦	٨٦,٧	بوركينا فاسو	٤,٠-	٨٠,٠	٨٤,٠	غامبيا
١٠,٤-	٦٥,٠	٧٥,٤	الجانون	٤,٨-	٧٧,٤	٨٢,٢	غينيا بيساو
٧,٧-	٤٧,١	٥٤,٨	العالم الإسلامي	٩,٦-	٦٠,٠	٦٩,٦	سيراليون
				٨,٩-	٧١,٨	٨٠,٧	غينيا



شكل (١٢) نسبة الممتثلين بالزراعة في أوقات الممتثلين الإيسلامي (١٩٩٣م)

و ١٢٪ في العراق، ١١,٨٪ في السعودية وتشاد، و ١١,٦٪ في المغرب وبنين، و ١١,٤٪ في الكمرون وأندونيسيا، و ١١٪ في إيران، و ١٠,٤٪ في الجابون. بينما تراوحت نسبة الانخفاض بين ٥٪ وأقل من ١٠٪ في عشرين دولة أخرى هي: سوريا- سيراليون- غينيا- بنجلاديش- أفغانستان- الجزائر- اليمن- الصومال- أثيوبيا- لبنان- أوغندا- مصر- باكستان- تنزانيا- مالي- موريتانيا - ليبيا- الأردن- جزر القمر والنيجر. وكان الانخفاض أقل من ٥٪ في تسع دول هي: غينيا بيساو- ونيجيريا- غامبيا- بوركينافاسو- السنغال- الإمارات- فلسطين- البحرين وقطر.

وقد أوضحت دراسة علاقة الارتباط بين الدخل الفردي ونسبة المشتغلين بالزراعة في أقاليم العالم الإسلامي أن هناك علاقة ارتباط عكسية قوية بينهما حيث يبلغ معامل الارتباط (-٨٧,٠)، بمعنى أنه كلما انخفض الدخل الفردي ارتفعت نسبة المشتغلين بالزراعة بدرجة قوية، والعكس صحيح.

٥- التركيب الثقافي:

أ- نسبة الأمية:

وتعني عدم القدرة على القراءة والكتابة (Tyewurtha,1972,p.190)، وتسود بين البالغين، وبلغت نسبتها في العالم الإسلامي ٤٩٪ من جملة السكان فوق ١٥ سنة عام ١٩٨٧م وهي نسبة تضع العالم الإسلامي ضمن النمط منخفض الأمية الذي تقل فيه النسبة عن ٥٠٪ من جملة السكان (حميدة، ١٤٠٠هـ ص ٦٥-٦٦). وتنخفض هذه النسبة إلى ٣١,٥٪ في الشطر الآسيوي، بينما ترتفع إلى ٦٦,٢٪ في الشطر الأفريقي. أما في الأقاليم والدول الإسلامية فيمكن إبراز الأنماط الآتية (جدول رقم ٢١ وشكل رقم ١٤):-

جدول رقم (٢١) نسبة الأمية في العالم الإسلامي (١)
(% من جملة السكان ١٥ سنة فأكثر)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩ م (١)	١٩٨٧ م (ب)		
		العام	الذكور	الإناث
شبه الجزيرة العربية ^أ	٦٥,٠	٢٥,٠	١٨,٣	٣٣,١
السعودية	٧٥,٠	٤٨,٩	٢٨,٩	٦٩,٢
الكويت	٤٠,٠	١٠,٧	٩,٨	١٢,٥
قطر	-	٢٤,٣	٢٣,٢	٢٧,٥
البحرين	٨٠,٠	١٥,٩	١١,٤	٢٣,٠
شبه الجزيرة العربية ^ب	٨٨,٥	-	-	-
الإمارات	-	٢٨,٨	٢٧,٧	٣١,٣
عمان	٩٥,٠	-	-	-
اليمن	٨٢,٠	-	-	-
الهلال الخصيب	٥٥,٠	١٨,١	١٢,٨	٢٥,٢
العراق	٧٥,٠	١٠,٧	٩,٨	١٢,٥
فلسطين	١٠,٠	٠,٥	٠,٤	٠,٦
لبنان	٩٥,٠	-	-	-
سوريا	٥٠,٠	٤٤,٤	٢٦,٤	٦٣,٠
الأردن	٤٥,٠	١٦,٨	٩,٢	٢٤,٩
عربي آسيا	٨٧,٥	٤٦,٠	٣٥,١	٥٦,٧
تركيا	٣٥,٠	٢٠,٨	١٠,١	٣١,٥
إيران	٥٠,٠	٣٤,٣	٢٥,٦	٤٣,٦
أفغانستان	٩٠,٠	٨١,٨	٦٩,٧	٩٥,٠
شبه القارة الهندية	٦٤,٠	٥١,٠	٤٤,٦	٥٨,٦
باكستان	٧٩,٠	٧٤,٣	٦٤,٦	٨٥,٢
بنجلاديش	٨٠,٠	٧٠,٨	٦٠,٣	٨٢,٠
المالديف	٣٤,٠	٨,٧	٨,٨	٨,٥

تابع جدول رقم (٢١)

١٩٨٧م (ب)				١٩٧٩م	الإقليم/ الدولة
التغير (ج)	الإناث	الذكور	العامة	(١)	
١٥,٠ -	٢٧,٥	١٣,٢	٢٠,٠	٣٥,٠	جنوب شرقي آسيا
٠,٤ -	٤٠,٣	٢٠,٤	٣٠,٤	٣٠,٠	ماليزيا
-	١٧,٥	٧,٥	١٢,٢	-	بروناي
٢١,٦ -	٢٤,٧	١١,٧	١٨,٤	٤٠,٠	إندونيسيا
٢٠,٠ -	٧١,٣	٤٩,١	٦٠,٠	٨٠,٠	حوض النيل
١٧,٤ -	٧٩,٠	٥٥,٥	٦٧,٦	٨٥,٠	السودان
١٤,٣ -	٨٣,٦	٦٧,٣	٧٥,٧	٩٠,٠	إثيوبيا
٣١,١ -	٥٥,٢	٣١,٨	٤٣,٩	٧٥,٠	أوغندا
٢٥,٨ -	٦٧,٢	٤١,٦	٥٤,٢	٧٠,٠	مصر
٣٧,٠ -	٦١,٠	٣٣,٠	٤٧,٠	٨٤,٠	شمال أفريقيا
٥٠,١ -	٥٧,٧	٢٣,١	٣٩,٩	٩٠,٠	ليبيا
٤١,٣ -	٥٤,٨	٣٠,٨	٤٢,٧	٨٤,٠	تونس
٣٠,٦ -	٦٤,٢	٣٦,٦	٥٠,٤	٨١,٠	الجزائر
٢٥,٨ -	٦٧,٢	٤١,٦	٥٤,٢	٨٠,٠	المغرب
٩,٠ -	-	-	٥٣,٠	٦٢,٠	شرقي أفريقيا
-	-	-	-	٩٥,٠	الصومال
٣,٧ +	٦٨,٦	٣٧,٨	٥٣,٧	٥٠,٠	تنزانيا
١٢,١ +	٦٠,٠	٤٤,٠	٥٢,١	٤٠,٠	حزر القمر
٧,٠ -	-	-	٨١,٥	٨٨,٥	الصحراء الكبرى
-	-	-	-	٨٠,٠	تشاد
٠,١ +	٩٤,٦	٨٣,١	٨٩,١	٨٩,٠	البيجر
٠,٦ +	٩٤,٣	٨٦,٥	٩٠,٦	٩٠,٠	مالي
٣٠,١ -	٧٥,٤	٥٣,٩	٦٤,٩	٩٥,٠	موريتانيا

تابع جدول رقم (٢١)

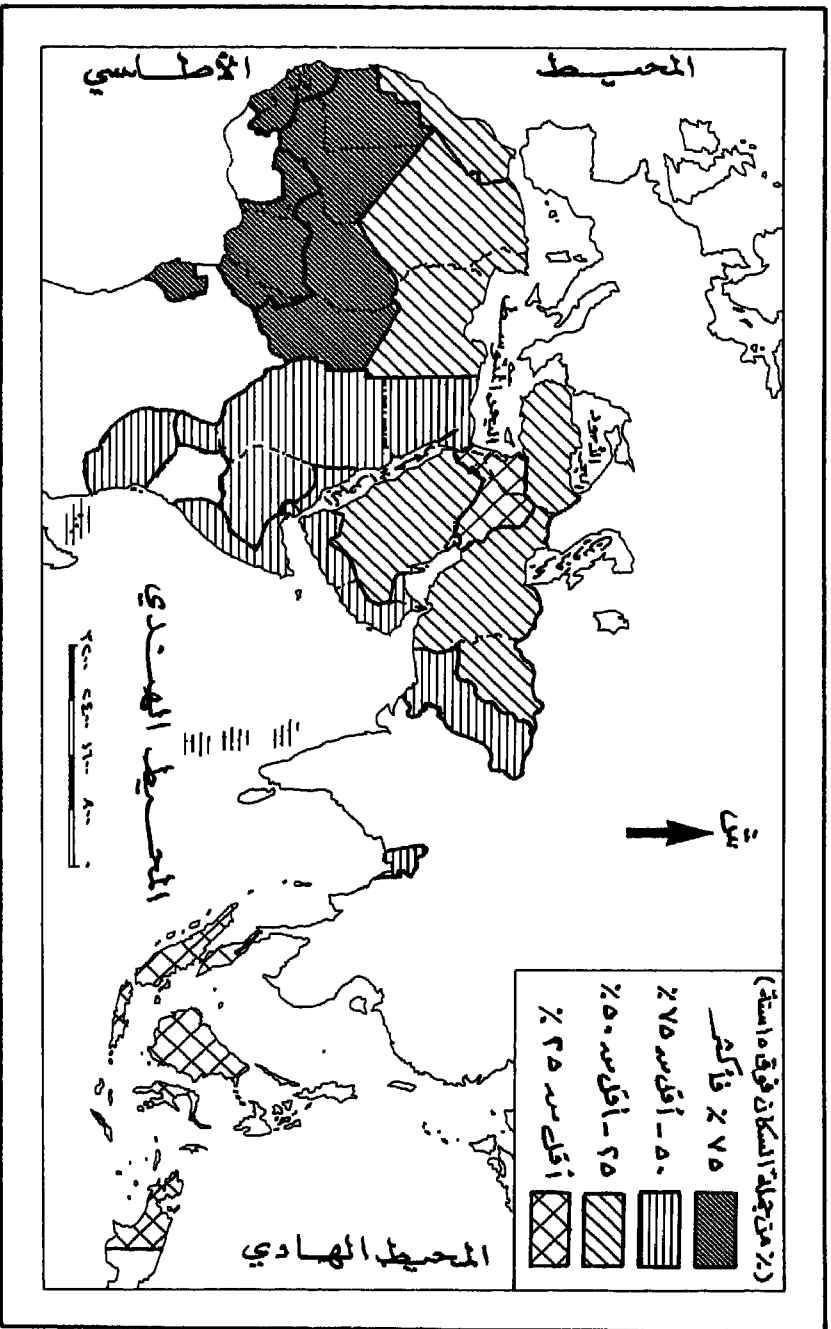
الإقليم / الدولة	١٩٧٩ م (أ)	١٩٨٧ م (ب)		
		التغير (ج)	الإناث	الذكور
عربي أفريقيا «أ»	٨٩,٠	-	-	٧٨,٠
السنغال	٨٥,٠	-	٦٣,١	٧٣,١
غامبيا	٨٠,٠	-	-	-
غينيا بيساو	٩٩,٠	-	٦٦,٧	٨٠,٠
سيراليون	٩٠,٠	-	-	٨٠,٠
غينيا	٧٦,٠	-	-	٧٨,٠
عربي أفريقيا «ب»	٩٥,٠	-	٧٤,٨	٨٣,٥
نيجر	٧٥,٠	-	-	-
بجيريا	٨٥,٠	-	٤٥,٤	٥٨,٨
الكامرون	٩٥,٠	-	٨٥,٣	٩١,٢
نورث كينيا فاسو	٣٠,٠	-	-	-
الخطيون	٦٠,٠	-	-	٤٩,٠
العالم الإسلامي	٦٠,٠	-	-	٤٩,٠

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

أ - المطري، (١٩٨٤ م)، دراسات في سكان العالم الإسلامي، الجدول رقم (٥٢)، ص ص، ٤٢٨ - ٤٢٩.

ب - F.A.O.(1994) YEARBOOK, PRODUCTION - 1993, VOL., - 47. PP. 19-31.

ج- من حساب الباحث.



نسبة الأهمية في أقاليم العالم الإسلامي (٢١٩٨٧)

شكل (١٤)

١- النمط المرتفع الأمية جدا (٧٥٪ فأكثر)، ويضم ثلاثة أقاليم هي: الصحراء الكبرى (٨٢٪)، غربي أفريقيا (أ)، غربي أفريقيا (ب) (٧٨٪)، - وينتمي إلى هذا النمط ثماني دول هي: بوركينا فاسو (٩١٪، ٢)، مالي (٩٠٪، ٦)، النيجر (٨٩٪، ١)، بنين (٨٣٪)، أفغانستان (٨١٪، ٨)، غينيا وغينيا بيساو (٨٠٪)، أثيوبيا (٧٥٪، ٧).

٢- النمط المرتفع الأمية (٥٠- أقل من ٧٥٪)، ويضم ثلاثة أقاليم هي: حوض النيل (٦٠٪)، شرقي أفريقيا (٥٣٪)، شبه القارة الهندية (٥١٪)، وينتمي إلى هذا النمط ١١ دولة إسلامية هي: باكستان (٧٤٪، ٣)، السنغال (٧٣٪، ١)، بنجلاديش (٧٠٪، ٨)، السودان (٦٧٪، ٦)، موريتانيا (٦٤٪، ٩)، الكمرون (٥٨٪، ٨)، مصر- المغرب (٥٤٪، ٢)، تنزانيا (٥٣٪، ٧)، جزر القمر (٥٢٪، ١)، الجزائر (٥٠٪، ٤).

٣- النمط متوسط الأمية (٢٥- أقل من ٥٠٪)، ويضم أربعة أقاليم هي: شمالي أفريقيا (٤٧٪)، غربي آسيا (٤٦٪)، شبه الجزيرة العربية (ب) (٢٩٪)، شبه الجزيرة العربية (أ) (٢٥٪). وينتمي إلى هذا النمط ثماني دول هي: السعودية (٤٨٪، ٩)، سوريا (٤٤٪، ٤)، أوغندا (٤٣٪، ٩)، تونس (٤٢٪، ٧)، إيران (٣٤٪، ٣)، ليبيا (٣٩٪، ٩)، ماليزيا (٣٠٪، ٤)، الإمارات (٢٨٪، ٨).

٤- النمط منخفض الأمية (أقل من ٢٥٪)، ويضم إقليمين هما: الهلال الخصيب (١٨٪، ١) وجنوب شرقي آسيا (٢٠٪). وينتمي إليه عشر دول هي: فلسطين (٠٪، ٥)، العراق الكويت (١٠٪، ٧)، المالديف (٨٪، ٧)، بروناي (١٢٪، ٢)، البحرين (١٥٪، ٩)، الأردن (١٦٪، ٨)، أندونيسيا (١٨٪، ٤)، تركيا (٢٠٪، ٨)، قطر (٢٤٪، ٣).

وتزداد نسبة الأمية بين الإناث أكثر منها بين الذكور في العالم الإسلامي .
ففي سوريا تزيد نسبة الأميين بنحو ٤, ٢ مرة، كما تبلغ نسبة الأميات في تركيا
ثلاثة أضعاف نسبة الذكور الأميين، وتبلغ نسبة الأميات في ماليزيا ضعف نسبة
الأميين، وتبلغ ٥, ٢ ضعف نسبة الأميين في ليبيا، وإن كانت تقل نسبتهم في
المالديف عن نسبة الذكور (٥, ٨٪ : ٨, ٨٪ على التوالي).

وقد حدث انخفاض واضح في نسبة الأمية بالعالم الإسلامي خلال الفترة
١٩٧٩ - ١٩٨٧م فقد بلغ الانخفاض ١١٪ بالعالم الإسلامي كله، وتراوحت بين +
٥.٠٪ إلى أقل من ١٠.٠٪ في الدول الإسلامية على النحو التالي :-

١- دول شهدت انخفاضا كبيرا في نسبة الأمية، عددها أربع هي : البحرين
(١-، ٦٤٪)، العراق (٣-، ٦٤٪)، ليبيا (١-، ٥٠٪)، تونس (٣-، ٤١٪).

٢- دول شهدت انخفاضا متوسطا (٣٢٪ - ٢٥٪)، وتضم عشرين دولة هي :
أوغندا (١-، ٣٪)، المغرب- الجزائر (٦-، ٣٠٪)، موريتانيا (١-، ٣٠٪)،
الكويت (٣-، ٢٩٪)، الأردن (٢-، ٢٨٪)، الكمرون (٢-، ٢٦٪)، السعودية
(١-، ٢٦٪)، مصر (٨-، ٢٥٪)، المالديف (٣-، ٢٥٪)، أندونيسيا (٦-، ٢١٪)،
غينيا بيساو (١٩٪)، السودان (٤-، ١٧٪)، إيران (٧-، ١٠٪)، أثيوبيا
(٣-، ١٤٪)، تركيا (٢-، ١٤٪)، جزر القمر (١-، ١٢٪)، السنغال
(٩-، ١١٪)، بنين (٥-، ١١٪)، غينيا (١٠-٪).

٣- دول شهدت انخفاضا بسيطا (١٠٪)، وتضم ست دول هي : فلسطين
(٥-، ٩٪)، بنجلاديش (٢-، ٩٪)، أفغانستان (٢-، ٨٪)، سوريا (٦-، ٥٪)،
باكستان (٧-، ٤٪)، بوركينا فاسو (٨-، ٣٪).

وعلى عكس ذلك حدث ارتفاع في نسبة الأمية في بعض الدول مثل
ماليزيا (+٤، ١٪)، تنزانيا (+٧، ٣٪)، وجزر القمر (+١٢، ١٪)، والنيجر
(١، ٠٪)، ومالي (+٦، ٠٪)، إما بسبب انخفاض التقدير الأول للأمية أو
بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

ويفسر ارتفاع نسبة الأمية في المرحلة الأولى (عام ١٩٧٩م) بآثار الاستعمار الذي حارب التعليم ليسهل عليه قيادة الشعوب المستعمرة، أو لارتفاع رسوم الحصول على التعليم، أو لإهمال محو أمية الكبار، أو لنقص الإمكانيات المادية والبشرية للسلطات الحاكمة، أو لقلّة الدخول الفردية وسيادة الحرف الأولية.

أما انخفاض نسبة الأمية بعد ذلك فيرجع إلى الجهود الضخمة المبذولة من جانب الحكومات لخفض نسبة الأمية ونشر التعليم الأولي سواء بالمجان أو بالإلزام.

ومن دراسة علاقة الارتباط بين الأمية والدخل الفردي تظهر علاقة عكسية قوية بينهما، حيث يبلغ معامل الارتباط (-٠,٧٦)، بمعنى أن قلة الدخل الفردي تؤدي إلى ارتفاع نسبة الأمية، والعكس صحيح.

ب- التعليم الجامعي:

تشير هذه النسبة إلى جانب من التركيز الثقافي للسكان، وتبلغ نسبة طلبة الجامعات في العالم الإسلامي ٦٧٥ طالبا من بين كل ١٠٠,٠٠٠ نسمة من السكان، أو ما يعادل ٠,٦٨٪ من جملة سكان العالم الإسلامي. وترتفع هذه النسبة في الشطر الآسيوي إلى ٩٥٦ طالبا لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة بنسبة ٠,٩٪ تقريبا، بينما تنخفض إلى ٣٩٤ طالبا لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة في الشطر الأفريقي. أما في الأقاليم والدول الإسلامية فتتباين هذه النسبة على النحو التالي (جدول رقم ٢٢):

١- الأقاليم والدول ذات النسبة المرتفعة، وتضم أربعة أقاليم هي: الهلال الخصيب (١٦٤٩ طالبا لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة)، أو طالبين من كل ١٠٠ شخص، وإقليم شمالي أفريقيا (١٠٩٨ طالبا لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة)، ثم إقليم غربي آسيا (١١٧٨ لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة)، وإقليم شبه الجزيرة العربية "أ" (١٠٩٥ طالبا لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة). وينتمي إلى هذا النمط ١٦ دولة.

٢- الأقاليم والدول متوسطة النسبة، وتضم إقليمياً واحداً هو إقليم حوض النيل (٧٢٥ طالباً لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة). وإلى هذا النمط تنتمي ثلاث دول.

٣- الأقاليم والدول منخفضة النسبة (أقل من ٥٠٠ طالب لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة) وتضم ستة أقاليم هي شرقي أفريقيا (٦٣ طالباً لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة)، الصحراء الكبرى (٨٤ طالباً لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة)، وشبه الجزيرة العربية "ب" (٤٥٢ طالباً لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة)، شبه القارة الهندية (٤٨٧ طالباً لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة) جنوب شرقي آسيا (٢٣٢ طالباً لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة). وتنتمي إلى هذا النمط ٢٢ دولة إسلامية.

وبدراسة علاقة الارتباط بين الدخل الفردي وطلبة الجامعات في أقاليم العالم الإسلامي اتضح وجود علاقة ارتباط موجبة متوسطة بينهما، إذ بلغ معامل الارتباط بينهما (+٧١)، بمعنى أنه كلما زاد الدخل الفردي زاد عدد طلبة الجامعات بدرجة متوسطة، والعكس صحيح.

ج- نسبة الإناث بمراحل التعليم المختلفة:

يشير ارتفاع هذه النسبة إلى تقدم المجتمع وانفتاحه وإقباله على تعليم إناثه، والعكس صحيح. وتبلغ هذه النسبة في العالم الإسلامي كله ٣٣٪ من جملة عدد الطلبة والطالبات بالمراحل التعليمية الجامعية، ترتفع في الشطر الآسيوي إلى ٤١,٧٪ بينما تنخفض في الشطر الأفريقي إلى ٢٢,٥٪، وتتباين في الأقاليم والدول الإسلامية علي النحو التالي (جدول رقم ٢٣):-

جدول رقم (٢٢) نسبة طلبة الجامعات بين سكان العالم الإسلامي (١)

(طالب لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة - عام ١٩٩٢/٩١م)

النسبة	الإقليم/ الدولة	النسبة	الإقليم/ الدولة	النسبة	الإقليم/ الدولة
٦٣ (ب)	شرق أفريقيا	٤٨٧ (ب)	شبه القارة الهندية	١٠٩٥ (ب)	شبه الجزيرة العربية أ
١٩٥	الصومال	٢٢٦	باكستان	١٠٦٤	السعودية
٢١	تنزانيا	٢٥٩	بنغلاديش	١١٣٥	الكويت
٨٤ (ب)	الصحراء الكبرى	١٠٣٢	المالديف	١٦٠٨	قطر
٧٠	تشاد	٢٣٢ (ب)	جنوب شرقي اسيا	١٤٥٦	البحرين
٦٠	البحر	٦٧٩	ماليزيا	٤٥٢ (ب)	شبه الجزيرة العربية ب
٧٣	مالي	٣٨٢	بروناي	٦٣٧	الإمارات
٢٨١	موريتانيا	٠٠	إندونيسيا	٤٦٣	عمان
١٨٢	عربي أفريقيا أ	٧٢٥	حوض النيل	٤٣٨	اليمن
٢٦٦	السفال	٢٥٨	السودان	١٦٤٩ (ب)	الهلال الخصيب
١١٤	سيراليون	٦٦	أثيوبيا	١٢٤٠	العراق
١٢٢	غيبيا	١١٥	أوغندا	٢٧٩٠	فلسطين
٢٩٠	عربي أفريقيا ب	١٦٩٧	مصر	٣٠٧١	لبنان
٢٣٥	بين	١٠٩٨	شمال أفريقيا	١٦٩٥	سوريا
٣٢٠	نيجيريا	١٥٤٨	ليبيا	١١٣٥	الأردن
٢٨٨	الكامرون	١٠٤٥	تونس	١١٧٨ (ب)	عربي اسيا
٦٠	بوركينافاسو	١١٦٣	الجزائر	١٥٦٩	تركيا
٣٦٨	الجانون	٩٥٨	المغرب	١٠٦١	إيران
٦٧٥ (ب)	العالم الإسلامي			٢٥٠	أفغانستان

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

أ - U. NESCO., (1994), WORLD POPULATION.

ب - من حساب الباحث.

١- الأقاليم والدول مرتفعة النسبة وفيها تبلغ نسبة الإناث أكثر من ٥٠٪ من جملة الطلبة والطالبات، ولا تضم أي إقليم في العالم الإسلامي لكن هناك سبع دول تنتمي إلى هذا النمط هي: الإمارات (٧٨٪)، قطر (٧١٪)، الكويت (٧٠٪)، بروناي (٥٥٪)، البحرين (٥٤٪)، عُمان (٥٣٪)، فلسطين (٥١٪).

٢- الأقاليم والدول متوسطة النسبة وفيها تتراوح نسبة الإناث بين ثلث ونصف عدد الطلبة والطالبات، وتضم خمسة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "أ" (٤٩٪)، جنوب شرقي آسيا (٣٣٪)، الهلال الخصيب (٣٧٪)، شمالي أفريقيا (٣٤٪)، غربي آسيا (٣٤٪). ويتتمي إلى هذا النمط عشر دول.

٣- الأقاليم والدول منخفضة النسبة وفيها تشكل الإناث أقل من ثلث عدد الطلبة والطالبات، وتضم سبعة أقاليم هي: حوض النيل (٣٨٪)، شبه القارة الهندية (٢٢٪) غربي أفريقيا "ب" (٢٥٪)، شرقي أفريقيا (١٧) وغربي أفريقيا "أ" (١٦)، والصحراء الكبرى (١٣٪) وشبه الجزيرة العربية "ب" (٢١٪). وتنتمي إلى هذا النمط ٢٦ دولة.

وقد اتضح من دراسة علاقة الارتباط بين مستوى التقدم - المعبر عنه بمعدل الدخل الفردي - وبين نسبة الإناث بالجامعات وجود علاقة ارتباط موجبة قوية بينهما في أقاليم العالم الإسلامي، إذ بلغ معامل الارتباط (+٨٨,٠)، بمعنى زيادة نسبة الإناث كلما زاد الدخل الفردي، والعكس صحيح.

أما في التعليم الثانوي فتبلغ نسبة الإناث ٣٩٪، ترتفع في الشطر الآسيوي إلى ٤١٪ بينما تنخفض في الشطر الأفريقي إلى ٣٧٪، وتختلف هذه النسبة في الأقاليم والدول الإسلامية على النحو التالي (جدول رقم ٢٤):-

جدول رقم (٢٣) نسبة الإناث بين طلبة الجامعات

في العالم الإسلامي (١) (عام ١٩٩١م)

النسبة	الإقليم/ الدولة	النسبة	الإقليم/ الدولة	النسبة	الإقليم/ الدولة
١٧ (ب)	شريقي أفريقيا	٢٢ (ب)	شبه القارة الهندية	٤٩ (ب)	شبه الجزيرة العربية «أ»
٢٠	الصومال	٢٤	باكستان	٤٦	السعودية
١٦	تنزانيا	٢٠	بنغلاديش	٧٠	الكويت
١٦	إرتيريا	٣٣ (ب)	جنوب شرقي آسيا	٧١	قطر
١٣ (ب)	الصحراء الكبرى	٤٥	ماليزيا	٥٤	البحرين
٩	تشاد	٥٥	بروناي	٢١ (ب)	شبه الجزيرة العربية «ب»
١٥	البحر	٣٢	إندونيسيا	٧٨	الإمارات
١٤	مالي	٢٨ (ب)	حوض النيل	٥٣	عمان
١٤	موريتانيا	٤١	السودان	١١	اليمن
١٦ (ب)	عربي أفريقيا «أ»	١٦	أثيوبيا	٣٧ (ب)	الهلال الخصيب
٢٢	النمغال	٢٥	أوغندا	٣٢	العراق
١٩	سيراليون	٣٥	مصر	٥١	فلسطين
١٠	عيبا	٣٤ (ب)	شمال أفريقيا	٤٨	لبنان
٢٥ (ب)	عربي أفريقيا «ب»	٤٦	ليبيا	٣٢	سوريا
١٥	ننن	٤١	تونس	٤٣	الأردن
٢٧	بيجيريا	٣١	الجزائر	٣٤ (ب)	عربي آسيا
١٥	الكمرون	٣٢	المغرب	٣٧	تركيا
٢٢	بوركينافاسو	٣١		٢٩	إيران
٢٨	الجابون	٣٢		٤٢	أفغانستان
٣٣ (ب)	العالم الإسلامي				

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

١ - U. NESCO., (1994), WORLD POPULATION.

ب - من حساب الباحث.

١- الأقاليم والدول مرتفعة النسبة (وفيها تبلغ نسبة الإناث ٤٠٪ فأكثر)، وتضم ثمانية أقاليم هي: غربي أفريقيا "ب" (٥٣٪)، جنوب شرقي آسيا، (٤٥٪) وشبه الجزيرة العربية "أ" وحوض النيل (٤٥٪)، الهلال الخصيب (٤٠٪) وغربي آسيا (٤٠٪)، وشمال أفريقيا وشرقي أفريقيا (٤٢٪). وتنتمي إلى هذا النمط ٢٨ دولة.

٢- الأقاليم والدول متوسطة النسبة (وفيها تتراوح نسبة الإناث ما بين ٢٥- أقل من ٤٠٪)، وتضم ثلاثة أقاليم هي: شبه القارة الهندية (٣٢٪)، غربي أفريقيا "أ" (٣١٪)، الصحراء الكبرى (٣٢٪)، وتنتمي إلى هذا النمط ١٥ دولة.

٣- الدول المنخفضة النسبة (وفيها تشكل الإناث أقل من ٢٥٪) وتضم دولتين هما تشاد (١٨٪)، واليمن (٢٢٪). كما تضم اقليم شبه الجزيرة "ب" (٢٤٪). أما في المرحلة الابتدائية فتبلغ نسبة الإناث ٥٠٪ في إثيوبيا، ٥٢٪ في الجابون، كما تتراوح بين النصف والثلث في معظم الدول الإسلامية، ولانقل عن الثلث إلا في عدد محدود من الدول مثل المغرب (٢٩٪).

٦- الحالة الزوجية:

يشير ارتفاع نسبة الزواج وانخفاض نسبة الطلاق إلى تماسك المجتمع والتزامه بالمبادئ الدينية، والعكس صحيح. ويتميز العالم الإسلامي بارتفاع نسبة الزواج وانخفاض نسبة الطلاق، وذلك على النحو التالي (جدول رقم ٢٥):-

١- نسبة الزواج:-

ترتفع نسبة الزواج في معظم الدول الإسلامية بخاصة تلك التي تقل نسبة الأجانب فيها وتبلغ هذه النسبة أعلاها في المالديف (١٨,١ في الألف)، تليها بنجلاديش (١١,٣ في الألف)، وتصل ٧,٧ في الألف في سوريا، ٧,٥ في الألف في إيران، ٧,٢ في الألف في بروناي، ٦,٩ في الألف في تونس، ٦,٥ في فلسطين، بينما تبلغ ٥,٤ في الألف في الكويت و ٥,٨ في الألف في البحرين و ٤,٥ في الألف في ليبيا، ٣,٢ في الألف في ماليزيا، ٢,٨ في الألف في قطر.

جدول رقم (٢٤) نسبة الإناث في مراحل التعليم الثانوية والابتدائية
في العالم الإسلامي (%) للفترة (١٩٩١-١٩٩٢م)

الثانوي	الابتدائي	الإقليم/ الدولة	الثانوي	الابتدائي	الإقليم/ الدولة
٤٥	٤٩	جنوب شرقي اسيا	٤٥ (ب)	٥٠	شبه الجزيرة العربية أ.
٥١	٤٩	ماليزيا	٤٤	٥٠	السعودية
٥١	٤٧	بروناي	٤٩	٤٩	الكويت
٤٥	٥٠	إندونيسيا	٥٠	٤٥	قطر
٤٥	٤٨	حوض النيل	٥٠	٤٨	البحرين
٤٤	٤٧	السودان	٢٤	٤٩	شبه الجزيرة العربية ب.
٤٦	٥٠	أثيوبيا	٥١	٤٨	الإمارات
٣٤	٥٠	أرعدنا	٤٦	٤٥	عمان
٤٥	٤٩	مصر	٢٢	٤٩	اليمن
٤٢	٤١	شمالي أفريقيا	٤٠	٤٧	الهلال الخصيب
٥٦	٤٦	ليبيا	٣٨	٤٨	العراق
٤٥	٥٠	تونس	٥١	٥٠	فلسطين
٤٥	٤٩	الجزائر	٥٣	٤٩	لبنان
٤١	٢٩	المغرب	٤٤	٤٦	سوريا
٤٢	٥٦	شرقي أفريقيا	٥٠	٤٦	الأردن
٤٣	٥٠	حيوتي	٤٠	٤٨	عمري اسيا
٣٥	٥٧	الصومال	٣٨	٤٧	تركيا
٤٤	٥٠	ترانبا	٤٣	٤٨	إيران
٣٩	٣٨	حرر القمر	٤٧	٤٩	أفغانستان
٣٢	٥٠	الصحراء الكبرى	٣٢ (ب)	٤٥	شبه القارة الهندية
١٨	٥٠	تشاد	٢٩	٥٠	باكستان
٢٩	٤٨	البحر	٣٣	٤٥	سحلاديش
			٤٩	٤٨	المالديف

«تابع» جدول رقم (٢٤)

التاوي	الابتدائي	الإقليم / الدولة	التاوي	الابتدائي	الإقليم / الدولة
٥٣	٤٧	عربي أفريقيا «ب»	٣٢	٠٠	مالي
٢٩	٤٥	نيجيريا	٣٣	٠٠	موريتانيا
٥٥	٠٠	نيجيريا	٣١	٤٩	عربي أفريقيا «أ»
٤١	٤٩	الكامرون	٣٥	٤٩	السنغال
٣٥	٤٤	بوركينافاسو	٣٥	٠٠	غامبيا
٥٤	٥١	الجابون	٣٢	٠٠	غينيا بيساو
٣٩	٤١	العالم الإسلامي	٣٧	٠٠	سيراليون
			٢٥	٤٩	غينيا

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

U. NESCO., (1994), STATISTICAL YERU BOOK, 1994 T. - ١
303, PP.73 - 85, T. 308, PP.160 - 209.

ب - من حساب الباحث .

٢- نسبة الطلاق :

تنخفض نسبة الطلاق في العالم الإسلامي بسبب التمسك بالتعاليم الدينية، وتصل هذه النسبة إلى أدناها في تركيا (٤٦ ، ٠ في الألف) أو ٤٦ حالة طلاق لكل ١٠٠,٠٠٠ من المتزوجين، كما تبلغ ٦,٠ في الألف في إيران وليبيا، ٧٤,٠ في الألف في قطر، ٧٢,٠ في الألف في بروناي، ٤٢,١ في الألف في مصر، ٢٦,١ في الألف في الأردن، ٢٨,١ في الألف في فلسطين و ١٧,١ في الألف في البحرين، ٤٦,١ في الألف بالكويت، وترتفع إلى ٥٦,١١ في الألف بالمالديف عام ١٩٩٢م.

التركيب اللغوي

اللغة أساس جيد لتصنيف السكان (Clarke, 1976, p.100)، فهي أساس التقاليد والشعور المشترك، وهي أساس الوحدة الحضارية والثقافية، والمتطلب الرئيسي للمجتمعات باعتبارها أداة الأفكار وحفظ التراث ونقله للأجيال المقبلة، وبدونها لا يمكن صيانة الحياة وصياغة النظم القانونية والدين والعلم، وهي جزء من الحضارة يتم بواسطتها تعرف الشخص على نفسه كعنصر من مجموعة اجتماعية معينة، ولذا تختلف في صفاتها وخصائصها من مجموعة بشرية إلى أخرى (Gveenberg, 1961, p. 156). وتعد الاختلافات اللغوية عاملاً مهماً في الصعوبات التي واجهت بعض الدول- مثل باكستان الغربية والشرقية (سابقاً)- كما أنها سببت اضطرابات سياسية بالأرخبيل الأندونيسي وأفريقيا الإسلامية (Clarke, 1976, p.102) ويضم العالم الإسلامي العديد من الفصائل اللغوية. ففي الشطر الآسيوي ست فصائل كبرى هي: المجموعة الأوروبية - الهندية في وسط آسيا، والمجموعة السامية بجنوبي غربي آسيا، ومجموعة الملايو بولينيزيا في جنوب شرقي آسيا، والمجموعة الدرافيدية في جنوبي الهند (Cressey, 1975, p.12). والمجموعة القوقازية - الأيبيرية بمنطقة القوقاز، والمجموعة الألطية - الأريالية بآسيا الوسطى.

جدول رقم (٢٥) معدلات الزواج والطلاق في بعض الدول الإسلامية عام ١٩٩٢م (١)

الدولة	نسبة الزواج (لكل ألف من السكان) ^(١)	نسبة الطلاق (لكل ألف من المتزوجين) ^(١)	الدولة	نسبة الطلاق (لكل ألف من المتزوجين) ^(١)	نسبة الزواج (لكل ألف من السكان) ^(١)	الدولة
الكويت	٥,٤	١,٤٦	إيران	١,٤٦	٧,٥	٠,٧
قطر	٢,٨	٠,٧٤	بنغلاديش	٠,٧٤	١١,٣	-
البحرين	٥,٨	١,١٧	الاندلس	١,١٧	١٨,١	١١,٥٦
العراق	٨,٥	-	ماليزيا	-	٣,٢	-
فلسطين	٦,٥	١,٢٨	بروناي	١,٢٨	٧,٢	٠,٧٦
سوريا	٧,٧	٠,٧٢	مصر	٠,٧٢	٨,٤	١,٤٢
الأردن	٨,٧	١,٢٦	ليبيا	١,٢٦	٤,٥	٠,٦٠
تركيا	٨,٤	٠,٤٦	تونس	٠,٤٦	٦,٩	-

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

أ-

U. N., (1994), STATISTICAL YEARBOOK T.12, PP.299 - 305.

IBID., T. 14, PP. 318-320 .

ب-

وفي الشطر الأفريقي ثلاث مجموعات كبرى هي: مجموعة الكونغو- النيجر بأفريقيا الغربية، والمجموعة الآفرو- آسيوية بأفريقيا الشمالية الشرقية (Hiernaux, 1974, P.95)، والمجموعة النيلية- الصحراوية (أو السودانية) التي تنتشر بين الزنوج المتمين إلى مجموعة الكونغو- النيجر بمساحة واسعة جدا في شماليها وشرقيها (Weeke, 1978, p.Xviii).

وهناك ١٩ لغة رئيسية يتحدث بها ما يزيد على مليار نسمة من سكان العالم الإسلامي أو ٨٧٪ من جملة السكان، وذلك على النحو التالي (جدول رقم ٢٦):

١- اللغة العربية:- وهي سادسة لغات العالم الأوسع انتشاراً (Ibid.,p.30)، ويتحدث بها ٢٢٠ مليون نسمة تقريبا أو ١٩٪ من جملة سكان العالم الإسلامي في البلاد العربية وتشاد وتركيا وأعداد أخرى في البلاد الإسلامية باعتبارها لغة القرآن الكريم وتنتمي العربية إلى المجموعة الآسيوية الأفريقية، ويعتقد البعض أنها ظهرت في القرن التاسع قبل الميلاد كلغة محدودة الانتشار في منطقتي مكة المكرمة والمدينة المنورة، ثم ازداد انتشارها مع ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي، وصارت أحد عوامل الوحدة بين سكان العالم الإسلامي وتسببت في اندثار القبطية والسريانية (Tohnstone, 1970, p.114)، وسادت في شمالي أفريقيا وإقليم بحيرة تشاد وفي مناطق وادي دارفور شرقي بحيرة تشاد (Greenberg, 1971). كما تنتشر بين سكان تنزانيا، وتأتي الثانية بعد السواحيلية في جزيرتي مبابو وزنجبار ووسط البلاد، كذلك تنتشر في السودان الغربي.

وفي منطقة الشرق الأوسط تسود العربية في منطقتين: الأولى يتحدث العربية مع استبعاد تام للغات الأخرى، والثانية مركبة اللغات بها عدد من اللغات القديمة والحديثة، ويفصل المنطقتين الحد الغربي لمنطقة الالتواءات الجيولوجية، وفيها يبدو تأثير التضاريس في الحد من انتشار اللغة (Fisher, 1971, p 112-114)

٢- اللغة البنغالية:- ثمانية لغات العالم الإسلامي انتشارا، ويتحدث بها ١١٨ مليون نسمة أو نحو عُشر إجمالي السكان. وتسود في بنجلاديش المركز الرئيسي لها حيث يتحدث بها ٩٨٪ من السكان وقد دخلت محل الانجليزية أخيراً كلغة للتعليم (Encyclopedia of The Nation 1976- Bmp.28)

٣- الهوسا :- ثلاثة لغات العالم الإسلامي، ويتحدث بها ١٠٤ مليون نسمة أو ٩٪ من جملة السكان، وتسود بين من سكان نيجيريا- بخاصة في الشمال ويفهمها كل السكان، وتنتشر كلغة تجارية وسياسية في دول غربي أفريقيا، ويتحدث بها سكان المدن في ١٨ دولة منها النيجر ونيجيريا وبوركينا فاسو.

٤- البنجابية ويتحدث بها ٩٣ مليون نسمة أو ٨٪ من جملة السكان، وتسود بين ٦٦٪ من سكان باكستان (Abbott, 1971, p.31) بخاصة في مثلث روالبيدي- مولتان- أمبالا، ولها ثلاث لهجات هي: الدوجري - الماجهي - الهندا (Neill, 1973, p.13)

٥- الجاوية ويتحدث بها ٨٧ مليون نسمة أو ٧,٥٪ من جملة السكان، وهي أبرز اللغات في أندونيسيا، وتسود في جزيرة جاوة بخاصة القطاع الأوسط والساحل الشمالي (Abbott, 1971, p.31)، وتعود إلى القرن الثامن الميلادي.

٦- التركية- الأناضولية يتحدث بها ٦٩ مليون نسمة، أو ٦٪ من جملة السكان. وتسود في الأناضول وبين ربع سكان إيران (Clarke, 1976, p. 131)، وبين ٢٪ من سكان العراق ولبنان. وقد حلت محل اللغات الإغريقية القديمة بتركية (Brice, 1966, p.63)

٧- لغة الأردو يتحدث بها ٦٣ مليون نسمة أو ٥,٥٪ من السكان، ويتحدث بها نصف سكان باكستان حيث تعد اللغة القومية، وخمس سكان أفغانستان (World Muslim Gazette, 1975, p.437)، و٢٪ من سكان بنجلاديش (Weekes, 1978, p.89) بخاصة سكان المدن، كما يتحدث بها السكان في أسواق كابول وكندهار بأفغانستان (World Muslim Gazette, 1975, p. 55)

جدول رقم (٢٦) التوزيع الجغرافي للغات الرئيسية في العالم الإسلامي

البلد التي تتحدث بها	المتحدثون بها		اللغة	مسلسل
	من حملة العالم الإسلامي	العدد (نسمة)		
البلاد العربية - ساد - تركيا	١٩	٢٢٠,٠٠٠,٠٠٠	العربية	١
بنجلاديش	١٠	١١٨,٠٠٠,٠٠٠	البنغالية	٢
نيجيريا - النيجر - دول إقليم عربي أفريقيا (ب)	٩	١٠٤,٠٠٠,٠٠٠	الهوسا	٣
باكستان	٨	٩٣,٠٠٠,٠٠٠	البنجابية	٤
أندونيسيا	٧,٥	٨٧,٠٠٠,٠٠٠	الجاوية	٥
تركيا - إيران - العراق - لبنان	٦	٦٩,٠٠٠,٠٠٠	التركية الأناضولية	٦
باكستان - أفغانستان - بنغلاديش - دول الخليج	٥,٥	٦٣,٠٠٠,٠٠٠	الأردو	٧
أندونيسيا	٥	٥٨,٠٠٠,٠٠٠	البهاسا	٨
إيران - العراق أفغانستان - دول الخليج	٤,٥	٥٢,٠٠٠,٠٠٠	الفارسية	٩
أندونيسيا	٣,٥	٢٩,٠٠٠,٠٠٠	الموند	١٠
أثيوبيا	٢,٢	٢٦,٠٠٠,٠٠٠	الأمهرية	١١
دول شمالي أفريقيا	٢	٢٣,٠٠٠,٠٠٠	البربرية	١٢
أفغانستان	١,٥	١٨,٠٠٠,٠٠٠	البشتو	١٣
أوغندا	١,٣	١٧,٠٠٠,٠٠٠	البانتو	١٤
دول شرقي أفريقيا	١	١٢,٠٠٠,٠٠٠	السواحلية	١٥
أندونيسيا	١	١٢,٠٠٠,٠٠٠	المادورية	١٦
العراق - تركيا - إيران - سوريا	٠,٩	١١,٠٠٠,٠٠٠	الكردية	١٧
السنغال	٠,٧	٨,٠٠٠,٠٠٠	الولوف	١٨
أثيوبيا	٠,٣	٣,٥٠٠,٠٠٠	التجرينية	١٩

١ - المطري (١٩٨٤). دراسات في سكان العالم الإسلامي ، جدول (٥٦) ص ٤٨٧ (بتصرف)

٨- لغة البهاسا:- ويتحدث ٥٨ مليون نسمة أو ٥٪ من السكان، وهي اللغة القومية الرسمية في أندونيسيا، وتسود بين نصف سكان جاوة، وتستخدم أداة اتصال بين كافة المجموعات اللغوية هناك، وتضم العديد من اللهجات الأندونيسية إلى جانب الهولندية والانجليزية والعربية والسينسكوتية ولغات أخرى كثيرة (Eucyclopedia the Nwtions, 1976-B p.102). وقد تحولت إلى لغة تجارية بأندونيسيا ويتحدث بها سكان الموانئ البحرية من الصين إلى غينيا الجديدة (Neill,1976,p.13). وقد تحولت حروفها من العربية إلى اللاتينية بهدف قطع الصلات بين أندونيسيا والعالم الإسلامي بخاصة العربي منه (شاكر، ١٩٧٤م، ص ٨١).

٩- اللغة الفارسية:- ويتحدث بها ٥٢ مليون نسمة أو ٤,٥٪ من جملة السكان، ويتحدث بها ٩٠٪ من سكان إيران (Tayloy, 1972,p.201) و ٣٪ من سكان العراق، وتعرف بلغة الدارى أو مقر البلاط في شرقي إيران. وهي اللغة الرسمية ولغة الأدب والإدارة والتجارة والتعليم والطبقات الوسطى والدوائر الحكومية في إيران (Weeke, 1978,p.233).

١٠- لغة السوند:- ويتحدث بها نحو ٢٩ مليون نسمة أو ٢,٥٪ من جملة السكان، وهي إحدى اللغات المهمة في المجموعات المالايوية-البولينيزية، ويدعى متحدثوها أنها أكثر انفتاحا من الجاوية المترتبة (Ibid.,p383).

١١- اللغة الأمهرية.. ويتحدث بها ٢٦ مليون نسمة يمثلون ٢,٢٪ من جملة السكان، وهي اللغة الرسمية في أثيوبيا ويتحدث بها نصف سكانها تقريبا.

١٢- اللغة البربرية:- ويتحدث بها ٢٣- مليون نسمة أو ٢٪ من جملة السكان، وتنتشر بين بربر شمالي أفريقيا، ويتحدث بها ربع سكان المغرب العربي (Trewarthe,1972,p. 189)، منهم ٣٥٪ من سكان المغرب وتونس وخمس

سكان الجزائر وقبائل الطوارق بموريتانيا، بينما يقل المتحدثون بها شرقا نحو مصر حيث ينحصرون في بعض الواحات الغربية لكنها لاتصبح لغة للأدب . (Johnstone, 1970, p. 114)

١٣- لغة البشتو:- ويتحدث بها ١٨ مليون نسمة أو ١,٥٪ من جملة السكان، ويتحدث بها ثلاثة أخماس سكان أفغانستان (Ibhd, p. 121) بخاصة في الشرق والجنوب الشرقي والأقاليم المجاورة لباكستان، إلى جانب أعداد قليلة بجنوبي ووسط آسيا، كما يتحدث بها إقليم الحدود الشمالية الغربية وإقليم بيشاور بباكستان. وتعد اللغة الرسمية لأفغانستان منذ عام ١٩٣٦م إلى جانب لغة الداري (ENCYCLOPEDIA OF THE NATIONS, 1976- B,P. 2) كما تعد أساسا لتحديد سلاسل البوشتان (Weeken, 1978,p. 324) التي يشترط لأن يكون الفرد عنصرا منها أن يتحدث بها أبوه أو كلاهما.

١٤- لغة البانتو (عدا السواحلية):- ويتحدث بها ١٧ مليون نسمة أو ١,٣٪ من جملة السكان. وتنتشر في أوغندا وغيرها من دول شرقي أفريقيا (Johnstone, 1970, p. 121)، وتضم لغات الزولو والزھوسا والبيدي والسوثو وغيرها.

١٥- اللغة السواحلية:- ويتحدث بها ١٢ مليون نسمة أو ١٪ من جملة السكان، وهي لغة شعبية واسعة الانتشار بشرق أفريقيا، كما أنها اللغة الرسمية لمجموعة النياموزي في تنزانيا، ومن أشكالها الكونجوجا التي تعتبر اللغة الرسمية بزنجبار (Encyclopedia of The Nations, 1976- A, p.320).

١٦- اللغة المادورية:- ويتحدث بها ١٢ مليون نسمة يمثلون ١٪ من جملة السكان ويتحدث بها معظم سكان جزيرة مادورا الأندونيسية بخاصة الموظفين المدنيين، ولها لهجتان: بامكاسان pamekasan وتسود في غربي الجزيرة، والسومينيب في شرقي الجزيرة، (Ibid.,p. 102).

١٧- اللغة الكردية:- ويتحدث بها ١٢ مليون نسمة أو ٩,٠٪ من جملة السكان، وتنتشر بين ١,٧٪ من سكان تركيا حسب إحصاء عام ١٩٦٥م (Dowdney, 1971, p. 88)، وبين ١٦٪ من سكان العراق (Clarke, 1976, p. 131)، كما تنتشر بين مليون نسمة من سكان إيران، ونصف مليون شخص من سكان سوريا.

١٨- لغة الولوف:- ويتحدث بها ٨ ملايين نسمة أو ٧,٠٪ من جملة السكان، وتسود بين ٩٠٪ من سكان السنغال، وهي اللغة المحلية بالعاصمة داکا، كما أنها اللغة الثانية لكل سكان السنغال، وتفهمها جماعات السرار، والتوكولار، والولوف والليبو وتستخدم كلغة تجارية خارج مناطق الولوف الرئيسية (Greenberg, 1971, p.131).

١٩- اللغة التجريدية:- ويتحدث بها ٣,٥ ملايين نسمة أو ٣,٠٪ من جملة السكان، وتسود في أريتريا (Enclopedia of Tre n at iors,1976- A,p.92) وتصنف الدول الإسلامية إلى ثلاثة أنماط من حيث تعدد اللغات كما يلي:-

١- دول مركبة اللغات: تشمل عشر دول منها أندونيسيا وبها ٢٥٠ لغة تنقسم إلى ١٦ مجموعة، وأثيوبيا التي يوجد بها ٥٠ لغة مختلفة، والكمرون وبها ١٠٠ لغة محلية، ونيجيريا وبها ٢٥٠ لغة محلية وتزانيا، وسيراليون، وإيران، وباكستان والسودان به ١٠٠ لغة ولهجة مختلفة.

٢- دول بسيطة اللغات وفيها تسود لغة رئيسية واحدة وتضم ٢٢ دولة منها تركيا التي يتحدث ٩٠٪ من سكانها بالاناضولية التركية، والعراق ويتحدث ٨٢٪ من سكانها بالعربية، ومصر التي يتحدث العربية ٩٣٪ من سكانها، والجزائر ويتحدث ٨٠٪ من سكانها اللغة العربية و٢٠٪ اللغة البربرية، وتونس

والمغرب، وموريتانيا، والسنغال، وغينيا بيساو، وأوغندا والصومال، وجزر القمر والإمارات، واليمن، والسعودية، والبحرين، والأردن، وفلسطين وبنجلاديش، وماليزيا، والمالديف.

٣- دول متوسطة اللغات: وهي بقية الدول الإسلامية، وفيها يتحدث السكان عددا متوسطا من اللغات.

٨- التركيب الديني:

أولا- المسلمون:

يتميز العالم الإسلامي بانتشار الإسلام بين أغلبية سكانه مع وجود أقليات من أتباع الديانات الأخرى: النصرانية، واليهودية، والديانات الوضعية بدرجة كبيرة أو صغيرة في أجزاء عديدة من أرجائه (Clarke, 1976, p. 103). وتبلغ نسبة المسلمين ٨٥,٥٪ من جملة السكان (أو ٢٣٠, ٦٦٥, ٩٩٢ نسمة)، ترتفع النسبة بالشطر الآسيوي إلى ٩٢٪ من جملة السكان (أو ٩٣٠, ٧٩٥, ٦٤٤ نسمة)، بينما تنخفض بالشطر الأفريقي إلى ٦, ٧٥٪ (أو نحو ٥٠٠, ٨٦٩, ٣٤٧ نسمة). وتختلف نسبة المسلمين من إقليم لآخر ومن دولة لأخرى على النحو التالي (جدول رقم ٢٧ وشكل رقم ١٥):-

١- دول كل سكانها مسلمون:- وهي السعودية والمالديف، ويبلغ عدد المسلمين فيهما ٢٠, ٨٧٦, ٩٩٠ نسمة يمثلون ٢, ١٪ من جملة السكان بالعالم الإسلامي.

جدول رقم (٢٧) عدد ونسبة أتباع الدين الإسلامي في العالم الإسلامي (١)

(عام ١٩٩٤م)

الإقليم / الدولة	العدد (ب)	% (من جملة السكان) (١)	الإقليم / الدولة	العدد (ب)	% (من حملة السكان) (١)
شبه الجزيرة العربية (١)	٢٠,٠٦٣,٩٩٠	٩٩,٥	جنوب شرقي آسيا	١٨٨,٣٤٤,٤٥٠	٨٧,٨
السعودية	١٧,٤٥١,٠٠٠	١٠٠,٠	ماليزيا	١١,٠٢٩,٢٠٠	٥٦,٠
الكويت	١,٥٥١,٣٥٠	٩٥,٠	بروناي	٢١٥,٦٠٠	٧٧,٠
قطر	٥٣٤,٦٠٠	٩٩,٠	إندونيسيا	١٧٧,٠٩٩,٦٥٠	٩١,٠
البحرين	٥٢٧,٠٤٠	٩٦,٠	حوض النيل	١١٩,١١٤,٥٠٠	٧٣,١
شبه الجزيرة العربية (٢)	١٧,٥٧٧,٠٦٠	٩٨,٧	السودان	٢٢,٧٠٩,٦٣٠	٨٣,٠
الإمارات	١,٧٨٦,٥٦٠	٩٦,٠	أثيوبيا	٢٩,٣٨٩,٢٥٠	٥٥,٠
عمان	٢,٠٥٦,٢٣٠	٩٩,٠	أوغندا	١٠,٣١٠,٥٠٠	٥٠,٠
اليمن	٣,٧٣٤,٢٧٠	٨٢,٧	مصر	٥٦,٧٠٥,١٢٠	٩٢,٠
الهلال الخصيب	٤٠,٠٥٩,٢٧٠	٩٥,٠	شمالي أفريقيا	٦٥,٣٥٠,٥٨٠	٩٦,٤
العراق	١٨,٩٢٨,٧٥٠	٣٨,٠	ليبيا	٥,١٢٠,٥٠٠	٩٨,٠
فلسطين	٢,٣٦٤,٣٦٠	٥٥,٠	تونس	٨,٢٩٦,٣٥٠	٩٥,٠
لسان	١,٦٠٣,٢٥٠	٨٧,٠	الجزائر	٢٦,٥٠٥,٢٥٠	٩٧,٠
سوريا	١٢,٣٢٨,٧٧٠	٩٣,٠	المغرب	٢٥,٤٢٨,٤٨٠	٩٦,٠
الأردن	٤,٨٣٤,١٤٠	٩٨,٥	شمالي أفريقيا	٢٩,٧١١,٣١٠	٦٩,٨
غربي آسيا	١٤٣,٢٩٦,٣٤٠	٩٩,٠	حيوتي	٥٤٣,٣٦٠	٩٦,٠
تركيا	٦٠,١٦٣,٢٩٠	٩٨,٠	الصومال	٨,٩٨٦,٢٣٠	٩٩,٠
إيران	٦٤,٤٤٢,٨٤٠	٩٩,٠	ترانیا	١٧,٥٩٦,٠٦٠	٦١,٠
أفغانستان	١٨,٦٩٠,٢١٠	٩٢,٥	أريتريا	١,٩٩٣,٤٦٠	٥٨,٠
شبه القارة الهندية	٢٣٥,٤٥٤,٨٢٠	٩٨,٠	حرر القمر	٥٩٢,٢٠٠	٩٤,٠
باكستان	١٣٣,٩١٢,١٠٠	٨٦,٠	الصحراء الكبرى	٢٣,٦٤٠,٥٠٠	٨٥,٣
بنغلاديش	١٠١,٢٩٦,٨٢٠	١٠٠,٠	تشاد	٤,٩٤٦,٤٠٠	٨٠,٠
المالديف	٢٤٦,٠٠٠	٨٧,٨	البحر	٧,٦٠٧,٥٦٠	٨٦,٠

تابع جدول رقم (٢٧)

الإقليم/ الدولة	العدد (ب)	% (من جملة السكان) (أ)	الإقليم/ الدولة	العدد (ب)	% (من جملة السكان) (أ)
مالي	٨,٨٩٢,٧٠٠	٨٥,٠	عربي أفريقيا «ب»	٩٢,٣٢٨,٠٥٠	٦٦,٩
موريتانيا	٢,١٩٣,٨٤٠	٩٩,٠	بين	٢,٦٢٣,٠٠٠	٥٠,٠
غربي أفريقيا «أ»	١٧,٧٢٤,٥٦٠	٨٣,٩	بيجيريا	٧٥,٩٢٦,٩٠٠	٧٠,٠
السنغال	٧,٢٩١,٨٠٠	٩٠,٠	الكومرون	٧,٠٧٩,٠٥٠	٥٥,٠
غامبيا	٩٠٨,٠٤٠	٨٤,٠	موركينا فاسو	٦,٠٢٧,٦٠٠	٦٠,٠
عييابيساو	٦٨٢,٥٠٠	٦٥,٠	الجانور	٦٤١,٥٠٠٦	٥٠,٠
سيراليون	٢,٨٦١,٣٠٠	٦٥,٠	الشطر الآسيوي	٦٤٤,٧٩٥,٩٣٠	٩٢,٠
غينيا	٥,٩٨٠,٩٢٠	٩٢,٠	الشطر الأفريقي	٤٧,٨٦٩,٥٠٠	٧٥,٦٣
			العالم الإسلامي	٩٢,٦٦٥,٤٣٠	٨٥,٥٩

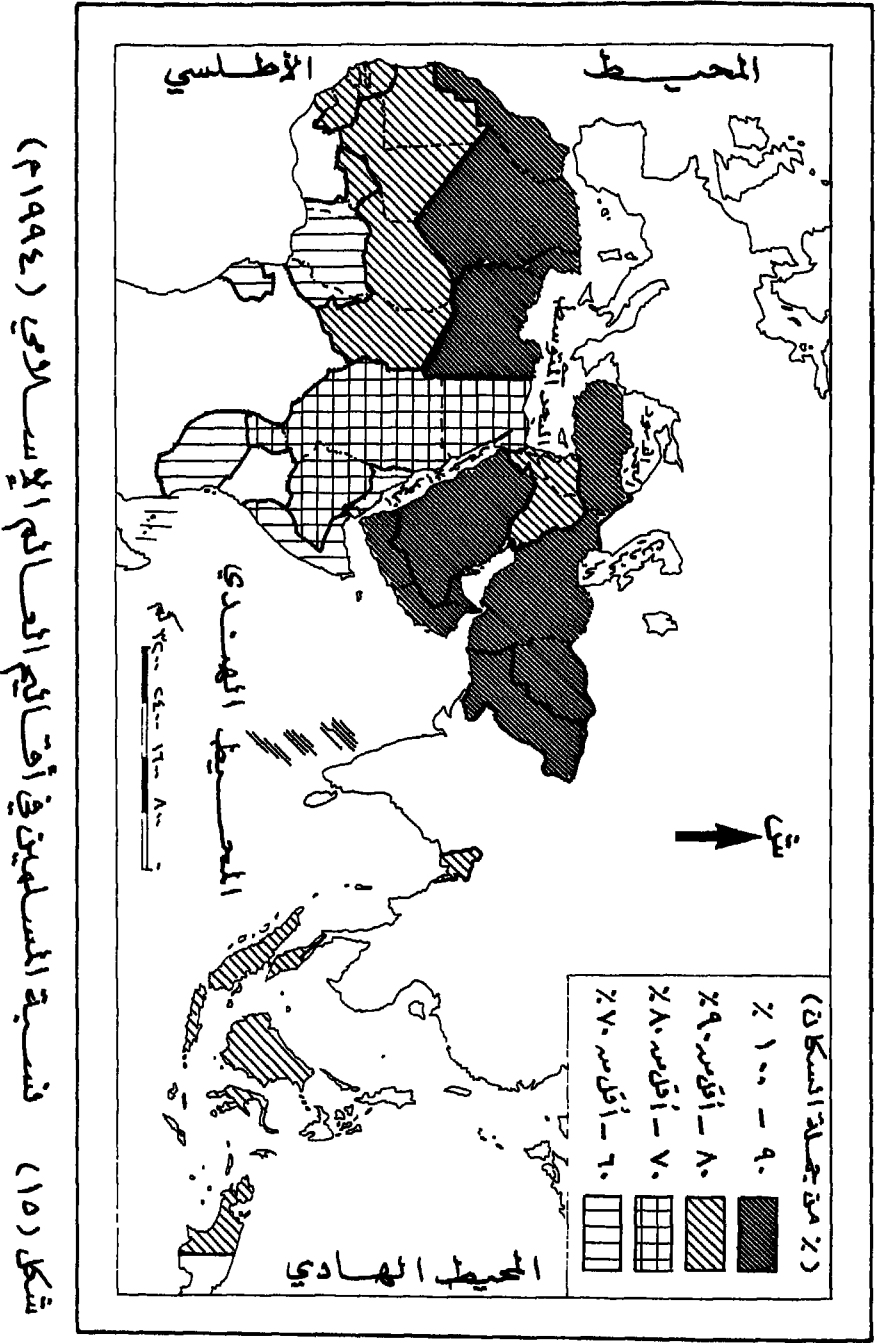
١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

أ - المطري، (١٩٨٤م)، دراسات في سكان العالم الإسلامي، جدول

رقم (٥٩)، ص ٥٠٩-٥١٢.

ب - من حساب الباحث بناء على الجدول الخاص بمقارنة عدد السكان

عامي ١٩٣٠ و ١٩٩٤م.



شكل (١٥) نسبة المسلمين في أقاليم العالم الإسلامي (٢١٩٩٤)

٢- الأقاليم والدول التي تتراوح نسبة المسلمين بها بين ٩٠-١٠٠٪: وتضم خمسة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "أ" (٩٩,٥)٪، شبه الجزيرة العربية "ب" (٩٨,٧)٪، غربي آسيا (٩٨,٥)٪، شبه القارة الهندية (٩٢,٥)٪. وتبلغ جملة مسلميها ٤٨٢,٠٩٨,٠٠٠ نسمة يمثلون ٥٧,٤٨٪ من جملة مسلمي العالم الإسلامي. وإلى هذا النمط تنتمي ٢٤ دولة هي: قطر- عُمان- اليمن- تركيا- أفغانستان- الصومال- موريتانيا (٩٩)٪، إيران- باكستان- ليبيا (٩٨)٪، الجزائر (٩٧)٪، البحرين- الإمارات- المغرب- جيبوتي (٩٦)٪، الكويت العراق- تونس (٩٥)٪، جزر القمر (٩٤)٪، الأردن (٩٣)٪، مصر- غينيا (٩٢)٪، السنغال (٩٠)٪.

٣- الأقاليم والدول التي تتراوح نسبة مسلميها بين ٨٠ إلى أقل من ٩٠٪:- وتضم أربعة أقاليم هي: جنوب شرقي آسيا (٨٧,٧)٪، الصحراء الكبرى (٨٥,٣)٪، غربي أفريقيا "أ" (٨٣,٩)٪، الهلال الخصيب (٨٢,٧). وتبلغ جملة مسلميها ٢٦٩,٤٥٤,٠٠٠ نسمة يمثلون ١٤,٢٧٪ من جملة مسلمي الإسلام. وينتمي إلى هذا النمط سبع دول هي: سوريا (٨٧)٪، بنجلاديش- النيجر (٨٦)٪، مالي (٨٥)٪، غامبيا (٨٤)٪، السودان (٨٣)٪، تشاد (٨٠)٪.

٤- الأقاليم والدول التي تتراوح نسبة مسلميها بين ٧٠ إلى أقل من ٨٠٪ من جملة سكانها:- وتضم إقليمًا واحدًا هو حوض النيل (٧٣,١)٪ أو ١١٩,١١٥,٥٠٠ نسمة يمثلون ١٢٪ من جملة مسلمي العالم الإسلامي. وينتمي لهذا النمط دولتان فقط هما: بروناي (٧٧)٪، نيجيريا (٧٠)٪.

٥- الأقاليم والدول التي تتراوح نسبة مسلميها بين ٦٠ إلى أقل من ٧٠٪:- وتضم إقليمين هما: شرقي أفريقيا (٦٩,٨)٪، غربي أفريقيا «ب» (٦٦,٩)، وتبلغ

جملة مسلميها ٣٦٠, ٣٩, ١٢٢, ٠ نسمة أو ١٢, ٣٪ من جملة مسلمي العالم الإسلامي. وينتمي لهذا النمط أربع دول هي: تنزانيا (٦١٪)، غينيا بيساو-وسيراليون (٦٥٪)، بوركينا فاسو (٦٠٪).

٦- الأقاليم والدول التي تتراوح نسبة المسلمين بين ٥٠٪ إلى أقل من ٦٠٪:- وتضم ثمان دول هي: أريتريا (٥٨٪)، ماليزيا (٥٦٪)، لبنان- أثيوبيا- الكمرون (٥٥٪)، أوغندا- بنين- الجابون (٥٠٪). وتبلغ جملة مسلمي هذا النمط ٢١٠, ٦٦٩, ٦٤ نسمة أو ٦, ٥٪ من مسلمي العالم الإسلامي.

ثانيا- الأقليات غير المسلمة:

يبلغ عددهم ٣٤٠, ٩٩٠, ١٧٩ نسمة أو ١٤, ٥٪ من جملة سكان العالم الإسلامي، وهم:

١- النصارى:- وعددهم حوالي ٨٣ مليون نسمة أو ٧, ١٥٪ من جملة السكان، وتبلغ نسبتهم بالشرط الأفريقي ٥, ٨٧٪ أو نحو ٦٨, ١٣٤, ٩٩٠ نسمة، بينما تنخفض نسبتهم بالشرط الآسيوي إلى ١, ٢٨٪ أو نحو ١٤, ٨٢٢, ١٦٥ نسمة.

ويصل عدد النصارى بإقليم حوض النيل إلى ٣٤, ٩٥٢, ٧١٠ نسمة يمثلون ٢١, ٤٤٪ من جملة سكانه، كما يبلغ عددهم في إقليم غربي أفريقيا "ب" نحو ٢١, ١٩٧, ٥٦٠ نسمة أو نحو ١٥, ٣٧٪ من جملة سكانه، ويبلغ عددهم بإقليم شرقي أفريقيا ٧, ٥٧١, ٠٧٠ نسمة يمثلون ١٧, ٨٪ من جملة سكانه. أما في إقليم جنوب شرقي آسيا فيبلغ العدد ٦, ٤٥١, ٧٠٠ نسمة أو ٣, ٠١٪ من جملة سكانه، بينما يبلغ العدد ٤, ٦٠٨, ٦٧٠ نسمة في إقليم الهلال الخصيب يمثلون ٩, ٥٢٪ من جملة سكانه. وتقارب العدد في إقليم شبه القارة الهندية وشمال أفريقيا (٣٠, ٢٧١, ٠٣٠ : ٢, ٤٢٠, ٤٢٠ نسمة على التوالي) يمثلون ٠, ٨٩٪ و ٣, ٥٧٪

من سكانهما على التوالي . كذلك يتقارب العدد في إقليمي غربي آسيا والصحراء الكبرى (٢٩٠, ٢٦٥, ١ : ٧٠٠, ٥٠٤, ١ نسمة بنسبة ٨٧, ٠٪ و ٦٣, ٣٪ على التوالي)، ويقل العدد في إقليم شبه الجزيرة العربية (أ) إلى ١٢٠, ٩٨ نسمة بنسبة ٤٩, ٠٪ من جملة سكانه وفي إقليم شبه الجزيرة العربية (ب) إلى ٣٥٥, ١٢٧ نسمة بنسبة ٧٢, ٠٪ من سكانه، كما يبلغ العدد ٥٣٠, ٩٨٨ نسمة في إقليم غربي أفريقيا (أ) ولاتزيد نسبتهم عن ٦٨, ٤٪ من سكانه.

ويرتفع عدد النصارى في نيجيريا إلى ١٨, ٥ مليون نسمة يمثلون نحو ربع السكان (٣٤٪)، كما يبلغ عددهم ستة ملايين نسمة في تنزانيا بنسبة ٢١٪ من سكانها، بينما يقل العدد عن الستة ملايين نسمة في أندونيسيا يمثلون ٣٪ من سكانها، ويبلغ خمسة ملايين نسمة في أوغندا يشكلون ربع السكان، ويقل العدد عن الخمسة ملايين نسمة في مصر يشكلون ٨٪ من سكانها.

ويتراوح عدد النصارى بين المليون إلى المليونين في لبنان- سوريا- باكستان- بنجلاديش- المغرب- أريتريا- الكمرون. بينما تقل أعدادهم عن ٢٥, ٠٠٠ نسمة في البحرين وعمان وبروناي وجيبوتي والجزائر وموريتانيا، وتختفي أعدادهم في السعودية والمالديف.

وترتفع نسبة النصارى إلى ٤٥٪ من سكان إثيوبيا ولبنان، وإلى ٢٥٪ في أوغندا، وتبلغ ٢١٪ في تنزانيا، و ٤٠٪ في أريتريا، و ٣٠٪ في الكمرون، و ٣٥٪ في الجابون، بينما تقل النسبة إلى ١٪ في كل من عمان وتركيا وإيران وبنجلاديش والصومال والنيجر وموريتانيا، وتنخفض إلى ٠, ٥٪ في اليمن.

٢ - اليهود: كان عدد اليهود بالعالم الإسلامي ٣, ٣ ملايين نسمة عام ١٩٨٠م (Jankowski, 1970, p.124) يشكلون ٣٨, ٠٪ من جملة سكانه آنذاك، أما في عام ١٩٩٤م فيقدر عددهم بنحو ٤, ٤ ملايين نسمة يسكن معظمهم في فلسطين المحتلة.

وكان اليهود يشكلون مجتمعات واضحة في معظم الدول العربية وتركيا وإيران قبل احتلال فلسطين، ولكن بسبب الهجرة إلى فلسطين المحتلة قلت أعدادهم (المطري، ١٩٨٤م، ص ٥٣٣) ولم تتبق إلا مجتمعات صغيرة تعدد بالآلاف أحيانا وبالمئات أحيانا أخرى بخاصة في إيران وأثيوبيا وأريتريا وتركيا ومصر والمغرب وتونس والجزائر وليبيا ولبنان وسوريا والعراق واليمن والصومال والسودان.

٣- الوثنيون: ويشملون أعدادا كبيرة من الديانات المختلفة، ويتركزون على هوامش العالم الإسلامي في الغابات المدارية المطيرة في جنوب شرقي آسيا وجنوب أفريقيا المسلمة، وتقل أعدادهم من سنة لأخرى لصالح الإسلام والنصرانية، ولا يخلو منهم قطر أفريقي مسلم عدا مصر والمغرب وجزر القمر ويبلغ عددهم ٣٣,٨ مليون نسمة يمثلون ٩١,٢٪ من جملة السكان. ويزيد عددهم في نيجيريا إلى ٦,٥ ملايين نسمة وإلى ٤,٩ ملايين في أوغندا، ٣,٦ ملايين في السودان، ٣,٥ ملايين في بوركينا فاسو، ومليونا في مالي. ويتراوح العدد بين نصف مليون نسمة إلى أقل من المليون في تشاد وإيران، ومن رُبع إلى أقل من نصف المليون نسمة في غينيا وغينيا بيساو والسنغال، ويقل العدد كثيراً في أفغانستان وبروناي.

٤- الهندوس:- يبلغ عددهم ٢٢,٩ مليون نسمة أو ٩٨,١٪ من جملة سكان العالم الإسلامي. ويعيش معظمهم في الأطراف الشرقية من الشطر الآسيوي. ويبلغ العدد ١٤,١ مليوناً في بنجلاديش يمثلون ٢١,١٪ من سكان العالم الإسلامي و١٢٪ من سكان بنجلاديش بخاصة في ولايات الحدود الغربية وولاية سلهيت مقر معظم الهندوس العاملين في زراعة الشاي والتي تضم ٢٧٪ من السكان غير المسلمين (Johnstone, 1975, p.4) ويبلغ العدد ٤,٩ ملايين نسمة في أندونيسيا أو ٢,٥٪ من سكانها وقد ظلت الهندوسية ديانة جزيرة جاوة عدة قرون حتى جاء الإسلام في القرن الخامس عشر الميلادي فتراجعت إلى جزيرة مالي، وإن ظلت بقاع أخرى هندوسية في ديانتها

وثقافتها (Encyclopedia of The Nations, 1976-B, p.102). كما يبلغ عدد الهندوس في ماليزيا ١,٨ مليون نسمة يمثلون ٩٪ من جملة سكانها منهم ٧٠٪ من المجموعة الهندية (غلاب، وزملاؤه، ١٩٧٩م، ص ٣٠١)، بينما يبلغ العدد ١,٤ مليوناً في باكستان نسبتهم ١٪ من جملة السكان بعد أن كانت ١,٦٪ بسبب زيادة المسلمين (المراجع السابق ص ٢٥٢)، ويوجد معظمهم في المدن الكبرى بولاية البنجاب وإقليم الحدود الجنوبية الشرقية (Byice, 1966, p 120- 122) أما في تنزانيا فيبلغ العدد ٢٨٨,٠٠٠ نسمة بنسبة ١٪ من سكانها يتركزون في زنجبار وتنجانيقا، كما يبلغ عددهم في اليمن ١٣٩,٠٠٠ نسمة يمثلون ١٪ من سكانها، ١١,٣٠٠ نسمة في أفغانستان بنسبة ٠,٦٪ من سكانها، ويقل العدد في الدول الأخرى إلى ٢٠,٠٠٠ نسمة بعمان و ٥,٠٠٠ نسمة في كل من قطر والبحرين، ٣٧,٠٠٠ نسمة في الإمارات، ١٩٩,٠٠٠ نسمة في العراق.

٥- الكونفوشية:- ويبلغ عددهم ٤,٩ ملايين نسمة أو ٤٢,٠٪ من جملة السكان، ويتركزون في ماليزيا بعدد ثلاثة ملايين وبنسبة ١٥,٠٪ من جملة سكانها، وفي أندونيسيا بعدد مليون نسمة وبنسبة ١٪ من سكانها.

٦- البراهمة:- ويبلغ عددهم ٥,٤ ملايين نسمة يمثلون ٤٦,٠٪ من جملة السكان، ويتركزون في الجنوب الشرقي من الشطر الآسيوي. ويبلغ عددهم ٢,٩٢ مليوني نسمة في أندونيسيا بخاصة في جزيرة بالي ويشكلون ١,٥٪ من سكانها، كما يبلغ العدد ١,٤ مليوناً في ماليزيا يمثلون ٧٪ من سكانها، كما يوجد ٥٨٩,٠٠٠ نسمة في بنجلاديش (Johnstone, 1975, p.5) يشكلون ٥,٠٪ من سكانها إلى جانب ٢٧٣,٢٩٠ نسمة في باكستان (شاكر، ١٩٧٦م، ص ٥٩) يشكلون ٢,٠٪ من سكانها و ١٩٩,٢٥٠ نسمة بالعراق يشكلون ١٪ من سكانها.

٧- البوذيون:- ويبلغ عددهم أربعة ملايين نسمة يمثلون ٣٤,٠٪ من جملة السكان، ويتركزون في إقليمي جنوب شرقي القارة الهندية، ويبلغ عددهم في ماليزيا مليوني نسمة يمثلون ١٠٪ من سكانها بخاصة في ماليزيا الشرقية (٥٠,٠٠٠ نسمة) ويزيد عدد المسلمين النصارى. (Fisher, 1973, p.66). كما يبلغ العدد في أندونيسا ١,٩٥ مليون نسمة يشكلون ١٪ من سكانها، ويبلغ عددهم ٢٨,٠٠٠ نسمة في بروناي أو نحو عُشر السكان، كما يوجد ٦٠,٠٠٠ نسمة في بنجلاديش بخاصة في مناطق تلال شييتا جونج (Ahmed,1969,p. 179).

٨- الديانات الأخرى:- وتتمثل بأعداد قليلة من أتباع الزرادشتية يبلغون ٢٠,٠٠٠ نسمة في إيران بخاصة مدينتي يزد وكرمان ويعرفون هناك باسم الجابور (Jankowski, 1970, p. 177) أو عبدة النار. كما يوجد عدد من السيخ بماليزيا وباكستان، وقلّة من الراجبوت في شرقي باكستان، وبعض من أتباع الشتوية في أندونيسيا وماليزيا، ثم الجينيون في باكستان (غلاب وزملاؤه، ١٩٧٩م، ص ٦٢).

وتصنف دول العالم الإسلامي إلى ثلاث أنماط من حيث التركيب الديني، كما يلي:-

١- الدول التي تخلو تقريبا من المشكلات الدينية وتقل فيها الأقليات الدينية إلى حد بعيد، ويتكون سكانها من أغلبية من المسلمين مثل تركيا، مصر، دول إقليمي شبه الجزيرة العربية (أ) و(ب)، الجزائر، ليبيا المغرب، وتونس، موريتانيا، جزر القمر، جيبوتي الصومال، والأردن وأفغانستان.

٢- الدول التي تعدد فيها الأقليات الدينية والاختلافات بين السكان الناتجة عن ذلك، ومثالها: لبنان التي يكون للتقسيمات الدينية فيها أهمية كبيرة وسوريا، والسودان- وأثيوبيا- وبنجلاديش- وأندونيسيا- وتشاد- وفلسطين (Mansfield, 1973, Pp.S 399, 482).

٣- الدول التي تتعدد الاقليات الدينية فيها أو تقل دون أن يكون لها أثر في ظهور مشكلات سياسية أو اجتماعية بالدرجة السابقة نفسها، وتشمل بقية الدول الإسلامية.

٩- التركيب حسب نمط السكن:

يقصد به طريقة الحياة وأماكن الاستقرار، وهي ثلاثة: مدن-ريف، بدو وترحال وأشباهها، وبينها اختلافات كبيرة (Clarke, 1976, P. 46) على النحو التالي:-

أ- سكنى المدن:

تعرف بالحضرية Urbanization وتحسب بطرق مختلفة منها قسمة عدد سكان المدن على جملة سكان الدولة أو الإقليم. وفي عام ١٩٩٣م بلغت نسبتها في العالم الإسلامي ٤٣٪ بزيادة ١٪ عن معدل العالم و ٩٪ عن معدل المناطق الأقل تقدماً وبنقص ٢٩٪ عن المناطق الأكثر تقدماً. وترتفع هذه النسبة إلى ٥٢٪ بالشرط الآسيوي بينما تنخفض إلى ٣٤٪ بالشرط الأفريقي. أما في الأقاليم والدول الإسلامية فتباين على النحو التالي (شكل رقم ١٦):-

١- الأقاليم والدول ذات الحضرية المرتفعة جداً (٧٢٪ فأكثر):- وتضم إقليمين هما شبه الجزيرة العربية "أ" (٨٦٪)، والهلال الخصيب (٧٣٪). وينتمي لهذا النمط تسع دول هي: الكويت (٩٦٪)، فلسطين وقطر (٩٠٪)، لبنان (٨٤٪)، الإمارات، البحرين وجيبوتي (٨١٪)، السعودية (٧٧٪)، ليبيا (٧٦٪).

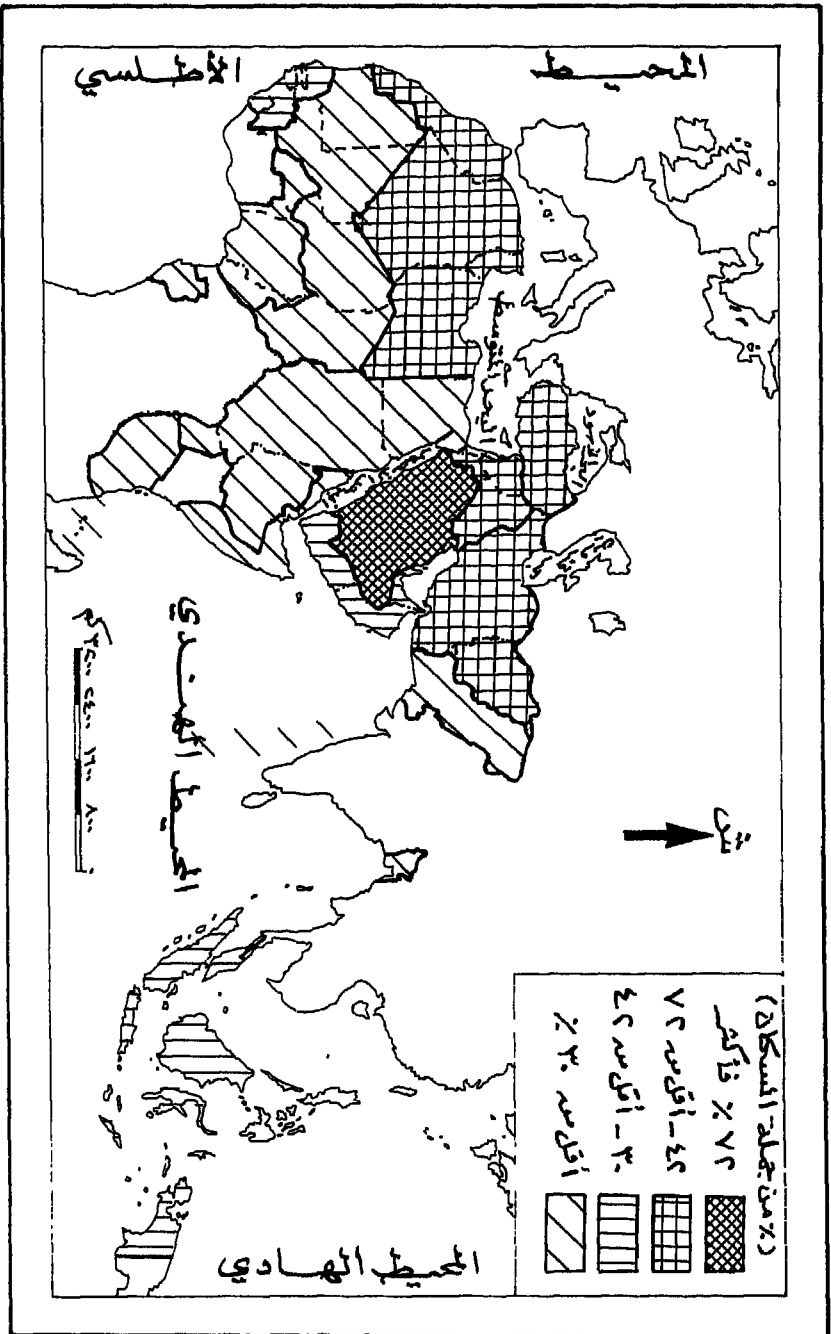
٢- الأقاليم والدول عالية الحضرية (٤٢- أقل من ٧٢٪):- وتضم ثلاثة أقاليم هي: شمالي أفريقيا (٥٨٪)، جنوب شرقي آسيا (٤٧٪)، غربي آسيا (٤٤٪) وينتمي لهذا النمط ١٤ دولة هي: العراق والأردن (٧٠٪)، بروناي، وتونس وتركيا (٥٩٪)، إيران (٥٤٪)، ماليزيا (٥١٪)، سوريا والجزائر (٥٠٪)، المغرب (٤٧٪)، الجابون (٤٦٪) ومصر (٤٤٪)، موريتانيا والسنغال (٤٩٪).

٣- الأقاليم والدول متوسطة الحضرية (٣٠- أقل من ٤٢٪) :- وتضم ثلاثة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "ب" (٤٠٪)، شرقي أفريقيا (٣٧٪)، غربي أفريقيا "ب" (٣٢٪). ويتتمي لهذا النمط خمس دول هي: الكمرون (٤٠٪)، بنين (٣٨٪)، تشاد وسيراليون (٣٢٪)، أندونيسيا (٣١٪).

٤- الأقاليم والدول منخفضة الحضرية (-٣٠٪) :- وتضم أربعة أقاليم هي: غربي أفريقيا "أ" (٣٨٪)، الصحراء الكبرى (٢٧٪)، شبه القارة الهندية وحوض النيل (٧٣٪)، ويتتمي لهذا النمط عشرون دولة هي: اليمن وأريتريا (٣٩٪)، باكستان و المالديف وجزر القمر (٢٨٪) غينيا (٢٦٪)، الصومال (٢٤٪)، غامبيا (٢٣٪)، مالي (٢٢٪)، السودان وتنزانيا (٢١٪)، بوركينافاسو وغينيا بيساو (٣٠٪)، عُمان و أوغندا (١١٪)، بنجلاديش وأثيوبيا (١٤٪)، النيجر (١٥٪)، نيجيريا (١٦٪)، أفغانستان (١٨٪).

وقد تبين أن هناك علاقة ارتباط موجبة قوية بين الدخل الفردي ونسبة الحضرية، حيث بلغ معامل الارتباط بينهما (٠,٨٠)، بمعنى أنه كلما زاد الدخل الفردي زادت نسبة الحضرية بالدرجة نفسها والعكس صحيح.

وخلال الفترة من ١٩٧٩م إلى ١٩٩٣م زادت نسبة سكاني المدن في العالم الإسلامي بنحو ١٩٪ بزيادة ستة أضعاف مثلتها في العالم، وخمس مرات عن مثلتها في المناطق الأكثر تقدما، وثلاثة أضعاف مثلتها في المناطق الأقل تقدما. كما بلغت الزيادة ١٢٪ في الشطر الآسيوي و٨٪ في الشطر الأفريقي، كما زادت بنسبة ٣٠٪ في إقليمي شبه الجزيرة العربية (أ)، وفي إقليم غربي أفريقيا (ب) بنسبة ١٣٪، وكانت الزيادة ١١٪ في إقليم الصحراء الكبرى وجنوب شرقي آسيا، وبنسبة ١٠٪ في إقليمي شبه الجزيرة (ب)، و٨٪ في إقليمي الهلال الخصيب وغربي أفريقيا (أ). و٦٪ في إقليم شرقي أفريقيا، و٢٪ في إقليمي حوض النيل. وترجع هذه الزيادات إلى ظاهرة الهجرة الوافدة إلى المدن بسبب عوامل الجذب المختلفة فيها، وانتشار ورخص وسائل النقل، وبانخفاض نسبة البداوة والتحول إلى حياة الاستقرار.



شكل (١٦) نسبة سكان المدن في أوقات العالم الإسلامي (١٩٩٣م)

وخلال الفترة نفسها اختلف التطور في الدول الإسلامية على النحو التالي :-

١- دول زادت فيها نسبة الحضرية :- وهي : السعودية (+٥٦٪)، قطر (+٣١٪)، الكويت (+٤٠٪)، الأردن (+٢٨٪)، لبنان- ماليزيا- بنين (+٢٤٪)، أريتريا- تشاد (+١٨٪)، سيراليون (+١٧٪)، الإمارات- ليبيا- موريتانيا- بوركينافاسو (+١٦٪)، الجابون- تركيا - تنزانيا (+١٤٪)، أندونيسيا (+١٣٪)، جيبوتي- الكمرون (+١١٪)، المغرب- تونس (+٩٪)، اليمن- جزر القمر (+٨٪) غامبيا- السنغال- إيران (+٧٪)، عُمان- النيجر- غينيا (+٦٪)، مالي- بنجلاديش (+٥٪)، العراق- فلسطين- أوغندا (+٤٪)، أفغانستان- البحرين (+٣٪)، أثيوبيا- سوريا- باكستان (+٢٪)، السودان (+١٪).

٢- الدول التي انخفضت فيها نسبة الحضرية :- ونضم خمس دول هي : بروناوي (-٥٪)، الصومال (-٤٪)، غينيا بيساو (-٣٪).

٣- الدول التي ظلت نسبة الحضرية فيها ثابتة وتشمل مصر (-٤٤٪).

والمنتظر أن تستمر زيادة نسبة سكان المدن خلال السنوات المقبلة على الرغم مما يبدو في بعض الأحيان من عودة للريف بسبب الاضطرابات السياسية وعدم الاستقرار.

ب- سكنى الريف :-

ويشمل المزارعين المستقرين أو الرحل والصيادين وقاطعي الأخشاب وجامعي الثمار من الغابات . وكان هؤلاء يشكلون ٦٢٪ من جملة سكان العالم الإسلامي عام ١٩٧٩م، انخفضت إلى ٥٢,٥٪ عام ١٩٩٣م. عام ١٩٩٣م. وتنخفض هذه النسبة بالشرط الآسيوي إلى ٤٥,٢٪ حاليا بعد أن كانت ٥٦,٤٪ عام ١٩٧٩م، بينما تبلغ ٥٩,٧٪ بالشرط الأفريقي بعد أن كانت ٦٧,٧٪ في عام ١٩٧٩م.

وتباين نسبة سكاني الريف بين الأقاليم والدول الإسلامية على النحو التالي
(جدول رقم ٢٨):-

١- أقاليم ودول تقل فيها نسبة سكان الريف عن ربع السكان:- وتضم إقليمي شبه الجزيرة العربية (أ) والهلال الخصيب (١٢٪ و ٢٨٪ على التوالي). وتنتمي إلى هذا النمط تسع دول هي: السعودية (١٣٪)، الكويت (٤٪)، فلسطين- قطر (١٠٪)، البحرين- الإمارات (١٩٪)، لبنان (١٦٪)، ليبيا (٨٪)، موريتانيا (٧٪).

٢- أقاليم ودول متوسط النسبة (٢٥ إلى أقل من ٥٠٪ من السكان):- وتضم إقليمي شمالي أفريقيا (٤٧٪)، وغربي آسيا (٤٦٪)، وتنتمي إليه ثماني دول هي: العراق (٢٥٪)، تونس- بروناي- تركيا (٤١٪)، إيران (٤٦٪)، ماليزيا (٤٩٪).

٣- أقاليم ودول شبه ريفية (٥٠٪ إلى أقل من ٦٦٪ من السكان):- وتضم إقليمي شبه الجزيرة العربية (ب) (٦٦٪)، والصحراء الكبرى (٥٥٪) وإلى هذا النمط تنتمي إحدى عشرة دولة هي: الجزائر (٥٠)، الجابون (٥٤٪)، بنين (٦٢٪)، السنغال (٦١٪)، النيجر- الكمرون (٦٠٪)، المغرب- مالي (٥٣٪)، مصر (٥٥، ٨)، السودان (٥٤٪)، أفغانستان (٦٥٪).

٤- إقليم ودول ريفية (أكثر من ٦٦٪ من السكان):- وتضم أربعة أقاليم هي: شبه القارة الهندية (٧٦، ٦٪)، غربي أفريقيا "ب" (٦٨٪)، حوض النيل (٧١، ٢٪). وتنتمي إلى هذا النمط ١٩ دولة هي: عُمان (٧٦٪)، اليمن- أريتريا (٧١٪)، باكستان- المالديف- جزر القمر (٧٢٪)، بنجلاديش- أثيوبيا (٨٦٪)، أندونيسيا (٦٩٪)، أوغندا (٨٩٪)، الصومال (٧٠٪)، تنزانيا (٧٩٪)، تشاد- سيراليون (٦٨٪)، غامبيا (٧٧٪)، غينيا بيساو- بورкина فاسو (٨٠٪)، غينيا (٧٤٪)، نيجيريا (٨٤٪).

وقد انخفضت نسبة سكان الريف خلال الفترة من ١٩٧٩م إلى ١٩٩٣م في معظم الدول الإسلامية، وتراوح بين (-٤٠٪) في الكويت إلى (-٣٩٪) في السعودية وإلى (-٢٪) في سوريا وباكستان وإلى (-١٪) في السودان، كما يظهر من الجدول السابق رقم (٢٨) وذلك بسبب التقدم الحضري وسكنى المدن المتزايد من جهة وصعوبات الحياة في الريف أو تقدمه التكنولوجي من جهة أخرى.

جدول رقم (٢٨) تطور نسبة سكان المدن والريف في العالم الإسلامي (١)

التغير (ج)	الريف (%)		التغير (ج)	المدن (%)		الإقليم / الدولة
	١٩٩٣ م (ب)	١٩٧٩ م (أ)		١٩٩٣ م (ب)	١٩٧٩ م (أ)	
٣٨ -	١٣	٥٠	٥١ +	٧٩	٢٨	شبه الجزيرة العربية ^أ
٣٩,٠ -	١٣	٥٢	٥٦ +	٧٧	٢١	السعودية
٤٠,٠ -	٤,٠	٤٤,٠	٤٠ +	٩٦	٥٦	الكويت
٢١,٠ -	١٠,٠	٣١	٢١ +	٩٠	٦٩	قطر
٣,٠ -	١٩,٠	٢٢,٠	٣ +	٨١	٧٨	البحرين
٦ -	٦٦	٧٣,٠	٨ +	٣٢	٢٤	سبب الجزيرة العربية ^ب
١٣,٠ -	١٩,٠	٣٢,٠	١٦ +	٨١	٦٥	الإمارات
٥,٥ -	٧٦,٠	٨١,٥	٦ +	١١	٥	عمان
٨,٠ -	٧١,٠	٧٩,٠	٨ +	٢٩	٢١	اليمن
٨ -	٢٨	٣٦	٧ +	٦٨	٦١	الهلال الخصيب
٦,٧ -	٢٥,٠	٣١,٧	٤ +	٧٠	٦٦	العراق
٢,٥ -	١٠,٠	١٢,٥	٤ +	٩٠	٨٦	فلسطين
٢٤,٠ -	١٦,٠	٤٠,٠	٢٤ +	٨٤	٦٠	لبنان
٢,٠ -	٤٥,٠	٤٧,٠	٢ +	٥٠	٤٨	سوريا
٢٨,٠ -	٢٥,٠	٥٣,٠	٢٨ +	٧٠	٤٢	الأردن
١٠ -	٤٦	٥٦	٩ +	٥١	٤٠	غربي آسيا
١٤,٠ -	٤١,٠	٥٥,٠	١٤ +	٥٩	٤٥	تركيا
٥,٨ -	٤٦,٠	٥١,٨	٧ +	٥٤	٤٧,٠	إيران
٣,٠ -	٦٥,٠	٦٨,٠	٣ +	١٨	١٥	أفغانستان
٥ -	٧٨	٨٣	٥ +	١١	١٧	شبه القارة الهنديه
٢,٠ -	٧٢,٠	٧٤,٠	٢ +	٢٨	٢٦	باكستان
٥,٠ -	٨٦,٠	٩١,٠	٥ +	١٤	٩	سجلاديش
١٧,٠ -	٧٢,٠	٨٩,٠	١٧ +	٢٨	١١	المالديف

تابع جدول رقم (٢٨)

التغير (ج)	الريف (%)		التغير (ج)	المدن (%)		الإقليم/ الدولة
	١٩٩٣ م (ب)	١٩٧٩ م (أ)		١٩٩٣ م (ب)	١٩٧٩ م (أ)	
١٤ -	٦٧,٠	٨١	١٤ +	٣٣	١٩	حوض شرقي آسيا
٢٤,٠ -	٤٩,٠	٧٣,٠	٢٤ +	٥١	٢٧	ماليزيا
٥,٠ -	٤١,٠	٣٦,٠	٥ +	٥٩	٦٤	بروناي
١٣,٠ -	٦٩,٠	٨٢,٠	١٣ +	٣١	١٨	إندونيسيا
٠ -	٧٠	٧٠	١ +	٢٦	٢٥	حوض النيل
١,٠ -	٥٤,٠	٥٥,٠	١ +	٢١	٢٠	السودان
٢,٠ -	٨٦,٠	٨٨,٠	٢ +	١٤	١٢	أثيوبيا
٤,٠ -	٨٩,٠	٩٣,٠	١١ +	١١	٧	أوغندا
٠	٥٥,٨	٥٥,٨	٠	٤٤	٤٤	مصر
٥ -	٤٧	٥٢	٥ +	٥١	٤٧	شمال أفريقيا
١٥,٠ -	٨,٠	٢٣,٠	١٦ +	٧٦	٦٠	ليبيا
٩,٠ -	٤١,٠	٥٠,٠	٩ +	٥٩	٥٠	تونس
٢,٠ -	٥٠,٠	٤٨,٠	٢ +	٥٠	٥٢	الجزائر
٩,٠ -	٥٣,٠	٦٢,٠	٩ +	٤٧	٣٨	المغرب
١٣ -	٧٦	٨٩	١٢ +	١٣	١١	شرقي أفريقيا
١١,٠ -	١٩,٠	٣٠,٠	١١ +	٨١	٧٠	جيبوتي
٢,٠ -	٧٠,٠	٧٢,٠	٤ -	٢٤	٢٨	الصومال
١٤,٠ -	٧٩,٠	٩٣,٠	١٤ +	٢١	٧	تنزانيا
٨,٠ -	٧٢,٠	٨٠,٠	٨ +	٢٨	٢٠	حرر القمر
١٧,٠ -	٧١,٠	٨٨,٠	١٧ +	٢٩	١٢	أريتريا
٨ -	٥٥	٦٣	٩ +	٢٣	١٤	الصحراء الكبرى
١٨,٠ -	٦٨,٠	٨٦,٠	١٨ +	٣٢	١٤	تشاد
٦,٠ -	٦٠,٠	٦٦,٠	٦ +	١٥	٩	النيجر

تابع جدول رقم (٢٨)

الريف (%)			المدن (%)			الإقليم / الدولة
التغير (ج)	١٩٩٣ م (ب)	١٩٧٩ م (أ)	التغير (ج)	١٩٩٣ م (ب)	١٩٧٩ م (أ)	
٥,٠-	٥٣,٠	٥٨,٠	٥+	٢٢	١٧	مالي
٢,٠-	٧,٠	٩,٠	١٦+	٣٩	٢٣	موريتانيا
١٠-	٦٨	٧٨	٩+	٣١	٢٣	غربي أفريقيا «أ»
٧,٠-	٦١,٠	٦٨,٠	٧+	٣٩	٣٢	السنغال
٧,٠-	٧٧,٠	٨٤,٠	٧+	٢٣	١٦	غامبيا
٣,٠+	٨٠,٠	٧٧,٠	٣+	٢٠	٢٣	غينيا بيساو
١٧,٠-	٦٨,٠	٨٥,٠	١٧+	٣٢	١٥	سيراليون
١٠,٠-	٧٤,٠	٨٤,٠	٦+	٢٦	٢٠	غينيا
٢-	٨٠	٨٢	٣+	١٠	١٨	غربي أفريقيا «ب»
٢٤,٠-	٦٢,٠	٨٦,٠	٢٤+	٣٨	١٤	بين
٢,٠+	٨٤,٠	٨٢,٠	٢-	١٦	١٨	بيجيريا
١١,٠-	٦٠,٠	٧١,٠	١١+	٤٠	٢٩	الكامرون
١٦,٠-	٨٠,٠	٩٦,٠	١٦+	٢٠	٤	بوركينافاسو
١٤,٠-	٥٤,٠	٦٨,٠	١٤+	٤٦	٣٢	الجابون
٩,٦-	٥٢,٥	٦٢,١	٣+	٤٢	٣٩	العالم الإسلامي (ج)

بعض مؤشرات النمو والتقدم السكاني في العالم الإسلامي

١- الدخل الفردي :

يعتبر الدخل الفردي أفضل مقياس منفرد لتحديد مستوى معيشة السكان في الدول المختلفة، وإن كان المتفق عليه أن التقدم الاقتصادي ليس مجرد التوسع في الإنتاج المحلي والدخل الفردي وإنما في القوة الذاتية على خفض حجم الفقر وآثاره (Tkewwrtha, 1972, p.1).

ويبلغ معدل الدخل الفردي في العالم الإسلامي عام ١٩٩١ م حوالي ٣١٨٩ دولارا في السنة، وهو يقل عن معدل المناطق الأكثر تقدما بحوالي خمس مرات، كما يقل عن معدل العالم بنحو الربع، وهذا المعدل يضع العالم الإسلامي ضمن المناطق التي تعدت مرحلة الفقر والتي تقترب من متوسط العالم (٣٠٠٠ - ٤٥٠٠ دولار في السنة).

ويزيد معدل الدخل الفردي في الشطر الآسيوي إلى ٥٤٥٠ دولارا في السنة، بينما ينخفض في الشطر الأفريقي إلى ٩٢٩ دولار للفرد في السنة، وهو ما يضع الأول ضمن المناطق الغنية في العالم بينما يضع الثاني ضمن المناطق الفقيرة. أما الأقاليم والدول الإسلامية فتتباين معدلات الدخل الفردي فيها على النحو التالي (جدول رقم ٢٩ وشكل رقم ١٧):-

١- الأقاليم والدول المنخفضة الدخل جدا (أقل من ٣٠٠ دولار للفرد في السنة):-
وتضم شرقي أفريقيا (٢١٠ دولار) والصحراء الكبرى (٢٩٠)، كما تضم ١٢ دولة عشر منها في الشطر الأفريقي وأفغانستان وبنجلاديش في الشطر الآسيوي.

٢- الأقاليم والدول المنخفضة الدخل (٣٠٠ - أقل من ٩٠٠ دولار للفرد في السنة):-

وتتضمن خمسة أقاليم هي: حوض النيل (٣٦٠ دولار)، غربي أفريقيا "ب" (٣٨٠ دولار)، شبه القارة الهندية (٣١٧ دولار)، غربي أفريقيا "أ" (٤٩٥ دولار) وجنوب شرقي آسيا (٨٠٣ دولار). وينتمي لهذا النمط ١٦ دولة.

٣- الأقاليم والدول المرتفعة الدخل (أكثر من ٤٥٠٠ دولار في السنة):- وتتضمن ثلاثة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "أ" (٧٦٧٠ دولار)، شبه الجزيرة العربية "ب" (٣٢٠٠ دولار) والهلال الخصيب (٣٣٣٠ دولار)، وتنتمي لهذا النمط تسع دول هي: بروناي (٢١٠٠٠ دولار)، الإمارات (١٩٨٧٠ دولار)، قطر (١٥٨٧٠ دولار) الكويت (١١٦١٨ دولار)، ليبيا (٩٥٥١ دولار)، السعودية (٧٠٧٠ دولار)، البحرين (٦٩١٠ دولار)، عُمان (٥٦٥٠ دولار).

٤- الأقاليم متوسطة الدخل:- وتتضمن إقليمي غربي آسيا (١٨٢٠ دولار)، وشمال أفريقيا (٢١٢٠ دولار). وتنتمي لهذا النمط سبع دول كما هو مبين من الجدول السابق رقم (٢٩).

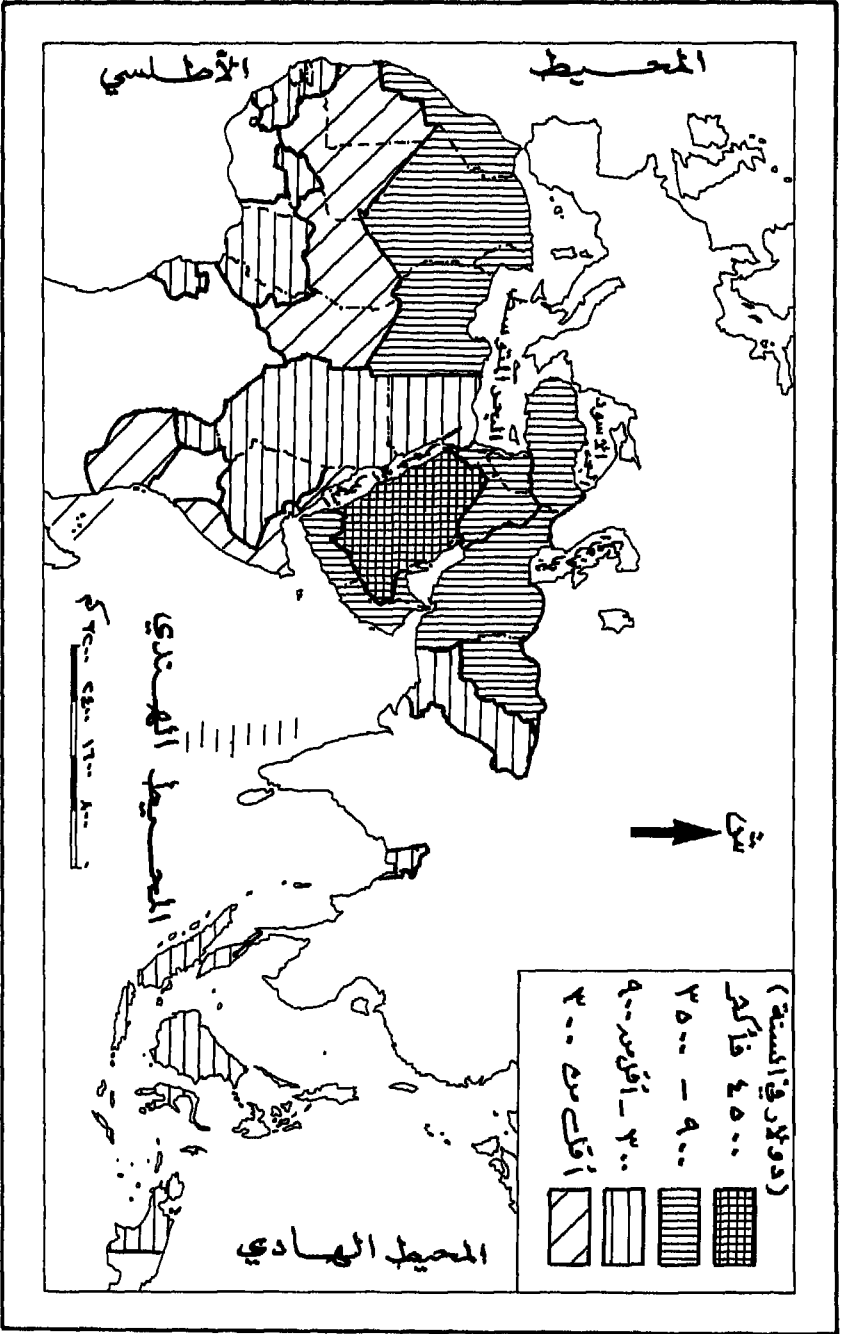
٢- المستوى الصحي:

يتخذ المستوى الصحي للسكان مقياساً جيداً لمستوى معيشة السكان (Stan Ford, 1972, p. 174) ويعود نقص هذا المستوى إلى عوامل جغرافية خاصة وإلى الظروف السياسية والاجتماعية ونحوها ويمكن قياس هذا المستوى بطرق مختلفة على النحو التالي (جدول رقم ٣٠):-

جدول رقم (٢٩) معدلات الدخل الفردي في العالم الإسلامي بالدولار
(الأمريكي عام ١٩٩١م)

الإقليم/ الدولة	المتوسط	الإقليم/ الدولة	المتوسط	الإقليم/ الدولة	المتوسط
شبه الجزيرة العربية «أ»	٧٦٧٠	سحلاديش	٢٢٠	أريتريا	١٣٠
السعودية	٧٠٧٠	المالديف	٤٦٠	الصحراء الكبري	١٩٠
الكويت	١١٦١٨	جنوب شرقى آسيا	٨٠٣	تشاد	٢٢٠
قطر	١٥٨٧٠	ماليزيا	٢٤٩٠	البيجر	٣٠٠
البحرين	٦٩١٠	بروناي	٢١٠٠٠	مالي	٢٨٠
شبه الجزيرة العربية «ب»	٣٢٠٠	إندونيسيا	٦١٠	موريتانيا	٥١٠
الإمارات	١٩٨٧٠	حوض النيل	٣٦٠	غربي أفريقيا «أ»	٤٩٥
عمان	٥٦٥٠	السودان	٤٠٠	السعال	٧٢٠
اليمن	٥٤٠	أثيوبيا	١٢٠	غامبيا	٣٦٠
الهلل الحصب	٣٣٣٠	أوغندا	١٦٠	غينيا بيساو	١٩٠
العراق	٣٣٥٣	مصر	٦٢٠	سيراليون	٢١٠
فلسطين	١١٣٣٠	شمالى أفريقيا	١١١٠	غينيا	٤٥٠
لبنان	٦١٣	ليبيا	٩٥٥١	غربي أفريقيا «ب»	٣٨٠
سوريا	١١١٠	تونس	١٥١٠	سن	٣٨٠
الأردن	١١٢٠	الجزائر	٢٠٢٠	نيجيريا	٢٩٠
غربي اسيا	١٨٢٠	المغرب	١٠٣٠	الكامرون	٩٤٠
تركيا	١٨٢٠	بنرهمى أفريقيا	٢١٠	بوركينافاسو	٣٥٠
إيران	٢٣٢٠	جيبوتي	٣٥٠	الجابون	٣٧٨٠
أفغانستان	١٢٥	الصومال	١٤٠	العالم	١٠٠٤
شبه القارة الهندية	٣١٧	تنزانيا	١٠٠	العالم الإسلامى	٤١٨٠
باكستان	٤٠٠	جزر القمر	٥٠٠	المناطق الأكثر تقدماً	١٥٤٢٠
				المناطق الأقل تقدماً	٨٧٠

المصدر :- THE POPULATION REFERANCE BUREAU,(1993)



شكل (١٧) أنماط المدخل النفدي في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩١م)

أ- ما يخدمه الطبيب الواحد من السكان :

ويقل هذا العدد في الدول المتقدمة عن ٥٠٠ شخص، بينما يرتفع في الدول النامية إلى أضعاف هذا العدد. ويتميز العالم الإسلامي بانخفاض هذا المستوى فطبقاً لمنظمة الصحة العالمية (عام ١٩٩٤م) يرتفع معدل ما يخدمه الطبيب الواحد إلى أكثر من ٥٠٠٠ شخص، وهو ما يعني عدم قدرة الطبيب على فحص المرضى ووصف العلاج اللازم أو متابعة الحالة الصحية. وتصنف الدول الإسلامية إلي الأنماط الأربعة الآتية:-

١- دول ذات مستوى صحي مرتفع، يخدم فيها الطبيب أقل من ألف شخص:-
وتضم السعودية (٧٠٤ شخص للطبيب الواحد)، البحرين (٧٧٥)، لبنان (٤١٣)، الأردن (٦٤٩)، ليبيا (٩٦٢).

٢- دول ذات مستوى صحي متوسط (١٠٠٠- أقل من ٢٠٠٠ شخص للطبيب):-
وتضم الإمارات (١٠٤١)، الجزائر (١٠٦٤) سوريا (١٢٢٠)، العراق (١٦٦٧)، تونس (١٨٥٢).

٣- دول ذات مستوى صحي منخفض (٢٠٠٠- أقل من ٥٠٠٠ شخص للطبيب):-
ومنها باكستان (٢٠٠٠)، الجابون (٢٥٠٠)، ماليزيا (٢٥٦٤)، اليمن (٤٣٤٨).

٤- دول ذات مستوى صحي منخفض جداً (أكثر من ٥٠٠٠ شخص للطبيب)..
ومنها النيجر (٥٠,٠٠٠)، أثيوبيا- تشاد- بوركينا فاسو (٣٣,٣٣٣)، أوغندا (٢٥,٠٠٠)، مالي (٢٠,٠٠٠)، السنغال- موريتانيا (١٦,٦٦٧)، بنين (١٤,٢٨٦)، الكمرون- بنجلاديش (١٢٥٠٠)، أندونيسيا (٧١٤٣)، غينيا- أفغانستان (٧٦٩٢)، المالديف (٦٦٦٧)، نيجيريا (٥٨٨٢).

جدول رقم (٣٠) مؤشرات المستوى الصحي في دول العالم الإسلامي

عام ١٩٩١ م (١:١٠٠,٠٠٠ نسمة) (١)

الدولة	طبيب أسنان (١)	طبيب بشري (١)	صيدلي (١)	هيئات تمريض (١)	نفقات العلاج % من حملة النعمقات (ب)
السعودية	١٣	١٤٢	١٢	٣٢٣	١
قطر	-	-	-	-	١
البحرين	١٣	١٢٩	٢٤	-	٥,٨
الإمارات	١٨	٩٦	-	١٧٦	-
اليمن	١	٢٣	-	٥٥	-
العراق	٩	٦٠	١٠	٧٣	-
فلسطين	-	-	-	-	٥,٢
لبنان	٣٧	٢٤٢	٥١	٤٦	٦
سوريا	٢٧	٨٢	٢٩	٩٧	-
الأردن	٣٦	١٥٤	٥٤	١٥٦	١,٨
إيران	٨	-	-	-	-
أفغانستان	٢	١٣	٣	٩	٢
باكستان	٢	٥٠	٢٩	-	-
تشاد	-	٣	-	٢	-
البحر	-	٢	-	٢٦	-
مالي	-	٥	١	١٧	-
موريتانيا	١	٦	-	٤٤	-
السنغال	١	٦	٣	٨	-
غينيا	-	١٣	-	-	-
بنجلاديش	١	٨	٢	٥	-
المالديف	-	١٥	-	-	-
ماليزيا	٨	٣٩	٦	-	١,٢٨
إندونيسيا	٢	١٤	١	٣٥	٠,٩٩

تابع جدول رقم (٣٠)

الدولة	طبيب أسنان (١)	طبيب بشري (١)	صيدلي (١)	هيئات تمريض (١)	نفقات العلاج % من جملة النفقات (ب)
أثيوبيا	-	٣	١	٧	٢,٩٣
أوغندا	-	٤	-	١٤	١,٨٠
مصر	-	-	٧	-	٢,٧٥
ليبيا	١٥	١٠٤	-	٣٠٥	-
تونس	١١	٥٤	١٥	٢٤٦	-
الجزائر	٢٩	٩٤	٩	-	٢,٧١
المغرب	-	-	-	-	٤,٥٨
ترانيا	-	-	-	-	١,٠٠
جزر القمر	١	١٠	١	٢٩	-
بنين	-	٧	٢	٣١	١,٠٠
نيجيريا	١	١٧	٥	٦١	-
الكامرون	-	٨	٢	٥٤	-
بوركينافاسو	-	٣	١	١٠	-
الجاپون	٣	٤٠	٦	٦٨	-

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

WORLD HELTH ORGANIZATION, (1994), THE WORLD_١
HEALTH STATISTICS, T.C.3, P.19.

ب - INTERN AT , BND LABOUR OFFICE , (1994) 1994 YEAR-
BOOK OF LABOUR, STATISTICS T. A . , P.XLVIII- LII.

وقد اتضح من الدراسة أن هناك علاقة ارتباط موجبة قوية في أقاليم العالم الإسلامي بين الدخل الفردي وعدد الأطباء، ويبلغ معامل الارتباط بينهما (٧٦،٠)، بمعنى أنه كلما زاد الدخل الفردي بدرجة قوية زاد عدد الأطباء بالدرجة نفسها والعكس صحيح.

ب- ما يخدمه السرير الواحد من السكان :

يشير هذا المقياس إلى المستوى الصحي للسكان، ففي الدول المتقدمة يخدم السرير أقل من ٣٨ شخصاً في بريطانيا، ١٠٠ شخص في الولايات المتحدة الأمريكية، و٣٦٠ شخصاً في اليونان (حميدة و١٤٠٠هـ وص ٥٤)، بينما يخدم السرير في الدول النامية عدداً كبيراً من المرضى ليصل في الكويت إلى أقل من ٢٠٠ شخص، وفي السعودية أقل من ٥٠٠ شخص، وفي مصر نحو ٤٥٠ شخصاً، بينما يبلغ ٥٠٠٠ شخص في أثيوبيا وأكثر من ألف شخص في سوريا (المطري، ١٩٨٤م جدول (٨٧)، ص ٦٢٨).

ج- عدد أعضاء هيئة التمريض :

تشير قلة عدد السكان الذين يخدمهم المرضى / إلى ارتفاع المستوى الصحي والعكس صحيح. ويختلف الحال في الدول الإسلامية على النحو التالي :-

- ١- دول متقدمة صحياً (أقل من ٥٠٠ شخص للمرضى) :- ومنها السعودية (٣٠٩)، ليبيا (٣٢٨)، تونس (٤٠٧).
- ٢- دول متوسطة المستوى الصحي (٥٠٠ - ١٠٠٠ شخص / المرضى) :- ومنها الإمارات (٥٦٨)، الأردن (٦٤١).
- ٣- دول منخفضة المستوى (١٠٠٠ - ٤٠٠٠ شخص / ممرضة) :- ومنها: سوريا (١٠٣١)، العراق (١٣٧٠)، الجابون (١٤٧١)، نيجيريا (١٦٣٩)، اليمن (١٨١٨)، الكمرون (١٨٥٢)، موريتانيا (٢٢٧٣)، لبنان (٢١٧٤)، أندونيسيا (٢٨٥٧)، بنين (٣٢٢٦)، جزر القمر (٣٤٤٨)، النيجر (٣٨٤٦).
- ٤- دول منخفضة المستوى جداً (أكثر من ٤٠٠٠ شخص / ممرضة) :-

ومنها: مالي (٥٨٨٣)، أوغندا (٧١٤٣)، بوركينا فاسو (١٠,٠٠٠)، السنغال (١٢٥٠٠)، (١٢٥٠٠)، أفغانستان (١١,١١١)، أثيوبيا (١٤,٢٨٦)، بنجلاديش (٢٠,٠٠٠)، تشاد (٥٠,٠٠٠).

٣- نسبة الإنفاق على التعليم:

تشير هذه النسبة إلى مدى اهتمام الدولة بالتعليم ومستوى المعيشة، وإنما كانت القيم الفعلية لهذا الإنفاق تختلف من دولة إلى أخرى بسبب حجم الإنفاق الحكومي الفعلي، وتبلغ هذه النسبة في العالم الإسلامي ١,١٥٪ من جملة الإنفاق العام، ترتفع في الشطر الآسيوي إلى ١٥,١٦٪، وتنخفض بالشطر الأفريقي إلى ١٣,٩٥٪.

وتختلف نسبة الإنفاق على التعليم بين الأقاليم الإسلامية حيث يأتي إقليم شمالي أفريقيا بنسبة (١٩٪) وإقليم غربي آسيا (١٩٪)، ثم إقليم غربي أفريقيا "أ" (٢٠٪)، وإقليم غربي أفريقيا "ب" (١٣٪)، وتبلغ هذه النسبة ١٨٪ في إقليم شبه الجزيرة العربية (ب)، ١٤٪ في إقليم الصحراء الكبرى، ٩,٥٪ في إقليم جنوب شرقي آسيا، ثم ١٥٪ في إقليم شبه الجزيرة العربية (أ)، ١١٪ في إقليم حوض النيل، ١٢٪ في إقليم الهلال الخصيب، ١١٪ في إقليم شرقي أفريقيا، وتنخفض إلى ٧٪ في إقليم شبه القارة الهندية.

وطبقا لبيانات منظمة اليونسكو عام ١٩٩٤م تصنف الدول الإسلامية إلى الأنماط الآتية (جدول رقم ٣١):-

١- دول يزيد إنفاقها على التعليم على ٢٥٪ من إجمالي إنفاقها العام:- وتضم ثمانى دول هي: بنين (٣٦,٨٪)، إيران (٢٨,٢٪)، السنغال (٢٧,٤٪)، المغرب (٢٦,٧٪).

٢- دول يتراوح إنفاقها على التعليم بين الربع إلى الخمس من جملة إنفاقها العام:-
وتتضم أربع دول هي: موريتانيا- جزر القمر (٢٢٪)، غينيا بيساو (٢١,٥٪)،
ليبيا (٢٠,٨٪).

٣- دول يتراوح إنفاقها على التعليم بين سُبُع إلى خُمس إنفاقها العام:- وتتضم ١٢
دولة هي: اليمن (١٩,٥٪)، بوركينا فاسو (١٧,٥٪)، مالي (١٧,٣٪)،
السعودية (١٧٪) الكمرون- ماليزيا (١٦,٩٪)، الجزائر (١٦,٣٪)، عُمان
(١٦,٢٪)، المالديف (١٦٪)، الإمارات (١٥,٢٪)، أوغندا- السودان
(١٥٪).

٤- دول يتراوح إنفاقها على التعليم بين السَّبُع إلى العُشر من إنفاقها العام:- وتتضم
١٣ دولة هي: سوريا- تونس (١٤,٢٪)، الكويت (١٣,٩٪)، غامبيا
(١٢,٩٪)، لبنان (١٢,٥٪)، سيراليون (١٢,٤٪)، البحرين (١٢,٣٪)،
نيجيريا (١٢٪)، تنزانيا (١١,٤٪)، جيبوتي (١١,١٪)، النيجر (١٠,٨٪)،
فلسطين- تركيا (١٠,٥٪).

٥- دول يقل إنفاقها على التعليم عن عُشر إنفاقها العام:- وتتضم عشر دول هي:
الصومال (٢,٨٪)، باكستان (٥٪)، قطر (٧,٢٪) بنجلاديش (٨,٧٪)،
الأردن (٩,٢٪)، أندونيسيا- أريتريا- أثيوبيا- الجابون (٩,٤٪)، مصر
(٩,٧٪). وإن كان يلاحظ هنا ارتفاع الإنفاق العام لبعض دول هذه المجموعة
بحيث يشكل إنفاقها على التعليم قدرا كبيرا بالفعل بالمقارنة بالدول الأخرى
(مثل قطر).

وبسبب اختلاف عدد السكان وجملة الإنفاق الحكومي الفعلي فإن نصيب
الفرد بالدول والأقاليم الإسلامية يتباين بشدة، ويعتبر مقياسا أفضل لمستوى معيشة
السكان.

جدول رقم (٣١) نسبة الإنفاق على التعليم في العالم الإسلامي (١)
(٪ من جملة الإنفاق الحكومي عام ١٩٩٢/٩٠م)

الإقليم/ الدولة	٪	الإقليم/ الدولة	٪	الإقليم/ الدولة	٪
شبه الجزيرة العربية ^أ	١٥ ب	بجلاڤيش	٨,٧	أريتريا	٩,٤
السعودية	١٧,٠	المالديف	١٦,٠	الصحراء الكري	١٤
الكويت	١٣,٩	جنوب شرقي اسيا	٩,٥	تشاد	٠٠
قطر	٧,٢	ماليريا	١٦,٩	البحر	١٠,٨
البحرين	١٢,٣	بروناي	٠٠	مالي	١٧,٣
شبه الجزيرة العربية ^ب	١٨	إندونيسيا	٩,٤	موريتانيا	٢٢,٠
الإمارات	١٥,٢	حوض النيل	١١		
عمان	١٦,٢	السودان	١٥,٠	عربي أفريقيا ^أ	٢٠
اليمن	١٩,٥	أثيوبيا	٩,٤	السنغال	٢٧,٤
الهلال الخصيب	١٢	أوغندا	١٥,٠	غامبيا	١٢,٩
العراق	٠٠	مصر	٩,٧	غينيا بيساو	٠٠
فلسطين	١٠,٥	شمال أفريقيا	١٩	سيراليون	١٢,٤
لبنان	١٢,٥	ليبيا	٢٠,٨	غينيا	٢١,٥
سوريا	١٤,٢	تونس	١٤,٢	عربي أفريقيا ^ب	١٣
الأردن	٩,٢	الجزائر	١٦,٣	بنين	٢٦,٨
عربي آسيا	١٩	المغرب	٢٦,٧	نيجيريا	١٢,٠
تركيا	١٠,٥	شرقي أفريقيا	١١	الكامرون	١٦,٩
إيران	٢٨,٢	جيبوتي	١١,١	بوركينافاسو	١٧,٥
أفغانستان	٠٠	الصومال	٢,٨	الجابون	٩,٤
شبه القارة الهندية	٧	تنزانيا	١١,٤	العالم الإسلامي	١٥,١
باكستان	٥,٠	جزر القمر	٢٢,٠		

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

UNESCO, (1994) STATISTICAL YEARBOOK 1994 T.4-1 PP.4-57

٤- نصيب الفرد من أجهزة الاتصال ووسائل الإعلام:

أ- الهاتف :-

يدل نصيب الفرد من الهواتف على مدى توافر الخدمات للسكان ومستوى معيشتهم ودرجة تقدمهم السكاني. وطبقا لبيانات الأمم المتحدة عام ١٩٩٤م بلغ هذا النصيب في العالم الإسلامي ١,٥ هاتف لكل ١٠٠ شخص عام ١٩٩١م، أو هاتفاً واحداً لكل ٦٧ شخصا. ويرتفع هذا المعدل في الشطر الآسيوي إلى ٩,٦ هواتف لكل ١٠٠ شخص (أى هاتف واحد لكل ٤,١٠ أشخاص)، بينما ينخفض هذا المعدل في الشطر الأفريقي ١,١٣ هاتف لكل ١٠٠ شخص (أى هاتف واحد لكل ٨٩,٣ شخصا). وتختلف الأقاليم والدول الإسلامية في ذلك على النحو التالي (جدول رقم ٣٢):-

١- أقاليم ودول ذات مستوى مرتفع جدا (١٥+هاتفاً لكل مائة شخص أو هاتف واحد لكل سبعة أشخاص):- ولا ينتمي لهذا النمط إقليم من أقاليم العالم الإسلامي ولكن تنتمي إليه خمس دول هي: فلسطين (٩,٣٤ هاتف لكل مائة شخص) والإمارات (٥,٢٩ هاتفاً لكل ١٠٠ شخص)، قطر (٩,٢١ هاتف لكل مائة شخص)، البحرين (٤,١٩ هاتفاً لكل مائة شخص)، الكويت (١,١٦ هاتفاً لكل مائة شخص).

٢- أقاليم ودول ذات مستوى مرتفع (٨ إلى أقل من ١٥ هاتفاً لكل مائة شخص).. ويضم ثلاثة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "أ" (١٠ هواتف لكل ١٠٠ شخص)، الهلال الخصيب (٨ هواتف لكل ١٠٠ شخص)، وغربي آسيا (٨ هواتف لكل مائة شخص)،. وينتمي إلى هذا النمط خمس دول هي: بروناي (٨,١٤ هاتفاً لكل مائة شخص)، تركيا (٣,١٤ هاتفاً لكل مائة شخص)، لبنان (١,١١ هاتفاً لكل مائة شخص)، ماليزيا (٩,٩ هواتف لكل مائة شخص)، السعودية (٤,٨ هواتف لكل مائة شخص).

٣- أقاليم ودول متوسطة المستوى (٣ إلى أقل من ٨ هواتف لكل مائة شخص):-
وتضم شبه الجزيرة العربية "ب" (٥ هواتف لكل مائة شخص)، شمالي
أفريقيا (٣ هواتف لكل مائة شخص)، وتنتمي إلى هذا النمط عشر دول:
عمان (٦, ٧ هواتف لكل مائة شخص) الأردن (٤, ٦ هواتف لكل مائة
شخص)، ليبيا (٧, ٥ هواتف لكل مائة شخص)، إيران- تونس (هاتف لكل
٤, ٢٤ شخصاً)، العراق- مصر (هاتف لكل ٨, ٢٧ شخصاً)، المالديف
(هاتف لكل ٦, ٢٨ شخصاً)، الجزائر (هاتف لكل ٤, ٢٩ شخصاً).

٤- أقاليم ودول ذات مستوى منخفض (١ إلى أقل من ٣ هواتف لكل مائة
شخص).. وتضم إقاليم جنوب شرقي آسيا (٣, ١ هاتف لكل ١٠٠
شخص)، حوض النيل (٥, ١ هاتف لكل ١٠٠ شخص). وتنتمي إلى هذا
النمط خمس دول هي: المغرب (هاتف لكل ٦, ٥٢ شخصاً)، الجابون (هاتف
لكل ٦, ٥٥ شخصاً)، غامبيا (هاتف لكل ٥, ٦٢ شخصاً)، جيبوتي (هاتف
لكل ٤, ٧١ شخصاً)، اليمن (هاتف لكل ٩١ شخصاً).

٥- الأقاليم والدول ذات المستوى المنخفض جدا (هاتف واحد لأكثر من ١٠٠
شخص)، وتضم خمسة أقاليم هي: غربي أفريقيا "أ" (هاتف لكل
١٤٣ شخصاً)، غربي أفريقيا "ب" (هاتف لكل ١٦٧ شخصاً)، شرقي أفريقيا
(هاتف لكل ٢٥٠ شخصاً)، الصحراء الكبرى (هاتف لكل ٦, ٥٥٥
شخصاً).. وتنتمي إلى هذا النمط ٢٣ دولة هي: تشاد- بنجلاديش-
السودان- أوغندا- بوركينافاسو- نيجيريا- الصومال- غينيا (هاتف لكل ٥٠٠
شخص فأكثر) أثيوبيا- الكمرون- تنزانيا- بنين- أريتريا (هاتف لكل ٣٣٣
شخصاً)، سيراليون- موريتانيا (هاتف لكل ٢٥٠ شخصاً)، غينيا بيساو-
السنغال (هاتف لكل ١٦٧ شخصاً، أندونيسيا- جزر القمر (هاتف لكل ١٤٣
شخصاً).

جدول رقم (٣٢) نصيب الفرد من الهواتف في العالم الإسلامي (١)
(عام ١٩٩١م - هاتف لكل ١٠٠ شخص)

المعدل (١)	الإقليم/ الدولة	المعدل (١)	الإقليم/ الدولة	المعدل (١)	الإقليم/ الدولة
٠,٣	أريتريا	٠,٢	بجلاديش	١٠ (ب)	شبه الجزيرة العربية ^أ
٠,١٢	الصحراء الكبرى	٣,٥	المالديف	٨,٤	السعودية
٠,١	تشاد	١,٢	حبوب شرقى اسيا	١٦,١	الكويت
٠,١	البحر	٩,٩	ماليزيا	٢١,٩	قطر
٠,١	مالي	١٤,٨	بروناي	١٩,٤	البحرين
٠,٤	موريتانيا	٠,٧	إندونيسيا	٥	شبه الجزيرة العربية ^ب
٠,٥	عربي أفريقيا ^أ	١,٥	حوض النيل	٢٩,٥	الإمارات
٠,٦	السغال	٠,٢	السودان	٧,٦	عمان
١,٦	غامبيا	٠,٣	أنجويبا	١,١	اليمن
٠,٦	غيانيساو	٠,٢	أوغندا	٨	الهلال الخصيب
٠,٤	سيراليون	٣,٦	مصر	٣,٦	العراق
٠,٤	عييبا	٣	شمالي أفريقيا	٣٤,٩	فلسطين
٠,٢	عربي أفريقيا ^ب	٥,٧	لبنيا	١١,١	لسان
٠,٢٣	ننيس	٤,١	تونس	٣,٩	سوريا
٠,٣	نيجيريا	٣,٤	الجزائر	٦,٤	الأردن
٠,٢	الكمرون	١,٩	المغرب	٨	عربي آسيا
٠,٣	بوركينافاسو	٠,٣	شرقي أفريقيا	١٤,٣	تركيا
٠,٢	الجانون	١,٤	جيبوتي	٤,١	إيران
١,٨	العالم الإسلامي (ب)	٠,٢	الصومال	٠,٢	أفغانستان
١,٥		٠,٣	تنزانيا	٠,٨	شبه القارة الهندية
		٠,٧	جزر القمر	٠,٩	باكستان

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

UNESCO, (1994) DEMOGRAPHIC YEARBOOK 1994, T.23,
PP.176 - 185.

ب - من حساب الباحث.

وقد تبين من دراسة علاقة الارتباط بين الدخل الفردي ونصيب الفرد من الهواتف وجود علاقة ارتباط موجبة قوية بينهما حيث يبلغ معامل ارتباطها (٨٨,٠)، بمعنى أنه كلما زاد الدخل الفردي بدرجة قوية زاد عدد الهواتف بالدرجة نفسها، والعكس صحيح.

ب- أجهزة التلفزة:

بلغ نصيب العالم الإسلامي من أجهزة التلفزة ١٠٥ جهاز لكل ١٠٠٠ شخص (أو جهاز لكل ٩,٥ أشخاص) طبقا لبيانات الأمم المتحدة عام ١٩٩٤م. ويرتفع هذا النصيب في الشطر الآسيوي إلى ١٧٧ جهازاً لكل ألف شخص (جهاز لكل ٥,٦ أشخاص)، بينما ينخفض في الشطر الأفريقي إلى ٣,٣ جهاز لكل ألف شخص (جهاز لكل ٣٠ شخصاً). ويختلف نصيب الفرد في الأقاليم والدول الإسلامية على النحو التالي (جدول رقم ٣٣):-

١- أقاليم ودول ذات مستوى مرتفع جدا (٢٥٠ جهاز فأكثر لكل ألف شخص):-
وتضم إقليم شبه الجزيرة العربية "أ" (٢٧٨ جهازا لكل ألف شخص).
وتتبعي إلى هذا النمط سبع دول هي: عُمان (٧٢٧ جهازا لكل ألف شخص)، قطر (٤٥٠ جهازا لكل ألف شخص)، البحرين (٤١٥ جهاز لكل ألف شخص)، لبنان (٣٢٥ جهازا لكل ألف شخص)، الكويت (٢٨٣ جهاز لكل ألف شخص)، فلسطين (٢٦٩ جهاز لكل ألف شخص)، السعودية (٢٦٦ جهاز لكل ألف شخص).

٢- الأقاليم والدول ذات المستوى المرتفع (١٠٠ إلى أقل من ٢٥٠ جهازا لكل ألف شخص):-
وتشمل خمس دول نصيب كل ألف شخص فيها ٢٣٥ جهاز في بروناي، ١٧٥ جهازا في تركيا، ١٤٩ جهازا في ماليزيا، ١١٦ جهازا في مصر، ١٠٧ جهازا في الإمارات. وتتبعي إلى هذا النمط ثلاثة أقاليم: شبه الجزيرة العربية "ب" (١١٦ جهازا)، والهلل الخصب (١٠٧ أجهزة)، وغربي آسيا (١٠٣ جهاز).

جدول رقم (٣٣) نصيب الفرد من أجهزة الراديو والتلفزة في العالم الإسلامي (١)
عام ١٩٩١م - (جهاز لكل ١٠٠٠ شخص)

اجهزة الراديو	أجهزة التلفزة	الإقليم/ الدولة	أجهزة الراديو	أجهزة التلفزة	الإقليم/ الدولة
١٧١	٧٤	جنوب شرقي اسيا	٣١٧	٢٧٨	شبه الجزيرة العربية ^أ
٤٣٠	١٤٩	ماليزيا	٣٠٤	٢٦٦	السعودية
٣٦٩	٢٣٥	بروناي	٣٤٣	٢٨٣	الكويت
١٤٦	٥٩	إندونيسيا	٤٤٣	٤٥٠	قطر
٢٠٧	٧٦	حوض النيل	٥٣٧	٤١٥	الحرين
٢٥٠	٧٧	السودان	١٣٤	١١٦	شبه الجزيرة العربية ^ب
٨٦	٥٣	أثيوبيا	٣٢٥	١٠٧	الإمارات
١٠٩	١٠	أرغندا	٦٣٧	٧٢٧	عمان
٣٢٦	١١٦	مصر	٢٧	٢٧	اليمن
٢٢٠	٧٧	شمالي أفريقيا	٢٩٤	١٠٧	الهلال الخصيب
٢٢٥	٩٩	ليبيا	٢١٥	٧٢	العراق
١٩٩	٧٩	تونس	٤٧٠	٢٦٩	فلسطين
٢٣٤	٧٤	الجزائر	٨٣٣	٣٢٥	لبنان
٢١٠	٧٤	المغرب	٢٥٥	٦٠	سوريا
٣٥	٥	شرقي أفريقيا	٢٥٦	٨٠	الأردن
٨٦	٥٣	جيبوتي	١٨٣	١٠٣	عربي آسيا ^١
٣٧	١٢	الصومال	١٦١	١٧٥	تركيا
٢٥	٢	تنزانيا	٢٣١	٦٣	إيران
١٢٨	٠	جزر القمر	١٠٧	٨	أفغانستان
٨٩	٣	أريتريا	٥٩	١٧	شبه القارة الهندية
٩٨	٤	الصحراء الكبرى	٩٠	١٨	باكستان
٢٤٣	١	تشاد	٢٣	٥	سحلاديش
٦٠	٥	النيجر	٢٣١	٦٣	المالديف

«تابع» جدول رقم (٣٣)

أجهزة الراديو	أجهزة التلفزة	الإقليم/ الدولة	أجهزة الراديو	أجهزة التلفزة	الإقليم/ الدولة
١٥٦	٢٩	عربي أفريقيا «ب»	٤٤	١	مالي
٩٠	٥	بنين	١٤٤	٢٣	موريتانيا
١٧٣	٣٣	نيجيريا	١٠٨	١٩	عربي أفريقيا «أ»
١٤٥	٢٤	الكامرون	١١٤	٣٦	السنغال
٢٦	٥	بوركينا فاسو	١٧٠	٠٠	غامبيا
١٤٣	٣٧	الجانون	٤٠	٠٠	غينيا بيساو
١٥٠	٥١	العالم الاسلامي (ب)	٢٢٣	١٠	سيراليون
			٤٢	٧	غينيا

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

U. N., (1994), DEMOGRAPHIC YERU BOOK, 1994 T. 20,
PP.160 - 166.

٣- الأقاليم والدول ذات المستوى المتوسط (٥٠ إلى أقل من ١٠٠ جهاز لكل ألف شخص):- ويضم ثلاثة أقاليم هي: جنوب شرقي آسيا (٧٤ جهازاً)، حوض النيل (٧٦ جهازاً)، شمالي أفريقيا (٧٧ جهازاً). وتتنمي إلى هذا النمط ١٢ دولة هي: ليبيا (٩٩ جهاز لكل ألف شخص)، الأردن (٨٠ جهازاً لكل ألف شخص)، تونس (٧٩ جهازاً لكل ألف شخص)، السودان (٧٧ جهازاً لكل ألف شخص)، المغرب- الجزائر (٧٤ جهازاً لكل ألف شخص)، العراق (٧٢ جهازاً لكل ألف شخص)، إيران (٦٣ جهازاً لكل ألف شخص)، سوريا (٦٠ جهازاً لكل ألف شخص)، أندونيسيا (٥٩ جهازاً لكل ألف شخص)، أثيوبيا- جيبوتي (٥٣ جهازاً لكل ألف شخص).

٤- الأقاليم والدول ذات المستوى المنخفض (أقل من ٥٠ جهازاً لكل ألف شخص):- ويضم إقليم شبه القارة الهندية (١٧ جهازاً لكل ألف شخص)، غربي أفريقيا "ب" (٣٩ جهازاً لكل ألف شخص)، شرقي أفريقيا (٥ أجهزة لكل ألف شخص)، غربي أفريقيا "أ" (١٩ جهازاً لكل ألف شخص)، الصحراء الكبرى (٤ أجهزة لكل ألف شخص). ويتنمي إلى هذا النمط عشرون دولة هي: تشاد- مالي (جهاز لكل ألف شخص)، تنزانيا (جهاز لكل ٥٠٠ شخص)، أريتريا (جهاز لكل ٣٣٣ شخصاً)، النيجر- بنجلاديش- بنين- بوركينا فاسو (جهاز لكل ٢٠٠ شخص)، غينيا (جهاز لكل ١٤٣ شخصاً)، أفغانستان (جهاز لكل ١٢٥ شخصاً)، سيراليون- أوغندا (جهاز لكل ١٠٠ شخص) الصومال (جهاز لكل ٨٣ شخص)، باكستان (جهاز لكل ٦، ٥٥ شخصاً)، موريتانيا (جهاز لكل ٤٣ شخصاً)، الكمرون (جهاز لكل ٤٢ شخصاً)، اليمن (جهاز لكل ٣٧ شخصاً)، نيجيريا (جهاز لكل ٣٠ شخصاً)، السنغال (جهاز لكل ٢٨ شخصاً)، الجابون (جهاز لكل ٢٧ شخصاً).

وقد تبين أن هناك علاقة ارتباط موجبة قوية بين الدخل الفردي ونصيب الفرد من أجهزة التلفزة، حيث بلغ معامل الارتباط بينهما (٠,٨٦)، بمعنى أنه كلما زاد الدخل الفردي بدرجة قوية زاد نصيب الفرد من هذه الأجهزة بالدرجة نفسها والعكس صحيح.

الخاتمة

أولاً : التباينات بين أرجاء العالم الإسلامي :-

سبقت الإشارة إلى التباين بين أرجاء العالم الإسلامي عند دراسة العناصر والمتغيرات السكانية المختلفة، ونفصل ذلك ونجمله على النحو التالي :-

أ- التباين بين الأقاليم الإسلامية :

ليست الأقاليم الإسلامية متساوية في خصائصها السكانية، فبعضها يتقدم في متغير أو أكثر، والبعض الآخر متخلف فيها. وقد اختار الباحث متغيرات سكانية للمقارنة بين الأقاليم الإسلامية متفق عليها بين الباحثين وهي: معدل الوفيات الخام - معدل وفيات الرضع، متوسط عمر الفرد، نسبة متوسطي السن، نسبة المشتغلين بالحرف الأولية، نسبة الأمية العامة، نسبة طلبة الجامعات، نسبة الإناث بين طلبة الجامعات، نسبة سكان المدن، معدل الدخل الفردي ونصيب الفرد من الهواتف و أجهزة التلفزة. ويمكن إيضاح مراكز الأقاليم حسب الجدول رقم (٣٤) وذلك على النحو التالي :-

١- الأقاليم المتقدمة وشبه المتقدمة :- وتتميز بتقدم واضح في المتغيرات السكانية، وتشغل المراكز الثلاث الأولى في معظمها، ويزيد مجموعها على ١٠٠ نقطة، وهي :-

- إقليم شبه الجزيرة العربية (١)، ويشغل المركز الأول بين الأقاليم الإسلامية بعدد ١٤١ نقطة، ويأتي أولاً في عشرة متغيرات، وثانياً في متغير واحد وثالثاً في أخرى.

- إقليم الهلال الخصيب.. ويشغل المركز الثاني بعدد ١٢٣ نقطة، ويأتي أولاً في متغيرين، وثانياً في ثلاثة متغيرات وثالثاً في أربعة، ورابعاً في ثلاثة متغيرات.

- إقليم جنوب شرقي آسيا . ويشغل المركز الثالث بعدد ١١٥ نقطة، ويأتي ثانياً في خمسة متغيرات وثالثاً في متغيرين ورابعاً في ثلاثة وخامساً وثماناً في متغير واحد.

- إقليم شبه الجزيرة العربية (ب) . . ويشغل المركز الرابع بعدد ١١٠ نقطة، ويأتي ثانياً في أربعة متغيرات، ورابعاً في خمسة وخامساً وسادساً وسابعاً في متغير واحد.

- إقليم شمالي أفريقيا ويشغل المركز الخامس بعدد ١٠٤ نقطة، ويأتي ثالثاً في أربعة متغيرات ورابعاً في اثنين، وخامساً في أربعة، وسادساً في اثنين.

٢- الأقاليم متوسطة التقدم . ويتراوح عدد نقاطها بين ٥٠- أقل من ١٠٠ نقطة .

- إقليم غربي آسيا . . ويشغل المركز السادس بعدد ٨٩ نقطة، ويأتي رابعاً في متغيرين، وخامساً في أربعة، وسادساً وسابعاً في ثلاثة.

- إقليم شبه القارة الهندية . . ويشغل المركز السابع بعدد ٧٠ نقطة، ويأتي ثانياً في متغير واحد، وسادساً في ثلاثة، وسابعاً في أربعة وثماناً في اثنين، وتاسعاً وحادي عشر في متغير واحد.

- إقليم حوض النيل . . ويشغل المركز الثامن بعدد ٥٧ نقطة، ويأتي سادساً في متغير واحد وسابعاً في ثلاثة، وثماناً في أربعة، وتاسعاً وحادي عشر في اثنين.

٣- الأقاليم النامية . . وتشغل عدداً كبيراً من متغيرات التخلف السكاني، ويقل عدد النقاط التي حصلت عليها عن ٥٠ نقطة، وهي:-

- إقليم غربي أفريقيا (ب) . . ويشغل المركز التاسع بعدد ٤٨ نقطة، ويأتي سابعاً في متغير وثماناً في اثنين، وتاسعاً في خمسة وعاشراً في أربعة متغيرات.

جدول رقم (٣٤) ترتيب أقاليم العالم الإسلامي حسب بعض مقاييس التقدم السكاني

الإقليم الملمح السكاني	شبه الجزيرة العربية (١)	شبه الجزيرة العربية (ب)	الهلال الخصيب	غربي آسيا	شبه القارة الهندية	جنوب شرقي آسيا	حوض النيل	شمالي أفريقيا	شرقي أفريقيا	الصحراء الكبرى	غربي أفريقيا (١)	غربي أفريقيا (ب)
معدل الوفيات الخام	١	٥	٣	٧	٦	٢	٨	٤	٩	١١	١٢	١٠
معدل وفيات الرضع	١	٤	٣	٧	٦	٢	٩	٥	١٠	١١	١٢	٨
متوسط عمر الفرد	١	٤	٢	٧	٦	٢	٨	٤	٩	١١	١٢	٩
نسبة متوسطي السن	١	٤	٤	٤	٧	٢	٧	٣	١٠	١٠	٧	١٠
نسبة المشتغلين بالزراعة	١	٤	٢	٦	٧	٥	٨	٣	١٢	١١	١٠	٩
نسبة الأمية العامة	٣	٤	١	٥	٧	٢	٩	٦	٨	١٢	١٠	١٠
نسبة طلبة الجامعات	٢	٧	١	٤	٢	٨	٦	٣	١٢	١١	١٠	٩
نسبة الاناث من طلبة الجامعات	١	٢	٤	٦	٨	٣	٧	٥	١٠	١٢	١٠	٩
نسبة سكان المدن	١	٦	٢	٥	١١	٤	١١	٣	٧	١٠	٩	٨
معدل الدخل الفردي	١	٢	٤	٦	٩	٣	١١	٥	١٢	١٠	٨	٧
نصيب الفرد من الهواتف	١	٢	٣	٥	٧	٤	٨	٤	١١	١٢	٩	١٠
نصيب الفرد من أجهزة التلفزة	١	٢	٣	٥	٨	٤	٧	٥	١٠	١٢	٩	١١
عدد النقاط (٢)	١٤١	١١٠	١٢٤	٨٩	٧٠	١١٥	٥٧	١٠٤	٣٦	٢٣	٣٦	٤٨
الترتيب بين الأقاليم الإسلامية	١	٤	٢	٦	٧	٢	٨	٥	١٠	١٢	١٠	٩

١ - الحول من إعداد الباحث بناء على الجداول السابقة.

٢ - المركز الأول = ١٢ نقطة، الثاني = ١١ نقطة، الثالث = ١٠ نقطة، الرابع = ٩ نقطة، الخامس = ٨ نقطة، السادس = ٧ نقطة، السابع = ٦ نقطة، الثامن = ٥ نقطة، التاسع = ٤ نقطة، العاشر = ٣ نقطة، الحادي عشر = نقطتان، الثاني عشر = نقطة واحدة.

- إقليم غربي أفريقي (أ) . . ويشغل المركز العاشر بعدد ٣٦ نقطة، ويأتي سابعاً وثامناً في متغير واحد وتاسعاً في اثنين، وعاشراً في أربعة، وحادي عشر في متغير واحد، والثاني عشر في ثلاثة متغيرات.

- إقليم شرقي أفريقيا . . ويشغل المركز العاشر بعدد ٣٦ نقطة متساوياً مع الإقليم السابق في عدد المراكز التي يحتلها في المتغيرات المختلفة.

- إقليم الصحراء الكبرى . . ويشغل المركز الأخير بين الأقاليم الإسلامية بعدد ٢٣ نقطة، ويأتي في المراكز الثلاث الأخيرة في كل المتغيرات، فهو العاشر في ثلاثة متغيرات والحادي عشر في خمسة، والثاني عشر في أربعة متغيرات.

ب- التباين بين الدول الإسلامية :

اختار الباحث عشرة متغيرات سكانية لبيان درجة التقدم السكاني للدول الإسلامية هي نفسها السابقة عدا نسبة طلبة الجامعة ونصيب الفرد من أجهزة التلفزة. وتصنف الدول الإسلامية إلى ثلاثة أعماط على النحو التالي :-

١- الدول المتقدمة وشبه المتقدمة :

وتتميز بمستوى مرتفع جداً إلى مرتفع من درجات التقدم السكاني. وتنقسم إلى مجموعتين: الأولى تتساوى مع الدول المتقدمة إلى حد بعيد، والثانية تسير في طريق التقدم وتقترب من مستوى الدول المتقدمة إن لم تكن قد بلغتها فعلاً أو جاوزتها. ويزيد عدد نقاط المجموعة الأولى عن ٤٠٠ نقطة، بينما يبلغ عدد نقاط المجموعة الثانية ٣٥٠ إلى أقل من ٤٠٠ نقطة، وتضم ١٢ دولة على النحو التالي (جدول رقم ٣٥) :-

١- الكويت . . تشغل المركز الأول بعدد ٤١٦ نقطة، وتأتي أولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً في متغيرين، وخامساً وتاسعاً في متغير واحد.

- ٢- الإمارات . . وتشغل المركز الثاني بعدد ٤١٥ نقطة، وتأتي أولا في متغير واحد، وثانيا في أربعة، وثالثا في واحد، ورابعا في اثنين، وخامسا وعاشرا في متغير واحد.
- ٣- فلسطين . . وتشغل المركز الثاني- مع الإمارات- بعدد ٤١٥ نقطة، وتأتي أولا وخامسا في ثلاثة متغيرات، والثانية في اثنين، والسادسة والسابعة في متغير واحد.
- ٤- قطر . . تشغل المركز الرابع بمجموع ٤١٤ نقطة، وتأتي الأولى والخامسة والسادسة والتاسعة في متغير واحد والثانية والثالثة في ثلاثة متغيرات.
- ٥- البحرين . . وتشغل المركز الخامس بين الدول الإسلامية بعدد ٤٠٩ نقطة، وتأتي الأولى والثامنة في متغير واحد والثالثة والخامسة في اثنين، والرابعة في أربعة متغيرات.
- ٦- ليبيا . . تشغل المركز السادس بعدد ٣٧٤ نقطة، وتأتي السادسة والثالثة عشرة في متغيرين، والسابعة والثامنة والتاسعة والثانية عشرة والخامسة عشرة والتاسعة عشرة في متغير واحد.
- ٧- بروناي . . وتشغل المركز السابع بعدد ٣٧٢ نقطة، وتأتي الأولى والثانية والرابعة والسادسة والثامنة في متغير واحد كما تأتي الرابعة في أربعة متغيرات.
- ٨- لبنان . . وتشغل المركز الثامن من بعدد ٣٦٦ نقطة، وتأتي ثالثة وتاسعة في متغير واحد وسادسة وثامنة في اثنين، وسابعة في ثلاثة متغيرات.
- ٩- السعودية . . وتشغل المركز التاسع بعدد ٣٥٧ نقطة، وتأتي رابعة وخامسة وسادسة وتاسعة وعاشرة والثانية عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة في متغير واحد والسابعة في اثنين.

جدول رقم (٣٥) ترتيب دول العالم الإسلامي حسب بعض مقاييس التقدم السكاني

الترتيب (٢)	مجموع النقاط	نصيب الفرد من الهواتف	معدل الدخل الفردي	نسبة سكان المدن	نسبة الإناث بين طلبة الجامعة	نسبة الأمية العامة	نسبة عمال الزراعة	نسبة متوسط السن	متوسط عمر الفرد	معدل الوفيات الرضع	معدل الوفيات العام	المقياس / الدولة
١	٤١٦	٥	٤	١	٣	٣	٢	٩	٢	٤	١	الكويت
٢	٤١٥	٢	٢	٤	١	١٠	٤	٢	٣	٥	٢	الإمارات
٢	٤١٥	١	٥	٢	٧	١	٥	٥	١	٢	٦	فلسطين
٤	٤١٤	٣	٣	٢	٢	٩	٣	١	٥	٦	٢	قطر
٥	٤٠٩	٤	٨	٤	٥	٥	١	٣	٤	٤	٣	البحرين
٦	٣٧٤	١٣	٦	٦	٩	١٣	٨	١٥	١٢	١٩	٧	ليبيا
٧	٣٧٢	٦	١	٨	٤	٤	٠	٤	٣	١	٢	بروناي
٨	٣٦٦	٨	٢٣	٣	٨	٧	٧	٦	٧	٩	٦	لبنان
٩	٣٥٧	١٠	٧	٥	٩	١٧	١٦	١٣	٦	٧	٤	السعودية
١٠	٣٥٦	١٢	١٧	٧	١١	٦	٦	٣	٨	١٠	٤	الأردن
١١	٣٥٢	١٩	١٤	١٠	١٧	١٨	١٢	٧	٩	١٣	٥	الجزائر
١٢	٣٥١	٩	١٢	٢٢	١٠	١١	١٤	٦	٥	٣	٤	ماليزيا
١٣	٣٤٤	١٦	١١	٧	١٦	٣	٩	٨	١٠	١٤	٦	العراق
١٤	٣٤٠	١٤	١٦	٩	١٣	١٤	١٠	٩	٨	١٢	٧	تونس
١٥	٣٣٤	٧	١٥	١٤	١٤	٨	١٩	٦	١٠	١٧	٦	تركيا
١٦	٣٢٩	١٤	١٣	١١	١٨	١٢	١٣	١٥	٩	١٠	٦	إيران
١٧	٣٢١	١٥	١٨	١٠	١٦	١٦	١١	١٨	٩	١١	٥	سوريا
١٨	٣١١	١١	٩	٣٣	٦	٢٨	١٧	١٧	٦	٨	٤	عمان
١٩	٢٩٩	٢٠	١٩	١٢	١٦	٢١	١٥	١٠	١٢	١٩	٧	المغرب

تابع جدول رقم (٣٥)

الترتيب (٢)	مجموع النقاط	نصيب الفرد من الهواتف	معدل النخل الفردى	نسبة سكان المدن	نسبة الإناث بين طلبة الجامعة	نسبة الأمية العامة	نسبة عمال الزراعة	نسبة متوسط السن	متوسط عمر الفرد	معدل الوفيات الرضع	معدل الوفيات العام	المقياس الدولة
٢٠	٢٩٧	١٧	٢٢	١٥	١٥	٢١	١٨	٩	١١	١٨	٧	مصر
٢١	٢٩٣	٢٥	٢٤	٢٩	١٦	٦	٢٠	٤	١٢	١٤	٧	أندونيسيا
٢٢	٢٨٤	٢١	١٠	١٣	١٩	٩	٣٠	١٢	١٤	٢٦	١٢	الجابون
٢٣	٢٥٩	٢٨	٢٠	١٦	٢٧	٢٢	٢٥	١٥	١٣	١٦	٩	الكمرون
٢٤	٢٤٤	٢٤	٣٠	٢٣	٢٢	٢٧	٢١	١٤	١٢	٢٥	٨	باكستان
٢٥	٢٤٣	٢٩	٣٠	٢٨	١٣	٢٤	٢٤	١٤	١٥	٢٠	١٠	السودان
٢٦	٢٣٥	٢٨	١٠	٢٧	٢٦	٢٠	٣٩	١٦	١٦	٢٢	١١	تنزانيا
٢٧	٢٤٣	٢٨	٣١	١٨	٢٧	٢٢	٢٦	١٧	١٨	٢٣	١٤	بنين
٢٨	٢٣٢	٢٦	٢١	١٧	٢٣	٢٧	٢٧	١٥	١٩	١٩	١٣	السنغال
٢٩	٢٣٣	٢٧	٢٦	١٧	٢٨	٢٣	٢٨	١٣	١٧	٢٧	١١	موريتانيا
٣٠	٢٢٧	١٨	٢٨	٣٣	٠٠	٢	٠٠	١٧	١٢	١٥	٨	المالديف
٣١	٢٢٣	٢٣	٢٥	٢٠	٢٩	٣٠	٢٣	١٦	١٨	٣١	١٢	اليمن
٣٢	٢١٥	٢٩	٣٥	٣٠	٢٠	٢٥	٢٩	١٦	١٨	٢١	١٢	نيجيريا
٣٣	٢٠٨	٢٩	٣٧	٣٤	٢٤	٢٦	٣١	١٠	١٣	٢٩	٩	بنجلاديش
٣٤	٢٠٤	٢٩	٤١	٢٤	٢٤	٣٣	٣٢	١٧	٢١	٣٢	١٤	الصومال
٣٥	٢٠٢	٢٥	٢٧	٢١	٠٠	١٩	٣٧	١٨	١٣	٢٤	٩	جزر القمر
٣٦	١٩٢	٢٣	٣٣	٤	٠٠	٣٣	٠٠	١٢	٢٠	٣٠	١٣	جيبوتي
٣٧	١٩١	٣٠	٣٧	١٩	٣١	٢٨	٣٣	١٤	٢١	٣٢	١٤	تشاد
٣٨	١٨٩	٢٧	٢٩	٣٣	٢٥	٣٠	٣٤	١٧	٢٤	٣٦	١٦	غينيا
٣٨	١٨٩	٢٩	٤٣	٣١	١٢	٣١	٢٢	١١	٢٥	٣٩	١٨	أفغانستان
٤٠	١٨٨	٢٩	٤٠	٣٣	٢١	١٥	٣٨	١٨	٢٣	٣٠	١٥	أوغندا
٤١	١٨٤	٢٨	٤٢	٢٠	٢٦	٣٢	٠٠	١٤	١٨	٢٨	١٣	أريتريا
٤٢	١٧٦	٢٩	٣٢	٢٨	٢٣	٣٦	٤١	١٥	٢١	٣٤	١٤	بوركينا فاسو
٤٣	١٧٥	٢٩	٣٨	١٩	٣٠	٣٣	٢٧	١٤	٢٦	٤٠	١٩	سيراليون
٤٤	١٧٤	٢٢	٣٢	٢٥	٠٠	٢٨	٤٠	١١	٢٣	٣٥	١٥	نجامبيا
٤٥	١٧٤	٢٨	٤٤	٣٢	٢٦	٢٩	٣٥	١٦	٢١	٣١	١٤	أثيوبيا
٤٦	١٦٩	٣٠	٣٤	٣١	٣٧	٣٤	٣٩	١٧	٢١	٣٣	١٥	النيجر
٤٧	١٦١	٣٠	٣٦	٢٦	٢٠	٣٥	٤٢	١٧	٢٢	٣٨	١٥	مالي
٤٨	١٥٥	٢٦	٣٩	٢٨	٠٠	٣٠	٣٦	١٣	٢٤	٣٧	١٧	عسبا بيساو

المصدر: التحول من إعداد الباحث بناء على الجداول السابقة

١٠- الأردن . . وتشغل المركز العاشر بعدد ٣٥٦ نقطة، وتأتي رابعة وسابعة وثامنة وعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة والسابعة عشرة في متغير واحد والسادسة في اثنين .

١١- الجزائر . . وتشغل المركز الحادي عشر بين الدول الإسلامية بعدد ٣٥٢ نقطة، وتشغل مركزاً واحداً بين الخامس والتاسع عشر في المتغيرات المختلفة .

١٢- ماليزيا . . وتشغل المركز الثاني عشر بعدد ٣٥١ نقطة، وتأتي في مركز واحد من الثالث إلى الرابع عشر، والمركز ٢٢ في متغير واحد .

٢- الدول متوسطة النمو :

ويتصف سكانها بمستويات وسطى في متغيرات التقدم السكاني، ويتراوح عدد نقاطها بين ٢٥٠ و أقل من ٣٥٠ نقطة، وعددها ١١ دولة هي: العراق- تونس- تركيا- إيران- سوريا- عُمان- المغرب- مصر- أندونيسيا- الجابون- الكمرون، وذلك على النحو المبين في الجدول السابق رقم (٣٥).

٣- الدول منخفضة النمو :

ويتصف سكانها بمستويات منخفضة في سلم التطور السكاني، ويقل مجموع نقاطها عن ٢٠٠ نقطة، وتضم أكبر عدد من الدول الإسلامية (٢٥ دولة)، هي: باكستان- السودان- تنزانيا- بنين- السنغال- موريتانيا- المالديف- اليمن- نيجيريا- بنجلاديش- الصومال- جزر القمر- جيبوتي- تشاد- غينيا- أفغانستان- أوغندا- أريتريا- بوركينافاسو- سيراليون- غامبيا- أثيوبيا- النيجر- مالي- غينيا بيساو وذلك على النحو المبين في الجدول السابق رقم (٣٥).

ثانياً: مقارنة العالم الإسلامي بمناطق العالم الأخرى :

تختلف والملامح السكانية بالعالم الإسلامي عن مثيلتها في مناطق العالم الأخرى على النحو التالي (جدول رقم ٣٦):-

أ- المقارنة مع العالم :

- ١- زيادة مواليد العالم الإسلامي عن مثيلتها بالعالم بنسبة ١٣٪ (٣٨ : ٢٥ في الألف على النحو التالي).
- ٢- زيادة خصوبة المرأة بالعالم الإسلامي عن العالم بنحو ٣, ٢ مولودين (٤, ٥ : ٣, ١ مواليد على التوالي).
- ٣- زيادة معدلات الوفيات الخام بالعالم الإسلامي عن العالم بنسبة ٢, ٢ في الألف (١١, ٢ : ٩ في الألف على التوالي).
- ٤- زيادة معدلات وفيات الرضع بالعالم الإسلامي عن العالم بنحو ١٢ في الألف (٧٦ : ٦٤ في الألف على التوالي).
- ٥- انخفاض متوسط عمر الفرد بالعالم الإسلامي عن العالم بنحو خمس سنوات (٥٩ : ٦٤ سنة علي التوالي).
- ٦- ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية بالعالم الإسلامي عن العالم بنسبة ١, ١٪ (٢, ٧ : ١, ٦٪ على التوالي).
- ٧- قلة عدد السنوات اللازمة لمضاعفة عدد السكان بالعالم الإسلامي عن العالم بنحو ١٦ سنة (٢٦ : ٤٢ سنة علي التوالي).
- ٨- زيادة معدل النمو السنوي للسكان في العالم الإسلامي عن العالم بنحو الضعف (٣, ٠٧ : ١, ٩٪ على التوالي).
- ٩- زيادة نسبة الأطفال غير المنتجين بالعالم الإسلامي عن العالم بنسبة ١٠٪ (٤٢ : ٣٢٪ على التوالي).
- ١٠- انخفاض نسبة متوسطي السن المنتجين بالعالم الإسلامي عن العالم بنسبة ٧٪ (٥٥ : ٦٢٪ على التوالي).

جدول رقم (٣٦) مقارنة بعض المتغيرات السكانية في العالم الإسلامي

مع المناطق الأخرى بالعالم (١)

التغير (عن العالم)	المناطق الأقل تقدما	المناطق الأكثر تقدما	العالم	العالم الإسلامي	المتغيرات السكانية	مسلسل
١٣+	٤٣	١٣	٢٥	٣٨	المواليد (في الألف)	١
٢,٣+	٥,٨	١,٧	٣,١	٥,٤	الخصوبة الكلية (مولود للمرأة)	٢
٢,٢+	١٥	١٠	٩	١١,٢	الوفيات الحام (في الألف)	٣
١٢+	١١٠	١٠	٦٤	٧٦	وفيات الرضع (في الألف)	٤
٥-	٥١	٧٤	٦٤	٥٩	متوسط عمر الفرد (سنة)	٥
١,١+	٢,٨	٠,٣	١,٦	٢,٧	الزيادة الطبيعية (%)	٦
١٦-	٢٤	١٦٢	٤٢	٢٦	السنوات اللارمة لمصاعمة عدد السكان (سنة)	٧
١,١٧+	٣,٥	٠,٣٤	١,٩	٣,٠٧	معدل النمو السوي للسكان (%) الكثافة	٨
١١+	٦٥	٣٢	٤٣	٥٤	السكانية (نسمة/ الكم ٢)	٩
١٠+	٤٤	٢٠	٣٢	٤٢	نسبة الأبطال (/ من حملة السكان)	١٠
٧-	٥٣	٦٧	٦٢	٥٥	نسبة متوسطي السن (/ من حملة السكان)	١١
٣-	٣	١٣	٦	٣	نسبة كبار السن (/ من حملة السكان)	١٢
١+	٣٤	٧٢	٤٢	٤٣	نسبة سكان المدن (%)	١٣
٩٩١-	٨٧٠	١٥٤٢٠	٤١٨٠	٣١٨٩	معدل الدخل الفردي (دولار في السنة)	١٤

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على الجداول السابقة.

- ١١- انخفاض نسبة كبار السن بالعالم الإسلامي عن العالم بنحو الضعف (٣:٦٪ على التوالي).
- ١٢- انخفاض معدل الدخل الفردي بالعالم الإسلامي عن العالم بنحو ٩٩١ دولاراً في السنة (٣١٨٩: ٤١٨٠ دولاراً في السنة على التوالي).
- ١٣- ارتفاع نسبة سكان المدن بالعالم الإسلامي قليلاً (٤٣: ٤٢٪ على التوالي).
- ب- المقارنة مع المناطق الأكثر تقدماً:**
- ١- تزيد معدلات مواليد العالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدماً بنحو ثلاث مرات (٣٨: ١٣ في الألف على التوالي).
- ٢- تزيد معدلات خصوبة المرأة في العالم الإسلامي عن مثيلتها في المناطق الأكثر تقدماً أكثر من ثلاث مرات (٤, ٥: ١, ٧ مولود على التوالي).
- ٣- تزيد معدلات الوفيات الخام بالعالم الإسلامي عن المناطق لأكثر تقدماً بنحو ١, ٢ في الألف (٢, ٢٢: ١٠ في الألف على التوالي).
- ٤- تزيد معدلات وفيات الرضع بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدماً بنحو سبع مرات (٧٦: ١٠ في الألف على التوالي).
- ٥- يقل متوسط عمر الفرد بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدماً بنحو ١٥ سنة (٥٩: ٧٤ سنة على التوالي).
- ٦- ترتفع الزيادة الطبيعية بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدماً تسع مرات تقريباً (٧, ٢: ٣, ٠٪ على التوالي).
- ٧- تقل السنوات اللازمة لمضاعفة عدد السكان بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدماً سبع مرات تقريباً (٢٦- ١٢٦ سنة على التوالي).
- ٨- يزيد معدل النمو السنوي للسكان بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدماً عشر مرات تقريباً (٧, ٠: ٣, ٣٤٪ على التوالي).
- ٩- تزيد كثافة السكان بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدماً بشكل بارز (٥٤: ٣٢ نسمة في الكيلو متر المربع على التوالي).

- ١٠- تزيد نسبة الأطفال بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما بأكثر من الضعف (٤٢ : ٢٠٪ على التوالي).
- ١١- تنخفض نسبة متوسطي السن بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما بنحو ١٢٪ (٥٥ : ٦٧٪ على التوالي).
- ١٢- تقل نسبة كبار السن بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما أكثر من أربع مرات (٣ : ١٣٪ على التوالي).
- ١٣- تنخفض نسبة سكان المدن بالعالم الإسلامي عن مثيلتها في المناطق الأكثر تقدما كثيرا (٤٣ : ٧٢٪ على التوالي).
- ١٤- تنخفض معدلات الدخول الفردية بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما إلى الخمس تقريبا (٣١٨٩ : ١٥٤٢٠ دولارا في السنة على التوالي).

ج- المقارنة مع المناطق الأقل تقدما :

- ١- تقل معدلات مواليد العالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٥ في الألف (٣٨ : ٤٣ في الألف على التوالي).
- ٢- تقل معدلات خصوبة المرأة بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٤,٥ مولودا (٤,٥ : ٥,٨ مواليد على التوالي).
- ٣- تقل معدلات الوفيات الخام بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٣,٨ في الألف (٢,١١ : ١٥ في الألف على التوالي).
- ٤- تقل معدلات وفيات الرضع في العالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٣٤ في الألف (٧٦ : ١١٠ في الألف على التوالي).
- ٥- يزيد متوسط عمر الفرد في العالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٨ سنوات (٥٩ : ٥١ سنة على التوالي).
- ٦- تقل معدلات الزيادة الطبيعية بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق قليلا (٧,٢ : ٨,٢ على التوالي).

٧- تزيد عدد السنوات اللازمة لمضاعفة عدد السكان بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو سنتين (٢٦ : ٢٤ سنة على التوالي).

٨- تقل نسبة النمو السنوي لسكان العالم الإسلامي عن هذه المناطق قليلا (٠,٧ : ٣,٥ ٪ سنويا على التوالي).

٩- تقل كثافة السكان بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ١١ نسمة في الكيلو متر المربع (٥٤ : ٦٥ نسمة في الكيلو متر المربع على التوالي).

١٠- تقل نسبة الأطفال بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٢٪ (٤٢ : ٤٤ ٪ على التوالي).

١١- تزيد نسبة متوسطي السن بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٢٪ (٥٥ : ٥٣ ٪ على التوالي).

١٢- تتساوى نسبة كبار السن في المنطقتين (٣ : ٣ ٪).

١٣- تزيد نسبة سكان المدن بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٩٪ (٤٣ : ٣٤ ٪ على التوالي).

١٤- يزيد معدل الدخل الفردي في العالم الإسلامي عن هذه المناطق أكثر من ثلاث مرات ونصف (٣١٨٩ : ٨٧٠ دولار في السنة على التوالي).

ومن هنا يظهر أن سكان العالم الإسلامي في مرحلة وسط بين خصائص المناطق الأكثر تقدماً وخصائص المناطق الأقل تقدماً، وأنهم يتقدمون بخطى سريعة نحو مستوى العالم ونحو مستوى المناطق الأكثر تقدماً على المدى البعيد.

ثالثاً : نظرة مستقبلية لأحوال السكان في العالم الإسلامي :-

من استعراض الظواهر السكانية في العالم الإسلامي خلال القرن العشرين يتضح أن أحوال السكان تسير في طريق التقدم بخطى سريعة، وذلك على النحو التالي (جدول رقم ٣٧) :-

١- تضاعف العدد الكلي للسكان من ٢١٠ مليون نسمة عام ١٩٠٠م بنحو خمسة أضعاف فصار ١١٦١ مليوناً عام ١٩٩٤م، وزادت نسبتهم من ١٨٪ من جملة سكان العالم عام ١٩٧٩م إلى ٢٣٪ عام ١٩٩٤م، والمتوقع أن تصبح مستقبلاً ٣٠٪ مع بداية القرن الحادي والعشرين الميلادي.

٢- تتجه معدلات المواليد نحو الانخفاض المستمر، فقد هبطت بنحو ٦، ١٣٪ بين عامي ١٩٧٩ و ١٩٩٤م (من ٤٤ إلى ٣٨ / الألف)، ويتنظر استمرار هذا الاتجاه مستقبلاً بسبب التغيرات التي تطرأ على المجتمع المسلم.

٣- تتجه معدلات الخصوبة الكلية للمرأة نحو الانخفاض، فقد هبطت بنحو الربع خلال الفترة من ١٩٧٩م إلى ١٩٩٤م (من ١، ٧ إلى ٤، ٥ مواليد للمرأة)، والمتوقع استمرار هذا الاتجاه مستقبلاً بسبب تغير ظروف المرأة المسلمة.

٤- تتجه معدلات الوفيات الخام نحو الانخفاض، فقد هبطت بنحو ٣٢٪ خلال الفترة من ١٩٧٩م إلى ١٩٩٤م (من ١٦، ٥ إلى ١١، ٢ / الألف)، والمتنظر استمرار هذا الاتجاه مستقبلاً بسبب التحسن في الصحة والمعيشة.

٥- تتجه معدلات وفيات الرضع نحو الانخفاض، فقد هبطت بنسبة ٤٠٪ (من ١٢٦ إلى ٧٦ في الألف) في الفترة المذكورة، والمتنظر استمرار هذا الاتجاه مستقبلاً بسبب تحسن الظروف الصحية والأسرية ومستوى الأم.

٦- أزداد متوسط عمر الفرد عشر سنوات خلال الفترة ١٩٧٩- ١٩٩٤م (من ٤٩ إلى ٥٩ سنة).

٧- انخفضت نسبة الزيادة الطبيعية السنوية بنحو ٦، ٣٪ خلال الفترة ١٩٧٩- ١٩٩٤م (من ٨، ٢ إلى ٢، ٧٪)، ويتنظر استمرار هذا الاتجاه مستقبلاً بخاصة بسبب نقص المواليد والوفيات.

- ٨- زادت كثافة السكان من ٥٤ نسمة في الكيلو متر المربع خلال الفترة ١٩٧٩-١٩٩٤م و ينتظر استمرار هذا الاتجاه بسبب زيادة السكان وثبات المساحة.
- ٩- انخفضت نسبة الأطفال قليلا بنحو ٢٪ (من ٤٤ إلى ٤٢٪ من جملة السكان)، كما زادت نسمة متوسطي السن بنحو ٢٪ (من ٥٣ إلى ٥٥٪)، و ينتظر استمرار هذا الاتجاه مستقبلا بسبب انخفاض المواليد.
- ١٠- ظلت نسبة كبار السن ثابتة (٣٪) خلال الفترة المذكورة، يتوقع ارتفاعها خلال ربع القرن القادم.
- ١١- انخفضت نسبة المشتغلين بالحرف الأولية بنحو ١٤٪ خلال الفترة ١٩٧٩-١٩٩٤م (من ٥٤,٨ إلى ٤٧,٢٪)، و ينتظر استمرار هذا الاتجاه مستقبلا مع زيادة نسبة المشتغلين بالحرفتين الثانية والثالثة.
- ١٢- تناقصت المدد الازمة لمضاعفة عدد السكان أربع سنوات (من ٣٠ إلى ٢٦ سنة) و ينتظر ارتفاع هذه المدد بسبب انخفاض نسبة الزيادة الطبيعية.
- ١٣- انخفضت نسبة الأمية العامة بنحو ١١٪ (من ٦٠٪ إلى ٤٩٪) من جملة السكان فوق ١٥ سنة، و ينتظر انخفاض هذه النسبة مستقبلا مع انخفاض نسبة الأميين والأميات بسبب الجهود الحكومية الضخمة للتعليم ومحو الأمية.
- ١٤- الاتجاه السريع نحو التحضر، حيث زادت نسبة سكان المدن ١٩٪ (من ٢٤ إلى ٤٣٪ من جملة السكان) بين عامي ١٩٧٩م و ١٩٩٤م، و ينتظر استمرار هذا الاتجاه مستقبلا بسبب التوسع في الصناعة وتطوير الريف.
- ١٥- صاحب الاتجاه السابق انخفاض سريع في نسبة سكان الريف والبادية بلغ ٩,٦٪ خلال الفترة ذاتها، و ينتظر استمرار هذا الاتجاه بسبب تحسن ظروف الريف وجاذبية المدن للسكان.

جدول رقم (٣٧) نظرة مستقبلية لأحوال السكان في العالم الإسلامي (١)

الاتجاه المستقبلي	التغير (%)	١٩٩٤م	١٩٧٩م	المتغيرات السكانية	مسلسل
التزايد السريع	٤٥٣+	١١٦١	٢١٠ (١٩٠٠م) ٨٥٠ (١٩٧٩م)	عدد السكان (بالمليون)	١
التناقص الواضح	١٣,٦-	٣٨	٤٤	معدلات المواليد (في الألف)	٢
" "	٢٤-	٥,٤	٧,١	معدلات الخصوبة (مولودا للمرأة)	٣
" "	٣٢-	١١,٢	١٦,٥	معدلات الوفيات الخام (في الألف)	٤
" "	٤٠-	٧٦	١٢٦	معدلات وفيات الرضع (في الألف)	٥
التزايد	٢٠+	٥٩	٤٩	متوسط عمر الفرد (سنة)	٦
التناقص البطيء	٣,٦-	٢,٧	٢,٨	معدلات الريادة الطبيعية (/ سويوا)	٧
" "	١٣,٣-	٢٦	٣٠	السوات اللارمة لمصاعمة عدد السكان (سنة)	٨
التزايد السريع	٣٥+	٥٤	٤٠	الكثافة السكانية (سمة/الكم٢)	٩
التناقص البطيء	٤,٥-	٤٢	٤٤	نسبة الأطفال (/ من حملة السكان)	١٠
التزايد	٣,٨+	٥٥	٥٣	نسبة متوسطي السن (/ من حملة السكان)	١١
" "	-	٣	٣	نسبة كبار السن (/ من جملة السكان)	١٢
التناقص الواضح	١٤,-	٤٧,١	٥٤,٨	نسبة المشتغلين بالزراعة (/ من جملة قوة العمل)	١٣
التزايد السريع	١٨,٣-	٤٩	٦٠	نسبة الأمية العامة (/ فوق ١٥ سنة)	١٤
التزايد السريع جدا	٧٩,٢+	٤٣	٢٤	نسبة سكان المدن (/ من جملة السكان)	١٥
التناقص السريع	١٥,٥-	٥٢,٥	٦٢,١	نسبة سكان الريف (/ من حملة السكان)	١٦

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على الجداول السابقة.

أولاً- المراجع العربية:

- إبراهيم، محمد حسن، (١٩٧٦م)، دراسات في سكان الوطن العربي، مجلة الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، العدد الثاني، يناير ١٩٧٥م.
- إسماعيل، أحمد علي (١٩٧٦م) إسماعيل السكان وتطبيقاتها الجغرافية، الطبعة الأولى، مطابع دار الشعب، القاهرة.
- حسن منصور؛ وحبيب كرم، (١٩٧٥م) السكان والبناء الاجتماعي، القاهرة.
- حميدة عبدالرحمن، (١٤٠٠هـ) جغرافية التخلف، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الرابع.
- شاكر، محمود (١٩٧٤م) أندونيسيا، بيروت.
- (١٩٧٦م)، سكان العالم الإسلامي مؤسسة الرسالة، بيروت.
- صادق، دولت، وآخرون (١٩٧٥م) الجغرافية السياسية، القاهرة.
- غلاب، محمد السيد؛ عبدالقادر، حسب؛ وشاكر، محمود، البلدان الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- أبو عيانه، فتحي محمد، (١٩٧٧م) جغرافية السكان وأسسها الديموغرافية العامة، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية.
- غلاب محمد السيد، وعبدالحكيم، محمد صبحي، (١٩٧٤م) السكان- ديموجرافيا وجغرافيا، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- المطري، السيد خالد، (١٩٨٤م) دراسات في سكان العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، مطابع جامعة الملك عبدالعزيز جدة.
- المطري، السيد خالد، (١٤٠٨هـ)، الجغرافية الحيوية، ط٢، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة.

ثانياً - المراجع الأجنبية :-

Abbott,J., (1971), The Iranians, How They Live And Work, North Prom- Fret.

Ahmed, K.S., (1969) A Geography Of Pakistan, Second Edition, Oxford University Press.

Beaujeu- Garnier, J., (1976) A Geogrphy Of Population, London.

Brian R.K., (1977), Rural Settlement In Britain, London.

Brice, W.C., (1966) South West Asia, University Of London Press.

Carlson, L., (1967), Africa And The Nations, Mc Graw- Hill.

Chisholm, M., (1972) Rural Settlement And Land Use- An Essay In Location, London.

Church, R.J.H., (1968) West Africa- A Study Of The Environment And The Man' S Use Of It, 6th Edition, London.

Church, R.J.H., (1973) And Others, Africa And The Islands, Third Ed Ition, London.

Clarke, J.I., (1974) Population Geography And The Developing Count Ries, Oxford.

Clarke, J.I.,(1976a) Population Geography, Second Editon, Oxford.

Clarke, J.I.,(1976b) Sierra Leone In Maps, London, I 976.

Cressey, G, B, Asia'sland And Peoples, Mc Graw-hill, Culombia Univeersity Press,Nek.

- Dowdney, J, C, (1971) Turkey An Introduction Geography, New York.
- Encyclopedia Of The Natilons, (1974a) Africa, Vol, 2, Londond.
- Encyclopedia Of The Natilons, (1974b) Asta, Vol, 4, London.
- Fao, Yearbook, Production 1993 (1994) Vol, 74, Rome.
- Field, H, (1936) Arbs Of Central Iraq, Chicgo.
- Fisher,C.A, (1971) South East Asia-a Social, Economic And Politi Cal Geography, London.
- Fisher,C.A, (1973) Malaysia, In: South East Asia- An Introduction Essay On The Geography, History And Economy Of The Region, Reprinted From The East And Aust- Ralisia, London.
- Fisher, W, B, (1971) The Middle East, London.
- Greenberg, J, H (1971) Language, Culture And Communication, Essays, Stanford University Press, California.
- Hance, W, (1975) The Geography Of Modern Africa, Second Edition, Culombi University Press, New York.
- Hiernaux, J, (1974) The People Of AERICA, London.
- Jankowski, J, 1970 The Middle East, A Social Geography, London.
- Johnstone, B.L.C., (1975) , Bangladesh, New York.
- Johnstone, T.M., (1970) The Languages Of The Middle East Peoples And Culture Of The Middle East-an Anthropolog Ical Reader, Vol, I, New York.

Mansfield, P, 1973 The Middle East- A Political And Economic Survey, Oxford University Press, Fourth Edition.

Neill, W, T, (1973) W. T. Twentieth Century Indonesia, Columbia University Press, New York.

Peterson, W, (1973) Population, Third Edition, New York.

Showers (1969) World Facts And Figures, New York.

Stanford, Q, H (1972) The World's Population- Problems Of Growth Oxford University Press, Toronto.

Taylor, A, (1972) The Middle East, Newton, Abbot.

The Population Reference Bureau, (1979) Mid- 1979 Population Data Sheet, Washington.

The Population Reference Bureau, (1993), World Population Data Sheet, Washington.

The Europa Yearbook, 1988- A World Survey, London.

The World Health Statistics, Annual World Health Organization, Geneva 1994.

Thompson. W. S. (1965) Population Problems, Mc Graw- Hill, New Delhi.

Trewartha, G, T, 1972 The Less Developing Realim: A Geography Of Its Population, New York.

Unesco, (1994) Statistical Yearbook, France.

U, N, 1994 Demographic Yearbook.

U, N. (1994) Statistical Yearbook, 39 Issue New York.

U, N, (1994) World Population, New York.

Weekes, R .V (1978) Muslim Peoples -A, World Ethnographic Survey, Cunnecticut, U,S,A.

World Muslim- Gazetteer, (1975) Umma Publication House, Karachi.

International Labour Office (1994) Yearbook Of Labuor, , Statistical, Geneva.

فهرس الأشكال

الرقم	الموضوع	الصفحة
١	نمو عدد سكان العالم الإسلامي خلال القرن العشرين الميلادي .	٢٦٤
٢	معدلات المواليد في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٠ - ١٩٩٥ م).	٢٧٠
٣	معدلات الوفيات الخام في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤ م) ..	٢٧٨
٤	معدلات وفيات الرضع (أقل من سنة) في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٥ م)	٢٨٤
٥	متوسط عمر الفرد في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤ م)	٢٨٩
٦	معدلات الزيادة الطبيعية في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٥ م) .	٢٩٤
٧	أنماط النمو السكاني في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٣ م)	٣٠٦
٨	توزيع السكان حسب أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤ م)	٣٢٠
٩	أنماط الكثافة السكانية في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤ م) ...	٣٢٨
١٠	أنماط التركيب النوعي للسكان في أقاليم العالم الإسلامي	٣٥٠
١١	نسبة (الأطفال أقل من ١٥ سنة في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤ م)	٣٥٦
١٢	نسبة متوسطي السن في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤ م)	٣٦٠
١٣	نسبة المشتغلين بالزراعة في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٣ م) ..	٣٦٩
١٤	نسبة الأمية في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٨٧ م)	٣٧٤
١٥	نسبة المسلمين في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤ م)	٣٩٧
١٦	نسبة سكان المدن في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٣ م)	٤٠٦
١٧	أنماط الدخل في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩١ م) ..	٤١٦

فهرس الجداول

الرقم	الموضوع	الصفحة
١	سكان العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي . .	٢٥٤
٢	نمو عدد سكان العالم الإسلامي خلال القرن العشرين الميلادي .	٢٦١
٣	تطور المواليد في العالم الإسلامي (في الألف)	٢٦٨
٤	معدلات الخصوبة الكلية في العالم الإسلامي (٩٠-١٩٩٥م)	٢٧٤
٥	(مولود/ للمرأة)	٢٧٤
٦	معدلات الوفيات الخام بالعالم الإسلامي (%)	٢٧٦
٦	تغير معدلات وفيات الرضع (أقل من سنة)	٢٨٢
٧	في العالم الإسلامي (في الألف)	٢٨٢
٧	التغير في متوسط عمر الفرد في العالم الإسلامي (سنة) . . .	٢٨٧
٨	تطور معدلات الزيادة الطبيعية في العالم الإسلامي (%) . . .	٢٩٢
٩	دور الهجرة الدولية في زيادة سكان دول وأقاليم العالم الإسلامي	٢٩٨
٩	(بين عامي ١٩٧٩ و ١٩٩٣م)	٢٩٨
١٠	معدلات النمو السكاني في العالم الإسلامي (%)	٣٠٣
١١	عدد السنوات اللازمة لمضاعفة عدد سكان العالم الإسلامي (سنة) .	٣٠٩
١٢	توقعات السكان في العالم الإسلامي عامي ٢٠١٥ و ٢٠٥٠م .	٣١٢
١٣	تصنيف دول العالم الإسلامي حسب عدد ونسبة السكان	٣٢٢
١٤	عام ١٩٩٤م	٣٢٢
١٤	تطور كثافة السكان في العالم الإسلامي	٣٢٦
١٥	المجموعات السكانية الإسلامية الكبرى في العالم الإسلامي . .	٣٤٥
١٦	التركيب النوعي لسكان العالم الإسلامي	٣٤٨
١٧	نسبة السكان أقل من ١٥ سنة بين سكان العالم الإسلامي (%) .	٣٥٤

«تابع» فهرس الجداول

الرقم	الموضوع	الصفحة
١٨	نسبة متوسطي السن في العالم الإسلامي (%)	٣٥٨
١٩	نسبة كبار السن في العالم الإسلامي (%)	٣٦٣
٢٠	نسبة المشتغلين بالزراعة في العالم الإسلامي	
	(% من جملة النشطين اقتصادياً)	٣٦٧
٢١	نسبة الأمية في العالم الإسلامي	
	(% من جملة السكان ١٥ سنة فأكثر)	٣٧١
٢٢	نسبة طلبة الجامعات بين سكان العالم الإسلامي	
	(طالب لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة) عام ١٩٩٢/٩١ م	٣٧٩
٢٣	نسبة الإناث بين طلبة الجامعات في العالم الإسلامي	
	(عام ١٩٩١ م)	٣٨١
٢٤	نسبة الإناث في مراحل التعليم الثانوية والابتدائية في العالم	
	الإسلامي (١٩٩٢/٩١ م) (%)	٣٨٣
٢٥	معدلات الزواج والطلاق في بعض دول العالم الإسلامي	
	عام ١٩٩٢ م	٣٨٧
٢٦	التوزيع الجغرافي للغات الرئيسية في العالم الإسلامي	٣٩٠
٢٧	عدد ونسبة أتباع الدين الإسلامي في العالم الإسلامي عام ١٩٩٤ م .	٣٩٥
٢٨	تطور نسبة سكان المدن والريف في العالم الإسلامي	٤١٠
٢٩	معدلات الدخل الفردي في العالم الإسلامي	
	(دولار أمريكي - عام ١٩٩١ م)	٤١٥
٣٠	مؤشرات المستوى الصحي في دول العالم الإسلامي	
	عام ١٩٩١ م (١:١٠٠,٠٠٠ نسمة)	٤١٨
٣١	نسبة الإنفاق على التعليم في العالم الإسلامي	
	(% من جملة الإنفاق الحكومي - عام ٩٠ - ١٩٩٢ م)	٤٢٣

«تابع» فهرس الجداول

الرقم	الموضوع	الصفحة
٣٢	نصيب الفرد من الهواتف في العالم الإسلامي عام ١٩٩١	٤٢٦
	(١٤٤ هاتف لكل ١٠٠ شخص).....	
٣٣	نصيب الفرد من أجهزة الراديو والتلفزة في العالم الإسلامي	٤٢٨
	عام ١٩٩١ م (جهاز لكل ١٠٠٠ شخص).....	
٣٤	ترتيب أقاليم العالم الإسلامي حسب بعض مقاييس	٤٣٤
	التقدم السكاني.....	
٣٥	ترتيب دول العالم الإسلامي حسب بعض مقاييس	٤٣٧
	التقدم السكاني.....	
٣٦	مقارنة بعض المتغيرات السكانية في العالم الإسلامي	٤٤١
	مع المناطق الأخرى بالعالم.....	
٣٧	نظرة مستقبلية لأحوال السكان في العالم الإسلامي.....	٤٤٧

الجغرافيا الحضارية للعالم الإسلامي

أ.د. محمد محمود السرياني

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٤٦١	المقدمة
٤٨٠	المحور الديني لجغرافية العالم الإسلامي الحضارية
٥٣٥	المحور اللغوي لجغرافية العالم الإسلامي الحضارية
٥٦٧	المحور الاقتصادي لجغرافية العالم الإسلامي الحضارية
٦٠٦	المحور البشري لجغرافية العالم الإسلامي الحضارية
٦٥٣	مؤشرات مستقبلية
٦٨١	الهوامش
٦٨٨	المراجع
٧٠٦	فهرس الأشكال
٧٠٧	فهرس الجداول

مقدمة

إن مجال الجغرافيا الحضارية للعالم الإسلامي متشعب الجوانب ومتعدد الموضوعات فهو واسع رحب كرحابة العالم الإسلامي، ومتعدد تعدد موضوعات الجغرافيا وتنوعها. فهناك بادئ ذي بدء اختلاف واضح في مدلول كلمة حضارة واختلاف شديد في الرأي بين الباحثين في الموضوعات التي تندرج تحت مسمى الجغرافيا الحضارية، واختلاف ثالث حول طريقة تناول موضوعات الجغرافيا الحضارية، وإزاء ذلك كله كان لزاما علينا أن نحدد منهجنا ومفهومنا الذي سوف نتبناه عن تناول هذه الأمور ودراساتها. ولذا كان لابد من تحديد المفاهيم الاصطلاحية لكلمة "حضارة" ومدلول الجغرافيا الحضارية وكذلك طريقة تناول موضوعات الجغرافيا الحضارية.

مدلول كلمة حضارة:

قبل أن نتحدث عن الجغرافيا الحضارية للعالم الإسلامي لابد لنا من الإلمام بمدلول كلمة "حضارة" تلك الكلمة التي تطورت معانيها اللغوية والاصطلاحية تطوراً كبيراً، بحيث أصبح لها دلالات عديدة، لابد من الإحاطة ببعضها قبل أن نبسط الحديث في مفهوم الجغرافيا الحضارية للعالم الإسلامي.

ذكرت المعاجم العربية كلمة "حضارة" في مقابل كلمة "بداوة". كذلك كلمة "حاضرة" تقابل كلمة "بادية". وخلاصة ما في معاجمنا العربية عن مادة "حضارة" تنتهي بنا إلى أن الحضارة هي مجرد الحياة في المدينة، على حين تكون البداوة مجرد الحياة في البادية. فالحضر- على هذا المعنى- هم سكان المدينة، والبدو هم سكان الصحراء.

وفي العصر الحديث أخذت كلمة "حضارة" تكتسب دلالة جديدة ومعنى مغايراً لمعناها القديم في معاجم اللغة، ولم تعد كلمة "حضارة" في العرف اللغوي

المعاصر مقصورة على مدلولها القديم المقابل لمدلول " البداوة " وإنما جاوزته إلى مدلول آخر هو التعبير عن ارتقاء المجتمع وارتفاعه عن المستويات البدائية، ومن ذلك يقال مجتمع متحضر ومجتمع غير متحضر . ويقصد بالمجتمع المتحضر ذلك الذي له قيمة الروحية الرفيعة، وأساليبه المادية المتطورة في مواجهة البيئة وظروف الحياة المختلفة . كما يقصد بالمجتمع غير المتحضر ذلك الذي لم يتجاوز الطور البدائي في قيمة الروحية وأساليبه العلمية والمادية .

لقد توسع العرف اللغوي الحديث في مدلول الحضارة والتحضر، فلم يجعل ذلك المدلول مقصوراً على وصف المجتمع وتقدير طوره التاريخي بل هو يمتد حتى يتسع إلى وصف الأفراد والأعمال . فيقال إنسان متحضر أو غير متحضر، كما يقال كذلك عمل متحضر وعمل غير متحضر . وهنا نجد أن مضمون الحضارة والتحضر قد خرج عن معناه القديم في معاجم اللغة وأصبح مرتبطاً من قريب أو بعيد بالصفات الخلقية والمستويات الاجتماعية، حيث نجد أن عنصر التقويم والتقدير أصبح ملحوظاً فيما نستخدم من كلمة " حضارة " و " تحضر " وبذلك اكتسبت الكلمة وشقيقتها دلالة وصيغة ذات معنى منفصل عن الأصل اللغوي .

ولقد اتسع مفهوم كلمة " حضارة " بمرور الزمن خلال التأثير الأوروبي في الدراسات الحضارية وأصبح المدلول الجديد لكلمة " حضارة " هو ترجمة اصطلاحية للكلمة الإنجليزية (Culture) بمدلولها العلمي الذي أصبح في العصر الحديث . وهذا المدلول يتمثل في مجموعة القيم والأنماط التي تتحكم في توجيه النشاط الروحي والمادي .

إن كلمة (Culture) في اللغة الإنجليزية ككلمة حضارة في اللغة العربية قد اعترها الكثير من التطور في تحديد المعنى قبل أن تستقر كمفهوم يهتم بالمجتمع بصورته الكلية وما تحويه هذه الصورة من قيم وسنن وأنماط نظرية وعملية .

إن المنهج الذي سوف نتبعه يقتضي لأغراض هذه الدراسة أن نستبعد المدلول الذي يستخدم كلمة "حضارة" في مقابل كلمة "بداوة". وكذلك المدلول الذي يستخدم كلمة "حضارة" للتعبير عن حظ المجتمع أو الفرد من التطور والارتقاء. ذلك لأن كلاً من المدلولين لم يعد ملائماً لمفهوم كلمة "حضارة" في صورتها العلمية المعاصرة. إذ إن المقرر في أصول الدراسة الحضارية أن لكل مجتمع إنساني- مهما كان حظه من التطور والارتقاء- حضارته الاجتماعية، مادام لهذا المجتمع قيم وأنماط تتحكم في توجيه نشاطه الإنساني. فليس من المعقول أن يكون هنالك مجتمع إنساني دون أن تكون له نظم وأنماط تخضع لها حياته الاجتماعية. فالحضارة بهذا المدلول ليست صفة خاصة يتصف بها مجتمع إنساني دون آخر، وإنما هي صفة عامة يتصف بها كل مجتمع إنساني ربطت بين أفراد مجموعة من القيم الروحية وقواعد السلوك. وبهذا المفهوم فسكان البادية والقبائل الرحل وحتى سكان المناطق المنعزلة لا يمكن بحال أن ننفي عنهم صفة الحضارة، حيث إن هؤلاء الناس يعيشون على نظم اجتماعية، ولهم من النظم والقيم ما يمكن أن يطلق عليه كلمة "حضارة"، لأن الحضارة صفة للإنسان بوجه عام تميزه عن مجتمع الحيوان. وعلى هذا فمفهومنا الاصطلاحي لكلمة "حضارة" يتمثل في مجموعة القيم والأنماط التي تتحكم في توجيه النشاط الروحي والمادي للمجتمع المدروس (الشريف، ١٩٨١م: ١٢).

وهناك إلى جانب كلمة (Culture) في اللغة الإنجليزية، وكلمة (حضارة) في اللغة العربية يوجد مصطلح آخر هو كلمة (Civilization) التي تستخدم في ترجمتها إلى العربية كلمة "مدنية". وأصل هذه الكلمة في اللغة اللاتينية شبيه بأصلها في اللغة العربية، فهي مشتقة في اللغتين من لفظ "مدينة" ثم تطورت حتى أصبح لها الدلالة السائدة وذلك المعنى المألوف.

وكثيراً ما تستخدم كلمة (Civilization) وكلمة "مدنية" للدلالة على مفهوم يماثل مفهوم الحضارة، غير أن ذلك الاستعمال لهذه الكلمة باعتبارها مرادفة لكلمة "حضارة" لا يبدو أن يكون ضرباً من التساهل في دلالات الألفاظ، وذلك لأن الحضارة أعم وأشمل من المدنية، لأن الحضارة تشتمل على النشاط الاجتماعي من كافة جوانبه الروحية والمادية. أما المدنية فهي مجرد النشاط المادي للمجتمع. وبذلك تكون المدنية جانباً من جوانب الحضارة وفرعاً من فروعها. وهناك خلاف في الرأي وتباين في وجهات النظر بالنسبة إلى التسوية بين كلمة "حضارة" و"مدنية" أو التفرقة بينهما (الشريف، ١٩٨١م: ص ١١-١٤).

ونظراً لكثرة الاجتهادات حول هذا الموضوع فإن منهجنا الذي سوف نتبناه لأغراض هذه الدراسة هو أن الحضارة أعم وأشمل من المدنية لأنها تشتمل على الجوانب الروحية والمادية للمجتمع على حد سواء. وبذلك تكون المدنية فرعاً من فروع الحضارة بمفهومها الواسع.

مدلول الجغرافيا الحضارية:

إن البحث في الجغرافيا الحضارية- عند الغالبية العظمى من الجغرافيين- يتضمن التأكيد على الحضارة البشرية في الأوساط البيئية التي يعيش فيها الإنسان. ومن هنا فإن الجغرافيا الحضارية هي دراسة التغيرات المكانية بين المجموعات الحضارية حيث تركز على وصف وتحليل ما يطرأ على المعطيات الحضارية من تغيرات إذا اختلفت البيئات التي توجد بها مثل هذه الظواهر. ولما كانت الحضارة ترتبط بالمجموع لا بالفرد لذا لا بد من الاهتمام بالشعوب أكثر من الاهتمام بالأفراد فالمجموعات البشرية هي ميدان دراسة الجغرافيا الحضارية.

الموضوعات التي تندرج تحت مسمى الجغرافيا الحضارية كثيرة ومتعددة، إلا أنها في الغالب تشمل المعتقد والسلوك واللغة وطرز الحياة والتطورات التقنية وأنظمة الحكم التي تربط الناس في حضارة واحدة. وقد حدد في خطة هذا البحث أربعة محاور رئيسة لدراسة الجغرافيا الحضارية للعالم الإسلامي هي المحور الديني واللغوي والاقتصادي والبشري. وقد التزمنا ببحث هذه المحاور كمؤشرات مهمة للجغرافيا الحضارية في ديار الإسلام.

إن كل محور من المحاور السابقة يقتضي تحديد خمسة موضوعات أساسية يعتبرها علماء الجغرافيا الحضارية مؤشرات مهمة لتحديد وجهة نظر الباحث في موضوعات الجغرافيا الحضارية، وتلك الموضوعات هي:

- ١ - المنطقة الحضارية Culture area
- ٢ - الانتشار الحضاري Culture Diffusion
- ٣ - الإيكولوجيا الحضارية Culture Ecology
- ٤ - التكامل الحضاري Culture Integration
- ٥ - المظهر (أو اللاندسكيب) الحضاري Culture Landscape

وفي مايلي لمحة موجزة عن هذه الموضوعات:

١ - المنطقة الحضارية Culture area :

المنطقة الحضارية هي المنطقة التي تعيش بها مجموعات لها جانب أو مجموعة جوانب حضارية مشتركة. ويعبر عن ذلك حضارياً باسم مناطق الحضارة الرسمية Formal Culture area وهي التي تعتمد لتصنيف السكان ضمن معطيات حضارية متماثلة. فعلى سبيل المثال المنطقة التي يتكلم سكانها اللغة الفارسية يمكن إظهارها على خريطة تعرف بخريطة اللغات. ومثل ذلك يمكن رسم المناطق التي تسود فيها

زراعة الحبوب على خريطة الغرض منها إبراز مناطق الحضارات الزراعية، ومثلها خريطة الآليات الدينية أو العرقية. إن خريطة السكان الذين يتكلمون الفارسية أو خريطة السكان الذين يمارسون الزراعة تمثل كل منها مفهوماً مبسطاً لمنطقة حضارية بصورتها الأولية والبسيطة معتمدة على عنصر حضاري واحد. غير أنه في الغالب نجد أن المناطق الحضارية تعتمد على العديد من المعطيات والعوامل.

إن الباحث في الجغرافيا الحضارية لابد له من رسم حدود المنطقة الحضارية، ولما كان مثل هذه الحدود غير دقيقة وضبابية في أغلب الأحيان لذا لابد من اللجوء إلى الحديث عن حدود نطاقية Border Zone أكثر من حدود خطية، تفصل بين المناطق الحضارية المختلفة بحيث تظهر فيها سمات مشتركة للحضارتين معاً. وتكون المعطيات الحضارية أكثر وضوحاً وبروزاً في نواة المنطقة الحضارية وليس في أطرافها، حيث تظهر الصفات الحضارية مميزة وواضحة في النواة، وتدرج بالتلاشي والاضمحلال في المناطق الحدودية للمنطقة. حيث ينتقل المرء بصورة متدرجة من نطاق حضاري إلى نطاق حضاري آخر عبر تدرج بطيء خلال النطاق الحدود الفاصل بين الحضارتين.

٢ - الانتشار الحضاري Culture Diffusion :

إن توزع المناطق الحضارية هو نتيجة حتمية للانتشار المكاني للظاهرة الحضارية. إن كل عنصر حضاري يظهر في مكان خاص به ثم ينتشر. وبعض المعطيات الحضارية تحدث مرة واحدة. ومن هنا يمكن للباحث أن يرصد المكان الذي ظهرت فيه ويحدده بدقة بالغة. غير أن بعض المعطيات الحضارية الأخرى يمكن أن تحدث في أمكنة مختلفة ومن قَبْلِ أشخاص كَثُر وبالتالي يصعب تحديد نقطة الانتشار الأولى. ومن خلال دراسة الانتشار نستطيع فهم التطورات التي تنجم عن التغيرات المكانية للمعطيات الحضارية.

ولابد من التمييز بين نوعين من الانتشار هما: الانتشار التوسعي Expansion Diffusion حيث تنتشر المعطيات الحضارية بين الشعوب ومن منطقة إلى منطقة أخرى في عملية مشابهة لعملية دحرجة كرات الثلج. والحصيلة هي توسع المنطقة التي تنتشر فيها الأفكار الجديدة. وقد يكون الانتشار من خلال إعادة التوطين Relocation Diffusion وذلك حينما تنتقل الجماعات أو الأفراد من منطقة إلى منطقة أخرى، فإنهم يحملون معهم معطياتهم الحضارية، وينشرونها في مواطنهم الجديدة.

وقد يكون الانتشار تريبياً Hierarchical Diffusion حيث تنتقل المعطيات الحضارية مثلاً من مركز حضري إلى مركز حضري آخر متجاوزة المناطق الريفية بين المركزين التي تصلها الأفكار فيما بعد. وقد يكون الانتشار من طريق التجاور حيث تنتقل المعطيات الحضارية بحكم الجوار من منطقة ما إلى المنطقة المجاورة لها تبعاً. وقد يستغرق وقتاً طويلاً أو قصيراً. وكلما ابتعدنا عن مكان الانتشار الأول كلما استغرق ذلك زمناً أطول ولا بد من ملاحظة العوامل التي تعمل على إعاقة الانتشار والتي تعرف في العادة باسم الحواجز الممتصة Absorbing Barriers وهي التي تعيق الانتشار وتوقف تقدمه وزحفه. وبعض هذه العوامل طبيعي وبعضها الآخر اجتماعي أو سياسي أو غير ذلك مما يوقف زحف وتقدم المعطيات الحضارية الوافدة.

٣ - الإيكولوجيا الحضارية Cultural Ecology :

لابد من إبراز الأسباب والتأثيرات المتبادلة بين الحضارة والأوساط البيئية، وبعبارة أخرى لابد من إظهار العلاقة الثنائية بين الكائن الحي وبيئته الطبيعية ومن المعلوم أنه هناك أربع مدارس فكرية لدراسة الإيكولوجيا الحضارية وهي المدرسة الحتمية والمدرسة الإمكانية ومدرسة التطورات البيئية والمدرسة الرابعة وهي أن الإنسان معدل لسطح الأرض. وسوف لن نتبنى وجهة نظر واحدة بل سنحاول أن نستفيد من إمكانات هذه المدارس الهائلة ومعطياتها في تفسير بعض الجوانب المرتبطة بعلاقة الإنسان مع بيئته.

٤ - التكامل الحضاري Cultural Integration :

سبق وذكرنا أن العلاقة بين الإنسان والأرض (البيئة) هي أهم ركائز الإيكولوجيا الحضارية. إن تفسير التغيرات المكانية يتطلب الأخذ بعين الاعتبار جميع العوامل الحضارية. ولا بد من الأخذ بعين الاعتبار أن جميع أوجه النشاط الحضاري متكاملة مكانياً وأنه لمن غير الممكن أن نفهم توزيع أحد المعطيات الحضارية دون دراسة التغيرات المكانية للمعطيات الأخرى وذلك لمعرفة مقدار الترابط بين المعطيات الحضارية جميعها. إذا كنا سندرس بعض المعطيات الحضارية بصورة منفصلة كاللغة أو الدين أو الاقتصاد فإن ذلك سيكون لتسهيل دراستها، إلا أنه لا يمكن فصل هذه العوامل في واقع الحال، بل نجدتها مترابطة ومتشابكة معاً في منطقة حضارية واحدة. فالجغرافيا الحضارية ليست كالفيزياء حيث يمكن فصل العنصر عن العناصر الأخرى، لأن الحضارة تتداخل وجوها وتؤثر عليها عوامل عديدة بحيث يصعب فصل هذه العوامل والنظر إليها مجزأة كلاً على حدة.

٥ - المظهر (اللانديسكيب) الحضاري:

لقد دأب الإنسان منذ أن خلقه الله على هذه البسيطة على تغيير الكثير من الظواهر المحيطة به وتعديلها بحيث تلائم متطلباته. ومن هنا فالكثير من الظواهر الطبيعية قد أصابه التغيير والتبديل. إن هذا المظهر الحضاري (اللانديسكيب الحضاري) هو البصمات التي وضعها الإنسان على الظروف الطبيعية للأرض. إن مجرد ملاحظة الفروق بين البيئة العذراء وما أحدثه الإنسان على هذه البيئة من تعديلات هي صلب موضوع اللانديسكيب الحضاري، الذي هو في الأصل إبراز الجوانب المادية للخيارات والتغيرات التي أحدثها الإنسان، بحيث شكلت حضارة بشرية تنسب إلى الشعوب التي قامت بها.

إن كل منطقة معمورة هي في الأصل مظهر حضاري، وهي تعكس الحضارة الفريدة التي طورتها واستوطنتها. وأفضل طريقة لرؤية المظهر الحضاري هو النظر من خلال نافذة الطائرة التي تمر فوق هذه المنطقة الحضارية حيث يرى المرء المعالم الطبيعية وبجانبتها المعالم البشرية التي حدثت خلال الأزمنة المختلفة. وهذا المظهر الحضاري شديد التعقيد والتنوع ويختلف بين بيئة وأخرى ومن فترة إلى أخرى. ورصد هذه المظاهر عبر الزمان والمكان هو أهم جوانب اللاندسكيپ الحضاري للمنطقة.

إبراز عامل الزمن:

إن الموضوعات الخمسة السابقة تحتاج إلى رؤية عامل الزمن خلال بحثها. فالتوزيع المكاني للظواهر الحضارية هو نتيجة للتغيرات التي تحصل عبر الزمن، ولهذا لا بد من أخذ عنصر الزمن بعين الاعتبار. إن المظهر الحضاري للبيئة هو نتاج قرون من العمل الإنساني والقرارات الإيكولوجية تضرب بجذورها في الماضي السحيق للبيئة الطبيعية من جهة والانتشار الحضاري من جهة أخرى. ولذا لا بد من تبني الاتجاه التاريخي لفهم وتفسير التغيرات المكانية للجوانب الحضارية المختلفة حيث يساعدنا هذا الاتجاه على فهم الكثير من الحقائق المدفونة في ثنايا التاريخ. فكثير مما نشاهده اليوم من المظاهر الحضارية ينجم عن قوى وظروف لم تعد قائمة الآن. لذا لا بد لنا من أن نأخذ عنصر الزمن بعين الاعتبار دائماً.

عالم الإسلام والأقاليم الحضارية الأخرى:

تتكون البشرية من شعوب عديدة يتميز كل منها بأرضه ولغته وعاداته وتقاليده، وتختلف هذه الشعوب في ظروفها التاريخية، وفي صفاتها المادية والمعنوية، وفي لغاتها وعقائدها. ويحصل بين أفراد الشعب الواحد نوع من التآلف الطبيعي والحياة المشتركة ما لا يكون بينهم وبين غيرهم. فكما أن التآلف في نطاق الأسرة أمر طبيعي يستند إلى الفطرة، فكذلك التآلف في نطاق كل شعب بسبب التشابه والتعايش الطويل.

وليس اختلاف الشعوب نقمة، بل نعمة، ذلك أن التعاون البشري بين الجماعات يتم على أساس التكامل، وحيث يتم تبادل المنافع بقيام كل شعب بما يجيده ويميل إليه من الماديات والمعنويات.

وإن اختلاف الأقسام في صفاتها وخصائصها ومواهبها وقوتها، لا يمنع من تشابهها في القيمة المعنوية والكرامة الانسانية أو لا يمنع من اشتراكها في بناء الحضارة العالمية أو التقائها على صعيد واحد مشترك في كثير من الشؤون. والشعور الوطني، وهو ارتباط المرء بقومه الذين ينتمي إليهم، لا يمنع من وجود النزعة الإنسانية نحو التعاون والالتقاء لتحقيق أهداف مشتركة. وقد كان للأديان السماوية أثر قوي في تقوية هذه النزعة الإنسانية، وفي توطيد الصلات بين الشعوب أو إيجاد نقاط الالتقاء والتقارب بين مجموعة الشعوب التي تدين بدين واحد.

إن الشعوب البشرية وأقوامها المتعددة تدرج تحت عوالم كبرى، يشتمل كل واحد منها على شعوب عديدة، تشترك في بعض المقومات، وترتبط ببعض الروابط التي تقرّب بينها، وتجعله تلتقي عند بعض أهداف الحياة وقيمها، وهذه الروابط هي روابط الفكرة المشتركة وفلسفة الحياة المتشابهة. والعالم اليوم ينقسم إلى مجموعات حضارية وعقائدية وربما تكتلات سياسية أهمها:

- ١ - عالم إسلامي .
٢ - عالم شيوعي .
٣ - عالم نصراني .
٣ - عالم وثني .

نستطيع بكل سهولة أن نصور على خريطة العالم هذه المجموعات الحضارية والعقائدية وسنجد حينئذ أن كل واحد منها منتشر في رقعة خاصة به من هذه البسيطة . فالعالم النصراني يتكون من بلاد أوروبا وأمريكا، وتقوم فيه حضارة واحدة لها أصولها التاريخية ومفاهيمها الحضارية . فهي تستقي من الديانة النصرانية ومن الثقافة اليونانية القديمة ومن الحضارة الرومانية، وما نشأ عن تفاعل هذه العناصر في الحضارة الحديثة من صناعات ونظم اقتصادية رأسمالية، ومن مفاهيم عن الحرية والديمقراطية .

أما العالم الشيوعي فيقوم على المادية المنافية للعقائد الدينية، وعلى الاقتصاد الموجه والملكية العامة للدولة وكان يسيطر في شرق أوروبا بما فيها الاتحاد السوفيتي سابقاً، كما ينتشر في الصين وبعض أقطار آسيا الأخرى، وقد خرجت كامل أقطار أوروبا الشرقية من هذا الإطار العقائدي، وتحاول العودة تدريجياً إلى العالم الرأسمالي الذي انسلخت عنه قرابة ثلاثة أرباع القرن، كما خرج منها بعض الأقطار الأخرى (جمهوريات وسط آسيا الإسلامية) وانضمت إلى حظيرة العالم الإسلامي . ولا زالت الشيوعية تنتشر بصورة أو أخرى في الصين وبعض أقطار جنوب شرقي آسيا، غير أنها في طريقها إلى الانحسار لصالح المجموعات العقائدية الأخرى .

والعالم الوثني ينقسم ما بين آسيا وأفريقيا في رقعتين منفصلتين، وليست الوثنية في الأصل عقيدة واحدة ولا ديناً واحداً . ،العالم الوثني لا يؤلف وحدة مترابطة، بل هو مؤلف من شعوب عديدة تدين بعقائد متشابهة أو ذات طبيعة وخصائص متقاربة . وفي العالم الوثني دينان كبيران وهما البوذية المنتشرة في الصين واليابان والهند الصينية (ميانمار، تايلاند، كمبوديا) والبراهمية (الهندوسية) بفروعها

المنتشرة في الهند. بالإضافة إلى كثير من العقائد الطوطمية في القارة الأفريقية. وتغزو هذا العالم الوثني ثلاثة تيارات هي النصرانية والإسلام والفلسفات المادية الحديثة التي يقوم على أساسها عالم اليوم.

أما العالم الإسلامي فيمتد من شرقي آسيا حتى أقصى غربي أفريقيا، ويتكوّن من شعوب مختلفة أوجد انتشار الإسلام بينها نظرة مشتركة في المفاهيم المنبثقة عن عقيدة الإسلام وشريعته التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ومصادر الثقافة الإسلامية التي تفرعت عنهما.

وهذه النظرة المشتركة أدت وما تزال تؤدي رلى مواقف متماثلة في القضايا المعاصرة والمشكلات الحديثة سواء السياسية منها أو الاقتصادية أو الثقافية، حيث يكون الإسلام جزءاً أساسياً من ثقافة هذه الشعوب، كما تعتبر الشعوب الإسلامية إن تاريخ الإسلام هو تاريخها الذي تعتز بأمجاده وتفتخر بمآثره وآثاره الحضارية. ومثل هذا الاشتراك في العقيدة والثقافة والتاريخ ولّد في نفوس أبناء هذه الشعوب عواطف متشابهة أو مواقف متماثلة أو أهدافاً مشتركة أو عادات متقاربة، جعلها تختلف عن بقية الشعوب التي لا تشترك معها في هذه المجالات (المبارك: د. ت: ١٢ - ١٤).

وبجانِب هذه الرقعة الأرضية التي تحمل اسم العالم الإسلامي، هناك جاليات أو أقليات، مسلمة تعيش في أوساط غير إسلامية، ويختلف عدد سكان هذه الأقليات كما تختلف أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ونفوذها السياسي من دولة إلى أخرى. ومن مجموع الأقطار الإسلامية والأقليات المسلمة تتكون خريطة العالم الإسلامي اليوم الذي يشمل الإطار الجغرافي لانتشار المسلمين في أقطار المعمورة (السرياني، ١٤١٧هـ: ١٣ - ١٥).

حدود العالم الإسلامي:

إن العالم الإسلامي عالم عقيدة ومبدأ، ولذلك فإن حدوده هي المناطق التي تنتشر فيها هذه العقيدة وهذا المبدأ، وهي حدود تتسع وتضيق عبر الزمان والمكان بمعنى أنها غير ثابتة على الإطلاق، وهناك معايير موضوعية تستخدم لتحديد الدول الإسلامية وتميزها عن الأقليات المسلمة، وأهم هذه المعايير هي:

(أ) المعيار التطبيقي: وهي الدول التي تلتزم بتطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية في أمور حياتها العامة والخاصة. وقد استعمل الفقهاء تعبيراً خاصاً بذلك هو (دار الإسلام) وهي المناطق التي يطبق فيها شرع الله في الأرض بغض النظر عن عدد سكانها^(١).

(ب) المعيار الرسمي: وهي الدول التي يُنص في دساتيرها على أن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي لأهل البلاد، أو الدين الرئيس للدولة. فالدولة في هذا الشأن وتحت هذا المعيار (دولة إسلامية) سواء طبقت تعاليم الإسلام أو لم تطبقها.

(ج) المعيار العددي: وهي الدولة التي يزيد فيها عدد المسلمين في مجموع سكانها عن ٥٠٪، فإذا بلغ عدد المسلمين في دولة ما أكثر من خمسين بالمئة، اعتبرت من الدولة الإسلامية، أما إذا كان عدد المسلمين أقل من ذلك فهم أقلية إسلامية في دولة غير إسلامية.

وأصح المعايير من وجهة النظر الرسالية هو المعيار الأول. فالقطر الإسلامي هو الذي يطبق فيه شرع الله بغض النظر عن عدد السكان أو عقائدهم الأخرى. غير أن استعمال هذا المعيار يخرج معظم أقطار العالم الإسلامي. ويتطبيق المعيار الثاني على الدول والوحدات السياسية في العالم، نجد أن نسبة محدودة من الدول الإسلامية التي تنص دساتيرها الرسمية على أن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي أو الرئيس للدولة.

بقي أمامنا المعيار الثالث وهو المعيار العددي الذي يقترن بالأغلبية المسلمة في القطر، وتحقق الأغلبية بزيادة عدد السكان المسلمين عن النصف في أي قطر من الأقطار، فالدولة التي يزيد عدد المسلمين فيها عن ٥٠٪ هي دولة تدخل ضمن العالم الإسلامي من وجهة النظر الجغرافية.

غير أنه يتوجب علينا أن نقرر بادئ ذي بدء أننا نفتقر كل الافتقار إلى البيانات التي تخول لنا صدق الحكم عند تبنينا لهذا المعيار، فهناك اختلاف كبير في وجهات النظر حول تقدير عدد المسلمين في الدول والأقاليم المختلفة، وهناك جانب كبير من الشك يحيط بكثير من الإحصاءات والتقديرات المتعلقة بالمسلمين ولهذا تعوزنا الإحصاءات الدقيقة في هذا المجال.

وهذه الاعتبارات تجعل من المعيار العددي مقياساً غير ثابت لاختلاف وجهات النظر حوله ابتداءً. ففي غياب الرقم الصحيح تكثر الاجتهادات والآراء وتدخل النوايا والأطماع لتخرج هذا القطر أو ذاك من العالم الإسلامي أو تدخله فيه. فالأمر لا يعدو وضع رقم يزيد عن ٥٠٪ لإدخال الدولة ضمن قائمة الدول الإسلامية. ووضع رقم آخر يقل عن ٥٠٪ لإخراجها من القائمة وجعلها دولة غير إسلامية بها جالية أو أقلية مسلمة. ولهذا نجد اختلافاً شديداً بين الدول حول الحدود التي يتضمنها الإطار الإقليمي للدول الإسلامية من وجهة النظر الجغرافية^(١).

وخروجاً من الخلاف فإننا سوف نتبنى ما أقرته الموسوعة الحالية بخصوص الأقطار التي يشملها عالم الإسلام حيث تعتمد الموسوعة تعريفاً محدداً للدولة الإسلامية^(٣) ينقسم إلى قسمين:

(أ) الدولة ذات الأغلبية المسلمة وهي التي يزيد عدد المسلمين فيها عن ٥٠٪.

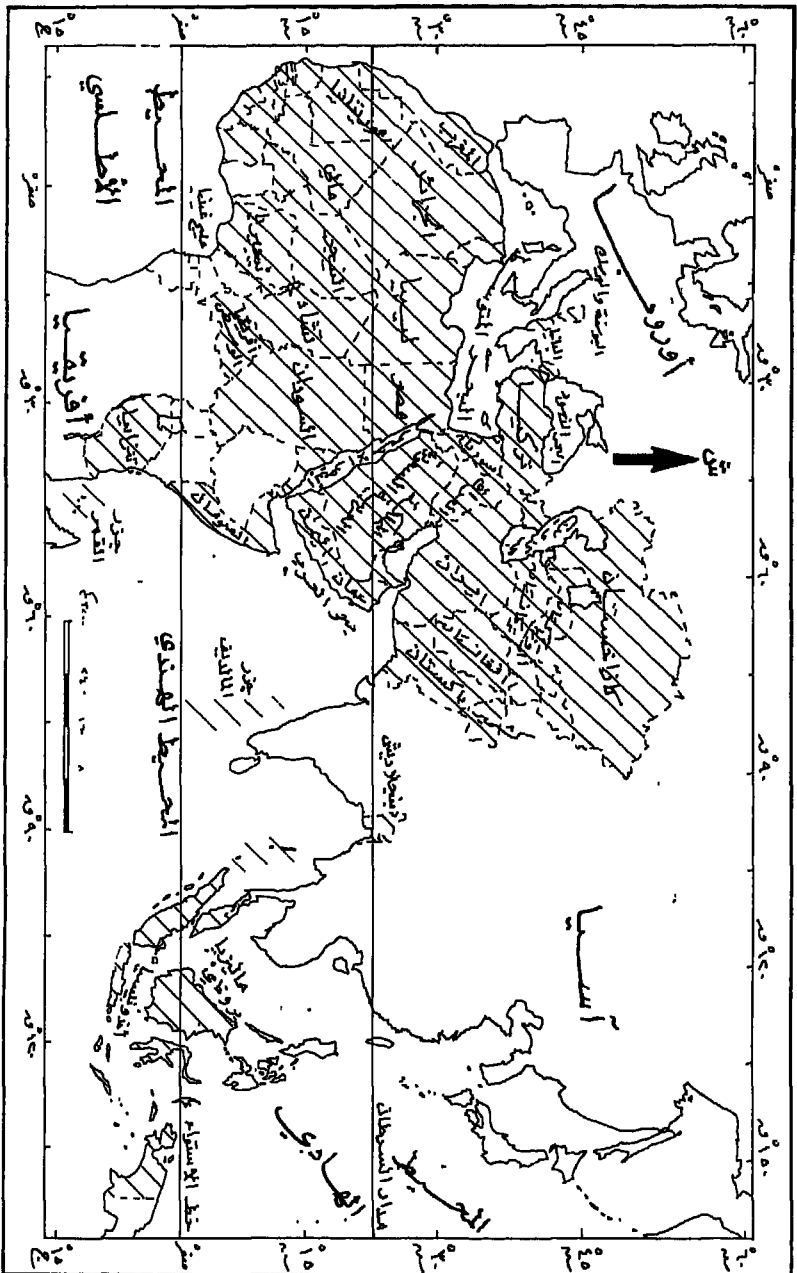
(ب) الدولة التي يمثل المسلمون فيها أكبر الجاليات. وهذا ينطبق على الدول ذات الديانات المتعددة.

وبناء على التعريف السابق فإن الشكل رقم(١) يظهر الأقطار الإسلامية التي تدخل ضمن هذا التعريف، كما يظهر الحدود الخارجية التي تفصل أقطار العالم الإسلامي عما جاورها. ويمكن أن نميز من خلال الشكل السابق وجود نوعين من الحدود هما: الحدود المائية والحدود البرية.

الحدود المائية:

تشكل المسطحات المائية ما يقرب من نصف الحدود الخارجية التي تفصل العالم الإسلامي عن البلاد المجاورة. وتبدأ هذه الحدود غرباً بالجهة المائية للمحيط الأطلسي ابتداءً من خليج غينيا وحتى مضيق جبل طارق. أما ساحل البحر المتوسط الجنوبي فهو الحد الشمالي للجناح الأفريقي من العالم الإسلامي ابتداءً من المغرب وحتى أقصى حدود مصر شرقاً. وكذلك يحد الساحل الشرقي للبحر المتوسط الجناح الآسيوي من جنوبي فلسطين حتى سواحل تركيا الشمالية الغربية حيث بحر مرمرة ومضيقا الدردنيل والبسفور اللذان يفضيان إلى سواحل البحر الأسود الذي يشكل الحد الشمالي للأراضي التركية والأراضي الإسلامية في وسط آسيا.

أما في الجنوب فنجد مياه المحيط الهندي وبحر العرب تحدد سواحل أقطار أفريقيا الشرقية الإسلامية، وأقطار جنوبي الجزيرة العربية، والسواحل الجنوبية لإيران وباكستان. ويؤلف الجناح الشرقي من العالم الإسلامي جزراً وأشباه جزر تمتد بين المحيطين: الهندي غرباً والهادي شرقاً. ولا تعد مياه البحر الأحمر والخليج العربي وخليج عمان حدوداً خارجية حيث إنها تفصل بين أقطار إسلامية على جانبيها.



شكل (1) موقع العالم الإسلامي وحدوده الهامة

لهذه الخريطة وكل ضرائطها يمكن لأطفالكم معرفة الحدود السياسية.

الحدود البرية:

تتميز الحدود البرية بعدم وضوحها وضوحاً تاماً وخاصة في القارة الأفريقية. وبمراجعة حدود أرض الإسلام الجنوبية في هذه القارة نجد أنها غير واضحة تماماً. ويمكن أن يكون الخط الوارد في الشكل رقم (١) ممثلاً للحد الوهمي التقريبي. ويقع هذا الخط جنوب منطقة السافانا المدارية وعلى أطراف المنطقة الاستوائية.

أما في آسيا فتبدو مشكلة الحدود البرية أكثر تعقيداً، ويمكن القول إنها تبدأ بخط وهمي من شمال شرقي البحر الأسود ثم تسير باتجاه الشرق محاذية أراضي الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى بحيث تدخل هذه الجمهوريات ضمن نطاق العالم الإسلامي، ثم تعطف الحدود باتجاه الجنوب الغربي وتسير بخط شبه مستقيم محاذية هضبة التبت وشمال غربي القارة الهندية، لتلتقي مع الحدود البحرية في بحر العرب في خط الحدود الفاصل بين الهند والباكستان.

الحدود الحضارية:

هذه هي الصورة الرسمية لحدود العالم الإسلامي. ولا بد للباحث في الجغرافيا الحضارية من رسم حدود تقريبية لمنطقته الحضارية. غير أنه يجب أن ندرك ابتداءً بأن مثل هذه الحدود غير دقيقة وضبابية في أغلب الأحيان. فحد الإسلام الحضاري ربما يكون أوسع مما رسمناه. فحدود الحضارة الإسلامية في أفريقيا لا تقف عند حدود منطقة السافانا وأطراف المنطقة الاستوائية، بل تتعداه إلى الجنوب شرقاً وغرباً. فالإسلام لا يزال يتوسع في أفريقيا، بل إن أفريقيا هي القارة الوحيدة التي يزحف فيها الإسلام اليوم بعد أن فقد أرضاً في أوروبا وتوقف أو كاد في آسيا. فالإسلام جبهة زاحفة في أفريقيا لا يعرفها في أي قارة أخرى. لذلك نرى أن حد الإسلام الجنوبي في أفريقيا متنقل وغير واضح تماماً (حمدان، ١٩٧١م: ١٧).

أما في آسيا فحد الإسلام الحضاري لا يقف عند حدود جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية بل يتعداها ليشمل شمال غربي الصين فيما كان يعرف تاريخياً بتركستان الشرقية (سينكيانج اليوم). ويتكرر الأمر في الحدود البرية التي تفصل باكستان عن الهند. فقد خطت الحدود السياسية بين باكستان والهند عبر خط يمتد من كشمير إلى بحر العرب تاركاً جيلاً إسلامياً كبيراً من الأراضي الهندية شاملاً ولايتي كشمير وجامو، إضافة إلى تواجد إسلامي كبير في الولايات الهندية المجاورة لباكستان. وبذلك يمكن القول إن خط الحدود السياسي الذي يفصل الهند عن باكستان لا يمثل فاصلاً حضارياً صحيحاً للمسلمين عن الهندوس، وحد الإسلام الحضاري هو إلى الشرق من خط الحدود السياسي الحالي.

في الجغرافيا الحضارية لا يتحدث الباحثون عن حدود خطية تفصل بين المناطق الحضارية المختلفة، بل يتحدثون في العادة عن حدود نطاقية *Border Zones* تفصل بين المناطق الحضارية المختلفة بحيث تظهر في هذه الحدود النطاقية السمات المشتركة للحضارات المتجاورة. وفي العادة تكون المعطيات الحضارية أكثر وضوحاً وبروزاً في نواة المنطقة الحضارية وليس في أطرافها، ثم تتدرج بالضعف والتلاشي في النطاقات الحدودية للمنطقة، حيث ينتقل المرء بصورة متدرجة من نطاق حضاري إلى نطاق حضاري آخر، عبر تدرج بطيء خلال النطاقات الحدودية الفاصلة بين الحضارتين (Jordan & Rowntree, 1976: 14- 15).

إن هذه الحدود بنوعيتها- السياسي والحضاري- تضم داخلها دنيا فسيحة الأرجاء وذلك فقط في الوحدات السياسية التي يؤلف المسلمون أكثر من نصف سكانها بإجماع التقديرات. وتربو المساحة الإجمالية لهذه الرقعة عن ٣١,٢ مليون كيلومتر مربع. وتلك المساحة الهائلة أكبر من مساحة القارة الأفريقية وأكبر من مساحة قارتي أوروبا وأمريكا الجنوبية مجتمعتين.

وتتجلى رحابة أراضي العالم الإسلامي في امتداده الكبير قارياً وفلكياً، فلو أخذنا في الاعتبار امتداد الرقعة الأرضية في خط مستقيم لوجدنا أنه يمتد بين المحيط الأطلسي غرباً والمحيط الهادي شرقاً شاملاً أجزاء كبيرة من قارتي أفريقيا وآسيا. وفي هذا الامتداد الكبير يمكن أن نميز وحدتين كبيرتين هما:

(أ) كتلة قارية متراسة البنيان ممتدة من المحيط الأطلسي غرباً وحتى سينكيانج (التركستان الشرقية) شرقاً شاملة معظم أفريقيا وجنوب غربي آسيا ووسطها.

(ب) امتداد جزري يشمل مجموعة من الجزر وأشبه الجزر، في أقصى الجنوب الشرقي من آسيا بين المحيطين الهندي والهادي، شاملاً كلاً من الأراضي الإندونيسية والماليزية، ويمكن أن يلحق بهذا الامتداد الجزري دولة بنغلادش، التي تعتبر جزيرة إسلامية وسط بحر من الأديان الأخرى.

وبالنسبة إلى الامتداد الفلكي على أساس خطوط الطول ودوائر العرض يلاحظ أن أراضي العالم الإسلامي تمتد على نحو ١٦٠ درجة طولية، من درجة ١٤٠ شرقاً في شرقي إندونيسيا حتى درجة ١٨ غرباً حيث سواحل السنغال، ويكفي أن نذكر أن العالم الإسلامي يقع ضمن (١٠) نطاقات من نطاقات التوقيت العالمي. فعندما تعلن الساعة الخامسة مساءً في جاكرتا بإندونيسيا، تكون عقاربها ما زالت تشير إلى التاسعة صباحاً بالعاصمة السنغالية داكار.

وفيما يتعلق بدوائر العرض فإن العالم الإسلامي يمتد على أكثر من (٦٠) درجة عرضية، من أعالي نهر الفولجا وقازاقستان عند دائرة عرض ٥٥ درجة شمالاً، حتى دائرة عرض ٦ درجات جنوباً حيث جزيرة رنجبار، ومن ثم تنوعت الخصائص الطبيعية لأرجاء هذا العالم الكبير ما بين عروض إستوائية وأخرى مدارية أو معتدلة (انظر شكل ١).

أحور الدينى لآرفرافىة العالم الإسلامى الحضارىة

الأوضاع الدينىة قبل انتشار الإسلام:

لابد لنا فى البداية من وضع تصور آرفرافى تاريخى لأحوال العالم كله فى الوقت الذى بدأ فىه تاريخ الإسلام وهو أوائل القرن السابع الميلادى وعلى الأخص المنطقة التى سوف تصبآ عالم الإسلام فىما بعد، وذلك لإظهار المل والنحل التى كانت تسيطر على المنطقة قبل قيام الدولة الإسلامىة. ومن الجدير بالذكر أن العالم المعروف آنذاك كان قاصراً على ثلاث قارات هى التى عرفت بالعالم القديم وهى أوروبا وآسىة وأفريقيا.

أما أوروبا فى أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادى فكانت تستوطنها جماعات الجرمان التى استقرت فى مواطنها الجديدة على أرض الدولة الرومانىة فى الغرب، وكانت جماعات الأنجلوسكسون قد استوطنت بريطانيا، وكانت قبائل الفرنآة قد استقرت فى بلاد غاله (فرنسا) أما القوط فكانوا يستوطنون شبه جزيرة آىبريا وإيطاليا.

لقد أقامت هذه الجماعات ممالك خاصة بها جرمانىة الشكل لاتىنىة الحضارة. ومعظم هذه الممالك- فىما عدا الفرنآة- كانت نصرانىة على المذهب الأريوسى المخالف للمذهب الكاثولىكى الذى كانت تبشر به البابوىة فى روما. غير أن الكنيسة الكاثولىكىة بعد صراع طويل مع هذه الجماعات نجحت فى نشر المذهب الكاثولىكى بين صفوفها.

أما فى شرق أوروبا فكانت الدولة البيزنطىة. وهى دولة إغرىقىة الطابع أرثوذكسىة المذهب. وهو المذهب المعروف باسم "مذهب الروم الأرثوذكس" الذى ترأسه كنيسة القسطنطينىة. وهكذا وجدت الدولة الرومانىة فى غربى أوروبا والدولة البيزنطىة فى شرقىها.

أما في الشرق الآسيوي فإن الفرس الساسانيين كانوا عند ميلاد الإسلام سادة هضبة إيران حتى نهر المورغاب شرقاً. وكان قلب إمبراطوريتهم في بلاد العراق وعاصمتهم المدائن (التي تسمى طيشفون) على نهر دجلة. وكان الفرس وثنيين.

وفي الهند قامت منذ القرن الرابع الميلادي دولة زاهرة ذات حضارة بزعامة أسرة هندية هي أسرة كويتا الثانية وهي أسرة براهمية الدين والثقافة، وفي أيامها بلغت السنسكريتية درجة رفيعة من التقدم، وقد قضى على هذه الدولة قبائل الهوف.

وفي القرن السابع الميلادي أقام زعيم هندوكي من أسرة كويتا يسمى هارشا دولة جديدة حدت من سلطة الديانة البراهمية وشجعت على الديانة البوذية التي وفدت إلى الهند من الصين. وبالرغم من الصراع بين الديانة البراهمية (الهندوسية) والبوذية إلا أن الأخيرة انتشرت معابدها وكثر معتقوها.

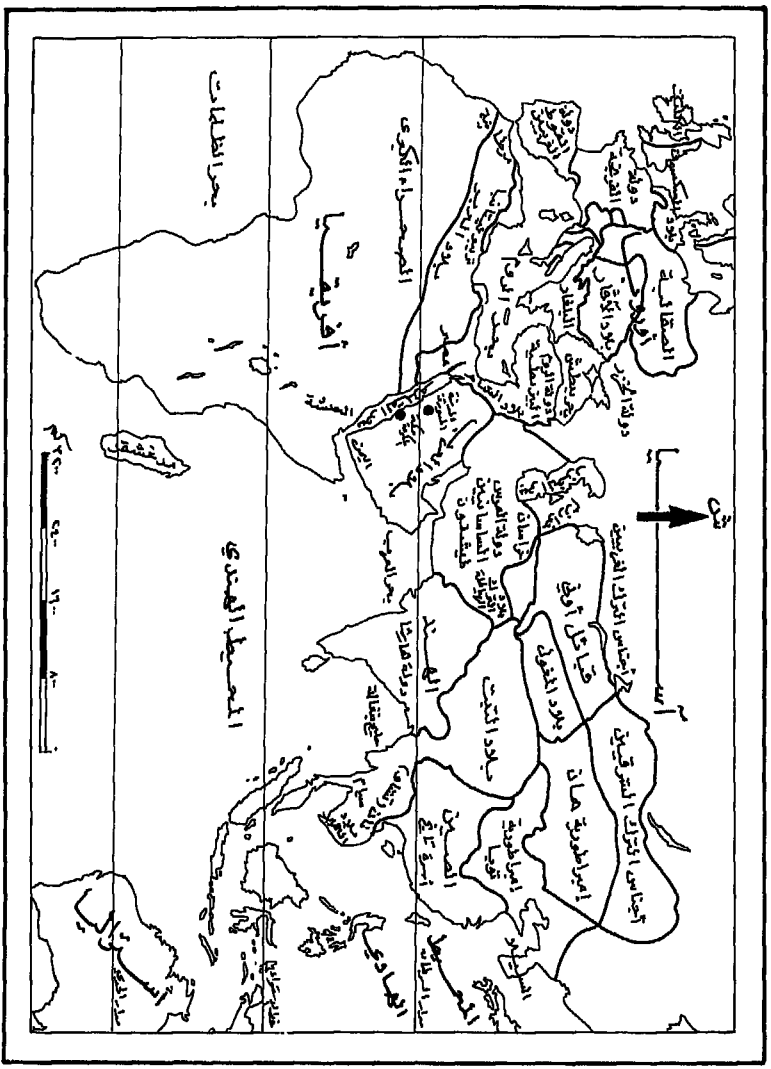
وإلى الشرق من الهند تمتد أراضي التبت وبلاد الصين التي كانت في أوائل عهد البعثة تخضع لحكم أسرة تانج التي قامت بتوحيد الصين. وكان سكانها يعتقدون البوذية والكونفوشية والطاوية (مذهب من مذاهب البوذية). وإلى الشمال من التبت والصين تمتد المناطق التي تخضع لقبائل عديدة من الترك والمغول (انظر شكل رقم ٢).

أما ثالث قارات العالم القديم وهي القارة الأفريقية، فإذا استثنينا قسمها الشمالي المعروف الآن ببلاد مصر وشمال أفريقيا فقد كانت قليلة السكان مجهولة تستوطنها قبائل بدائية ذات ديانات طوطمية وثنية محلية.

أما منطقة جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا، وهي التي ستصبح فيما بعد بؤرة الإسلام الأولى وموطن الشعوب العربية، فكانت موزعة الولاء بين القوى العظمى آنذاك. لقد كان الروم (الإمبراطورية البيزنطية) يسودون غربي بلاد الشام بما

في ذلك فلسطين وكانوا يضعون تحت حمايتهم دولة عربية موالية لهم وهي دولة الغساسنة، التي كانت تسيطر على ما يعرف الآن ببلاد الأردن وبعض أراضي سوريا، وكانت هذه الدولة تصل جنوباً إلى خليج العقبة. كذلك كانت دولة الفرس تتخذ لها في شرق جنوب العراق دولة عربية هي دولة المناذرة للخميين، وعاصمتها الحيرة. وكان الحد الفاصل بين جزيرة العرب وبلاد الشام- وهو خط يمتد تقريباً من أيلة إلى الحيرة- مسكوناً بقبائل عربية تسمى في الغرب بعرب الروم أو العرب المنتصرة حيث كانت الديانة النصرانية تنتشر بين هؤلاء بصورة واسعة، أما في الوسط فكانوا يسمون بعرب الضاحية أو ضاحية قضاة، أما جزيرة العرب في أوائل عهد السبئية فكان جنوبيها المسمى ببلاد العرب السعيدة، والذي قامت فيه حضارات زراعية راقية (السبئية والحميرية) يخضع لحكم الفرس حيناً وللأحباش حيناً آخر، فكان معظم أهلها على الوثنية وتنتشر بين بعض سكانها الديانة النصرانية وكذلك اليهودية. أما شمالي الجزيرة فكان أهلها على الوثنية يعبدون الأصنام ويحجون إليها في مكة بعد أن نسوا الحنفية ديانة إبراهيم عليه السلام.

أما الشمال الأفريقي فكان الشريط الساحلي المطل على البحر المتوسط ومعظم أراضي مصر يتبع الدولة الرومانية وكانت تنتشر بين سكانها الديانة النصرانية. أما المناطق الداخلية من المغرب فكانت تستوطنها قبائل البربر والقبائل الأفريقية الأخرى وهي على الديانة الوثنية (شكل رقم ٢).



شكل (٢) الأوضاع العائلية عند افتتاح الإسلام
 الممدن: حوزة و مسيحية (٢١٩٨٧) و أطلست تاريخ الرسيم و دار البحوث و الطاهر.

انتشار الدين الإسلامي زمانياً ومكانياً:

لقد تطورت خريطة العالم الإسلامي عن طريق موجات متعاقبة تكون خلال كل منها جزء من الرقعة الأرضية للأراضي الإسلامية. وهذه الموجات تفصل بينها فترات زمنية بعضها طويل والآخر قصير. ولقد قام بهذا التوسع أجناس متعددة من تلك التي اعتنقت الدين الإسلامي وحملت رايته وكان لها دور في بناء عالمه (شكل رقم ٣).

إن النظرة الشاملة لتطور حدود العالم الإسلامي تظهر أن عالم الإسلام كان يميل إلى السكون بعض الوقت بعد كل موجة من موجات التوسع. وفترات السكون هذه لها بالنسبة لبناء عالم الإسلام الأهمية نفسها التي لفترات التوسع والامتداد؛ لأن الإسلام- خلال فترات السكون- كان يملأ الفراغات التي خلفها وراءه أثناء حركة المد. وللوقوف على موجات التوسع والامتداد في رقعة العالم الإسلامي يمكن الرجوع إلى المجلد الأول من هذه الموسوعة.

الإسلام والبيئة: التفاعل والانعكاسات:

إن الدين لدى الكثير من الشعوب هو أحد مكونات الحضارة، غير أن الإسلام هو الذي طبع الحضارة الإسلامية بطابعه وذلك عن طريق تعاليمه التي نظمت العلاقة بين الفرد وخالقه من جهة وبين الفرد وبقية أفراد المجتمع من جهة أخرى. وهذا ما يميز الإسلام عن غيره من الأديان الأخرى، التي جاءت تعاليمها في الغالب لتنظيم علاقة الفرد بخالقه، دون الاهتمام بتنظيم علاقات المجتمعات التي تركت للأعراف والاجتهادات غير الدينية. ولذلك لم يظهر التأثير الكبير لمثل هذه الأديان في أوساط المجتمعات التي تبنتها على عكس الإسلام الذي كان له من التأثير الفعلي في البيئة بقدر ماله من تأثير وفعالية في تنظيم علاقة الفرد بخالقه. فالإنسان في نظر الدين الإسلامي (هو خليفة الله على هذه البسيطة) ولذا فهو مكلف بإعمارها واستغلالها وصون مواردها بالاعتدال والتعقل والحكمة.

لقد أرسل الله آدم عليه السلام لعمارة الأرض، قال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. وضمن الله للإنسان الرخاء على هذه الأرض طالما أطاعه وامتثل أوامره ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ ﴿٥٣﴾ كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ ﴿٥٤﴾ [طه ٥٣-٥٤].

لقد خلق الله جميع موارد الأرض للإنسان ومن ثم يباح لكل إنسان أن يستفيد منها، أضف إلى ذلك أن هذه الموارد ليست حكراً على جيل دون جيل، بل هي ملك يمتد إلى الأجيال القادمة وعلى كل جيل أن يستغل هذه الموارد بأن يأخذ منها قدر حاجته دون أن يغمط أجيال المستقبل حقها. وهكذا حرم على الإنسان أن يفسد الثروات أو يسيء استغلالها أو يشوهها لأن كل جيل من حقه أن يستمتع بها ولكنه لا يستأثر بها إلى الأبد. وقد منح الله الإنسان الحق في استخدام موارد الطبيعة والاستفادة منها وتسخيرها لنفعه وخيره ولكنه مع ذلك لا بد أن يلزم نفسه بصون هذه الموارد كمأ ونوعاً (الوليبي، ١٤١٦: ٦١-٦٢). إن الإسلام لا يطلق يد الناس كي يفعلوا ما يشاؤون بموارد الطبيعة بل يضع قيوداً وتحذيرات على هذا الموقف ونادى بزراعة الأرض البور وغرس الأشجار وتشجير الصحراء وإحياء الموات.

إن الإسلام لا ينادي بالإبقاد على الطبيعة شعشاء ولكنه يعتقد بقدرة الإنسان على تحسين وتعديل البيئة. ومع ذلك فإن الإنسان لا يتصرف تصرفات حميدة على الدوام، فهو في بعض الأحيان يعدّل البيئة بطرائق ضارة تؤدي إلى اختلال توازنها. وهذه الآثار الضارة التي يسببها الإنسان للبيئة تتنافى مع تعاليم الإسلام.

إن مفهوم الصراع مع البيئة المنتشر في الأدب الجغرافي غير مقبول في الشريعة الإسلامية. فليس هناك صراع مع عناصر البيئة بل هناك انسجام وتناغم وتبادل في التأثير. فالأرض خلقت من أجل الإنسان، وأن الله سخرها له، ولذا فهو مستخلف فيها، وعليه إعمارها وتعديلها وفقاً لاحتياجاته ومتطلباته دون الإضرار بها. والفرد المسلم لا يشعر أنه محكوم بعناصر البيئة أو خاضع لها وإنما هو قادر على تعديل شروطها وفقاً لرغباته وفي الحدود التي لا تؤثر في تدميرها وتخريبها.

لقد أوجد الإسلام ضابطاً لاستغلال البيئة. وهذا الضابط هو المبدأ الإسلامي المشهور القائل بجلب المنافع ودفع الأضرار. وهذه قاعدة مهمة من قواعد التشريع الإسلامي. هذه القاعدة تفرض نوعين من المسؤولية: إحداهما مسؤولية فردية حول حفظ النعمة من موارد مختلفة، وكذلك حفظ الوقت وحفظ الأفكار. أما الثانية فهي مسؤولية الدولة. فقد أعطي الحاكم سلطات واسعة لتنظيم علاقات الناس بالبيئة. ووضع قواعد عامة لإقطاع الأراضي واستغلالها ولحقوق الرعي والتملك ولاستغلال الثروات المعدنية بما يكفل مصلحة الجميع. ونظراً لأهمية بعض عناصر البيئة وخاصة الموارد الطبيعية الأساسية جعل ملكيتها عامة لعموم أفراد المجتمع، ولم يخصص ملكيتها إلا في حالات محددة وفق ضوابط محددة (الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلا والنار). وفي كل الأحوال تكون المصلحة العامة هي المتقدمة على المصلحة الخاصة إذا لم يكن الجمع بينهما ممكناً.

لقد وضع الإسلام نصوصاً توجيهية للفرد والمجتمع بضرورة المحافظة على الموارد وترشيد استعمالها من خلال الممارسات التعبدية للفرد المسلم. فالمسلم مأمور بعدم الإسراف والتبذير (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) ومأمور بالاقتصاد في استعمال الماء حتى في أغراض العبادة والتطهير (لا تسرف في الماء حتى لو كنت على نهر جار). وقد أوصى بالمحافظة على بعض الموارد مثل عدم قطع الأشجار بقصد التخريب، كما ورد في وصية أبي بكر الصديق للجيش الفاتحة. أو تلويث المكان

المخصص للراحة (التبرر تحت الشجر) بل في بعض الأحيان تقتضي قدسية المكان عدم المساس بالعناصر البيئية . ففي الحرمين الشريفين لا يعضد الشجر ولا ينفر الطير حفاظاً على المكان من أن يطراً عليه التغيير والتخريب لبيئته العامة التي خلقها الله فيه .

وليس تأثير الدين مقصوراً على المظهر الطبيعي للأرض بل يتعداه إلى المظاهر الأخرى . حيث يحدد الإسلام نوع الزراعة ونوع الثروة الحيوانية التي يتعهد بها المزارع، كذلك نوع الطعام والشراب الذي يتناوله الفرد، وكذلك نوع الحرفة التي يعمل بها فعلى سبيل المثال يحرم الإسلام تربية الخنازير . ويحرم زراعة النباتات الضارة (كالخشيش والأفيون و كل أنواع النباتات المخدرة) كما يحرم الإتجار بالمحرمات (المسروق والمنهوب والمغصوب) أو التعامل بغير المشروع (التعامل بالربا وممارسة الاحتكار) وهذا يسمى في العرف الاقتصادي الحديث توجيه استخدام الموارد بما يعود بالنفع للمجتمع وينأى به عن الضرر والأذى .

وبجانب المحافظة على الموارد البيئية جعل الإسلام من عناصر البيئة مصدراً لشحن همة المسلم نحو الاتجاه نحو خالقه . فقد جعل الإسلام من البيئة مصدر إلهام وتفكير، حيث نجد الدعوة صريحة إلى التفكير في العناصر البيئية من جبال وسهول وبحار ونبات وحيوان وغير ذلك من المظاهر التي تقوي الإيمان . إن مظاهر الكون المختلفة وعناصرها لتدل دلالة أكيدة على مبدع هذا الكون وخالقه .

لقد جعل الإسلام من الأضرار البيئية التي تصيب المجتمعات فرصة للتذكير والعودة إلى الله تعالى . فالمسلم يهرع إلى التضرع والصلاة لاستجلاب المطر (صلاة الاستسقاء) وإلى الصلاة، والتسبيح عند حصول بعض الظواهر الفلكية والجوية (صلاة الكسوف والخسوف، والتسبيح عند سماع صوت الرعد . ورؤية البرق) والتضرع والإنابة والاستغفار والابتعاد عن الخطايا عند حصول الكوارث الطبيعية

(الزلازل، البراكين، فيضانات الأنهار المدمرة). فالإسلام يفرض تصوراً بيئياً خاصاً. فالكوارث البيئية ينظر إليها على أنها عقاب من الله تعالى على الذنوب التي يقترفها البشر. أو هي من المحن التي يختبر الله بها عباده ليعرف صبرهم وتمسكهم بعقيدتهم.

نخلص إلى القول أن للدين الإسلامي ضوابط معينة على البيئة الطبيعية وكذلك البيئة البشرية. وهذه الضوابط وإن كان الالتزام بها كلية ليس موجوداً في الأراضي الإسلامية إلا أنها مع ذلك تبقى أموراً مرعية باعتبار أن الالتزام بها عبادة يتقرب بها المرء إلى الله تعالى. فإذا لم يلتزم الفرد المسلم بها فالإسلام يمنح الصلاحية للإمام أو الحاكم أن يوقف ويمنع إقامة ما من شأنه أن يمثل الضرر لبعض عناصر البيئة بأن يمنع إقامة أي مشروع يمثل خطراً على الناس أو على بعض العناصر الطبيعية وأن يوجه الناس إلى استخدام البيئة استخداماً فعالاً حكيماً وأن يعاقب المخالف.

المظهر (اللانديسكيب) الديني للأراضي الإسلامية:

يؤثر الدين في اللانديسكيب الحضاري للمناطق الإسلامية. ويبرز تأثير الدين في أنماط الاستيطان البشري وأنماط استغلال الأرض وملكيته، كما يبرز في أماكن العبادة وأماكن دفن الموتى والأسماء الدينية للأماكن. وستحدث عن تأثير الدين في أنماط الاستيطان البشري واستغلال الأرض لاحقاً، وسيقتصر حديثنا هنا على الموضوعات الثلاثة الأخيرة.

المباني الدينية:

يبرز أثر الدين في اللانديسكيب الأرضي في المباني الخاصة بالعبادة. وفي العالم الإسلامي يبرز المسجد كشاهد عيان على أهمية الدين في الأوساط الإسلامية. وتختلف المساجد في الحجم والوظيفة والطرز المعماري.

ونجد المدن الإسلامية بلا استثناء تلتف في الغالب حول مسجدتها الجامع ، الذي يشكل أهم المعالم الرئيسة في المدينة . وغالباً ما يتوسطها أو يكون في بؤرة المدينة وقلبها . وتنتشر مساجد الأحياء في جميع مناطق المدينة . وعادة ما تكون أقل مساحة وأكثر تواضعاً من المسجد الجامع . ولاشك أن دالة هذه المساجد هي مناراتها العالية التي تستعمل في الأذان ، وهي في الوقت نفسه شواهد حية على ما يتركه الدين من آثار معمارية في البيئة المحلية للمدينة .

وبجانب المساجد في بعض الأقطار الإسلامية توجد الزوايا ، وهي أماكن مخصصة لاجتماع بعض الدعاة وأتباعهم . وقد أسهمت هذه الزوايا في بعض عصور التاريخ الإسلامي في نشر الدين الإسلامي بين بعض فئات السكان ، حيث كانت تقام على أطراف الصحراء ، وعلى طول الطرق التجارية ، وخاصة في أطراف الصحراء الكبرى الأفريقية ، حيث يأوي إليها بعض الفقراء والمسافرين . ويقوم أولئك الدعاة ومريدوهم بدعوة الناس إلى اتباع الدين الإسلامي وفقاً لمناهج متنوعة حسب ظروف المناطق التي تقدم فيها تلك الزوايا . وقد أثمرت هذه الزوايا باعتناق العديد من أفراد القبائل الأفريقية الإسلام .

أماكن دفن الموتى :

تختلف الأديان في طريقة التعامل مع الناس بعد وفاتهم . فالهندوس والبوذيون ليس لديهم مقابر لأنهم يقومون بإحراق موتاهم ، أما أبناء الأديان الأخرى فيدفنون موتاهم في مقابر خاصة . والإسلام يحافظ على الفرد حياً وميتاً ، حيث يقوم المسلمون بتخصيص جانب من الأرض بعيد نوعاً ما عن المستوطنات السكانية لدفن الموتى . وتشكل المقابر جزءاً مهماً من اللاندسكيب الأرضي للمدن الإسلامية . ومع توسع هذه المدن بمرور الزمن تتصل هذه المقابر بالكتلة العمرانية ، وتصبح مظهراً بارزاً من مظاهر المدينة . وليس أدل على ذلك من مقبرة المعلاة بمكة المكرمة ومقبرة البقيع في المدينة المنورة والقرافة في القاهرة .

لقد نسي الناس أو تناسوا بمرور الزمن القواعد الشرعية للدفن وهي تسوية المقابر بالأرض، وأخذوا يزينون القبور وينون عليها القباب. وهذه ظاهرة متشعبة في المدن التاريخية مثل اسطنبول والقاهرة وبغداد وطهران وغيرها. بل ربما ينون فوقها البيوت التي اتخذها الكثير من الفقراء مساكن يقيمون بها ويعيشون بداخلها. وهذا موجود في بعض المدافن في بعض المدن الإسلامية. وأكبر دليل على ذلك هو حي القرافة بالقاهرة الذي يقع ضمن مقابر الموتى.

إن المقابر وأماكن دفن الموتى تشكل أحد المعالم الرئيسية في اللاندسكيب الطبيعي في مدننا الإسلامية، حيث نجد المدافن القديمة التي تحيط بها الأسوار تقع في قلب المدن. أما المدافن الحديثة فقد ساعد انتشار المواصلات السريعة في إبعادها عن أطراف المدينة، ومع ذلك سوف يأتي الوقت الذي تلتحم فيه هذه المقابر بالكتلة السكنية الجديدة كما التحمت المقابر القديمة من قبل.

الدلالات الدينية لأسماء الظاهرات والأماكن:

يلعب الدين دوراً كبيراً في طبع كثير من المسميات على الظواهر المختلفة في البيئة، سواء أكانت هذه الظواهر طبيعية أم بشرية. والمسميات قد يكون بعضها قديم معروف إلا أنه يرتبط بأمر ديني لاحقاً فيعرف به. وقد يطلق الاسم المرتبط بالأثر الديني لاحقاً.

فمن المسميات القديمة التي تصبح لها دلالات دينية جديدة هي المواقع المرتبطة بأماكن العبادة وإقامة الشعائر. فعلى مستوى العالم الإسلامي حينما تذكر أسماء مثل عرفة أو منى أو مزدلفة تقترن تلك المسميات بأعمال الحج. وعندما تذكر أسماء مثل مكة والمدينة والقدس، يقترن بالأولى ظهور الإسلام ووجود الحرم المكي الشريف، أما الثانية فتمثل عاصمة الإسلام الأولى وموطن الهجرة ومكان قبر الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ومكان وجود الحرم المدني الشريف. وما أن تذكر القدس حتى ينصرف الذهن إلى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وإلى مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم.

بعض المواقع والمسميات تقتصرن بأحداث عظيمة في تاريخ الأمة مثل مؤتة وبدر وحطين وعين جالوت وبلاط الشهداء فهي مواقع ومسميات تكتسب أهمية خاصة لأنها بصمات حضارية مطبوعة في ضمير الأمة. فمؤتة معركة المسلمين مع الروم، وبدر معركة المسلمين الأولى مع الشرك، وحطين وعين جالوت معركة المسلمين مع الصليبيين والمغول، وبلاط الشهداء آخر معارك المسلمين في أوروبا الغربية.

لا يقتصر الأمر على أسماء المدن بل يتعداه إلى الجبال: فجبل حراء وثور وجبل الرحمة وأحد لها دلالات دينية مهمة. فالأول شهد تحنث الرسول صلى الله عليه وسلم- قبل البعثة وبين ثنايا هذا الجبل نزل الوحي على الرسول الكريم، والثاني ارتبط بهجرة الرسول وصاحبه أبي بكر، والثالث: الجبل الذي حج بجواره رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حجة الوداع. والرابع ارتبط بأحد معارك الإسلام الكبرى. وقد يرتبط الجبل بأحد القصص القرآني مثل جبل الجودي في شمالي العراق حيث يرى بعض المؤرخين أن سفينة نوح عليه السلام استقرت عليه، أو كهف أهل الكهف بجوار عمّان في الأردن حسب بعض الروايات التاريخية.

وتبرز الدلالات الدينية للأسماء في بعض مسميات الطرق والدروب التي تصل إلى بعض الأماكن المقدسة. فدرب زبيدة هي طريق الحاج العراقي الموصل بين العراق ومكة ودرب الحاج الشامي والمصري وغير ذلك من الدروب التي كان يسلكها الحجاج في الوصول إلى مكة وكذلك طريق الهجرة الذي سلكه الرسول- صلى الله عليه وسلم- أثناء هجرته إلى المدينة المنورة.

وقد يتعدى الأمر إلى تسمية الشوارع والأحياء بأسماء ذات دلالات دينية. فطريق الحرمين، وشارع المسجد الحرام، وشارع مكة والمدينة وبيت المقدس موجودة في الكثير من مدن العالم العربي والإسلامي. ونجد بعض الأسماء لها دلالات دينية مثل حي الأنصار (في مدينة الزرقاء بالأردن) أو حي الهجرة (مكة المكرمة) وحي الإمام الشافعي والسيدة زينب (في القاهرة).

إن قائمة الأسماء الدينية لا تنتهي، فالدين جزء من حياة الأمة ولذلك نراه مطبوعاً في ثنايا حضارات الشعوب، ويتخلل كافة مناحي حياتها وهو كالفسيفساء يزين المدن والقرى والمؤسسات والظواهر المختلفة ويطبعتها بطابعه ويعطيها مسحة دينية ولسة حضارية أصيلة تنبع من شعور ذاتي بعظمة تراث الأمة وتاريخها وأمجادها.

أثار الدين في العلاقات الثقافية في الماضي:

عني الدين الإسلامي بالعلم وتشجيعه والدعوة إلى تحصيله. فقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم- على تعليم الصحابة الكتابة، ففرض على كل أسير من أسرى بدر يجيد القراءة والكتابة ولا يستطيع أن يفدي نفسه أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين. ثم حث الصحابة على تعلم اللغات حين بعث دعواته ورسله إلى الملوك والأمراء في خارج الجزيرة العربية، فنصح ريد بن ثابت بأن يتعلم كتابة اليهود لأنه لا يأمن جانبهم.

ولم يختص النبي صلى الله عليه وسلم- الرجال بالعلم والتعلم، بل كان يحرص على أن يكون حظ المرأة من ذلك موفوراً ولذلك قال عليه السلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

وكان الرسول يحث الرجال على تعليم أهليهم وذويهم، فعن أبي بردة قال: قال الرسول- صلى الله عليه وسلم-: «ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مولاه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران» (صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٠).

وليس أدل على نصيب المرأة المسلمة من العلم من محاجة إحدى نساء المدينة لعمر بن الخطاب حين قام ويخطب المسلمين ويحثهم على أن لا يزيدوا في مهور

نسائهم عن مهور زوجات الرسول، إذ قالت له تلك المرأة: وماذا تقول في قوله تعالى: ﴿وإن آتيتهم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾؟ فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

وكان الصحابة أنفسهم مشغوفين بسماع الرسول- صلى الله عليه وسلم- والأخذ عنه، حتى كان الرجل إذا لم يستطع أن يذهب إلى مجلسه أناب عنه صديقاً له ثم يتعلم منه آخر النهار ما قال الرسول. قال عمر: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد- وهي من عوالي المدينة- وكنا نتناوب النزول إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم-، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك (صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٧).

ولم يفرد الرسول- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه بيت الدعوة وتعليم الناس في المدينة، بل كان يرسل دعواته إلى الجهات النائية من شبه الجزيرة ليعلموا الناس ويوضحوا لهم الطريق إلى ربهم ويقرئوهم القرآن الكريم.

وقد ألفت أفكار الرسول وتعاليمه بذورها في تربة خصبة فأنتجت جماعة من أعظم الرجال قدراً، فكانوا الحفظة على نصوص القرآن المقدسة. وهم وحدهم الذين وعوها عن ظهر قلب، وهم الحراس المتحمسون لحفظ كل ما روي عن النبي- صلى الله عليه وسلم- من كلام ووصايا، والأمناء على تراث محمد الأدبي. وقد تألفت من هؤلاء جماعة الإسلام المبجلة الذين انبثقت منهم طبقة الأجلاء من أوائل الفقهاء والأصوليين والمحدثين في المجتمع الإسلامي.

وقد أفاد كثير من الصحابة من صحبتهم للرسول- صلى الله عليه وسلم-: فنبع عليٌّ في القضاء حتى كان يقال إذا أشكل الأمر: قضية ولا أبا حسن لها، ونبغ معاذ بن جبل في العلم بالحلال والحرام، وزيد بن ثابت في تقسيم الموارث والأنصبة في الغنائم وما إليها، وأبي بن كعب في قراءة القرآن...

وقد تفرق هؤلاء العلماء في الأمصار الإسلامية، فقاموا فيها بحركة علمية والتف حولهم تلاميذ أخذوا العلم عنهم وأذاعوه بين الناس (حسن، ١٩٩١م: ج ١، ص ٤٠٣ - ٤٠٤).

ومما يسترعي نظر الباحث في تاريخ الثقافة الإسلامية أن السواد الأعظم من الذين اشتغلوا بالعلم كانوا من الموالي، وخاصة الفرس. وكانت اللغة العربية هي الوسيلة الوحيدة للتفاهم بين المسلمين إلى أن أزال المغول الخلافة العباسية من بغداد في القرن السابع الهجري، وفي ذلك يقول ابن خلدون: «من الغريب أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم من العجم وإن كان منهم العربي في نسبه، فهو أعجمي في لغته ومرياه ومشيخته. وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة فشغلتهم الرئاسة في الدولة وما دفعوا إليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيه فإنهم كانوا أهل الدولة وحماتها وأولي سياستها» (المقدمة: ص ٢٧٠ - ٢٧٤).

لقد ميز كتاب المسلمين بين العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم وبين العلوم التي أخذها العرب عن غيرهم من الأمم. ويطلق على الأولى العلوم النقلية أو الشرعية. وعلى الثانية العلوم العقلية. وتشمل العلوم الشرعية، علم التفسير وعلم القراءات وعلم الحديث والفقه وعلم الكلام والنحو والبيان والأدب. وتشمل العلوم العقلية: الفلسفة والهندسة وعلم النجوم والطب والكيمياء والتاريخ والجغرافيا.

وكانت عناية المسلمين في صدر الإسلام مقصورة على العلوم الدينية، وهي القرآن وتفسيره وروايته، واستنباط الأحكام الفقهية والفتاوى الشرعية فيما يجد من مشاكل، بخلاف ما كانت عليه الحال في أيام العباسيين الذين اشتغلوا بالعلوم العقلية كالطب والفلسفة والرياضيات وغيرها (حسن، ١٩٩١م: ج ١، ص ٤٠٥).

وفي هذا العصر انتشرت الثقافة الإسلامية انتشاراً يدعو إلى الإعجاب، ونضجت ملكات المسلمين أنفسهم في البحث والتأليف وتشجيع الخلفاء والسلاطين

والأمراء ورجال العلم والأدب، وكثرة العمران واتساع أفق الفكر الإسلامي بارتحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واتصالهم بالحضارات اليونانية والفارسية والهندية.

لقد كان من آثار ضعف السلطة المركزية في بغداد في العصر العباسي الثاني قيام الكثير من الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية. وقد نشطت الحركة الفكرية وراجت الثقافة. وزخر بلاط كل دولة من هذه الدول بالعلماء والشعراء والأدباء. وقد ظهر صدى هذه النهضة العلمية في بلاط كل من السامانيين والغزنويين والبويهيين والحمدانيين في الشرق وفي بلاط الطولونيين والإخشيديين والفاطميين في مصر وفي بلاط الأمويين في الأندلس.

أضف إلى ذلك ظهور الكثير من الفرق التي أخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق مآربها السياسية والدينية. وكان للجدال والنقاش الذي قام بين هذه الفرق من ناحية وبين علماء السنة من ناحية أخرى، أثر بعيد في النهضة العلمية والفكرية، على الرغم مما انتاب العالم الإسلامي من تفكك وانحلال، وما أصاب الخلافة من ضعف وهن.

وكتيجة لكل ذلك فقد كثرت مراكز الثقافة والعلم في العالم الإسلامي وجذبت تلك المراكز رجال العلم والأدب وتخرج فيها فحول العلماء في كل فن من فنون المعرفة. وأهم تلك المراكز: مكة المكرمة، المدينة المنور، دمشق، بغداد، البصرة، الكوفة، الحلة، النجف، الموصل، حلب، حمص، حماة، الرقة، غزة، القدس، بنيسابور، جرجان، مرو الروز، نسا، طبرسان، طوس، كابل، بلخ، هراة، بخارى، غزنة، خيوة، طشقند، سمرقند، كشغر، محج قلعة، عشق آباد (اشكباد حالياً)، لاهور، دهلي، دهلي، عليكرة، حيدر آباد، أحمد آباد، كالكيت، القاهرة، الإسكندرية، القيروان، فاس، مكناس، شنقيط، تمبكتو، جاو، سنار، مقاديشو، كلوة، ممبسا، مالسندى، دار السلام، زيلج، سوكتو، قرطبة، أشبيلية، مجريط (مدريد)، غرناطة، اسطنبول، أضنة، سرايفو إلخ...

معاهد ومراكز الثقافة الإسلامية:

١ - المسجد: كان المسجد أعظم معاهد الثقافة لدراسة القرآن والحديث والفقه واللغة وغيرها من العلوم. وأصبح كثير من المساجد مراكز مهمة للحركة العلمية. وكان المسجد فوق اعتباره مكان العبادة والمكان الذي يؤم فيه الخليفة أو الإمام الناس في الصلاة، مركزاً لإدارة شؤون الدولة أو الولاية. وكان المنبر يلقي منه بيان الحاكم لسياسة الدولة. وتلقى فيه خطبته الأولى ويبين فيها سياسته في الحكم. وفي المسجد تذاع القرارات المهمة التي تتعلق بالصالح العام، ويستقبل الخليفة السفراء ويدير شؤون الدولة. والمسجد هو المكان الذي يتخذه علماء التفسير والحديث مقراً لهم، وهو المعهد الذي يتلقى فيه الأطفال اللغة العربية وأصول الدين، وهو المكان الذي اتخذته القضاة لعقد جلساتهم، بل لقد اتخذ بعض المساجد أماكن يلجأ إليها المسلمون ويصدون منها الأعداء.

لقد لعب المسجد النبوي في المدينة جميع الأدوار السابقة في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفي حياة الخلفاء الراشدين من بعده. وكان المسجد الأموي في عهد الوليد يقوم بالأدوار السابقة جميعها ومثل ذلك مسجد عمرو بن العاص، ومسجد ابن طولون في القاهرة، ثم أصبح الأزهر في عهد الفاطميين مركزاً مهماً للثقافة ومثابة للعلماء. وأهم خصائص الأزهر أنه وإن كان قد بدأ كغيره من المساجد لم يلبث أن أصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العلم الكثير من مختلف العلوم والفنون. وكان الخلفاء والسلاطين يقدمون للدارسين المأكل والمسكن وكل ما يوفر عليهم وسائل الراحة من غير أجر. وأصبح يدرس في الأزهر التوحيد والفقه واللغة والنحو والبيان والطب وغيرها من العلوم (المقريري في الخطط ج ٢، ص ٣٦٣، وكذلك حسن، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٠٠).

ومن هذه المعاهد الثقافية مسجد القرويين بفاس الذي كان مركزاً مهماً من مراكز الثقافة الإسلامية. وقد جذبت مساجد بغداد العلماء والدارسين من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، كما جذبت مساجد قرطبة الأروبيين الذين وفدوا إليها لارتشاف العلم من مناهله والتزود من الثقافة الإسلامية. ومن ثمَّ ظهرت فيها طائفة من الفقهاء والعلماء والشعراء والفلاسفة والمترجمين وغيرهم (حسن، ١٩٩١م: ج٣، ص٣٩٩-٤٠٠).

٢ - الزاوية: من معاهد العلم "الزاوية" وهي مأخوذة من الفعل انزوى بمعنى اتخذ ركناً من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد. وقد أدرك خلفاء المسلمين حاجة المعتكفين إلى هذا الانزواء. فأقاموا لهم مساكن ملحقة بالمسجد، كما نشاهد ذلك حتى الآن ببعض مساجد فاس والقاهرة، ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى أبنية صغيرة منفصلة في جهات من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين، وتنتشر الزوايا في كثير من أنحاء المدن والقرى في بعض بقاع العالم الإسلامي إلى يومنا هذا.

وتطلق كلمة زاوية في المغرب على مسجد خاص بمجموعة معينة من المسلمين، وكثيراً ما تلحق بالزاوية حجرات ينزل بها الضيوف والمنقطعون للعلم أو العبادة وكانت الزاوية المغربية مدرسة دينية وداراً لضيافة الأعراب.

وفي القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) انتشرت الزوايا في المغرب وأنشئت فيها كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الدين ومبادئ العلوم الأمر الذي حدا بملوك بني مرين أن يطوروا هذه الكتاتيب إلى مدارس وكليات تسهم في الحركة العلمية بجانب جامعة القرويين بفاس.

وقد تطورت الزوايا بالمغرب في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) حين اشتدت وطأة النصارى على المسلمين في الأندلس، وامتدت أطماعهم

إلى احتلال السواحل المغربية . ولما ضعفت الدولة عن الدفاع عن البلاد أخذ علماء هذه الزوايا يدعون إلى الجهاد ومقاومة الأجنبي، وقد أدت هذه الزوايا دوراً بارزاً في الدفاع عن الإسلام إبان القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) حيث وقف رجال هذه الزوايا لطرد النصارى من بعض الثغور المغربية .

وقد تطورت الزوايا في المغرب العربي بخاصة، والكثير من البلاد الإسلامية في أفريقيا بعامة حتى أصبح عددها يقرب من عدد المساجد (حسن، ١٩٩١م، ج٣، ص ٤٠١-٤٠٢).

٣ - الكُتَّاب والمدرسة : اسم الكُتَّاب مشتق من كتب، وهو المكان الذي يتعلم فيه التلميذ القراءة والكتابة . ولم تكن هناك مكاتب خاصة يتلقى فيها الطلاب العلوم الدينية بل كانوا يؤمون المساجد ولم تكن المدارس الحالية موجودة في السابق، ولم تنشأ بالصورة المثلى إلا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميادي) وكانت المدرسة الأولى بهذا المعنى هي المدرسة البيهقية في نيسابور . وفي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أسس نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي المدرستين المشهورتين في بغداد ونيسابور، وتعرف كل منهما بالمدرسة النظامية . ثم قامت المدرسة الحنفية في بغداد ثم قامت المدارس الأخرى في دمشق وحلب والمدينة المنورة ومكة المكرمة وغيرها من حواضر الإسلام . وكانت هناك جرايات تخصص لهذه المدارس للإنفاق عليها كرواتب للمدرسين وتأمين المسكن والطعام واللباس للطلبة . وكانت هذه المدارس منارات للعلم يحاضر فيها كبار العلماء والفقهاء من شتى أقطار العالم الإسلامي (حسن، ١٩٩١م، ج٤، ص ٤٠٢-٤٠٣).

٤ - المارستان : اهتم المسلمون منذ العصر العباسي بنشر العلوم الطبية، فأسسوا المدارس الطبية والمستشفيات، ودعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية التي يجتمع فيها كافة الأطباء من كافة البلاد في موسم الحج، حيث يعرضون نتائج أبحاثهم كما يعرضون نباتات البلاد الإسلامية ويصفون خواصها الطبية. وقد أصبحت بغداد في الشرق وقرطبة في الغرب من أهم مراكز الثقافة الطبية الإسلامية. وقد أقام المسلمون المارستانات ووضع بعض الخلفاء والسلاطين والأمراء في المساجد خزائن للأدوية والأشربة وعينوا لها الأطباء لإسعاف المصابين. وبنوا المارستان للمرضى وأباحوها للناس من غير تمييز في الأديان والمذاهب وقدموا لهم العلاج والطعام بدون مقابل.

ومن أحسن الأمثلة لذلك المارستان الذي أسسه أحمد بن طولون في القاهرة. وأدخل عليها ضرورياً من النظم جعلته في مستوى أرقى المستشفيات في الوقت الحاضر. وفي سنة ٣١١هـ أسندت إمارة مارستان الري إلى محمد بن زكريا الرازي أشهر أطباء عصره، ثم أسندت إليه إمارة مارستان بغداد في عهد الخليفة المكتفي. وأسس الأيوبيون في مصر والموحدون بالمغرب الكثير من هذه المؤسسات التي كانت تجمع الجانب العلمي والجانب العملي من الطب إضافة إلى أنها تقوم بأعمال الفندقية الخاصة بالمأكل والمشرب للمرضى.

٥ - المكتبات : لما نشطت حركة الترجمة والتأليف في العصر العباسي وتقدمت صناعة الورق تبع ذلك ظهور كثير من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب، واتخذها العلماء والأدباء أماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم، فكثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية وغيرها، وأصبحت هذه المكتبات فيما بعد أهم المراكز الثقافية الإسلامية. وقد عمل الخلفاء على إمداد هذه المكتبات وتزويدها بالكتب. ومن أشهر المكتبات بيت الحكمة في بغداد

الذي وضع أساسه هارون الرشيد وتعهده المأمون حيث بنى فيه مرصداً وأقام فيه مكتبة أصبحت من أكبر خزائن الكتب، وظلت هذه المكتبة قائمة حتى استولى التتار على بغداد. ومن أشهر المكتبات مكتبة نوح بن نصر الساماني في بخارى ومكتبة الصاحب بن عباد بأصفهان، ومكتبة السلطان محمود الغزنوي في غزنة، ومكتبة ابن العلقمي ببغداد التي احتوت على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب، ومكتبة مرو حاضرة خراسان التي كانت تحتوي على ١٢ ألف مجلد.

واتخذ الفاطميون من قصورهم مراكز لنشر الثقافة. وألحقوا بهذه القصور مكتبات تحتوي على مئات الألوف من المصنفات، وروى المقرئ في الخطط (ج ١، ص ٤٠٧) أنه كان في القصر الشرقي بالقاهرة أربعون خزانة تحتوي خزانة واحدة منها على (٨٠) ألف مجلد في العلوم القديمة. وقد أسس الخليفة الحاكم في سنة ٣٩٥هـ (١٠٠٥م) دار الحكمة في القاهرة على مثال أكاديميات بغداد وقرطبة وألحق بها مكتبة أطلق عليها "دار العلم" حوت ما لم يجتمع مثله في مكتبة من المكتبات أجرى على موظفيها ومن بها من الفقهاء الأرزاق، وجعل فيها ما يحتاج إليه المطالعون والنساخ من الحبر والمحابر والأقلام والورق (حسن، ١٩٩١م: ج ٤، ص ٤٠٨ - ٤١٠).

لقد نافس بلاط الأمويين في قرطبة بلاط العباسيين في العراق وبلاط الفاطميين في المغرب ومصر. وقد نافست مدينة قرطبة مدن بغداد والقاهرة وبخارى وغزنة وأصبهان وغيرها من أمهات المدن الإسلامية. فأصبحت حاضرة الأندلس سوقاً نافقة للعلم وكعبة لرجال الأدب. وجذبت مساجدها الأوروبيين الذين وفدوا إليها لارتشاف العلم من مناهله والتزود من الثقافة الإسلامية، ومن ثم ظهرت فيها طائفة من العلماء والشعراء والأدباء والفلاسفة والمترجمين والفقهاء وغيرهم.

وقد زحرت مكتبة قرطبة بكثير من المصنفات في مختلف العلوم والفنون .
فقد بذل الحكم المستنصر حتى قبل أن يجلس على عرش الخلافة الأموية سنة
٣٥٠هـ جهوداً بعيدة الأثر في توجيه الدراسة الأندلسية في ميدان العلوم والطب .
وكانت المكتبة التي أنشأها في قصره بقرطبة ذات ثراء لا يقارن إذ كانت تضم بين
خزائنها ٤٠٠ ألف مجلد في وقت لم تعرف فيه الطباعة، وكانت الفهارس لها في
غاية الاختصار، حتى أنها اكتفت بذكر أسماء الكتب ومؤلفيها فحسب . وكانت
هذه المكتبة تحتوي على (٤٤) سجلاً كل منها يقع في ٥٠ ورقة . وكانت هناك شبكة
محكمة من الباحثين والسامسة والناسخين يعملون لحساب ذلك الخليفة الأموي في
الأندلس . وقد انتشروا في جميع أنحاء العالم الإسلامي سعياً وراء المؤلفات
(حسن، ١٩٩١م : ج ٣، ص ٣٤٤ - ٣٤٥).

٦ - الرحلات العلمية : أهم الرحلات في الإسلام هي رحلة الحج وهو الركن
الخامس من أركان الإسلام؛ لذا كانت مكة ملتقى المسلمين يأتون إليها من
كل أرجاء العالم الإسلامي ويتبادلون الآراء والمنافع والأخبار . ولم يكن
الوصول إلى مكة سهلاً لكل المسلمين بل كان بعضهم يقطع الآلاف من
الكيلومترات للوصول إليها، كما هو الحال بالنسبة لأهل المغرب . وكان بعض
الرحالة يكتبون ما يشاهدون، بل إن كثيراً من الرحالة أمثال ابن جبير وابن
بطوطة والتجاني كان هدفهم الأساسي في بداية رحلاتهم حج بيت الله
الحرام، لكنهم كانوا يتخلفون في بعض المدن الإسلامية ذات المكانة العلمية
للتزود بالعلم والدراسة على أيدي فقهاءها . وكان من أبرز ما كتبه هؤلاء
الرحالة أنباء الفقهاء والعلماء وكل ماله صفة دينية مما يؤكد أن الدين كان
الهدف الأساسي لتلك الرحلات .

وبالإضافة إلى رحلات الحج التي خلفت لنا أدباً وتاريخاً وعلماً نافعاً كان
هناك الرحلات العلمية التي كان هدفها السعي إلى طلب العلم عملاً بقول الرسول

الكريم- صلى الله عليه وسلم-: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» لذا نجد أن الارتحال في طلب العلم ظاهرة مألوفة منذ ظهور الإسلام (محمدين: ١٤٠١هـ: ص ١٢٣-١٢٤).

يقول الأستاذ نيكلسون: (كان لانبساط رقعة الدولة العباسية ووفرة ثرواتها، ورواج تجارتها، أثر كبير في إنشاء نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل حتى لقد بدا أن الناس جميعاً من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأناً غدو فجأة طلاباً للعلم أو على الأقل أنصاراً للأدب. وفي عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعياً إلى موارد العلم والعرفان، ليعودوا إلى بلادهم يحملون العلم إلى جموع التلاميذ المتلهفين، ثم يصنفون بفضل ما بذلوه من جهد متصل هذه المصنفات التي هي أشبه بدوائر المعارف، والتي كان لها أكبر الفضل في إيصال العلوم الحديثة إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل (NICHOLSON, 1913, 281) ؛ أيضاً حسن: ١٩٩١م، ج ٢، ص ٢٦٣).

كان طلاب العلم يجوبون البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً فقد قيل إن أبا القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، الذي ولد بطبرية في سنة ٣٦٠هـ زار العديد من الأقطار الإسلامية خلال مدة تزيد عن ٣٣ سنة سمع فيها من ألف شيخ. كما أثر عن القاضي عبدالله محمد بن أحمد مولى عبدالرحمن الناصر الأندلسي أنه رحل من قرطبة وتنقل ببلاد الحجاز ومصر والشام، وأخذ العلم عن ٢٣٠ شيخاً. ومن هؤلاء العلماء الذين جابوا البلاد الإسلامية وتحملوا المشاق في سبيل اكتساب العلم أبو القاسم بن الدباغ الذي نشأ بقرطبة، وتلقى العلم على شيوخها، ثم رحل إلى بلاد الشرق الإسلامي وتنقل بين مصر والشام يأخذ العلم عن كبار علمائها رهاء ١٥ سنة وقيل إن عدد شيوخه بلغ ٢٣٦ شيخاً (حسن: ١٩٩١م، ج ٣، ص ٣٤٦).

وهناك أمثلة كثيرة لعلماء مسلمين قطعوا آلاف الكيلو مترات لتصحيح حديث أو ضبط سنده. فقد روى البخاري أن جابر بن عبدالله رحل مسيرة شهر إلى عبدالله بن أنيس في طلب حديث واحد. وقد ساعد على مثل هذه الرحلات تفرق العلماء وانتشارهم في أقطار العالم الإسلامي. وهكذا كانت الرحلة وسيلة اتصال لطلب العلم والتزود من المعرفة.

آثار الدين في العلاقات الثقافية المعاصرة:

إن حال العالم الإسلامي اليوم يشبه إلى حد بعيد حال المسلمين عندما ضعفت السلطة المركزية في بغداد. فقد قام إذ ذاك الكثير من الدول التي استقلت عن الخلافة. والعالم الرسلامي اليوم في ضوء عدم وجود دولة واحدة تجمع شمله وتوحد أقطاره يحوي العديد من الأقطار يربو عددها على الخمسين قطراً. وفي كل قطر من أقطار العالم الإسلامي حركة فكرية وثقافية، ويمثل كل قطر علماء وشعراء وأدباء وكتاب.

ولاشك أن اتصال أقطار العالم الإسلامي بالحضارة الغربية وتنوع هذا الاتصال أوجد منابع جديدة للثقافة، كانت الثقافة المحية بعيدة عنها. ولاشك أن لهذه الوافدة خيرها وشرها معاً في آن واحد. لقد اتصلت الأقطار الإسلامية عن طريق حركات الاستعمار بدول غربية ذات ثقافات متباينة وديانات مختلفة. فإندونيسيا انفتحت على الثقافة الهولندية وماليزيا وأقطار شبه القارة الهندية وإيران وبعض الأقطار العربية (مصر، السودان، الأردن، فلسطين، العراق) أخذت من الثقافة الإنجليزية. ومعظم دول القارة الأفريقية تأثرت بالثقافة الفرنسية. وهناك الإيطالية في ليبيا وبعض أجزاء الصومال، والأسبانية في بعض نواحي المغرب، والثقافة الروسية في دول وسط آسيا الإسلامية.

لقد وجد هذا الاتصال الثقافي صدى واسعاً لدى الكثير من الشعوب الإسلامية، واستحسنه بعضهم وتبناه ودعى إليه وجاهر بالعداء لتراثه وماضيه الحضاري. وقد أوجد هذا نوعاً من ردة الفعل لدى الغالبية العظمى من فئات الشعوب الإسلامية فانبرت تحارب هذا الاتجاه الرامي إلى صهر المسلمين في البوتقة الحضارية الأوروبية- غربية كانت أم شرقية- لذا تعالت الدعوات إلى العودة إلى التراث الحضاري الذي عاشته الأمة وتبني هذا التراث كأساس للحياة مع الأخذ من معطيات الثقافة الأوروبية ما يناسب البيئات الإسلامية، وما لا يتعارض مع القيم الروحية والأخلاقية للشعوب الإسلامية. ولقد برز هذا التيار أولاً في كل قطر إسلامي على حدة ثم تضافرت الجهود معاً من خلال العديد من المؤسسات الثقافية والدينية التي برزت على مستوى الأقطار الإسلامية أو على مستوى الهيئات الإسلامية التي انضوى تحت لوائها العديد من الدول الإسلامية.

فعلى المستوى المحلي لكل دولة من دول العالم الإسلامي نجد العديد من المؤسسات التي تبرز أثر الدين وتصبغ الثقافة المحلية بالطابع الديني مع المواكبة على الأخذ من معطيات الحضارة الحديثة ما لا يتعارض مع هذه المبادئ. ولعل من أهم هذه المؤسسات:

١ - المسجد: الذي لعب دوراً بارزاً في الماضي، ولا يزال يمارس دوره في تقوية الروابط الدينية، وتوجيه الناس وإرشادهم إلى العمل بمبادئ دينهم، والحرص على قيمهم الثقافية وتراثهم.

٢ - المعاهد والمدارس الدينية: تلعب هذه المدارس دوراً بارزاً في كثير من دول العالم الإسلامي في تقوية الروابط الدينية، وتعمل على تقوية آثار الدين على العلاقات الثقافية المعاصرة. وفي بعض الأقطار الإسلامية كالسعودية نرى أن المدارس المختلفة (ابتدائي، متوسط، ثانوي) تقوم على أساس الالتزام بتعاليم

الشريعة الإسلامية قولاً وعملاً وسلوكاً، وربما لا يتوافر ذلك في المدارس الأخرى في الكثير من أقطار العالم الإسلامي، حيث تتولى المدارس الدينية القيام بهذه الأمور.

٣ - الجامعات: يوجد في مختلف أقطار العالم الإسلامي كليات وأقسام مختلفة لتدريس العلوم الشرعية بجانب العلوم العصرية. ولهذه الجامعات دور مهم في إبراز الدين في الثقافة المعاصرة ذات المصادر المتنوعة والاتجاهات المتباينة. ولا تكاد تخلو جامعة من جامعات العالم الإسلامي من كليات الشريعة والدعوة وكليات أصول الدين وكذلك كليات الحقوق التي تخرِّج العلماء والفقهاء والقضاة والمتخصصين في العلوم الشرعية والدينية. وتبرز بعض الجامعات بشهرتها في هذا المجال لما لها من دور أصيل في الدفاع عن الإسلام، ونشر الثقافة الإسلامية عبر الأجيال، مثل الجامع الأزهر في مصر، وجامعة الزيتونة في تونس وجامعات السعودية وبخاصة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والجامعة الإسلامية في المدينة، كذلك الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا والجامعة الإسلامية في باكستان وغيرها من الجامعات والمعاهد الأخرى في مختلف أقطار العالم الإسلامي.

٤ - الكتاب الإسلامي: يحوي كل قطر من الأقطار الإسلامية مكتبات عامة وخاصة، ولا يخلو أي منها من الكتاب الإسلامي، وبحكم الاتصال الثقافي بين الأقطار الإسلامية، نجد أن الكتاب الإسلامي منتشر بصورة واسعة وبلغات مختلفة، غير أن اللغة العربية هي اللغة التي تضم معظم تراث الإسلام الثقافي. وكثير من كتب الثقافة الإسلامية مترجم عن العربية أو يدرس بها حتى في البلاد الإسلامية الأخرى، نظراً لارتباط المسلم الوثيق باللغة العربية. ويعتبر الكتاب الإسلامي عامل ربط يشد الأمة إلى ماضيها، ويقوي أواصرها بهذا الماضي المجيد.

٥ - إن وسائل الاتصال الحديثة (إذاعة، تلفزيون، صحف) أحدثت تأثيراً ملموساً في نشر الثقافات المختلفة ومن بينها الثقافة الإسلامية. فإذاعات القرآن الكريم والبرامج الموجهة إلى أقطار العالم الإسلامي وما يث من خلالها من موضوعات إسلامية تعمل على إبراز أثر الدين في العلاقات الثقافية لأقطار العالم الإسلامي. ويكفي أن نذكر جهود منظمة إذاعات الدول الإسلامية المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي التي تعمل على تشجيع الدول على تبني إذاعات خاصة للقرآن الكريم وإذاعات موجهة تبث البرامج الدينية والثقافية، للعديد من الأقطار الإسلامية وبلغاتها الأصلية وكذلك نقل المناسبات الدينية بطريقة مشتركة (نقل يوم عرفة أو صلاة التراويح) لمعظم أقطار العالم الإسلامي.

ومن الجدير بالذكر أن بعض الدول الإسلامية مثل السعودية لها دور بارز في هذا المجال الإعلامي، حيث تخصص برنامجاً يومياً خاصاً بالتوجيه الديني لمختلف أرجاء العالم (برنامج نداء الإسلام) وبرامج خاصة بالتوعية الإسلامية في الحج، إضافة إلى إذاعة القرآن الكريم التي تبث بمختلف الموجات ولمعظم أقطار العالم الإسلامي.

٦ - برز من ثلاثة عقود نوع من التوجه لتكوين مجموعة عمل إسلامية موحدة تكون نواة لوحدة إسلامية جامعة في المستقبل. وقد كان للسعودية دور بارز في إحياء فكرة التقارب الإسلامي. وتجلّى ذلك في ظهور رابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي. ورابطة العالم الإسلامية منظمة ذات طابع ديني يهدف إلى تقوية الروابط الدينية وتعزيز العلاقات الأخوية بين الأقطار الإسلامية. وتشرف على هيئات خاصة تمارس أعمالها في جميع أقطار العالم الإسلامي. فهناك قسم الدعوة الإسلامية في أقطار العالم

المختلفة، وقسم آخر للمساجد وثالث للأقليات الإسلامية ورعاية شؤونها ودراسة أوضاعها، وآخر للإغاثة الإسلامية كما تشرف على مؤتمرات دورية تتعلق بتحفيظ القرآن الكريم، وكذلك المؤتمرات السنوية للفقهاء الإسلامي الذي يناقش الكثير من القضايا التي تحتاج فتاوى عامة على مستوى العالم الإسلامي.

أما منظمة المؤتمر الإسلامي فلها جانب سياسي وثقافي واضح من خلال محاولات الدول الإسلامية توحيد مواقفها تجاه القضايا والمشكلات الدولية سواء على مستوى الأمم المتحدة أو المنظمات الدولية والإقليمية المختلفة. ومنظمة المؤتمر الإسلامي لها دور بارز في مناقشة قضايا الأقليات الإسلامية، ومحاولة مساعدتها في تحقيق عيش كريم داخل الدول التي تنتمي إليها وكذلك لها دور بارز في القضايا الإسلامية الأخرى كآفغانستان أثناء الاحتلال الروسي، والبوسنة والهرسك أثناء النزاع العرقي في يوغسلافيا السابقة، وكذلك قضية فلسطين والقدس وقضية كشمير... إلخ.

ويرتبط بمنظمة المؤتمر الإسلامي المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، التي تختص بإحياء التراث الإسلامي والحضاري في مختلف بقاع الدول الإسلامية. وتعمل هذه المنظمة على التعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وكذلك مع منظمة اليونسكو العالمية. وكل هذه المؤسسات هي روافد ثقافية تسهل عملية التبادل الثقافي، وتقوية الأواصر الثقافية على المستويات المحلية والعربية والإسلامية والعالمية.

٧ - لئن حدثت الحدود السياسية بين الأقطار الإسلامية حرية الحركة والتنقل بسهولة، إلا أن الاتصال لا يزال موجوداً بين معظم الدول الإسلامية عن طريق عدد من القنوات التي تلعب دورها في العلاقات الثقافية عموماً، ومن هذه القنوات:

(أ) رحلات الحج والعمرة التي تنطلق من مختلف أقطار العالم الإسلامي إلى الديار المقدسة، ولا شك أن هذه الرحلة الدينية لها جوانب ثقافية مهمة، حيث تسهل الاتصال المباشر بين مختلف فئات السكان في العالم الإسلامي، وتساعد على تقوية أواصر الثقة وتقرب وجهات النظر في مختلف القضايا المطروحة.

(ب) هناك علاقات ثقافية بين القسم الأعظم من الأقطار الإسلامية. وبموجب هذه العلاقات ينتقل الطلبة إلى التعليم في معاهد الدول الإسلامية إما عن طريق التبادل الثقافي أو عن طريق المنح التي تقدمها الدول الإسلامية. وفي هذا المجال تبرز السعودية بدور رائد في استقطاب العديد من البعثات من مختلف الأقطار الإسلامية للدراسة الشرعية في معاهدها، كما يلعب الأزهر دوراً ريادياً أيضاً. وفي السنوات الأخيرة برزت إيران في فتح معاهدها العلمية لطلبة الكثير من دول العالم الإسلامي وخاصة الدول الأفريقية.

(ج) تلعب الهجرة بين أقطار العالم الإسلامي دوراً كبيراً في الاتصال الثقافي والحضاري. ونرى اليوم حدوث هجرات من مختلف أقطار العالم الإسلامي إلى دول النفط في المنطقة العربية، وهذا لا شك مما يقوّي الشعور الديني، ويعمل على زيادة الاتصال الحضاري، كما يعمل على نشر اللغة العربية لدى فئات المهاجرين. وهذا له انعكاساته الدينية وتأثيراته الثقافية والمسلكية.

والخلاصة أنه في ضوء عدم وجود وحدة سياسية جامعة لأقطار العالم الإسلامي نجد أن هناك العديد من قنوات الاتصال الثقافية التي تبرز الدين فيها كعامل أساسي يساعد على توحيد المشاعر وعلى تقريب الشعوب الإسلامية من بعضها. وربما تؤدي هذه القنوات إلى إيجاد نوع من الوحدة الشعورية التي تسبق في العادة الوحدة والاندماج الكلي بين أقطار العالم الإسلامي وشعوبه وليس ذلك على الله ببعيد.

آثار الدين في تمازج الشعوب الإسلامية:

لقد ظهر الإسلام في الجزيرة العربية التي كان يمتاز سكانها في ذلك الوقت بمميزات ثلاث هي:

- ١ - أنهم يتكلمون لغة واحدة هي اللغة العربية وإن اختلفت لهجاتها.
- ٢ - أن أغليبيتهم تدين بدين واحد هو الدين الوثني.
- ٣ - أنهم من جنس واحد هو الجنس السامي.

غير أن الرسالة المحمدية لم تكن للعرب بخاصة، وإنما كانت إلى البشر بعامة، فقد قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «إن بلالاً أول ثمار الحبشة، وأن صهيياً أول ثمار الروم». وهكذا صرح الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - أن الإسلام ليس مقصوراً على الجنس العربي قبل أن يدور بخلد العرب أي شيء يتعلق بحياة الفتح بزمن طويل (حسن: ١٩٩١م، ج ١، ص ١٣٨).

اتسعت الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً منذ العهد الراشدي، واستمرت طيلة الحكم الأموي وبعض سنوات العهد العباسي الأول. ورفرفت راية الإسلام على المناطق الممتدة بين الصين شرقاً والأندلس غرباً. وقد انضوى تحت راية الإسلام هذه العديد من الشعوب والأقوام الكثيرة التي صهرها الإسلام في بوتقته وصنع منها الأمة الإسلامية الماجدة. وسنلقي الضوء على أحوال هذه الشعوب ومقدار التنوع البشري بين سكانها وأثر الإسلام في تمازج هذه الشعوب وانصهارها. وسنبداً بالجناح الشرقي للدولة الإسلامية ثم نتبعه بالجناح الغربي.

التنوع البشري في شرقي الدولة الإسلامية:

كانت البلاد التي تلي العراق شرقاً تعرف باسم الجناح الشرقي للدولة الإسلامية. وتقع في هذه النواحي الهضبة الإيرانية التي تلي العراق شرقاً. وهذه الهضبة تمتد من جبال هندكوش وسليمان شرقاً حتى جبال البرز وزاغروس غرباً. وكانت تستوطنها العناصر الإيرانية والعناصر التركية على حد سواء. وكانت

الشعوب الإيرانية ذات التاريخ الطويل والتي كان يعرفها العرب باسم الفرس تنتهي حدودها عند نهر المرغاب الذي تقع عليه مدينة مرو (في أفغانستان الآن) وذلك جنوب نهر جيحون ثم تبدأ بعد ذلك شعوب الترك.

والترك أقوام عديدة. فهناك الأتراك "القراخانية" في التركستان الصينية في حوض التاريم وأطراف بحيرة بلكاش. وهنا كانت المواطن الأولى للأتراك "الغزية" وهؤلاء هم أكثر الأتراك اثراً وأكبرهم دوراً في تاريخ الإسلام. ومنهم السلاجقة والعثمانيون ومعظم المماليك. وإذا اتجهنا نحو الغرب قليلاً إلى بلاد التركستان (جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية) نجد منازل الأتراك "القفجاق" وذلك في شمال تركستان، ثم الأتراك "الجزر" شمال البحر الأسود وجزيرة القرم. ثم الأتراك "البلغار" فيما بين بحر قزوين والبحر الأسود.

وفي شرق مواطن الشعوب التركية كانت تستوطن الشعوب المغولية التي كانت تمتد بلادهم إلى صحراء غوبي ومنغوليا وتنتهي شرقاً عند سور الصين. ويلى ذلك شرقاً شعوب الصين التي تنتمي إلى جنس آخر.

يرجع إلى العرب الفاتحين الفضل في إزالة الحواجز العنصرية والحضارية بين الطورانيين (الشعوب التركية) والإيرانيين (الفرس). فقد ذاب الجانب الأكبر من تلك الفروق في بوتقة الإسلام وحضارته، وإلى الإسلام يرجع الفضل في إدخالهم عالم الحضارة والتاريخ. وأول دولة كبيرة منهم هي دولة الغزنويين صاحبة الدور العظيم في تاريخ الإسلام، يليهم في الأهمية الأوزبك الذين دخلوا بلاد ما وراء النهر واستقروا فيها، ثم الغوريون في جنوب شرق الهضبة الإيرانية وفي أفغانستان الحالية.

هذه الشعوب التركية كانت تزحف شيئاً فشيئاً، وتدخل بلاد الإسلام وتتحضر وأحياناً كانت تدفعها نحو الغرب جماعات أخرى كانت تعيش شرقها، كما هو الحال في المغول والتتار، تلك القبائل البدوية المتوحشة التي انطلقت بقيادة جنكيز

خان المغولي وقضت على الخلافة في بغداد. وما لبث هؤلاء أن دخل معظمهم في الإسلام، لكن ذلك كان بعد أن دمر هؤلاء بلاد الإسلام في هضبة إيران وبلاد ما وراء النهر.

تلك هي صورة التنوع البشري في البلاد التي كانت تلي العراق شرقاً. وهذه الشعوب- بمن فيهم الإيرانيون- هي التي ستدخل الإسلام وتتولى نشره في شرقي الصين وبلاد الهند، وكان انتشار الإسلام شرقاً عملية تتابع بدأها العرب بإدخال الفرس في الإسلام. وقد حمل هؤلاء راية الإسلام إلى القسم الأكبر من الأتراك الطوارانيين، هؤلاء أخذوا الراية من الإيرانيين ونشروا الإسلام في غربي الصين وشبه القارة الهندية. وفي الشمال نشره في بلاد ما وراء النهر وآسيا الوسطى إلى روسيا وسيبيريا.

إن المسلمين حينما دخلوا بلاد إيران وسهول طوران تركوا الناس على حالهم، فمن أسلم أصبح أخاً مسلماً، وأما من أراد التمسك بعقيدته فقد تركوه وقبلوا منه الجزية، حتى الرؤساء تركوهم على حالهم ما داموا لم يعتدوا على الإسلام. وكان لا بد من أن يسلم أولئك الناس فإن الإسلام غلاب.

التنوع البشري في غربي الدولة الإسلامية:

إن الأقطار الممتدة من مصر حتى الأندلس كانت تعرف بالجنح الغربي للدولة الإسلامية. وفي هذه الأقطار نرى أن التنوع البشري أقل على وجه العموم مما كان عليه الحال في المشرق الإسلامي. ذلك أن العرب دخلوا مع السكان واختلطوا بهم منذ بداية الفتح اختلاطاً أدى إلى سيطرة العرب العديدة على هذه المناطق.

ففي مصر بعد فتحها أصبح فيها ثلاثة عناصر من السكان: القبط وهم أهل البلاد الأصليين، وكانوا يكوّنون السواد الأعظم من السكان، والروم وهم بقايا الحكم الروماني الذي قضى عليه العرب، وهؤلاء يكونون أقلية ضئيلة من السكان.

أما العنصر الثالث فهو العنصر العربي الذي يتألف بعد الفتح من الجند العرب ومن القبائل العربية التي نزحت إلى أرض الكنانة (حسن: ١٩٩١م، ج ٣، ص ٤٣٢).

أما المغرب العربي فكان يستوطنه البربر. وقد كان الإسلام نقطة تحول في تاريخهم، وفي تاريخ الإسلام على حد سواء، فقد أخذ البربر يستعربون مع انتشار الإسلام بينهم، ثم مالبتوا أن اضطلعوا بنشر الإسلام، والجهاد في سبيله فيما يليهم من الأراضي، فكانوا دعامة جيوش الفتح التي اتجهت إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد، كما اضطلعوا بنشر الإسلام في الصحراء الكبرى ولاسيما خلال الفترة بين القرنين الخامس والسابع الهجريين. الحادي عشر إلى الثالث عشر الميلادي) فعلى يد دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري ودولة الموحيدين في القرن السادس الهجري عبر الإسلام ممالك الصحراء إلى النطاق السوداني وانتشر بين العناصر الزنوجية المقيمة على أطراف الصحراء الكبرى.

لقد اختلط البربر بالعرب الذين تتابع قدومهم على البلاد جنوداً وعمالاً وكتاباً وجماعات نازحة للاستقرار والمعيشة الدائمة في بلاد المغرب. وجاور بعضهم بعضاً، وتصاهروا وتشاركوا في الزراعة والتجارة. ونشير هنا إلى هجرتين عربيتين كبيرتين هما: الهجرة التي وفدت مع الفتح وفي أعقابه، ثم الهجرة الثانية التي جاءت في القرن الخامس الهجري وما تلاه وخاصة هجرات بني سليم وبني هلال وقد كان لها الأثر الأكبر في تعريب المغربين الأدنى والأوسط.

أما في الأندلس فكان الشعب يتألف من عدة عناصر من بينها المسلمون من العرب والبربر الذين ساهموا في فتح البلاد، وكذلك من نصارى الأندلس، ومن الأسيان الذين دخلوا في الإسلام بعد الفتح. ومن اليهود الذين رزحوا تحت الحكم القوطي.

وقد تمتع اليهود في الأندلس في ظل الحكم الإسلامي بشيء كثير من التسامح الديني الذي لم يظفروا به تحت حكم القوط، وقد أسند إليهم الكثير من

مناصب الدولة وأصبحت بعض الحرف وخاصة حرفة الطب مقصورة عليهم، وغدوا عنصراً مهماً في الإدارة والتجارة والثقافة، وأصبح كثير من اليهود يتحدثون اللغة العربية ويكتبون بها (حسن: ١٩٩١م، ج ٣، ص ٤٣٧).

أما النصارى في الأندلس فكانوا فريقين: فريق بقي متمسكاً بدينه القديم. وفريق آخر عرف باسم المستعربين. وعلى الرغم من أنهم ظلوا على عقيدتهم الأولى فقد أظهروا ميلاً إلى تعلم اللغة العربية فتكلموا بها وألفوا بها وتخلقوا بأخلاق العرب وعاداتهم. وكان يحكمهم حاكم من بينهم يسمى "الكونت" يختاره الأمير أو الخليفة ولهم ممثل يمثلهم في البلاط، وآخر يقوم بجمع الخراج. وكان الكثير من هؤلاء يعين في أرقى المناصب المدنية والحربية ويتمتعون بقسط وافر من التسامح (حسن: ١٩٩١م، ج ٣، ص ٤٣٦-٤٣٧).

لقد كانت حركة التعريب في غربي الدولة الإسلامية أقوى منها في شرقها، ويعزى ذلك إلى اشتراك العنصر العربي في سكنى البلاد مما ساعد على توطيد اللغة العربية بحيث أصبحت اللغة المسيطرة في جميع بقاع الجناح الغربي من الدولة الإسلامية على عكس الجناح الشرقي.

إن هذه الأمم المتنوعة والشعوب المتعددة التي شكلت دولة الإسلام الأولى امتزجت واختلطت اختلاطاً كبيراً وخصوصاً في الفترة الأولى التي انتشر فيها الإسلام فقد ساوى الإسلام بين الناس على اختلاف أجناسهم: ساوى بين الأسود والأبيض، والبدوي والمتحضر، والحاكم والمحكوم، وبين الرجال والنساء، كما ساوى اليهود والنصارى بالمسلمين ما داموا في سلم معهم (حسن: ١٩٩١م، ج ١، ص ١٥٢).

لقد كان عدم التقيد بقواعد الدين الحنيف يساعد على إثارة الروح القومية للشعوب المنضوية داخل إطار العالم الإسلامي. فتعصب الأمويين على سبيل المثال للعرب أوجد الضغينة في نفوس الموالي، وكان تفاقم روح العصبية من العوامل التي

ساعدت على إسقاط الحكم الأموي وظهور الحكم العباسي الذي استعان كثيراً بالشعوب الفارسية. ومن ثم قامت المنافسة بين العرب والفرس حتى جاء المعتصم - وكانت أمه تركية - فاعتمد على العنصر التركي وأسند إليهم مناصب الدولة، فبرز إلى الوجود النفوذ التركي في الدولة الإسلامية. وفي عهد الدولة البويهية برز نفوذ أحد الشعوب التركية المسمى بأهل الديلم (مناطق جنوب بحر قزوين) وأصبح لهؤلاء نفوذ كبير. وقد ساد العنصر التركي وامتد سلطانه حتى وصل إلى الحكم في كثير من بلدان العالم الإسلامي ابتداءً من العصر العباسي وانتهاءً بالعصر العثماني.

لقد ذابت الفوارق بين هذه الشعوب نتيجة التزاوج والهجرات وانتقال السكان بين حواضر العالم الإسلامي. وقد أثر ذلك في الحياة الاجتماعية فقد تحطم النظام القبلي الذي قام على أساسه المجتمع العربي، فنرى على سبيل المثال أن معظم الخلفاء العباسيين يختارون زوجاتهم وأمهات أولادهم من الفارسيات والتركيات، حتى أنه من بين الخلفاء العباسيين لا نجد إلا ثلاثة فقط أمهاتهم عربيات وهم أبو العباس السفاح والمهدي والأمين.

لم يقتصر الأمر على أفراد المجتمع المسلم بل تعداه إلى أهل الذمة الذين شكلوا فئة من فئات المجتمع الإسلامي تقل نسبته أو تكثر حسب طبيعة القطر الإسلامي. فقد سارت حياة هؤلاء مع حياة الفئات المسلمة الأخرى وفق ما يقر الحكم الإسلامي من أسس التعامل معهم. وقد شارك هؤلاء مشاركة جادة في الإدارة والحكم في العصور التي مال فيها الحكام لاستخدامهم. واشتغل هؤلاء بالحرف والصناعات التي توارثوها وظلوا محتفظين بتقاليدها في كثير من المدن الإسلامية حتى وقتنا الحاضر (عثمان: ١٩٨٨م، ص ٣٢٧-٣٢٨).

ويعتبر الرقيق من الفئات التي شكلت مجتمع المدينة الإسلامية، وكثر جلب الرقيق إلى قصور الحكام والخلفاء، وراجت تجارة الرقيق فضمت شتى الأجناس (الصقلي والرومي والزنجي والتركي والشركسي) وتنوعت استخدامات الرقيق في

الخدمة بين الزراعة والخدمة في القصور. ومنهم من حمل السلاح وترقى إلى أعلى المناصب وخصوصاً بعدما يُعتقدون. وقد كان ذلك هو السبيل الذي انطلق منه الممالك إلى السلطة وهو ما أغرى بعض المجتمعات وخاصة "الشراكسة" على بيع أولادهم طمعاً في أن يصلوا إلى السلطة المملوكية.

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام مهد الطريق لإلغاء الرق. فتعاليم الإسلام لاتباع استرقاق المسلم أصلاً. كما لا تبيح إلا استرقاق أسرى الحروب الشرعية التي تكون لإعلاء كلمة الله. وقد رغب الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تحرير الرقيق، وأوجد بعض السبل لذلك، وأخذ بأيدي الأرقاء إلى طريق الحرية وسأوى بين الرقيق ومولاه في الطعام والشراب واللباس، وحذر من الإساءة إلى هؤلاء في المعاملة.

لقد انعكس اختلاط الأجناس البشرية وتمازجها على طبيعة المجتمع المسلم. فعلى سبيل المثال كانت أجناس الجند تمثل متحفاً بشرياً حيث نرى بينهم (العربي والكردي والخرساني والتركي والديلمي والرومي والأرمني والعراقي). وقد ذكر ابن الجوزي (المنتظم، ج ٩، ص ٢٢٨) أن عامة بغداد كانوا يؤلفون خليطاً من العرب والفرس والترك والنبط والأرمن والشركس والأكراد والكرج والبربر، ولو أن تسمية هؤلاء جميعاً بالعرب قد غلبت عليهم لانصهارهم في بوتقة الشعب العربي وسيادة اللغة العربية التي كانت هي اللغة السائدة.

آثار الدين في الفنون والعمارة وتخطيط المستوطنات البشرية:

أولاً: أثر الدين في الفنون:

استوحى الفن الإسلامي في نشأته وتشكيله روح الإسلام وتعاليمه. فمن جهة يلاحظ أن الفن الإسلامي نشأ بدافع الرغبة في الإجابة والإتيقان، وهذه الرغبة مستمدة من الإسلام نفسه (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه). والحق أن هذا الدافع يفسر لنا الدرجة العظيمة من الإتيقان التي بلغت الفنون الإسلامية. ومن

المعروف أن الإتقان وحسن الصنعة تؤدي بطبيعتها إلى الترميق والتزيق والزخرفة. ومن وجهة أخرى تأثر الفن الإسلامي بدافع آخر هو الرغبة في تجميل الحياة والاستمتاع بها. وهذه الرغبة مستوحاة أيضاً من العقيدة الإسلامية (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده).

وإذا كانت الفنون تختلف فيما بينها من حيث موقفها من تقليد الطبيعة والقرب من الواقع والميل نحو الزخرفة والمثالية، فإنه يمكن القول بأن الفن الإسلامي كان بطبيعته فناً زخرفياً بالدرجة الأولى. ويتجلى الطابع الزخرفي في الفن الإسلامي بشكل واضح في استخدام الفنانين المسلمين في تزيق منتجاتهم الفنية بشتى أنواع الزخارف الهندسية والنباتية بالإضافة إلى الزخارف الكتابية. ومن الملاحظ أنه في مجال استخدام الكائنات الحية كان الفنان الإسلامي ينحو منحاً زخرفياً بعيداً عن محاكاة الصور المجسمة وخاصة النحت والتصوير المجسم. وقد رأوا أن في ذلك تشبهاً بعبدة الأوثان وهو مانهى الدين عنه، غير أنهم برعوا في استخدام الزخارف النباتية من أشجار وأوراق وغصون وأزهار وثمار، كما طوروا نوعاً من هذه الزخارف النباتية أطلق عليها الأوروبيون اسم "أرابيسك" Arabesque نسبة للعرب وهذا مما انفرد به الفن الإسلامي من غيره من الفنون العالمية. وتتألف هذه الزخرفة من عناصر زخرفية مكونة من أنواع نباتية محورة وأوراق نباتية ذات فصين تتداخل أو تتشابك معاً بطريقة منسقة جميلة (الباشا: ١٩٨٨م، ص ١٤٦-١٥٠).

وقد برز في الزخرفة الإسلامية ظاهرة استعمال النقوش الخطية العربية، فكثيراً ما نرى آية من آيات القرآن الكريم، أو بيتاً من الشعر، أو عبارة من عبارات التحية والتهنئة، تدور حول حافة التحف الأثرية أو تكون شريطاً زخرفياً على أثر من الآثار. وقد ازدهر في الفن الإسلامي ظاهرة النقش على الجدران. ولا تزال هذه النقوش ظاهرة مميزة في كثير من الآثار الإسلامية من مختلف العصور (حسن: ١٩٩١م، ج ١، ص ٤١٩-٤٢٠).

والفنون الإسلامية شأنها شأن غيرها من الفنون تحمل في طبيعتها بذور التجديد والاختلاف، ومن ثمّ انقسمت بمرور الزمن إلى عدة طرز متميزة ومتنوعة، غير أن الطابع الإسلامي جعل دائماً عناصر الوحدة فيها أقوى من عناصر الاختلاف. وفي صدر الإسلام الأول نشأ الفن الإسلامي وتطور في كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية على أساس الفنون السابقة بها. ففي إيران نشأ على أساس الفن الساساني وفي الشام على الفن البيزنطي وفي مصر على الفن القبطي والفرعوني والبيزنطي والهيليني معاً. وقد استمد الفن الإسلامي من التقاليد الفنية في الأقاليم الأخرى الخاضعة للإسلام، والتي أتاح لها الحكم الواحد فرصة الامتزاج، وفي الوقت نفسه كان متمشياً أيضاً مع تعاليم الدين الجديد وروحه وشعائره وكذلك مع الطابع العربي.

وبمرور الزمن ظهرت طرز فنية أموية وعباسية وفاطمية ومملوكية وغيرها. ووجد في الأندلس فن أندلسي اصطلح على تسميته (بالطراز الأموي الغربي) نسبة إلى بني أمية الذين استقلوا بالحكم الأندلسي في الغرب بعد زوال دولتهم في الشرق، واستمر هذا الطراز حتى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ثم قام في أعقابه الطراز الأسباني المغربي، ولا يزال المغرب يحتفظ إلى اليوم ببعض الأساليب الفنية المتصلة بهذا الطراز.

أما في مشرق العالم الإسلامي فقد ظهر الفن السلجوقي، وذلك نسبة إلى السلاجقة الذين قدموا إلى آسيا الوسطى وتمكنوا من حكم أفغانستان وإيران والعراق والشام وآسيا الصغرى. وقام في إيران بعد الطراز السلجوقي طرز إيرانية أولها الطراز المغولي والطراز التيموري. ووجد في الهند طراز هندي إسلامي متأثر إلى حد ما بالطراز الإيراني وذو صبغة هندية محلية.

وفي آسيا الصغرى أعقب الطراز السلجوقي طراز فني آخر قام في عصر الأتراك العثمانيين، وانتشر هذا الطراز في البلاد التي خضعت للسيادة العثمانية في مصر والشام والعراق والجزيرة العربية وشمالي أفريقيا. وبعد استقلال هذه البلاد عن الدولة العثمانية، أخذت هذه الأقطار تعمل على ابتكار فنون خاصة بها.

ولم يكن الفن الإسلامي في أي فترة من تاريخه فناً راكداً أو جامداً أو منعزلاً، بل كان دائم الاحتكاك بالفنون الأخرى في الشرق والغرب مما ساعد على احتفاظه بحيويته وأدى إلى تطوره. وبفضل العلاقات المختلفة التي قامت بين العالم الإسلامي والشرق الأقصى، نجد أن الفن الإسلامي كان يتبادل التأثير مع فنون الشرق الأقصى بعامة، وفنون الصين بشكل خاص. ومن جهة أخرى ساعدت ظروف كثيرة على انتقال التأثيرات الفنية الإسلامية إلى أوروبا، وإلى الفن الإسلامي يرجع الكثير من الفضل لنشأة بعض الفنون الأوروبية، وخاصة الفن القوطي، وانتقلت التأثيرات الفنية الإسلامية إلى أوروبا عن طريق أسبانيا وصقلية وعن طريق الأتراك العثمانيين في البلقان. كما كانت الحروب الصليبية وقدم الأوروبيين للحج في فلسطين ذات أثر كبير في تبادل العناصر الفنية بين المسلمين والأوروبيين (الباشا: ١٩٨٨م، ص ١٥١ - ١٥٤).

ومنذ القرن الثامن عشر الميلادي أخذت التأثيرات الأوروبية تتوغل بشكل قوي في البلاد الإسلامية بحيث نرى أثر ذلك واضحاً في مختلف الفنون، وفي جميع الأقطار الإسلامية دون استثناء، بحيث يمكن القول إن الفن الإسلامي بدأ يتراجع أمام طغيان الفنون الأوروبية الحديثة.

ثانياً: أثر الدين في العمارة:

لقد زاول المسلمون بناء جميع أنواع العمائر تقريباً، فخلفوا لنا الكثير من العمائر الإسلامية من مساجد ومدارس وقلاع وأسوار وأربطة ومارستانات وحمامات ومساكن وغير ذلك من المؤسسات الدينية والعسكرية.

لقد وصلتنا أمثلة كثيرة من العمائر من مختلف الأقطار الإسلامية. ويمكن أن نرى من خلالها أن العمارة الإسلامية امتازت بوحدة وعناصر معمارية خاصة كالمآذن والقباب والمداخل والعقود والأعمدة والتيجان والمحاريب. ومن أهم

العناصر المعمارية الإسلامية المقرنصات وهي عبارة عن أشكال زخرفية على هيئة صفوف من الحنيات تشبه خلايا النحل وتجدها بارزة ومتدلّية في طبقات مصفوفة بعضها فوق بعض في واجهات المساجد وفي المآذن لإقامة الشرفات التي يدور فيها المؤذن، أو في تيجان بعض الأعمدة الإسلامية أو القباب. وقد استخدمت المقرنصات للزخرفة في السقوف الخشبية فضلاً عن استخدامها في العمائر نفسها. وقد تصنع هذه المقرنصات من الحجر أو الجص أو الخشب أو الخزف أو الزجاج أو المرايا. وتعتبر المقرنصات من العناصر الإسلامية المميزة للعمارة والفن الإسلامي. ووجودها في أي إنتاج فني يدل على تأثر هذا الفن بالفن الإسلامي.

لقد برز في العمارة الإسلامية وخاصة في بناء المساجد طرز خاصة، فقد أدخلت المقصورة في عمارة المساجد لتحجب الخليفة عن سائر المصلين. ودخلت في عمارة المساجد زيادات منها المآذن والمحراب الذي يدل على جهة القبلة، والإيوانات وهي أروقة تحيط بالصحن ذات أقواس مرفوعة على أعمدة، وفي القصور تقدم فن الزخرفة الإسلامية. ومن مميزات هذا الفن استعمال النقوش الخطية العربية فكثيراً ما نرى آية من آيات القرآن الكريم أو بيتاً من الشعر أو عبارة من عبارات التحية والتهنئة تدور حول حافة التحف الأثرية أو تكون شريطاً زخرفياً على أثر من الآثار. وقد أصبحت القصور محلاة بالرسوم والزخارف من الداخل والخارج، وعليها صور من الجص المجسم. كما كانت طبقاتها مغطاة بستور من الديباج مزينة بالرسوم. وقد برزت زخرفة المنسوجات والتحف المعدنية والخزفية والخشبية في الدول الإسلامية قاطبة وقد تطورت هذه الزخرفة لتشكل ما يعرف اليوم باسم الفنون التطبيقية التي دخلت صناعة النسيج من خلال التطريز والوشى وصناعة الفخار والخزف التي امتدت إلى جميع الأقطار الإسلامية وكذلك صناعة الورق (الباشا: ١٩٨٨م، ص ١٤٤-١٩٠؛ وكذلك حسن: ١٩٩١م، ج ٢، ص ٢٩١-٢٩٤).

ثالثاً: أثر الدين في تخطيط المستوطنات البشرية:

أسس العرب المسلمون العديد من المدن منذ هجرة الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة المنورة. وقد صنفت هذه المدن وفقاً للوظائف التي كانت تؤديها وقت تأسيسها، ويعرف النوع الأول من هذه المدن بالمعسكر أو الفسطاط. وهو مخيم عسكري يظهر في نوعين من المواقع: إما أن يظهر في المناطق المجاورة للمدن القديمة القائمة كالفسطاط أو القاهرة القديمة التي أنشئت بالقرب من حصن بابلون الروماني، أو في مواقع منعزلة نسبياً عن المستوطنات المنافسة مثل البصرة والكوفة في العراق والقيروان في تونس. ويعرف النوع الثاني من هذه المدن بالمدينة المحصنة أو الرباط. ومثل هذه المدن تم تأسيسها كقلاع على الحدود أو داخل البلاد، وذلك لتأكيد نفوذ دار الإسلام (الدولة الإسلامية) وحماية حدودها. وقد نمت هذه النوعية من القلاع التي كانت في الأصل مواقع عسكرية أو حاميات واقعة على الحدود، وبرزت إلى حيز الوجود كمدن محصنة وصارت نويات لمدن مهمة جداً مثل الرباط في المغرب والمنستير في تونس. أما النوع الثالث من المستوطنات العربية الإسلامية فهو ما عرف بالمدينة الأميرية، وهي نتاج ازدياد القوة السياسية، وقد أرادها الحكام تعبيراً عن السلطة السياسية للدولة وذلك بتأسيس عاصمة جديدة خاصة بها. ومن أمثلة ذلك بغداد التي أسسها العباسيون في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وفاس التي أسسها الأدارسة في القرن الثاني الهجري ١٩٣هـ (٨٠٨م) ومراكش التي أسسها المرابطون في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) والمنصورة التي أسسها المرينيون في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي). ويمكن أن تشمل هذه الفئة مدناً أخرى مثل تلك التي أسسها حكام رأوا أنه من المستحسن نقل مكان إقامتهم من العاصمة التقليدية. ومن أمثلة هذه المدن: سامراء التي بناها المعتصم حيث انتقل من بغداد في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ورقادة وهي مقر دولة الأغالبة وتبعد عشرة كيلومترات عن القيروان. وقد أسسوها خلال القرن

الثالث الهجري (التاسع الميلادي) لتحل محل العباسية التي شيّدت قبلها بعدة سنوات، وتبعد عن القيروان أربعة كيلومترات فقط. والنوع الرابع من المدن التي أسسها العرب المسلمون هو المدن الدينية (الهدلول: ١٤١٤هـ، ص ١٩ - ٢٠).

إن العرب المسلمين لم ينشئوا جميع مدنهم، بل ورثوا في الواقع عدة مدن إغريقية وفارسية مثل دمشق وحلب وحمص وبيت المقدس. وكذلك طوروا مدناً عربية أصيلة مثل المدينة المنورة ومكة المكرمة.

لقد تحولت المدن الاغريقية واليونانية والفارسية التي خضعت لسلطة المسلمين بمرور الزمن للنمط العمراني للمدن الإسلامية، بحيث أصبح تنظيم المدن متشابهاً ومتماثلاً في كافة أرجاء العالم الإسلامي. بحيث اتبعت هذه المدن نموذجاً موحداً. وتميّز هذا النموذج بمركز يضم المسجد الجامع ودار الإمارة والسوق ويحيط بهذا المركز أحياء المدينة المختلفة. لقد أصبحت المدينة الإسلامية تمتاز بالأحياء السكنية المسوّرة القائمة بذاتها، وتحوي نظام البوابات التي تغلق هذه الأحياء أثناء الليل، مع عدم وجود ساحات مفتوحة أو ميادين واسعة ضمن المدينة بوجه عام، وضمن الأحياء السكنية بوجه خاص. وتمتاز بوجود الشوارع والممرات المتعرجة والضيقة. ويتصف المنزل الإسلامي في هذه المدن بأنه بعيد عن الشارع ويطل على فناء داخلي.

والسؤال الذي يطرح في العادة هو كيف نمت المدن العربية الإسلامية لتأخذ نمطاً موحداً وشكلاً مميزاً رغم تعدد وتباين أصولها الأولى التي بدأت منها؟ والجواب يكمن في أن اتخاذ نظام الخطة كوحدة للتخطيط، هو الذي طبع معظم المدن الإسلامية بطابع مميز. فعملية النمو العمراني قامت على أساس أن المدن قسمت إلى خطط كانت تعطى للقبائل وكتائب الجيش والأفراد. وأن هذه الخطط كونت أحياء المدينة الأصلية، ولقد ترك التقسيم الفرعي للخطط والإقطاعات لسكان الحي. ويجب أن لا يدفع هذا إلى الاعتقاد بغياب القواعد الخاصة بالتنظيم المكاني للخطّة.

لقد اعتمد نظام الخطة على القبيلة كتنظيم أو مؤسسة سابقة الوجود، مع تعيين خطة لكل قبيلة. مع هذا فإن هذه المؤسسة (القبيلة) كانت مرنة بدرجة كافية لتمتد أو تنكمش لتلائم الحجم المطلوب، وهو العدد المعين من الناس، الذي يبدو أنه حدد للخطة الواحدة. وفي هذا النموذج وضعت مسارات الطرق منذ البداية، إلا أن حدودها وعروضها لم تكن محددة أو مرسومة على الأرض لذا فقد أثر ازدياد الطلب على الأرض بالإضافة إلى مفاهيم السكان حول ملكية الأرض، وحق الارتفاق بالأبنية أمام أملاكهم في تشكيل الطرق والشوارع داخل هذه المدن، ونتج عن ذلك الطرق المتعرجة والضيقة التي تميز المدن العربية الإسلامية. ويمكن اقتفاء أصل هذا النموذج، خاصة نظام الخطة، في مفهوم القبائل العربية ونظرتها للحمي حيث اعتادت كل قبيلة على حماية المنطقة التابعة لها. ويمثل الحي منطقة مشاعة تخضع لسيطرة القبيلة وتستخدم تبعاً لاحتياجات أفرادها. ويبدو أن هذا النموذج كان مطبقاً في يثرب قبل الإسلام حيث تكونت من عدة مستوطنات اختصت كل قبيلة بمستوطنة خاصة. وبعد الهجرة النبوية استمر نمط استيطان القبائل، في المدينة في أماكنها السابقة لكن مع نية واضحة في توحيد هذه المستوطنات في مدينة واحدة ويمكن أن نلمس ذلك بشكل جلي في تخطيط مسجد الرسول- صلى الله عليه وسلم- ليكون المسجد الجامع الوحيد، وفي تحديد موقع السوق الرئيس، وبذلك استحدثت بؤرة مركزية للمستوطنات المبعثرة في الأصل. إن نموذج المدينة المنورة كما تطور خلال عهد الرسول- صلى الله عليه وسلم- قد تكرر في مدن الأمصار. فبناء على تعليمات من عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-، استمر نظام الخطة في مدن الأمصار عبر قادة الجيش (في البصرة والكوفة والفسطاط). كما اتبع النموذج نفسه في القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلادي) في الخطط الأكثر تنظيماً لبغداد وسامراء.

لقد تأثر تقسيم الأرض داخل الخطة بالمفهوم القبلي، أو المنطقة التي تسيطر عليها القبيلة. فلما كان ينظر إلى الخطة أو المنطقة على أنها ملك للقبيلة فإن أياً من أفراد هذه القبيلة له حق استخدام أجزاء من الخطة أو المنطقة تبعاً لاحتياجاته. كما أن لأفراد القبيلة الذين يصلون فيما بعد الحق في الاستقرار داخل الخطة طالما كانت هناك فراغات باقية داخلها. ولكن بمجرد بناء أحد أفراد القبيلة على قطعة أرض داخل الخطة فإن ملكية هذه الخطة تؤول إليه.

ويمثل التشريع الإسلامي عاملاً مهماً في تشكيل وتحول وتقسيم الأراضي في أحياء المدينة العربية الإسلامية. وهناك عاملان يبدو أنهما لعبا دوراً رئيساً في هذه العملية الأولى هو الشفعة الذي يعطي للجار الأفضلية في شراء بيت جاره لو قرر الأخير البيع. وقد ساعد هذا الحق أحياء المدينة كي تحفظ شخصيتها الخاصة. وجعل من السهل على أعضاء الخطة الواحدة استبعاد أي شخص من التملك في الحي. والعامل الثاني الذي لعب دوراً كبيراً في تشكيل الأحياء داخل المدينة هو تقسيم الأراضي والدور تبعاً لقواعد الميراث. إن تأكيد التشريع على وجوب تقسيم العقار عند طلب ذلك من قبل الورثة أو أحدهم يقدم تفسيراً منطقياً لتلك التقسيمات التي قد تبدو غريبة في بعض الأحيان داخل أحياء المدينة ويفسر الكثير من جوانب عملية تقسيم الأراضي والممتلكات في المدينة العربية الإسلامية (الهدلول: ١٤١٤هـ، ص ٣٥-٥٤).

من المعلوم أن الدين الإسلامي الحنيف ينظم حياة المجتمع في أدق تفاصيلها فهو يشكل الإطار العام لسلوك المجتمع داخل المدينة، حتى أن المدينة وسمت بالصبغة الإسلامية انطلاقاً من هذا الأثر. ويعكس تخطيط المدينة الإسلامية ومرافقها ونظام إدارتها مدى الالتزام بتحقيق التعاليم الإسلامية.

وانطلاقاً من هذا المنظور فإننا نعرض لقواعد إسلامية اجتماعية عامة انعكس تطبيقها انعكاساً مباشراً على الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية. وأول هذه القواعد وأهمها هو المبدأ الذي ورد في حديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- وهو: «لا ضرر ولا ضرار» هذا المبدأ هو الذي حكم إلى حد بعيد التخطيط المادي للمدينة الإسلامية؛ حيث إن الفقهاء حددوا مظاهر الضرر المادي الناتج من تفاعل النشاطات داخل التكوينات المعمارية للمدينة الإسلامية، فاعتبر الدخان الضار والرائحة الكريهة والصوت المزعج ثلاثة مظاهر تسبب الضرر للآخرين، إذا زاد عن الحد المحتمل الذي قدرته الأحكام الفقهية. وتطبيقاً لمنع هذا الضرر في تخطيط المدينة الناشئة وجب إبعاد المنشآت التي تسبب ذلك (كأفران الفخار والجير والمدابغ والصناعات التي تصدر صوتاً مزعجاً) عن الوحدات السكنية التي تشغل القطاع الأكبر من حيز المدينة.

لقد حكمت القاعدة السابقة تصنيف الأسواق في المدينة الإسلامية، ذلك التصنيف الذي كانت الحكمة الأساسية منه دفع الضرر الذي ربما يحدث إذا تجاوزت سلع وحرف متضادة تفسد العرض والسلعة وتتسبب في أذى رواد الأسواق. وتدرج التصنيف من الساحة التي تحيط بالمسجد الجامع في قلب المدينة إلى أطراف شوارعها الرئيسية إلى مداخلها وبواباتها في نظام معين يقوم على التناسب بين السلع والتجارات والحرف وجمهور المتعاملين من داخل المدينة أو خارجها، ومواصفات كل تجارة من حيث الرغبة في وضعها قرب قلب المدينة حيث تزداد درجة كثافة المرور في اتجاه المسجد الجامع- أو في أطراف شوارع المدينة عند بواباتها حيث تقل درجة الكثافة لما قد تسببه من أذى للمارة.

وفي هذا التصنيف فائدة مزدوجة لكل من التجار والحرفيين من جهة، حيث يساعد وجودهم في موضع معين على وصول الراغبين في الشراء بسهولة، كما أنه يوجد نوعاً من الترابط بين تجار وصناع السلعة الواحدة، مما يساعد على رواج تجارتهم. ومن جهة أخرى سهل هذا التصنيف على رواد السوق شراء احتياجاتهم دون عناء، وتحديد السعر المناسب في وقت قصير.

ومن الناحية الإدارية سهّل هذا التصنيف مراقبة الأسواق من قبل سلطات المدينة (المحتسب) كما ساعد على تخفيف كثافة المرور في شوارعها، حيث يصل الشخص إلى مكان السلعة مباشرة دون الحاجة لمسح شوارع المدينة كلها بحثاً عن هذه السلعة أو تلك، كما أن هذا التصنيف ساعد على أن تكون السلع الضخمة الحجم والثقيلة الوزن عند أطراف المدينة وبواباتها حتى لا يسبب نقلها إلى الداخل عرقلة المرور وأذى المارة في الشوارع.

ويلاحظ أن أسواق المدينة تركزت في المنطقة المحيطة بالمسجد الجامع، كما اصطفت على جانبي الشوارع الرئيسية دون الطرق الخاصة. والغرض من ذلك حصر النشاط والحركة التجارية في شوارع عامة متسعة لحركة المرور، فيتحقق منع الأذى عن النساء اللاتي يرتدن هذه الأسواق، ويمثلن قطاعاً كبيراً من المستهلكين المتعاملين مع التجار وأهل الحرف في الأسواق. وفي الوقت ذاته فإن تراص الحوانيت في الأسواق على جانبي الشوارع العامة المتسعة لا يتسبب في أذى الوحدات السكنية بكشف حرمانها بعكس الطرقات الخاصة التي تضيق بالإضافة إلى أن المرور فيها يتميز بالخصوصية.

لقد اقتصرت المنشآت والمرافق العامة في المدينة على كل ما هو ضروري ومفيد، فانعدم وجود المسارح والمنتديات الرياضية وغيرها من المنشآت التي ميزت غيرها من المدن كالمدينة اليونانية والمدينة الرومانية. وحظرت التعاليم الإسلامية إنشاء المراقص، وحانات الخمر ودور البغاء والملاهي وغيرها من المنشآت التي تفسد العقيدة وتتعارض مع القيم الإسلامية. وفي المقابل نرى زيادة ملحوظة في المرافق العامة من المساجد الجامعة والمؤسسات (المستشفيات) والحمامات والمدارس والأسواق لتخدم الكثافة السكانية في المدينة الإسلامية.

وبصفة عامة كان نمو السكان في المدينة الإسلامية نمواً عادياً غير مفاجئ ساعد على الاتزان في المدينة الإسلامية. فالزيادة الناتجة من المواليد أو الهجرة كانت تستوعب ببناء مساكن جديدة داخل المحلات السكنية أو بالنمو خارجها على شكل أرباض جديدة وقد تم ذلك بشكل تدريجي. ومع نمو المدينة الإسلامية وزيادة سكانها تظهر الحاجة الملحة إلى زيادة مساكنها وتكويناتها الأخرى، وهو ما دفع أهل الثراء لبناء المنازل والحوانيت وتأجيرها لمن يحتاجون إليها. وقد نظمت الأحكام الفقهية علاقة المالك بالمستأجر تنظيماً دقيقاً يحقق المنفعة ويمنع الضرر ويساعد في ذات الوقت على الإنشاء والعمارة. وقد كان لتغيير الملكيات الناتج من البيع والشراء والإرث أثر واضح في تفسير هيئة التكوينات المادية للمدينة الإسلامية.

آثار الدين في الحياة الاجتماعية:

يقصد بالحياة الاجتماعية من وجهة نظر حضارية طبقات المجتمع من حيث الجنس والدين وعلاقة هذه الطبقات بعضها مع بعض، ثم نظام الأسرة وحيات أفرادها ثم وصف الأعياد والمواسم والولائم والحفلات وأماكن الترفيه ووصف المنازل وما فيها من أثاث وطعام وشراب ولباس وما إلى ذلك من مظاهر المجتمع.

كان المجتمع الإسلامي يتألف من المسلمين وأهل الذمة. والمسلمون ينتمون إلى العنصر العربي والفارسي والرومي والقبطي والبربري والتركي والسوداني وغيرهم كثير. وقد كانت الحقوق محفوظة للمسلمين جميعاً في دولتهم. أما أهل الذمة فقد تمتعوا بالحرية الدينية على أن يدفعوا الجزية للمسلمين.

كانت الظروف السياسية في كل عصر من العصور تلعب دوراً بارزاً في تقريب بعض فئات السكان. فالأمويون قربوا العرب واعتمدوا عليهم، والعباسيون اعتمدوا على الفرس أولاً ثم على الأتراك منذ عهد المعتصم، ثم برز دور المماليك في عصور لاحقه، ثم آلت الأمور إلى بني عثمان. وهذا التقريب لا يعني

بحال من الأحوال هضم حقوق الآخرين . ففئات السكان الآخرين كانت تمارس حقوقها وتقوم بأدوارها في المجتمع في ظل المساواة العامة التي ترفرف على بقاع الدولة الإسلامية .

إن هذا الخليط البشري المتعدد الأعراق والجنسيات كانت له حياته الاجتماعية من مآكل ومشرب ومسكن وملبس ومن هوايات يمارسها وأعمال يقوم بها . وقد بدأت هذه الأمور بسيطة في حياة المسلمين الأولى ثم أخذت صور هذه الحياة تتعدد وتتعدد بمرور الزمن وتحوّل السلطة من شعب إلى شعب آخر . وسنحاول إجمال ظروف الحياة الاجتماعية في بلاد الإسلام من خلال المحاور التالية :

قصور الخلفاء والأمراء ودور العامة :

لم تنل دور العامة في البلاد الإسلامية عناية المؤرخين والرحالة بل إنهم اقتصروا على وصف قصور الخلفاء والأمراء وغيرهم من كبار رجال الدولة . وقد اقتصر دور العامة على سكنى أصحابها وكانوا يؤجرونها كلها أو بعضها، وكانت في الغالب تبنى من طابق أو طابقين وموادها الأولية هي الجص والأجر والكلس والنورة (الجير) وكانت السقوف من جذوع النخل وأغصان الشجر . وكان العامة يزينون بيوتهم بأثاث يتمشى مع حالتهم الاجتماعية .

وتنقسم دور الأغنياء إلى ثلاثة أقسام هي مقاصير الحريم وحجرات الخدم ومجالس السلام الخاصة بالضيافة ويحيط بها حدائق غناء تزرع فيها الفواكه والرياحين . وحليت جدرانها وسقوفها بالفسيفساء المذهبة والرسوم الملونة ، كما كانوا يزينون أسطح دورهم بالقباب المرفوعة على أعمدة، وكانت العمائر في أمهات المدن الإسلامية مؤلفة من عدة طبقات .

أما قصور الخلفاء والأمراء في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة فكانت غاية في الأبهة . فقد ازدانت جدرانها بالفسيفساء وأعمدتها بالرخام وسقوفها بالذهب المرصع

بالجواهر، ولطفت أجواؤها بالنافورات والمياه الخارجية والحدائق الغناء والأشجار الظليلة الوارفة. وكان الخليفة يجلس في البهو الكبير وعلى يمينه أمراء البيت المالک وعلى يساره كبار رجال الدولة ويقف أمامه من يريد التشرف بمقابلته من الرسل والأعيان ورؤساء النقابات والشعراء والفقهاء وغيرهم (حسن: ١٩٩١م، ج ١، ص ص ٤٣٧-٤٣٨؛ وكذلك: ج ٢، ص ص ٣٤٢-٣٤٥).

الأعياد والمواسم والحفلات ووسائل التسلية:

يحتفل المسلمون في العادة بالمناسبات الدينية كشهر رمضان الذي يحيون لياليه بتلاوة القرآن وصلاة التراويح. ويحتفلون في نهايته بعيد الفطر، وكذلك يحتفلون بعيد الأضحى، حيث يخرج الناس صبيحة يوم العيد بملابسهم الجديدة لأداء فريضة صلاة العيد. وكان الخلفاء الأوائل يحتفلون بالعيدين احتفالاً دينياً فيؤمنون الناس في الصلاة، ويلقون عليهم خطبة العيد. وكانت مظاهر الإسلام تتجلى في الاحتفالات بهذين العيدين في الأقطار الإسلامية في بغداد وبيست المقدس ودمشق والقاهرة والمدينة المنورة ومكة المكرمة.

أما حفلات الزواج فقد تطورت بمرور الزمن تطوراً أخرجهما عن قواعد الدين الحنيف، فقد اقترنت حفلات الزواج بالبدخ والإسراف وحب الظهور. ويكفي للتدليل على ذلك مقارنة زواج السيدة فاطمة بنت الرسول- صلى الله عليه وسلم- بعلي رضي الله عنه الذي كان في غاية البساطة، بزواج الخلفاء والأمراء فيما تلا من عصور. لقد كان صداق فاطمة ٥٠٠ درهم، وكان جهازها سريراً مشروطاً، ووسادة من أدم حشوها ليف، وتور (إناء للشرب) وقربة ومنخل ومنشفة وقدر وقد أهدتها بعض النساء بردين (حسن: ١٩٩١م، ج ١، ص ٤٤٦).

أما نفقات زواج السيدة زبيدة من الرشيد فقد كانت تتراوح بين خمسة وثلاثين مليون درهماً وسبعة وثلاثون مليون درهم. وقد فاق المأمون أباه الرشيد

في إسرافه، فقد أمهر بوران بنت الحسن بن سهل صداقاً يقدر بمئة ألف دينار وخمسين مليون درهماً، وهذا يعادل نصف مليون دينار (حسن: ١٩٩١م، ج٢، ص٣٦٠) وأعطى أباه عشرة ملايين درهم ومنحه خراج أحد الأقاليم سنة كاملة.

وقد وصف ابن الاثير (الكامل: ج١٠، ص٥٩-٦٠) زواج ابنة السلطان ملكشاه السلجوقي إلى الخليفة العباسي المقتدي (٤٦٧-٤٨٧هـ) فقال: نقل جهاز ابنة السلطان إلى دار الخلافة على ١٣٠ جملاً محملة بالديباج الرومي و٧٤ بغلاً مجللة بأنواع الديباج، وعلى ستة منها ١٢ صندوقاً من الفضة لا يقدر ما تحتويه من الجواهر والحلي بثمن، كما اشتمل الجهاز على مهد عظيم مزين بطبقة سميكة من الذهب (حسن: ١٩٩١م، ج٤، ص٦١١).

أما وسائل التسلية فكانت متعددة، فقد كان بعض الناس يقضون أوقات فراغهم في الاستماع إلى الغناء أو حضور مجالس الوعظ ومجالس القصص أو مشاهدة حفلات سباق الخيل أو اللعب بالطيور أو الصيد.

ومجالس الوعظ كانت تعقد في المساجد حتى أنشئت المدارس كالمدرسة النظامية (٤٥٧هـ / ١٠٦٤م) فأصبح الوعظ يقام في المساجد والمدارس. وتمتاز مجالس الوعظ بحضور الناس فيها دون شروط، وهي تعالج مسائل الدين والدنيا. ولا شك أنه كان لمجالس الوعظ أثر ملحوظ في حفظ بعض التراث الإسلامي، ولاسيما مايتعلق منه بالقيم والمثل الإسلامية العليا.

ومجالس القصص تستهوي العامة عادة، وهي تعقد في الطرقات والمنازل وفي المساجد أحياناً ويختلف القاص عن الواعظ في أنه يقص بعض حكايات الأقدمين وما تنطوي عليه من شجاعة أو صفات عالية كالنجدة والكرم والوفاء ونحوها.

وبالإضافة إلى هذه الجوانب الثقافية كان الناس يشغلون أوقات فراغهم ببعض ضروب التسلية كالصيد وسباق الخيل . وهاتان الرياضتان تفضيان إلى مهارات جسمية وعقلية لها آثارها الإيجابية في تكوين المرء واستعداده للحرب والشجاعة .
ومن أنواع التسلية لعبة الشطرنج التي أدخلها الرشيد، ثم انتشرت في الوسط العربي، وكذلك لعبة النرد . والأولى هندية أما الثانية فهي فارسية . ومنها أيضاً اللعب بالحمام على سطوح المنازل .

الطعام والشراب :

كان طعام المسلمين الأوائل بسيطاً وقليلاً ومحدوداً ويظهر ذلك مما أثر عن حياة الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- في بيته وبيوت أصحابه وخلفائه . فلما فتحت البلاد وتدفقت خيرات العالم الإسلامي واتسع الثراء وتحسنت الأحوال الاقتصادية تنوعت المطاعم والمأكولات . وأخذ العرب تقاليد الفرس والروم والأمم الأخرى في مآكلهم ومشاربهم . لا بل ظهرت مؤلفات خاصة تصنف الطعام وطريقة تقديمه . ومن ألف في هذا الباب : محمد بن الحسن بن عبدالكريم الكاتب البغدادي الذي ألف كتاب "الطبيخ" في سنة ٦٢٣هـ (١٢٢٦م) . وقد قسم هذا المؤلف الطعام على أساس طبقات المجتمع في عصره فذكر طعام طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء والطعام الشعبي .

وكان أهل الأمصار الإسلامية يتفننون في الطعام ويسرفون في اجتلاب ألوانه في غير مواعيدها من صيد وفاكهة وخضراوات، كما كانوا يجلبون الطعام مثل السمك والحبوب والخبز وما إلى ذلك من البلاد الأخرى كفارس والهند، وكان لكل بلد إسلامي أنواع خاصة من الطعام معروفة لديهم . فلأهل الشام مآكلهم ولأهل العراق أطباقهم الخاصة، وكذلك الحال في مصر والمغرب . وكانت هناك آداب خاصة بالموائد من حيث استعمال الأسمطة التي توضع ليها أنواع الأطعمة وكذلك الأواني والأكواب والملاعق وغيرها .

الملابس:

الدولة الإسلامية الأولى شملت العديد من فئات السكان وطبقات المجتمع، وطبيعي أن لكل فئة وطبقة لباسها الذي تعرف به. غير أنه في حواضر العالم الإسلامي كانت هناك للخاصة ملابس رسمية تميزهم، أما ملابس العامة فكانت تختلف باختلاف حياة الناس الاجتماعية، فكان الأغنياء يعتنون بملابسهم أكثر من الفقراء وكان الزهاد يعرفون بملابسهم الصوفية الخشنة. وعموماً فالملابس ثلاثة أنواع: ملابس للرأس، وملابس للبدن، وملابس للأرجل والقدمين بالإضافة إلى الحلبي.

فملابس الرأس هي العمامة التي تميز الرجال، وقد أخذ العرب العمامة عن آبائهم منذ أيام الجاهلية وورثتها المجتمعات الإسلامية بعد ذلك. وقد حدث عليها تعديلات مختلفة في العصور الإسلامية المتتالية إلا أنها بقيت مميزة لسكان العالم الإسلامي. وكان لا يجوز خلع العمامة وكشف الرأس إلا في مناسك الحج. وفي الدولة العباسية كانت هناك العمامة السوداء تلبس في الاحتفالات الرسمية والمواسم وعند مقابلة الخلفاء لأن السواد كان شعار العباسيين الرسمي.

أما ملابس البدن فكانت تختلف باختلاف طبقات الناس. فالفقراء يلبسون المدرعة (بكسر الميم وسكون الدال وفتح الراء) وهي نوع من الجباب، وتكون في العادة من الصوف. ويلبس الفلاحون الملابس القطنية، أما الأغنياء فيلبسون الملابس الحريرية، وكان الناس يلبسون في أرجلهم الجوارب وفي أقدامهم النعال. وكان من المستحسن لبس الثياب البيض. فقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله: «خير ثيابكم البيض تلبسونها في حياتكم وتكفنون بها موتاكم».

وكان للخلفاء لباسهم الخاص المميز، وخاصة في المواقب والمناسبات. فعلى سبيل المثال كان لباس الخليفة العباسي القباء الأسود أو البنفسجي الذي يصل إلى الركبة، وكان مفتوحاً عند الرقبة، فيظهر القفطان زاهياً من تحته، وكانت أكمامه ضيقة حتى عهد المعتصم الذي جعلها فضفاضة. ويتمنطق الخليفة بمنطقة مرصعة بالجواهر ويتشح بعباءة سوداء ويلبس قلنسوة طويلة.

وكان القضاة يلبسون العمامة والطيلسان، كما كانوا يلبسون قلنسوة طويلة حولها عمامة ذات لون أسود وهو شعار العباسيين.

وقد ذكر ابن خلكان عن أبي يوسف قاضي هارون الرشيد أنه أول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة في هذا الزمان. وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئاً واحداً لا يتميز أحد عن أحد بلباسه (وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٣). وكانت ثمة فروق ملحوظة في ملابس أصحاب المهن المختلفة (حسن: ١٩٩١م، ج ٢، ص ص ٣٤٣ - ٣٥٠).

وكان لباس المرأة يتكون من ملاءة فضفاضة وقميص مشقوق عند الرقبة عليه رداء قصير. وإذا خرجت المرأة من بيتها فإنها ترتدي ملاءة طويلة تغطي جسمها. وقد تطورت ملابس النساء في العصر العباسي تطوراً ظاهراً عما كانت عليه في العصر الأموي إذ اتخذت سيدات الطبقة الراقية غطاء الرأس (البرنس) مرصعاً بالجواهر ومحلى بسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة. ويعزى ابتكار هذا الغطاء إلى "علية" بنت المهدي وأخت الرشيد. وكان للسيدة زبيدة أثر كبير في تطور الزي وإدخال تغييرات على ملابس السيدات في عصرها. وفي الأندلس تحكم زرياب في ابتداع الأزياء وحث الناس على تغيير الملابس لتكون مناسبة للفصول وعلمهم أن يلبسوا ملابس بيضاء من أول يونيو حتى نهاية سبتمبر كما علمهم أن الربيع هو فصل الملابس الحريرية والقمصان ذات الألوان الزاهية. وأن الشتاء فصل الفراء والملابس الثقيلة (حسن: ١٩٩١م، ج ٢، ص ٣٥٠).

نخلص إلى القول أن المجتمع الإسلامي قد طرأت عليه تحولات عديدة في حياته الاجتماعية فقد امتلأت الدور والقصور بالخدم، ووجدت عادات الأمم القديمة سبيلها إلى المجتمع الإسلامي فشاع فيه الترف والبذخ والإغراق في اللهو.

المحور اللغوي لجغرافية العالم الإسلامي الحضارية

إن اللغة هي جانب مهم من الحضارة. إنها الوسيلة المهمة التي تصور المعطيات الحضارية من جيل إلى جيل آخر، أو من جماعة معينة إلى جماعة أخرى، كما تطبع الذين يتكلمون بها بطابع خاص يميز يظهر بصورة نمط حياة خاص. ولهذا السبب تكون اللغات علامات مميزة للحضارات المختلفة. فاللغة وسيلة اتصال أساسية وتؤثر في كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية لدى الشعوب التي تتكلم بها.

وغالباً ما تبنى التقسيمات السياسية والحدود الإدارية على أساس اللغة التي تتكلم بها الشعوب المتجاورة. وربما يتعدى ذلك إلى التكتلات الاقتصادية والسياسية. وكما تؤثر اللغة في العديد من المناشط، فإنها تتأثر هي الأخرى بالعديد من العوامل، التي تحد من انتشارها وتوسعها. ويأتي على رأس ذلك العوامل الطبيعية كالجبال والأنهار، التي تقف أحياناً كحدود فاصلة بين اللغات المختلفة. وعلى العموم فالأنماط اللغوية أشبه ما تكون بالفسيفساء الموزعة على مختلف بقاع العالم. وهي تؤثر وتتأثر بالعديد من المفردات الحضارية والعوامل البيئية المختلفة (Jordan and Rowntree, 1976: pp. 184 - 185).

المناطق اللغوية في العالم الإسلامي: الأصول والتوزيع المجالي:

إن الشكل رقم (٤) يظهر توزيع الأصول الأولى لعائلات اللغات المختلفة في العالم. ومن الجدير بالذكر أن لغات العالم المختلفة ليست بالصورة المبسطة التي تظهر من خلال هذا الشكل. فتوزيع وانتشار اللغات أكثر تعقيداً وتنوعاً. فتحت كل نوع من الأنواع السالفة تدرج المئات من اللغات الفرعية واللغات المحلية.

وإذا أعرضنا عن الأقطار الأخرى، وركزنا على الرقعة التي تحوي العالم الإسلامي من تلك الخريطة، نجد أن لدينا العديد من العائلات اللغوية التي تنتشر في ديار الإسلام. ولعل أكبر هذه العائلات وأوسعها انتشاراً هي:

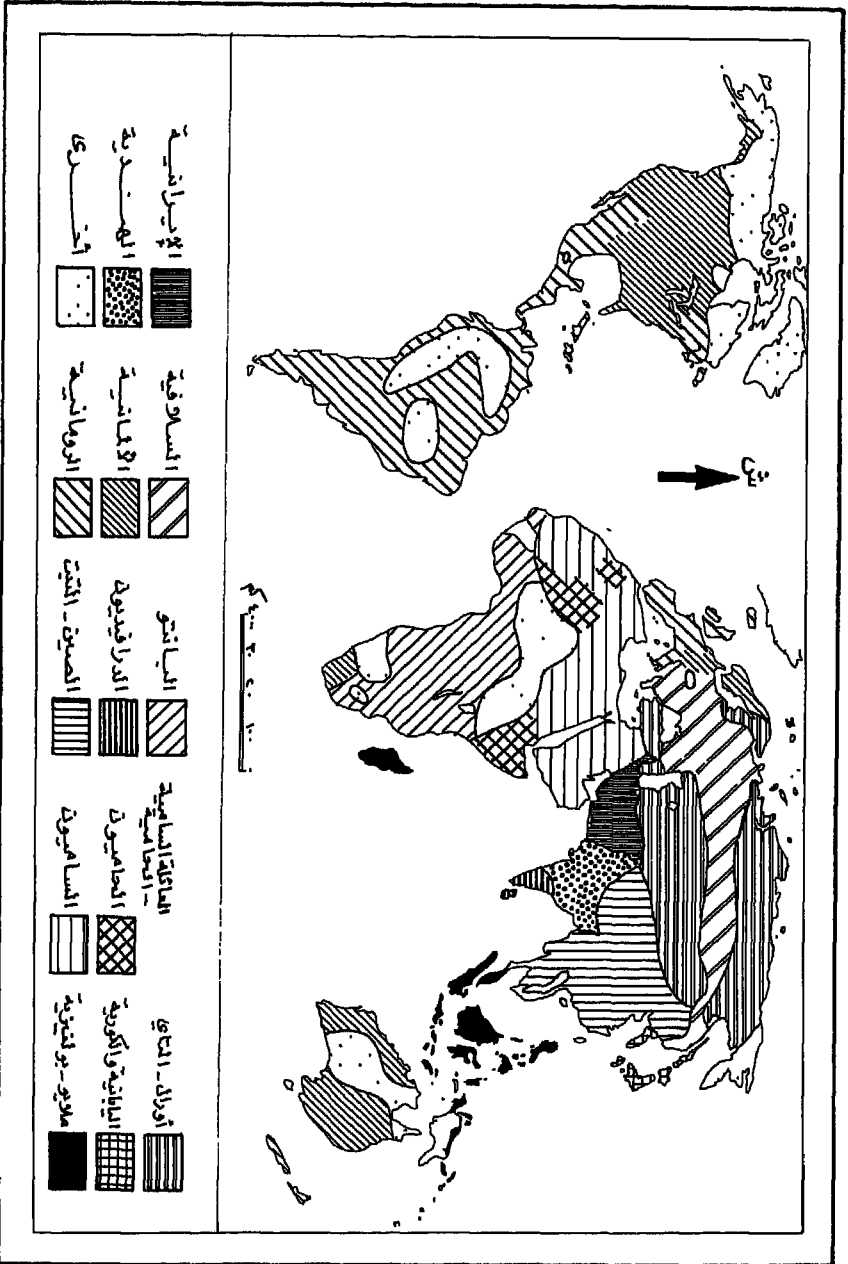
- ١ - العائلة السامية: الحامية وتنتشر في شمال أفريقيا وجنوب غربي آسيا.
- ٢ - عائلة الأورال: ألثاي التي تنتشر في الأراضي الممتدة من تركيا غرباً حتى حدود الصين شرقاً.
- ٣ - العائلة الهندية: الأوروبية وتتفرع منها المجموعة الإيرانية- الهندية- وتسدان في المناطق الممتدة من إيران غرباً وحتى بنغلادش شرقاً.
- ٤ - العائلة الملايوية- البولينيزية: وتنتشر بين جزيرة مدغشقر غرباً وأندونيسيا شرقاً.

ويمكن إلقاء بعض الضوء على هذه المجموعات على النحو التالي:

أولاً: العائلة السامية- الحامية:

وتمثل العائلة الثانية من لغات العالم بعد العائلة الهندية- الأوروبية. واللغات السامية المتفرعة من هذه العائلة قديمة جداً. فلغات الشعوب البابلية والآشورية والفينيقية سامية الأصل، وتنتشر اللغات السامية على مساحة واسعة من الأرض تشمل الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق وشمال أفريقيا.

إن اللغة العربية هي أوسع اللغات السامية انتشاراً حيث يزيد عدد المتكلمين بها عن ٢٦٠ مليون نسمة. وبجانب العربية هناك اللغة العبرية، وهي أيضاً لسان سامي. وكانت هذه اللغة إحدى اللغات الميتة ولا تستعمل إلا في المناسبات الدينية لليهود، الذين كانوا مشردين في مختلف مناطق العالم. غير أن الكيان الصهيوني بعد إنشائه عام ١٩٤٧م تبنى اللغة العبرية كلغة رسمية للدولة الجديدة. وقد بذلت جهوداً مضيئة لإحياء هذه اللغة وجعلها مسيرة لتطور نظم الحياة والمعاملات اليومية.



العثاقلات اللغوية في العسالم

شكل (٤)

لقد حمل المهاجرون القادمون من جنوب غربي شبه الجزيرة العربية قبل ثلاثة آلاف سنة اللسان السامي إلى إثيوبيا، وخاصة المناطق الجبلية المرتفعة. وقد تطور هذا اللسان لينجم عنه اللغة الأمهرية التي تشكل الفرع الثالث من فروع العائلة السامية.

وبجانب السامية توجد اللغات الحامية التي تنتشر جنباً إلى جنب مع السامية، وخاصة في شمالي وشرقي أفريقيا. والشعوب الحامية وجدت أصلاً في آسيا ثم هاجرت إلى أفريقيا. وتشمل العائلة الحامية اللغة البربرية التي يتكلم بها السكان البربر في الجزائر والمغرب وكذلك الطوارق الذين يستوطنون الصحراء الكبرى.

ومن اللغات الحامية اللغة الكوشية التي يتحدث بها سكان شرقي أفريقيا وتضم اللغة الصومالية ولغة الجالا وغيرها من المجموعات اللغوية التي تنتشر في الصومال والقرن الأفريقي.

ثانياً: عائلة الأورال-آلتي:

وهي مجموعة لغوية كبرى في العالم الإسلامي. وتنتشر بين الشعوب الإسلامية التي تقطن المنطقة الممتدة بين تركيا غرباً والصين شرقاً. لقد نشأت هذه المجموعة اللغوية أولاً بين السكان الذين يعيشون في آسيا الوسطى شرق جبال الأورال. وتحدث بهذه المجموعة اللغوية الشعوب التي تنحدر من أصل تركي مثل الأتراك العثمانيين والتتار والأوزبك والقازاق والقرغيز والأويغور إلى جانب التركمان والمغول.

ثالثاً: العائلة الهندية-الأوروبية:

وهي أكبر العائلات اللغوية. وتضم تسع مجموعات يندرج تحت كل منها العديد من اللغات. ومن المرجح أن موطن السكان الذين طوروا العائلة الهندية-الأوروبية كان في شرقي أوروبا ووسطها ثم بدأ هؤلاء في الألف الثاني قبل الميلاد في التحرك باتجاه غربي أوروبا حاملين معهم أصول اللغات الأوروبية الحديثة⁽⁴⁾.

بينما تحرك قسم آخر من هؤلاء نحو الشرق والجنوب باتجاه هضبة إيران وشبه القارة الهندية. ولا تهمنا في دراستنا هذه، الشعوب التي استوطنت غربي أوروبا، بل يهمنا أن من توجهوا نحو الشرق والجنوب ووصلوا إلى إيران وأفغانستان وباكستان والهند وبنغلادش قد استأصلوا اللغات التي كانت توجد في تلك البقاع وأحلوا محلها مجموعة لغوية متفرعة من العائلة الهندية- الأوروبية هي المجموعة الإيرانية- الهندية.

ومن أعظم اللغات التي تضمها هذه المجموعة هي الفارسية والبشتو والدري ثم البنجابية والأردية والبلوشية وكذلك الكردية والبنغالية وغيرها من اللغات واللهجات المتفرعة عنها.

رابعاً: العائلة الملاوية- البولينية:

من العائلات اللغوية الواسعة الانتشار ويطلق عليها أحياناً أسم العائلة (الأسترونيزية) وتمتد طويلاً لتشمل كافة الجزر البحرية الواقعة من جزيرة مدغشقر في شرقي أفريقيا شاملة الجزر الأندونيسية وجزر المحيط الهادي حتى جزر هاواي بطول يقارب أكثر من نصف محيط الكرة الأرضية.

أما الامتداد العرضي لهذا النطاق فيبدأ من دائرة عرض تايوان في الشمال إلى جزيرة نيوريلسندة في الجنوب. وهذا النطاق الجزري الواسع الذي تقطعه البحار الممتدة بين هذه الجزر، هو المجال الذي انتشرت فيه هذه العائلة اللغوية (Jordan and Rowntree, 1976: p. 194) ومن المرجح أن أصول هذه العائلة اللغوية جاءت من السواحل الصينية الجنوبية، بعد أن نفذت إليها من داخل الصين، قبل أن تسود اللغات الصينية الأخرى التي جاءت لاحقاً ثم هاجرت مع السكان في هذه الرحلة الطويلة عن طريق القوارب الصغيرة التي طورها سكان هذه المناطق والتي كانت وسيلة الاتصال التجاري البحري بين هذه الجزر الممتدة لآلاف الكيلومترات.

تضم هذه العائلة العديد من اللغات منها: الملاوية، والجاوية، البورنية، المادورية، السومطرية، السوندي، البهاسا ومئات اللغات الأخرى، التي تنتشر في الجزر المنعزلة والنائية في هذا النطاق، وفي الواقع ونتيجة لعزلة هذه النطاق الجزري، فقد تطورت في كل جزيرة لغة خاصة، حملت اسم الجزيرة ذاتها، ولذلك نجد أن عدد اللغات في هذه المجموعة يكاد يكون مستويًا لعدد الجزر. فإذا عرفنا أن أندونيسيا وحدها تضم ستة آلاف جزيرة مسكونة، أدركنا مقدار التنوع اللغوي في هذه المنطقة من العالم.

المظهر اللغوي لدول العالم الإسلامي:

تنقسم دول العالم الإسلامي من حيث تعدد اللغات بين سكانها إلى قسمين متميزين: دول مركبة تختلط فيها اللغات وتعدد الصور اللغوية إلى درجة أن بعضها يمثل "متحفاً لغوياً" ودول بسيطة يقل فيها التنوع اللغوي الأمر الذي يؤدي إلى تناسق وانسجام كبير بين سكانها.

ويضم القسم الأول عدداً قليلاً من الدول، في حين يضم القسم الثاني الأغلبية العظمى من دول العالم الإسلامي، مما يشير إلى سيادة النمط البسيط من التركيب اللغوي في العالم الإسلامي (المطري: ١٤٠٥هـ، ص ٤٩٤).

الدول المركبة اللغات:

تعتبر إندونيسيا المثال التقليدي للتعدد والتنوع اللغوي في العالم الإسلامي. ففيها يوجد أكثر من ١٦ مجموعة لغوية متميزة تضم ما يزيد عن ٢٥٠ لغة ولهجة محلية. ويمكن تفسير هذا التنوع بتعدد الجماعات العرقية، وسعة المساحة العامة للدولة، وترامي أطرافها، وصعوبة الانتقال والمواصلات بين جزرها العديدة.

تتكون إندونيسيا من آلاف الجزر كما ذكرنا سابقاً. وكان لكل جزيرة لغتها الخاصة التي تختلف عن غيرها من لغات الجزر الأخرى. وبالرغم من أنه في كثير

من الأحيان تكونت ممالك ضم كل منها مجموعة كبيرة من الجزر، إلا أنه لم توجه عناية خاصة لتوحيد اللغة. لقد اتجهت عناية الدول إلى الوحدة السياسية والعسكرية، ولم يكن هناك تركيز كافٍ على الوحدة الثقافية، ثم إن توحيد اللغة كان عملاً شاقاً بعيد المنال.

ولم يقف الأمر عند اختلاف اللغات باختلاف الجزر، بل إن الجزيرة الواحدة كانت تعيش فيها جماعات منفصلة بعضها عن بعض. وتختلف اللغة في جماعة عنها في أخرى. فهناك مثلاً في جزيرة سومطرة أكثر من ١٥ لغة محلية يتحدثها الناس بلهجات مختلفة. وجزيرة جاوة التي يعتبرها الأندونيسيون أكثر الجزر تجانساً من حيث اللغة تحوي ثلاث لغات رئيسة تتبع الجماعات الرئيسة في الجزيرة. وهذه الجماعات هي جماعات جاوة في وسط الجزيرة ولغتهم الجاوية، وجماعات السوندا في جاوة الغربية ولغتهم السوندا. وجماعات ما دورا في جاوة الشرقية ولهم لغة تسمى باسمهم كذلك.

ومما يزيد الأمر تعقيداً أن بعض اللغات بها درجات أو مستويات. فاللغة الجاوية مثلاً تحوي ثلاثة مستويات. المستوى الأدنى من اللغة وهو الذي يستعمل بين الأصدقاء وفي داخل الأسرة ويسمى (نجركو) والمستوى الأعلى وهو الذي يستخدم مع الأكبر سناً أو الأعلى مركزاً ومنزلة، وهذا النوع يسمى (كراما). وهناك لغة جاوية أعلى شأناً وهي تستعمل في القصور وبين رجال البلاط وهي لغة خاصة الخاصة (شليبي: ١٩٨٣م، ج ٨، ص ٤٢١).

يعزو علماء الأنثروبولوجيا التعدد اللغوي في المكان الواحد إلى وجود الحواجز الطبيعية. فالجبال الشاهقة، والغابات الكثيفة، والبحيرات الواسعة، والمستنقعات الفسيحة كانت كلها حواجز مانعة بين الجماعات البشرية في إندونيسيا. وربما كانت الجماعة التي تعيش بجانب أكمة تظن أنه ليس هنالك جماعة أخرى خلف تلك الأكمة. ويروي أحد الباحثين قصة تفسر مدى العزلة التي كانت تعيشها الجماعات

الأندونيسية حتى داخل الجزيرة الواحدة، فيقول: «بلدة صولو في وسط جزيرة جاوة يقع بجانبها جبل شاهق اسمه "توانج مانجو" يصعد له السكان هرباً من الحر. وعلى بعد حوالي ١٠٠ كيلومتر تقع مدينة "مديون" ولها جبل اسمه "سرانانج" يصعده سكان مديون من حين لآخر كذلك. ومنذ حوالي منتصف القرن العشرين الميلادي فقط اتضح أن جبل توانج هو نفسه جبل سرانانج وأن صولو تقع على سفحه من جانب ومديون تقع على سفحه من جانب آخر. وعلى طول التاريخ القديم قامت بصولو ومديون جماعات كانت قليلة الصلة بالجماعات التي تقع على السفح الأخر. وكانت هذه الجماعات وتلك تصل في الصعود إلى قرب القمة حيث تواجه الغابات الكثيفة ثم تتوقف كل منها ظانة أنها وصلت إلى آخر الشوط. وقد شق حديثاً طريق يخترق الغابات في القمة فيربط بين الجبلين (شليبي: ١٩٨٣م، ج٨، ص٤٢٣).

كان الإحساس قوياً بمشكلة اختلاف اللغات في الوطن الواحد وخاصة بعد الاستقلال. وكان الحل يكمن في اللغة الملاوية التي كانت متداولة بين التجار، وأصحاب الأعمال وبين الكثير من سكان الجزر الأندونيسية وحتى في الملايو والفلبين. وكانت أشبه باللغة السواحلية بأفريقيا. وكانت هذه اللغة تستمد أصولها من اللغات الأصلية بتلك البلاد، وتقتبس من اللغات المختلفة كلمات سرعان ما تصبح أصيلة في هذه اللغة، وقد ساعد تطور الاتصال التجاري والديني والثقافي بين سكان هذه المنطقة وبين التجار الهنود والعرب والصينيين على تطور هذه اللغة وإزدهارها، ثم أسهمت اللغات التي فرضها المستعمر أثناء احتلاله لتلك المناطق في ثراء هذه اللغة حيث دخلتها العديد من الكلمات الأسبانية والبرتغالية والهولندية.

وصدر قرار بأن تكون اللغة الأندونيسية التي تنحدر جذورها من اللغة الملاوية لغة لجمهورية إندونيسيا. وتعرف هذه اللغة باسم "البهاسا". وقد كانت تكتب

بحروف عربية. وقد حاولت هولندا أثناء استعمارها لإندونيسيا إلغاء هذه الأبجدية غير أنها لم تجرؤ على ذلك. ولكن عندما أُلغيت الخلافة العثمانية واستبدال أتاتورك بالأحرف العربية الحروف اللاتينية تجرأت هولندا على ذلك واستعملت الأبجدية اللاتينية للغة "البهاسا" الإندونيسية.

بعد أن أصبحت البهاسا اللغة الرسمية للدولة، عم انتشارها بين كافة المواطنين من مختلف اللغات، واستعملت في الصحف والمجلات والدوائر الرسمية. وحلت محل الهولندية التي كانت اللغة الرسمية أثناء عهد الاستعمار، وبمرور الزمن ستحل هذه اللغة الوطنية محل معظم اللغات المحلية في الأقاليم والجزر المختلفة، وستكون عنصر اتحاد بين هذه الأقاليم جميعاً.

تتكرر المشكلة نفسها في أفغانستان. فالسكان الأفغان يتكونون من أجناس أربعة هم: الأفغان، الفرس، الترك المغول وسكان هندوكوش الآريون.

إن هذا التنوع مرده إلى التاريخ الذي عاشته منطقة أفغانستان. فقد كانت منطقة التقاء بين الحضارة الفارسية في الغرب والتركية وخاصة إقليم تركستان في الشمال، والحضارة الصينية في الشمال الشرقي، ثم الحضارة الهندية في الجنوب الشرقي.

ويمكن القول أن اللغات الأفغانية ترتبط بالأصول العرقية للسكان، فهناك البشتون الذين يشكلون ٦٠٪ من مجموع السكان، ويمثلون خليطاً من العناصر التركية والإيرانية. وهناك الطاجيك وهم عناصر إيرانية تمثل حوالي ٣٠٪ من مجموع السكان، وبجانب هؤلاء العناصر التي تنحدر من أصول تركية (الأوزبك، والتركمان، القرغيز، والقازاق) ويشكل الأوزبك قرابة ٥٪ من إجمالي السكان. وبجانب هؤلاء هناك قبائل الهزارة ذوي الأصول المغولية والبلوشيين والكافير.

إن هذا التنوع العرقي أوجد تنوعاً لغوياً حيث يعتبر الاختلاف اللغوي ظاهرة بارزة. ففي أفغانستان توجد ثلاث مجموعات لغوية كبرى: الأولى هي الإيرانية-الهندية. وتضم لغة البشتو والداري وهما اللغتان الرسميتان في الدولة. والثانية هي مجموعة الأورال-آلتاي وتشمل اللغات الأوزبكية، والقرغيزية وغيرها من اللهجات التركية، إلى جانب المغولية التي تتحدث بها الجماعات المغولية المتناثرة. أما المجموعة الثالثة فهي المجموعة الدرافيدية التي تسود بين بعض فئات الشعب الأفغاني الذي ينحدر من أصول هندية أو إيرانية (المطري: ١٤٠٥هـ، ص٤٩٦).

وعلى العموم هناك ١٨ لغة محلية مختلفة تتحدث بها جماعات سكانية تشكل ٢٠٪ من سكان البلاد. أما غالبية السكان فتنشر بينهم لغتا البشتو والداري اللتان تعدان اللغتين الرسميتين في البلاد، إلى جانب الإيرانية التي يتحدث بها عدد كبير من السكان، والأردو التي تستخدم في الأسواق التجارية والعربية التي هي لغة الثقافة الدينية. وقد تسرب إلى لغة البشتو والداري كثير من المصطلحات العربية يقدرها بعضهم بـ ٤٠٪ من الكلمات المستخدمة في اللغتين، كما أن كلتا اللغتين تكتبان بحروف عربية (شاكر: ١٩٧٤م، ص٦٧).

وتلحق باكستان بأفغانستان من حيث التنوع والتعقيد اللغوي. فباكستان جزء من شبه القارة الهندية التي ذكر غوستاف لوبون أن بها ٢٤٠ لغة و ٣٠٠ لهجة. ولاشك أن باكستان لها نصيب من هذه اللغات واللهجات. وقد ساعد هذا التنوع اللغوي فمهد الطريق للغة الإنجليزية لتكون اللغة العامة والرسمية في كافة أقطار شبه القارة الهندية، ومن جملتها باكستان إلى أن تبنت الدولة الباكستانية اللغة الأردية كلغة وطنية للبلاد بجانب اللغة الإنجليزية التي هي اللغة الرسمية للدولة. ففي باكستان هناك اللغة البنجابية وهي اللغة الإقليمية في منطقة البنجاب وتسود المنطقة المثلثة التي تحدها مدن روالبندي، مولتان وأمبالا- وتنقسم إلى عدة لهجات.

وبجانب البنجابية هناك اللغة الكشميرية وهي لغة جبلية يتحدث بها سكان إقليم كشمير، وتتميز بأنها من أصل سنسكريتي ولكنها تأثرت بالفارسية.

وهناك البلوشية التي تنتشر في الجنوب الغربي من البلاد، كما تنتشر في شرقي إيران وبعض مناطق أفغانستان. وهي ليست لغة للأدب والبلوشية الشرقية وهي اللغة التي يتحدث بها السكان في باكستان تظهر شبيهاً في النطق مع اللغات الهندية، مع أنها من أكثر اللغات محافظة، حيث إنها لم تتطور كثيراً.

وهناك لغة أخرى تكونت في القرن الخامس عشر الميلادي وأصلها آري، ثم دخلت عليها كلمات كثيرة من اللغات الفارسية والعربية والهندية والتركية، وتسمى الآن اللغة الأردية نسبة إلى (الأردو) وهو المعسكر، حيث كانت لغة معسكرات المغول الذين حكموا الهند قبل خمسة قرون. وانتشرت هذه اللغة بين المسلمين وغير المسلمين، وكانت تمثل أداة الاتصال بين السلطة والجيش الذين يستخدمون الفارسية، وبين السكان من ناحية أخرى باعتبارها اللغة الوطنية لهم. فلما تناقصت السلطة المغولية قل استخدام الفارسية واكتسبت الأردية مكانتها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين فأصبحت لغة المجتمع والإدارة المحلية. ولما تم تقسيم الهند اعتبرت هذه اللغة لغة إسلامية حيث احتضنتها باكستان.

تعتبر الأردية في الوقت الحاضر اللغة الوطنية لباكستان، ومع ذلك فإن ٨٪ فقط من سكان باكستان يعتبرونها لغتهم الأصلية. ومعظم فئات الشعب الباكستاني يعتبرونها لغتهم الثانية بعد لغاتهم المحلية. ومنذ عهد الاستقلال عم انتشار الأردية بين كافة المواطنين، واستعملت في الصحف والمجلات ووسائل الإعلام والدوائر الرسمية، غير أن اللغة الإنجليزية لا زالت اللغة الرسمية للدولة الباكستانية.

من ناحية أخرى يسكن بلاد إيران أقوام من أجناس متباينة تتعدى مواطن سكنهم أو تحركاتهم القبلية الحدود الفعلية للبلاد، وبسبب تباين الأجناس تعددت اللغات في إيران وإن كانت الفارسية أوسعها انتشاراً.

وقد بقي تعدد اللغات حتى العهد الحاضر بسبب الحياة الانعزالية التي تعيشها طوائف الفلاحين في مناطق الأودية بين المرتفعات الشاهقة، وكانت الروابط قليلة بين كل طائفة من هذه الطوائف وبين جيرانهم وكانت الجماعات المختلفة تسد حاجتها بنفسها، مما حافظ على سلالات بشرية متعددة وعلى لغات مختلفة لذا تزخر إيران بالعديد من اللغات واللهجات من أصول متباينة. فالفارسية يتكلمها أكثر من ثلثي السكان وهي اللغة الرسمية للدولة. وبجانب الفارسية هناك العديد من اللغات ذات الأصول التركية مثل اللغة الأذرية التي يتحدث بها سكان أذربيجان في شمالي إيران، وكذلك التركمانية والقازاقية في جبال زاغروس. كما توجد لغة خاصة لكل جماعة سلالية مثل الأكراد الذين يتحدثون في إيران اللغة الكردية باللهجة السورانية التي يتحدث بها معظم أكراد العراق وإيران، وهي لغة الأدب الأولى في الكردية، وبجانبها لهجات كردية أخرى. غير أنها أقل انتشاراً من السورانية وذلك مثل الكرمانجية والماشو.

وهناك لغة اللور تتحدث بها قبائل البختيار من سكان منطقة اللور في جنوب غربي إيران، وهي إحدى اللهجات الفارسية التي تمثل لغة عهد الساسانيين أو ما تسمى بالفارسية الوسطى، وتشتمل على قدر كبير من الحروف العربية والتركية. وتنتشر البلوشية في الجزء الجنوبي الشرقي من إيران. والبلوشية عدة لهجات تنتشر اللهجة الغربية في إيران، أما اللهجة الشرقية فيتحدث بها البلوشيون في باكستان.

وهناك العربية التي يتحدث بها العرب في إقليم الأهوار إلى جانب بعض اللغات الآشورية والأرمنية والدرافيدية والعبرية التي يتحدث بها أقليات عرقية صغيرة.

ومع هذا التنوع الشديد في اللغات واللهجات تبقى اللغة الفارسية هي اللغة الأم. وهي لغة الثقافة والأدب واللغة الرسمية للدولة وتكتب بحروف عربية. وقد طرأت على هذه اللغة تطورات عديدة اقترنت بانتشار الإسلام في بلاد فارس.

وإلى الجنوب من المنطقة التي تسودها اللغات السامية- الحامية في أفريقيا تبرز العديد من المجموعات اللغوية. وقد اختلفت الاجتهادات حول تصنيف هذه المجموعات اللغوية، غير أن معظم الباحثين يرون أن المجموعات اللغوية لجنوب الصحراء الكبرى تندرج جميعها تحت مسمى "عائلة البانتو" التي تتكون من أكثر من ٨٣ لساناً ولغة يتحدث بها السكان الأفريقيون في مختلف مناطق القارة. وأشهر هذه اللغات هي اللغة السواحلية التي تسيطر على معظم سواحل أقطار شرقي أفريقيا وتتخذها بعض الدول لغة رسمية لها.

وبين عائلة البانتو التي تسيطر على معظم أفريقيا جنوب الصحراء وبين العائلة السامية- الحامية التي تسود في القسم الشمالي من أفريقيا هناك منطقة انتقالية تحوي العديد من المجموعات اللغوية الصغيرة التي تتأثر بصورة أو بأخرى بالعائلتين اللغويتين الكبيرتين وتصنف تبعاً لذلك إلى إحداهما وأحياناً إلى كليتهما معاً. ونشاهد ذلك في أقطار غربي أفريقيا من السنغال شمالاً حتى الكمرون جنوباً كما نشاهد ذلك في جنوبي السودان وكينيا وأوغندا وتشاد والنيجر وشمالى نيجيريا.

ومن الغريب أن نجد دولاً صغيرة في القارة الأفريقية يسود فيها التنوع اللغوي ليلبغ حد الاستغراب. ففي ساحل العاج توجد أكثر من ٦٠ لغة ولهجة. وفي توغو هناك مايزيد عن ٤٤ لغة ولهجة محلية. وفي الكمرون يتكلم السكان أكثر من ١٠٠ لغة محلية. وفي نيجيريا هناك مايقرب من ٢٥٠ لغة محلية متميزة تعتبر الهوسا أوسعها انتشاراً إلى جانب لغات اليوربا والفولاني.

إن هذا التنوع اللغوي أوجد مشكلات قوية لدول القارة الأفريقية بعد الاستقلال، الأمر الذي فرض أن تبقى لغة المستعمر هي اللغة الرسمية لمعظم أقطار أفريقيا عموماً ومن جملتها الأقطار الأفريقية الإسلامية .

لقد بقيت الفرنسية هي اللغة الرسمية لدول مالي والنيجر وتشاد وبوركينا فاسو والسنغال وغينيا وبنين وتوجو وساحل العاج وأفريقيا الوسطى والجابون وجزر القمر . كما بقيت الإنجليزية لغة رسمية في النيجر وأوغندا وغامبيا وسيراليون . وأصبحت اللغة البرتغالية هي لغة غينيا بيساو .

الدول البسيطة اللغات :

والبساطة تعنى عدم تعدد اللغات داخل البلد الواحد، بحيث تتكلم الغالبية العظمى من سكان البلد لغة واحدة مشتركة . وإذا نظرنا إلى خريطة العالم الإسلامي نجد أن جميع أقطار العالم العربي تنتمي إلى الدول ذات التركيب اللغوي البسيط حيث تسود فيها اللغة العربية كلغة يتحدث بها السكان، كما تمثل اللغة الرسمية لهذه الدول . وقد تطورت العربية في شكلين متميزين، الأول: العربية الكلاسيكية وهي لغة الأدب والثقافة ولغة الدين الإسلامي وهي التي يتحدث بها ويكتب بها عبر كافة البلاد العربية . وتعتبر أداة ربط بين جميع العرب دون استثناء . والثاني: العربية العامية وهي لغة الكلام غير الرسمية التي تزخر باللهجات العديدة . وهنا نجد بعض الاختلاف، فأهل الشام لهم لهجة خاصة بهم متميزة عن لهجة أهل العراق، وفي دول شبه الجزيرة العربية لهجة عربية مميزة . وهذه اللهجات الثلاث متقاربة من بعضها البعض على عكس اللهجة المصرية التي لها طابعها الخاص وكذلك اللهجة المغربية التي تسود في أقطار شمالي أفريقيا (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا) . ومن الجدير بالذكر أن هذه اللهجات مفهومة من قِبَل جميع سكان العالم العربي، ولا يتعد هذا الاختلاف كثيراً عن ذلك الاختلاف الموجود بين متحدثي اللغة الإنجليزية في بريطانيا واسكتلندا وإيرلندا الشمالية .

وإذا نظرنا إلى داخل الأقطار العربية ذاتها وجدنا فروقاً في اللهجات داخل هذه اللغات العامية فسكان الصعيد لهجتهم تباير لهجة سكان الوجه البحري. وسكان المدن في الشام يختلفون في عاميتهم عن العامية المنتشرة في الريف. وهذه أمور معروفة تفرضها طبيعة البيئات المختلفة.

غير أنه من الجدير بالذكر أن سيادة وسيطرة اللغة العربية في كافة البلاد العربية سيطرة تامة مما يجعل العربية اللسان القومي لكافة البلاد العربية دون استثناء. بجانب البلاد العربية هناك تركيا التي تعتبر هي الأخرى ذات تركيبة لغوية بسيطة وتشارك معها دول وسط آسيا الإسلامية التي انفصلت عن الإتحاد السوفيتي وهي: (أذربيجان، قازاقستان، تركمانستان، أوزبكستان، طاجيكستان، قرغيزيا). وهذه الدول جميعها تسود في كل منها لغة واحدة تمثل اللغة الرسمية ولغة الأدب والثقافة واللغة التي يتحدث بها معظم السكان.

ففي تركيا تسود اللغة التركية الأناضولية. وقد قدمت إلى آسيا الصغرى في الألف الثانية قبل الميلاد، لتحل محل اللغة الإغريقية. ولم يكن للتركية حروف أبجدية فتبنت الحروف العربية إلى أن قام أتاتورك في عام ١٩٢٨م بإحداث تغيير فيها بإدخاله الحروف اللاتينية. وقد حاول تترك اللغة بتخليصها من الكلمات المشتقة من العربية والفارسية لتحل محلها كلمات تركية قديمة أو كلمات أوروبية فرنسية أو إنجليزية بهجاء تركي (المطري: ١٤٠٥هـ، ص ٤٦٨).

وعلى سياسة أتاتورك سار الإتحاد السوفيتي (السابق) لتقسيم المسلمين في الأقطار التي دخلت ضمن الستار الحديدي. ففرضت سياسة لينين القائمة على تقسيم السكان إلى مناطق عرقية وقبلية لقطع الاتصال والشعور بالوحدة التي كانت تعيشها هذه القبائل التي كان الإسلام يوحد بينها. ففي أذربيجان فرض اللغة الآذرية وفي أوزبكستان فرض الأوزبكية وكذلك الحال في قازاقستان، وتركمانستان، وقرغيزيا، ومنع كتابة هذه اللغات بالحروف العربية التي كانت تكتب بها هذه

اللهجات وفرض كتابتها بالحروف السيريلية Cyrillic وهي الحروف التي تشكل الأبجدية الروسية. وبالرغم من وجود أقليات عرقية ضمن هذه الجمهوريات، إلا أن هؤلاء بجانب لغاتهم الأصلية يتحدثون باللغة الرسمية للبلاد مما يحملنا على القول أن هذه الأقطار بسيطة في تركيبها اللغوي.

ومن البلاد الإسلامية ذات التركيبة اللغوية البسيطة بنغلادش حيث تسيطر اللغة البنغالية مع أقلية ضئيلة تتحدث السنسكريتية، وكذلك ماليزيا التي تبنت الملاوية، والباينا التي تتحدث الألبانية. وجزر المالديف التي تتحدث المالديفية.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدول ذات التركيب اللغوي البسيط تشبه من بعض الوجوه الدول ذات التركيب اللغوي المعقد والتي تبنت لغة المستعمر، كما هو الحال في دول غربي أفريقيا أو باكستان. فهذه الدول برز فيها تأثير لغة المستعمر بحيث إن لغة المستعمر بقيت اللغة الثانية في هذه الدول. ففي مصر والعراق والأردن لا تزال الإنجليزية هي اللغة الثانية بعد العربية وفي سوريا ولبنان ودول المغرب العربي تسود اللغة الفرنسية كلغة ثانية ونجد في الصومال ثلاث لغات هي الإيطالية والفرنسية والإنجليزية وتعود الإيطالية في ليبيا، والهولندية في إندونيسيا. وفي فلسطين المحتلة وجدت اللغة العبرية بعد الاحتلال الصهيوني لفلسطين، وانتشرت اللغة الروسية انتشاراً واسعاً في جمهوريات وسط آسيا الإسلامية.

دور اللغة العربية في انتشار الحضارة الإسلامية:

إن اللغة العربية والدين الإسلامي متلازمان ومرتبطين معاً برباط وثيق. فإذا انتشر الإسلام انتشرت معه ومن خلاله اللغة العربية. وعلى هذا فالعربية تسير في ركاب الإسلام فأنى حل الإسلام يحل القرآن والحديث ولغتهما العربية، وتحل الدراسات الإسلامية وأكثر مراجعها باللغة العربية. ويقضي الدين الإسلامي بكثير من التعاون والألفة مما يجعل التفاهم بين معتنقيه وبخاصة في المكان الواحد حتمياً.

ويظهر مدى ارتباط الإسلام بالعربية أنه حتى المسلم غير العربي تشكل اللغة العربية جزءاً مهماً من حياته اليومية. فالصلاة لا تجوز إلا بالعربية لذا نجد أن المسلم لا بد له من تعلم هذه اللغة التي هي وعاء الإسلام. لذا لا عجب أن تكثر في لغات الأقطار الإسلامية التعبيرات والكلمات العربية وخاصة المصطلحات الدينية التي لا نظير لها في لغات هذه الأمم. ويبرز التلازم بين العربية والإسلام أن هذه اللغة لا بد أن تنتشر حيث انتشر الإسلام. ولهذا توسعت رقعة العربية بتوسع حدود دولة الإسلام. لقد أثر الدين الإسلامي على تطور هذه اللغة فجعلها لغة عظيمة غنية فيها كل عناصر الجمال. وهذا انعكاس لمصدر الإلهام الأساسي لهذه اللغة وهو القرآن الكريم. ولهذا لا عجب أن تصبح أداة التواصل الحضاري بين الشعوب الإسلامية المختلفة.

أثر الدين في تطور اللغة:

رأى العرب في بلاغة القرآن وروعة أسلوبه ما بهرهم وأثار إعجابهم، فانساقوا إلى تقليده ومحاكاته، وبلغ من اقتتان العرب بالقرآن وإعجابهم به أن امتنع بعضهم عن قول الشعر. كما فعل لبيد بن ربيعة الذي استغنى بالقرآن وقراءته عن شعره الذي نبغ فيه. وكان إذا سئل عن شعره تلا سورة من القرآن وقال: أبدلني الله خيراً منه.

شاعت ألفاظ القرآن وعباراته في جميع القبائل العربية، وأصبحت معروفة لديهم فيما ينشئون من خطب وأشعار. وقد ساعد ذلك على إيجاد لغة عامة وحدت مشاربهم وخلقت فيهم خيلاً ومتجانساً ومثلاً علياً متحدة.

يقول الأستاذ كرد علي: "والقرآن أبلغ كتاب للعرب، ولولاه لما كان لهم أدب ولا شريعة. عجز فصحاء العرب عن الإتيان بمثله مع أنهم خصوا بالتحدي. وكان للفصاحة عندهم المكان الأرفع، واعترفوا بعد جدال طويل. أن نظم القرآن خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد (حسن: ١٩٩١م، ج ١، ص ١٥٧).

لقد أثرى القرآن اللغة العربية عن طريق العديد من العلوم التي ارتبط وجودها بالقرآن الكريم. وأول هذه العلوم التي وسعت دائرة العربية هو علم القراءات الذي اشتغل به المسلمون. ويعتبر علم القراءات المرحلة الأولى لتفسير القرآن حيث تتركز النواة التي بدأ بها هذا العلم في القرآن وفي نصوصه نفسها وبعبارة أوضح في قراءته، وهذا لاشك هو البدايات الأولى لعلوم التفسير.

هذه القراءات تدور حول المصحف العثماني الذي جمع الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه المسلمين عليه. وقد فرضت طبيعة الخط العربي الذي نرى أن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدان التشكيل في الخط العربي آنذاك كانت من الأسباب الداعية لظهور حركة القراءات فيما أهمل شكله أو نقطه من القرآن الكريم.

ثم ظهر لدى العرب المسلمين أمر آخر ارتبط بالقرآن الكريم، وذلك هو علم التفسير وهو أحد العلوم التي اشتغل بها المسلمون لفهم معاني القرآن الكريم. واتجه المفسرون في تفسير القرآن الكريم اتجاهين يعرف أولهما باسم التفسير بالمأثور وهو ما أثر عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- وكبار الصحابة، ويعرف الثاني باسم التفسير بالرأي وهو ما كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل.

وقد اعتنى المسلمون بحديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وقاموا بتدوينه مما أتاح الفرصة لظهور طائفة من أئمة الحديث الذين ظهروا في مختلف مراحل التاريخ الإسلامي وطوروا أصول وقواعد الرواية من حيث الضبط والدقة وبيان الأحاديث القوية من الأحاديث الضعيفة مما يمتاز به المسلمون وحدهم في هذا المجال.

إن العلوم الشرعية وضبطها عجلت في نشوء وتطور علم النحو، الذي نشأ وترعرع في البصرة والكوفة اللتين صارتا من أهم مراكز الثقافة منذ القرن الأول الهجري. وكان يقيم في هاتين المدينتين جالية تنتسب إلى قبائل عربية مختلفة ذات لهجات متعددة، والآلاف من الصناع والموالي الذين كانوا يتكلمون الفارسية وغيرها من اللغات. ومن ثمّ تعرضت العبارات العربية إلى شيء من الفساد. ودعت الضرورة إلى تقويم اللسان العربي، حتى لا يتعرض القرآن الكريم للتحريف، فكان هذا مدعاة لظهور علم النحو الذي وضع أسسه أبو الأسود الدؤلي ثم تطور على يد أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وسيبويه والكسائي وغيرهم من النحاة الذين برزوا في كل مناطق العالم الإسلامي.

ومع توسع الدولة الإسلامية وانتشار الإسلام خارج الجزيرة تطورت الإدارة الحكومية وتعددت حاجاتها، مما دعا إلى إنشاء الدواوين المختلفة، التي بدأت منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستمرت طوال العهود الإسلامية المختلفة. ولعل من أبرز الدواوين التي لها مساس بتطور العربية هو ديوان الإنشاء والرسائل فهو أقرب الدواوين اتصالاً بالحياة الأدبية. فقد أوجد نوعاً من النثر لم يكن للعرب عهد به، وهو ما يسمى بالنثر الفني. والمقصود به تلك الرسائل التي كانت تحرر باسم الخليفة، وتصدر إلى ولاته وعماله في الأقاليم. ومهنة كاتب الرسائل إذاعة المراسيم والبراءات وتحرير الرسائل السياسية ومراجعة الرسائل الرسمية ووضعها في الصيغة النهائية ومكاتبة الملوك والأمراء عن الخليفة.

ولقد حرص الخلفاء على أن تدوّن هذه الرسائل بأسلوب شيق وبلغ، كما حرصوا على اختيار كتابهم من رجال الأدب، ممن عرفوا بسعة العلم، وحصانة الأسلوب، بحيث يمكن القول إن هؤلاء الكتاب قد وضعوا أصول وقواعد الكتابة الفنية في اللغة العربية.

نخلص إلى القول أن الدين الإسلامي ساعد على:

- ١- ثراء اللغة العربية بحيث وسَّع مضمونها عن طريق القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وما ارتبط بهما من علوم كالتفسير والقراءات وعلوم الحديث المختلفة مثل علم الرجال وعلم الجرح والتعديل وأسس الضبط والعدالة وغيرها.
- ٢- فرض الحرص على التعاليم الإسلامية ظهور قواعد تنظيمية طوّرت اللغة مثل ظهور التنقيط للحروف، وكذلك ظهور التشكيل، وظهور النحو والاشتقاق والتصريف، ووضع المعاجم ووضع قواعد للكتابة الأدبية، وغير ذلك مما نقل اللغة العربية نقلة حضارية في جميع بقاع العالم الإسلامي وبذلك تبوّأت مكانة عالية مرموقة.

اللغة العربية والفتح الإسلامي:

بالرغم من أن اللغة العربية قديمة جداً حيث ظهرت إشارات استخدامها في أول الأمر في وثائق الحروب منذ المائة التاسعة قبل الميلاد، إلا أنها بقيت محدودة الانتشار، وكانت مقصورة على الجزيرة العربية وبعض مناطق محدودة من بلاد الشام والعراق.

ومع ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي زاد انتشارها، فقد حملها الفاتحون إلى بلاد الشام والعراق وفارس ومصر والمغرب العربي. ولم يمض سوى قرن واحد على ظهور الإسلام حتى وصل المسلمون إلى الأندلس غرباً والصين شرقاً.

لقد كان المسلمون بعد فتحهم الممالك والأقطار يتركون الناس على حالهم، فمن أسلم أصبح أحماً مسلماً، وأما من أراد التمسك بعقيدته فقد تركوه وقبلوا منه الجزية، حتى الرؤساء تركوهم على حالهم ما داموا لم يعتدوا على الإسلام. وكان لا بد أن تسلم هذه الشعوب لأن الإسلام غالب.

لقد صاحب حركة الفتوح حركة الإسلام وصاحب حركة الإسلام حركة الاستعراب والتحول نحو اللغة العربية. لقد كانت حركة الاستعراب تسير سيراً طيباً حتى نهاية الدولة الأموية، فقد كان للجيش العربي الموجودة في شتى بقاع الدولة الإسلامية أثر في نشر العربية، كما أن الداخلين في الإسلام كانوا بحاجة إلى تعلم العربية لأنها لغة العبادة ولغة الدين الجديد.

لقد تأثرت حركة الاستعراب بالعديد من العوامل، أولها انتشار الجيوش العربية في شتى بقاع العالم الإسلامي المفتوحة تلا ذلك هجرات عربية إلى مختلف مناطق الدين الجديد، وقد تبع ذلك حركة تزاوج بين العرب وسكان المناطق المفتوحة. وقد أدى ذلك إلى سيادة اللغة العربية وانتشارها على نطاق واسع. فإذا ما أضفنا إلى ذلك أن من أسلم من سكان البلاد المفتوحة أقبل على تعلم اللغة العربية لممارسة شعائره الدينية، ومن لم يسلم أقبل على تعلم العربية بهدف الحصول على الوظائف الإدارية الجديدة. وبجانب هؤلاء وأولئك هناك المتجهون للثقافة والمعرفة، الذين طمعوا في أن يكتبوا لأقوامهم وحدهم بل للمسلمين جميعاً، وقد كان الاتجاه إلى الترجمة إلى اللغة العربية خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين سبباً في دفع الكثيرين إلى إجادة اللغة العربية ليعملوا في الترجمة.

إزاء هذه العوامل السالف ذكرها كانت حركة الاستعراب تسير سيراً طيباً في كافة البلاد المفتوحة. فقد حلت العربية محل اللغات الموجودة في مصر وليبيا وشمال أفريقيا وبلاد الشام والعراق وفارس وشرقي الدولة الإسلامية وكذلك الأندلس.

ولم تكتف اللغة العربية بالتفوق بل أخذت تغزو اللغات الأخرى وتدخل فيها عن طريقين أولهما: عن طريق المفردات العربية التي كانت أيسر من مرادفاتها في اللغات الأخرى. والثاني: عن طريق الكلمات التي تحمل معنى إسلامياً ليس له مقابل في اللغات الأخرى.

ولئن كانت العربية قد سيطرت على معظم الأقطار الإسلامية المفتوحة إلا أنه كان للظروف التي عاشها المسلمون في شرقي الدولة الإسلامية أثر في عدم انتشار العربية وسيادتها في هذه المناطق. فعندما قامت الدولة العباسية ضعف العنصر العربي في إيران وما يليها شرقاً. ولما كان العرب هم أساس التعريب، فقد تراخت حركة التعريب في شرقي الدولة بل توقفت وحدث العكس، حيث بدأت الأقلية العربية هناك تتكلم الإيرانية، أما أولادهم فقد نشأوا لا يعرفون العربية لأن أمهاتهم كن إيرانيات، وكذلك كانت البيئة كلها إيرانية. وهنا أخذت اللغة العربية تتراجع أمام اللغة الإيرانية وبدأت سيطرة العنصر الإيراني على الوزارة ودواوين الدولة، وتراخت الدولة العباسية مع حكام النواحي في إيران، فظهرت دول إيرانية مختلفة في شرقي الدولة الإسلامية، تقدم بعضها وفرض سلطانه على الخليفة في بغداد. وهكذا تراجعت العربية أمام الإيرانية الحديثة في شرقي الدولة الإسلامية تلك اللغة التي عرفت فيما بعد بالفارسية، وهي لغة جديدة بها من العربية وبها من الفهلوية، وقد استعارت الرسم العربي لكتابتها، وتحوي ما يزيد عن ٤٠٪ من مفرداتها من اللغة العربية (شليبي: ١٩٨٣م، ج ٨، ص ص ٢٩ - ٣٠).

وكما عجز العرب عن تعريب السنة الفرس، فقد عجزوا أيضاً عن تعريب السنة الترك، الذين لعبوا دوراً مهماً في التاريخ الإسلامي منذ عهد المعتصم العباسي، وكان تأثير الفارسية في السنة الترك قوياً نظراً لأن مناطق تركستان (موطن العناصر التركية) قد خضعت للدويلات الإيرانية، حتى أن الممالك التركية في تلك البقاع قد اتخذت اللغة الفارسية، وتقمصت الحضارة الإيرانية. غير أن التأثير العربي نفذ إلى مجموعة اللغات التركية. كما نفذ من قبل إلى مجموعة اللغات الإيرانية عن طريق التعابير العربية التي تمثل نسباً تتراوح بين ٣٠ - ٤٠٪ من مجموع ألفاظ هذه اللغة. وكانت هذه اللغة تكتب بحروف عربية حتى وقع معظم تركستان تحت قبضة روسيا فأجبرت السكان على كتابة لغتهم بالروسية. (الأوزبكية، القازاقية،

التركمانية، القرغيزية... إلخ) ثم جاء أتاتورك فاستبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية وقام بإلغاء الكثير من المفردات العربية بهدف محو التأثير العربي من الثقافة التركية الحديثة.

اللغة العربية والتواصل الحضاري:

امتدت الدولة الإسلامية واتسعت وانضوى تحت جناحيها عناصر وأجناس وأمم وقبائل لكل منها لغتها وعاداتها وتقاليدها ومعرفتها وثقافتها. وتمازجت هذه الشعوب بالتزاوج والتسري، وبالتناسب والولاء، كما تمازجت بالمعارف والثقافات، وكانت العربية هي اللسان السائد المعبر عمّا تمّ من تمازج المعارف وعن ثقافات هذا الخليط الكبير من الناس.

لقد تم اتصال العرب المسلمين بثقافات الفرس واليونان والهند وثقافات النصرى واليهود، وأخذ المسلمون من كل ذلك وأعطوا، وكان ذلك بطرق عديدة كان منها:

(أ) الاتصال المباشر الذي تم عن طريق المعاشة والمخالطة اليومية، والتي يرى فيها المسلم معارف الآخرين وهي تطبق تطبيقاً حياً أمام ناظره في الدين والأدب والزراعة وتربية الحيوان، وفي التجارة والصناعة، وفي الطب والمعالجة، وما سوى ذلك من أوجه النشاط الحيوي واليومي. وكثيراً ما يكون المسلم طرفاً في هذا التطبيق المباشر (بيلو: ١٤٠٨هـ، ص ٢٠).

(ب) ما كان يجري من مجادلات ومحاورات بين العرب المسلمين وأصحاب الديانات وأصحاب الملل والنحل المختلفة من يهود ونصرى ومجوس نتيجة اختلاط الشعوب المختلفة. وقد استفاد المسلمون من ذلك وتضرروا في آن واحد. فقد كان أصحاب هذه الديانات يستخدمون في جدلهم ومناقشاتهم فلسفة اليونان ومنطقهم وهذا كان جديداً على المسلمين. فكان لابد من

استعمال هذا السلاح، فاضطر المسلمون للتعرف على فلسفة اليونان ومنطق أرسطو بقصد الدفاع عن الدين، ثم تطور الأمر إلى أن أصبحت هذه الأمور غاية في ذاتها، بعد أن كانت وسيلة. وقد ساعد ذلك على نشوء علم الكلام وعلم العقائد والمناظرات مع الزنادقة وأتباع المبادئ الأخرى. لقد أسلم كثير من الفرس والملل الأخرى عن عقيدة وإيمان وحسن إسلامهم. وهناك آخرون دخلوا في الإسلام لأغراض خاصة، وأظهروا الإسلام كارهين. وبقوا على ديانتهم القديمة. وقد وجد هؤلاء بعد أن قوي نفوذهم أن الفرصة سانحة لإعلان عقيدتهم على رؤوس الأشهاد. وقد تحرك العلماء لمواجهةهم وذلك فيما عرف بمقاومة حركة الزندقة، التي حاربتها الدولة عن طريق إنشاء دوائر خاصة للملاحقة هؤلاء من جهة، ثم تكوين هيئات علمية أعضاؤها من المتكلمين للقيام بالرد على هذه الحركة بالوسائل الفكرية وتأليف الرسائل في مناظرتهم والرد على أباطيلهم (بيلو: ١٤٠٨هـ، ٣٦، ص ص ١٤ - ٣٧).

(ج) الترجمة والنقل لاسيما من الثقافات الفارسية واليونانية والهندية. وكان لابد لهذه الثقافات وقد تجمعت في صعيد واحد وتمازجت معاً في داخل المجتمع الإسلامي من أن تؤتي أكلها، وتؤثر تأثيرها الكبير في الحركة العلمية والتأليف. وقد تعدى تأثيرها إلى فكر الناس وعواطفهم وعقولهم وعقائدهم وكذلك أدبهم (بيلو: ١٤٠٨هـ، ص ص ٢٠ - ٢١). ويمكن تقسيم بواعث الترجمة والنقل إلى بواعث وأسباب عامة، وأخرى خاصة صحبت ترجمة ونقل كل نوع من المعارف والعلوم ودفعت الخلفاء وأولي الأمر إلى الاهتمام بها وتشجيعها. وأول هذه البواعث العامة هو اتساع الدولة وتقديم أسباب العمران، وتعدد وتنوع المرافق، وتشعب شؤون الحياة ومتطلباتها في الدولة الإسلامية وهذا يحتاج إلى تنظيم دقيق، ولذا لابد من الإفادة من تجارب الأمم الأخرى وخبراتها. هذا إلى جانب أن اللغة العربية كانت غالبية على

البلاد المفتوحة، والتي انتشر الإسلام فيها، وأن وحدة الدين تستوجب وحدة اللسان والحضارة والعمران، وأنه لا بد أن تضمن معارف هذه الأمم وثقافتها في اللسان العربي.

أضف إلى هذه البواعث الميل الشخصي والرغبة الفردية عند بعض الخلفاء لبعض هذه العلوم المترجمة، فشجعوا على ترجمتها، وأجزلوا العطاء للمترجمين، وتابعهم آخرون.

(د) التأثير الحضاري في مجال اللغة والأدب: وجد المجتمع الإسلامي نفسه إزاء تعدد الشعوب أمام أشياء جديدة في كثير من مناحي الحياة، في المأكل والمشرب والملبس وأدوات الزينة وفي الدواوين ونظامها، وما إلى ذلك من أشياء لم يكن للعرب بها سابق معرفة. وبدهي أن لا يكون في ألفاظ العربية ما يدل عليها وما يعبر عنها، فسلكوا سبيل التوسع في مدلولات الكلمات العربية لتؤدي المعنى الجديد أو أخذوا الكلمات الأجنبية وصقلوها بما يتفق ولسانهم. وفي أحوال قليلة أخذوا الكلمات الأجنبية كما هي. وقد كان ذلك سبباً من أسباب ثراء اللغة العربية وزيادة منابعها.

وفي الجانب الآخر قامت حركة تعريب المعارف والعلوم والآداب المدونة باللغات الأخرى (الفارسية، اليونانية، الهندية، السريانية). وحين ننظر في هذه الكتب المترجمة نجد أكثرها في الحكمة والأدب والأخلاق والسير والعلوم والطب والهندسة والحساب وغيرها. وقد وجد في جميع المجتمع الإسلامي من يتقن اللغة العربية وإحدى اللغات الأخرى كالفارسية واليونانية والهندية، ولا شك أن هذا قد أثرى الحركة العلمية في المجتمع الإسلامي، كما أثرى اللغة العربية التي استوعبت هذه المعارف والعلوم، بعد أن كانت لغة أدب وثقافة.

ويبرز تأثير اتصال الثقافات والحضارات المختلفة في مختلف مناحي الأدب من شعر ونثر. فصار مما يتطلبه الأدب أن يعرف الأديب حكم برزجمهر الفارسي كما يعرف أقوال أكثم بن صيفي العربي، وأن يعرف المؤرخ تاريخ الفرس واليونان والهند كما يعرف تاريخ العرب. وأن يلم بأقوال كسرى وسابور كما يعرف أقوال الخلفاء الراشدين. ولا بد للفقهاء من أن يلم بمنطق أرسطو للرد على الزنادقة وأصحاب الملل والنحل.

إن بوتقة هذا الامتزاج الحضاري كانت اللغة العربية، إذ لم تستطع لغة من لغات الموالي- وقد كانوا أكثر- أن يكون لها وجود مذكور إلى جانب اللغة العربية بل لقد استخدمت العربية الموالي لصالحها استخداماً حسناً، وطوعتهم لإفادتها وخدمتها، فخدموها في كل فنونها. وهم حين جعلوا هذه اللغة لغة لهم، لم يستطيعوا أن يخرجوا بحال من الأحوال عن قواعدها وقوانينها، كما أن الدين ظل مرفوع الرأس، مشرق الجبين وضاحه، مع كثرة المحاولات التي بذلت لتشويهه، أو لنشر المبادئ المخربة، وبث العقائد الدخيلة (بيلو: ١٤٠٨هـ، ص ١٧-١٨).

والخلاصة أن المجتمع الإسلامي انفتح على الأمم التي دخلت فيه وكذلك على الأمم المجاورة. وهذه الأمم لها عاداتها وتقاليدها فكان هناك اليونان بفلسفتهم وعلمهم ومنطقهم، والفرس بتدبيرهم وسياستهم ولهوهم وزندقتهم وإلحادهم، والهنود بحكمتهم وحسابهم وأسرار طبهم وزهدهم وصناعاتهم.

لقد تلاقى هذه الأمم كلها في دولة الإسلام، تلاقى بميزاتها وثقافتها وعلومها ومعارفها واجتمعت جميعها في صعيد واحد مع العرب المسلمين وثقافتهم بما لها من لغة وأدب ودين. وتفاعلو تفاعلاً عميقاً، كان من نتاجه وثمراته هذا الصرح الحضاري العظيم الذي عليه الدولة الإسلامية في عصورها المختلفة وانبثق منه المجتمع الإسلامي الذي كان هو البوتقة التي تجمعت فيها هذه العناصر فصهرها وتمثلها وأعطاهما الشكل الذي يلائم عقليات ونفسيات كل هذه الأمم والشعوب التي ضمها هذا المجتمع الإسلامي (بيلو: ١٤٠٨هـ، ص ١٢١-١٢٢).

الدلالات اللغوية لأسماء الأماكن والظواهرات :

أسماء الأماكن والظواهرات الطبيعية والبشرية من أهم عناصر البيئة . وهي شديدة الصلة باللغات التي يتكلمها سكان تلك البيئة . ولذا نجد أن ثراء اللغة في المسميات يعتمد على وجود وتنوع الظواهرات المختلفة في البيئة الواحدة . فعلى سبيل المثال تكثر في اللغة العربية الأسماء المرتبطة بالإبل . ولو أحصيت المفردات التي ترتبط بالإبل لوجدت أنها كثيرة جداً والسبب في ذلك هو توافر الإبل في البيئة العربية وكثرة استعمال الإبل في حياة العرب .

ولو نظرنا في أسماء النبات ، وأخذت مثلاً فصائل النخيل وأنواعها وأسماءها لوجدت أن اللغة العربية تعطيك رصيلاً بالغ الأهمية تتعدد فيه الكلمات والأنواع . ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن السيف والخيل العربية ونحوها . ولو نظرنا إلى المعاجم الإنجليزية لم نظفر سوى بكلمات محدودة تبرز معاني هذه الأنواع من الحيوان والنبات .

وإذا نظرنا إلى بيئة أضيق كالمدينة والقرية لوجدنا في المدن على سبيل المثال أن الكلمات الدالة على الشوارع مثلاً كثيرة ومتنوعة ، فهناك الطريق الرئيس والطريق الفرعي والشارع المزدوج والشارع المغلق (Dead End) . وهناك الدخلة والرصيف وممرات العبور والإشارات الضوئية وعلامات الطرق وغير ذلك من الأمور المرتبطة بحركة السير على الطرق . ولن نجد كثيراً من هذه التعبيرات مفهوماً عند ابن القرية الذي لا يعرف سوى شارع رئيس واحد وبجانبه شوارع ضيقة ذات صفات متشابهة ومتماثلة .

وبالمقابل يحدثك الريفي بطلاقة عما يقع تحت ناظريه من أنواع الأعشاب والحشائش والمزروعات وأنواع الطيور وغير ذلك مما تحويه بيئته المحيطة به . وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن التعمق في مفهوم اللغة لدى المواطن العادي ليس مرده إلى التعليم فحسب . بل إلى ما يحيط بالمرء من ظواهرات وما يستعمله من أدوات وما يطلبه من حاجات .

وفي هذا المجال تستعير اللغات من بعضها البعض ما ينقصها من تعابير يحتاج إليها متكلموها. فعلى سبيل المثال دخلت إلى لغات العالم الإسلامي أجمع الكلمات العربية التي تحمل معاني إسلامية، لأنه لم يكن لها نظير في لغاتهم الخاصة، لذا نجد أن كلمات الوضوء والزكاة والصلاة والحج والعمرة والصيام وغير ذلك من الكلمات أصبحت جزءاً لا يتجزأ من لغات العالم الإسلامي غير العربي.

وحتى العربية استعارت من الفارسية بعض تعابيرها خاصة في الأمور المرتبطة ببعض النواحي الاجتماعية مثل بعض أنواع الطعام وكذلك اللباس وأنواع الفرش والأثاث التي لم يكن لها نظير في حياة العرب الاجتماعية. ونرى اليوم أن لغات العالم المختلفة تبني كلمات عديدة تظهر حديثاً خاصة تلك المرتبطة بالمخترعات العلمية التي تأخذ المسمى نفسه تقريباً في جميع دول العالم.

نخلص إلى القول أن البيئة المحيطة بالجماعات البشرية، وما يحيط بهذه الجماعات من ظاهرات، وما لديها من اختراعات، يحفزها على إطلاق المسميات على هذه الأمور. وما أن تظهر الحاجة إلى هذه الأمور في بيئات أخرى تنتقل هذه الأمور حاملة معها أسماءها واشتقاقاتها إلى اللغات الأخرى، وتدخل في تراث هذه الأمة الحضاري، إما بمسمياتها الحقيقية أو بمسميات تنحت لها من اللغة المضيفة أو تدخل بعد أن يطرأ عليها بعض التعديلات التي توافق النطق واللسان لأصحاب اللغة المضيفة.

الدلالات اللغوية لأسماء الأماكن والظواهرات المختلفة تتأثر بالبيئة تأثراً كبيراً. ويتجلى هذا التأثير البيئي في مفردات اللغة وفي توزيع وانتشار اللغة ذاتها. فعلى سبيل المثال إذا نظرت في تاج العروس أو في القاموس المحيط لوجدت أن ما يزيد عن ربع مفردات كل منها يرتبط بأسماء الأماكن الجغرافية الموجودة في شبه الجزيرة العربية، ولا غرابة في ذلك فالبيئة الطبيعية تنعكس في اللغة، وفي المفردات

اللغوية التي تعبر عن هذه البيئة . فاللاندسكييب أو المظهر الحضاري ، وهو البيئة التي طورتها يد الإنسان ، يحمل في ثناياه الآثار اللغوية . وأكثر الأمور بروزاً في هذا الشأن هي الأسماء التي يطلقها الإنسان على مظاهر الأرض المختلفة ومظاهر المستوطنات البشرية وخصائص الأرض وغير ذلك مما يحيط بالإنسان وبيئته .

وتتنوع وتتعدد طرائق وأشكال التسميات . ففي بعض الأحيان يكون في الاسم الذي يطلق على الظاهرة بعض خصائص هذه الظاهرة فمسمى نجد وتهامة تتضمن الارتفاع والانخفاض على التوالي ، وتعبير حجار أطلق على المناطق التي تحجز تهامة عن نجد . وأحياناً يكون العكس هو الصحيح فمفازة التي تطلق على الصحراء هي في الواقع مهلكة ، وكذلك كلمة " سليم " التي تطلق على من تلدغه الأفعى والذي يكون مصيره الموت غالباً هي من باب التيمن والفأل .

وتعرف الأماكن أحياناً بسكانها مثل ديار ربيعة ومضر وديار غامد وزهران وديار طيء وعنزة . وأحياناً يكون للون الظاهرة أثر في التسمية كالريان التي تعني البانج ، وكسواد العراق التي أطلقت لشدة الخضرة التي تشبه السواد في هذه المناطق لكثرة الزراعة في المنطقة .

ويلعب التاريخ دوراً بارزاً في أسماء المواقع ودلالات الألفاظ ، حيث تعكس هذه الأسماء الأصول الأولى التي انحدرت منها الشعوب . فهناك العديد من أسماء المواقع تتألف من مقطعين أحدهما تاريخي (Generic) له معنى موحد والثاني له معنى خاص . فمثلاً في كثير من الأقطار العربية نجد أسماء مثل كفر الشيخ (في مصر) وكفر الدوار (في مصر) وكفر قدوم (في فلسطين) وكفر أسد (في الأردن) . فكلمة كفر هي المقطع التاريخي . وكفر باللغة الآرامية تعني القرية . أما المقطع الثاني وهو الخاص الذي يميز القرية عن غيرها . والمقطع الخاص يكون اسماً لشخص (الشيخ) أو موقع (الدوار) أو أداة (قدوم) أو حيوان (أسد) . . . إلخ .

وهذه الأسماء التاريخية لها أهمية كبيرة في دراسة المجموعات اللغوية، ذلك لأنها تتكرر كثيراً وتتعدد مواقعها، ولا تقتصر على بلد دون آخر داخل المنطقة الحضارية الواحدة، وربما تعدتها إلى مناطق حضارية أخرى.

وفي كل لغة نجد العديد من هذه الأسماء التاريخية التي تعتبر علامات حضارية مميزة. فعلى سبيل المثال نجد أن كلمة (ستان) بالفارسية والتركية تعني (أرض) أو (بلد) أو (دولة). لذا نجد العديد من الأقطار التي يدخل فيها هذا المصطلح كجزر أو أصل تاريخي (باكستان- أرض الأقطار، أفغانستان- بلد الأفغان، أوزبكستان- بلاد الأوزبك، طاجكستان- بلد الطاجيك... الخ). وفي اللغة الفارسية والأردية هناك مصطلح (أباد) ومعناه المدينة أو المستوطنة البشرية ونجد هذا المصطلح يدخل في أسماء العديد من المدن (حيدر أباد، إسلام أباد، الله أباد... الخ).

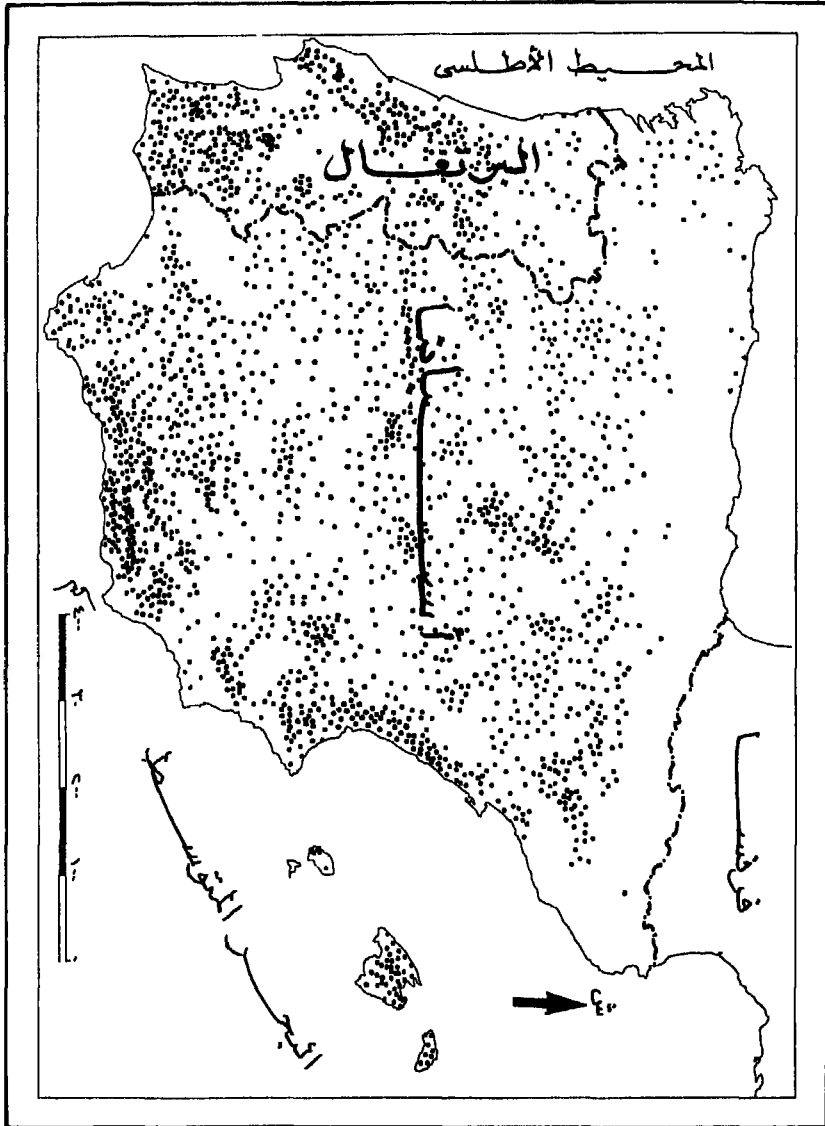
إن مثل هذه الجذور التاريخية للكلمات المركبة يمكن من خلالها معرفة كيفية انتشار الحضارة وغالباً ما تساعدنا هذه التعابير على تتبع الماضي الحضاري لمنطقة ما وملاحظة التغيرات التي طبعها الإنسان على محيطه البيئي المجاور.

إن أسماء المواقع تبقى حقبة طويلة حتى بعد ذهاب الحضارات والدول التي وضعتها. وأسماء مثل هذه الأماكن تبقى شواهد حية ودلالات تاريخية على الماضي الحضاري الذي عاشته هذه الأقطار. فعلى سبيل المثال خضعت أسبانيا للحكم الإسلامي مدة تزيد عن ثمانية قرون. وقد ترك المسلمون أسماء مئات المواقع التي بقيت إلى يومنا هذا كشواهد على حكم المسلمين لتلك الديار. والشكل رقم (٥) يظهر المواقع ذات الأسماء العربية في أسبانيا والبرتغال. ومن خلال هذا الشكل الذي تصور كل نقطة منه اسماً عربياً يظهر لنا أن المواقع ذات الأسماء العربية محفوظة في ذاكرة التاريخ، لتظهر مقدار النفوذ العربي في تلك الأقطار بالرغم من

روال هذا التأثير منذ عهد بعيد جداً. فمثلاً البادئة Guada بالأسبانية تشير إلى كلمة نهر أو وادي. وهذه الكلمة Guada هي تحريف للكلمة العربية "وادي" فمثلاً Guada Iguivir ماهي إلا تحريف للكلمة العربية الوادي الكبير.

نخلص إلى القول أن الدلالات اللغوية لأسماء الظاهرات والأماكن تلقي الضوء على طبيعة المكان وعلى التغيرات البيئية التي أجراها الإنسان على هذا المكان. وتبرز أهمية الأسماء كشواهد تاريخية نحتاج إليها في بعض الأوقات التي تنقصنا فيها الوثائق والبراهين التاريخي.

شكل (٥) المواقع ذات الأهمية العربية في أسبانيا وأندلس



المحور الاقتصادي لجغرافية العالم الإسلامي الحضارية

هناك ثورتان اقتصاديتان أسهمتتا في تطور الحضارة البشرية تطوراً ملموساً وأحدثتا فيه تغييرات جذرية أولاهما: الثورة التي صاحبت قيام الزراعة واستئناس الحيوان والتي حدثت في أوائل العصور التاريخية. وقد طبعت هذه الثورة بصماتها على الأرض بصورة مناطق حضارية مختلفة. وبالرغم من أن المظهر الزراعي هو في تغير دائم إلا أنه مع هذ يبقى نافذة نطل منها على ماضي هذه المناطق وتتعرف من خلالها على الماضي الحضاري للسكان.

أما الثورة الثانية فهي الثورة الصناعية التي حدثت منذ قرنين من الزمن ولا يزال مفعولها سارياً حتى يومنا هذا. وقد كان لهذه الثورة أبعاد مهمة تفوق أبعاد الثورة الأولى، فقد دخلت مجتمعات العالم المختلفة في سباق محموم من أجل زيادة الإنتاج، وتصاحب ذلك مع ظهور المخترعات الحديثة والاكتشافات العلمية المتنوعة التي ساهمت في تطوير حاجات الإنسان وبخاصة الصناعية منها. وقد ترافق كل ذلك مع زيادات كبيرة في أعداد السكان تبعها هجرات واسعة إلى مختلف مناطق العالم. وقد اقترن كل ذلك بتعديل وتطوير البيئات الطبيعية في مختلف مناطق العالم.

إن غرضنا الذي نهدف إليه هو دراسة المحور الاقتصادي للعالم الإسلامي من وجهة نظر حضارية. ولذا سوف نحاول دراسة أثر كل من الزراعة والصناعة في تكوين المناطق الحضارية السائدة في العالم الإسلامي. وتأثير كل منهما في تشكيل البيئات الحضارية المميزة والمؤثرات الدينية والاجتماعية التي صاغت هذه البيئات في ربوع عالمنا الإسلامي.

الأقاليم الزراعية وأنماطها الحضارية :

الزراعة نمط حياة يمكن من خلالها الحصول على الغذاء والكساء ومتطلبات الحياة الأخرى، وهي حرفة البشرية الأولى خلال القسم الأكبر من تاريخها. وقد عمل الإنسان من خلال مهنة الزراعة على إجراء الكثير من التغييرات والتعديلات على البيئة الطبيعية، مما نجم عنه مظهر حضاري مميز لكثير من بيئات العالم، تحمل بصمات الزراعة، وما تتضمنه من محاصيل متنوعة وأساليب رراعية متباينة، وأنماط حياة مختلفة.

إن حرفة الزراعة وتربية الحيوان قد انتشرت من قلب العالم القديم إلى مختلف أجزاء العالم الأخرى. وبمرور الزمن تطورت الأساليب الزراعية في كل منطقة من مناطق العالم بصورة تختلف عن المناطق الأخرى، تبعاً لاختلاف الظروف الطبيعية والمقومات البشرية، الأمر الذي نجم عنه تغييرات مكانية في الحضارات الزراعية المختلفة. وفي العادة يحاول المتخصصون في الجغرافيا الزراعية أن يلقوا الأضواء على المفارقات الإقليمية من خلال مفهوم المناطق الحضارية الزراعية.

لقد فرض تنوع المناطق المناخية في العالم الإسلامي تنوع المزروعات، الأمر الذي أدى إلى وجود أقاليم زراعية متعددة. ومن الجدير بالذكر أن أقطار العالم الإسلامي لا تزال بلاداً زراعية على الرغم من التقدم الصناعي الذي أخذ طريقه إلى بعض هذه الأقطار. ولا تزال الزراعة تحتل أكبر نسبة من الأرض. ويشغل فيها معظم السكان. ومعظم المشروعات الاقتصادية هي مشروعات زراعية، وهي عماد غذاء السكان، وهي المادة الأولية للصناعة، والمادة الأولى في قائمة الصادرات لمعظم الدول الإسلامية.

ويظهر الشكل رقم (٦) الأقاليم الزراعية المميزة لمختلف مناطق العالم الإسلامي. ومن هذا الشكل يمكن رؤية أنواع متعددة من المناطق ذات الطابع الحضاري المميز والذي يضم أنشطة الزراعة والرعي معاً وذلك على النحو التالي:

أقاليم الزراعة المتنقلة البدائية: تمارس في بعض المناطق المحدودة الانتشار بالعالم الإسلامي نوع من الزراعة المتنقلة التي تظهر مدى ارتباط الإنسان بالملامح البيئية الطبيعية لبطانة احتياجاته وقدراته على حد سواء، حيث تقتصر الاحتياجات هنا على المأكل والملبس والسكن. وتقوم الزراعة هنا على إحراق أجزاء من الغابة بهدف زراعتها بمحاصيل ذات طابع غذائي لعدد من السنوات، حيث تضعف خصوبة التربة، فيهجرها السكان إلى مناطق أخرى مجاورة يستصلحونها ويستغلونها بالطريقة السابقة نفسها مما يتيح الفرصة للنباتات الطبيعية للظهور مرة أخرى فوق الأرض المهجورة فتعود لها خصوبتها تدريجياً.

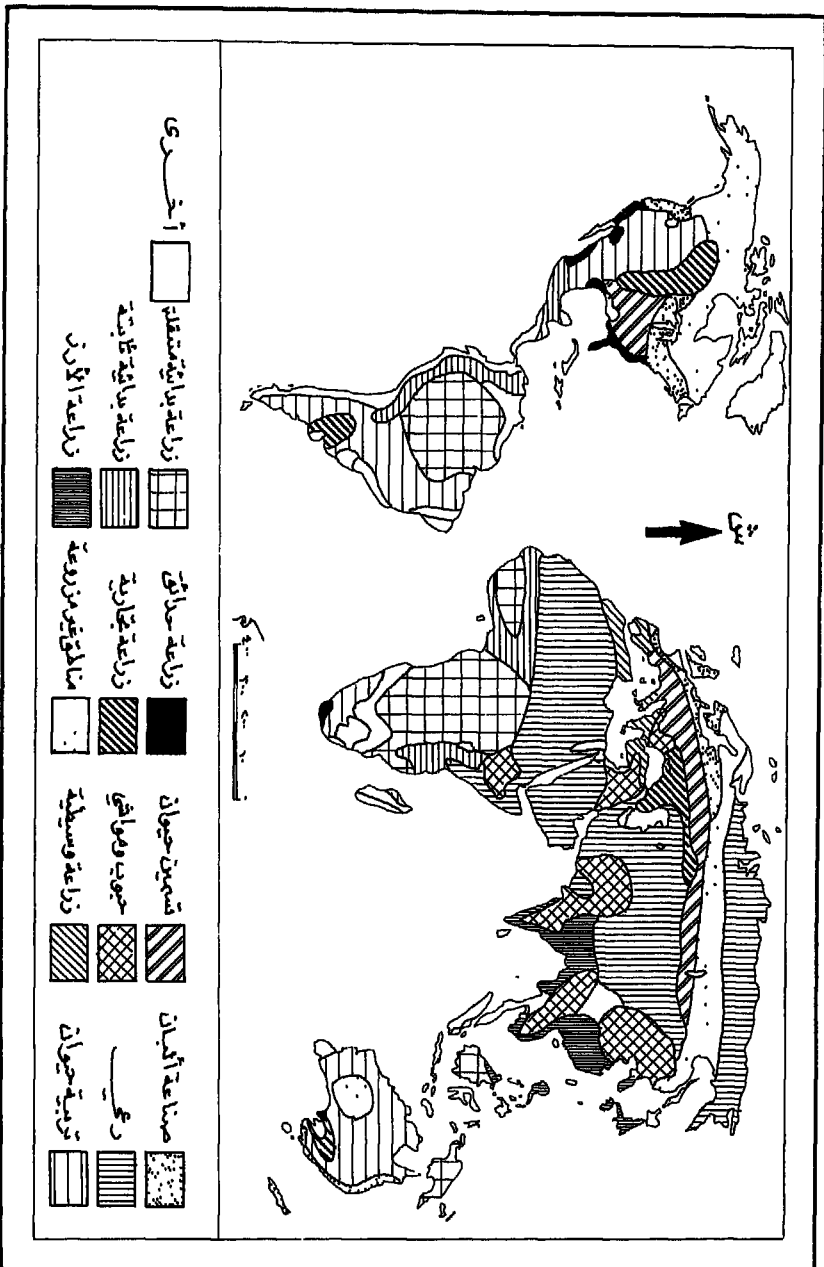
ويوجد هذا النوع من الزراعة البدائية المتنقلة في نطاقات متفرقة تتوزع على الجانبين الآسيوي والأفريقي من العالم الإسلامي، وإن كانت أكثر انتشاراً في الجانب الأفريقي، حيث توجد في بقع متناثرة تتوزع في الأقاليم المدارية الممتدة بين ساحل المحيط الأطلسي في الغرب وهضبة البحيرات في الشرق. وفي آسيا توجد في الأجزاء الداخلية من شبه جزيرة الملايو ونطاقات مبعثرة من جزر سليمان وبورنيو وسومطرة في أندونيسيا.

وتباين المحاصيل المزروعة في نطاقات الزراعة البدائية، غير أن كلها محاصيل غذائية تتراوح بين الأرز وبعض المحاصيل الدرنية في الجانب الآسيوي، والدخن والذرة واليام والكسافا والفول السوداني في الجانب الأفريقي. وقلما يعتمد السكان هنا على تربية الحيوان، بل يقومون بالاعتماد على الصيد البري من الغابة أو الصيد البحري البدائي من المناطق البحرية المجاورة. ومن الجدير بالذكر أن معظم النشاطات الزراعية تقع على عاتق النساء، بينما يتولى الرجال الصيد البري أو البحري لتأمين بعض الاحتياجات الضرورية.

إقليم الزراعة البدائية المستقرة: هناك نوع من الزراعة المدارية التقليدية يعرف باسم الزراعة البدائية المستقرة Rudimentary Sedentary Cultivation . ويوجد هذا النمط من الزراعة في المرتفعات والأودية الجبلية في المناطق المدارية وفي سهول بعض الأنهار. ويختلف هذا النوع من الزراعة عن الزراعة المتنقلة بأن المزارع والحقول ثابتة ودائمة. ويحتفظ المزارعون بقطعان من الثروة الحيوانية للمساعدة في توفير الاحتياجات الأساسية، غير أنهم يعتمدون على الزراعة بصورة رئيسة. ويندر عند هؤلاء الصيد البري أو البحري. وبالرغم من أن النساء لهن دور بارز في هذا النمط الزراعي، فإن الرجال وحدهم في الغالب هم الذين يقومون بهذه الخدمة.

وترتفع الكثافات السكانية لدى هؤلاء السكان إذا ما قورنت بالزراعة المتنقلة. والحضارة عند هؤلاء أكثر تقدماً وتعقيداً من سابقتها. وتقوم الزراعة هنا على محاصيل الذرة والدخن وعلى تربية بعض الأبقار والأغنام وبعض حيوانات الحمل. ويوجد هذا النمط الزراعي في بعض مناطق أفريقيا الإسلامية وخاصة في بعض مناطق الهضبة الاستوائية (تنزانيا، أوغندا) وفي المناطق الداخلية من أقطار خليج غينيا (نيجيريا، بنين، بوركينافاسو، ساحل العاج وسيراليون)، (انظر الشكل ٦).

وبتأثير الاستعمار دخلت مزروعات مهمة إلى هذه الأقاليم كان الغرض منها إنتاج محاصيل لا تتوافر في الدول المستعمرة، فظهرت أنماط من زراعة الحدائق Farm gardening لإنتاج الفول السوداني (أقطار غربي أفريقيا)، والكاكاو (نيجيريا)، والتوابل (جزيرة زنجبار في تنزانيا)، والبن (أوغندا وتنزانيا إضافة إلى اليمن وأثيوبيا).



الأنماط الزراعية في المساحة

شكل (٦)

إقليم الزراعة الوسيطة: تشكل الأراضي المحيطة بالبحر المتوسط نمطاً زراعياً خاصاً من الزراعة المعاشية التي وجدت منذ أقدم عصور التاريخ ، ولا يزال هذا النظام الزراعي سائداً إلى يومنا هذا. وتقوم الزراعة في هذا الإقليم الحضاري على زراعة القمح والشعير في الفصول المطيرة وبجانباها زراعة الأشجار المثمرة والفواكه (الزيتون، التين، العنب، الحمضيات) إلى جانب الثروة الحيوانية المكونة من الأغنام والماعز وبعض الأبقار. وقد ساعد استعمال الري على توسيع النطاقات الزراعية، وزيادة محاصيل الحبوب (١٠٪ من الإنتاج العالمي) والأشجار المثمرة وخاصة الحمضيات والفواكه.

ومن الجدير بالذكر أن المزارع في حوض البحر المتوسط وبخاصة في الشرق الإسلامي لا يقوم بتربية الماشية داخل المزرعة ليغذيها على محاصيل يقوم بزراعتها خصيصاً لذلك، بل إن قطعان الماشية لها رحلة يومية إلى سفوح الجبال والمناطق غير المزروعة لتتالغذاءها للاحتفاظ بأكبر مساحة ممكنة من الأراضي الزراعية.

إن المناشط الثلاثة التي يستعملها الفلاح في حوض المتوسط وهي زراعة الحبوب والأشجار المثمرة وتربية الحيوان تقدم له كافة متطلبات الحياة، حيث يحصل على الطعام والشراب واللباس. وقد أوجد هذا لدى سكان هذه المناطق نوعاً من الرفاه الاقتصادي مقارنة مع مناطق أخرى من العالم.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي طرأت تغييرات جوهرية على نظم الزراعة الوسيطة في كثير من أقطار الشرق الأوسط الإسلامية، حيث قامت زراعات تجارية هدفها الحصول على عوائد اقتصادية مجزية. فقامت مزارع العنب في أقطار شمالي أفريقيا التي يصدر معظم إنتاجها إلى فرنسا، كذلك مزارع الحمضيات في بلاد الشام واستصلحت مساحات واسعة من الأراضي الجبلية وسفوح المنحدرات لزراعة الزيتون في المغرب العربي والهلال الخصيب. ولم يعد الكثيرون

من المزارعين يقومون بالأعمال الزراعية الوسيطة مجتمعة وهي: (زراعة الحبوب وزراعة الأشجار المثمرة وتربية الماشية) بل أصبح الكثير منهم يتخصص في جانب واحد يحقق له دخلاً أعلى مما لو جمع بين هذه الأنماط معاً، وقد توسع هذا النمط الزراعي الجديد الذي دخل إلى الأراضي الصحراوية وشبه الصحراوية، حيث نجد أن هذا النمط الزراعي أخذ يغزو الكثير من مناطق السعودية والأردن والمناطق الهامشية الجنوبية من أقطار المغرب العربي ومصر، وخاصة في المناطق التي يتوافر فيها الماء الجوفي، حيث أقيمت مزارع حديثة متخصصة في إنتاج الحبوب والخضراوات والفواكه والزيتون على أسس علمية بهدف تجاري وتصديري. ويحتل العالم الإسلامي المرتبة الأولى في إنتاج العنب والزيتون والحمضيات الذي يأتي معظمه من أقطار هذا الإقليم (تركيا وأقطار المغرب العربي وبلاد الشام).

إقليم زراعة الأرز: إن المناطق الرطبة من القارة الآسيوية قد طورت نوعاً من النشاط الزراعي يقوم على زراعة الأرز. وهذا النطاق يشمل في آسيا الأقاليم الممتدة من السواحل الموسمية في شبه القارة الهندية إلى التلال الجنوبية الشرقية من بلاد الصين والمناطق الدافئة من اليابان. ويقع جزء من هذا النطاق الزراعي ضمن الأراضي الإسلامية في بنغلاديش وبعض مناطق باكستان وإندونيسيا. ومعظم الزراعة تقوم على السهول الفيضية أو على المدرجات الجبلية.

تتصف الزراعة هنا بأنها من النوع الكثيف حيث المزارع محدودة المساحة لاتزيد في الغالب مساحة المزرعة الواحدة عن ثلاثة أفدنة، وغالباً ماتقوم الزراعة على أكتاف الأسرة. ويعتمد المزارع على تعدد دورات المحصول، حيث تزرع الأرض عدة مرات، وذلك لضمان الحصول على أكبر إنتاج. كما يعتمد المزارع على الأسمدة الطبيعية لزيادة إنتاج الأرض. وفي السنوات الأخيرة طرأ تحسن على كمية الإنتاج نظراً لتطوير وتحسين البذور الخاصة بزراعة الأرز في هذه المنطقة بحيث أصبح إنتاج العالم الإسلامي من الأرز يوازي ١٨٪ من إجمالي إنتاج العالم.

تقوم بين ثانيا حقول الأرز الممتدة في هذا الإقليم لآلاف الكيلومترات بعض المحاصيل التجارية التي اكتسبت شهرة عالمية، وذلك مثل المطاط الذي تنتج الاقطار الإسلامية منه أكثر من ٥٣٪ من الإنتاج العالمي وتركز زراعته في إندونيسيا وماليزيا التي تحوي أيضاً جوز الهند (٣٠٪ من الإنتاج العالمي) وكذلك نخيل الزيت (٨١٪ من الإنتاج العالمي) والقطن الذي يزرع بكثرة في هذا الإقليم ومختلف الأقاليم الأخرى، ويبلغ حجم المنتج منه في العالم الإسلامي أكثر من ٦٧٪ من جملة الإنتاج العالمي. والجوت الذي تسهم بنغلادش وحدها بـ ٨٩٪ من كميته المطروحة في الأسواق العالمية. وكذلك قصب السكر الذي تسهم كل من باكستان وإندونيسيا إضافة إلى مصر بأكثر من ٧٪ من الإنتاج العالمي. وأخيراً الشاي الذي تحتل إندونيسيا المرتبة الرابعة في إنتاجه عالمياً بعد كل من سريلانكا، والهند، والصين وتنتج منه مايقرب من ٧٪ من جملة الإنتاج العالمي.

وبجانب الزراعات السابقة تربي معظم أقطار هذا الإقليم الأبقار والأغنام وكذلك الدواجن ويقوم الناس بامتهان حرفة الصيد البحري من المناطق البحرية المجاورة.

أقاليم الرعي: يعتبر الرعي من الحرف الواسعة الانتشار في العالم الإسلامي، حيث تحتل المراعي الطبيعية مايقرب من خمس مساحة العالم الإسلامي (٢١٪). وتنتشر هذه المراعي في الأقاليم الشمالية على هيئة مراعى معتدلة، حيث تنمو حشائش الاستبس في جهات واسعة من وسط آسيا الإسلامية وغربها إضافة إلى المناطق الشمالية من قارة أفريقيا. أما في المناطق الجنوبية فتتمو حشائش السافانا المدارية حيث المراعي الحارة التي تنتشر فوق مساحات واسعة من أفريقيا الإسلامية. وهناك المراعي الصحراوية التي تنتشر في المناطق الوسطى من العالم الإسلامي وتفصل بين المراعي المعتدلة في الشمال والمراعي الحارة في الجنوب وهي أكثر فقراً وأقل تنوعاً وترتبط بالمناطق الصحراوية حيث تعيش الجماعات البدوية المتنقلة (انظر شكل ٦).

وتختلف حيوانات الرعي بين منطقة وأخرى . ففي مناطق السافنا وأطراف المنطقة الاستوائية والبقاع المستنقعية تكثر الأبقار والجواميس وتكون قيمتها كمظهر اجتماعي أكثر من قيمتها الاقتصادية كما هو الحال في السودان . ومن الجدير بالذكر أن معظم قطيع العالم الإسلامي من الأبقار لا يأتي من هذه المناطق الرعوية بل يأتي من مناطق زراعة الأرز مثل باكستان وبنغلادش إضافة إلى تركيا وقازاقستان .

أما في مناطق الاستبس وأطراف البوادي وعلى هامش السافنا فتكثر الأغنام والماعز . ويعيش معظمها على نطاق واسع في تركيا وقازاقستان وإيران وأفغانستان . وتكثر في البلاد العربية في المغرب والعراق والسودان . وتحوي تركيا وقازاقستان وإيران أكثر من نصف قطيع الأغنام والماعز الموجودة في كافة بقاع العالم الإسلامي . أما الإبل فموطنها صحاري العالم الإسلامي ، لذا تكثر في الصومال وتشاد والسودان والسعودية .

إن حرفة الرعي البدوي المتنقل في تضاؤل مستمر . فقد أقرت الحكومات سياسات خاصة بتوطين هؤلاء منذ أيام الاستعمار الفرنسي والبريطاني في مناطق شمالي أفريقيا وجنوب شرقي آسيا . وقد مارس الاتحاد السوفيتي السابق ضغطاً كبيراً على سكان وسط آسيا الإسلامية لحملهم على الاستقرار والتوطين .

وبجانب التوطين المخطط هناك التوطين والاستقرار التلقائي ، حيث يهجر هؤلاء حرفة الرعي للعمل في المدن وبخاصة في مناطق إنتاج البترول في آسيا وأفريقيا . وقد لعبت الظروف الطبيعية السيئة مثل الجفاف وانجاس الأمطار دوراً كبيراً في هلاك الثروة الحيوانية ، الأمر الذي أجبر عدداً كبيراً من هؤلاء على التوطين والاستقرار .

إذا نظرنا إلى المناطق السابقة نجد أن الزراعة وتربية الحيوان هي التي طبعت كلا منها بطابع مميز . ويظهر هذا الطابع في استعمالات الأرض المختلفة في كل إقليم من الأقاليم السابقة . وإذا أخذنا اختلاف العوامل البيئية لكل إقليم بعين

الاعتبار، وجدنا أنه داخل هذا الإطار المكاني الذي نطلق عليه العالم الإسلامي أطر حضارية متعددة لعبت الزراعة بأنواعها المختلفة وحاصلاتها المتباينة وأنماطها المتعددة دوراً كبيراً في تشكيلها.

الصناعة والأنماط الحضارية المرتبطة بها :

إذا حاولنا دراسة الأقاليم الصناعية في العالم الإسلامي كما فعلنا عند دراستنا للأقاليم الزراعية ذات الطابع الحضاري فلن يكون التوفيق حليفنا لأن الصناعة لا تشكل نطاقات جغرافية مميزة كالزراعة، بل تحتل في عالمنا الإسلامي نقاطاً مبعثرة لا تشكل في مجموعها إقليماً موحداً. وحتى في داخل البلد الواحد نجد أن المناطق الصناعية تنتشر على هيئة نقاط متباعدة. وكلما تتقارب هذه النقاط لتشكل إقليماً واحداً كالأقاليم الصناعية في أوروبا وأمريكا واليابان. ولذلك من الصعب أن نتحدث في العالم الإسلامي عن مناطق صناعية، لها سمات حضارية مميزة، كالتى تحدثنا عنها عند دراستنا للزراعة. وقد يكون الحديث عن بؤرات صناعية بدلاً من أقاليم أو مناطق صناعية أكثر توفيقاً. وسنحاول دراسة الصناعة في العالم الإسلامي من وجهة نظر حضارية، وبعبارة أخرى الوجه الحضاري للصناعة في عالمنا الإسلامي. إن المظهر الحضاري للبشرية في الوقت الحالي يرتبط بالصناعة وما ينجم عنها من خدمات ومنتجات. وتظهر الفروق الحضارية الواسعة بين الأقطار الصناعية وغير الصناعية كما تظهر في الاختلافات الواسعة في أنواع الصناعات المنتشرة، وفي نظام المواصلات، وفي التغيرات التي تحدثها الصناعة في مظاهر البيئة ومظاهر الحياة المختلفة.

تنقسم الصناعة إلى ثلاث مراتب هي :

١- الصناعات الأولية: وهي التي ترتبط باستخراج المواد الطبيعية من الأرض، ولذلك تعرف أحيانا باسم الصناعات الاستخراجية، وتشمل قطع الأخشاب، وصيد الأسماك، والتعدين وبعضهم يرى أن الزراعة أيضاً تدخل هذا المسمى.

٢- الصناعات الثانوية: وتعرف باسم التصنيع أو الصناعات التحويلية وهي تحويل المواد الأولية وتطويرها إلى خامات مصنعة صالحة للاستعمال. فالحديد الخام يتحول من خلال التصنيع إلى فولاذ، والأسماك المصادة تدخل عالم الحفظ والتعليب، وأخشاب الغابة تتحول إلى مواد صالحة لصناعة الأثاث أو لبناء البيوت والمصانع.

٣- النشاطات الصناعية من الدرجة الثالثة: وهي لاتشمل الصناعات الاستخراجية ولا الصناعات التحويلية بل تشمل توزيع المنتجات والخدمات. ولهذا فهي ترتبط بأمور البنوك والخدمات المالية والأعمال الثقافية والصحية والخدمات الحكومية ورجال الأعمال وخدمات النقل والاتصالات وغير ذلك من الأمور الخدمية.

ومن الجدير بالذكر أنه يجب أن ينظر إلى هذه النشاطات الاقتصادية سواء أكانت صناعية أولية أو ثانوية أو نشاطات ثالثة على أنها وحدة متكاملة ومتراصة، ويؤثر كل منها بالآخر ويتأثر به لكننا سنركز حديثنا على النوعين الأولين فقط وذلك على النحو التالي:

أولاً: الصناعات الأولية:

تقوم الصناعات الأولية على استخراج الموارد الطبيعية المتجددة وغير المتجددة، فالموارد المتجددة تشمل قطع الغابة والصيد البحري. أما الموارد غير المتجددة فتقوم على استخراج المعادن ومصادر الطاقة التي تنتهي باستخراجها من الأرض.

تنتشر الصناعات الأولية في معظم الأقطار الإسلامية بصورة أو بأخرى، ويختلف حجمها وطريقة استغلالها على مدى تقدم الدولة التي تحوي هذه المادة من جهة، وعلى الحاجة العالمية لهذه المادة من جهة أخرى وعلى تكلفة المواصلات اللازمة لنقلها نحو مناطق التصنيع أو التصدير من جهة ثالثة.

ويمكن أن نميز في عالمنا الإسلامي مناطق لقطع الأخشاب، وأخرى لصيد الأسماك، وثالثة لاستخراج المعادن والطاقة. وسنطلق على هذه البؤرات تجاوزاً تعبير مناطق أو أقاليم نظراً لتشتتها في التوزيع وعدم تكوينها نطاقات ممتدة ومميزة كما يلي:

(أ) مناطق قطع الأخشاب: إن تنوع المناخ في العالم الإسلامي أعطى الفرصة لانتشار الغابات وتنوعها. فهناك الغابات المدارية الحارة ذات الأخشاب الصلبة في الأقاليم الجنوبية، بينما تنتشر الغابات المعتدلة في الأقاليم الوسطى حيث الغابات الوسيطة والغابات النفضية، وتمتد الغابات المخروطية ذات الأخشاب اللينة في الأقاليم الشمالية والنطاقات الجبلية العالية من العالم الإسلامي.

ومعظم إنتاج الأخشاب في العالم الإسلامي يأتي من الأقاليم المدارية الجنوبية وخاصة من إندونيسيا وماليزيا في آسيا ونيجيريا وغينيا وأفريقيا الوسطى وتنزانيا في أفريقيا. وتمتاز الأخشاب الآسيوية في إندونيسيا وماليزيا بإنتاج أخشاب الساج (التك) الصلبة التي تتميز باحتوائها على نسبة عالية من الزيوت التي تعطيها القدرة على مقاومة المياه المالحة ومقاومة العفونة والبلل ومقاومة الحشرات وخاصة النمل الأبيض لذلك تستخدم في صناعة بناء السفن وفي دعامات أنفاق المناجم.

أما الأخشاب الأفريقية التي تنتجها نيجيريا وغينيا وأفريقيا الوسطى وتنزانيا والسودان فمعظمها من نوع الأبنوس المهوجني الصلبة الغالية الثمن وتستعمل في إنتاج الأثاث الخشبي الممتاز، والغابات المعتدلة في الأقاليم الشمالية يتركز القسم الأعظم منها على المرتفعات خاصة في تركيا وإيران وبلاد الشام والمغرب العربي. والأخشاب هنا خفيفة وسهلة التشكيل لذلك يستخدم معظمها في صناعة صناديق التعبئة المختلفة بالإضافة إلى الأغراض الأخرى.

(ب) مناطق صيد الأسماك: يمتاز العالم الإسلامي بوجود سواحل بحرية طويلة على المحيط الأطلسي والهادي والهندي، وكذلك سواحل البحار الكبرى مثل البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي والبحر الأسود وآرال وقزوين إضافة إلى مياه الأنهار والبحيرات التي تنتشر في ربوع العالم الإسلامي.

غير أنه على الرغم من طول هذه السواحل وتعدد البحار المحيطة بها وكثرة المياه الداخلية إلا أن إنتاج العالم الإسلامي محدود لا يتجاوز ٧٪ من الإنتاج العالمي. ولعل ضيق الرصيف القاري لكثير من البلاد الإسلامية، إضافة إلى ارتفاع درجة حرارة المسطحات المائية، واقتران ذلك كله بالأساليب البدائية في الصيد، جعل إنتاج العالم الإسلامي محدوداً في هذا المجال. وأكثر مناطق الصيد البحري إنتاجاً هي إندونيسيا وبنغلادش وماليزيا ثم المغرب ونيجيريا وباكستان ومصر.

(ج) مناطق التعدين: تتنوع المعادن المستخرجة من أراضي العالم الإسلامي تبعاً لتنوع التكوين الصخري والتركيب الجيولوجي وعوامل التعرية والحركات التكوينية التي أصابت القشرة الأرضية. وكل هذه العوامل لعبت دوراً بارزاً في اختلاف نوعية وطبيعة الموارد المعدنية الموجودة في أراضي العالم الإسلامي.

أهم الثروات المعدنية في العالم الإسلامي. هو البترول المصدر الرئيس للطاقة في العالم ويوجد البترول في أربع مناطق متفرقة في العالم الإسلامي هي:

- ١- منطقة الخليج العربي في إيران والأقطار العربية المطلة على الخليج العربي (العراق، الكويت، السعودية، قطر، البحرين، الإمارات، عُمان).
- ٢- منطقة أطراف الصحراء الكبرى في أفريقيا حيث توجد أحواض الجزائر وليبيا ومصر وسواحل خليج غينيا ونيجيريا.
- ٣- منطقة بحر قزوين حيث توجد أحواض باكو في أذربيجان وغروزني في بلاد الشاشان، وفي قازاقستان وتركمانستان.
- ٤- منطقة الشرق الأقصى في إندونيسيا وماليزيا.

ويبلغ إنتاج الأقطار الإسلامية ما يقرب من ٦٠٪ من الإنتاج العالمي، كما يبلغ الاحتياطي ما يزيد عن ٨٠٪ من إجمالي احتياطي العالم (شاكر: ١٤٠٣هـ، ص ص ١٢٦-١٢٧). وتتصدر السعودية الإنتاج في العالم الإسلامي، تليها إيران ثم الكويت وليبيا ونيجيريا والجزائر وباقي الأقطار الأخرى.

وبجانب البترول هناك الغاز الطبيعي الذي تتركز حقوله في الدول العربية التي تنتج وحدها قرابة ٥٠٪ من الإنتاج العالمي. وتتصدر الجزائر والسعودية قائمة الدول المنتجة للغاز. أما خارج الدول العربية فهناك أوزبكستان وتركمانستان اللتان تحويان كميات لا بأس بها من الغاز.

أما المعادن ومصادر الطاقة الأخرى فهي محدودة نسبياً، حيث ينتج العالم الإسلامي أقل من ٣٪ من الإنتاج العالمي من الفحم، والذي يأتي معظمه من أقطار وسط آسيا الإسلامية (قازاقستان، وأوزبكستان، وقرغيزيا). إضافة إلى تركيا. وكذلك ٣٪ من الحديد الخام ويأتي من قازاقستان وموريتانيا وتركيا وبلاد المغرب العربي (الجزائر، المغرب، تونس) ومصر. وهناك النحاس الذي يكون ٤٪ من الإنتاج العالمي، ويستخرج من ماليزيا وتركيا والمغرب. وبجانب المعادن السابقة هناك معادن لها أهميتها على المستوى العالمي منها المغنيزيوم الذي ينتج العالم الإسلامي منه قرابة ٢٤٪ من الإنتاج العالمي، ويأتي معظم الإنتاج من المغرب ومصر وأذربيجان وكذلك معدن الكروم ويسهم العالم الإسلامي بـ ٤٠٪ من إنتاجه العالمي ويأتي من تركيا، والبنانيا، وقازاقستان وإيران وتسهم تركيا وحدها بما يزيد عن خمس الإنتاج العالمي من هذا المعدن. ويمثل القصدير ثروة مهمة على مستوى العالم الإسلامي حيث ينتج العالم الإسلامي قرابة ٤٦٪ من جملة الإنتاج العالمي، يأتي قرابة ٦٠٪ منها من دولة ماليزيا والباقي يأتي من إندونيسيا ونيجيريا. أما البوكسيت (الألمونيوم) فبالرغم من توزيعه الجغرافي المحدود في العالم الإسلامي حيث يوجد في أقطار وسط آسيا الإسلامية (قازاقستان وأذربيجان) وفي غينيا فإن المنتج منه يقارب ٢٠٪ من الإنتاج العالمي.

ثانياً: الصناعات التحويلية:

تمارس الدول الإسلامية الصناعات التحويلية على مستويات متباينة ويرجع ذلك إلى عوامل كثيرة أهمها مدى توافر الموارد اللازمة للصناعات، وكذلك وجود الكوادر الفنية الوطنية، ووجود الرساميل، والغرض من الإنتاج: هل هو لسد احتياجات السوق أم لأغراض التصدير؟

وجل الصناعات التحويلية التي تقوم في العالم الإسلامي بسيطة تعتمد على الموارد الخام المتوافرة في أقاليمه المختلفة. وهي عادة تخصص للاستهلاك المحلي، وقلما يصدر منها إلا القليل، وهذا شأن أكثر الصناعات الغذائية، كالسكر والزيوت والمعلبات وحلج القطن وغزله وطحن الحبوب وقطع الأخشاب ودبغ الجلود وصبغها وانتاج الصوف وغزله. وهذه الصناعات واسعة الانتشار وتوجد في معظم الأقاليم الزراعية في العالم الإسلامي.

وفي الجانب المعدي تقوم صناعات تعتمد على تركيز المعادن بعد استخراجها من خاماتها قبل تصديرها إلى الأسواق الخارجية، وذلك مثل صناعة تركيز النحاس والقصدير والزنك وفصل الشوائب من معدن البوكسيت وغيرها وتكرير قسم من النفط الذي يستخدم محلياً.

أما الصناعات الحديثة والمتطورة، فتتمثل في معامل تشكيل الحديد والصلب، ومعامل تصنيع الألمونيوم وبعض الصناعات الحربية الخفيفة، والعديد من الصناعات الكيماوية (الأدوية، الأسمدة، الإسفنج والصابون). وتنتشر في معظم الأقطار الإسلامية ظاهرة الصناعة التجميعية، حيث تستورد معظم القطع الرئيسة وتصنع القطع الثانوية محلياً وتستفيد الدولة بذلك من تشغيل الأيدي العاملة الوطنية. وتشجع الدول الغربية هذا النوع من الصناعات للاستفادة من رخص الأيدي العاملة المحلية، وفتح أسواق جديدة لصناعاتها، واحراز نفوذ قوي داخل هذه الدول، ومنع منافسة دول أخرى لها في هذا المجال. ومن ذلك صناعة السيارات باختلاف أنواعها، والآلات الزراعية، والأجهزة الكهربائية والإلكترونية.

بعد استعراض أهم المجالات الصناعية في العالم الإسلامي لابد من أن نطرح سؤالاً مهماً وهو مامدى تأثير الصناعة على الطابع الحضاري للعالم الإسلامي؟ وأين برز تأثير الصناعة في النواحي الحضارية؟ وهذا سوف ينقلنا إلى دراسة الآثار الحضارية والبيئة للصناعة.

الآثار الحضارية والبيئية للصناعة:

ذكرنا آنفاً أنه لا يوجد في العالم الإسلامي أقاليم صناعية كالأقاليم الصناعية في أوروبا أو أقاليم الصناعة بشرقي الولايات المتحدة أو المناطق الصناعية في اليابان. والموجود في العالم الإسلامي هو صناعات ثانوية ناشئة وحديثة. وقد بدأت هذه المصانع كبؤرات إنتاج أولي للمواد اللازمة للدول الصناعية، ثم تطورت في محاولة لتطوير قدرات صناعية لتحويل بعض المواد الخام التي كانت ولا تزال تزود بها الدول الصناعية لتسترددها مصنعة بأسعار باهضة. ويمكن أن تكون تركيا وإيران ومصر وإندونيسيا وماليزيا وأقطار آسيا الوسطى التي كانت تحت الحكم السوفيتي أمثلة لتلك الأقطار التي بدأ عالم الصناعة يأخذ طريقه إليها. ولقد نجحت بعض الأقطار المصدرة للنفط في تبني سياسة تصنيع ناجحة كالسعودية وإيران، واستفادت من وجود النفط ومن عوائده، فأقامت مشاريع صناعية حديثة لتطوير العديد من الصناعات الثقيلة والخفيفة على حد سواء.

غير أن الغالبية العظمى من أقطار أفريقيا الإسلامية وبعض دول آسيا ليس لديها المقومات التي تدعم وجود التصنيع. وإذا استثنينا الصناعات الاستخراجية أو الصناعات القائمة على الموارد الزراعية الأولية نجد أن قلة الموارد الطبيعية مضافاً إليها عدم وجود الرساميل الكافية، وعدم وجود الخبرات الفنية، وطرق المواصلات الجيدة. كل هذه العوامل تقف حائلاً دون تطور هذه الأقطار في المجالات الصناعية المختلفة في المستقبل المنظور على الأقل.

إن الصناعة في الدول الإسلامية، وكذلك الصناعة في الدول النامية عموماً توطنت في المدن وإذا كان من غير الممكن الحديث عن أقاليم صناعية فإن من الأهمية بمكان الحديث عن مدن صناعية كانت بؤرة للنشاط الصناعي في مختلف دول العالم الإسلامي. فعلى سبيل المثال لا يوجد في مصر إقليم صناعي مميز، ولكن يمكن الحديث عن مدن القاهرة وضواحيها والإسكندرية والسويس كمدن صناعية ذات شهرة فائقة وعراقية في مجال الصناعة. وبالمثل يمكن القول أن أسطنبول وأنقرة وأزمير هي مدن صناعية مهمة، وكذلك الرياض، وجدة والجبيل في السعودية، وحلب ودمشق في سوريا، وبغداد والبصرة في العراق، والمآتأ، وكراچندا، وبلکاش في قازاقستان وبخارى وسمرقند وطشقند في أوزبكستان إلى غير ذلك.

إن الموقع الصناعي يتأثر بالعديد من المعطيات البيئية والبشرية والاقتصادية. ومعظم هذه المعطيات والمستلزمات توفرها المدن، لذا فإن المدن هي بؤرات الصناعة، وحتى إذا وجدت نطاقات التصنيع في مناطق ريفية فإنها تتحول بمرور الزمن إلى مدن. وأقرب الأمثلة على ذلك أن الدمام كان ميناء صيد صغير في بداية هذا القرن الميلادي، وما أن اكتشف النفط حتى أصبح نواة لمدينة ضخمة اتصلت مع ضواحي أخرى مثل الخبر والظهران لتشكل مجعماً حضرياً يزيد عدد سكانه عن المليون وربع المليون نسمة، ولهذا فالمدن تنشئ الصناعة، والصناعة تنشئ بدورها المدن.

لقد أحدثت الصناعة الكثير من التغيرات المهمة التي لها دور حضاري بارز مثل زيادة التجارة الدولية والإقليمية، وزيادة الاتصال الثقافي، وتغيير أنماط العمل والاستخدام، والهجرة من الأرياف إلى المدن، وخروج المرأة إلى ميدان العمل، واختفاء ظاهرة تشغيل الأطفال نظراً لالتحاق معظمهم بالمدارس، وزيادة معدلات النمو السكاني، والحركة السكانية والتنقل بين المناطق المختلفة داخل الأقاليم (الهجرة الداخلية) وانخفاض حجم الأسرة، وانقراض الأسرة الممتدة كنمط حياة، وزيادة

فرص التعليم لمتوسطي الدخل وحتى الفقراء، وزيادة تأثير الحكومات المحلية. ومعظم هذه التغيرات تحدث في المدن وتتأثر بالصناعة. ولذا نجد أحياناً بعض الصعوبات في تحديد المؤثر هل هو الصناعة أم هو المدن أم هو جماع أمرهما معاً. وربما التغير المهم والملموس الذي حصل نتيجة التطور الصناعي هو طرق الحصول على الدخل. فمع وجود الصناعة تزداد نسبة العاملين في الصناعات الاستخراجية، الأمر الذي ينجم عنه ثروة كبيرة للبلد، مما يؤدي إلى زيادة الخدمات أو النشاطات الصناعية الثالثة، وهذا بدوره يفتح أبواباً جديدة وفرصاً جديدة للعمل. وبالمقابل سينخفض العمل في المجالات الزراعية والرعية وبالتالي سيقضي ذلك على البطالة المقنعة الموجودة في المجالات الزراعية.

والقاعدة العامة أن الشعوب تتجنب دائماً وتحرص على عدم تغيير أنماط حياتها الحضارية، إلا إذا كان هناك منافع يمكن الحصول عليها من جراء هذا التغيير. وقد حققت الثورة الصناعية الكثير من المنافع التي دفعت بالكثير من الشعوب لتغيير مناحي حياتها الحضارية وتبني جوانب حضارية جديدة تتلاءم وظروف الحياة الاقتصادية التي فرضتها الثورة الصناعية (Jordan & Rowntree, 1976: p. 352).

من أبرز آثار التصنيع زيادة حجم المبادلات التجارية الإقليمية سواء بين الدول الإسلامية أو بين الدول الإسلامية وغيرها، لأن الصناعة بطبيعتها تؤدي إلى التجارة والتبادل التجاري، فبعض الأقطار تعتمد على الموارد الخام الموجودة لدى أقطار أخرى، والبعض الآخر يعتمد على العمالة الوافدة من مناطق أخرى، ومعظم الصناعات تعتمد على الأسواق الخارجية. ومثل هذه الاتصالات التجارية بين الشعوب ذات الثقافات المتبادلة، والأنماط الاجتماعية المختلفة، ستزيد بطبيعة الحال من سرعة الانتشار الحضاري وتكسر الحواجز القائمة بين الحضارات المختلفة، وتقرب عادات الشعوب من بعضها البعض. وقد يكون هذا السلاح ذا حدين، فقد

يزيد العداوة بين الشعوب إذا حدث خلاف ما حول استيراد المواد الأولية أو حول أسواق التصريف، أو حول رفع أسعار المواد الخام أو المواد المصنعة دون التنسيق بين الدول المشاركة. فعلى سبيل المثال زاد استياء الغرب عموماً عندما قطع العرب النفط عنهم إبان الحرب العربية الإسرائيلية في السبعينات الميلادية.

الأثار الجانبية على البيئة والمحيط العمراني: اللاندسكيب أو المظهر الصناعي هو جزء من حياتنا اليومية. وهذا المظهر ليس مصمماً للجمال، ولا تبدو فيه الأثار الفنية الجميلة، بقدر ما هو مصمم من أجل الاستخدام. حتى أن البعض يرى أن المظهر الصناعي هو مظهر بشع.

إن كل مرحلة من مراحل التصنيع تنتج نمطاً معيناً من اللاندسكيب أو المظهر الأرضي. فالصناعات الاستخراجية لها دور كبير على سطح الأرض، وغالباً مايكون هذا الدور مشوهاً للبيئة الطبيعية التي خلقها الله، حيث نجد أنفاق التعدين وأكوام الصخور والمعادن والحفر التي يجري فيها الاستغلال والآلات التي تنفث الدخان وتسبب الضجيج.

وإذا كانت الصناعة تحويلية يكون اللاندسكيب من طراز آخر. وغالباً مايكون هذا الطراز على شكل مصانع كبيرة تضم العديد من المباني، التي يخصص جزء منها للآلات، والآخر للتخزين، وثالث للسكن. وكلها مصممة بطريقة تحقق أكبر قدر من الفائدة والاستخدام دون مراعاة للنواحي الجمالية في أغلب الأحوال.

وفي الجانب الآخر نرى إدارات هذه المصانع في المدن تقوم في أعلى العمارات العالية ذات الذوق الجمالي في التصميم والفن المعماري. ونجد البنوك التي تمول هذه الصناعات تقع في أرقى الأحياء ونرى أصحاب هذه المصانع يعيشون في ضواحي خاصة تجمع بين مناظر الطبيعة الخلابة وأرقى النظم المعمارية في طراز البيوت والمسكن والطرق والخدمات العامة والمناسط الترفيهية المتنوعة من حدائق ومساح وملاعب وغيرها.

وعلى العموم لقد تنبه الناس إلى الآثار البيئية غير الحميدة التي تجلبها الصناعة. وإذا كان من غير الممكن الآن تصحيح الأخطاء البيئية في البيئات الصناعية القديمة فإن التخطيط للمصانع الحديثة يأخذ بعين الاعتبار جميع الأخطاء السابقة لتداركها بحيث تبدو البيئة الصناعية أكثر جمالاً وراحة مما كانت عليه في السابق.

دور الدين في تفسير الواقع الاقتصادي في العالم الإسلامي:

تلعب الأديان عموماً دوراً بارزاً في تفسير وجود انتشار بعض الظواهر الاقتصادية والاجتماعية. كما يبرز تأثيرها في منع وتحديد بعض الظواهر الأخرى، باعتبار الأديان منظمة لقواعد السلوك البشري. ويبرز تأثير الدين الإسلامي واضحاً في الأقطار الإسلامية جميعاً في المناشط الزراعية والصناعية والتجارية، نظراً للتعالميم الدينية التي تحدد قواعد الملكية، وقواعد استغلال الأرض وشروط التعامل المشروع وغير المشروع، وقواعد تنظيم العمل والإنتاج والاستهلاك، وغير ذلك من الأمور التي تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة في كافة مناحي الحياة، ومنها الظروف الاقتصادية.

يقوم النظام الإسلامي في الاقتصاد على عدة اعتبارات منها:

١- الإنسان مستخلف والأرض مسخرة له ليقوم بواجب الاستخلاف:

الإنسان مستخلف في هذه الأرض لعمارتها، واستثمار خيراتها، وأن هذا الاستخلاف عام لكل بني البشر لا تختص به جماعة دون أخرى. وبالمقابل فالأرض مسخرة للإنسان ومدللة له ليقوم بواجب الاستخلاف.

فقد أرشد الإسلام إلى وفرة الموارد الطبيعية، وإمكانية الاستفادة منها بلا حدود في خدمة الأهداف الإنسانية المختلفة. فقد بين لنا أن الله سخر الكون كله للناس. وبينت تعاليم الإسلام، إلغاء الاستحالة والعجز والكسل من السلوك الإنساني، وما يستدعيه ذلك من البحث في أسرار الكون والإفادة منها في تقدم المجتمعات

البشرية. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ [الأعراف: ١٠]. ويقول أيضاً: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]. ويقول جل شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ﴾ [النحل: ١٤].

نخلص إلى القول أن الله سخر الكون كله من أرض وبحار وأنهار وسماء وغيرها للإنسان ومنَّ عليه بذلك. وليس لهذا التسخير ميزة، ولا داعي لهذا المن، إن كانت هذه الأكوان الفسيحة غير مفيدة للإنسان، وليس له منها حظ إلا نسبة من الياسة يعيش عليها ويقيم عليها نشاطه الاقتصادي والاجتماعي. هذا التسخير يعني أن في إمكان الإنسان الاستفادة من هذه الأكوان والعوالم، وأن إفادته منها على قدر سعيه لاستخدامها. فإذا عجزت وسائله المتاحة، عليه أن يعمل على اكتشاف أدوات ووسائل جديدة تعينه على هذا الاستخدام. فليست مشكلة الإنسان الاقتصادية إذاً في ندرة الموارد وعدم تحقيقها لحاجاته المتعددة والمتجددة كما هو الحال في الفكر الرأسمالي، أو مشكلة التناقض بين شكل الإنتاج وعلاقات التوازن كما في الفكر الاشتراكي، إذ إن الإسلام ينظر إلى المشكلة الاقتصادية على أنها قصور في الوسائل المتاحة للإنسان في تسخير الموارد الممكن له استخدامها والإفادة منها في إشباع حاجاته وتطوير طاقاته، علاوة على كسل الإنسان وتجاوزه الحد في تقدير احتياجاته (عفر: ١٤٠٠هـ، ص ص ٨٢-٨٦).

٢ - واجب السعي والعمل:

من لزوم الاستخلاف فرض الله العمل على الإنسان. وفي العمل امتثال لأمر الله. والقصور عن طلب الرزق أمر منهى عنه. وطلب الرزق ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة يستطيع الإنسان من خلالها أن يؤدي واجبه، كما أن فطرة الإنسان

تتطلب العمل والإنتاج. والدولة مسؤولة عن عمل الناس ومنعهم من التكاثر، وبالمقابل إيجاد فرص عمل لهم إن عجزوا عن توفير ذلك (شاكرا: ١٤٠٣هـ، ص ٩٧-٩٨).

ويشترط الإسلام للعمل اشتراطات تنبع من النظرية الإسلامية الشاملة للبناء الاجتماعي، بحيث لا يكون العمل محرماً وفق الأصول الإسلامية، وليس فيه ضرر للناس كالاحتكار والغش والربا، وليس فيه شغل عن العبادة. وبهذا يتسق العمل مع متطلبات العقيدة وحاجات المجتمع.

وغاية العمل الاستغناء عن الناس، ونفع الأمة المسلمة بخاصة والبشرية بعامة، والإفادة مما أباح الله من طيبات الرزق.

وإذا كان الناس جميعاً متساويين في الحقوق والواجبات، إلا أن إمكاناتهم تختلف من فرد لآخر. وقدراتهم تتباين بين إنسان وآخر. ولذا فإن أجورهم تفترق وتختلف. وحسب قدرة المرء ينال أجره. وليس العمال في الإسلام طبقة خاصة من المجتمع، وإنما جزء منه، لأنه ليس في الإسلام طبقات. فالمجتمع بكامله يتألف من تعاون العاملين فيه. وكل من في المجتمع الإسلامي عامل ومستخلف (شاكرا: ١٤٠٣هـ، ص ٩٨-٩٩).

٣- قواعد التملك:

(أ) الملكية الفردية: يقوم نظام الإسلام الاقتصادي على أساس حرية التملك، وحرية النشاط الاقتصادي، الذي يمارسه الفرد في العمل والإنتاج، شريطة التوافق بين مصلحة كل من الفرد والمجتمع. إذ يجب أن يكون نشاط الفرد نافعا له وللمجتمع، ولا يتعارض مع احتياجات المجتمع ولا مع أهدافه. وأن يسلك في استغلال موارده ما يعود بالنفع عليه وعلى مجتمعه. وأن يمتنع عن كل ما من شأنه إهدار الموارد، وسوء استخدامها (كإنتاج المحرمات أو استهلاكها أو العمل بها).

أباح الإسلام الملكية الفردية، وجعل الإسلام للفرد ثمرة جهده يتملكها ويستغلها وينميها في منفعة هو وأسرته ومنفعة المجتمع. وضمن له نقلها لورثته من بعده حتى يكون ذلك حافزاً ودافعاً للنشاط الاقتصادي مادامت نتائجه محفوظة للفرد ولمن يعول في حياته وبعد مماته (عفر: ١٤٠٠هـ، ص ٣١).

وباكتساب الإنسان للثروة، فقد أوجب الإسلام عليه تنميتها وتكثيرها، ولذا منع من اكتناز الثروات وذلك لضمان تنشيط الاقتصاد بالإنفاق. وأوجب على الفرد عدم الإسراف، بل دعا إلى التوسط والاعتدال، وكذلك فرض عليها الزكاة لاستيفاء حق المجتمع من هذه الثروة.

(ب) الملكية العامة: وقد حدد الإسلام مجالات معينة للملكية العامة هي مجال الثروات الطبيعية والمرافق والمنافع العامة، وبعض المنشآت القائمة على إنتاج بعض الاحتياجات الضرورية للمجتمع، والتي يتطلب تأمين توفيرها للناس مباشرة الدولة لعمليات إنتاجها. قال الرسول- صلى الله عليه وسلم- الناس شركاء في ثلاث: الماء والكأ والنار، وفي رواية أخرى الملح فهذه الأصناف من الضروريات والتي تشير في عصرنا هذا إلى مصادر الثروة المائية والمراعي الطبيعية ومصادر الطاقة وغيرها من الثروات الطبيعية، وهي خاضعة لمبدأ الملكية العامة في رأي البعض من الفقهاء.

أما ما عدا ذلك فإنه خاضع للملكية الفردية. والملكية الفردية حق ثابت لا يمس ولا تنزع إلا لمصلحة راجحة مع التعويض العادل عنها. وقد أجاز الإسلام تفاوت الثروات المكتسبة، بأساليب مشروعة ولم يضع حدوداً لها أو قيوداً (عفر: ١٤٠٠هـ، ص ٣٣-٣٤).

(ج) التوفيق بين مصلحة الفرد والمجتمع: المجتمع الإسلامي مجتمع متكافل متعاون، يقوم أفراده برعاية مصالح بعضهم البعض. وقد نهى الإسلام أتباعه عن كل ما يضر بالمجتمع، ويمنع توظيف موارده، ويزيد من تكلفة الإنتاج،

وأثاره الضارة على الاستثمار، فقد نهى عن الإنتاج والتبادل والعمل بأشياء تضر المجتمع صحياً كالميتة، أو تذهب العقل وتمنع الفكر السليم والعمل المنتج كالخمر، أو تذهب الثقة من التعامل كالغش وبيع الغرر، أو تحرم المجتمع من توظيف موارده في أعمال نافعة كالربا. كذلك فقد نهى عن كل كسب لا يقابله عمل منتج كالسرقة والاحتيال والرشوة والسحر والمقامرة والاحتكار.

وقد جعل تأكيداً لتضامن المجتمع في العمل مبدأً تحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، وجعل للمجتمع حقاً على أفراده، وهو كفالة الضروريات العامة للمجتمع. فقد أعطى الإسلام الدولة حق التدخل في النشاطات الاقتصادية لمنع إلحاق الضرر بالمجتمع من خلال التصرف الخاص. فهناك نظام الحسبة الذي تقوم الدولة على أساسه بمراقبة النشاط الاقتصادي، لضمان سيره بموجب أحكام الشريعة. وهناك نظام الزكاة وهي حق المجتمع في المال الخاص.

وقد منع الإسلام توزيع العوائد المتحققة في بعض الفترات على الأغنياء، وقصرها على الفقراء. وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في عام المجاعة لو لم أجد للناس ما يسعهم إلا أن أدخل على كل بيت عدتهم فيقاسموهم أنصاف بطونهم لفعلت فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم (عفر: ١٤٠٠هـ، ص ٣٤-٣٥).

التركيز على تنمية كافة القطاعات الاقتصادية:

دعا الإسلام إلى العناية بقطاعات الاقتصاد المختلفة الرئيسة منها وهي الزراعة والصناعة والتجارة، ففي مجال الزراعة دعا الإسلام إلى التنمية الرأسية، والتنمية الأفقية لكافة مناحي الزراعة. كما دعا إلى العناية بكل من الإنتاج النباتي والإنتاج الحيواني. فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: مامن مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة (رواه البخاري). وقال - صلى الله عليه وسلم - من عمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها (رواه البخاري).

وقد شملت الدعوة أيضاً إلى جانب الإنتاج النباتي كلاً من الثروة الحيوانية والثروة المائية فقال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا ثَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ﴾ [النحل: ١٤].

وفي مجال الصناعة أرشدنا الإسلام إلى صناعات الغزل والنسيج والملبوسات والأثاث والتعدين والصناعات العسكرية وبناء السفن ووسائل الانتقال وإقامة المباني والسدود وهي بذلك تشمل كلاً من الصناعات الخفيفة والثقيلة على حد سواء. قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٦]. ويقول تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ... وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨٠-٨١]. وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا﴾ [هود: ٣٧]. وحينما طلب الناس مساعدة ذي القرنين: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ أجبهم بقوله: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٤-٩٥].

وفي مجال التجارة رغب الإسلام في التجارة وحث عليها، وقد بين أنها من أعمال الرسل، وذلك لمنفعتيها للفرد والمجتمع ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]. ولا يقتصر العمل في التجارة على الأسواق بل إن الاستيراد لاستيفاء حاجات المجتمع مرغوب فيه لقول الرسول- صلى الله عليه وسلم-: «الجالب مرزوق والمحتكر خاطيء»، وقوله أيضاً: «ما من جالب يجلب طعاماً من بلد فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء» ثم قرأ رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (وأخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، وأخرون يقاتلون في سبيل الله).

وفي مجال النقل فإن الله تعالى يقول: (واصنع الفلك بأعيننا)، ويقول: (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)، وهو يفيد تسخير هذه الدواب للنقل. وقد خلق الله أشياء جديدة لتيسير أداء هذه الخدمة نفسها للناس.

هذه الآثار جميعها تظهر اهتمام الإسلام بكافة قطاعات الاقتصاد المختلفة فهو يشجع على العمل في الزراعة لتوفير الغذاء وغيره من منتجات الزراعة والمواد الخام اللازمة للمجتمع، وكذلك يوجه الاهتمام إلى الصناعة والاهتمام بها واستيفاء متطلباتها، ويدعو إلى القيام بالتجارة وذلك لأهمية هذا القطاع لتنمية الإنتاج الزراعي والصناعي بتوفيره للمواد الخام، وتسويقه للمنتجات، وتوفيره المال اللازم للتمويل والاستثمار.

التركيز على التنمية الإقليمية:

تهدف التنمية الإقليمية إلى تحقيق العدالة في توزيع الموارد والثروات بين أفراد المجتمع. ويتضح ذلك من التزام الدولة نيابة عن المجتمع بتحقيق هذه العدالة في كل بقاع الدولة وأقاليمها المختلفة، ولكافة أفراد الدولة أياً كان مركزهم أو ديانتهم أو عملهم في المجتمع، وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]. ويقول الرسول- صلى الله عليه وسلم- مبيناً التزام الدولة تجاه جميع أفرادها وإن اختلفت أديانهم ومراكزهم: «لهم مالنا وعليهم ما علينا». ويقول الرسول- صلى الله عليه وسلم-: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته».

وقد وجدت هذه التعاليم تجسيداً لها في قول عمر بن الخطاب- رضي الله عنه: (لو أن شاة عثرت على شاطئ الفرات لسئلت عنها عمر يوم القيامة). ويبين هذا القول التعاليم الإسلامية التي توجب العناية بكافة أقاليم الدولة الإسلامية من أقصاها إلى أدناها، يستوي في ذلك الأقاليم الرئيسة والأقاليم الفرعية. وهذه العناية

الشمولية واجب ديني يفرضه الإسلام لتنمية كافة أرجاء البلاد، بحيث تحقق التوازن المكاني العادل لجميع فئات الشعب ومناطقه (عفر: ١٤٠٠هـ، ص ص ٨٠-٨١). سواء أكانت دانية أو قاصية، ريفية أو حضرية حتى تتحقق الرفاهية لكافة أفراد المجتمع وقطاعاته المختلفة.

تشجيع الاستثمار:

يعمل الإسلام على توجيه رؤوس الأموال نحو زيادة طاقة المجتمع الإنتاجية وحسن إدارتها. وتنظيم الاستهلاك بما يناسب ظروف المجتمع واحتياجاته الحاضرة والمستقبلية ويتم ذلك في ضوء القواعد التالية:

(أ) ترشيد الإنفاق:

تقوم قواعد ترشيد الإنفاق الاستهلاكي في الإسلام على توفير الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية التي تناسب العصر. ولا تتعارض مع قواعد الإسلام وأصوله. وتتلخص بصفة عامة بالمأكل والمشرب والملبس والمسكن وأدوات الاتصال والانتقال وتكوين الأسرة والتعليم ومواجهة الأحداث والكوارث وتحقيق الأمن والقوة الحربية وغيرها (عفر: ١٤٠٠هـ، ص ٤١).

وإذا ما توافرت هذه الاحتياجات الأساسية اتجه المجتمع نحو الاستثمار في الاحتياجات شبه الضرورية ثم في الاحتياجات الكمالية. مع مراعاة تحريم إنتاج السلع والخدمات الممنوعة شرعاً.

(ب) توفير مدخرات كافية:

رغب الإسلام في التوسط في الانفاق الاستهلاكي، ورغب في الادخار، دعماً للقدرة الاقتصادية للفرد والمجتمع، حتى يتمكن من تحسين مستويات المعيشة، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وإذا توافرت المدخرات لدى الفرد والمجتمع، فإن الإسلام يقضي بضرورة توجيهها نحو الاستثمار والإنتاج. ونلمح ذلك من قواعد عامة فرضها الشرع، وهي عدم الاكتناز واحتكار الثروة وتعطيلها وحبسها. وقد توعدَّ الله المخالفين بالعقوبات الشديدة: (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم).

وقد فرض الإسلام الزكاة على المال. وإذا لم يستثمر المال أكلته الزكاة بطول الأمد. فالزكاة وسيلة غير مباشرة لدفع الناس بأموالهم إلى مجالات الاستثمار. وأخيرا نرى أن الإسلام ألغى الفائدة على رأس المال وجعلها محرمة، وهذا لاشك يبعد المسلم عن تجميد أمواله لقاء فوائد يتقاضاها على رأس المال، ويدفع به إلى حلبة الاستثمار في المجالات المختلفة المشروعة (عفر: ١٤٠٠هـ، ص ٦٤-٦٧).

أبعاد التنمية في الإسلام:

من خلال العرض السابق نخلص إلى القول أن الإسلام يركز على ثلاثة مبادئ مهمة في الواقع الاقتصادي:

(أ) الاستخدام الأمثل للموارد والبيئة الطبيعية التي وهبها الله للإنسان.

(ب) الالتزام بأولويات تنمية الإنتاج والتي تقوم على توفير الاحتياجات الضرورية لجميع أفراد المجتمع دون إسراف أو تقتير قبل توجيه الموارد لإنتاج غيرها من السلع.

(ج) إن تنمية ثروة المجتمع وسيلة لتحقيق رفاهية المجتمع، وعدالة التوزيع بين أفرادها هي حق أساسي للمجتمع على أفرادها (عفر: ١٤٠٠هـ، ص ٤٠).

علاقة المظهر الزراعي بالدين :

إن أفضل وسيلة للتعرف على المظهر الزراعي هي رؤية سطح الأرض من الطائرة حيث تبدو المظاهر الأرضية المختلفة بأبعادها الطبيعية والبشرية، ولما كانت الزراعة تمارس في معظم مناطق العالم الإسلامي، لذا نرى أن المظهر الزراعي هو المسيطر، حيث تطبع الزراعة وما يرتبط بها من أعمال بصماتها على الأرض. والزراعة كما هو معروف هي تفاعل بين الأرض من جهة والإنسان من جهة أخرى. وفي العادة نرى أن الزراع هم المعدلون لبيئاتهم المختلفة لتستجيب لاداء متطلبات حياتهم ويتأثر الزراع أثناء استغلالهم للبيئة بالعديد من المعطيات الحضارية والاجتماعية والخلفيات التاريخية والإمكانات الاقتصادية. ويلعب الدين باعتباره أحد المعطيات الحضارية دوراً بارزاً وأساسياً في توجيه استغلال المزارعين لبيئاتهم. ولذا نرى أن للدين صلة قوية بالمظهر الزراعي في عالمنا الإسلامي. ويبدو أثر الدين الإسلامي بارزاً في أنماط استغلال الأرض وكذلك أنماط ملكية الأرض. وفيما يلي تفصيل أثر الدين في هذين العاملين.

الدين وأنماط استغلال الأرض :

شجع الإسلام على استغلال الأرض وعمارتها وزيادة ثروتها، وجعل ذلك أحد موجبات الاستخلاف الذي خصص الله به بني البشر لهذه البسيطة. وأوجب السعي والعمل باعتباره أحد لوازم هذا الاستخلاف وفيه امتثال لأمر الله سبحانه وتعالى.

وقد حرص الإسلام على استغلال الأرض وتنميتها وزيادة الموارد المتاحة فيها. وقد سلك الإسلام سبلاً عدة منها:

(أ) إصلاح الأراضي القابلة للزراعة وذلك عن طريق:

١- إحياء الأرض الموات: والأرض الموات هي الأرض التي لم تعمّر ولم تستصلح. وقد شجع الإسلام على استصلاحها فقال الرسول- صلى الله عليه وسلم-: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له» (رواه أحمد والترمذي وصححه). وقال أيضاً: «من عمّر أرضاً ليست لأحد فهو أحقّ بها» (رواه البخاري). فالإحياء طريق لعمارة الأرض وإدخالها في الأراضي الإنتاجية فتزداد بذلك مساحة الإنتاج الزراعي وتتوسع الملكية الزراعية ويزداد الدخل الزراعي. وقد أعطى الإسلام للإحياء مدة. فإذا لم يقم من تحجر أرضاً بإحيائها فإن الدولة تأخذها منه لما روي عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أنه قال: (ليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين) (أبو عبيد: الأموال، ص٣٦٣).

٢- الإقطاع: أجاز الإسلام إقطاع الأرض الموات لمن يقوم بعمارتها وإصلاحها فقد أقطع النبي- صلى الله عليه وسلم- والخلفاء من بعده. ويراعى في الإقطاع مصلحة المجتمع وقدرة الفرد على استغلال ما أقطع له. ففي ذلك خير كثير للبلاد. يقول أبو يوسف: "ولا أرى أن يترك الإمام أرضاً لا ملك لأحد فيها ولا عمارة حتى يقطعها فإن ذلك أعمر للبلاد وأكثر للخراج" (أبو يوسف: الخراج، ص٦٦). فتقوم الدولة بمنح المزارعين القادرين على الاستثمار الزراعي ما يقومون باستثماره وزراعته من الأراضي القابلة للزراعة (النمري: ١٤١٦هـ، ج٢، ص٢١١).

(ب) تنمية وتطوير الأراضي الصالحة للزراعة: أي زيادة الإنتاج وتطوير وسائله وتحسين أنواعه ويكون ذلك عن طريق:

١- الاستثمار الذاتي: حيث يقوم المالك نفسه بالزراعة. وقد دلت الشريعة على فضل ذلك فقال الرسول- صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يغرس غرساً

أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» (رواه البخاري)، «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من عمل يده» (رواه البخاري). وهذا دليل على تشجيع الاستثمار، وزيادة الإنتاج، ونيل الأجر في الدنيا والآخرة.

٢- الاستثمار بنظام المزارعة والمساقاة حيث يقدم المزارع أرضه لمن يجيد زراعتها في مقابل جزء من المحصول.

٣- إجارة الأرض بقصد استغلالها واستثمارها سواء أكانت مملوكة للأفراد أو الدولة، إلا أن أرض الدولة إذا لم يتم أحد بزراعتها فينفق عليها من بيت المال لمن يقوم بزراعتها. فقد روي عن عمر بن عبدالعزيز- رضي الله عنه- أنه كتب لأحد ولاته: (أنظر ما قبلك من أرض الصافية فأعطاها بالمزارعة بالنصف، وما لم تزرع فأعطاها بالثلث، فإن لم تزرع فأعطاها حتى تبلغ العشر، فإن لم تزرع فامنحها. فإن لم تزرع فانفق عليها من بيت مال المسلمين) (الشمري: ١٤١٦هـ، ص ٢١٣ نقلاً عن يحيى بن آدم: الخراج، ص ٥٩). وهذا يدل على أنه لا يجوز تعطيل الأرض الصالحة للزراعة حرصاً على تحقيق حاجات، المجتمع لأن الإسلام نهى عن تعطيل الموارد.

(ج) ضوابط الاستثمار الزراعي: من أهم الضوابط في مجال الاستغلال الزراعي إنتاج ما أحل الله والابتعاد عن ما حرم الله في كافة أنواع الإنتاج النباتي والحيواني. ومن هنا فقد حرم في مجال الإنتاج الزراعي:

١- إنتاج المسكرات ومشتقاتها: حيث يحرم إنتاج المسكرات وإن اختلفت مسمياتها كالخشيش والأفيون والمخدرات بأنواعها، فيحرم إنتاجها وصناعتها، كما يحرم بيعها وشراؤها وتداولها.

٢- تحريم إنتاج اللحوم المحرمة مثل لحم الخنزير، ولذا لا يجوز تربيته وإنتاجه.
ونرى ذلك واضحاً في جميع المناطق الإسلامية، حيث لا يكون الخنزير من
مصادر الثروة الحيوانية في كافة بقاع العالم الإسلامي.

الدين وأنماط ملكية الأرض:

إن التاريخ الحضاري للعالم الإسلامي شهد العديد من التصنيفات الخاصة
بالملكية بشكل عام والملكية الزراعية على وجه الخصوص، ويمكن تصنيف صور
التملك في الشريعة الإسلامية على أساس ارتباطها بما يفرض عليها من حقوق، أو
ارتباطها بالعين المملوكة (محل الملك) أو ارتباطها بالمالك نفسه، وفي أوائل التاريخ
الإسلامي قسم الفقهاء ملكية الأرض باعتبار خضوعها للمسلمين وباعتبار ما يفرض
عليها من حقوق مالية إلى نوعين:

(أ) أراضي عشرية وهي التي آلت ملكيتها إلى المسلمين، وهي التي تؤخذ منها
الزكاة كما هو مقرر في زكاة الزروع والثمار.

(ب) أرض خراجية وهي التي بقيت بأيدي أهلها من غير المسلمين وفرض عليها
الخراج^(٥).

وتنقسم الملكية باعتبار محلها إلى ما يلي:

(أ) الملكية التامة: وتشمل ملك العين والمنفعة. وهنا يقع التملك على ذات العين
ومنافعها. ويكون ذلك في الأراضي المملوكة لفرد معين أو جماعة معينة،
بحيث يكون للمالك حق التصرف شرعاً من بيع وإجارة ووقف ووصية وغير
ذلك من حقوق التصرف بالمملوك.

(ب) الملكية الناقصة: وتختص إما بملكية العين أو ملكية المنفعة والانتفاع فقط.
فالملك في الحالة الأولى له الحق بملكية الأرض الزراعية فقط. وفي الحالة

الثانية يكون له حق استغلالها والانتفاع بها دون ملكها. وتكتسب الملكية هنا عن طريق الإعارة والإجارة والوصية بالمنفعة والوقف، فقد يوقف شخص ما أو يوصي بملكية أرض معينة لفرد معين، ويوصي بحق استغلالها واستثمارها لفترة معينة لشخص آخر^(١).

إن التطور التاريخي لصور الملكية الزراعية في العالم الإسلامي، قد أفضى في النهاية إلى أن تصنف الملكية وفق ارتباطها بالمالك نفسه. ويمكننا القول إن الملكية الزراعية في عصرنا الحاضر في جميع بقاع العالم الإسلامي لاتخرج عن الصور الثلاث التالية:

(أ) الملكية الخاصة: أو كما يعبر عنه فقهاء الشريعة باسم الملك المتميز، وهو مايتعلق بالأراضي المحددة والمعروفة والمنفصلة عما جاورها سواء أكان المالك لها واحداً أو متعدداً. ويكون للمالك حق الاستئثار بالمنافع والتصرف في المملوك.

(ب) الملكية الشائعة: وهي مايعرف عند الفقهاء بشركة الملك. ويسمى المشاع أو الحصّة الشائعة. وهنا تكون ملكية الأرض لأكثر من فرد، ويكون لكل فرد سهم معين دون أن يكون محدداً ومعروفاً، وإنما هي حصّة شائعة في مساحة واسعة من الأرض، وينطبق ذلك على أراضي القبائل والحمى وغير ذلك من الأراضي المملوكة ملكاً جماعياً.

(ج) الأراضي الحكومية أو الأملاك العامة: وتشمل جميع الأراضي الباقية والتي تقع تحت حوزة الدولة وكان يصنفها الفقهاء على أنها أملاك بيت المال أو أملاك الدولة. ويتصرف بها الإمام لتحقيق المصلحة العامة.

لقد نظم الإسلام ملكية الأراضي وطرق حيازتها وفق أحكام الشريعة دون تعد أو ظلم لأحد. فقد جاء في الحديث: «من اقتطع أرضاً ظالماً لقي الله وهو عليه غضبان» (الإمام مسلم، ج ١، ص ١٢٤). وكذلك: «من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين» (الإمام البخاري، ج ٥، ص ١٠٣). وقد أوجد الإسلام أسباباً لملكية الأراضي الزراعية ومنها الإحياء الذي هو منشأ التملك ابتداءً كما شرع العقود الناقلة للملكية كالبيع والهبة والإقطاع والإرث والوصية والوقف.

نخلص إلى القول أن نظام الملكية الزراعية في الإسلام هو الذي ساد في ربوع العالم الإسلامي منذ أوائل ظهور الإسلام وحتى عصرنا الحالي، وإذا نظرنا في صور التملك الموجودة الآن نجد إنها هي ذات الصور التي استمدت أصولها من الشرع الإسلامي الحنيف، بحيث يمكن القول أن الطابع الإسلامي في الملكية الزراعية هو المسيطر.

علاقة المظهر الصناعي بالدين:

لقد ارتبطت الصناعة في ديار المسلمين بالمدن الإسلامية حيث يحدثنا التاريخ الإسلامي أن معظم أصحاب الصنائع كانوا يعيشون في المدن، وأن معظم الصناعات كانت تقوم في هذه المدن أو على أطرافها. لذا نجد أن التشريع الإسلامي عالج الكثير من المشكلات المرتبطة بالصناعة من خلال القواعد العامة التي تنظم حياة المدن. وقد تأثر اللاندسكييب أو المظهر الصناعي في المدن الإسلامية بالمؤثرات الدينية وخاصة فيما يتعلق بموقع الصناعة وأنواعها وضوابط إنتاجها واستثمارها وفيما يلي بيان ذلك.

أثر الدين في تحديد مواقع الصناعة:

حددت كتب الحسبة ثلاث مبادئ تعتبر أساساً للتنظيم المتعلق بمواقع الصناعات والسلع والخدمات داخل المدن الإسلامية. ويختص الأول منها بمبدأ التماثل حيث يجب تخصيص أماكن خاصة للسلع المشابهة بحيث تكون قريبة من بعضها. وهذه الظاهرة من سمات المدن الإسلامية حيث إن لأهل كل صنعة وسلعة سوقاً يختص بها. وفي هذا يقول الشيزري: أن على المحتسب أن يجعل لأهل كل صنعة سوقاً يختص بهم، وتعرف صناعتهم فيه، فإن ذلك لقصادهم أرفق، ولصنائعهم أنفق. ومن كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار فالمستحب أن تبعد حوانيتهم عن العطارين والبزازيين لعدم المجانسة بينهم وحصول الأضرار (الهدلول: ١٤١٤هـ، ص ٦١-٦٤؛ وانظر أيضاً الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٩م، ص ١١-١٢).

أما المبدأ الثاني فهو مبدأ الحاجة كعامل أساسي لتحديد موقع السلعة بالنسبة للمدينة، ويقصد به التكرار النسبي لحاجة الناس إلى سلع معينة ولزوم توافر تلك الأنشطة التي توفر مثل تلك السلع. ولهذا تنص كتب الحسبة على وجوب نقل المنتجات والحرف التي لا يوجد عليها طلب رئيس في منطقة السوق، إما إلى خارج أسوار المدينة أو إلى مواقع أخرى يسهل الوصول إليها لمن يحتاجها، على أن لا يكون في ذلك ضرر في الموقع الجديد. فقد ذكر الفقهاء أن الموارد ذات الحجم الكبير يجب أن تباع في مواقع معينة بعيدة عن المنطقة المزدهمة من السوق.

أما المبدأ الثالث فهو مبدأ تجنب الأذى والضرر. ولقد كان لهذا المبدأ أثر حاسم في تحديد مواقع الصناعات. وقد قام الفقهاء بتنظيم هذا المبدأ وتطويره معتمدين في ذلك على قول الرسول- صلى الله عليه وسلم-: «لا ضرر ولا ضرار».

لقد بحث الفقهاء المسلمون مصادر الضرر وحددوا منها الدخان والرائحة الكريهة والضوضاء والاهتزاز، وهذه بمفهوم اليوم هي مصادر التلوث البيئي الناجم عن الصناعة. فقد اعتبروا الدخان بكافة أنواعه جالباً للضرر. وقد عولجت الحالات الخاصة بالدخان بشكل مستفيض في كتب الفقه. وميز الفقهاء بين الضرر القديم والضرر المحدث. وكيف يجب أن تمنع المنشأة المؤدية إلى الدخان، أو يزال الضرر عن الناس المجاورين.

وقد اعتبرت الروائح الكريهة من الأمور الضارة التي يجب إزالتها. فالصناعات المرتبطة بذلك لا بد من وقفها أو منع الروائح الكريهة من أن تنبعث منها بشتى الوسائل. ويلحق بذلك الضوضاء والاهتزاز الناجم عن بعض الصناعات حيث يرى الفقهاء أن الصوت والدوي والضوضاء تسبب الأذى الذي يجب منعه.

لقد لعبت هذه المبادئ الثلاثة دوراً مهماً في تحديد مواقع الاستعمالات الصناعية، فمن خلال مبدأ تلبية احتياجات الناس، ومبدأ دفع الأذى والضرر، استطاع الفقهاء التوفيق بين مناطق الأخطار المحددة للاستعمالات الصناعية، حيث يعطى الفقهاء الأولوية للنشاط الأصلي سواء كان سكنياً أم صناعياً، إذ بمجرد نشأة استعمال معين يسمح بجوار إقامة الاستعمالات الأخرى المماثلة بجواره شريطة أن لا تلحق أذى أو ضرراً بالاستعمالات السابقة. وتجدد الإشارة هنا إلى نزعة الفقهاء دائماً لترجيح مصلحة السكان على مصلحة الأنشطة الصناعية. وهذا ما يفسر الميل السائد لدى الأنشطة الصناعية للانتقال إلى مناطق الضواحي وأطراف المدن (الهدلول: ١٤١٤هـ، ص ٦٩ - ٧٠).

أثر الدين في تحديد النشاطات الصناعية :

مقياس الرفاهية الاقتصادية في الإسلام هو وفرة الإنتاج وسهولة الحصول عليه مرتبطاً بالأمن والطمأنينة للفرد والمجتمع في الداخل والخارج، ولا يكون ذلك إلا في مرحلة من مراحل الإنتاج الوفير الذي يتحقق بأقل تكاليف اجتماعية،

والذي يفي في الوقت نفسه باحتياجات الفرد والمجتمع المعيشية وتحقيق الأمن له داخلياً بالعدالة الاجتماعية والسلام الاجتماعي وخارجياً بالقدرة التي تكفل حماية المجتمع من أعدائه (عفر: ١٤٠٠هـ، ص ص ٤١ - ٤٢).

يقرر الإسلام أولويات خاصة للاستثمار الصناعي، وهذه الأولويات تقع على ثلاث مراتب متتالية:

(أ) الاستثمار في الاحتياجات الأساسية للفرد والمجتمع: وهي السلع الضرورية التي يتم بها حفظ الحياة، وأداء الواجبات، وحماية المجتمع، وتحقيق الأمن، ووجوب تعاون أفراد المجتمع جميعهم في توفيرها، علاوة على قيام الفرد بأداء الحقوق المفترضة عليه فيها.

(ب) يلي ذلك الاستثمار في الاحتياجات شبيهة الضرورية للفرد والمجتمع: وتشمل هذه الاحتياجات كل مامن شأنه تيسير تحمل أعباء الحياة وواجباتها، وهذه الاحتياجات من الأشياء التي يتفاوت فيها الناس تبعاً لمنزلتهم الاجتماعية وقدراتهم وظروفهم وأعبائهم المعيشية علاوة على ظروف المجتمع الإسلامي ككل.

(ج) تقع الكماليات في المرتبة الثالثة: وهي التي تدخل الجمال والمتعة على الحياة الإنسانية دون إسراف أو ترف. وهي من المباحات من الطيبات والنعم التي وهب الله عباده ليتمتعوا بها ويشكروه عليها. على أن يكون استهلاكهم منها بالقدر الذي يتفق ودخلهم دون إسراف أو تقتير ودون تأثير على إنتاج الضروريات اللازمة للمجتمع، وهذا من شأنه توجيه رؤوس الأموال نحو زيادة طاقة المجتمع والإنتاجية وحسن إدارتها. وتنظيم الاستهلاك بما يناسب ظروف المجتمع واحتياجاته الحاضرة والمستقبلية مع الابتعاد كلية عن إقامة المصانع المرتبطة بالكماليات قبل توفير الضروريات، وهذا من شأنه توفير مدخرات الأفراد والمجتمع وتوجيهها نحو الاستخدام الأمثل للموارد التي وهبها الله للإنسان.

أثر الدين في تحديد ضوابط الاستثمار الصناعي :

وضعت الشريعة ضوابط للحصول على الأموال اللازمة لتمويل المشاريع الصناعية، سواء أكان هذا التمويل ذاتياً أو بالمشاركة، أو كان التمويل من مصادر خارجية عن المشروع من طريق مساهمة الشركات الأخرى أو عن طريق التسليف أو الاقتراض. ويشترط لكل ذلك أن يكون رأس المال المستثمر مباحاً، مع البعد عن كافة المعاملات الربوية والمعاملات التي ترتبط بالغش والاحتكار ووسائل الإعلان والدعاية الكاذبة وغير ذلك من الأمور التي تؤدي إلى ضرر الفرد أو المجتمع.

نخلص إلى القول إن المظهر الصناعي للعالم الإسلامي قد تأثر بالتعاليم الدينية الإسلامية حيث نلمس أثراً واضحاً في تحديد مواقع الصناعات. وكذلك في تحديد أنواع النشاطات الصناعية المقامة وطريقة تمويلها وتسويقها وتحديد مجالات الاستثمار فيها. غير أنه بمرور الزمن وخاصة في العصور الحديثة أخذ التأثير الديني يقل في مجال الصناعات الحديثة سواء في ميادين التمويل أو مجالات الموقع الصناعي وغيرها وذلك لارتباط الصناعة الحديثة أساساً بالنمط الغربي من الاستثمار.

دور المرأة في العملية الإنتاجية :

القاعدة الأساسية في تنظيم الأسرة في الإسلام أن المرأة مكانها البيت، فهي ربة المنزل وراعيتها والمسؤولة عن تديبر شؤونه وعن تربية أولادها: «المرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيته» (البخاري: ج ٩، ص ٢٩٩). وقد أذن الإسلام للمرأة أن تخرج من بيتها في بعض الأحوال. جاء في صحيح البخاري: «قد أذن أن تخرجن في حاجتكن» (البخاري: ج ١، ص ٢٤٩). ويقول أبو الأعلى المودودي: ومثل هذا الأذن قد منحته المرأة مراعاة للأحوال والضرورات فحسب، كأن لا يكون لها قيم من الرجال، أو تضطر إلى العمل خارج البيت لخصاصة

قيّم الأسرة أو ضآلة معاشه أو مرضه أو عجزه والإذن لها بالخروج لا يغبر شيئاً من القاعدة الرئيسة في نظام الاجتماع الإسلامي وهي أن دائرة عمل المرأة في البيت. (المودودي: ١٤٠١هـ، ص ٢٣٦).

لقد ساهمت المرأة في بقاع العالم الإسلامي في كافة الأعمال الإنتاجية. وللمرأة الريفية بخاصة دور مهم في الأعمال الزراعية. وقد برز هذا الدور للمرأة المسلمة منذ وقت مبكر. وفي حديث أسماء بنت أبي بكر- رضي الله عنهما- الذي رواه البخاري ما يدل على مشاركة المرأة المسلمة الميدانية في الأعمال الزراعية وغيرها منذ صدر الإسلام الأول^(٧). ومشاركة المرأة في الريف تبدو واضحة في المزرعة والأعمال الزراعية كالعناية بالزرع وحصده ونقله وتخزينه وعلف الحيوانات والعناية بها. وإعداد الوسائل المساعدة لجلب الماء لا بل تعدى دورها إلى بعض أنواع الصناعات الخفيفة مثل صناعة الحصر والنسيج وصناعة حفظ الأغذية وتجفيفها وغير ذلك من الأمور التي تسهم في زيادة الإنتاج، وخض تكاليف العمالة، وتوفير فائض من العمالة الزراعية من الرجال للعمل في قطاعات إنتاجية أخرى، وفي هذا زيادة لدخل المرأة أولاً ولدخل الأسرة ثانياً. ولاشك أن عمل المرأة ساعد على تخفيض تكاليف الإنتاج الزراعي، بخاصة في المواسم التي ترتفع فيها الأجور مما يساعد على رخص هذه المنتجات في أسواق التجارة.

وقد أتاح التعليم للمرأة فرصاً أكبر في الحصول على وظائف أخرى غير العمل في البيت والمزرعة. واقترن ذلك بسيادة وشيوع المفاهيم الغربية المتعلقة بحرية المرأة وضرورة خروجها لميادين العمل المختلفة. وقد نتج عن ذلك التوسع في استخدام المرأة في معظم المجالات الوظيفية وخاصة مجالات التعليم والصحة والخدمة الاجتماعية وبعض المهن الأخرى. ولا يزال المجتمع الإسلامي في الكثير من قطاعاته المختلفة لديه تحفظات قوية على خروج المرأة إلى العمل. ويقرن هذا الخروج بمبررات كافية وضوابط معينة بحيث لاتفقد المرأة رسالتها كسيدة أولى للبيت ومربية للجيل وحارسة للقيم.

أحور البشري لجغرافية العالم الإسلامي الحضارية

أنماط الاستيطان البشري:

في عالمنا الإسلامي يمكننا أن نجد ثلاثة أنماط للاستيطان البشري. الأول يقوم على حياة الظعن والرحيل طلباً للماء والكلأ. ويمكن أن نطلق عليه النمط البدوي، والثاني يقوم على الزراعة وما يرتبط بها من أعمال، وهو النمط الريفي. أما الثالث فهو النمط الحضري الذي يختص بسكان المدن. ويرتبط بهذه الأنماط الثلاثة وينشق منها ثلاث صور حضارية للحياة هي سكنى الخيام وسكنى القرى أو الأرياف ثم سكنى الحواضر أو المدن. وترتبط الصورة الأولى بالمسكن المتنقل أما الصورتان الأخريان فيمثلهما البيت الريفي والبيت المدني، ولكل منهما صور وأشكال وأغراض ووظائف تملئها طبيعة الحياة ومتطلباتها. وسنحاول فيما يلي أن نقلق الضوء على هذه الصور الحضارية لأنماط الاستيطان البشري.

نمط الاستيطان البدوي:

يرتبط هذا النمط في بوادي العالم الإسلامي. والبوادي جمع بادية، وهي خلاف الحاضرة. وهي اسم للأرض التي لا حضر فيها. وقيل للبادية بادية لظهورها وبروزها، وهي بمعنى البرية. (لسان العرب: ١٩٥٦م، ص ٦٧-٦٨). والملاحظ أن العرب ربطوا البادية بمعنى حضاري صرف. فقد جعلوها مواطن أقوام يعيشون على الظعن والرحيل. طلباً للماء والكلأ. ولما كان الظعن والرحيل يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بقلّة المراعي والمياه، وهذه من خصائص الصحراء، وجدنا أن متأخري أهل اللغة لا يترددون في القول بأن البادية هي الصحراء (المنجد: ص ٢٩-٣٠). ومهما بدت لنا الصعوبة واضحة في تحديد المفهوم الصحراوي، فإن مما لاسبيل إلى إنكاره أن أعظم مظهر للصحراء هو القحولة والجذب. إذ تتفق الصحاري في كل العروض في قحولتها وجذبها وعجزها المستمر عن إعالة جماعات مستقرة تعتمد على نفسها.

تشغل الصحاري حيزاً كبيراً من مساحة العالم الإسلامي يمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى صحراء ثار على أطراف باكستان شرقاً، كما تضم صحاري وسط آسيا التي تمتد من بحر قزوين غرباً حتى منغوليا شرقاً.

إن هذه المنطقة الصحراوية الشاسعة. لم تكن قاحلة منذ بداية أمرها. فقد دلت الأبحاث الحديثة على أن هذه المنطقة كانت في يوم من الأيام غزيرة المطر، وافرة الخير، زاخرة بأنواع النبات والحيوان. وكان سكانها يعيشون على صيد الحيوان والتقاط الثمر^(٨). ولسبب لم يعرف كنهه حتى الآن أخذ الجفاف يظهر بمرور الزمان. وقد جوبه سكان المنطقة بمشكلة لم يعهدوها من قبل، فقد أخذ مجال الرزق يضيق عليهم تدريجياً، وبدأوا يفكرون في إيجاد مورد آخر للرزق، فالحياة المطمئنة التي نعموا بها أذنت بالزوال.

لقد اضطرت الحاجة سكان المنطقة إلى ابتداء طريقتين جديدتين للعيش، تختلفان عن الطريقتين القديمتين- جمع الثمار والصيد- التي اعتادوا عليها، وهاتان الطريقتان هما، الرعي والزراعة. فالذين آثروا البقاء في الصحراء اتخذوا طريقة تربية الأنعام وأخذوا يترحلون فيها سعياً وراء المرعى. أما الآخرون فقد ذهبوا إلى الأنهار القريبة يستصلحونها للزراعة وبهذا نشأت لديهم الحضارة (Toynbee, vol. 1, pp 68- 78).

ولما كان جمع الثمار والصيد يقتضيان التنقل وعدم الاستقرار وهو ميزة البداوة الرئيسة فيمكننا القول إن البداوة حالة حضارية قديمة كانت تمثل منذ القدم حضارة ما قبل التاريخ. فالإنسان نشأ بين أحضان البداوة. وما عصر الاستقرار الذي كان سببه الأول وجود الزراعة، إلا عصر حديث جداً بالنسبة إلى تاريخ الإنسان.

فالوثائق التي عثر عليها على شواطئ دجلة والفرات وفي حوض النيل، وعلى أنهار الهند والصين لاتكاد ترقى إلى أبعد من ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد. (الجميل: ١٩٦٣م، ص ١١). وهذا يعني أن البشرية عاشت في مرحلة البداوة معظم أزمانها. ولم تعش في مرحلة الاستقرار إلا في الـ ٨٠٠٠ سنة الأخيرة (رزقانة: ١٩٦٥م، ج ٢، ص ٣٣١).

إن بداوة الرعي هي التي تنطبق على الصحاري وحدها. وعلى هذا فبداوة الرعي هي الصورة التقليدية للبداوة في المنطقة العربية والأقطار الإسلامية. والبداوة الرعوية نشاط يستمد واقعه الاجتماعي والاقتصادي من نشاط الصيد، فالصياد الذي كان يعدو خلف الحيوان ليقتله، بدأ بالملاحظة والخبرة يعرف الكثير عن طباعه، فبدأ يستأنسه ويربيه، ويكيف حياته وتنقله من أجل خدمته، حتى أصبحت البداوة الرعوية نمط حياة، أو جهأ حضارياً، وليست مهنة تربية فقط. فالحياة المشتركة للإنسان والحيوان في حالة البداوة هي شيء شامل وكلي لدرجة أنه إذا غاب الحيوان من حياة البدوي فإنه يستقر أو يقرب من الاستقرار.

ولعل ارتباط البداوة العربية بالصحراء، وتصورنا الرعوي للبداوة العربية هو الذي حمل على الاعتقاد بأن الصحراء وحدها هي مسرح البداوة من ناحية، وأن الجمل وحده هو حيوان هذه البداوة. مع أن المفهوم العام للبداوة- كما أسلفنا- يفتح مجال تصور أنماط أخرى من البداوة في مساح غير الصحراء ونجد في إقليم السافنا في آسيا بداوة قائمة على تربية الخيول، وفي أفريقيا بداوة قائمة على تربية الأبقار (السرياني: ١٩٧١م، ص ٥٨-٦١).

وهناك تصور آخر في الأذهان هو أن البداوة مرتبطة بالعروبة، أي أن البداوة لاتكون إلا في العرب، وربما كان هذا الانطباع منبثقاً من حقيقة الدور الحضاري الذي قام به البدوي في التاريخ الإسلامي والعربي، وما ترسب في تراثنا واندفع إلى تفكيرنا من التأثير بهذا كله. وفي الحقيقة فإن حضارة بدوية ما، لم تقدم للعالم

مثل ما قدمت البداوة العربية من قيم إنسانية باقية. ولعل هذا يفسر الارتباط الوثيق بين تصور البداوة مرتبطة بالصحراء من ناحية والعرب من ناحية أخرى (الجميل: ١٩٦٣م، ص ١١-١٢).

أن البداوة ليست قصراً على العرب بل تضم ديار الإسلام، فهناك بداوة لدى الأكراد والأتراك والفرس والأفغان والبلوش والباكستان وأهالي وسط آسيا الإسلامية وأقطار غربي شرقي أفريقيا، غير أن البداوة العربية ربما تكون أكثر عدداً وأعمق أثراً. فلا تزال صحاري الجزيرة العربية (وخاصة السعودية وعمان) وبلاد الشام وصحاري شمالي أفريقيا تحوي أعداداً تتراوح بين ٥- ١٠٪ من إجمالي سكان دول هذه المنطقة وربما تزداد هذه النسبة لتشمل ١٥٪ من سكان ليبيا وقراية ٢٥٪ من سكان السودان. وقد تتعدى ٥٠٪ من إجمالي سكان موريتانيا وأكثر من ٦٠٪ من إجمالي سكان الصومال.

وفي أقطار الصحراء الكبرى في مالي والنيجر وتشاد نجد بجانب الطوارق الذين يمثلون جزءاً من البداوة العربية نجد عناصر الفولاني والمور وغيرها من القبائل الأفريقية المرتحلة. وفي تركيا وإيران نجد بداوة كردية غير أنها تعيش في المرتفعات، وكذلك الحال أفغانستان حيث ترتفع نسبة البداوة إلى أكثر من ١٥٪.

إذا نظرنا إلى الأقطار السابقة التي ترتفع نسبة البداوة بين سكانها نجد أن حياة البداوة في هذه الدول هي انعكاس مباشر لعوامل معظمها مرتبط بظروف البيئة وبعضها مرتبط بنواحي أخرى بشرية وذلك على النحو الآتي:

(أ) فنظام سقوط الأمطار هو العامل الأول الذي يتحكم في التوزيع العام للنباتات الطبيعية والإنتاج الزراعي والرعوي. فأمطار المناطق الصحراوية قليلة في معظمها الأمر الذي يؤدي إلى تناقص كمية الحشائش وتدني قيمتها الرعوية ويجعل بالتالي الجفاف هو المسيطر.

(ب) ليست كمية الأمطار وحدها هي التي تجبر الرعاة على التنقل والترحال وإنما نظام سقوطها وتوزيعها عاملان أساسيان يترتب عليهما اختلاف قيمة المراعي حتى في المنطقة الواحدة من شهر لآخر، ومن سنة لأخرى، مما يجعل حياة الرعاة أشبه بحركات كثيفة مستمرة الغرض منها البحث عن مناطق رعي جديدة.

(ج) يمكننا تصور الموارد الدائمة من المياه في الصحراء، على شكل آبار عادية أو ينابيع وعيون أو آبار ارتوازية. وندرة هذه الموارد بطبيعة الحال تعتبر عاملاً أساسياً في تحديد النجعة. أما قلتها أو عدم وجودها فهو عامل مهم من عوامل التنقل والترحال.

(د) إن تنوع النباتات الطبيعية وتوزيعها مرتبط كذلك بتوزيع المطر. إذ تناقص الحياة النباتية تبعاً لتناقص المطر، الذي يحدد هذه النباتات ببعض أعشاب الاستبس الفقيرة، وبعض أعشاب الصحراء، التي لا تصلح غالباً إلا لرعي الإبل. وتوجد هذه النباتات في مناطق متباعدة مما يجعل التنقل والترحال واجباً للوصول إلى هذه النباتات.

(هـ) تلعب المظاهر الطبيعية والتربة دوراً مهماً مع كمية المطر في تحديد هذا الغطاء النباتي وامتداد المرعى فيه، فقد تكون هناك منحدرات طبيعية، أو مساحات صخرية، أو صحاري حصوية أو رملية متنقلة وكلها تقلل من صلاحية المنطقة الصحراوية للاستقرار وتجعل التنقل والترحال حاجة ملحة وضرورة قصوى.

وبوجه عام فالتفاعل الموجود بين هذه العوامل الطبيعية المختلفة من أمطار وحرارة وتنوع التضاريس يخلق ظروفاً خاصة تفسر توزيع المراعي وأنواع الحشائش الموجودة فيها. هذه الظروف لا تسمح للبدو بأن يربطوا حياتهم ببقعة أرضية واحدة بل تفرض عليهم التنقل المستمر للمحافظة على حياتهم وحياة قطعانهم.

هذا في الجانب الطبيعي أما في الجانب البشري فالبدواء التي بدأت جغرافياً كحالة ملائمة بشرية بين البداءة وبين ظروف البيئة الطبيعية الجافة، انتهت نفسياً إلى حالة تنظيم اجتماعي يعتبر عاملاً مساعداً على كثرة التنقل والترحال. فقد نشأ النظام القبلي الذي حدد لكل قبيلة مجالها الطبيعي ورفعتها المعروفة من الأرض التي لها وحدها حق التجول والاستغلال على نطاق جماعي، مما لا يفسح المجال للاستغلال الفردي، بل بقيت الملكية جماعية (مشاع) في المناطق الغنية نوعاً ما من أراضي الإستبس. ووجود ملكية جماعية بحد ذاته يعمق ويرسخ مفهوم البداءة، والنظام القبلي. أما المناطق القاحلة فلا توجد بها أي ملكية وهذه هي مناطق رعاية الإبل. هذه الإبل التي هي بحق ركن مهم وخطير من أركان الحياة البدوية، فهذه البوادي المقفرة هي كالبحر لا يُعبّر دون مركب. فكان الجمل مركبها. ولولاه لامتنع على البدوي العيش في البادية والتنقل الواسع بين أرجائها. فالجمل أبو البداءة العريقة الحقيقية وسبب استمرارها وإنها تتلاشى وتنتهي إذا حرمته.

نخلص إلى القول بأن البيئة الطبيعية والإنسان والحيوان عناصر ثلاثة اشتركت في صنع ظاهرة البداءة الرعوية. ومن الصعب تحديد مسؤولية كل عنصر من هذه العناصر في صنع هذه الظاهرة.

ومهما يكن من أمر فإن حياة البداءة الرعوية تقوم على هذه العناصر جميعاً. وقد اشترك كل عنصر مع العناصر الأخرى بنسبة أو بأخرى، بحيث كان جداء أو عطاء العوامل هو البداءة القائمة على التنقل والترحال، وهو نمط حياة يناقض مفهوم الحياة الحضرية القائمة على الاستقرار. ومن هنا وجد التباين بين البداءة والحضارة، الأمر الذي نجم عنه الصراع والتنازع بينهما. ولا عجب أن يوصف تاريخ غربي آسيا بأنه صراع بين البدو والحضر على امتلاك الأراضي الخصبة التي تحف بالصحراء. وإذا كان هنتنغتون (Huntington) يربط هذا الصراع بنظريته في

الجفاف، ويعتبر أن هذا الصراع إنما دعى إليه تغيرات في الحالة المناخية، فإننا لانستطيع أن نقبل بهذا الرأي. فكثير من أشكال هذا الصراع لم يكن بحاجة إلى تغيرات مناخية في المناطق الصحراوية. إذ إن مجرد التباين بين غنى الأرض الزراعية وبين فقر المناطق الصحراوية كافٍ لأن يغري البدوي أن يغير على الجهات الزراعية عندما يلمس في حكام المناطق الزراعية المجاورة ضعفاً.

وعلى هذا فالبدواء تتذبذب قوة وضعفاً تبعاً لضعف الدولة وقوتها. فإذا كانت الدولة قوية قادرة على حفظ الأمن وضبط النظام اردهر الإنتاج الزراعي والتجاري والصناعي وعمرت المدن وانصرف الناس إلى أعمالهم لا يخشون شيئاً. وحين تضعف الدولة عن حماية أرواح الناس وأموالهم يقوى التمسك بالبدواء وتنقلب الكفة راجحة لها. وهذا ما يمكن أن نسميه بظاهرة المد والجزر بين البدواء والحضارة. وقد شهد العالم الإسلامي والمنطقة العربية منه بشكل خاص ظاهرة المد والجزر في كافة العصور حتى مطلع القرن العشرين الميلادي حين استتب الأمن وقويت شوكة الدول فضعفت سيطرة البدواء وانحسرت انحساراً شديداً (السرياني: ١٩٧١م، ص ٥٨ - ٥٦). وقد أثر تخطيط الحدود السياسية بين الدول ومراقبة هذه الحدود ومنع الدخول إلى البلاد أو الخروج منها إلا من معابر خاصة تقع تحت حراسة شديدة على تحديد نجمة هؤلاء وعلى قصر حركتهم داخل البلدان التي أصبحوا فيها. وقد أضعف ذلك من شوكتهم. فإذا أضفنا إلى ذلك انحسار دور الإبل كوسيلة للتنقل، إثر ظهور وسائل المواصلات الحديثة، وسيادة الجفاف وانقطاع المطر لسنوات عديدة الأمر الذي ساهم في ضياع الثروة الحيوانية، وهي عماد الحياة لدى هؤلاء فاتجهوا إلى الريف أو إلى المدن المجاورة وتركوا حياة التنقل والترحال. وفي الآونة الأخيرة بذلت الحكومات جهوداً كبيرة في سبيل توطين هؤلاء وإقرارهم في أماكن ومشاريع خاصة صممت لهذا الغرض. ويمكن القول أن البدواء في طريقها إلى الانحسار التام غير أن ذلك يحتاج إلى بعض الوقت.

نمط الاستيطان الريفي :

إن كلمة ريف ليست بالحديثة العهد في اللغة العربية، فقد جاءت على لسان الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- في الحديث النبوي الشريف: «كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف» وكان يراد بها المناطق التي تشيع فيها الزراعة تمييزاً لها عن المناطق التي يسود فيها الرعي. وقد استخدمت أيضاً بمعنى ما قارب الماء من أرض العرب (ابن منظور: مادة ريف). فهذا المعنى جاء في كتاب الخليفة عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص في موضع إشارته إلى اختيار مواقع معينة يقيم فيها العرب في الأمصار: (فلا تجعل بيني وبينهم بحراً وعليك بالريف).

وقد أعطى العرب تعاريف معينة لمصطلح الريف فقالوا: (إن الريف أرض فيها زرع وشجر وخصب). وميزوا مناطق الريف المختلفة طبقاً لمعيارين أساسين هما طبيعة الأرض وخصائص الموقع وسموها تسميات تتماشى وهذين المعيارين (البطيحي وخطاب: ١٩٨٢م، ص ١١).

وهناك تداخل بين معنى "الريف" ومعنى "السواد" في الكتابات العربية الأولى. فقد كان مفهوم السواد عند العرب بمعنى خضرة الشجر والنخيل فيها. ولكن تطور المدن العربية أضفى على مفهوم السواد سمات تماثل الريف إلى حد التطابق بين المفهومين. وصار السواد المحيط بأي مدينة من المدن يراد به ريفها لما يضمه من قرى ومزارع وفلاحين (البطيحي وخطاب: ١٩٨٢م، ص ١٢).

أما المفهوم المعاصر للريف فقد ارتبط بالظواهر التي يمكن أن تسمى ريفية كتعريف المناطق الريفية والسكان الريفيين، وهناك خلاف شديد بين الباحثين حول تعريف هذه المصطلحات. وقد وضعت الدوائر الإحصائية التابعة للأمم المتحدة معايير يمكن التمييز من خلالها بين الريف والحضر. وقد نهجت منهجاً يقوم على أساس تحديد المناطق الحضرية في ضوء معايير معينة واعتبار ما عداها "مناطق ريفية".

ولعل المعايير التي وضعها كل من تايلر وجونز لتمييز الريف عن الحضر تساعدنا على تحديد مفهوم الريف في العالم الإسلامي. فمن هذه المعايير الحرفة، حيث يحترف السكان الريفيون الزراعة، أما السكان الحضريون فيعتمدون حرفاً أخرى صناعية أو تجارية أو يعملون في الخدمات المختلفة. يلي الحرفة البيئة حيث تطفى الطبيعة في المناطق الريفية، والتي يعيش الريفي دائماً بين أحضانها، على عكس المناطق الحضرية التي يعيش الإنسان فيها في عزلة عن الطبيعة، وهناك حجم المجتمع حيث تسود المجتمعات الصغيرة في الريف، على عكس المناطق الحضرية التي تتصف أحجام مجتمعاتها بالسعة مقارنة مع الأرياف المجاورة.

أما السكان فهم في الريف أكثر تجانساً وأقل كثافة، وتقل بينهم الفروق الاجتماعية، على عكس ما عليه الحال في المدن. وتمتاز المناطق الريفية بعلاقات بسيطة تسود فيها العلاقات الشخصية ذات الطابع الإنساني، على عكس المناطق الحضرية التي يكون فيها التفاعل أوسع مما هو عليه في المناطق الريفية وتسود فيه العلاقات غير الشخصية، والتي تتمثل بعلاقات سببية ذات عمر قصير ومحدود (Taylor & Jones 1964: pp. 50- 52).

لقد كان للمعايير الأنفة الذكر أثرها في تحديد المناطق الريفية عن غيرها من المناطق الحضرية وسوف نعتمد على معايير الدول الإسلامية ذاتها في تحديد نسبة الحضرية فيها واعتبار ما عدا ذلك من مناطق الريف بعد إنزال النسب المقدرة لفتات البدو في هذه المجتمعات.

إن الجدول رقم (١) يظهر نسبة السكان الحضر في أقطار العالم الإسلامي المختلفة، ومن هذا الجدول نرى أن بعض أقطار العالم الإسلامي يغلب على سكانها طابع الحياة الريفية. ويمكن القول إن كافة الأقطار التي تنخفض فيها نسبة الحضرية عن ٣٠٪ من سكانها هي أقطار ريفية الطابع. وتضم هذه الأقطار ما يزيد عن ٢٢ دولة من دول العالم الإسلامي، ومنها ١٥ دولة في القارة الأفريقية تضم غالبية دول أفريقيا الإسلامية عدا الدول العربية. وتوزع هذه الدول على مختلف أرجاء القارة.

وتشمل كل دول شرقي أفريقيا عدا جيوتي (أرتيريا، إثيوبيا، أوغندا، تنزانيا، جزر القمر) كما تضم دول الصحراء الكبرى (تشاد، النيجر، مالي، بوركينافاسو) وبعض دول غربي أفريقيا (غينيا، غينيا بيساو، غامبيا، نيجيريا). وفي آسيا تضم هذه المجموعة سبع دول تشمل أقطار شبه القارة الهندية (باكستان، بنغلادش، المالديف) وقطران من أقطار شبه الجزيرة العربية (عُمان واليمن) وكذلك أفغانستان وطاجكستان. ويمكن أن يضاف إلى هذه المجموعة إندونيسيا. وبالرغم من تدني نسبة سكان الريف في كل من مصر والجزائر والمغرب وسوريا وتركيا وإيران إلا أن هناك الحجم العددي لسكان الأرياف في هذه الأقطار كبير، وهذه الأرياف هي التي تدفع بالسكان إلى الهجرة إلى مختلف مدن هذه المنطقة بنسبة كبيرة حيث تتضخم المدن على حساب هذه الأرياف.

جدول رقم (١) نسبة السكان الحضر في دول العالم الإسلامي

أسماء الدول	عدد الدول	الحضرية %
بوركينافاسو، النيجر، نيجيريا، أوغندا، تشاد، عُمان، أفغانستان، بنغلادش، أريتريا.	٩	أقل من ٢٠
السودان، غامبيا، غينيا بيساو، مالي، جزر القمر، الصومال، تنزانيا، اليمن، باكستان، طاجكستان، جزر المالديف.	١١	٢٠ - ٢٩
مصر، المغرب، الجزائر، موريتانيا، السنغال، سيراليون، بنين، أوزبكستان، تركمانستان، إندونيسيا، الكمرون.	١١	٣٠ - ٤٩
الجابون، تونس، سوريا، العراق، أذربيجان، تركيا، إيران، قازاقستان، ماليزيا، بروناي.	١٠	٥٠ - ٧٥
جيبوتي، ليبيا، قطر، البحرين، الكويت، الإمارات، السعودية، الأردن، فلسطين.	١١	٧٥ فأكثر

المصدر: World Population Data Sheet 1996

إن نسبة سكان الأرياف آخذة في الانخفاض التدريجي بالرغم من ارتفاع العدد المطلق للعاملين في القطاع الزراعي، ويعود هذا الانخفاض إلى اختلاف التوازن بين المناطق الريفية والمناطق الحضرية مما ينعكس بدوره على توسيع الهوة بينهما، الأمر الذي يفرض النزوح من الأرياف إلى المدن أملاً في تحسين الأوضاع المعاشية للفرد المهاجر.

وبالرغم من انخفاض مساهمة الزراعة في إجمالي الناتج الوطني إلا أنها مع ذلك تساهم بجانب كبير من الدخل الوطني لكثير من دول العالم الإسلامي. كما أن للزراعة دورها المهم في التنمية الصناعية خاصة في الصناعات القائمة على الإنتاج الزراعي. غير أن تفاقم ظاهرة انعدام التوازن بين نمو الغذاء ونمو السكان في كثير من بقاع العالم الإسلامي يهدد بعض الأقطار بتزايد تدني مستوى المعيشة وزيادة الفقر والفاقة الأمر الذي ينعكس بوضوح على المناطق الريفية هذه.

إن العيش في الأرياف يستلزم بالضرورة سكن المستوطنات البشرية التي تتواجد في الريف. ويمكن أن نميز في الأرياف عموماً نوعين من المستوطنات البشرية هما: العزبة والقرية وذلك على النحو التالي:

(أ) العزبة (القرية الصغيرة) وتختلف مسمياتها من منطقة إلى أخرى ومن بلد لآخر. ففي مصر تعرف باسم العزبة وفي بلاد الشام تسمى الضيعة. وهي تقابل الكلمة الإنجليزية Hamlet. والعزبة تمارس وظيفة زراعية بحتة، ونمط المباني فيها لا يتعدى إلى جانب المساكن القليلة العدد بعض مخازن الغلال أو أدوات الزراعة. وقد يوجد محل تجاري صغير في بعضها دون الآخر.

وتوجد العزبة في المناطق ذات الممتلكات الصغيرة في العالم الإسلامي على عكس العزبة في دول العالم الجديد. وتوجد هذه القرى الصغيرة أصلاً لأسباب تتعلق بقدرة الأرض المحدودة لإعالة سكانها. والظروف التضاريسية في المناطق الجبلية حيث تندر الأرض الصالحة لاستثمار والاستيطان، كما توجد في المناطق

المستتعية حيث تقل الأرض الصالحة للزراعة. ولعل أفضل الأمثلة على ذلك نمط القرى الصغيرة الموجودة في جبال السروات في السعودية. ففي إمارة الباحة مثلاً نجد أن هناك ما يزيد عن ١٢٠٠ مستوطنة بشرية ٩٣٪ منها لا يزيد عدد سكان كل منها عن ٢٠٠ نسمة في المتوسط، لابل إن ٥٠٪ منها لا يتجاوز سكان كل منها ١٠٠ نسمة فقط (السرياني: ١٩٨٨م، ص ٤٢-٤٤). ويمكن أن نجد بعض النويات الاستيطانية المشابهة في بعض أودية أفغانستان المنعزلة الموجودة في جبال هندكوش حيث توفر هذه الأودية الدفء خلال شهور الشتاء الشديدة البرودة غير أن قلة الناتج الزراعي يحدد حجم هذه المستوطنات البشرية. وفي جنوبي العراق حيث تكثر المستنقعات والأهوار يسود هذا النمط القزمي من الاستيطان.

(ب) القرية: الاسم الشائع للمستوطنات الريفية عموماً هو القرية، وقد ذُقال لها (الكفر) وهي كلمة آرامية قديمة تعني القرية، وقد تعرف باسم (الحلة) كما في السودان، ويقابلها في الإنجليزية Village. وبصفة عامة فإن القرية أكبر من العزبة سواء من حيث الكتلة السكنية أو من حيث عدد السكان. وعلى الرغم من أن غالبية السكان بها تعمل في الزراعة إلا أنه توجد وظائف أخرى وخدمات لا تتوفر في العزبة (مركز بريد، مدارس، محطة بنزين إلخ...).

ويمكن أن نميز عادة بين نمطين من القرى على النحو التالي:

١- القرى المنعزلة: وتوجد في معظم بقاع العالم الإسلامي في قرى الأقاليم الجبلية التي توجد بها أودية ضيقة مثل ما نجده في القرى الجبلية في أذربيجان، أو بين ثنايا الأودية الجبلية في أفغانستان، وعلى سفوح جبال كردستان العراق، أو في وسط الجزر النائية بإندونيسيا. وحتى عهد قريب كانت هذه القرى هي النمط السائد في جبال لبنان والجزائر والمغرب، غير أن ظروف استتباب الأمن ساعدت على زوال العزلة عن هذه المستوطنات البشرية الموجودة في الجبال. وعدد السكان في القرية محدود بتأثير قلة الأراضي الزراعية أو موارد المياه في الأودية الجبلية.

٢- القرى المكتتلة: وتمتاز بكثرة سكانها على عكس القرى المنعزلة، وتنتشر في بيئات الحضارات الزراعية في سهول الأنهار الكبرى، في دلتا النيل وواديه بمصر والسودان، وفي سهول الرافدين في العراق وسوريا وتركيا، وعلى ضفاف السند في باكستان، وفي دلتا الجانج في بنغلادش، وعلى ضفاف نهري (سرداريا واموداريا) في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية. وفي السهول الساحلية والفيضية بإيران وتركيا والمغرب العربي. وتأخذ القرى في هذه البيئات شكل المستوطنة المحتشدة في مباني متلاصقة ومتجاورة وتلتف حول المسجد الجامع فيها الذي يعتبر قلب القرية وتتجمع من حوله المحلات التجارية والخدمات المختلفة ثم تأتي بيوت المواطنين التي تشمل أماكن خاصة للسكن وأخرى مجاورة لقطيع الحيوان وغالباً ما يكون الأخير على شكل ملحق بالدار (زربية).

ويظهر التركيز الشديد لهذه القرى على طول أودية الأنهار. فقرى مصر والسودان تنصف بتجمع القرى وتلاصقها بسبب توافر المياه والأمان النسبي، على عكس إيران وتركيا حيث يكون احتشاد القرى وتركزها بقصد الحماية التي توفرها القرية كمواضع خاصة أوقات الاضطرابات. وقد كانت قرى إيران حتى وقت قريب محاطة بأسوار من أجل الحماية والأمن. وقد ساعد مد شبكة من قنوات الري متفرعة من نهري سيحون وجيحون (سرداريا وأموداريا) في وجود وانتشار العديد من القرى في أوزبكستان وتركمانستان وقرغيزيا.

ويمكن القول إن الاستيطان الريفي يتأثر كماً ونوعاً بالموارد المائية المتاحة، وكذلك بوجود الأراضي الخصبة المنتجة. أما مواضع القرى فتختار في أماكن معينة توفر الحماية والدفاع لسكانها وتبعد عنهم الأخطار الطبيعية المحتملة.

نمط الاستيطان الحضري:

يعرف التحضر لأغراض إحصائية تحليلية بأنه مجموعة السكان الذين يقيمون في تجمعات بشرية تقع في تصنيف المدن. ويشير إلدرج (Eldridge) إلى عنصرين يتضمنهما مفهوم التحضر الأول: تعدد محاور التمركز والثاني زيادة حجم الكثافة البشرية، الأمر الذي يؤدي إلى ارتفاع نسبة السكان في المدن (Spengler & Duncan, 1956: p. 388).

وتخضع تصنيفات التجمعات السكانية الريفية والحضرية إلى عدة اعتبارات منها الإدارية والسياسية والثقافية والديمقراطية (السكانية). وتختلف دول العالم الإسلامي في تصنيف السكان إلى ريفيين وحضريين، فلكل دولة معيار قد يختلف عن الدولة الأخرى. فعلى سبيل المثال هناك المعيار الاقتصادي الذي يعتبر كل مجتمع يشغل القسم الأكبر من قوته العاملة في مهن غير زراعية هو مدينة؛ وهناك المعيار الإداري ففي السعودية يعتبر كل تجمع سكاني فيه بلدية هو مدينة؛ وفي مصر كذلك تعتبر كل عواصم المراكز إلى جانب عواصم المحافظات مدناً؛ وهناك المعيار العددي الذي يحدد عدداً معيناً للمجتمع البشري ليأخذ صفة واسم المدينة. ففي الأردن كل تجمع يزيد عن ٥٠٠٠ نسمة يسمى مدينة، وفي مصر يرتفع العدد إلى ١١٠٠٠ نسمة. وتختلف الدول الإسلامية في تحديد الحد الأدنى والأعلى اللازم لبلوغ مواصفات المدينة العددية.

لقد نشأت مناطق الاستقرار الأولى في الأراضي الخصبة ذات الماء الوفير والمناخ المعتدل الدافئ وقد تكاثف الإعمار في مناطق التبادل التجاري. لقد كان استئناس الحيوان وتعلم الزراعة العاملين الأساسيين في الاستقرار البشري. وقد ساعد على ذلك تعلم طرق الري والحراثة واستخدام الحيوانات في حمل الأثقال وغير ذلك من المخترعات التي مهدت وساعدت على الاستقرار البشري.

لقد نشأ عن الاستقرار البشري نوع من التنظيم الاجتماعي الذي يضبط الظروف الاقتصادية والأمر السياسية، وأصبح فائض المحصول يرد إلى مستوطنات بشرية وإلى مناطق استقرار تفرغ معظم سكانها للقيام بأعمال أخرى غير الزراعة مثل الخدمة في الجيش والحكومة والعمال الحرفية الأخرى. وقد أصبحت هذه المستوطنات البشرية نواة لقيام المدن وانتشارها (Jordan & Rowntree, 1976: pp. 90- 95).

لقد كانت أراضي الرافدين ووادي النيل ووادي السند هي المناطق التي ظهرت فيها المدن الأولى في العالم الإسلامي. وقد كانت المدن في هذه المناطق تلعب دور التبادل التجاري والتفاعل الحضاري مع المناطق المجاورة، كما كانت تمثل النقاط الرئيسية وعقد المواصلات على الطرق التجارية الطويلة. ويتفق المؤرخون على أن الموطن الأول لنشوء المدن هو أرض الرافدين بالعراق التي شهدت نشوء أوائل المدن. وقد انتقلت حضارة المدن من بلاد الرافدين إلى المناطق المجاورة لها في وادي النيل في مصر ووادي السند بشبه القارة الهندية، ومن ثم انتشرت إلى مناطق العالم المختلفة (Jordan & Rowntree, 1976: 99).

لقد ارتبط انتشار المدن بقيام الإمبراطوريات الكبرى في العالم، وكما يقول جوبيرج في كتابه "مدينة ما قبل الصناعة" أن توسع سلطان أصحاب القوة والنفوذ من خلال إقامة الإمبراطوريات القديمة ساعد على إيجاد المدن العديدة في المناطق الريفية. ولقد حملت بذور التحضر وقيام المدن مع موجات التوسع التي كانت تشهدها هذه الإمبراطوريات (Jordan & Rowntree, 1976: 100) بينما تقوم الجيوش باحتلال مناطق جديدة، تحدد مناطق معينة لإقامة الجند أو للإدارة أو لجمع المحاصيل أو لجمع الضرائب المستحقة التي سترسل إلى عاصمة الجيش الفاتح. وبمرور الزمن تزول الصبغة العسكرية عن هذه النقاط وتتحول إلى مدن تخدم المناطق المحيطة بها. وهكذا تنمو المدن ويكثر عددها كلما توسعت حدود الإمبراطوريات وضمت أملاكاً جديدة إلى ممتلكاتها القديمة.

لقد تكرر نمط بناء المدن في مختلف عصور التاريخ، وشهد العالم الإسلامي قيام مدن عديدة ارتبط وجودها بقيام الدول المحلية أو الدول الغازية. وقد لعبت التجارة البرية والبحرية دوراً كبيراً في نشوء هذه المدن. فعلى طول الطرق البرية قامت مدن عديدة مثل نزوى في عُمان وصنعاء في اليمن واليمامة في نجد ومكة والمدينة في الحجاز والقدس في فلسطين ودمشق وحلب في سوريا ومكناس في المغرب. والذين استخدموا البحار في التجارة أقاموا مدناً تجارية على طول السواحل وربطوها بمدن التجارة في الداخل وهكذا أقام القينيقيون على سواحل الشام مدن بيروت وصيدا وصور وعكا وعسقلان وعلى السواحل الإفريقية للمتوسط قامت مدن تونس والجزائر وطرابلس الغرب والإسكندرية. وظهرت على سواحل شبه الجزيرة العربية مدن تجارية مثل القطيف ومسقط وعدن وجدة وغيرها.

وحيثما جاء الإسلام ازدهرت حركة المدن الجديدة فقامت مدن الجند مثل البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان، كما قامت مدن العواصم مثل بغداد وسامراء وفاس ومراكش. وازدهرت المدن الدينية مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة ثم ظهرت مدن لها صفة دينية مثل النجف وكربلاء ومشهد. أما المدن القديمة فقد ازدهرت في ظل الإسلام واصطبغت مظاهرها العامة بالصبغة الإسلامية وبرزت فيها خصائص المدينة الإسلامية بكل أبعادها.

وتتابع بناء المدن في الأقطار الإسلامية بمرور الزمن. وشهدت بعض المدن اضطراباً في النمو وتضاءلت أهمية بعض المدن الأخرى وهذه سنة الحياة. وحيثما خضعت الأقطار الإسلامية للاستعمار الغربي أقام المستعمر مدناً خاصة تخدم أغراضه. لقد أنشأ المستعمرون سلسلة من الموانئ على شواطئ أفريقيا الغربية، وجعلوها عواصم لدول المنطقة، وهذه العواصم تمثل موقعاً هامشياً بالنسبة لدولها. وقد ركز المستعمر في هذه العواصم الوظائف الاقتصادية والإدارية. وما هذه العواصم إلا مراكز تجميع لحاصلات البلاد تمهيداً لنقلها إلى الدول المستعمرة.

وهكذا نشأت مدن متعددة مثل داکار، بانجول، کوناکري، فريتاون، لومي، لاجوس في غربي أفريقيا ویاکرتا وکراتشي ودکا في جنوب شرقي آسيا (السرياني: ١٤١٧هـ، ص ٢٣٢).

وقد شهد العالم الإسلامي ازدهاراً في نمو المدن بعد الحرب العالمية الثانية فقد ظهرت مدن جديدة كانت بالأصل قرى أو موانئ صيد صغيرة. وكان لظهور الثروات البترولية أثر كبير في قيام هذه المدن مثل الكويت، الأحمدى، الدمام، الظهران، وعبدان، ومدن الخليج العربي الأخرى.

يمكن القول إن عملية التحضر في العالم الإسلامي بشكل خاص والدول النامية بشكل عام أخذت ثلاثة اتجاهات عامة، الاتجاه الأول ديموغرافي والاتجاه الثاني اقتصادي والاتجاه الثالث اجتماعي. ويرتبط الاتجاه الأول وهو الاتجاه الديموغرافي بنمو المدن السريع الذي شهدته دول العالم الإسلامي بعد الحرب العالمية الثانية وترجع أسباب هذا النمو إلى:

- ١- التصنيف الجديد للمراكز العمرانية الذي شمل العديد من المدن التي كانت أصلاً في عداد القرى.
- ٢- الزيادة الطبيعية للسكان الناجمة عن الفرق بين المواليد والوفيات.
- ٣- الهجرة إلى المناطق الحضرية من الأرياف والبوادي.

ويعتبر العامل الثالث العنصر الرئيس في النمو الحضري في دول العالم الثالث، ومنها الدول الإسلامية. وحتى نتمكن من التعرف على الأسباب التي تؤدي إلى الهجرة لابد من تقييم الجوانب الاقتصادية لعملية التحضر. وهذا ينقلنا إلى الاتجاه الثاني وهوالاتجاه الاقتصادي، وأبرز مظاهره التحول من الاقتصاد الزراعي، إلى الاقتصاد غير الزراعي الأمر الذي يؤثر في التركيب المهني للقوى العاملة. فقد طرأت على البناء الوظيفي للسكان تغيرات مهمة حيث انتقلت أعداد كبيرة من

القوى العاملة من العمل في الزراعة وما يرتبط بها من أعمال إلى العمل في الصناعات والخدمات المتنوعة وذلك من خلال الحركة السكانية المستمرة من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية.

أما الاتجاه الاجتماعي للتحضر فقد برز من خلال دور المدن في توليد ونشر التغيرات الاجتماعية على المستويين المحلي والوطني. وفي هذا فقد أصبحت المدينة مركزاً ونقطة انتشار للأفكار والأعمال الجديدة والوسائل التقنية المعاصرة التي تؤثر في تغيير الأوضاع التقليدية السائدة في المجتمعات الريفية المحيطة. وهذا ما يؤكد بصورة جلية وجهة النظر القائلة بأن للمدن نظاماً اجتماعياً يؤثر في تشكيل شخصية مميزة للأشخاص القاطنين فيها.

نخلص إلى القول أن التحضر هو عملية من عمليات التغيير الاجتماعي تتم بواسطة انتقال أهل الريف إلى المدن واكتسابهم تدريجياً أنماط الحضر. أو هو عملية يتحول بمقتضاها المجتمع الريفي إلى مجتمع حضري أو تأخذ القرية طابع المدينة ويظهر هذا التحضر من خلال صورتين متكاملتين هما:

- التحضر الطبيعي: والذي يعني أماكن الإقامة الدائمة في المناطق الحضرية.
- التحضر الاجتماعي: والذي يعني العمليات الاجتماعية التي يكسب الناس عن طريقها عناصر الثقافة المادية وغير المادية وأنماط السلوك والتفكير التي تمثل خصائص مميزة للمدينة (السرياني: ١٩٩٠م، ص ١٣٠).

بلغ عدد سكان العالم الإسلامي عام ١٩٩٦م (١٢٦٠) مليون نسمة. وتختلف نسبة سكان الحضر بين دولة وأخرى حيث نجد أن بعض أقطار العالم الإسلامي يغلب على سكانها الحياة ذات الطابع الريفي والقروي، في حين نجد أن بعضها الآخر ترتفع فيه نسبة سكان المدن ارتفاعاً ملموساً (انظر جدول رقم ١).

ويمكننا تقسيم دول العالم الإسلامي إلى ثلاث مجموعات على أساس نسبة السكان الحضري في كل منها:

(أ) المجموعة الأولى: والتي تقل فيها نسبة سكان الحضري عن ٣٠٪ من مجموع سكان الدولة. ويطلق عليها دول متدنية التحضر. وتشمل هذه المجموعة ما يزيد عن ٢٢ دولة، منه ١٥ دولة في القارة الأفريقية وسبع دول في القارة الآسيوية وقد تحدثنا عن هذه الدول فيما سبق باعتبارها دولاً ترتفع فيها نسبة سكان الريف وتعيش على هامش الحياة الحضرية.

(ب) المجموعة الثانية: وتضم تلك الدول التي تتراوح فيها نسبة التحضر من ٣٠-٥٠٪ وتشمل هذه المجموعة ١١ دولة من دول العالم الإسلامي منها أربعة من الأقطار العربية (مصر، المغرب، الجزائر، موريتانيا) وأربعة من أقطار غربي أفريقيا (السنغال، سيراليون، بنين، الكمرون) إضافة إلى أقطار أوروبكستان، وتركماستان، ويمكن أن نكرر ماسبق وذكرناه من أن بعض أقطار هذه المجموعة أيضاً مثل مصر، الجزائر، سوريا، وأوزبكستان تحوي العديد من سكان المدن غير أن كبر حجم السكان الكلي يخفي وراءه هذا العدد الكبير من سكان المدن.

(ج) المجموعة الثالثة: وهي ذات المستوى الحضري العالي حيث تزيد نسبة التحضر عن ٥١٪ وتدخل ضمن هذه المجموعة كافة أقطار العالم العربي في آسيا عدا اليمن وعمان، وأقطار غربي آسيا (تركيا، إيران، أذربيجان) وكذلك قازاقستان وماليزيا وبروناي في شرقي آسيا، وليبيا وتونس وجيبوتي والجابون من قارة أفريقيا. ومن الجدير بالذكر أنه يمكننا رؤية نموذجين من هذه المجموعة: نموذج الدول البترولية ذات التحضر السريع (أقطار الخليج العربي والعراق وليبيا وإيران وأذربيجان وماليزيا وبروناي والجابون) ونموذج الدول السياحية (لبنان، الأردن، فلسطين، وتونس).

وعند النظر في الظروف التاريخية التي صاحبت عملية التحضر يمكن أن نقسم أقطار العالم الإسلامي بموجب هذه الظروف إلى ثلاثة أنواع متباينة هي:

(أ) التحضر البدائي: ويعكس ذلك حياة دول: إما أنها لم تدخل في حياة الحضرية أو أنها تخلت عن اللحاق بسلسلة التطورات الحضرية الواسعة التي شهدها العالم. فتطور قطاعاتها الإنتاجية بقي محدوداً أو مرتبطاً أساساً باقتصاديات بسيطة غير متطورة كالزراعة. وبما يزيد من التخلف الحضري لهذه الدول أن أدوات الإنتاج وأساليبه تكون بدائية إلى درجة لا تسمح بتكوين فائض إنتاجي يسمح بتوسع القاعدة الاقتصادية الحضرية، كما أن مثل هذه الدول بحكم ظروفها الطبيعية والاقتصادية الصعبة فإن احتمال نمو وتطور نويات حضرية كبيرة سوف يستغرق وقتاً طويلاً، ولذا ستبقى هذه الدول لفترة ليست بالقصيرة مرتبطة بانخفاض نسبة الحضرية بين سكانها. وتعتبر معظم المجموعة الأولى أمثلة بارزة لهذا النوع من التحضر.

(ب) التحضر القاعدي: وهو عملية النمو الحضري التي يكون فيها التطور تدريجياً ارتقائياً. والنمو الحضري القاعدي يكون عادة انعكاساً للتناقص في التحول الذي تشهده القطاعات الصناعية والزراعية والتجارية. فالتوازن في نمو هذه القطاعات يؤدي إلى اتساع مستمر في أنشطتها مما يخلق لديها قدرات استيعابية لامتناهات من الأيدي العاملة التي تتحول مع الأيام إلى سكان حضر وتعتبر مصر وسوريا والعراق والجزائر والمغرب وإيران وتركيا كأمثلة تقليدية لهذا النوع من التحضر.

(ج) التحضر الفجائي: إن النمو الحضري في هذا النمط من التحضر يكون سريعاً وفجائياً، بحيث يخرج عن المعدلات المألوفة. والتحضر السريع يأتي نتيجة تغيرات فجائية كالتطورات في أساليب الإنتاج كأن يحدث تطور تقني يؤدي إلى تطور اقتصادي سريع. وهذا التطور الاقتصادي يؤدي إلى جذب

آلاف المهاجرين الذين يتحولون إلى سكان حضر. وتأتي هذه التغيرات الفجائية أحياناً نتيجة اكتشافات جديدة لمصادر الثروة مما يؤدي إلى اندفاع السكان بحثاً وراء فرص اقتصادية جديدة.

ففي الأقطار النفطية أخذ الاندفاع الشديد وراء اكتشاف النفط يغير من ملامح الخريطة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والسكانية للمناطق التي اكتشف فيها النفط. فشهدت مدن النفط حركة نمو سكاني سريعة نتيجة الباحثين عن حياة اقتصادية أفضل، وزادت الهجرة إلى هذه المدن، وزادت نسبة سكان الحضر بشكل مفاجئ وسريع، وكان نموها أقرب إلى الطفرة منه إلى النمو الطبيعي، وظهر ذلك جلياً في أقطار دول الخليج العربية وليبيا وبروناي وماليزيا وإيران، التي تحولت قراها السابقة خلال سنوات قليلة إلى مدن عامرة ومزدهرة خلال فترة زمنية وجيزة. وقد حصل ما يشبه ذلك أيضاً في قازاقستان حيث أحدث اكتشاف الثروات المعدنية وقيام الصناعة على هذه الثروات أثراً مشابهاً لما أحدثه النفط في تلك البلاد.

إن صور التحضر الثلاثة السابقة (البدائية والقاعدية والفجائية) تُظهر أمرين أساسيين توصل إليهما دنكان وجيز Duncan & Gibbs وهما:

١- إن درجة التحضر في المجتمع تتناسب بصورة طردية مع طبيعة نظام تقسيم العمل.

٢- تتناسب درجة التحضر في المجتمع تناسباً طردياً مع التطور التقني، رعبارة أخرى كلما زاد تقسيم العمل من حيث الشكل والمضمون، واتجه نحو زيادة التخصص وتوزيع الأدوار بشكل دقيق تزداد الحاجة إلى التخصصات الدقيقة في مختلف قطاعات الإنتاج الصناعي والزراعي والخدمات الصحية والتربوية والترويحية... الخ. ومثل هذه التخصصات تتطلب مؤسسات ومعاهد ومكاتب وإدارات وهيئات ترتبط بكل مهنة. وغالباً ما تتخذ هذه الهيئات والمؤسسات المدن كمراكز لهم لمزاولة نشاطهم الاقتصادي والاجتماعي.

كما أن درجة التحضر تتأثر طردياً بالتطور التقني سواء أكان التطور نابعاً من إنتاج المجتمع أو في حالة استيراد التقنية واستخدامها. والتحضر يزداد مع توسع استخدام التقنية والاعتماد عليها سواء أكانت هذه التقنية للأغراض الاستهلاكية أو الإنتاجية أو لتوفير الخدمات للفرد والأسرة وللهيئات وللمجتمع بصورة عامة، إذ إن إنتاج التقنية أو استيرادها يتطلب مؤسسات عديدة من ورش للصيانة ومراكز للتدريب ومكاتب ومؤسسات الإعلان وشركات التسويق والتوريد والوسطاء اللازمين لكل مرحلة من مراحل الأخذ بأسباب التقنية إلى مراحل توطينها في البلدان النامية (أبو عياش وزميله: ١٩٨٠م، ص ١٣٣ - ١٣٤).

نخلص إلى القول أن المجتمع الحضري ظاهرة بارزة وبميزة في المجتمعات الإسلامية وتشترك هذه المجتمعات الحضرية في العديد من الخصائص والملامح الحضارية سواء في الفن المعماري أو المعطيات الثقافية الإسلامية والتراث الحضاري المشترك. كما تشترك في العوامل التي ساهمت في التحضر السريع سواء كانت العوامل الجاذبة أم العوامل الطاردة وكذلك نمو المراكز الحضرية بصورة أسرع من نمو المجتمعات الريفية. ونتيجة لهذا النمو غير المتوازن نجد أن المدن الإسلامية تواجه العديد من المشكلات الفنية والإدارية والاجتماعية والتنظيمية التي تتطلب إجراء الدراسات المختلفة بقصد تشخيص المشكلات وتحديد أبعادها ووضع الحلول المناسبة ومراحل تنفيذها (أبو عياش وزميله: ١٩٨٠م، ص ١٢٧).

ومهما قيل من عدم مواكبة المدن الإسلامية لنواحي التطور والتقدم فإن هذه المدن ستبقى كما يرى (فريدمان):

(أ) مراكز نشر الأفكار والمخترعات المستحدثة ومراكز للتغيير والإشعاع الحضاري.

(ب) مراكز اتخاذ القرارات والسلطة.

(ج) مراكز للهجرة الداخلية والخارجية.

(د) مراكز للاستثمارات المادية والبشرية (Freedmen, 1975: p2).

انعكاسات الثقافة الدينية على مخططات المساكن وأنماط الاستيطان .

إن أنماط الاستيطان الريفية التي تحدثنا عنها في السابق والتي لاتعدو أن تكون قرية صغيرة أو قرية كبيرة تحدد أشكالها المواضع التي تبنى فوقها المراكز السكنية . ومفهوم الموضوع هنا يرتبط بالعلاقة المباشرة بين المساكن والبيئة الطبيعية التي تبنى فوقها .

إن مواضع القرى تكون إما على التلال المنبسطة أو السفوح المنحدرة أو على طول الأودية في أمكنة مرتفعة قليلاً عن خطر السيول، ويحكم هذه المواضع ويقيدها مواقع الأراضي الزراعية وموارد المياه والأغراض الدفاعية والعوامل الأخرى والعائلية .

فالأرض الزراعية ومقدار سعتها وضيقها عامل محدد لنمو القرية، لأنها كانت في السابق هي مصدر الرزق الوحيد للمزارع، ولهذا فإن القرى تتناسب في حجمها مع إمكانياتها من الأرض الزراعية سواء أكان ذلك في السهول أو في مناطق المدرجات التي تنتشر على السفوح أو على طول الأودية .

أما عامل الدفاع والحماية فيفرض اختيار المواضع الحصينة والوعرة أحياناً للدفاع عن المستوطنة في المناطق الجبلية، والارتفاع عن مستوى السيل في مناطق الأودية لدرء خطر الفيضانات والسيول .

يرتبط بالموضوع شكل المستوطنة والنسيج العمراني فيها، وفي هذا المجال يمكن أن نرى في الغالب المستوطنات ذات الشكل المندمج حيث المظهر الريفي التقليدي هو تحلق المساكن حول مركز القرية وفوق مساحة صغيرة من الأرض تضم جميع المساكن بشكل متقارب ومتلاصق تماماً . وكل القرى في الغالب تأخذ شكلاً متحد المركز وتلتف القرية حول المسجد الذي يمثل نقطة المركز ومحور القرية ويقوم السوق بجانبه .

وتمتاز القرية بوجود قطع من الأراضي مختلفة الزحجاء تقوم عليها منازل متباينة الأبعاد تفصلها شوارع ضيقة ومتعرجة وتختلط استعمالات الأرض هنا اختلاطاً كبيراً يصعب تمييزه .

ومما يميز القرية ويعكس أثر الجانب الديني على الاستيطان مقدار الترابط الأسري بين السكان حيث نجد أن جميع الأقارب يعيشون في حي واحد من القرية، وربما تكون مساكن القرية لأفراد أسرة واحدة سكنتها ابتداءً. ويلعب عامل الإرث دوراً بارزاً في تفتيت الملكية، وجعل المساكن والدور تتضاءل ويصغر حجمها بمرور الزمن. أما عامل الشفاعة فيساعد على إبعاد العناصر الغريبة والأجنبية عن السكن في الحي الواحد.

أما أنماط الاستيطان الحضري فتمثلها المدينة بكل أبعادها ومعانيها. والمدينة غنية عن التعريف سواء أكانت صغيرة أم كبيرة فلها من الخصائص المميزة ما يجعلها منارة يعرفها القاصي والداني.

ويحدد مواضع المدن ومواقعها، العديد من العوامل التي لايتسع المجال لذكرها، وتستوي في ذلك المدن الإسلامية وغيرها من المدن الأخرى.

إن ما يميز المدن الإسلامية في العادة أن شكلها يتركز حول النواة التي تمثل المسجد الذي يشكل نقطة الارتكاز وبؤرة الدائرة وتلتف الأسواق حول المسجد وتحيط به ثم تأتي المساكن المختلفة .

إن التكوينات المعمارية في المدن أكثر تعقيداً وأكثر رقياً من القرية. والذي يهمنا من هذه التكوينات تلك التي تعكس الثقافة والتأثير الديني في المدن الإسلامية وتطبعه بطابع مميز. وهذا ينقلنا مباشرة إلى المسكن الذي ترتبط به حياة الأسرة المسلمة ويمثل أصدق تمثيل تأثير العقيدة على حياة الناس ذلك التأثير المرتبط بمبدأ الخصوصية المميزة للحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية وفي تكويناتها المعمارية المختلفة.

لقد حددت التعاليم الإسلامية نظام الحياة الأسرية بما يحفظ الحرمات والعرض، وأصدر الفقهاء والقضاة أحكاماً مختلفة تدعم الخصوصية، ولم يتسامحوا في كشف حرمات المنازل بالنظر من أبوابها أو أثناء المرور في الشارع، أو بجرحها من خلال الاطلاع على المنازل المجاورة من الأسطح والكوى التي تكشف بيوت الآخرين. وكان لتمسك السكان بالتستر على حرماتهم، وحرص السلطة على تمكينهم من ذلك أثر مباشر في الشكل المادي للمدينة الإسلامية. وقد أخذ مظاهر متعددة من بينها تحديد شروط معينة لارتفاع المباني، وتنظيم المطلات على الشوارع بطريقة خاصة وكذلك فتح الأبواب عليها، وتنظيم استغلال الأسطح بشكل يحول دون كشف البيوت المجاورة.

لقد أثرت الأحكام الفقهية المحققة "للخصوصية" وعدم كشف الحرمات في تخطيط المنزل الإسلامي. فوجبت المعادلة بين ضيق الشوارع والطرق الجانبية وبين منع فتح النوافذ والمطلات عليها حتى لا تكشف البيوت المجاورة. وتمثل الحل في الاقتصار على استخدام الشارع كشريان اتصال واعتمد على الفناء الداخلي لفتح النوافذ والمطلات. ومن هنا ساد الفناء كعنصر رئيس في تخطيط المنزل الإسلامي. وأصبح يمثل محور النشاط الرئيس في المساكن والمباني الإسلامية الأخرى. والفناء عنصر أساسي في تخطيط المنزل الشرقي باعتبار ملاءمته المعمارية لمناخ المنطقة الحارة، فهو يساعد على خفض درجة الحرارة نتيجة الظلال الناتجة من تقابل أضلاعه ونتيجة تبخير نسبة من الماء من النوافير التي توضع فيه وتعمل المزروعات التي تزرع أحياناً في الفناء على تلطيف الجو أيضاً.

لقد استخدم الفناء في فتح النوافذ تجنباً لصعوبة فتحها على الشوارع الخارجية، واستخدم كعنصر اتصال وحركة للربط بين أجزاء المنزل المختلفة بالإضافة إلى استخدامه في الأغراض المعيشية الأخرى. وهذه الميزات حتمت استمراره واستخدامه في التكوينات المعمارية بالمدينة الإسلامية، بل إنها دفعت إلى تطور استخدامه وظيفياً وجمالياً ليتناسب والحياة الأسرية المسلمة التي تقضي معظم وقتها داخله وخصوصاً النساء.

وكان تنكيب الأبواب الخارجية المطلة على الشوارع وطرقات المدينة مظهراً معمارياً مستوحى من أحكام الفقه الإسلامي، التي دعت إلى عدم كشف حرمت المنازل من خلال هذه المداخل. ولضيق النسبة الغالبة على شوارع المدينة الفرعية، وحرصاً على حماية أهل المنزل من عيون المارة أو من عيون أهل المنازل المقابلة خططت مداخل المنازل بطريقة تمنع هذا الكشف. وتمثل تخطيطها في هيئة دهليز أو ممر ملتو أو منكسر يؤدي إليه الباب المطل على الشارع. ويوجد في أحد جانبي الممر باب ثان يؤدي إلى الصحن أو فناء المنزل وبذا توافرت الحماية لمن بفناء المنزل.

وفي حالة امكانية فتح النوافذ على الشوارع كان الحرص شديداً على أن لا تفسد هذه النوافذ خصوصية هذه المنازل بالكشف. ومن ثم برزت السواتر الخشبية المصنوعة من خشب انخرط على هيئة سواتر أو مشربيات تمكن من خلفها من رؤية الشارع ولا تمكن من في الشارع من رؤية داخلها، إضافة إلى ميزات الأخرى كتقليل نسبة الأشعة المارة من خلالها وتلطيف الهواء الحار أثناء مروره من خلالها.

ولمزيد من الخصوصية فقد صممت قاعات الاستقبال في المنازل تصميماً خاصاً بحيث وضعت غالباً بعيداً عن غرف المعيشة والنوم. وفي بعض الأقطار خصص أعلى طابق لاستقبال الضيوف والاجتماعات والراحة. وفي هذا جمع بين استقلالية غرف الاستقبال عن بقية الوحدات الأخرى في المنزل والإشراف على المدينة ومناظرها الطبيعية الأخرى. وقد تطور هذا الاتجاه في تخطيط المنزل الإسلامي بحيث أصبح المنزل يشمل على قسم مخصص للرجال واستقبالاتهم وهو ما يطلق عليه "السلامك" وقسم آخر يشتمل على غرف المعيشة وقاعات النوم ومرافقها وهو ما يطلق عليه اسم "الحرملك" نسبة إلى الحرم.

نمو السكان في العالم الإسلامي:

يظهر الجدول رقم (٢) تطور أعداد السكان في دول العالم الإسلامي خلال الفترة ١٩٠٠ - ٢٠٢٥ م، ومنه تظهر الزيادة الكبيرة التي طرأت على أعداد السكان. فقد قفز عدد سكان العالم الإسلامي من ٢٢٠ مليون نسمة في بداية القرن العشرين الميلادي إلى ما يزيد عن مليار وربع المليار نسمة في نهايته أي أن الزيادة كانت ٦٠٠٪. وإذا استمرت الزيادة السكانية بهذا المستوى فإن العدد سيصل وفقاً لتقديرات الأمم المتحدة رلى ٢٢٣١ مليون نسمة في نهاية ربع القرن الميلادي القادم (٢٠٢٥ م).

جدول رقم (٢) تطور أعداد السكان في العالم الإسلامي

السنة	عدد السكان
١٩٠٠ م	٢١٩
١٩٣٠ م	٢٧٠
١٩٥٠ م	٣٧٧
١٩٧٠ م	٦١٩
١٩٩٦ م	١٢٦٠
٢٠٢٥ م	٢٢٣١

إن عوامل النمو السكاني تنحصر في ثلاثة أمور هي المواليد والوفيات والهجرة. ويعرف الفرق بين المواليد والوفيات بالزيادة الطبيعية، التي هي العامل الحاسم في نمو السكان لمعظم دول العالم. أما الهجرة فتلعب دوراً مهماً في الزيادة غير الطبيعية للسكان، والتي يظهر أثرها في الدول المستقبلية للمهاجرين أو الدول المرسله لهم. وفيما يلي لمحة موجزة عن هذه العوامل:

المواليد: يبلغ المعدل العالمي للمواليد ٢٤ بالآلاف (١٩٩٦م) ويرتفع هذا المعدل في الدول النامية إلى ٣١ بالآلاف. والناظر إلى الجدول رقم (٣) الذي يظهر معدل المواليد في العالم الإسلامي يرى أن الغالبية العظمى من أقطاره ترتفع بها نسبة المواليد عن المعدل العالمي، لا بل إن أكثر من نصف أقطار العالم الإسلامي يرتفع فيها معدل المواليد عن المعدل العام للدول النامية وهو ٣١ بالآلاف. إن معظم أقطار أفريقيا المدارية يزيد فيها معدل المواليد عن ٤٠ بالآلاف. وهناك بعض الدول تصل فيها الخصوبة أقصاها بحيث تزيد نسبة المواليد عن ٥٠ بالآلاف وهو الرقم الذي يمثل الحد الأقصى لمعدل المواليد (مالي، النيجر، الصومال، اليمن، وأفغانستان وغيرها) (جدول رقم ٤).

جدول رقم (٣) معدل المواليد بالآلاف في دول العالم الإسلامي

المعدل	عدد الدول	أسماء الدول
أقل من ٢٩	١٩	المغرب، تونس، البحرين، الكويت، قطر، الإمارات، لبنان، فلسطين، تركيا، أذربيجان، إندونيسيا، ماليزيا، بروناي، قازاقستان، أوزبكستان، طاجكستان، قرغيزيا، الجابون، البانيا.
٣٩ - ٣٠	١٠	الجزائر، مصر، موريتانيا، جيبوتي، الأردن، السعودية، بنغلادش، إيران، باكستان، تركمانستان.
٤٩ - ٤٠	١٩	ليبيا، السودان، سوريا، العراق، بنين، بوركينافاسو، غينيا، غينيا بيساو، نيجيريا، السنغال، سيراليون، جزر القمر، أريتريا، أثيوبيا، الكمرون، تشاد، المالديف، تنزانيا.
٥٠ فأكثر	٧	مالي، النيجر، الصومال، أوغندا، عمان، اليمن، أفغانستان.

المصدر: World Population Data Sheet, 1996

وإذا قارنا أرقام المواليد الحالية (١٩٩٦م) بنظيرتها قبل ربع قرن (١٩٧١م) نجد أن هناك انخفاضاً ملموساً في معدلات المواليد في الكثير من دول العالم الإسلامي وأقطاره (جدول رقم ٤). ونرى أن معدلات هذا الانخفاض كبيرة في بعض الدول مثل أقطار شمالي أفريقيا (المغرب والجزائر وتونس ومصر) وأقطار الخليج العربي (الكويت، قطر، الإمارات، البحرين، والسعودية) إضافة إلى الأردن ولبنان وفلسطين وتركيا وإيران واندونيسيا وماليزيا. ويرتبط انخفاض معدلات المواليد في أقطار الخليج العربي بارتفاع سن الزواج نظراً لظروف التعليم التي حصلت للمرأة الخليجية الأمر الذي ساعد على انخفاض معدلات المواليد. أما الأقطار الأخرى فيعزى انخفاض معدلات المواليد لبرامج تنظيم الأسرة المتبعة في تلك الدول^(٩). وإذا استثنينا الدول الإسلامية التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي (السابق) وسط آسيا والتي تقل فيها معدلات المواليد نسبياً، فإننا نجد أن بقية أقطار العالم الإسلامي ذات معدلات مواليد مرتفعة.

جدول رقم (٤) الإحصاءات الحيوية لدول العالم الإسلامي

(١٩٧١م - ١٩٩٦م)

الدولة	السكان بالمليون		المواليد بالآلاف		الوفيات بالآلاف		الزيادة الطبيعية بالآلاف		الحضارية (%)	
	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م
الجزائر	١٤,٥	٢٩,٠	٥٠,٠	٣٠,٠	١٧,٠	٦,٠	٣,٣٠	٢,٤٠	٥٠,٠	---
مصر	٣٤,٩	٦٣,٧	٤٤,٠	٣٠,٠	١٥,٠	٧,٠	٢,٨٠	٢,٢٠	٤٤,٠	---
ليبيا	١,٩٠	٥,٤٠	٤٦,٠	٤٥,٠	١٥,٠	٨,٠	٣,١٠	٣,٧٠	٨٥,٠	---
المغرب	١٦,٣	٢٧,٦	٥٠,٠	٢٩,٠	١٥,٠	٦,٠	٣,٣٠	٢,٢٠	٤٧,٠	---
السودان	١٦,٣	٢٨,٩	٤٩,٠	٤٢,٠	١٨,٠	١٢,٠	٣,٢٠	٣,٠٠	٢٧,٠	---
تونس	٥,٣٠	٩,٢٠	٤٥,٠	٢٣,٠	١٤,٠	٦,٠	٣,١٠	١,٧٠	٦٠,٠	---
بنين	٢,٨٠	٥,٦٠	٥١,٠	٤٩,٠	١٨,٠	٢٦,٠	٢,٦٠	٣,١٠	---	٣٦,٠
بوركينافاسو	٥,٥٠	١٠,٦	٤٩,٠	٤٧,٠	٢٨,٠	١٩,٠	٢,١٠	٢,٨٠	---	١٥,٠
غامبيا	٠,٤	١,٢٠	٤٢,٠	٤٨,٠	٢٣,٠	٢١,٠	١,٩٠	٢,٧٠	---	٢٦,٠
غينيا	٤,٠	٧,٤٠	٤٧,٠	٤٤,٠	٢٥,٠	٢٠,٠	٢,٣٠	٢,٤٠	---	٢٩,٠
غينيا بيساو	---	١,١٠	---	٤٣,٠	---	٢١,٠	---	٢,١٠	---	٢٢,٠
مالي	٥,٢٠	٩,٧٠	٥٢,٠	٥٢,٠	٢٠,٠	٢٠,٠	٢,٤٠	٣,١٠	---	٢٦,٠
موريتانيا	١,٢٠	٢,٣٠	٤٥,٠	٣٩,٠	١٤,٠	١٤,٠	٢,٢٠	٢,٥٠	---	٣٩,٠
النيجر	٤,٠٠	٩,٥٠	٥٢,٠	٥٣,٠	١٩,٠	١٩,٠	٢,٩٠	٣,٤٠	---	١٥,٠
نيجيريا	٥٦,٥	١٠٣,٩	٥٠,٠	٤٣,٠	١٢,٠	١٢,٠	٢,٦٠	٣,١٠	---	١٦,٠
السنغال	٤,٠٠	٨,٥٠	٤٦,٠	٤٣,٠	١٦,٠	١٦,٠	٢,٤٠	٢,٧٠	---	٤٣,٠
سيراليون	٢,٧٠	٤,٦٠	٤٦,٠	٤٦,٠	١٩,٠	١٩,٠	٢,٣٠	٢,٧٠	---	٣٥,٠
جزر القمر	---	٠,٦٠	---	٤٧,٠	---	١١,٠	---	٣,٦٠	---	٢٩,٠
جيبوتي	---	٠,٦٠	---	٣٨,٠	---	١٦,٠	---	٢,٢٠	---	٧٧,٠
أريتريا	---	٣,٦٠	---	٤٣,٠	---	١٥,٠	---	٢,٨٠	---	١٧,٠

تابع جدول رقم (٤)

الحضرية (%)	الزيادة الطبيعية بالآلف		الوفيات بالآلف		المواليد بالآلف		السكان بالمليون			
	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م		
---	١٥,٠	٢,١٠	٣,١٠	٢٥,٠	١٦,٠	٤٦,٠	٤٦,٠	٢٥,٦	٥٧,٢	اثيوبيا
---	٢٤,٠	٢,٤٠	٣,٢٠	٢٤,٠	١٩,٠	٤٦,٠	٥٠,٠	٢,٩٠	٩,٥٠	الصومال
---	٢١,٠	٢,٦٠	٣,٠٠	٢٢,٠	١٤,٠	٤٧,٠	٤٣,٠	١٣,٦	٢٩,١	تنزانيا
---	١١,٠	٢,٦٠	٣,٣٠	١٨,٠	١٩,٠	٤٣,٠	٥٢,٠	٨,٨٠	٢٢,٠	أوغندا
---	٤١,٠	٢,٢٠	٢,٩٠	٢١,٠	١٢,٠	٤٣,٠	٤١,٠	٥,٩٠	١٣,٦	الكمرون
---	٢٢,٠	٢,٤٠	٢,٦٠	٢٣,٠	١٨,٠	٤٨,٠	٤٤,٠	٣,٨٠	٦,٥٠	تشاد
---	٧٣,٠	٠,٩	١,٥٠	٢٦,٠	١٤,٠	٣٥,٠	٢٩,٠	٠,٥	١,٢٠	الجابون
---	٥٣,٠	---	١٤,٠	---	٧,٠	---	٢١,٠	---	٦,٧٠	أدربيجان
---	٨٨,٠	---	٢,٦٠	---	٣,٠٠	---	٢٩,٠	---	٠,٦٠	البحرين
---	٧٠,٠	٣,٤٠	٣,٧٠	١٥,٠	٧,٠٠	٤٩,٠	٤٤,٠	١٠,٠	٢١,٤	العراق
---	٩٠,٠	٢,٤٠	١,٥٠	٧,٠٠	٦,٠٠	٢٦,٠	٢١,٠	٣,٠	٥,٨٠	فلسطين
---	٧٨,٠	٣,٣٠	٢,٦٠	١٦,٠	٦,٠٠	٤٨,٠	٣٢,٠	٢,٤٠	٤,٢٠	الأردن
---	٩٦,٠	٨,٢٠	٢,٣٠	٧,٠٠	٢٠,٠	٤٣,٠	٢٦,٠	٠,٨	١,٨٠	الكويت
---	٨٦,٠	---	٢,٠٠	---	٥,٠٠	---	٢٥,٠	٢,٩٠	٣,٨٠	لبنان
---	١٢,٠	٣,١٠	٤,٩٠	١١,٠	٤,٠٠	٤٢,٠	٥٣,٠	٠,٧	٢,٣٠	عمان
---	٩١,٠	---	١,٦٠	---	٢,٠٠	---	١٨,٠	---	٠,٧٠	قطر
---	٧٩,٠	٢,٨٠	٣,٢٠	٢٣,٠	٤,٠٠	٥٠,٠	٣٦,٠	٨,٠٠	١٩,٤	السعودية
---	٥١,٠	١,٥٠	٣,٧٠	١٥,٠	٦,٠٠	٤٧,٠	٤٤,٠	٦,٤٠	١٥,٦	سوريا
---	٦٣,٠	٢,٧٠	١,٦٠	١٦,٠	٧,٠٠	٤٣,٠	٢٣,٠	٣٦,٥	٦٣,٩	تركيا
---	٨٢,٠	---	١,٩٠	---	٤,٠٠	---	٢٣,٠	---	١,٩٠	الإمارات

تابع جدول رقم (٤)

الدولة	السكان بالمليون		المواليد بالآلاف		الوفيات بالآلاف		الزيادة الطبيعية بالآلاف		الحضرية (%)	
	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م
اليمن	١٤,٧	٥,٩٠	٥٣,٠	٥٠,٠	٢١,٠	٢٣,٠	٣,٢٠	٢,٨٠	٢٣,٠	---
أفغانستان	٢١,٥	١٧,٤	٥٠,٠	٥٠,٠	٢٢,٠	٢٦,٠	٢,٨٠	٢,٥٠	١٨,٠	---
بنغلادش	١١٩,٨	---	٣١,٠	---	١١,٠	---	٢,٠٠	---	١٦٦,٠	---
إيران	٦٣,١	٢٩,٢	٣٦,٠	٤٨,٠	٧,٠٠	١٨,٠	٢,٩٠	٣,٠٠	٥٨,٠	---
قازاقستان	١٦,٥	---	١٨,٠	---	٩,٠٠	---	٠,٩٠	---	٥٦,٠	---
قرغيزيا	٤,٦٠	---	٢٥,٠	---	٨,٠٠	---	١,٦٠	---	٣٥,٠	---
المالديف	٠,٣٠	---	٤٣,٠	---	٧,٠٠	---	٣,٦٠	---	٢٦,٠	---
باكستان	١٣٣,٥	١٤١,٦	٣٩,٠	٥٠,٠	١٠,٠٠	١٨,٠	٢,٩٠	٣,٣٠	٢٨,٠	---
طاجكستان	٥,٩٠	---	٢٨,٠	---	٧,٠٠	---	٢,١٠	---	٢٨,٠	---
تركمانستان	٤,٦٠	---	٣٢,٠	---	٨,٠٠	---	٢,٤٠	---	٤٥,٠	---
أوزبكستان	٢٣,٢	---	٢٩,٠	---	٧,٠٠	---	٢,٣٠	---	٣٩,٠	---
بروناي	٠,٣٠	---	٢٧,٠	---	٣,٠٠	---	٢,٤٠	---	٦٧,٠	---
إندونيسيا	٢٠١,٤	١٢٤,٩	٢٤,٠	٤٧,٠	٨,٠٠	١٩,٠	١,٦٠	٢,٩٠	٣١,٠	---
ماليزيا	٢٠,٦	١١,١	٢٨,٠	٣٧,٠	٥,٠٠	٨,٠٠	٢,٤٠	٢,٨٠	٥١,٠	---
ألبانيا	٣,٣٠	٢,٢٠	٢٣,٠	٣٦,٠	٦,٠٠	٨,٠٠	١,٧٠	٢,٧٠	٣٧,٠	---
الموسنة والهرسك	٣,٦٠	---	١٣,٠	---	٧,٠٠	---	٠,٦٠	---	٠,٠٠	---

(---) غير متوافر.

المصدر : World Population Data Sheet, 1996

الوفيات: يبلغ المعدل العالمي للوفيات ٩ بالألف، ويرتفع في الدول النامية إلى ١٠ بالألف، ويبلغ أقصى مدى لمعدل الوفيات في أفريقيا بحيث يصل إلى ١٣ بالألف. والجدول السابق رقم (٤) إضافة إلى جدول رقم (٥) يظهر معدل الوفيات في أقطار العالم الإسلامي. ولا بد لنا قبل مناقشة محتويات هذا الجدول، أن نبرز أن الأرقام الإحصائية للوفيات بشكل خاص، وللإحصائيات الحيوية بشكل عام، هي أرقام غير دقيقة بالنسبة لكثير من الدول النامية، ومن جملتها أقطار العالم الإسلامي. وليس أدل على ذلك من أن إحصاءات عام ١٩٩٦م سجلت أن معدل وفيات الدول المتقدمة هو ١٠ بالألف، أما وفيات الدول النامية فهو ٩ بالألف. وهذا مخالف تماماً للواقع، وسببه عدم الدقة في بيانات الوفيات في الدول النامية عنها في الدول المتقدمة. فأغلب الدول النامية إحصاءاتها الحيوية غير مكتملة، وتبنى في الغالب على تقديرات خاصة. لذا فإن بيانات الوفيات المنشورة من قبل الدوائر السكانية العالمية ستستخدم كمؤشرات إحصائية تعطي دلالات معينة دون أن تكون حقائق أكيدة.

جدول رقم (٥) معدل الوفيات (في الألف) في دول العالم الإسلامي
(١٩٩٦م)

المعدل بالألف	عدد الدول	أسماء الدول
أقل من ٩	٢٩	السعودية، قطر، البحرين، الإمارات، عُمان، الكويت، لبنان، الأردن، فلسطين، العراق، سوريا، المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر، تركيا، إيران، أذربيجان، قازاقستان، أوزبكستان، تركمانستان، طاجكستان، قرغيزيا، المالديف، إندونيسيا، ماليزيا، بروناي، ألبانيا.
١٠-١٩	٢٠	باكستان، بنغلادش، موريتانيا، السودان، الصومال، جيبوتي، أريتريا، أوغندا، أثيوبيا، جزر القمر، تشاد، النيجر، بوركينافسو، الكمرون، الجابون، بنين، السنغال، سيراليون، نيجيريا.
٢٠-٢٢	٦	أفغانستان، اليمن، مالي، غينيا بيساو، غينيا، غامبيا.

المصدر: World Population Data Sheet, 1996

يظهر الجدول السابق رقم (٤) أن هناك انخفاضاً ملموساً في نسبة الوفيات العامة خلال ربع القرن الماضي من (١٩٧١-١٩٩٦م)، ومع ذلك فإن الدول الإسلامية لم تشهد كلها هبوطاً ملحوظاً في الوفيات بدرجة متساوية حيث كان الهبوط ضئيلاً في بعضها مثل أفغانستان واليمن ومالي وغينيا، ومتوسطاً في أقطار أخرى مثل باكستان وبنغلادش وكافة دول أفريقيا المدارية. أما الهبوط الشديد في الوفيات عموماً وفي وفيات الأطفال على وجه الخصوص فنجدته في معظم الأقطار العربية والأقطار الإسلامية في الاتحاد السوفيتي سابقاً إضافة إلى تركيا وإيران وإندونيسيا وماليزيا.

الزيادة الطبيعية: هي الفرق بين معدل المواليد والوفيات، وقد المالحنا إلى كل من المواليد والوفيات آنفاً. وإن نظرة تحليلية لأرقام الزيادة الطبيعية الموجودة في الجدولين رقم (٤ و٦) تظهر لنا أن معدلات الزيادة الطبيعية في العالم الإسلامي تنسم بالارتفاع الكبير سواء على مستوى العالم، أو على مستوى العالم النامي. تبلغ الزيادة الطبيعية على مستوى العالم ١,٥٪ سنوياً. أما على مستوى الدول النامية فتبلغ الزيادة الطبيعية ٢,٢٪. وإذا نظرنا إلى أقطار العالم الإسلامي نجد أن كافة أقطار العالم الإسلامي باستثناء أذربيجان (٤ بالآلف) هي أعلى في الزيادة الطبيعية من المستوى العالمي وهو ١,٥٪. أما باقي أقطار العالم الإسلامي فتزيد فيها هذه النسبة عن المتوسط العالمي للدول النامية وهو ٢,٢٪. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن دول العالم الإسلامي ستشهد نمواً سكانياً كبيراً يفوق معدل النمو السكاني العالمي خلال ربع القرن الميلادي القادم. وأن تقديرات السكان لعام ٢٠٢٥ الموجودة في الجدول السابق تؤكد أن العالم الإسلامي سيرتفع عدد سكانه إلى ٢٢٣١ مليون نسمة مقابل ١٢٦٠ مليون نسمة عام ١٩٩٦م.

جدول رقم (٦) معدل الزيادة الطبيعية في دول العالم الإسلامي

أسماء الدول	عدد الدول	النسبة المئوية
المغرب، تونس، جيبوتي، فلسطين، قطر، الإمارات، الجابون، غينيا بيساو، تركيا، أذربيجان، قازاقستان، قرغيزيا، طاجكستان، إندونيسيا، ألبانيا.	١٥	٢,٢ فأقل
الكويت، لبنان، البحرين، الأردن، الجزائر، مصر، السنغال، سيراليون، غامبيا، غينيا، موريتانيا، تشاد، الكمرون، بوركينافاسو، أريتريا، أفغانستان، إيران، باكستان، بنغلادش، تركمانستان، أوزبكستان، ماليزيا، بروناي.	٢٣	٢,٢ - ٢,٩
ليبيا، السودان، الصومال، سوريا، العراق، السعودية، عُمان، اليمن، أثيوبيا، جزر القمر، بنين، مالي، النيجر، نيجيريا، تنزانيا، أوغندا، المالديف.	١٧	٣,٠ - ٥,٠

المصدر: World Population Data Sheet, 1996

نخلص إلى القول أن العالم الإسلامي شهد زيادة سكانية كبيرة خلال العقدين الماضيين. وأنه من المحتمل أن يواصل هذه الزيادة خلال العقدين القادمين بسبب ما هو ملاحظ من انخفاض في معدلات الوفيات في السنوات الأخيرة، مع عدم انخفاض معدلات المواليد بالنسبة نفسها، الأمر الذي ينجم عنه زيادة كبيرة لأعداد السكان.

وبموجب تقديرات الأمم المتحدة عن مدة تضاعف السكان نجد أن ٢٤ دولة من دول العالم الإسلامي سيتضاعف عدد سكان كل منها خلال ٢٥ عاماً، و١٢ دولة أخرى يتضاعف عدد سكانها بين ٢٦ - ٢٩ عاماً وما يزيد عن ٢٠ دولة أخرى يتضاعف سكان كل منها خلال فترة زمنية لا تتجاوز ٤٠ عاماً.

الدلالات الحضارية والدينية لنمو السكان: ترجع ظاهرة ارتفاع معدلات المواليد في العالم الإسلامي إلى عدة أسباب منها: طبيعة المجتمعات الإسلامية الزراعية، التي تشجع استخدام الأطفال في العمل الزراعي وفي الحرف اليدوية منذ وقت مبكر، واعتماد الآباء الطاعنين في السن على أبنائهم الشباب لضمان الاستقرار عند الكبر. والقيمة الكبيرة للأطفال في الاقتصاد التقليدي أكثر منه في الاقتصاد الموجه، إلى جانب العوامل ذات الطابع الديموغرافي أو الاجتماعي أو السياسي. كذلك فإن المجتمعات القبلية تفضل زيادة أبناء القبيلة كوسيلة للتفاخر والمباهاة من جهة وللاستفادة من أفراد القبيلة في العمل من جهة أخرى، كما تحرص الأمهات على زيادة الإنجاب كوسيلة لاستقرار الحياة الزوجية تضمن للمرأة الحماية والأمان من الطلاق حيث يفكر الزوج كثيراً قبل أن يقدم على الطلاق أو الزواج بأخرى إذا كان لديه أسرة كبيرة وأولاد كثر (المطري: ١٤٠٥هـ، ص ٧١).

ويعتبر الزواج المبكر من أسباب ارتفاع معدلات المواليد في العالم الإسلامي. وهناك دلائل على أن نسبة كبيرة من الفتيات في أقطار العالم الإسلامي يتزوجن في سن مبكرة نظراً لعدم التحاق الفتيات بالمدرسة، أو خروجهن منها بعد الدراسة المتوسطة، وللخوف من تقدم السن قبل الزواج وارتباط ذلك بنظرة المجتمع للفتاة العانس. وهناك أمر آخر يرتبط بالأقاليم الحارة عموماً وهو نضوج الفتاة في سن مبكر حيث سن البلوغ أقل بكثير من المناطق الأخرى.

ويلعب الدين الإسلامي دوراً بارزاً في زيادة الإنجاب أولها أن الإسلام لا يشجع على تحديد النسل بالطريقة التي تسود في الغرب. صحيح أن الإسلام أباح العزل في ظروف خاصة غير أنه لا يقر الإجهاض، ولا يقر الكثير من الأسباب التي يتعلل بها المتحمسون لسياسة تحديد النسل. ومن جهة ثانية يسمح الإسلام بتعدد الزوجات كما يسمح بإعادة زواج الأراامل والمطلقات على عكس البيانات

الأخرى. ويشجع الإسلام على الزواج المبكر رغبة في حفظ النفس من الوقوع في الزلل، وحفاظاً على صيانة عرض المرء وشرفه، سواء أكان ذكراً أم أنثى. ورغبة في كثرة الولد (تزوجوا الولود الودود)، (تكاثرو تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة)^(١٠).

نخلص إلى القول أن الواقع الحضاري للعالم الإسلامي وكذلك التعاليم الدينية تشجع كلها على زيادة الإنجاب، فمكونات المجتمع الإسلامي تحوي كافة العناصر المشجعة لزيادة النسل. فالزراع أكثر إنجاباً من الصناع، والعمال غير المهرة أكثر إنجاباً من العمال المهرة، وأصحاب الثقافة الدنيا والمتوسطة أعلى إنجاباً من المتعلمين وأصحاب الثقافة العالية، والنساء غير العاملات أكثر إنجاباً من العاملات، والمناطق الزراعية أكثر إنجاباً من المناطق الصناعية، وسكان الريف أكثر إنجاباً من سكان المدن. وإذا نظرنا إلى العالم الإسلامي نجد أن العوامل التي تساعد على زيادة الإنجاب هي السائدة بل المسيطرة فيه دون العوامل المحددة للمواليد والإنجاب.

التباينات الدينية والعرقية والاجتماعية:

يقيم في أقطار العالم الإسلامي قرابة مليار وربع المليار نسمة يؤلف المسلمون منهم نسبة تتراوح ما بين ٩٠ - ٩٥٪ وهناك أعداد أخرى من المسلمين يعيشون كأقليات في بقية أقطار العالم، وتتجمع الكثرة الكاثرة من المسلمين في قارتي آسيا بواقع ٢٧٪ من سكانها، و في أفريقيا بما يزيد عن نصف سكانها، أما بقية القارات فحظ الإسلام فيها قليل ونادر.

إن هذا العدد الكبير من السكان تتعدد أجناسه، وتتنوع شعوبه، وتكثر لغاته، وتباين عاداته وتقاليده وطرق معاشه وأحواله الاجتماعية والاقتصادية، ويعتبر الإسلام أصل البشر واحداً ابتداءً بخلق آدم عليه السلام ثم تورع الناس من بعده وتفرقوا في الأرض، فأثرت فيهم البيئات التي وجدوا فيها، فأعطتهم ألوانا حسب

حرارتها، كما أثرت في أجسامهم، فأعطتهم ملامح خاصة، وطبعتهم بسمات معينة، وسادت بينهم لغات منفصلة عن بعضها البعض، وأديان متباينة بعضها إلهي والآخر من صنع البشر أنفسهم، واختلفت استجاباتهم للبيئات المختلفة فبعضهم طور هذه البيئات لصالحه، وتحكم فيها، واستفاد منها، والبعض الآخر عجز أو قصر في استغلال موارد بيئته، وهكذا وجدت الألوان المعروفة اليوم، كما وجدت السلالات الحالية، واللغات القائمة، والأديان المتباينة والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المختلفة، وسنحاول أن نلقي الضوء على هذه التباينات الموجودة في المجتمعات الإسلامية ونحصرها في ثلاثة عناوين رئيسة هي:

١- التباينات الدينية.

٢- التباينات الإثنية.

٣- التباينات الاجتماعية والاقتصادية.

أولاً: التباينات الدينية:

يجب أن نسجل بادئ ذي بدء أن الأرقام الإحصائية غير متوافرة عن التركيب الديني للسكان، فمعظم أقطار العالم الإسلامي لا تنشر إحصاءات للسكان بموجب العقائد الدينية، ولذا فإن البيانات المتوافرة لدينا محدودة في هذا المجال، والأرقام المعطاة هي تقريبية تختلف وجهات النظر حولها زيادة ونقصاً، ويجب أن تؤخذ كمؤشرات تقريبية لا كحقائق مسلمة.

وقد ساعدت حركات الفتوح الإسلامية على نشر العقيدة الإسلامية إلى كافة الأقطار التي فتحها المسلمون خلال القرنين الأول والثاني الهجريين (السابع والثامن الميلاديين) وتبع ذلك سيادة المسلمين العددية بتوالي الزمن، وتقلص معتنقوا الديانات الأخرى نظراً لدخول هؤلاء في الإسلام، غير أنه بقي بعض الناس على عقائدهم السابقة، وعاشوا كرعايا في كنف الدولة المسلمة، غير أن أعداد هؤلاء قليلة إذا ما

قورنت بأعداد المسلمين، إذ تشير التقديرات التقريبية التي حصلنا عليها إلى أن نسبة المسلمين في أغلب الأقطار الإسلامية تتراوح بين ٩٠-٩٥٪ من إجمالي السكان على نحو ما ذكرنا في صدر هذا البحث، وهذا يعني أن أصحاب العقائد الدينية الأخرى يشكلون نسبة تتراوح بين ٥-١٠٪ من إجمالي سكان العالم الإسلامي، وهذه النسبة تزيد وتنقص تبعاً للأقطار المختلفة. فقد تصل إلى ما يقرب من نصف السكان كما في لبنان ونيجيريا، وقد لا تتعدى ١٪ كما في تركيا وليبيا.

ثانياً: التباينات العرقية:

يضم العالم الإسلامي مجموعة من الأجناس البشرية المتعددة فهناك القوقازيون من الجنس النوردي في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا وبلاد القوقاز، وهناك المغول في شرقي وجنوب شرقي آسيا، والزنج في المنطقتين المدارية والاستوائية من أفريقيا، وعلى أرض العالم الإسلامي توجد ألوان عدة من أبيض وأصفر وأسود، وتنتسب إليه عدة أقوام وشعوب من عرب وترك، مغول وفرنس وهنود وماليزيين وهوسا وفولاني وأثيوبيين وبانتو وماندج وغيرها كثير، وقد تعايشت هذه المجموعات واختلطت مع بعضها البعض في ظل الإسلام، الذي لا يختص بعرق دون آخر ولا بجنس ولا بلون وإنما يشمل الناس كافة، فكل الناس سواء لا يتفاضلون إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات. الآية ١٣].

كان لموقع العالم الإسلامي أعمق الأثر في التركيب العرقي والسلالي لسكانه، فقد تعرض هذا الموقع لهجرات عديدة من الجنس النوردي الأبيض وبخاصة من سلالة البحر المتوسط أحد فروع المجموعة القوقازية، وامتدت فروع هذه السلالة إلى الجنوب لتؤثر في الأقاليم الواقعة على البحر الأحمر كما أثرت السلالة الألبية والأرمينية التي تقطن أعلى هضاب أرمينيا وشرق الأناضول تأثيراً

كبيراً في سكان الإقليم الجبلي يطوق الأقطار العربية الآسيوية من الشمال، وقد وصل هذا التأثير إلى بلاد عُمان في جنوب شرقي شبه الجزيرة العربية، كذلك يظهر تأثير المجموعة الكردية في مناطق شرق الأناضول.

كذلك فإن قرب موقع العالم الإسلامي من مناطق الجنس الزنجي بأواسط أفريقيا قد أثر في التركيب السلالي لسكان الشطر الأفريقي من هذا العالم، وسكان شبه الجزيرة العربية وخاصة القسم الجنوبي منها، وقد جاء هذا التأثير الزنجي نتيجة للاتصالات الوثيقة بين بلاد العرب وأفريقيا سواء عن طريق تجارة الرقيق أو عن طريق الاتصال المستمر بين التجار العرب وسكان شرقي أفريقيا بوجه خاص.

أما تأثير الجنس المغولي فيتضح بشكل خاص في سكان جنوب شرقي آسيا ووسطها وجنوبي شبه الجزيرة العربية، بسبب موقع العالم الإسلامي القريب من مواطن هذا الجنس في شرقي آسيا، وقد ظهر هذا التأثير بسبب الهجرات الكثيرة التي خرجت من مواطن هذا الجنس إلى أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي عبر التاريخ، وبسبب تزواج الكثير من العرب من نساء أهل الملايو وجزر الهند الشرقية واصطحابهن إلى بلادهم عند العودة إليها.

ومن جهة أخرى خرجت الكثير من الموجات البشرية من جزيرة العرب لتؤثر في التركيب الجنسي للبلاد الإسلامية، فقد شهد العالم هجرات قديمة مثل هجرات الآشوريين والبابليين والكنعانيين والفينيقيين وهجرات أخرى حدثت بعد الإسلام كان لها أعمق الأثر في تغيير التركيبة السكانية لكثير من البلاد المجاورة.

إن هذه الأجناس والسلالات البشرية قد اختلطت وتمازجت وفقدت نقاءها الأصلي بحيث أصبحت مضامين هذه السلالات فارغة لا معنى لها، فعلي سبيل المثال فإن كلمة الأتراك لا تعني من الناحية السلالية نمطاً أو جماعة بشرية محددة واضحة المعالم بل هي تشمل كل المتكلمين باللهجات التركية، أما من الناحية

السلالية فليست أكثر من تحديد غامض غير واضح للجماعات المتداخلة التي تمثل شعوب الاستبس والتي ظهرت في وسط آسيا كقبائل متعددة في أوائل العصور الوسطى، (المطري ١٤٠٥ - ٢٧٤ - ٢٧٧).

من أجل ذلك سوف لن ندرس التفاصيل الدقيقة للنواح السلالية لأنها مفاهيم خالية من المضامين، وسنكتفي بعرض سريع للمجموعات السلالية الكبرى، حيث يضم العالم الإسلامي ثلاث مجموعات سلالية كبرى هي المجموعة القوقازية ذات اللون الأبيض، والمجموعة المغولية ذات اللون الأصفر، والمجموعة الزنجية ذات اللون الأسود.

وينتشر القوقازيون في جنوب غربي آسيا (الأقطار العربية في آسيا وإيران وأفغانستان وباكستان وبنغلاديش) وشما أفريقيا (الأقطار العربية الأفريقية) ومنطقة القوقاز (القفقاس) الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين ويعيش ٧٤٪ من القوقازيين في آسيا و ٢٥٪ منهم في أفريقيا، و ١٪ منهم في أوروبا، والمغول يعيشون في أواسط آسيا وجنوبها الشرقي أي في تركيا ووسط آسيا (قازاقستان، تركمانستان، أوزبكستان، طاجكستان، وقرغيزيا) واندونيسيا وماليزيا، ويعيش المغول جميعهم في آسيا، أما الزنوج فيقطنون في أفريقيا المدارية والاستوائية في المنطقة التي تقع جنوب الخط الواصل من مصب نهر السنغال غرباً عبر تمبكتو وبحيرة تشاد والخرطوم بتعمق نحو الجنوب على طول الحدود الغربية من إثيوبيا ومنها إلى الجنوب الشرقي نحو مصب نهر جوبا في الصومال.

تنقسم كل مجموعة سلالية إلى عدة عناصر بشرية أو عروق، ففي المجموعة القوقازية هناك الآريون في باكستان وإيران وأفغانستان وأذربيجان أي أن جميع الآريين إنما يقطنون آسيا، على حين نجد الساميين، وهم فرع من المجموعة القوقازية يعيشون في آسيا وأفريقيا وهؤلاء هم العرب سكان البلدان العربية في جنوب غربي آسيا شمالي أفريقيا ويزيد عددهم في أفريقيا عن ضعف عددهم في آسيا وقد رحلوا

إلى شمال أفريقيا من شبه الجزيرة العربية كفاتحين في القرن السابع الميلادي، ثم تكاثر عددهم في أفريقيا نتيجة الهجرات المستمرة، وخاصة الهجرات التي تمت بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر الميلاديين وقد اختلطوا مع البربر الحاميين بدرجة كبيرة.

أما الحاميون فقد قدموا أيضاً من منطقة إرسال حول البحر الأحمر في عصور سابقة لقدم الساميين، وينقسم هؤلاء إلى فرعين: الحاميون الشماليون ويضمون عناصر البربر في المغرب العربي وكذلك عناصر الفولاني في دول الصحراء الكبرى، ثم الحاميون الشرقيون ويشملون المصريين والصوماليين ومعظم الإثيوبيين والنوبيين في مصر والسودان.

وفي المجموعة الزنجية هناك عناصر متعددة منها: الزنوج الحقيقيون (الزنوج السودانيون) والنيليون ثم النيليون الحاميون ثم البانتو، ويتنشر الزنوج الحقيقيون في غربي ووسط أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، أما النيليون فيعيشون كما تدل تسميتهم في غرب أعالي حوض النيل في السودان الجنوبي وأوغندا وكينيا وغربي إثيوبيا، وهناك النيليون الحاميون الذي يمثلون اختلاط الدماء الحامية بالدماء الزنجية، ويعيش هؤلاء في الجنوب الشرقي من السودان وكذلك في أوغندا وكينيا وتنزانيا، أما عناصر البانتو فتعيش في أطراف المنطقة الإسلامية الجنوبية في أفريقيا غير أنها تمثل أكثر العناصر الزنجية انتشاراً وعدداً في أفريقيا كلها.

ثالثاً: العباينات الاجتماعية والاقتصادية:

بجانب التباينات الدينية والعرقية هناك تباينات اجتماعية واقتصادية تلتخص باختلاف الظروف الاجتماعية التي تهيأها الأقطار الإسلامية، وكذلك بالظروف التي تعيشها، ومظاهر الحياة الاجتماعية تبدو في التعليم وانتشار الأمية، وفي النواحي الصحية، أما الظروف الاقتصادية فتبدو من خلال النشاط الاقتصادي للسكان وكذلك من خلال الحرف التي يعمل بها هؤلاء في المناشط الاقتصادية المختلفة.

إن الحديث عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية للأقطار الإسلامية هو الذي يوضح مقدار المفارقات والاختلافات بين هذه الأقطار، ولما كان هدفنا هو إجمال الصورة العامة دون الدخول في التفاصيل، لذا أثرنا أن نتحدث عن مؤشر واحد تلتقي فيه ومن خلاله جميع التباينات والفروقات الاجتماعية والاقتصادية ذلك المؤشر هو مؤشر دخل الفرد في العالم الإسلامي، فدخل الفرد هو صدى وانعكاس للظروف الاقتصادية والاجتماعية في الدول الإسلامية فمجموع الدخول الفردية هو في الواقع حجم الدخل الوطني للدولة، وحجم الدخل الوطني يمثل كلاً من حجم الاستهلاك وحجم الاستثمار لهذه الدولة.

وترجع أهمية الدخل الوطني إلى أنه أحد المؤشرات الاقتصادية التي تستخدم لتتبع تطور النشاط الإنتاجي في الدولة، فتطور الدخل الوطني الحقيقي خلال فترة زمنية معينة يعكس حالة نمو أو ركود الاقتصاد الوطني خلال هذه الفترة الزمنية، فمعدل الزيادة السنوية في الدخل يعد أحد المعايير للتنمية الاقتصادية.

ومن جهة أخرى يعد مستوى الدخل سواء الوطني أو الفردي من العوامل المهمة التي تحدد مستوى الرفاهية الاقتصادية لأفراد المجتمع، فعلى سبيل المثال لو زاد الدخل العام بمعدل أكبر من معدل الزيادة السكانية خلال فترة معينة يزيد متوسط نصيب الفرد من هذا الدخل، وبالتالي تزيد الرفاهية الاقتصادية لأفراد المجتمع، وهذا معناه أن مستوى معيشة الفرد قد ارتفع في المتوسط، أي أصبح الفرد بإمكانه أن يحصل على كميات أكبر من السلع والخدمات، وبالتالي تزيد قدرته على إشباع حاجاته عن ذي قبل

سنستخدم الدخل الفردي كمؤشر يمكن من خلاله دراسة الفروق الاجتماعية والاقتصادية بين أقطار العالم الإسلامي وشعوبه، والجدول (٧) يظهر معظم الدول الإسلامية التي توافر لنا عنها إحصاءات خاصة بالدخل الفردي لعام ١٩٩٦م، ومنه نستطيع أن نتبين بعض الأمور المهمة فيما يخص الدخل الفردي المقدر بالدولار الأمريكي.

الجدول رقم (٧) متوسط الدخل الفردي السنوي لسكان العالم الإسلامي

(١٩٩٦م)

أسماء الدول	عدد الدول	مقدار الدخل بالدولار الأمريكي
غينيا بيساو، النيجر، سيراليون، أثيوبيا، تنزانيا، أوغندا، تشاد، بنغلادش.	٨	أقل من ٢٥٠
بنين، بوركينافاسو، مالي، موريتانيا، نيجيريا، السودان، اليمن، باكستان، طاجكستان، ألبانيا، غامبيا.	١١	٢٥٠ - ٥٠٠
مصر، غينيا، السنغال، جزر القمر، أذربيجان، قرغيزيا، الكمرون.	٨	٥٠٠ - ٧٥٠
جيبوتي، المالديف، أوزبكستان، إندونيسيا.	٤	٧٥٠ - ١٠٠٠
الجزائر، المغرب، تونس، الأردن، تركيا، قازاقستان.	٦	١٠٠٠ - ٢٥٠٠
الجابون، ماليزيا.	٢	٢٥٠٠ - ٥٠٠٠
البحرين، الكويت، عُمان، قطر، السعودية، الإمارات، بروناي.	٧	٥٠٠٠ فأكثر

المصدر: World Population Data Sheet, 1996

ومن الجدول رقم (٧) يمكن ملاحظة الآتي:

- ١ - هناك (١٩) دولة من دول العالم الإسلامي يقل متوسط دخل أفرادها عن ٥٠٠ دولار أمريكي في العام، منها (٨) دول لا يصل متوسط الدخل لأفرادها إلى ٢٥٠ دولاراً، ومن هذه الدول بنغلادش والنيجر. ومن الجدير بالذكر أن عدد سكان هذه الفئة يقدر بـ (٤٥١) مليون نسمة وهذا ما يعادل ٤٣٪ من مجمل سكان العالم الإسلامي.

٢ - هناك (١٢) دولة أخرى يتراوح دخل أفرادها بين ٥٠٠ - ١٠٠٠ دولار، وبعض هذه الدول كثيرة السكان مثل إندونيسيا ومصر، ويقدر عدد سكان هذه الفئة مجتمعة بـ (٣٣١) مليون نسمة بواقع ٢٦٪ من مجمل سكان العالم الإسلامي.

٣ - بجانب الفئتين السابقتين هناك (٨) أقطار يتراوح دخل أفرادها بين ١٠٠٠ - ٥٠٠٠ دولار، ومنها ٦ أقطار لا يزيد دخلها عن ٢٥٠٠ دولار، ويبلغ عدد سكان هذه المجموعة ١٧٢ مليون نسمة يشكلون ١٤٪ من جملة سكان العالم الإسلامي.

٤ - وأخيراً هناك ٧ دول يرتفع الدخل لدى أفرادها عن ٥٠٠٠ دولار، وهذه الدول قليلة السكان لاي يزيد عددهم في هذه المجموعة عن ٢٧ مليون نسمة بواقع ٢٪ من إجمالي سكان العالم الإسلامي.

وحتى نضع صورة دخل الفرد في إطارها الصحيح نذكر أن متوسط الدخل الفردي في العالم هو (٤٧٤٠) دولاراً وهذا يعني أن ٣٨ دولة من دول العالم الإسلامي من أصل ٤٦ دولة توافر لنا عنها إحصاءات دخلها أقل من المتوسط العالمي للدخل الفردي أما على مستوى الدول النامية فيبلغ متوسط الدخل الفردي (١٣٢٠) دولاراً وبمقارنة أرقام الدخول في العالم الإسلامي مع هذا الرقم نجد ٣٦ دولة من دول العالم الإسلامي يقل دخل الفرد فيها عن متوسط دخل الفرد في الدول النامية.

هناك دول محدودة العدد، وقليلة السكان يتمتع أفرادها بدخول عالية وهذه الدول هي دول النفط في الخليج العربي إضافة إلى بروناي وماليزيا والجايبون.

نخلص إلى القول أن غالبية سكان العالم الإسلامي ذوو، دخول متدنية أدنى من المتوسط العالمي، وكذلك أدنى من متوسط الدول النامية وهذا يجعل معظم السكان في العالم الإسلامي تحت خط الفقر.

إن مستوى الدخل الفردي في المستقبل المنظور هو في انخفاض مستمر من منطلق حقيقي، وإن لم يكن كذلك من منطلق نظري، وسنكتفي بضرب مثال واحد يمكن تعميمه على بقية أقطار العالم الإسلامي ذات الدخول المنخفضة .

فإذا استعرضنا تطور الدخل الفردي خلال السنوات العشر الماضية لمعظم أقطار العالم الإسلامي نجد أن هذا الدخل قد ازداد بمرور الزمن. ولكن يبقى السؤال الأكثر أهمية وهو هل انعكست هذه الزيادة على الفرد إيجاباً؟ بمعنى أنه هل ازدادت رفاهية الشعوب تبعاً لازدياد دخلها الفردي؟ فعلى سبيل المثال ارتفع دخل الفرد في الأردن من ٢٥٠ دولاراً عام ١٩٧٠م إلى ٧١٠ دولاراً في عام ١٩٧٩م وبلغ الدخل عام ١٩٩٦م ١٣٩٠ دولاراً. وعلى هذا الأساس يبلغ متوسط الزيادة السنوية لدخل الفرد ٥ - ٦٪.

غير أن هذه الزيادة في الدخل يقابلها زيادة أكبر في ارتفاع أسعار السلع والخدمات. إن زيادة الأسعار ظاهرة عالمية ولا يبدو ضررها واضحاً إلا إذا كانت هذه الزيادة أكبر من الزيادة في الدخل، وحيث تلتهم زيادة الأسعار الزيادة السنوية للدخل، بحيث لا يتمكن الفرد من تلبية احتياجاته السابقة بمستوى دخله الحالي نفسه. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على تدهور مستويات المعيشة نحو الأسوأ بمرور الزمن نظراً لقصور الدخل عن تلبية الاحتياجات، فإذا ما عرفنا أن الدول النامية لا تستطيع التحكم كلية بالأسعار نظراً لأن معظم احتياجاتها تأتي مستوردة من الخارج، ويحكمها السوق العالمي، أدركنا أن مستويات المعيشة قد تتدنّى بمرور الزمن إذا لم تتدارك هذه الدول الأمور الاقتصادية في بلادها عن طريق برامج التنمية المختلفة. وحتى هذه تحتاج إلى رساميل كبيرة تضطر الدول النامية إلى أن تروح تحت طائلة الديون الكثيرة من الدول المتقدمة التي تفرض عليها فوائد عالية.

مؤشرات مستقبلية

إن المستقبل- القريب منه والبعيد- يحمل في ثناياه تغييرات مهمة في كافة المجالات الطبيعية والاقتصادية والبشرية. وسيشهد العالم الإسلامي مزيداً من هذه التغييرات بحكم الزمن وعامل التطور وسنلقي لمحة موجزة عن الآثار المستقبلية لبعض المعطيات المهمة مثل البيئة والسكان والاقتصاد.

الآثار المستقبلية للبيئة:

البيئة هي الوسط الطبيعي الذي تعيش فيه الكائنات الحية بما فيها الإنسان. وتتضمن بمعناها الواسع العوامل الطبيعية والبشرية التي تؤثر في الأفراد والجماعات وتحدد علاقاتها وبقائها لذلك يطلق العلماء المحدثون عليها اسم النظام البيئي، ويقسمون النظام البيئي العام إلى نظامين رئيسين هما: النظام الطبيعي والنظام الحضاري. ويتكون كل نظام من عدد من النظم الفرعية والعناصر المكونة لتلك النظم.

فالنظام الطبيعي أو (البيئة الطبيعية) تشمل التربة والتكوين الجيولوجي والمناخ والغطاء النباتي والحيواني.

أما النظام الحضاري (البيئة البشرية) فيشمل نوعية استعمالات الأرض والبنية التحتية والخدمات العامة وأماكن تجمعات السكان وظروف الإسكان الخاص بهم إضافة إلى الطبيعة الاقتصادية للمناطق ومستويات تلوث الهواء والماء الناجمة عن ذلك.

تفاعل النظم الطبيعية والنظم الحضارية عبر سلسلة معقدة من العلاقات السببية وترتب على التفاعل المستمر بينهما نتائج إيجابية ونتائج سلبية. أما النتائج الإيجابية فتتمثل في كل مايفيد المجتمعات البشرية في بيئاتها المختلفة. أما النتائج السلبية فهي التي تعرف بالأخطار البيئية.

والأخطار البيئية موجودة بشكل دائم حتى في الماضي البعيد. ففي المراحل الأولى للحضارة الإنسانية كان حدوث فيضان أو جفاف كافياً للقضاء على جماعة صغيرة من الناس. ومع تقدم الحضارة والتكنولوجيا وزيادة عدد المراكز العمرانية أصبح الجفاف أو الفيضان أكثر خطورة وتدميراً. ويتضح ذلك من الأخطار البيئية التي تتعرض لها جهات كثيرة من العالم يومياً. ويتوقف امتصاص المجتمعات لنتائج الأخطار البيئية على ظروفها الاقتصادية والتقنية والاجتماعية (غرايه ورميله: ١٩٨٧م، ص ١٣٦ - ١٣٩).

وقد زاد الإنسان من خلال تقدم وسائل استغلاله لبيئته ومن خلال التطورات التقنية التي أحدثها من الآثار السلبية بحيث أصبحت المخاطر البيئية التي يحدثها الإنسان أشد فتكاً وأكثر تدميراً من الكوارث الطبيعية. وعلى مقدار تقدم المجتمعات يزداد التدهور البيئي وتزداد معدلات التغيير في نوعية البيئة كزيادة طرح النفايات والفضلات والملوثات المختلفة التي تؤدي إلى تدهور البيئة. ففي المجتمعات الزراعية على سبيل المثال تكون مساهمة الأنشطة الاقتصادية في تدهور نوعية البيئة ضئيلاً بالمقارنة مع دورها في المجتمعات الصناعية المتقدمة. ففي الأخيرة تتعاظم مشكلات تلوث التربة والماء والهواء والأزمات البيئية الأخرى.

هناك بعض الأمور المهمة التي تؤثر في الأوضاع البيئية في عالمنا الإسلامي. ولعل من أهم هذه الأمور ما يلي:

١ - الجفاف:

الجفاف هو المسؤول الأول عن تحويل ٣٠٪ من مساحة اليابسة إلى صحراء، ويسود المناخ الصحراوي الجفاف بين دائرتي عرض ١٥ و ٣٥ درجة شمال خط الاستواء وجنوبه، وتتصف هذه المناطق الصحراوية بالرطوبة النادرة والجفاف الشديد كما تمتاز بالفقر والإحمال وندرة النبات.

ويقع على هامش المناطق الصحراوية نطاق شبه صحراوي تسقط عليه كميات قليلة من الأمطار تسمح بنمو الأعشاب. فالجفاف درجات وهناك دائماً نطاقات انتقالية بين الصحراء والمناطق الزراعية.

والعالم الإسلامي يقع القسم الأكبر منه في هذا النطاق الجاف الصحراوي وشبه الصحراوي ويمكن أن نذكر أن الصحاري العربية تشكل وحدها أكثر من ٩٠٪ من جملة مساحة الوطن العربي (أبو شيخة وآخرون: ١٤٠٤هـ، ص ص ١٨-١٩) وربما تصل مساحة الأراضي الصحراوية في العالم الإسلامي لما يزيد عن ٣٥٪ من جملة صحاري العالم الإسلامي أجمع.

تمتع بيئات هذه المناطق الجافة بسمات مناخية وأنماط من الحياة الفطرية والأشكال التضاريسية التي أثرت في طريقة استغلال الإنسان لهذه البيئات. ومن السمات الشائعة في الأراضي الجافة هو نقص الماء الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى ندرة الغطاء النباتي أو انعدامه. ويعيش الإنسان في المناطق الجافة منذ آلاف السنين، ويستخدم مواردها الضئيلة، ويتعلم من التجربة حدود هذه الموارد. وهو لم ينجح في العيش فيها إلا بالقدرة التي منحها إياها الباري عز وجل بأن يفهم ويتأقلم مع عناصر البيئة الطبيعية والثقافية والاقتصادية. والتوازن البيئي بين الإنسان والبيئة في الأراضي الجافة من الهشاشة بحيث أن مجرد زيادة طفيفة في عدد الناس أو الحيوانات فوق طاقة الغطاء لموارد المنطقة قد يخل بهذا التوازن، ولا يمكن أن يعود هذا التوازن إلا بإنقاص عدد الناس والحيوانات عن طريق الهجرة إلى مناطق أخرى أو بالموت جوعاً إن بقوا في أماكنهم، وبذا يتم التقليل من الاختلال بالتوازن، وبغض النظر عن القسوة في هذه العملية فقد عرف الناس الذين يسكنون هذه المناطق ذلك من تجاربهم. وصارت كل تجربة جديدة درساً تعليمياً للجيل الجديد. ومن سوء الطالع أن الإنسان اليوم لا يستسلم لتقلبات البيئة الجافة مما أحدث آثاراً سلبية دائمة هلى وجه هذه الأراضي من خلال استعمال التقنية الحديثة (الوليحي: ١٤١٦هـ، ص ٣٧).

وقد أحدث البشر في معظم مناطق العالم الإسلامي عن غير قصد منهم تأثيرات ضارة على البيئة أثناء سعيهم وراء العيش، وصار الإنسان عاملاً قوياً جداً في تغيير وجه الأرض بعد أن تمكن من نقل التقنية إلى الأراضي الجافة، وساعد ذلك على تحريره من آثار البيئة، وزادت حركة الإنسان ونشاطاته بصورة كبيرة بسبب هذه التقنية. ومن بين النشاطات البشرية التي أحدثها في البيئات الجافة:

(أ) الزراعات المروية القائمة على استخدام الماء الجوفي. وقد حقق السكان نجاحات طيبة في استزراع الأراضي التي كانت قاحلة، إلا أنه نجم عن ذلك إسراف شديد في استخدام المياه الجوفية المحدودة الموارد وغير القابلة للتجديد. وقد ارتبط بالزراعة المروية أيضاً مشكلات أخرى مثل تملح التربة التي لها آثار سيئة على نوعية المزروعات، وكذلك غزو الرمال للأراضي الزراعية وإحداث أضرار بليغة فيها.

(ب) الإسراف في الرعي وذلك لسهولة الحركة والتنقل، فأصبحت السيارات هي الوسيلة لنقل قطعان الماشية من مكان إلى آخر. وقد أدى ذلك إلى القضاء على كثير من الرعي الجائر، يضاف إلى ذلك أيضاً الإسراف في قطع الأخشاب وجمعها وخاصة من الشجيرات الصحراوية (الاحتطاب الجائر) الذي قضى على البقية الباقية من هذه الشجيرات الصحراوية.

٢ - التغيرات الدورية في المناخ:

كان الطقس ولا يزال يتعرض لتغيرات دورية، فتعرض بعض جهات العالم للجفاف، ثم يليه دورة ماطرة. وفي عصرنا الحاضر يرى العلماء أن هذه التغيرات تتزايد. فعلى سبيل المثال بدأت موجة من الجفاف خلال الفترة من ١٩٦٨ - ١٩٧٣م وعملت حزاماً واسعاً حول البلدان الأفريقية القريبة من الصحراء، وشملت ١٥ بلداً أفريقياً معظمها من الدول الإسلامية واستمرت هذه الموجة سبع سنوات أدت إلى

حدوث كوارث ذهب ضحيتها ما بين ١٠٠ - ٢٥٠ ألف نسمة، كما مات ما بين ٥٠ - ٩٠٪ من ماشيتها. وفي سنة ١٩٧٢م تعرضت بلدان أخرى غير جافة لموجة من الجفاف منها الهند وبنغلادش وتركيا (أبوشيخة وآخرون: ١٤٠٤هـ، ص ١٩- ٢٠؛ الوليعي: ١٤١٦هـ، ص ٥٠).

إن هذه التغيرات الدورية تؤثر تأثيراً سيئاً على كل المناطق الحدية التي تقع على أطراف الصحاري. ومن سوء الطالع أن العلم الحديث لا يستطيع التنبؤ بمقدار الزمن الذي تستغرقه هذه الذبذبات المناخية. ومن هنا فإن الأضرار التي تحدثها هي أضرار محققة وكبيرة.

٣ - التصحر:

يقصد بالتصحر اتساع رقعة الأراضي غير الصالحة للزراعة أو الرعي وتدهور قدراتها الإنتاجية، والاختفاء التدريجي لمظاهر الحياة النباتية والحيوانية وتدهور عناصر البيئة، وما يتبع ذلك كله من هجرة السكان. واتساع مساحة الصحراء له صلة بالجفاف والتغيرات المناخية التي ذكرناها آنفاً. كما أن له صلة بالإنسان وممارساته غير الرشيدة في مجالات الزراعة والصناعة والتعدين وإزالة الغابات وتدميرها وتلوث الهواء والماء والتربة وارتفاع نسبة الملوحة وسوء استخدام التربة والمخرفاتها مما أدى إلى تحويل قسم كبير من الأراضي الزراعية إلى أراضي جرداء من الصعب إعادة تعميمها. لذلك فقد تمددت رقعة الصحاري عن ذي قبل.

وإذا كانت ظاهرة التصحر عالمية بصفة عامة، فإنها مع الأسف مشكلة العالم الإسلامي بصفة خاصة. فالتصحر غالباً ما يظهر بصورة جلية في المناطق التي يبلغ المتوسط السنوي للمطر فيها من ١٠٠ - ٢٠٠ ملم أو من ٥٠ - ٣٠٠ ملم على أقصى تقدير. وهذه السمة تميز معظم أراضي العالم الإسلامي. حيث إن القسم الأكبر من مساحة العالم الإسلامي حالياً يقع ضمن هذا النطاق المطري الحرج.

وقد أثبتت بعض الدراسات أن تقدم الصحراء نحو الجنوب في السودان يبلغ ٩ كم سنوياً. كما زحفت الصحراء على الأراضي الزراعية المجاورة لها في ليبيا والمناطق الشرقية من الأردن وكذلك في الصومال وإيران والنيجر ومالي والسنغال (أبو شيخة: ١٤٠٤هـ، ص ص ٢١-٢٢).

إن المستقبل البيئي في العالم الإسلامي مرهون بمكافحة ظاهرة التصحر. ولا شك أن ذلك يقتضي القيام بالعديد من الأمور لعل من أهمها:

- (أ) إجراء مسح لتحديد المناطق التي حدث فيها اختلال في التوازن البيئي ومعرفة الأسباب التي أدت إلى ذلك، ومن ثم وضع الأسس العلمية لصيانة تلك المناطق وإعادتها على العودة إلى التوازن البيئي.

(ب) تنمية قدرة الأرض على الإنبات وذلك لأن الغلاف النباتي يعد الحامي الأول للتربة من الانجراف، وهو الذي يغني التربة بالعناصر العضوية، ويمكن تنمية قدرة الأرض على الإنبات بمساعدتها على الاحتفاظ بأكبر كمية من المياه الساقطة.

(ج) ضبط الرعي عن طريق وضع خطة للرعي تقوم على أساس مراعاة قدرة الأرض على إنتاج الأعشاب، وتوجيه المستفيدين منها إلى العناية باستخدامها وإعطائها القدرة على التوازن.

(د) العناية بالأراضي البعلية التي تقع على حواف الصحراء عن طريق تحسين طرق الزراعة كاستخدام البذور والآلات الزراعية المناسبة لظروف التربة وإدخال دورات زراعية تحتوي على التبوير ومحاولة الجمع بين الزراعة وتربية الماشية والعمل على تثبيت الغطاء النباتي وزراعة مصدات الرياح لإقامة خطوط دفاع ضد رمال الصحراء، وصيانة النباتات الطبيعية على حافة الصحراء والمناطق المنحدرة والمواظبة على أعمال التشجير وتقديم الخدمات الإرشادية للمستفيدين من الأرض.

(هـ) العناية بأراضي الري عن طريق الاستخدام المناسب للماء باستخدام الري بالرش والتنقيط وتقنين استخدام الماء حسب نوعية التربة بحيث تتفق كمية الماء المستخدم مع الحاجة الفعلية للمحاصيل وزراعة بعض المحاصيل التي تتحمل نسبة عالية من الملوحة (أبو شيخة وآخرون: ١٤٠٤هـ، ص ٢١-٢٢).

٤ - التوسع الحضري:

تعتبر ظاهرة امتداد أراضي البناء والتحضر من أبرز العوامل البشرية التي تهدد الوسط البيئي، وبخاصة التجمعات الحيوية، إذا أخذ بعين الاعتبار تزايد نمو المناطق الحضرية بسبب الهجرة المتزايدة للسكان من الريف إلى المدن، وارتفاع معدلات المواليد وزيادة السكان. وعملية التحضر تعتبر من الضغوط البيئية الرئيسة المزمته التي تهدد النظام البيئي إذ يؤدي تزايد السكان في المدن إلى تزايد الطلب على الأراضي في ضواحي المدن للانتفاع بها للأغراض المختلفة مثل السكن والخدمات وإنشاء المجمعات الصناعية وغيرها.

إن نمو المدن وتوسع المناطق الحضرية لا يتم فقط على حساب الأراضي الزراعية المجاورة، وإنما يتم في بعض المدن على حساب ردم الخلجان البحرية الضحلة مما يؤدي إلى تدهور الموارد الحيوية البحرية كالأسماك والطيور وغيرها (غرايبة وزميله: ١٩٨٧م، ص ٨١).

ويربط بالتوسع الحضري أمور عديدة على رأسها مشكلة توفير المساكن لإيواء الأعداد المتزايدة من المهاجرين إلى هذه المدن إضافة إلى سكان المدن الأصليين. كما يرتبط به أيضاً مشكلات المرور والحركة داخل المدن الإسلامية التي فرض التطور التقني ووجود السيارة عليها ضغوطاً أكبر لم تكن مؤهلة لاحتماها أو مواجهتها. لقد حدثت هذه الضغوط من قدرات المدن الإسلامية على التكيف والتأقلم مع التغيرات الجديدة.

وتبرز في المدن الإسلامية مشكلات أخرى تتمثل في أزمات المرافق والخدمات العامة، مثل أزمات نقص مياه الشرب، وأزمات الصرف الصحي، وأزمات الخدمات الصحية والاجتماعية، وأزمات انقطاع التيار الكهربائي. وهذه الأمور تكاد تستشري في معظم المدن الإسلامية. فالتزايد السكاني المستمر للمدن، والهجرة المتدفقة من الأرياف إلى مراكز المدن وأطرافها، والنمو الحضري المبكر، يضع الإدارات الحكومية والأجهزة البلدية أمام ضغوط شديدة لا تستطيع تلبيتها، مما يؤدي إلى زيادة تدهور الأحوال في معظم المدن الحضرية في العالم الإسلامي. فعدم وجود المجاري والإعتماد على الحفر الامتصاصية يؤدي إلى تلوث المياه الباطنية. ووجود المجاري العاجزة عن استيعاب حمولات المباني يؤدي إلى طفح المياه الأسنة في الأحياء والشوارع. ولا يخفى مدى الأخطار التي تحملها مثل هذه الملوثات والأوبئة والأمراض التي تنشرها بين السكان. وتزداد حدة التلوث عندما تتجه المدينة نحو الصناعة وتبدأ بإلقاء نفاياتها في مجاري الأنهار وعلى الشواطئ البحرية فيؤدي ذلك إلى تهديد مياه الشرب وتدمير الثروات البحرية. ويقترن بتلوث الماء مشكلة تلوث الهواء نتيجة الدخان المتصاعد من الصناعات والغازات السامة التي تنفثها ملايين السيارات في مختلف مناطق العالم الإسلامي الحضري (أبو عياش: ١٩٨٠م، ص ١٨١-١٨٣).

ولعل مشكلة توفير مياه الشرب للمدن بشكل خاص في معظم مناطق العالم الإسلامي تأخذ أهمية خاصة في المستقبل المنظور. فقد زاد ضغط الإنسان على الماء واستهلاكه في الوقت الحاضر خاصة لأغراض الشرب. لقد بلغ متوسط الاستهلاك الفردي من الماء يوميا (٢٠٠) لتر في الدول العربية ويرتفع هذا الرقم في دول الخليج إلى (٣٠٠) لتر.

لقد ترتب على زيادة استهلاك الماء أن أصبحت بعض جهات العالم تعاني نقصاً حاداً في سد احتياجاتها. فإذا عرفنا أن حجم الماء العذب لا يشكل سوى ٣٪ من حجم الماء الكلي، وأن المياه العذبة السطحية والجوفية لا تعادل سوى ٦٪ من حجم الماء العذب، وأن هذه الكمية لا تتوزع بالتساوي على سطح الكرة الأرضية، فبينما تعاني بعض المناطق من الغرق نجد جهات أخرى تعاني من شدة الجفاف، أدركنا أهمية مشكلة الماء بالنسبة لمعظم الأقطار الإسلامية.

لقد قدر خبراء الأمم المتحدة الذين اجتمعوا في باريس عام ١٩٨٠م لدراسة قضية الماء أن أكثر من ألفي مليون إنسان لا يجدون الماء الكافي، ولهذا فإن العالم يعاني من أزمة مياه، الأمر الذي يتطلب المحافظة على موارد المياه وترشيد استهلاكها وإعادة استخدام المياه العادمة بالإضافة إلى تحلية مياه البحر. إلا أن هذه الوسائل التقنية لا تتوافر في جميع جهات العالم الإسلامي بسبب ارتفاع تكاليفها لذلك ستبقى الدول الفقيرة عاجزة عن استخدام مواردها المائية بطرق فعّالة مما يزيد في عجزها عن تنمية مواردها الغذائية لاسيما إذا علمنا أن معظم الأقطار الإسلامية يقع في نطاق المناطق الجافة أو شبه الجافة في آسيا وأفريقيا (أبو شيخة وآخرون: ١٤٠٤هـ، ص ص ١٧-١٩).

نخلص إلى القول أن المستقبل يحمل في ثناياه أموراً عديدة سيكون لها تأثير سلبي على البيئة في العالم الإسلامي وتمثل الآثار المستقبلية للبيئة في:

- (أ) زيادة التصحر الناجم عن الظروف الطبيعية أو الظروف البشرية السابق ذكرها.
- (ب) الزيادة الهائلة لأعداد السكان الأمر الذي يؤدي إلى ضغط شديد على الموارد البيئية وكذلك إلى نقص الخدمات والمرافق سيما في المدن والمراكز الحضرية مما يؤدي إلى مزيد من التدهور البيئي.

(ج) التقدم الصناعي وما يرتبط به آثار سلبية على البيئة الطبيعية، إضافة إلى إنتاج موارد غريبة عن البيئة لا تتحلل بسهولة وعدم معالجة المخلفات الناتجة عن نشاطات الإنسان المختلفة، إضافة إلى ما يلقي في الأنهار والبحار من مخلفات كيماوية وصلبة، إضافة إلى تدفق البترول الناجم عن تحطم الناقلات وغير ذلك من الأخطار البيئية المرتبطة بالتصنيع.

٤- لعل مما يخفف من الآثار السلبية السابقة أن الفرصة لا زالت سانحة في أيدي معظم الدول لتطوير الوسائل المختلفة لمنع التلوث البيئي والمحافظة على بيئتها النقية من خلال اعتماد أساليب التخطيط البيئي في جميع الأنشطة البشرية والاستفادة بالخبرات العالمية في هذا المجال والاهتمام بتوعية المواطن بأهمية حماية البيئة وإقناعه أن حماية البيئة ليست مسؤولية الدولة فحسب بل مسؤوليته هو كذلك واعتماد مبدأ تحمل مسيبي التلوث مسؤولية معالجة التلوث الناتج، من منطلق القاعدة الشرعية لا ضرر ولا ضرار.

الآثار المستقبلية للاقتصاد وانعكاساته على الأوضاع الاجتماعية:

إن المتمعن في واقع الاقتصاد في الدول الإسلامية يبدو له جانبان مهمان من جوانب هذا الاقتصاد. أحدهما جانب إيجابي يعمل على تقدم الاقتصاد وتنميته وتحسينه نوعاً وكماً، والآخر جانب سلبي يعمل على إعاقة النمو الاقتصادي وتخلفه وجموده. ويتوقف نماء الدول الإسلامية وازدهارها على مدى ما تبذله الدولة من تخفيف آثار العوامل السلبية، وزيادة وتنمية العوامل الإيجابية. ومن محصلة التفاعل بين هذين الجانبين، ومقدار تغلب أحدهما على الآخر، نستطيع الحكم على مدى التطور الذي تحرزته الدول الإسلامية مستقبلاً إزاء تقدمها الاقتصادي ورفاه شعوبها وتحسن أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية. وسنحاول دراسة هذين الجانبين لمعرفة أثرهما على الأوضاع المستقبلية للاقتصاد في الدول الإسلامية.

العوامل الإيجابية:

سيشهد العالم الإسلامي بحكم التطور كغيره من أقطار العالم الأخرى نمواً اقتصادياً وكذلك تنمية اقتصادية. أما النمو الاقتصادي فهو نمو تلقائي يفرضه عامل الزمن، الذي يؤدي إلى نمو طبيعي، دون تغيير إرادي في عمل وأداء الاقتصاد. وبجانب النمو الطبيعي هناك التنمية الاقتصادية التي تعني تدخلاً إرادياً من الدولة لإجراء تغييرات جذرية في هيكل الاقتصاد، ودفع المتغيرات الاقتصادية نحو النمو بأسرع وأنسب من النمو الطبيعي لها، وعلاج ما يصاحب ذلك من اختلال.

وفي ضوء ذلك سيشهد العالم الإسلامي نمواً في كافة قطاعاته الاقتصادية. الزراعة والرعي والتعدينية والصناعية على النحو الآتي:

(١) ففي المجال الزراعي سيشهد العالم الإسلامي نمطين من التطور.

أولاهما: زيادة مساحة الأراضي الزراعية عن طريق التوسع الأفقي في المساحات المزروعة.

ثانيهما: زيادة الكفاءة الإنتاجية للأرض عن طريق التوسع الرأسي أي زيادة غلة الفدان من المحاصيل المختلفة.

إن زيادة مساحة الأراضي الزراعية وزيادة القدرة على مضاعفة الإنتاج في العالم الإسلامي يمكن أن تتم عن طريق:

١ - استخدام طرق الري المختلفة التي تعتمد على المياه السطحية أو المياه الجوفية. وقد أقيمت بعض مشاريع الري في كثير من الدول الإسلامية مثل أقطار شمال غربي أفريقيا في مالي والنيجر ونيجيريا وغيرها من أقطار أفريقيا المدارية، كما أقيمت بعض مشاريع الري في السودان وباكستان وأقطار وسط آسيا الإسلامية (قازاقستان، تركمانستان، أوزبكستان، طاجكستان، وقرغيزيا). ومع هذا

فالمساحات المروية لا تشكل سوى نطاق محدود من الأراضي القابلة للزراعة، فهي لا تزيد عن ٢٠٪ من جملة الأراضي الزراعية في العالم الإسلامي. فعلى سبيل المثال تقدر جملة الأراضي المروية في السودان بـ ١٥٪ من جملة الأراضي الزراعية، وفي سوريا لا تزيد عن ١٢٪ وفي نيجيريا لا تصل إلى ٣٪. والتوسع في مشاريع الري سيزيد من المساحات القابلة للزراعة ثم سيزيد من كفاءة الإنتاج في المحاصيل المختلفة.

٢ - تجفيف المستنقعات وصرف المياه الزائدة في الجهات التي يزيد فيها معدل الأمطار عن معدل التبخر والتسرب كما يزيد عن حاجة النبات. وتوجد في المناطق المطيرة كبنغلادش وماليزيا واندونيسيا وبعض المناطق المعتدلة كالعراق. وهذا لا شك سيزيد من مساحة الأراضي الزراعية ويوسع دائرة إنتاج المحاصيل المختلفة كماً ونوعاً.

٣ - زراعة الأقاليم الحدية سواء في الأقاليم المدارية أو المعتدلة، وذلك عن طريق اتباع وسائل الزراعة الجافة، واستخدام الدورات الزراعية الملائمة، واستنباط أنواع من المحاصيل الجديدة التي تلائم الجفاف، فيصبح بالإمكان توسيع نطاق الزراعة في الجهات شبه الصحراوية. فإذا علمنا أن ٩٠٪ من جملة مساحة العالم العربي على سبيل المثال هي صحراء أدركنا الفائدة من هذه الأساليب الجديدة.

٤ - تشجيع الهجرة إلى المناطق القليلة السكان والتي بها إمكانات الاستغلال الزراعي وغيره من الثروات كبعض مناطق إندونيسيا وماليزيا وبعض مناطق قازاقستان ومصر، وبذلك تتسع المساحات القابلة للزراعة، بجانب التقليل من الكثافة السكانية العالية في بعض المناطق، وتوفير مناطق سكن جديدة كما هو الحال في جزيرة جاوة أو في بعض أراضي الدلتا المصرية مع العلم أن مثل هذه الخطوات قد لا يحالفها النجاح إلا إذا درست دراسة وافية قبل البدء بها.

٥ - زيادة الكفاءة الإنتاجية للأرض وللعمال الزراعيين أي العمل على مضاعفة الإنتاج وزيادته ويتم ذلك عن طريق زيادة الخبرة الفنية ورفع المستوى الفني لعمال الزراعة، واختيار البذور المنتقاة، ومكافحة أمراض وآفات النبات، وكذلك العمل على وقف تدمير الموارد الطبيعية المؤثرة في الإنتاج الزراعي مثل الحفاظ على التربة ومصادر المياه.

(ب) وفي مجال الثروة الحيوانية والثروة السمكية سيشهد العالم الإسلامي تطوراً لهذه القطاعات. فهناك أماكن مهمة يمكن استغلالها في ضوء عجز الثروة الحيوانية عن سد حاجة السكان في معظم الأقطار الإسلامية. فالثروة الحيوانية يجب أن تلعب دوراً كبيراً في تدعيم اقتصاديات الدول الإسلامية، وهي جديرة بعناية السكان لأنها تقدم مصدراً مهماً من مصادر الغذاء ذلك هو اللحوم ومنتجات الألبان.

والنهوض بالثروة الحيوانية يمكن أن يتم في اتجاهين: اتجاه مضاعفة الأعداد الموجودة حالياً من الحيوانات المختلفة، واتجاه الارتفاع بمستوى الإنتاج الحيواني، بحيث تتضاعف أحجام الحيوان ومقادير الألبان ويرتفع مستوى الصوف والجلود وغير ذلك مما ينتجه الحيوان. ويمكن أن يتحقق ذلك باتباع القواعد العلمية الخاصة بتحسين النسل والتغذية والوقاية من الأمراض.

وفي مجال الثروة السمكية يمكن تطوير وسائل الصيد وطرق الحفظ والتبريد وزيادة الإنتاج والاستفادة من تجارب الدول في عمل مزارع السمك للتحكم في أنواعه وحجمه وطرق الاستفادة منه.

(ج) وفي مجال الثروات المعدنية هناك إمكانات كبيرة للتوسع في استغلال، المعادن ومصادر الطاقة، والثروات الطبيعية الأخرى. فمن المعلوم أن مساحة العالم الإسلامي كبيرة جداً. ولكبر المساحة علاقة وثيقة بتنوع التركيب الجيولوجي وأنواع الصخور التي تحتوي في ثناياها على موارد معدنية أو خامات صناعية

كثيرة. ولاشك أن كميات الاحتياطي من هذه الموارد لاتزال غير معروفة معرفة دقيقة. وفي ضوء التقدم العلمي والتطور التقني سيكون هناك إمكانات كبيرة في زيادة المعرفة بالمخزون الجوفي من المعادن ومصادر الطاقة المختلفة الموجودة في باطن الأراضي الإسلامية.

(د) هناك إمكانات لا بأس بها للتصنيع في مختلف أرجاء العالم الإسلامي. ولعل أهم هذه الإمكانيات وجود الكثير من الموارد الطبيعية التي يمكن استغلالها وتصديرها. وعن طريق تصدير هذه المواد يمكن الحصول على رأس المال اللازم. ويوجد في بعض الدول موارد مهمة للطاقة، وكذلك يتوافر في بعضها الآخر قوى مائية كامنة يمكن استغلالها، بجانب توفير الأيدي العاملة وانخفاض مستوى الأجور الذي يساهم في رخص المنتجات الصناعية، ومن المعلوم أن التصنيع له آثاره الإيجابية في:

- ١ - زيادة الناتج الوطني وارتفاع الدخل الفردي.
- ٢ - يساعد التصنيع على زيادة المعروض من فرص العمل.
- ٣ - يساعد التصنيع على تحقيق الاستقرار في الميزان التجاري.

ثانياً: العوامل السلبية:

بجانب العوامل الإيجابية السابق ذكرها هناك سلبيات عديدة موجودة في الواقع الاقتصادي الإسلامي ومنها:

- (أ) انخفاض مستويات الإنتاج في ميادين النشاطات الاقتصادية المختلفة، وسوء استغلال الموارد المتاحة لانخفاض مستويات المعرفة الفنية وبطء التقدم العلمي.
- ففي مجال الزراعة لارالت الزراعة المعاشية هي أساس الاقتصاد الزراعي، ولا يزال الإنتاج يتصف بالحدودية مع تخلف وسائل الإنتاج وعدم اتباع الأساليب الحديثة.

والإنتاج الرعوي لا يزال يقوم على البداوة المتنقلة، وعدم التخصص في تربية وإنتاج أنواع معينة من الحيوانات التي لها شهرة بإنتاج اللحوم أو الألبان أو الأصواف، وفي كثير من الأقطار يكون الهدف هو كثرة عدد الرؤوس بصرف النظر عن إنتاجها، لأنها دليل على المكانة الاجتماعية أكثر من الأهمية الاقتصادية.

وفي مجال الثروة السمكية نرى بدائية الأساليب المستخدمة في الصيد البحري، فالسفن قديمة وصغيرة وغير مجهزة بوسائل الحفظ والتبريد وغير قادرة على الصيد إلا في المناطق الساحلية القريبة.

والصناعة لا زالت تواجهها العديد من العقبات تتمثل في صغر حجم المؤسسات الصناعية، وأن معظمها يعتمد على الإنتاج الزراعي، ويعاني من مشكلات فنية ومالية وتسويقية، وهذا بدوره يؤدي إلى انخفاض إنتاجية العمل وتعطيل جزء من الطاقة المتاحة للإنتاج.

(ب) ضيق الأسواق المحلية وعدم القدرة على المنافسة في الأسواق العالمية، نظراً لقيام التكتلات الاقتصادية الكبرى بين الدول الصناعية، التي تتحكم في أسعار السلع بالشكل الذي يحقق لها أكبر العائدات.

(ج) تعاني معظم الدول الإسلامية من انخفاض دخولها الوطنية، وكذلك الدخل الفردي لمواطنيها. وينعكس ذلك على معدلات الادخار والاستثمار، الأمر الذي تلجأ معه الدول إلى الاقتراض والاستدانة من الدول الكبرى، ومن المؤسسات المالية الدولية. فإذا عرفنا محدودية هذه المساعدات والقروض وأنها تعطى لقاء فوائد عالية وربما مقابل تنازلات سياسية معينة، أدركنا أن هذا العامل قد يؤدي إلى التبعية الاقتصادية وإلى الضغوط السياسية الدولية. ومن الجدير بالذكر أن غالبية الدول الإسلامية تزرع تحت طائلة هذه الديون التي لا تستطيع دفعها، ولا بل لا تستطيع دفع الفوائد المترتبة عليها. وإزاء محدودية رؤوس الأموال استطاعت الدول الصناعية عن ذريق شركاتها السيطرة على وسائل الإنتاج في معظم الدول النامية ومن بينها بعض الدول الإسلامية.

تقييم المستقبل الاقتصادي:

في ضوء العوامل الإيجابية والسلبية لمناحي الاقتصاد المختلفة يمكن أن نقسم الأقطار الإسلامية إلى ثلاث فئات هي:

(أ) الدول التي تتسم بنمو اقتصادي مضطرد: وهي في الغالب الدول النفطية التي يرتفع فيها معدل دخل الفرد وتقل فيها نسبة الأمية ويرتفع المستوى الصحي لدى أبنائها وتقل نسبة البطالة بينهم وترتفع نسبة الحضرة لإجمالي السكان. وقد قطعت هذه البلاد شوطاً واسعاً في تبني الصناعة وتطوير الزراعة وتحسين كافة الخدمات. ويتوقع لهذه الدول عوائد اقتصادية مستمرة في ضوء الأوضاع الراهنة تجنبها الهزات الاقتصادية التي تتعرض لها الدول الفقيرة، وهي على العموم في أعلى درجات سلم الدول النامية ولم تصل بعد إلى مصاف الدول المتقدمة.

(ب) في المقابل هناك الصورة الأخرى التي يقل فيها معدل الدخل الفردي والوطني وترتفع فيها نسبة الأمية وتضعف فيها الأحوال الصحية وترتفع نسبة البطالة ويعتمد إنتاج السكان على الرعي والزراعة البدائية وإذا وجدت الصناعة فهي صناعة استخراجية أو تحويلية متخلفة. وتشمل هذه الدول معظم دول أفريقيا عدا الدول العربية وبعض أقطار آسيا الإسلامية (بنغلادش، أفغانستان، اليمن وغيرها). وستواجه هذه الدول مزيداً من المصاعب الاقتصادية مستقبلاً ولا أمل لها إلا بإعادة هيكلة الاقتصاد ليتناسب والأوضاع التي تساعدها على البقاء والاستمرار مع محاولة الأخذ بوسائل التقدم والرفاهية. ويمكن أن نقول أن هذه الدول هي في أدنى درجات السلم الاقتصادي.

(ج) بين النهائيتين الدنيا والعليا في سلم الدول النامية تقع العديد من دول آسيا الإسلامية ودول أفريقيا حيث نجد أن هذه الدول قطعت شوطاً ميمزاً في

استغلال الموارد فنجد فيها إمكانات زراعية جيدة ونواة لقاعدة صناعية متينة . وتمتاز بأوضاع صحية وتعليمية لا بأس بها مع وجود نسبة عالية من البطالة المقنعة وترتفع نسبة الحضرية إلى حد كبير . وقد فتح القسم الأكبر من هذه البلاد أبوابه للاستثمارات الأجنبية الأمر الذي ساهم في امتصاص قطاعات الأيدي العاملة الزائدة في مجتمعات تلك الدول غير أن المشكلة الكبرى التي تواجهها تلك الدول هي مشكلة الديون المترتبة عليها للدول المتقدمة ، ولاشك أن هذا سوف لن يحقق لها فرص التقدم السريع وتطوير مؤسساتها الاقتصادية بحيث تلبى احتياجات المواطنين .

الآثار المستقبلية للزيادة السكانية :

تحدثنا فيما سبق عن مراحل النمو السكاني في العالم الإسلامي ، وأردنا الزيادة المضطردة في أعداد السكان خلال الفترات السابقة واللاحقة . ويحسن بنا أن نسجل النقاط المهمة التالية حول الآثار المستقبلية للزيادة السكانية وانعكاساتها على الفرد والمجتمع وردود الفعل تجاهها .

١ - إن العدد الكبير للسكان يكون في حد ذاته قوة في المجالات العسكرية، حتى برغم التطورات التقنية التي طرأت على وسائل الدفاع والحرب . إن وجود الدول لا يتحقق إلا بسكانها، فعدد هؤلاء السكن وتوزيعهم الجغرافي وخصائصه الديموغرافية وتطورهم الاقتصادي وتراثهم الحضاري من الأمور المهمة في بناء الكيان السياسي للدولة .

٢ - إن العدد الكبير من السكان يعطي للدولة طاقات اقتصادية كثيرة في مجال استغلال الموارد المتاحة، ومجال التسويق، فهو يزيد من حجم السوق ويضاعف من عدد الفرص المتاحة للإنتاج الكبير، حيث يعتمد استثمار الموارد الطبيعية على العنصر البشري ويتوقف عليه (رياض: ١٩٧٩م، ص ١٨٩) .

- ٣ - يؤدي النمو السكاني السريع إلى زيادة صعوبات التنمية. وذلك لأن جزءاً مهماً من الاستثمار يجب أن يوجه إلى تزويد السكان الجدد بالموارد والخدمات التي يتمتع بها السكان الموجودون. ومن هنا يقل الجزء المتبقي من الدخل القومي المتاح لإحداث التنمية والتقدم. فعلى سبيل المثال يقدر الاستثمار المطلوب لمواجهة النمو السكاني بالنسبة لكل ١ ٪ من الزيادة السكانية بما يعادل ٣ ٪ من الدخل الوطني للدولة (حسين وحبيب: ١٩٧٥م، ص٧).
- ٤ - إن معدلات النمو السكاني المرتفعة تؤثر في مستوى دخل الأفراد أنفسهم. فزيادة عدد أفراد الأسرة يعني ارتفاع معدلات الإعالة، التي تصل في معظم الدول الإسلامية إلى أكثر من ٥٠ ٪ مقارنة مع ٢٤ ٪ في أوروبا و ٣٠ ٪ في الولايات المتحدة. وعلى هذا فإن نسبة عالية من دخل الأفراد يصرف للمحافظة فقط على المستوى الحالي للأسرة، دون النظر إلى زيادة رفايتها وتقديمها الاقتصادي.
- ٥ - في ضوء ما سبق بيانه هناك حجم أمثل للسكان Optimum Population وهو الحجم الذي يساعد على تحقيق أعلى مستوى للعيش في مساحة معينة من الأرض وفي ظل ظروف خاصة. ومن مؤشرات هذا الحجم الأمثل مستوى المعيشة المرتفع، ومن الملاحظ أن هذه المؤشرات تختلف في الزمان والمكان كما تختلف بين شعب وآخر ولذا من الصعب توضيح هذا المفهوم بدقة.
- ٦ - يرتبط بالمفهوم السابق وينبثق عنه مفهومان أكثر وضوحاً، هما الحجم الزائد للسكان Over Population والحجم الناقص للسكان Under Population والأول يعرف بالتضخم أو الانفجار السكاني ويحدث عندما يكون هناك تزايد سكاني بدرجة تفوق نسبة الزيادة في الموارد المستغلة أو الكامنة. أما الثاني فيسود حينما يكون عدد السكان قليلاً بدرجة لا تسمح بالاستغلال الكامل

للموارد، أو حيث تستطيع الموارد أن تمد عدداً أكبر من السكان بالغذاء والاحتياجات الأخرى، دون أن يؤدي تزايدهم إلى نقص في مستوى المعيشة أو زيادة في معدلات البطالة (أبو عيانه: ١٩٨٣م، ص ٥١٤ - ٥٢٠).

٧ - إن الوضع السكاني الحالي لأقطار العالم الإسلامي يدخل تحت مسمى الدول ذات الحجم الزائد للسكان، وهو أن معظم دول العالم الإسلامي تعاني من زيادة في أعداد سكانها مقارنة بالموارد المتاحة. ويمكن أن يستثنى من ذلك بعض أقطار النفط ذات العدد القليل من السكان مثل ليبيا ودول الخليج العربي بروناي وماليزيا والجابون، فهذه الدول يمكن أن تدخل تحت مسمى الدول ذات الحجم الناقص للسكان، حيث يرتفع الدخل ولا تستطيع القوى البشرية المحلية أن تغطي كافة جوانب القطاعات الاقتصادية والتنمية الأمر الذي ساعد على فتح أبواب الهجرة الخارجية من دول العالم الإسلامي ودول العالم الأخرى.

٨ - إن المستقبل القريب سيشهد اكتظاظاً سكانياً في معظم أقطار العالم الإسلامي. هذا الاكتظاظ ليس في الكثافة العامة لأن مساحة العالم الإسلامي كبيرة جداً (٣١,٢ مليون كيلومتر مربع) غير أن معظم هذه المساحات صحاري شاسعة قليلة الموارد ضعيفة الإنتاج. والاكتظاظ هنا مرده عدم تناسب الأعداد البشرية مع الإمكانيات الاقتصادية المتاحة. فالنمو السكاني السريع سيكون له تأثيراته السلبية في بعض الأقطار الزراعية مثل بنغلادش وباكستان ومصر وإندونيسيا (خاصة جزيرة جاوه) حيث يزداد الضغط على الأرض، وبخاصة في المناطق التي تعاني من تعرية التربة أو استخدام السفوح شديدة الانحدار، أو الأراضي الحدية والهامشية الأخرى، وانخفاض إنتاجية المحاصيل نظراً لإجهاد التربة بكثرة الزراعة وقلة فترات الراحة للأرض التي تجدد خصوبة التربة. وينعكس ذلك على البطالة المقنعة والكامنة في المجتمعات الزراعية. ويؤثر بدوره في تيارات الهجرة النازحة من الريف إلى المدن الأمر الذي يؤدي إلى مزيد من التدهور في الضواحي الحضرية.

٩ - إن المستقبل المنظور في معظم الأقطار الإسلامية تأسيساً على الواقع الحالي يظهر أن النمو السكاني الكبير سترافق مع نمو في الموارد أقل من النمو السكاني. وهذا يعني انخفاضاً في مستوى الخدمات المقدمة تدريجياً. ومعنى ذلك أن الدول تنحدر تدريجياً إلى مستوى الفقر، بحيث تزداد الهوة بين هذه الدول والدول المتقدمة، وتكثر أعباء الديون والقروض المالية التي تقدمها الدول الغنية للدول الفقيرة، وهذا يزيد من مشاكل الدول الفقيرة ويجعلها أكثر استجابة لمطالب الدول الغنية وأكثر خضوعاً واستسلاماً لرغباتها، مما يزيد من تأخير النمو الاقتصادي ويؤكد الفقر المستمر بحيث لا يمكن توقع حل اقتصادي سريع في المستقبل المنظور.

١٠ - إن استقراء المواقف في العالم الإسلامي يظهر لنا أن هناك اتجاهين متعارضين متباينين تجاه مسألة النمو السكاني الأول: مؤيد للنمو السكاني بكل أبعاده دون ضوابط. والثاني: معارض يميل إلى تقييده وضبطه. فأولئك الذين يعارضون الزيادة السكانية يهتمون عادة بمستويات معيشة الأفراد، ويعتقدون بأن تقييد الأعداد سيكون ذا فائدة كبيرة. وهم يخافون زيادة السكان والتضخم السكاني. ولذلك يرون أنه يجب أن يكون هناك عدد محدود من الأفراد خوفاً من الفقر وانخفاض المستوى، وأن البطالة والأجور المنخفضة ترتبط بالسكان الفائضين. وهذا الاتجاه يعرف بالاتجاه المتشائم.

أما الفريق الثاني فهم المتفائلون الذين يرون أن السكان هم ثروة الدولة وأن هؤلاء السكان سيحددون مستواهم الخاص بصورة طبيعية، ويهتمون الفريق المتشائم بعدم الأخلاقية بسبب نظرتهم وفرديتهم المتزايدة. وفريق المتفائلين يطلق عليهم اسم "المعسكر السكاني" (حسين وحبيب: ١٩٧٥م، ص ١٩).

لقد تباينت نظرة الدول الإسلامية الرسمية إزاء النمو السكاني . ومن الجدير بالذكر أن الأمم المتحدة قد وضعت مقياساً لقياس اتجاهات الدول بخصوص الزيادة السكانية المستقبلية والأوضاع الحالية للسكان . والمقياس بسيط مصاغ على شكل سؤال هو :

ماهي وجهة نظر الدولة تجاه عدد السكان الحالي للدولة ذاتها ؟

والإجابة هي إحدى ثلاثة خيارات هي : إن سكان الدول من وجهة نظرنا الرسمية هو :

(أ) مرتفع جداً . (ب) مناسب . (ج) منخفض جداً .

ومن الجدير بالذكر أن ثلاث دول فقط هي التي أشارت إلى أن عدد سكانها منخفض جداً وهذه الدول هي العراق وفلسطين المحتلة ودولة الجابون فيما أشارت كل دول الخليج العربية (السعودية، البحرين، عمان، الكويت، الإمارات) وبعض البلاد العربية الأخرى (ليبيا، موريتانيا، جيبوتي، الصومال، سوريا، لبنان) ومعظم دول وسط آسيا الإسلامية (قازاقستان، تركمانستان، أوزبكستان، قرغيزيا، أذربيجان)، إضافة إلى كل من تشاد وبنين في أفريقيا الإسلامية غير العربية وكذلك المالديف وبروناي من وسط جنوب شرقي آسيا إضافة إلى دولة ألبانيا في أوروبا، أشارت جميع هذه الدول إلى أن عدد سكانها مناسب لظروف الرقعة الأرضية والأوضاع الاقتصادية . ومن الجدير بالذكر أن جميع هذه الدول ذات أعداد سكانية قليلة بالنسبة لموارد تلك الدول وخاصة النفطية منها، لا بل إن بعضها يشكو من نقص سكاني حاد، لذا يمكن أن تصنف هذه الدول على اعتبار أنها قليلة السكان وهي بحاجة إلى المزيد من السكان لاستغلال ثرواتها الكبيرة أو لإعمار مساحاتها الواسعة .

أما باقي دول العالم الإسلامي الأخرى فقد أظهرت أن عدد سكانها مرتفع جداً إما بالنسبة لمواردها أو بالنسبة لمساحتها الإجمالية. وقد تبنى معظم هذه الدول سياسة ضبط النسل وشجع برامج تنظيم الأسرة بهدف التخفيف من أعداد السكان المستقبلي لتلك الدول.

إمكانات التكامل الجيو- حضارية في العالم الإسلامي :

يرجع التكامل بين البلاد الإسلامية إلى أن الأصل في العقيدة الإسلامية هو وحدة الأمة الإسلامية، واتحاد كافة أفرادها وقيامهم بكافة متطلبات هذه الأمة مهما اختلفت المواطن والأرمنة وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم-: « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» (رواه البخاري). وقال أيضاً: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (رواه البخاري). وقال- صلى الله عليه وسلم-: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسى والسهر» (رواه البخاري). فالإسلام يفرض على أتباعه التناصح والتعاون والاتحاد في كافة أمور المسلمين من اقتصاد واجتماع وسياسة وغيرها، لأن بلاد الإسلام وطن لكل مسلم أيًا كانت جنسيته أو محل ميلاده أو هويته.

تتوافر للتكامل بين البلاد الإسلامية كافة الأسس اللازمة للنجاح نظراً لوجود العديد من الدعامات التي تجعل منه واحداً من أرقى سبل التكامل الموجود في العالم وتشمل هذه الدعامات العديد من الجوانب الدينية والتاريخية والجغرافية والاقتصادية على النحو التالي :

١ - إن العقيدة الإسلامية هي أساس اللقاء بين الجماعات البشرية التي تستوطن العالم الإسلامي. فالأمة الإسلامية هي مجموعة البشر التي تعيش بعقيدة الإسلام، لذا نجد أن رباط العقيدة هو الذي يربط هذه المجموعات السكانية المتباعدة ويقرب بينها ويوحد مشاعرهم تجاه كافة القضايا العالمية.

إن الوحدة الدينية تؤدي إلى سهولة قيام التكامل نظراً للترابط بين جزئيات الوطن المختلفة ومواطنيه لما بينهم من أساليب حياة واحدة. ويتوافر للأقطار الإسلامية مثل هذه الروحية على أوسع نطاق. فأغلب سكان البلاد الإسلامية مسلمون متحدون في العقائد والأركان. وباقي السكان يجمع بينهم وبين السكان وحدة الوطن والتاريخ المشترك، مما لا يجعل وجودهم بين المسلمين مؤثراً في أسباب وحدتهم ولا معكراً لصفاء توافر الاتحاد الديني بين المواطنين المسلمين.

ومن المعلوم أن الإسلام يدفع معتنقيه إلى الاتحاد، ويوجب عليهم التضامن وترك الفرقة والانقسام، حيث يدعو القرآن الكريم وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى الوحدة بين المسلمين على اختلاف أشكالها من دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية. وقد وضع الإسلام من الأسس والتشريعات ما هو كفيلاً بجعل أمة الإسلام أعظم الأمم وأكثرها قوة ونظاماً وحضارة ورفاهاً، ويجعل مجتمع المسلمين مجتمعاً إنسانياً متكاملًا. ولا شك أن سيادة هذه الجوانب في الأمة الإسلامية هي الضمان لنجاحها واستمرارها قوية موحدة.

٢ - لقد أثر رباط العقيدة على روابط أخرى مثل اللغة، فعندما انتشر الإسلام عمت اللغة العربية كل مكان دخله الإسلام، فالعبادة من صلاة وتلاوة للقرآن لا تتم إلا بها حيث أنزل بها القرآن الكريم، ولأن الإسلام يفرض تعلم أمور الدين وهذا لا يكون أيضاً إلا بالعربية حيث دونت بها أكثر كتب التفسير والحديث والفقهاء، واستمر هذا طيلة العهد الإسلامي. وامتزجت العربية باللغات واللهجات المحلية واتخذ معظم الشعوب الإسلامية الأبجدية العربية وبرز أثر

العربية في اللغات المتداولة في العالم الإسلامي عن طريق الكلمات العربية الموجودة في كل لغة وتشكل نسبة كبيرة قد تصل في بعض اللغات إلى النصف مثل لغات الفطاني في شبه جزيرة الملايو، والأردو في باكستان والفارسية في إيران والبشتو في الأفغان ولغات بعض الشعوب الأفريقية مثل الفولاني والولوف والماندنج وغيرها. . . (شاك: ١٣٩٦هـ، ص ص١٩-٢٠). ولا شك أن ذلك يشكل ملمحاً بارزاً من آثار التكامل الجيو- حضاري بين أقطار العالم الإسلامي.

٣ - وبجانب اللغة العربية هناك التاريخ المشترك حيث تعتبر الشعوب الإسلامية أن تاريخ الإسلام هو تاريخها الذي تعتر بأمجاده، وتفتخر بمآثره وآثاره الحضارية وفتوحاته المحررة للبشر من الأساطير والخرافات والعقائد الوثنية والعادات الذميمة، الناشرة للعقائد الصحيحة والمفاهيم الراقية والؤسسات العلمية والأنظمة العادلة، وترى في أبطال هذا التاريخ أبطالاً للإنسانية، وترى في اشتراكها في هذا التاريخ وفي دخول الإسلام إلى بلادها سلماً أو حرباً اشتراكاً في تحرير البشرية وتقديمها وأخذها في طريق الخير والسعادة للإنسانية، ويعتبرون الفاتحين الأولين والناشرين للإسلام أعلام هذه المعركة التحريرية وأبطالاً وأنصاراً لله يتقرب إليه بذكر سيرتهم ودراستها (المبارك: ب. ت، ص٢٤).

٤ - لقد أوجد الإسلام بتعاليمه العملية، وأحكامه المتعلقة بأمور الحياة من طعام وشراب ولباس وتنظيم للمعاملات وللأسرة عادات متشابهة جداً في جميع هذه الميادين، وذلك أن المسلم يراعي في طعامه أحكام الشريعة فيما يؤكل، وكذلك في استعماله للأشياء وفي حكمه عليها حسناً أو قبحاً. كما أن تنظيم الزواج والطلاق والإرث وعلاقات أفراد الأسرة المادية والمعنوية تدخل في نطاق أحكام الإسلام ويطبقها المسلمون فعلاً. ولذلك نشأت في الشعوب

الإسلامية عادات متشابهة في حياتهم اليومية، وفي حياة الفرد والأسرة في البيت وفي المجتمع، وعلى اختلاف ألوانهم وأشكالهم وبيئاتهم. وهذا الاشتراك في العادات اليومية العملية إذا أضفناه إلى تلك الروابط المشتركة في العقيدة والثقافة والتاريخ ولد في نفوس أبناء هذه الشعوب عواطف متشابهة ومواقف في الحياة متجانسة وآمالاً وأهدافاً مشتركة، سواء أكانت هذه الأهداف نظرية مثالية كانتشار عقيدة التوحيد والإيمان بالله تعالى وبمحمد- صلى الله عليه وسلم- نبياً ورسولاً إلى العالمين، وبالقرآن كتاباً إلهياً أم كانت أهدافاً عملية كتحرير المقدسات، ومكافحة الاستعمار والعنصرية، ومناصرة القضايا الإنسانية وغيرها من الأمور التي تفرض التقارب والتشابه والتعاطف والتعاون وهذا بحد ذاته يمهد لاشتراك أوثق وتقارب أكمل وتكامل أعمق بين هذه الشعوب والأقطار الإسلامية جميعاً (المبارك: د. ت، ص ص ٢٢-٢٦).

٥ - تمتد الأقطار الإسلامية على رقعة واحدة تشمل ثلثي مساحة أفريقيا وأكثر من ثلث مساحة آسيا. ولا شك أن تجاور الأقطار الإسلامية يساعد على تكاملها كما يسهل اتحادها، وهذا يعطي عمقاً إقليمياً للعالم الإسلامي. فإذا عرفنا أن العالم الإسلامي يشرف على أكبر ثلاث محيطات عالمية هي الأطلسي والهندي والهادي وتتخلله أهم البحار ذات الاستراتيجية المهمة وهي البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي والبحر الأسود وأطراف بحر قزوين، وفيه أهم المضائق والممرات المائية مثل جبل طارق وقناة السويس وباب المندب ومضيق البسفور والدردينيل وملقا. وهذا يجعل المياه حلقة وصل لطرق الملاحة العربية ويجعل منطقة الرقعة الإسلامية منطقة عبور وحركة وملتقى للتجار والتجارة من الشرق والغرب فإذا ما أضفنا إلى ذلك شبكة الدروب البرية التي تكمل شرايين الملاحة البحرية أدركنا أن التجاور الجغرافي يفرض مزيداً من التكامل بين الأقطار الإسلامية ويسهم في إمكانية وحدة العالم الإسلامي مستقبلاً كما كان عليه الحال سابقاً.

٦ - توافر الموارد الاقتصادية: تتوافر في العالم الإسلامي كافة الموارد الاقتصادية اللازمة لتطوير اقتصادياته وتنمية موزعة بين أجزائه المختلفة. فالعالم الإسلامي غني بموارده الطبيعية والبشرية على حد سواء.

هناك إمكانات كبيرة من الموارد حيث الأرض الشاسعة التي تزخر بإمكانات هائلة، وتنتج الكثير من المحاصيل الزراعية والرعية والغابية. إضافة إلى أن الأرض الإسلامية تحتوي العديد من الثروات المعدنية وموارد الطاقة التي لم يتسن لكثير من الدول الإسلامية استغلالها الاستغلال الأمثل حيث يتجه جانب كبير من هذه الموارد وقسم أكبر من رساميلها إلى الدول المتقدمة غير الإسلامية للاستثمار فيها بدلاً من الإفادة بها في جهود التنمية ومواجهة التخلف الاقتصادي لدول العالم الإسلامي، وبالطبع فإن هذه الأموال والثروات سوف تتجه إلى المسار الطبيعي لها في تنمية العالم الإسلامي في رطار التكامل المقترح بين هذه الدول.

وبالرغم من توافر كافة الموارد الاقتصادية على النحو المذكور فإنه ليس بين دول العالم الإسلامي دولة واحدة تملك بمفردها من هذه الموارد والإمكانات وتكامل عناصر الإنتاج مايمكنها من تحقيق قوة اقتصادية كبرى. إذ إن كل بلد منها يصطدم في تطوير اقتصادياته بأكثر من عقبة واحدة كالتقص في عنصر من هذه العناصر أو ضيق السوق اللازمة للاستغلال الاقتصادي الأمثل لهذه العناصر.

وبتحقيق حرية انتقال عناصر الإنتاج بين أرجاء الوطن الإسلامي في ظل تكامل اقتصادي فإنه يمكن إقامة بنية اقتصادية إسلامي متين يعمل على زيادة مستوى الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للبلدان الإسلامية عن طريق زيادة الناتج الإجمالي لمختلف عناصر الإنتاج، وتحقيق الكفاءة الاقتصادية في استخدام هذه العناصر (عقر: ١٤٠٠هـ، ص ١٣١).

٧ - اتساع حجم السوق: يمكن التعرف على حجم السوق على أساس عدد السكان أو على أساس المساحة الجغرافية للدول المتكاملة. غير أن أفضل المقاييس هو استخدام معيار الناتج الوطني. وبتقدير حجم السوق فإنه يمكن الحكم على مدى الفائدة المتوقعة من التكامل، إذ كلما زاد حجم السوق كلما زادت المكاسب الممكنة تحقيقها من التكامل. كذلك فكلما كبرت الزيادة النسبية في حجم السوق، كلما زادت الفائدة التي تجنيها البلدان المشتركة، وذلك لأن زيادة حجم السوق يرفع الإنتاجية إلى مدى أكبر إذا كان حجم السوق الخاص بكل بلد صغيراً. وعلى ذلك فإن قيام التكامل بين عدد من البلدان الصغيرة قد يؤدي إلى مزيد من الفوائد على البلدان المشتركة، ومزيد من التحسين في الكفاءة الإنتاجية لهذه البلدان. فإذا عرفنا أن حجم السوق على مستوى العالم الإسلامي يقدر بربع سكان المعمورة وأن مساحة هذه السوق هي أكثر من مساحة قارة أوروبا وأمريكا الجنوبية مجتمعين أدركنا أهمية التكامل الاقتصادي لدول العالم الإسلامي.

٨ - إن عناصر التكامل السابقة الموجودة بين الأقطار الإسلامية قلَّ أن توجد بين مجموعات أخرى من الدول. ولاشك أن ذلك يجعل إمكانية قيام قوة إسلامية عالمية لها تأثيرها في المجال الدولي أمراً ممكناً نظراً للإمكانات التي تؤهل الدول الإسلامية لتشكيل مثل هذه القوة فهناك العقيدة الواحدة والتاريخ المشترك، والآمال والأمانى الوحيدة وهناك المساحة الكبيرة والموارد المتعددة والموقع الاستراتيجي والتنقل السكاني الكبير وكل ذلك عوامل سياسية في بناء القوة العالمية التي أصبحت الآن ضرورية في مقابل التكتلات والتحالفات الدولية في النظام العالمي الجديد.

الهوامش

(١) بسط فقهاء الشريعة الإسلامية أسس العلاقات الدولية بين الدول فقالوا: ثمة دار إسلام، ودار حرب ويميز بينهما كالتالي:

(أ) دار الإسلام: هي البلاد التي يسود فيها الحكم الإسلامي، أي تكون القوة والعزة فيها للمسلمين، سواء أكان أكثرية السكان بها من المسلمين، أم من غير المسلمين. وتعتبر هذه الدار وطن كل مسلم مهما كانت جنسيته، أو مكان ولادته، فهو يتمتع بجميع الحقوق المدنية والدينية، وهو ملتزم إزاءها بالدفاع عنها، ورد العدوان، وردع الطامعين وكسر شوكتهم، والحفاظ على دينه وعرضه وماله، وتوفير العزة والكرامة لكل فرد يعيش فوق أرضها. وقد ينعته بعض الفقهاء باسم "دار العدل" لأن الحكام يعملون فيها على تطبيق العدل المطلق بين الناس. ولعل هذه الصلة هي الميزان الصحيح للحاكم المسلم.

(ب) دار الحرب: يذهب فريق من الفقهاء إلى أن (دار الحرب) هي البلاد التي لا يكون فيها السيادة والمنعة للحاكم المسلم. ولا يقوى فيها المسلمون على تطبيق الأحكام الإسلامية، وليس بين أهلها وبين المسلمين عهد يحدد أسس العلاقة بين الطرفين، ويؤكد عدم الاعتداء على المسلمين، وحماية أرواحهم وأموالهم وأعراضهم (عفيفي، محمد الصادق، الإسلام والعلاقات الدولية، سلسلة دعوة الحق، عدد (٣٦) السنة الرابعة، ١٤٠٥هـ، ص ٢٩-٣٨).

(٢) يمكن أن تقسم أقطار العالم على أساس الوزن النسبي أو الثقل النسبي للإسلام فيها إلى:

(أ) دول يمثل فيها الإسلام الأغلبية المطلقة.

(ب) دول حدية يتعادل فيها الإسلام مع الأقليات الأخرى.

(ج) دول يتواجد فيها المسلمون كأقليات.

في الفئتين الأولى والثالثة تبدو الأمور واضحة ومحسومة فالأولى أقطار إسلامية والأخيرة أقطار أقلية. وتكمن المشكلة في الأقطار الحدية التي تتراوح نسبة المسلمين فيها بين ٤٠ - ٦٥ ٪. فهذه الدول تختلف وجهات النظر حولها تبعاً للمطامع والأهواء. فإذا علمنا أن معظم هذه الأقطار لا تتوافر لها الإحصاءات الدقيقة التي تحدد أعداد المسلمين، لأن معظم هذه الدول لا تدرج في إحصاءاتها تعدادات خاصة بالعقائد الدينية، أدركنا صعوبة تقدير عدد المسلمين في هذه الأقطار، ويزداد الأمر صعوبة في الأقطار الأفريقية بوجود من يسمون بأصحاب الديانات البدائية (المحلية) فنتيجة اختلاط هؤلاء بالمسلمين ربما أضافت بعض المصادر الإسلامية أعداداً منهم إلى أعداد المسلمين مما ينجم عنه اختلاط الإحصاءات بين مصدر وآخر. وفي الجانب المقابل نجد المصادر الغربية تميل إلى المبالغة في أعداد هؤلاء الوثنيين على حساب أعداد المسلمين؛ الأمر الذي يظهر فرقاً كبيراً بين المراجع الإسلامية والمراجع الغربية. ويبدو أن الحقيقة تقع بين هذا وذاك غير أنه لا سبيل إلى القطع بها نهائياً في ضوء غياب الأرقام الصحيحة التي تظهر الوضع الراهن على ما هو عليه فعلاً. ففي تشاد تتراوح تقديرات المسلمين بين ٤٠ - ٨٨ ٪ وفي سيراليون تتراوح التقديرات بين ٢٥ - ٧٥ ٪. وفي توغو وبنين والكمرون وأفريقيا الوسطى تتباعد التقديرات بحيث تتراوح بين ١٠ - ٦٥ ٪ (للمقارنة بين التقديرات الغربية والمراجع الإسلامية انظر The times guide of the Nations of the World, Times Book and Bartholomew, London, 1994 وكذلك سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية لمحمود شاكر).

(٣) التقسيم الإقليمي والقطري المعتمد لأغراض الموسوعة الحالية هو كالاتي:

- إقليم شبه الجزيرة العربية (أ): السعودية، الكويت، قطر، البحرين.
- إقليم شبه الجزيرة العربية (ب): الإمارات، عُمان، اليمن.
- إقليم الهلال الخصيب: العراق، فلسطين، سوريا، لبنان، الأردن.
- إقليم النطاق الجبلي في غربي آسيا: تركيا، إيران، أفغانستان، أذربيجان.

- إقليم شبه القارة الهندية: باكستان، بنغلادش، المالديف.
 - إقليم جنوب شرقي آسيا. ماليزيا، بروناي، إندونيسيا.
 - إقليم حوض النيل: مصر، السودان، أثيوبيا، أوغندا.
 - إقليم شمالي أفريقيا. ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب.
 - إقليم شرقي أفريقيا: الصومال، جيبوتي، جزر القمر، تنزانيا، أريتريا.
 - إقليم الصحراء الكبرى: تشاد، النيجر، مالي، موريتانيا.
 - إقليم غربي أفريقيا (أ): السنغال، غامبيا، غينيا بيساو، غينيا، سيراليون.
 - إقليم غربي أفريقيا (ب): نيجيريا، بنين، الكمرون، الجابون، بوركينافاسو.
- (٤) إن الشعوب الهندية- الأوروبية التي نزحت باتجاه غربي أوروبا طوّرت ثمان مجموعات لغوية هي أصل اللغات الحديثة في أوروبا بأسرها وأهم هذه المجموعات هي:
- (أ) الجرمانية، وتشمل: (الإجليزية، الألمانية، الهولندية، الفلمنج، الإسكندنافية).
- (ب) اللاتينية أو الرومانسية، والتي تشمل: (الفرنسية، الإسبانية، البرتغالية، القطلونية، الإيطالية، الرومانية).
- (ج) القلطية، وتشمل: (الغالية، الويلز، البريتون).
- (د) السلافونية، وتشمل: (الروسية، البولندية، التشيكية، السلوفاكية، السلوفين، الصربية، الكرواتية، البلغارية).
- (هـ) البلطية، وتشمل: (اللثوانية، اللتفيه، الأستونية).
- (و) اليونانية.
- (ز) الألبانية.
- (ح) الأرمنية.

(٥) بدأت ملكية الأراضي تتطور تدريجياً منذ السنوات الأولى لصدر الإسلام. وظهر في الفقه الإسلامي بعض التصنيفات لأنواع الأراضي المملوكة، والأحكام المترتبة عليها. وقد قسم الفقهاء المسلمون الأرض بادئ ذي بدء باعتبار خضوعها للمسلمين إلى:

(أ) أرض أسلم أهلها طوعاً بلا قتال: كأرض المدينة المنورة واليمن والطائف فهي مملوكة لأهلها ولا يجب عليهم فيها سوى الزكاة.

(ب) أرض صالح المسلمون أهلها كأرض البحرين ونجران وتعتبر هذه الأرض خراجية يجب عليها الخراج.

(ج) أرض جلا عنها أهلها خوفاً من المسلمين وبدون قتال كأرض بني النضير فهذه تعتبر أرضاً خراجية.

(د) أرض لم تكن ملكاً لأحد.

(هـ) أرض فتحها المسلمون عنوة كأرض مصر والشام والعراق. فهذه الأرض خراجية وعشرية. فإذا قسمت بين الفاتحين المسلمين فهي أرض عشرية يجب عليها الزكاة. وإذا وقفت على جميع المسلمين فهي خراجية (النمري: ١٩٩٥م، ص ١٨٢).

وكانت الأراضي الزراعية تقسم على الفاتحين في أوائل عهد الفتوح غير أن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- رأى عدم تقسيم الأراضي المفتوحة عنوة ووقفها على جميع المسلمين، وضرب عليها الخراج وذلك للأسباب التالية.

(أ) تأمين موارد ثابتة لبيت مال المسلمين.

(ب) توزيع الثروة وعدم حصرها في فئة معينة.

(ج) عمارة الأرض بالزراعة وعدم تعطيلها لأن أهلها أقدر عليها من الفاتحين (النمري: ١٩٩٥م، ج ١، ص ٢٦٣).

وقد استشار الخليفة عمر الصحابة- رضي الله عنهم- في أرض العراق بعد فتحها، فمنهم من قال بقسمتها بين المحاربين، ومنهم من قال بوقفها على المسلمين. وقد اجتهد عمر بوقفها على جميع المسلمين (أملاك للدولة) ووضع عليها الخراج، وهو ما يشبه الضريبة المفروضة على الأرض، والدولة هي التي تحدد نسبته وتجمعه وتنفق حصيلته في أوجه النفقات العامة. وقد ذكر عمر في حديثه مع الأنصار والمهاجرين بعد أن جمعهم واستشارهم في أرض العراق والشام فقال: "أرىتم هذه الشغور، لا بد لها من رجال يلزمونها، أرىتم هذه المدن العظام- الجزيرة والشام والعراق ومصر- لا بد لها أن تشحن بالجيوش وإدراج العطاء عليهم، فمن أين يُعطى هؤلاء إذا قسمت الأرض؟". وقال الكاساني في بدائع الصنائع (ج ٢، ص ٩٥٩): "وأما مصرف الخراج فعمارة الدين، وإصلاح مصالح المسلمين وهو رزق الولاة والقضاة وأهل الفتوى من العلماء والمقاتلة ورصف الطرق وعمارة المساجد والرباطات والقناطر والجسور وسد الشغور وإصلاح الأنهار التي لا ملك لأحد فيها". وهذا يعني أن الخراج أحد مصادر التمويل للنفقات العامة للدولة، كما قرره الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وكما رآه الفقهاء من بعده، والتي تشمل الإنفاق على المرافق العامة وكذلك المرتبات والأرزاق (المواد الغذائية) وإعداد القوة العسكرية، وغير ذلك مما فيه مصلحة للمسلمين، ويدخل في ذلك المشروعات الزراعية العامة كالطرق والسدود وحفر الآبار وبناء الجسور وإصلاح الأراضي الزراعية.

نخلص إلى القول أن الأرض الزراعية قد صنفت ملكيتها باعتبار خضوعها للمسلمين وباعتبار مايفرض عليها من حقوق إلى نوعين:

(أ) أرض عشرية وهي الأرض التي تؤخذ فيها الزكاة، كما هو مقرر في زكاة الزروع والثمار.

(ب) أرض خراجية وهي التي فرض عليها الخراج.

(٦) للفقهاء تفصيل في محل الملكية وقد ذكر محمد أبو زهرة في كتابه الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية أن الملك ينقسم باعتبار محله إلى أربعة أنواع:

- ملك عين ومنفعة: وهو الملك التام لأنه يقع على ذات العين ومنافعها فيعطي للمالك حق التصرف السائغ شرعاً من بيع وإجارة ووصية ووقف وغير ذلك.

- ملك عين بلا منفعة: وهو ملك ناقص لأنه يقع على الرقبة وحدها من غير ملك المنفعة مثل إذا أوصى المالك لشخص بمنفعة سكنى الدار والآخر يملك رقبته فإن الموصي له بالرقبة يكون مالكا للرقبة وحدها في مدة انتفاع الموصى له سواء كانت لها نهاية معلومة أم تنتهي بالموت.

- ملك منفعة بلا عين: وهو أيضاً ملك ناقص لأنه يقع على المنفعة وحدها ويكتسب بالإجارة والإعارة والوصية بالمنفعة والوقف.

- ملك انتفاع من غير ملك الرقبة: وهو يشمل حقوق ملك المنفعة. وحق الانتفاع وهو مباشرة الشخص الانتفاع بنفسه فقط كالجلوس في المدارس والأسواق، والمبيت بدار الضيافة ونحو ذلك فلمن أذن له في ذلك أن يتنفع بنفسه فقط، ولا يجوز له أن يؤجر أو يأخذ معاوضة أو يأذن لغيره في الانتفاع بها بمقابل ويثبت حق الانتفاع بسببين:

الأول: أن تكون الأعيان المنتفع بها مخصصة لمنفعة الكافة ولا يملكها واحد من الناس كالأنهر والترع التي تشقها الدولة والمدارس.

الثاني: الإباحة فإنها تعطي للمباح له حق الانتفاع ولا تعطيه ملك المنفعة لغيره بعوض، أو بغير عوض كمن يخصص داراً لإيواء من انقطع به الطريق فليس للمتفعين بها إلا حق الانتفاع فقط (محمد أبو زهرة: الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية، ص ٧٤-٧٧؛ النمري: التنمية الزراعية في ضوء الشريعة الإسلامية، ج ١، ص ٥٢٩ - ٥٣٠).

(٧) روى البخاري حديث أسماء بنت أبي بكر- رضي الله عنهما- قالت: «تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه فكنت أعلف فرسه، واستقي الماء وأخرز غربه وأعجن ولم أكن أحسن الخبز. وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق. وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ فجئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت الرسول- صلى الله عليه وسلم- ومعه نفر من الأنصار، فدعاني ثم قال: إخ إخ (بكسر الهمزة وسكون الخاء) ليحملني خلفه فاستحيت أن أسير مع الرجال،

وذكرت الزبير وغيرته- وكان أغير الناس- فعرف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنني قد استحييت، فمضى، فجئت الزبير فقلت لقيني رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب، فاستحييت وعرفت غيرتك فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه» (البخاري، ج ٩، ص ٣١٩) فهذه القصة تدل على مشاركة المرأة المسلمة في الأعمال المنزلية والأعمال الميدانية في المزرعة.

(٨) يرى علماء الجيولوجيا أن المنطقة كانت على مثل الوضع في أواخر العصر الجيولوجي الرابع. ففي ذلك التاريخ كانت الرياح القطبية تحتاح الصحاري العربية في معظم فصول السنة فيغزر المطر من جراء ذلك ويكثر النبات والحيوان. ولسبب لم يعرف كنهه حتى الآن بدأ الجليد بالانحسار تدريجياً. لهذا أخذ المطر يقل في المنطقة شيئاً فشيئاً حتى صار الجفاف هو الحالة السائدة في المنطقة (غلاب ورميله: ١٩٦٨م، ص ٤٦٥-٤٦٦).

(٩) لمعرفة موقف الإسلام من تحديد النسل انظر أبو الأعلى المودودي: حركة تحديد النسل مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ. فقد ناقش المؤلف بإسهاب غاية تحديد النسل وسياقها التاريخي ونتائجها وردود الفعل تجاهها في دول أوروبا الغربية ثم تعرض لمبادئ الإسلام وأبرز دلائل المؤيدين والمعارضين لحركة تحديد النسل ثم ناقش مشكلات تنظيم الأسرة. انظر كذلك الإمام محمد أبو زهرة: تنظيم الأسرة وتنظيم النسل، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت).

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- أبو الحجاج، يوسف (١٩٨٤م): نمط انتشار الإسلام في أفريقيا، المجلة الجغرافية المصرية، ع١٦، س١٦، القاهرة.
- أبو الحجاج، يوسف (١٩٥٩م): العالم الإسلامي: مكانته في الاقتصاد العالمي وارتباطه بالأطماع الاستعمارية، حوليات كلية الآداب عين شمس، المجلد الخامس ص٥٩-١١٧.
- أبو الحجاج، يوسف (١٤٠٤هـ): مسالك انتشار الإسلام، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الرابع، ص٣٣-٤٧.
- أبو زهرة، الإمام محمد (د. ت): تنظيم الأسرة وتنظيم النسل، دار الفكر العربي.
- أبو السعود، محمود (١٤٠٤هـ): الإصلاح الزراعي في البلاد الإسلامية، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص٤٤٧-٤٨٧.
- أبو شيخة، عيسى. وعبدالرحمن، رشيد. ودبور، مرشد والخطيب، إبراهيم (١٩٨٤م): مشكلات عالمية معاصرة، دار العدوي للطباعة والنشر والتوزيع عمان، الأردن.
- أبو العلا، محمود طه (١٩٨٣م): جغرافية العالم الإسلامي، مكتبة الفلاح، الكويت.
- أبو عياش، عبدالإله (١٩٨٠م): أزمة المدينة العربية، وكالة المطبوعات الكويت.
- أبو عياش، عبدالإله والقطب، إسحاق يعقوب (١٩٨٠م): الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضريّة، وكالة المطبوعات، الكويت.

- أغا، حسين. والخالدي، أحمد سامح. وجعفر، قاسم (١٩٨٢م): بعض المسائل الاقتصادية في الأقطار النامية، سلسلة الدراسات الاستراتيجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- ألب تكين، عيسى (١٣٩٨هـ): قضية تركستان الشرقية، ترجمة إسماعيل حقي شن كولر، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.
- الاندونيسي، أبو هلال (١٤٠٠هـ): غارة تبشيرية على إندونيسيا، دار الشروق، جدة، ط٤.
- الباشا، حسن (١٩٨٨م): دراسات في الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية القاهرة.
- باقادر، أبو بكر. والصباغ، عبداللطيف توفيق الشيرازي. والجلند، محمد السيد. والسامرائي موثل يوسف (١٤٠٣هـ): دراسة عن حماية البيئة في الإسلام. نشرة مشتركة للاتحاد الدولي لصون الطبيعة والموارد الطبيعية ومصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالمملكة العربية السعودية. جلاند، سويسرا.
- بحيري، صلاح الدين، والسرياني، محمد محمود (١٩٨٣م): جغرافية الوطن العربي، مديرية المناهج الأردن، المطبعة الوطنية.
- بحيري، صلاح الدين (١٩٧٤م): أرض فلسطين والأردن، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية.
- البطيحي، عبدالرزاق محمد وخطاب، عادل عبدالله (١٩٨٢م): جغرافية الريف، جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد.
- بكار، يوسف (١٩٨٤م): جوانب من الحضارة الإسلامية، منشورات مركز الدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك، إربد.
- بكر، سيد عبدالمجيد (١٤٠٥هـ): الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا، ح(١) سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، العدد (٤١) السنة الرابعة. (أ)

- بكر، سيد عبدالمجيد (١٤٠٥هـ): الأقليات المسلمة في أفريقيا، ح(٢) سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، العدد (٤٢) السنة الرابعة. (ب)
- بكر، سيد عبدالمجيد (١٤٠٥هـ): الأقليات المسلمة في أوروبا، ح(٣) سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، العدد (٤٣) السنة الرابعة. (ج)
- بكر، سيد عبدالمجيد (١٤٠٥هـ): الأقليات المسلمة في الأمريكتين والبحر الكاريبي، ح(٤) سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، العدد (٤٤) السنة الرابعة. (د)
- البنا، علي (١٤٠٤هـ): مستقبل الموارد الأولية الزراعية في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الثاني، ص١٤٩-١٩١.
- بيلو، صالح آدم (١٤٠٨هـ): الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصددها في الأدب، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة.
- ترمنجهام، سبنسر (١٩٧٣م): الإسلام في شرق أفريقيا، ترجمة وتعليق محمد عاطف النوادي، ط١.
- الجميل، مكي (١٩٦٣م): البداوة والبدو في البلاد العربية، عمان.
- جوان، جوزيف (١٩٨٤م): الإسلام في ممالك أفريقيا السوداء، ترجمة مختار السويفي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة- بيروت، ط١.
- جودة، جودة حسنين (١٤٠٤هـ): عصور المطر في صحاري العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص٢٤٣-٢٨٨.
- الجوهري، يسري والزوكة، محمد خميس (١٩٧٩م): دراسات في جغرافية العالم الإسلامي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.

- الحداد، السيد علوي بن طاهر (١٩٨٥م): المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، تحقيق محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة جدة، ط ١.
- حزين، سليمان أحمد (١٩٦٨م): المشرق العربي بين الماضي والحاضر، دراسة في الجغرافيا الحضارية، المجلة الجغرافية العربية، الجمعية الجغرافية المصرية، السنة الأولى، العدد الأول، ص ٤-٢٧.
- حسن، حسن إبراهيم (١٩٦٤م): انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ط ٢، القاهرة.
- حسن، حسن إبراهيم (١٩٥٧م): انتشار الإسلام والعربية فيما يلي الصحراء الكبرى وشرق القارة الأفريقية وغربها، القاهرة.
- حسن، حسن إبراهيم (١٩٩١م): تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (أربعة أجزاء) منشورات دار الجيل- بيروت، ومكتبة النهضة العربية بالقاهرة.
- حسونه، محمد أحمد (١٩٦٠م): أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، القاهرة.
- حسين، منصور، وحبيب، كرم (١٩٧٥م): السكان والبناء الاجتماعي، القاهرة.
- حمدان، جمال (١٩٧١م): العالم الإسلامي المعاصر، عالم الكتب، القاهرة.
- حميدة، عبدالرحمن (١٤٠٠هـ): جغرافية التخلف، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الرابع.
- خاطر، سليمان (١٤٠٤هـ): أثر الضوابط الجغرافية في الانتشار الإسلام وتوزيع أقليته، بحوث المؤتمر الجغرافي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الرابع، ص ٥١-٨٢.

- خاطر، سليمان (١٩٧٦م): أفريقيا الإسلامية- دراسة للدول الإسلامية والمسلمون بأفريقيا " أفريقيا" مجلة معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة.
- ربيع، حامد (١٤٠٣هـ): مستقبل الإسلام السياسي، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد.
- رزقانه، إبراهيم (١٩٦٥م): أسباب ظاهرة البداوة وحجمها، بحث مقدم إلى مؤتمر رعاية البدو وتحضيرهم وتوطينهم المنعقد في القدس (أعمال المؤتمر، ج ٢، ص ٣٣١).
- زكي، عبدالرحمن (١٩٦٤م): بعض المدن العربية على ساحل أفريقيا الشرقي في العصور الوسطى، المحاضرات العامة للجمعية الجغرافية المصرية، القاهرة، الموسم الثقافي لعام ١٩٦٤م.
- زكي، عبدالرحمن (١٩٧٦م): تاريخ انتشار الإسلام في غرب أفريقيا.
- زكي، عبدالرحمن (١٩٦٠م): المسلمون في العالم اليوم.
- الزوكة، محمد خميس (١٩٩٥م): جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- الزوكة، محمد خميس (١٩٨٨م): جغرافية شرق أفريقيا، الإسكندرية.
- الزوكة، محمد خميس والجوهري، يسري عبدالرزاق (١٩٧٩م): دراسات في جغرافية العالم الإسلامي، الإسكندرية.
- الزوكة، محمد خميس (١٤٠٤هـ): الزراعة في أفريقيا الإسلامية- دراسة لخصائصها العامة، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، المجلد الثاني، ص ٨١- ١١٦.
- الساداتي، أحمد محمود (١٩٧٠م): تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية، مطابع سجل العرب، ط ٢.

- السامرائي، قاسم (١٩٨٣م): الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط ١.
- السباعي، مصطفى (١٩٧٩م): الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، المكتب الإسلامي، ط ٣.
- ستودارد، لوثر (١٩٧١م): حاضر العالم الإسلامي، نقلة إلى العربية، عجاج نويهض وعلق عليه شكيب أرسلان، دار الفكر، ط ٣.
- السرياني، محمد محمود (١٩٩٠م): ملامح التحضر في المملكة العربية السعودية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد (٢٣) السنة (١٦)، ص ١٢٩ - ١٨٠.
- السرياني، محمد محمود (١٩٨٨م): السمات العامة لمراكز الاستيطان الريفية في منطقة الباحة/ المملكة العربية السعودية، وحدة البحث والترجمة، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت.
- السرياني، محمد محمود (١٩٧١م): البداوة في الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الجغرافيا.
- السرياني، محمد محمود (١٤١٧م): الوجيز في جغرافية العالم الإسلام- دراسة لملامح الأقطار الإسلامية ومشاكل الأقليات المسلمة في العالم، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.
- السماك، محمد أرهر (١٤٠٤هـ): قياس الأهمية النسبية لمصادر الطاقة الحديثة في العالم الإسلامي وآفاقها المستقبلية، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الثاني، ص ٥٢١ - ٥٤٦.

- سنكري، محمد نذير (١٤٠٤هـ): الثروات الرعوية في العالم الإسلامي ومشكلة الأراضي الجافة، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص ٣٤٢-٣٤٨.
- شاكِر، محمود (١٩٧٤م): أفغانستان، سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا رقم (١١) مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شاكِر، محمود (د. ت): تركيا، سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا رقم (١٢) مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شاكِر، محمود (د. ت): إيران، سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا رقم (١٣) مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شاكِر، محمود (١٩٧٩م): المسلمون تحت السيطرة الشيوعية، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ط ٢.
- شاكِر، محمود (١٩٨١م): اقتصاديات العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣.
- شاكِر، محمود (١٩٨١م): سكان العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢.
- شاكِر، محمود (١٩٧٧م): المسلمون تحت سيطرة الرأسمالية، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١.
- شاكِر، محمود (١٩٨٠م): العالم الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١.
- شاكِر، محمود (١٩٧٨م): جغرافية البيئات، المكتب الإسلامي، دمشق.
- الشامي، صلاح الدين، وعبد المقصود، زين الدين (١٩٧٤م): جغرافية العالم الإسلامي، منشأة المعارف بالإسكندرية.

- شريف، إبراهيم (١٩٨٣م): جغرافية الصناعة، مكتبة الفلاح، الكويت.
- الشريف، أحمد إبراهيم (١٩٨١م): دراسات في الحضارة الإسلامية، دار الفكر العربي.
- شلبي، أحمد (١٩٨٣م): موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية- الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقيا منذ دخولها الإسلام وحتى الآن، مكتبة النهضة المصرية، ط ٤.
- شلبي، أحمد (١٩٨٣م): موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية- الإسلام والدول الإسلامية غير العربية بآسيا، مكتبة النهضة المصرية، ط ١.
- شلبي، إسماعيل عبدالرحمن (د. ت): التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية، وزارة الإعلام، المملكة العربية السعودية، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية.
- الشيال، جمال الدين (١٩٦٨م): تاريخ أباطرة المغول، منشأة المعارف بالإسكندرية.
- الشيخ، عبدالرحمن عبدالله (١٩٨٣هـ): دول الإسلام وحضارته في أفريقيا، دار اللواء، الرياض، ط ١.
- صادق، دولت (١٩٨٣م): أطلس العالم الإسلامي، دار البيان العربي، جدة.
- صادق، دولت (١٤٠٤هـ): شرقي أفريقيا- دراسات في جغرافية الإسلام، بحوث المؤتمر الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الرابع، ص ٣٠-٩٢.
- صالح، حسن عبدالقادر (١٤٠٤هـ): تنمية الريف في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص ١٧١-٢٢٢.

- صالح، حسن عبدالقادر (١٩٧٧م): الغذاء والسكان في العالم الإسلامي، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول.
- الصقار، فؤاد محمد (١٩٨٢م): الملامح الاقتصادية للدول النامية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ١.
- الصواف، محمد محمود (١٩٧٥م): رحلاتي إلى الديار الإسلامية، القسم الأول، أفريقيا المسلمة، بيروت.
- الطرازي، عبدالله مبشر (١٩٨٣م): موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد الهند والبنجاب (باكستان الحالية في عهد العرب) تقديم أبي الحسن الندوي، جزآن، ط ١ عالم المعرفة، جدة.
- عامر، محمد عبدالمجيد (١٩٨٢م): الثروات المعدنية في العالم الإسلامي، دراسة في الجغرافية الاقتصادية، منشأة المعارف بالإسكندرية،
- عبدالجبار، إبراهيم (١٤٠٤هـ): مشكلة الأراضي الجافة في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص ٤٠٣ - ٤٣٢.
- عبدالسلام، عادل (١٤٠٤هـ): مشكلة الأراضي الجافة في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص ٣٤٩ - ٤٠٢.
- عبدالمقصود، زين الدين (١٤٠٤هـ): مشكلة التصحر في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص ٨٥ - ١٢٣.
- عثمان، محمد عبدالستار (١٩٨٨م): المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة (١٢٨)، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت.

- عفر، محمد عبدالمنعم (١٤٠٠هـ): التنمية الاقتصادية لدول العالم الإسلامي، دار المجتمع العلمي، جدة.
- العقيلي، نعمان دهش (١٤٠٤هـ): التكامل الغذائي في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص ٢٨١-٢٩٢.
- عبيد، عاطف محمد (١٩٧٣م): التصنيع- مبرراته ومشاكله في الدول النامية (نظرة إدارية)، منشورات جامعة بيروت العربية.
- غرابيه، سامح والفرحان، يحيى (١٩٨٧م): المدخل إلى العلوم البيئية، دار الشروق عمان، الأردن.
- غلاب، محمد السيد والجوهري، يسري (١٩٦٨م): الجغرافيا التاريخية، عصر ما قبل التاريخ وفجره، مكتبة الأنجلو المصرية.
- غلاب، محمد السيد، وصالح، حسن عبدالقادر، وشاكر محمود (١٣٩٩هـ): البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر، المؤتمر الجغرافي الأول، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- فايد، يوسف عبدالمجيد (١٤٠٤هـ): الخلفية المناخية للأراضي الجافة في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص ٢٢٣-٢٤١.
- فراج، عز الدين (١٩٨٦م): الموارد المائية في الوطن العربي دار الفكر العربي، القاهرة.
- فروخ، عمر، والخالدي، مصطفى (١٩٧٣م): التبشير والاستعمار، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط ٥.

- الفضلي، عبده خليل (١٤٠٤هـ): التنمية الصناعية في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الثاني، ص ٥٦٥ - ٦٢٩.
- فلاديمير، فاسيلي وبارثولد، نتش (١٩٨١م): تركستان، نقله عن الروسية، صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ط ١.
- قداح، نعيم (١٩٦٠م): أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، كونكري.
- القضماني، محيي الدين (١٩٨٢م): صفحات من حاضر العالم الإسلامي، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- كامل، عبدالعزيز (١٩٦٦م): وجهة الإسلام في القارة الأفريقية، السياسة الدولية، السنة الثانية، ص ٩٤ - ١١١.
- كامل، عبدالعزيز (١٩٦٧ - ١٩٦٨م): جغرافية الإسلام في أفريقيا، محاضرات معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة.
- كامل، عبدالعزيز (١٩٩٢م): الجغرافيا والدين، سلسلة رسائل جغرافية تصدرها الجمعية الجغرافية الكويتية بالتعاون مع قسم الجغرافيا بجامعة الكويت عدد رقم (١٤٠).
- كلنجي، شانتال وبنيعسن، الكسندر (١٩٨١م): المسلمون في الاتحاد السوفيتي، تعريب إحسان حقي، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- كوتسمان، لويس (د. ت): الإسلام في أمريكا، ترجمة أحمد سعد، قسم الإعلام والنشر، مكتبة رابطة العالم الإسلامي، نيويورك.
- ماجد، عبد المنعم (د. ت): الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، ط ٢، دار الفكر العربي، القاهرة.

- الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد البصري البغدادي (د. ت): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الفيصلية، مكة المكرمة.
- المبارك، محمد (د. ت): الأمة والعوامل المكونة لها، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية.
- محمد، أسماء أبو بكر (١٤١٠هـ): المسلمون في دوائر النسيان، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، س٩، عدد (٩٦).
- محمد، محمد عوض (د. ت): الشعوب والسلالات الأفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- محمد، محمد محمود (د. ت): التراث الجغرافي الإسلامي، مطبعة شريف وشركاه، الإسكندرية.
- محمود، حسن أحمد (١٩٦٨م): الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار النهضة العربية.
- مخول، قيصر أديب (د. ت): الإسلام في الشرق الأقصى، تعريب نبيل صبحي، دار العربية، بيروت.
- المدني، أحمد توفيق (د. ت): المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، مطبعة أ.م.ن، سركور، الشركة الوطنية، الجزائر.
- المصري، جميل عبدالله محمد (١٩٨٩م): حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ط٢، دار أم القرى/ عمان.
- المطري، سيد خالد (١٩٨٤م): دراسات في سكان العالم الإسلامي، لجنة البحث العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة.
- مكين، محمد (١٣٥٣هـ): نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها، المطبعة السلفية.

- المودودي، أبو الأعلى (١٩٨١م): حركة تحديد النسل، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مؤمن، مصطفى (١٩٧٤م): قسّمات العالم الإسلامي المعاصر.
- مؤنس، حسين (١٤٠٩هـ): الإسلام الفاتح، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، س١، ٤ع.
- مؤنس، حسين (د. ت): أطلس تاريخ الإسلام، منشورات دار الزهراء، القاهرة.
- مؤنس، حسين (١٩٧٣م): عالم الإسلام- دراسة في تكوين العالم الإسلامي وخصائص الجماعات الإسلامية، دار المعارف، القاهرة.
- مؤنس، حسين (١٣٩٨هـ): الحضارة- دراسة في أصول وعوامل قيامها وتدهورها، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، عدد (١).
- الندوي، مسعود (د. ت): انتشار الإسلام في الهند، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، نشر وتوزيع الدار العربية.
- النفوري، أمين (١٤٠٤هـ): المسالك والدروب التي انتشر عليها الإسلام، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الرابع، ص٨٥-١١٣.
- النمري، سليمان بن صالح بن خضر (١٤١٦هـ): التنمية الزراعية في ضوء الشريعة الإسلامية، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- الهدلول، صالح بن علي (١٤١٤هـ): المدينة العربية الإسلامية: أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية، دار السهن، الرياض.

- يكن، فتحي (١٩٨١م): العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، مؤسسة الرسالة، ط ١.
- يوسف، عز (١٩٧٣م): تاريخ القوقاز، تعريب فوسنوفة عبدالحميد غالب بك، عيسى البابي الحلبي، مصر.
- يونس، عادل طه (١٩٨٠م): المسلمون في العالم، أضواء على توزيعهم ومشكلاتهم، ط ١، دار البحوث العلمية، الكويت،
- يونس، عادل طه (د. ت): المسلمون في العالم اليوم، دار البحوث العلمية، الكويت.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Blake, G. H. 1972 "Morocco, Urbanization and Concentration of Population", In : Population of the Middle East and North Africa".
- Caldwell, M., 1973 "Economic Survey, Malaysia", In: South-East Asia- An introduction, London.
- Carlson, L., 1967 "Africa's Lands and Nations, Mc Graw-Hill,
- Church, R. J. H and others 1973 "Africa and the islands", third edition, London.
- Church, R. J. H, 1968. "West Africa, a Study of the Environment and of Man's Use of it" sixth edition, London.
- Clark, B. D., 1972 "Iran, Changing Population Patterns", in: Population of the Middle East and North Africa, London.
- Clark, C., 1967 "Population growth and Land Use", New York.
- Clarke, J. I. and fisher, W. B. 1972 "Population of the Middle East and North Africa, a geographical approach", London.
- Clarke, J. I., 1974 "Population Geography and the Developing Countries", Oxford.
- Cressey, G. B. 1975 "Asia's Lands and Peoples", Mc Graw-Hill, Columbia University Press, New York.
- De Carvalho, M., d., 1962 "the Geography of Languages" in Philip L. Wagener and Marvin W. Mikesell (eds.) Readings in Cultural Geography, Chicago: University of Chicago Press, PP. 75- 93.

- Dowdney, J. c, (1972) "Turkey: Recent Population Trends" in: Population of the Middle East and North Africa, London.
- Fickeler, P., (1962) "Fundamental Questions in the Geography of Religions" in Philip L. Wagener and Marvin W. Mikesell (eds.) Readings in Cultural Geography, Chicago: University of Chicago Press, PP. 99- 117.
- Fisher, C. A. and Others, (1973) "South- East Asia- An introduction, Essays on the Geography, History and Economy of the Region", Reprinted from the Far and Australasia", London.
- Fisher, C. A. (1971), "South- East Asia- a Social, Economic and Political Geography", London.
- Fisher, C. A. (1971), "Indonesia, Physical and Social Geography" in South- East Asia- a Social, Economic and Political Geography", London.
- Fisher, W. B. (1971), "The Middle East, a Physical, Social and regional Geography", London.
- Freedman, J. (1975): Urbanization Planning and National Development, London Sage Foundation.
- Hance, W. A. (1975) "The Geography to modern Africa", second edition, Columbia University Press, New York.
- Hatem, M. A. K. (1977), "Land of the Arabs", London.
- Hiernaux, J. (1974), "The people of Africa", London.
- Hill, A. G. (1972), "The Gulf states- petroleum and Population growth", in: Population of the Middle East and North Africa, London.

- Johstone, T. M. (1970), "The languages of the Middle East" In: peoples and culture of the Middle East, an anthropological reader, Vol, I, New York.
- Jordan, T. G. & Rowntree, L, (1976) The Human Mosaic, A Thematic Introduction to Cultural Geography, Canfield Press, New York.
- Lind, I. (1962), "Geography and Placenames" in Philio L. Wagener and Marvin W. Mikesell (eds.) Readings in Cultural Geography, Chicago: University of Chicago Press. PP. 118-128.
- Mansfield, P. (1973), "The Middle East, a Political and Economic Survey", Oxford University Press, fourth edition.
- Mc Gregor, R. (1972), "Saudi Arabia: Population and the Making of a Modern State", in: Population of the Middle East North Africa, London.
- Neill, W. T. (1973), "Twentieth century Indonesia", Columbia University Press, New York.
- The Population Reference Bureau, (1995) "world Population Data Sheet", Prepared by Tomas Takane, Washington.
- Reveile, R. (1974), "Food and Population" in: The human Population, a Scientific American Book, San Francisco.
- The Royal Geographical Society, (1977) "The Country of the Turkomans", London.
- Shafi, M. (1984), "Agriculture and Grazing in the Islamic world", Proceedings of the first Islamic Geographical Conference, "Research centre, Imam Mohammed ibn Saud University, PP. 231- 244.

- Taylor and Jones, A. R. (1964), Rural Life and Urbanized society, Oxford University Press.
- The Times Guide of the Nations of the world, (1994), Times books, Harper Collins publishers.
- Umoh, O. E. "Demographic statistics in Nigeria" (1974),in Population Growth and Economic Development in Africa, London.
- Wagner, P. L. & Mikesell, M. W. (1962), Readings in Cultural Geography, Chicago, University of Chicago Press.
- Weiss, R., "Cultural Boundaries and Ethnographic Map" in Philip L. Wagener and Marvin W. Mikesell (1962) (eds.) Readings in Cultural Geography, Chicago: University of Chicago Press PP. 62 - 74 .
- World Muslim Gazetteer, (1975) Umma Publication House, Karachi.

فهرس الأشكال

الرقم	الموضوع	الصفحة
١	موقع العالم الإسلامي وحدوده العامة	٤٧٦
٢	العالم في عصر البعثة النبوية	٤٨٣
٣	انتشار الإسلام زمانياً ومكانياً	٤٨٦
٤	العائلات اللغوية في العالم	٥٣٦
٥	المواقع ذات الأسماء العربية في أسبانيا والبرتغال	٥٦٥
٦	الأقاليم الزراعية في العالم	٥٧٠

فهرس الجداول

الرقم	الموضوع	الصفحة
١	نسبة السكان الحضري في دول العالم الإسلامي	٦١٤
٢	تطور أعداد السكان في العالم الإسلامي	٦٣١
٣	معدل المواليد في دول العالم الإسلامي	٦٣٢
٤	الإحصاءات الحيوية لدول العالم الإسلامي	٦٣٤
٥	معدل الوفيات في دول العالم الإسلامي	٦٣٨
٦	معدل الزيادة الطبيعية في دول العالم الإسلامي	٦٤٠
٧	متوسط الدخل الفردي السنوي لسكان العالم الإسلامي	٦٤٩

مقومات التكامل الاقتصادي بين دول العالم الإسلامي

الأستاذ الدكتور: إسماعيل عبدالرحيم شلبي

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٧٠٩	فهرس الموضوعات
٧١١	مقدمة
٧١٧	الإسلام والاقتصاد
٧٢٤	المنظمات الاقتصادية الإسلامية المعاصرة
٧٣٣	مفهوم التكامل الاقتصادي
٧٥٥	مقومات التكامل الاقتصادي بين دول العالم الإسلامي
٨١٢	النشاط التجاري بين دول العالم الإسلامي
٨٥٢	أنسب أساليب التكامل الاقتصادي لدول العالم الإسلامي
٩٠٩	خاتمة
٩١٤	الهوامش
٩٢٣	المراجع
٩٣١	فهرس الأشكال
٩٣٢	فهرس الجداول

مقدمة

يشهد العالم في الوقت الحالي تغيرات واسعة النطاق في النظام الاقتصادي الدولي تتمثل في سياسة قواعد تحرير التجارة الدولية على النطاق العالمي في إطار «الجات»، وهيمنة الإدارة العالمية على برامج التصحيح الهيكلي والاستقرار الاقتصادي عبر صندوق النقد أو البنك الدوليين، والاتجاه نحو تأسيس التكتلات الاقتصادية الإقليمية، مثل الاتحاد الأوروبي ومنطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية، وتراجع دور المنظمات الدولية الجماعية مثل المنظمات الاقتصادية للأمم المتحدة وبخاصة «الأنكتاد»، وتدهور تأثير المنابر الاقتصادية لمجموعة الدول النامية مثل مجموعة الـ ٧٧، واهتزاز مكانة المنظمات الاقتصادية الأضيق التي تضم عدداً من البلدان النامية ذات الموارد الاقتصادية المهمة عالمياً، وخاصة منظمة «الأوبك».

والجديد في النظام الاقتصادي الدولي يكمن في نتائج التقنية الصناعية التي أدت إلى تهميش مجموعة بلدان ماسمي بالعالم الثالث، وتدهور أهمية صادرات تلك الدول من المواد الأولية، وتراجع أهمية أسواقها للمنتجات الجديدة، وضعف اندماج اقتصاداتها في العملية المتسارعة لتعميق النمو الاقتصادي.

وعلى الرغم من ثراء مجموعة من الدول المصدرة للنفط، فإن ضعف مقومات اللحاق بالثورة الصناعية «التكنولوجية» رغم ماحققته من إنجازات صناعية، بخاصة في مجال البتروكيماويات، قد أبقى هذه الدول تحت ضغط عوامل التهميش، من خلال الهيمنة العلمية والصناعية والاقتصادية للمراكز الصناعية المستوردة للنفط.

ويمثل موقع العالم الإسلامي أهمية قصوى بالنسبة للتجارة الدولية والمواصلات البحرية العالمية، حيث تقع معظم الدول الإسلامية على الممرات المائية الدولية، ابتداء من أرخبيل الملايو، فخليج البنغال، فبحر العرب، فمضيق هرمز،

والخليج العربي، فباب المندب، والبحر الأحمر، فخليج السويس، فمعظم سواحل البحر المتوسط الشرقية والجنوبية، فمضيق البوسفور والدردنيل، فمضيق جبل طارق فجزء كبير من سواحل أفريقيا الغربية على المحيط الأطلسي والسواحل الشرقية لأفريقيا على المحيط الهندي.

ولا يقتصر موقع العالم الإسلامي على أهميته للتجارة، بل تمتد أهميته إلى التأثير الاستراتيجي على العلاقات السياسية الدولية.

ويتميز العالم الإسلامي بالعديد من المقومات، كالشروات الطبيعية الهائلة «زراعية ومعدنية ونفطية» والطاقة البشرية الهائلة، التي يمكن أن تمكنه من تكوين هياكل إنتاج ضخمة وسوقاً واسعة للتبادل التجاري، والتي يمكن أن تخلق منه مراكز مالية عالمية للتمويل والاقتراض والاستثمار.

وباستعراض البيانات الاقتصادية المجمعّة المتاحة عن دول العالم الإسلامي، نجد أن معدلات النمو في هذه الدول قد تجاوزت نسبة ٤٪ في عامي ١٩٩١م، ١٩٩٢م، إلا أنها انخفضت إلى ٣,٥٪ عام ١٩٩٣م، وإلى أدنى من ٣٪ عام ١٩٩٤م.

وأدى هبوط ميزان التجارة في هذه الدول في أوائل التسعينات الميلادية إلى عجز تجاري في عام ١٩٩٣م، ثم تحسّن في عام ١٩٩٤م، مما أدى إلى ارتفاع كبير في ميزان التجارة. وسجلت هذه الدول خلال الفترة ١٩٩١ - ١٩٩٤م عجزاً في الحساب الجاري، وقد انخفض هذا العجز عام ١٩٩٣م، باستثناء حدوث زيادة بسيطة.

واتسم صافي التحويلات الجاري للدول الإسلامية بالسلبية عام ١٩٩١م بسبب الإنفاق ذي الصلة بحرب الخليج، ثم تحسّن الوضع عام ١٩٩٢م، وأصبحت هذه التحويلات إيجابية حتى عام ١٩٩٤م، إلا أن هذه التحويلات كانت في عامي ١٩٩٣م، ١٩٩٤م أدنى مما كانت عليه في عام ١٩٩٢م.

وارتفع مستوى الديون الخارجية للدول الإسلامية، حيث زاد بنحو ٧٪ عام ١٩٩٣م، وبأكثر من ١٪ عام ١٩٩٤م. وعلى النقيض من ذلك، نلاحظ أنه وبعد أن كان مستوى معدلات خدمة الديون نحو ١٦٪ عامي ١٩٩٢م، ١٩٩٣م، قفز إلى ٢٠٪ عام ١٩٩٤م.

والمتوقع أن يتجه نمو إجمالي الناتج المحلي نحو الانتعاش في الدول الإسلامية عام ١٩٩٥م، وأن يحقق الميزان التجاري تحسناً ملموساً أيضاً. ومع ذلك يتوقع أن يزداد العجز في ميزان الحساب الجاري وأن يظل صافي التحويلات الجارية عند مستوى عام ١٩٩٤م. ومن المتوقع أن تزداد الديون الخارجية زيادة بسيطة، وأن ينخفض معدل خدمة الدين إلى أقل من ١٤٪. ومن المحتمل أن تؤدي هذه التطورات، وبخاصة العجز المتوالي في الحساب الجاري مع ركود صافي التحويلات الجارية، إلى ببطء النمو الاقتصادي (البنك الدولي، ١٩٩٥م).

لهذا فإن اقتصاد الدول الإسلامية يتميز ببعض سمات، تجعل طابعه الرئيس هو التخلف الاقتصادي، ومن بين هذه السمات ما هو مشترك بين الدول الإسلامية، ومنها ما تختص به بعض هذه الدول دون البعض الآخر.

وأهم ما يتسم به الاقتصاد الإسلامي، ضعف هياكل الإنتاج الداخلي وتركز معظم النشاط الإنتاجي في قطاعي الزراعة والصناعة الاستخراجية، وصغر حجم القطاع الصناعي، وتخلف الفن الإنتاجي، ومن ثم صعوبة قيام تنمية اقتصادية انفرادية لكل دولة من هذه الدول لانخفاض مستوى الإنتاجية وضيق نطاق الأسواق المحلية، وندرة بعض عناصر الإنتاج، وانخفاض معدلات الادخار والاستثمار، وببطء معدلات نمو الصادرات، واتجاه معدلات التبادل الدولي لغير صالحها، باستثناء الدول الإسلامية المصدرة للنفط.

كما أن الدول الإسلامية لم تستفد من الاستثمارات الدولية خلال الفترة السابقة إلا بقدر ضئيل، حيث إن معظم رؤس الأموال تنقل من الدول الصناعية المتفرقة والغنية إلى الدول المتقدمة، حيث كان يحكمها الطابع السياسي. وعندما فتح الله على بعض الدول الإسلامية بالدخل الكبير من النفط، نجد أن هذه الدول قد استثمرت هذه الفوائض لدى الدول الصناعية المتقدمة، بخاصة أسواق المال والبنوك، ومن ثمَّ حرمت منها الدول الإسلامية الفقيرة والتي تعاني من العجز الدائم والمستمر، والتي هي في حاجة إلى هذه الأموال من أجل إجراء تنمية اقتصادية، مما يضطرها إلى الحصول على ما تحتاجه من أموال عن طريق الدول المتقدمة الغنية بأسعار فائدة مرتفعة بالإضافة إلى ما ينتج من آثار سياسية كبيرة، تجعل من الدول الإسلامية المقترضة تابعة اقتصادياً وسياسياً لها.

ولكن رغم ذلك، فإن الدول الإسلامية مجتمعة لديها من الإمكانيات المادية والبشرية والطبيعية التي تؤهلها لتكون تكتلاً اقتصادياً عالمياً، ينافس كل التكتلات الاقتصادية الموجودة حالياً، ومن ثمَّ ينمو اقتصادها بمعدلات كبيرة وتحقق التقدم والرفاهية.

نبذة تاريخية مبسطة عن التجارة الدولية والتكتلات الاقتصادية :

إذا ما أمعنا النظر في تاريخ مسارات عليه الدول غير الإسلامية من خطوات من أجل إقامة التكتلات الاقتصادية فيما بينها، نجد أن ذلك قد بدأ منذ القرن الميلادي الماضي، حيث ازدهرت التجارة الدولية وتقدمت منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حتى عام ١٩١٤م. ولكن بعد الحرب العالمية الأولى، بدأت هذه الدول في اتباع سياسة العزلة الاقتصادية، بتحسين نفسها بسياج جمركي يعوق تداول السلع (شليبي، ١٩٨٠م : ٣٥).

وفي عام ١٩٢٩م ظهرت الأزمة الاقتصادية العالمية، وفي عام ١٩٣١م ظهرت الأزمة النقدية، ومن ثمَّ اضطر بعض الدول لرفع الرسوم الجمركية، كما

عمل البعض الآخر على تخفيض قيمة النقد لتشجيع الصادرات واتباع نظام الحصص، مما دفع الدول الأخرى والتي حافظت على ثبات قيمة نقدها إلى فرض رسوم تعويضية على سلع هذه الدول.

وقد بذلت الهيئات الدولية مجهودات كبيرة لأجل العمل على تخفيف حدة الأضرار الناشئة عن الإفراط في سياسة الحماية، ومن ثم عقدت هذه الهيئات عدة مؤتمرات دولية^(١)، ونظراً لعدم نجاح هذه المؤتمرات، فقد رأت بعض الدول المتجاورة عقد اتفاقات فيما بينها لتخفيف وطأة الرسوم الجمركية، وكان أولها اتفاق أوشي في يوليو ١٩٣٢م بين هولندا وبلجيكا ولوكسمبرج، والذي اتفق فيه على عدم دفع الرسوم الجمركية وإجراء تخفيضات لها تصل إلى ١٠٪، على أن يتبعه تخفيض آخر بمقدار ١٠٪ سنوياً لمدة أربع سنوات.

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية، ظهرت اتجاهات قوية بين الدول نحو تكامل اقتصادي، وذلك بقصد مواجهة المشكلات الاقتصادية التي خلفتها الحرب، وكان أول اتفاقيات التكامل الاقتصادي هي اتفاقية البنلوكس عام ١٩٤٧م بين دول أوشي، ثم تبع ذلك اتفاقية السوق المشتركة للفحم والصلب بموجب معاهدة باريس عام ١٩٥١م بين دول البنلوكس وألمانيا وإيطاليا وفرنسا، ثم تبع ذلك أكبر تكتل اقتصادي دولي وهو السوق الأوروبية المشتركة «أو الوحدة الاقتصادية الأوروبية»، وذلك بمقتضى معاهدة روما عام ١٩٥٨م بين الدول الست وقيام منطقة التجارة الحرة عام ١٩٥٩م بمعاهدة ستوكهولم بين إنجلترا والسويد والنرويج والدنمرك والنمسا وسويسرا والبرتغال، ثم انضمت إليها أيسلندا. ولم تقتصر التكتلات الاقتصادية على أوروبا الغربية، حيث قامت دول أوروبا الشرقية عام ١٩٤٩م بإنشاء مجلس المعونة الاقتصادية والمعروف باسم «الكوميكون».

كما عقدت دول أمريكا عام ١٩٦٠م معاهدة التكامل الاقتصادي وإنشاء سوق مشتركة ويرمز لها بـ (C. A. C. M)، وكذلك قامت دول أمريكا اللاتينية عام ١٩٨١م بإنشاء منطقة للتجارة الحرة بموجب معاهدة مونتيفيديو عام ١٩٦٠م، ويرمز لها بـ (L A F T A)

كذلك قامت دول شرقي أفريقيا بإنشاء سوق مشتركة عام ١٩٢٠م ويطلق عليها « المجتمع الاقتصادي لشرقي أفريقيا ». وفي عام ١٩٦٦م أنشئ الاتحاد الجمركي الاقتصادي لأفريقيا الوسطى، وكذلك الاتحاد الجمركي لغربي أفريقيا.

وفي عام ١٩٦٥م قامت بعض الدول العربية بإنشاء السوق العربية المشتركة من أجل تحقيق التكامل الاقتصادي وتوحيد الجهود لتحقيق أفضل الشروط لتنمية ثروات الأطراف المتعاقدة ورفع مستوى المعيشة وتحسين ظروف العمل، ولكن هذه السوق لم تأت بالثمار المرجوة منها، كما أقامت ست من دول الخليج العربية مجلس التعاون الخليجي، وكذلك أقامت الدول العربية بالمغرب الاتحاد المغربي العربي، ويضم ليبيا وتونس والمغرب والجزائر وموريتانيا.

وأخيراً ظهر تكتل اقتصادي آخر يجمع بين أمريكا وكندا والمكسيك وهو ما يسمى بالنافتا (N . A . F . T . A) أو منطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية.

وكل هذه التكتلات تعمل من أجل مصلحة الدول المشتركة فيها، ومن ثمّ تجني ثمارها بالنمو الاقتصادي والرفاهية.

فهل تقف الدول الإسلامية مكتوفة الأيدي أمام ما يحدث في العالم من سباق كبير لأجل الانتعاش والرفاهية الاقتصادية، وبخاصة أن العالم يتجه الآن نحو إقامة التكتلات الاقتصادية الكبيرة إذ لا مجال للكيانات الصغيرة في عالم اليوم. وهل هناك مجال لتكامل اقتصادي بين الدول الإسلامية؟ وماهي مقومات ذلك التكامل؟ وهذا يمثل محور الدراسة الحالية.

الإسلام والاقتصاد^(٢)

جاء الإسلام منذ أربعة عشر قرناً كرسالة سماوية للعالم أجمع، هي خاتمة الرسالات، ليعالج الجوانب المختلفة للحياة البشرية، سواء من الناحية الروحية أو من الناحية المادية، والإسلام لم يكن مجرد عقيدة دينية، بل هو أيضاً تنظيم اجتماعي وسياسي واقتصادي للبشرية جمعاء، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم نبياً هادياً فحسب، بل كان بجانب ذلك حاكماً ومنفذاً، فالإسلام دين ودنيا معاً، أي أنه (عقيدة وشريعة).

ومن هنا كان منشأ الاقتصاد الإسلامي، حيث جاء الإسلام بأصول وقواعد اقتصادية تنطوي على سياسة اقتصادية متميزة. فالإسلام لم يأت كرسالة خاصة معينة شأن الديانة اليهودية، ولا مجرد الهداية الروحية كالديانة النصرانية، وإنما جاء كخاتم الأديان السماوية للبشرية كافة منظماً لمختلف نواحي حياتهم ومعيشتهم الأخلاقية والعقائدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن ثم فإن الاقتصاد الإسلامي قديم قدم الإسلام.

التعرف على الاقتصاد الإسلامي :

يعرف البعض الاقتصاد الإسلامي بأنه المذهب الاقتصادي للإسلام الذي تتجسد فيه الطريقة الإسلامية في تنظيم الحياة الاقتصادية، بما يملك هذا المذهب ويعول عليه من رصيد فكري، يتألف من أفكار الإسلام الأخلاقية العلمية والاقتصادية والتاريخية، التي تتصل بمسائل الاقتصاد السياسي أو بتحليل تاريخ المجتمعات البشرية (الصدر، ١٩٧٣م : ٩).

ويعرفه آخرون بأنه مجموعة الأصول العامة الاقتصادية التي نستخرجها من القرآن والسنة، والبناء الاقتصادي الذي نقيمه على أساس تلك الأصول بحسب كل بيئة وكل عصر (العربي، د.ت : ٢١).

وفي تعريف آخر يرى البعض أنه هو الذي يوجه النشاط الاقتصادي وينظمه وفقاً لأصول الإسلام ومبادئه الاقتصادية (الفنجري، ١٩٨٥م : ١١).

ويتبين من التعريفات السابقة أن الاقتصاد الإسلامي يتكوّن من قسمين، أحدهما مستخرج من القرآن والسنة وهو ماسبق أن ذكر بأنه مجموعة الأصول العامة الاقتصادية، ومن ثمّ فهذا القسم ثابت لأن مصدره كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ليلتزم بها المسلمون في كل زمان ومكان، بغض النظر عن درجة التطور الاقتصادي للمجتمع أو أشكال الإنتاج السائدة فيه.

والقسم الثاني متغير، وهو البناء الاقتصادي الذي نقيمه على أساسي تلك الأصول حسب كل بيئة وكل عصر، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي :

أولاً : القسم الثابت :

هو الذي مصدره القرآن والسنة مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠]، ومثل قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩]، فهاتان الآيتان تضعان مبدأ اقتصادياً وهو أن طريق الكسب مباح. وعلى كل البشر أن يسعوا في طلب الرزق والكسب والضرب في الأرض.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وهذه الآية تضع مبدأ مهماً وعماماً، وهو أن الله أحل البيع وحرم الربا، ومن ثمّ فقد أوضح الله لعباده ماهو الحلال وماهو الحرام. وقوله تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ [النساء: ٣٢].

ومن هذه الآية يتبين قاعدة مؤداها أن ثمرة العمل تعود على صاحبه، لا فرق في ذلك بين ذكر أو أنثى، كلُّ بما اكتسبت يدها. وقوله تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [الحشر: ٧]. وقوله تعالى: ﴿ اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾

[المائدة: ٨]. ففي الآيتين يضع المولى عز وجل، قاعدة عامة، بأن على ولي الأمر أن يعيد توزيع الثروة في المجتمع في حالة عدم وجود توازن بين رعاياه، بحيث لا تتأثر قلة بسيطة بثروة المجتمع وتبقى الغالبية فقيرة في حاجة للقامة العيش، أي حفظ التوازن الاقتصادي، سواء بين الأفراد على مستوى الوطن الواحد أو بين الدول على المستوى العالمي، حيث إن التوازن هو قانون الحياة الرشيدة كما أرادها الله، إذ أن المغالاة في ناحية تكون على حساب الجوانب الأخرى، مما يخل ويفسد أمرها، وأن المسلم الحق هو المسلم المتوازن المعتدل، سواء في مجال إشباع الحاجات الطبيعية أو الغرائز أو في مجال العبادات والمعاملات، أي لا يكون هناك تفاوت كبير في توزيع الثروات تستأثر من خلاله فئة معينة من الأفراد أو دول معينة بالخير كله، بل يجب أن يعم الخير الجميع، بحيث يكون التفاوت منضبطاً ومتوازناً، فلا يكون هناك ثراء فاحش وبجواره فقر مدقع.

وفي السنة النبوية من ناحية الثبات الكثير من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها : (كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله)^(٣).

وهذا الحديث مبدأ عام في حرمة الاعتداء على مال المسلم. وفي حديث آخر عن عبدالله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)^(٤)، وهذه الأحاديث تضع مبدأ عاماً هو حرمة الاعتداء على مال المسلم، وأن المسلم أخو المسلم فلا يجب عليه أن يظلمه، وعليه أن يعاونه في حاجاته، ومن يفعل ذلك صلى الله عليه وسلم سينال خيراً في الدنيا وثواباً في الآخرة.

وتتميز خاصية الثبات هذه بأنها غير قابلة للتغيير أو التبديل وأنها صالحة لكل زمان ومكان، دون النظر لدرجة التقدم الاقتصادي أو أشكال الإنتاج أو درجة التطور في المجتمع، ويعبر البعض عنها باصطلاح « المذهب الاقتصادي الإسلامي » (الفنجرى، ١٩٧٨ م : ١٨).

ويلاحظ أن هذه المبادئ والأصول الاقتصادية التي وردت بنصوص القرآن والسنة محدودة وعامة، ومن ثمَّ فقد ألزم الإسلام بالاجتهاد في إعمالها وملاءمة تطبيقها باختلاف ظروف الزمان والمكان. وقد قررها الإسلام كخاتم الأديان لتكون دليلاً للإنسانية من أجل الحركة المتطورة نحو أهدافها، فهي نور يهتدي به العقل عند تفكيره وليست في النهاية إلا معالم وخطوط عريضة تصل بالفرد إلى سعادة الدنيا والآخرة. كما أن هذه الأصول أو المبادئ الاقتصادية لاتتعلق إلا بالحاجات الأساسية اللازمة لكل فرد أو مجتمع، بغض النظر عن درجة تطوره أو مدى النشاط الاقتصادي أو نوعية أدوات و وسائل الإنتاج.

ثانياً : القسم المتغير :

أما القسم الثاني المتغير فهو أن الاقتصاد الإسلامي وإن ارتبط منذ البداية بمبادئ أصول اقتصادية صالحة لكل زمان ومكان، إلا أن إعمال هذه المبادئ والأصول يفتح باب الاجتهاد على مصاريعه ليختار كل مجتمع إسلامي الأسلوب الذي يراه متفقاً مع مصالحه وظروفه. فهو مجموعة التطبيقات والحلول الاقتصادية التي يتوصل إليها المجتهدون في الدول الإسلامية، تطبيقاً للمبادئ الشرعية وإعمالاً لها، فهي قابلة للتغيير تبعاً لتغير المكان والزمان من بيئة لأخرى حسب ظروف كل بيئة، وفي البيئة الواحدة تتغير من زمن إلى زمن حسب التغيرات التي تطرأ على البيئة من وقت لآخر. ومن ثمَّ تعدد التطبيقات الاقتصادية الإسلامية بحسب ظروف كل مجتمع، وذلك في إطار المبادئ والأصول الاقتصادية الإسلامية. ويطلق البعض على هذه التطبيقات المتغيرة في المجال الاقتصادي اصطلاح «النظام أوالنظم الاقتصادية الإسلامية».

ومما سبق، يتضح لنا أن السياسة الاقتصادية الإسلامية هي سياسة ثابتة وخالدة في أصولها التي لاترتبط بمرحلة تاريخية معينة أو بتطور أشكال الإنتاج، وهو ما عبر عنه البعض باصطلاح المذهب الاقتصادي الإسلامي الواحد، الصالح

لكل زمان ومكان، وهي سياسة مرنة ومتطورة في تطبيقاتها لأصول ومبادئ الإسلام الاقتصادية، بحسب ظروف ومتطلبات المجتمعات المختلفة، وهو ما عبر عنه البعض بتعدد النظم الاقتصادية الإسلامية بحسب ظروف الزمان والمكان، بحيث تختلف النماذج أو التطبيقات ولكن في إطار الأصول والمبادئ الاقتصادية الإسلامية.

نظرة الإسلام للمشكلة الاقتصادية :

يبحث علم الاقتصاد - ضمن ما يبحث في كيفية إشباع أكبر قدر ممكن من حاجات الإنسان غير المحدودة، وذلك في إطار الموارد المتاحة والمحدودة، وهذه تعتبر أهم قضية يدور فيها البحث في الفكر الاقتصادي وهي محدودة الموارد ولا نهائية الحاجات. وقد تأثرت مختلف الموضوعات الاقتصادية بهذه القضية الجوهرية ونتج عن ذلك ظهور ما يسمى بالمشكلة الاقتصادية، أي مشكلة الموازنة بين الحاجات غير المحدودة والموارد المحدودة.

والسؤال هنا هو : هل يشخص الإسلام المشكلة الاقتصادية على هذا

النحو؟.

لاشك أن الإسلام يقر بتعدد الحاجات لكنه يدعو إلى الاعتدال في إشباعها.

إن تعدد الحاجات الإنسانية حقيقة واقعية لا يمكن إنكارها. والإسلام وهو دين الفطرة يقر هذا الواقع، فيعترف بتعدد الحاجات الإنسانية وتطورها الدائم ونموها المستمر (الروبي، ١٩٨٥ م).

ونظرة القرآن الكريم لهذا الأمر تبدو واضحة من إقراره لغرائز الجنس والتناسل والأبوة وحب الظهور والاقتناء، وهي بلاشك أهم الغرائز التي تتطلب معظم الحاجات لدى الإنسان، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران. ١٤].

لكن نجد أن القرآن يحث الإنسان على عدم الانسياق وراء غرائزه الجنسية والمادية وعدم التفريط في ذلك، وحثه على تنظيم هذه الحاجات، ومن ثمَّ ينال الجزاء الطيب في الآخرة، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥] فالآية الكريمة تؤكد وجود هذه الغرائز والحاجات لكن مع تحفظ مهم وهو الاعتدال والترغيب في عدم المبالغة في الاستجابة لها حتى لا تلهي الإنسان عن عمل الخير الدائم الذي ينتظره في آخرته. ودعوة الإسلام للاعتدال والتحذير من الإسراف مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

ومع اعتراف الإسلام بتعدد الحاجات الإنسانية وإدراكه لإمكانية الشطط فيها وحثه على الاعتدال في إشباعها، فقد استثنى منها الحاجات الخبيثة وجعلها محرمة، مثل قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، والخبائث المحرمة مثل الزنا والخمر والميسر والكسب الحرام والميتة والدم ولحم الخنزير، وهذا ما يضيفي على مفهوم الحاجة في الإسلام معنى أخلاقياً. كما أن علماء المسلمين يصنفون الحاجات ويحددون أولوياتها حيث تنقسم لمصالح ثلاث هي (البري، ١٩٧٢م : ١٤٤ - ١٦٥):

١ - المصالح الضرورية :

تمثل الحاجات لحياة الإنسان، المتمثلة في المحافظة على المقاصد الخمسة حسب أهميتها وهي : الدين والنفس والنسل والمال. وقد شرع الإسلام حدود المحافظة على إشباع هذه الحاجات الضرورية.

٢ - المصالح الحاجية :

وهي التي يحتاج إليها الناس لرفع المشقة والضييق عنهم، بحيث إذا لم يحصلوا عليها لا يخلت نظام حياتهم، ولكن تتسم حياتهم بالمشقة والضييق فقط، ومثال ذلك الأجهزة والآلات والمخترعات الحديثة، التي تيسر القيام بالأعمال المشروعة.

٣ - المصالح التحسينية أو التكميلية :

وهي الأمور التي لا يختل بافتقارها نظام الحياة ولا يوقع غيابها مشقة أو حرج للناس، ولكن تخلو الحياة من مظاهر الجمال، مثال ذلك الحاجة للتطيب والملبس النظيف وغير ذلك من متع الحياة المباحة.

والحاجات التي يجب توفيرها لكل مسلم تدخل في مفهوم (حد الكفاية)، وهو يمثل الحد الأدنى من الغنى الواجب توفيره لكل فرد. وقد حصرها البعض من فقهاء المسلمين في تسع حاجات، وهي المطعم والملبس والمسكن وأدوات الإنتاج اللازمة ووسائل الانتقال والتعليم وقضاء الدين والزواج والنزهة أو السياحة المشروعة (إبراهيم، ١٩٨١م، ٣٨٠-٣٨٩).

والبعض الآخر من علماء المسلمين قد أقرروا باختلاف حد الكفاية تبعاً للزمان والمكان، حيث أنه قابل للارتقاء كلما زاد تطور المجتمع^(٥).

المنظمات

الاقتصادية الإسلامية المعاصرة

أبدى عدد كبير من الدول الإسلامية الرغبة في إحياء روح الوحدة الإسلامية وتقوية التعاون فيما بينها على جميع المستويات، ومن ثم قاموا بتأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي عام ١٣٨٩هـ الموافق ١٩٦٩م. ومنذ ذلك التاريخ، بذلت جهود كبيرة لربط وتقوية العلاقات الاقتصادية بين الدول الأعضاء في المنظمة، مع الأخذ في الاعتبار اختلاف ظروف هذه الدول واختلاف مستويات التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها.

ومن أجل تحقيق أهداف التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، تم إنشاء بعض المؤسسات الاقتصادية لأداء بعض الخدمات للدول الأعضاء، مما يساعدهم على سرعة التنمية الاقتصادية وتحقيق التقدم والرفاهية للدول الإسلامية.

المنظمات الاقتصادية :

١ - البنك الإسلامي للتنمية :

وقد تم توقيع الاتفاق المنشئ له في أغسطس ١٩٧٤م بجدة، وكان البنك يضم ثمانية وثلاثين عضواً في بداية إنشائه ثم زاد العدد إلى ثلاثة وأربعين عضواً، جميعهم من الدول الإسلامية. ويبلغ رأس مال البنك المرخص به ٢٠٠٠ مليون دينار إسلامي^(٦). ويبلغ رأس المال المكتتب فيه حتى عام ١٩٨٤م حوالي ١٨٥٠ مليون دينار إسلامي.

يهدف البنك إلى تعبئة الموارد المالية لتمويل التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدول الأعضاء والمجتمعات الإسلامية وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، والبنك يقبل الودائع ويعمل على جذب الأموال بأية طريقة أخرى. كما يعمل على توظيف موارده المالية بالمساهمة في رؤوس أموال المشروعات وتقديم القروض غير الربوية للمؤسسات والمشروعات الإنتاجية الخاصة والعامة للدول الأعضاء.

هذا بجانب تقديم المساعدة المالية لهذه الدول في أشكال أخرى من أجل التنمية، ومنها على سبيل المثال مشروعات الهياكل الأساسية والاقتصادية والاجتماعية. كما يعمل البنك على إنشاء وتشغيل صناديق خاصة لأغراض محددة لمساعدة المجتمعات الإسلامية في البلدان الأعضاء، كما يعمل على تمويل التجارة الخارجية للدول الأعضاء ويعمل على تنميتها. كما يوفر البنك وسائل التدريب للعاملين في مجال التنمية، ويقدم المساعدات الفنية اللازمة، ويقوم بالأبحاث اللازمة لممارسة النشاط الاقتصادي والمالي المصرفي في الدول الإسلامية طبقاً للشريعة الإسلامية.

٢ - مركز الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية والإحصائية والتدريب للدول الإسلامية :

أسس المركز تبعاً لقرار منظمة المؤتمر الإسلامي وبدأ نشاطه عام ١٩٧٨م، ومقره أنقره بتركيا، يعمل المركز على جمع وتقييم الإحصاءات والمعلومات في المجال الاقتصادي على نطاق العالم الإسلامي، كما يقوم المركز أيضاً بإجراء الدراسات حول التجارة الخارجية للدول الأعضاء، لبيان كيفية التعاون ورفع مستوى التبادل بينها.

٣ - الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع :

أنشئت الغرفة عام ١٩٧٩م بناءً على قرار صادر من المؤتمر العاشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية بفاس، وقد تم اتخاذ مدينة كراتشي بباكستان مقراً لها. تهدف الغرفة إلى تنمية التعاون وتشجيع التبادل التجاري بين الدول الإسلامية الأعضاء، والعمل على حماية المصالح التجارية للعالم الإسلامي، بوضع التوصيات اللازمة لذلك، كما تعمل على تشجيع الدول الأعضاء على منح شروط تفضيلية لبعضها في تبادلها التجاري، كذلك تبادل الخبرات في مجال التجارة، والعمل على إنهاء المنازعات التجارية، وتنظيم الأسواق التجارية والمعارض، والسعي لإنشاء « المجموعة الإسلامية ».

٤ - المركز الإسلامي لتنمية التجارة بالدار البيضاء :

في عام ١٩٧٩م تقدم فريق من الخبراء في جدة باقتراح لإنشاء مركز إسلامي لتنمية التجارة بهدف تدريب وإعادة توزيع المسؤولين الأكفاء في أساليب تحسين التجارة والتسويق، وكذلك القيام بأبحاث لتسويق ودراسات الجدوى اللازمة لتقدير إمكانات التصدير والاستيراد بين الدول الإسلامية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي.

وفي عام ١٩٨١م، صدر قرار مؤتمر القمة الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة بإنشاء المركز، وأن يكون مقره في المملكة المغربية.

وتتركز أهم أهداف ووظائف المركز في الآتي :

أ - تشجيع المبادلات التجارية بين الدول الأعضاء وجمع المعلومات ذات الطابع التجاري.

ب - مساعدة الدول الأعضاء على تنسيق سياساتها التجارية.

ج - تشجيع الاستثمارات الموجهة نحو تنمية المبادلات التجارية.

ويلاحظ أن هذه الأهداف لاتعبر عما جاء في اقتراح لجنة الخبراء عام ١٩٧٩م بل تختلف معها، كما أنها تشابه أهداف مركز الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بأنقرة.

الاتفاقيات متعددة الأطراف بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي:

عقدت عدة اتفاقيات بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي من أجل التنسيق بين هذه الدول وتسهيل التعاون فيما بينها من أجل المصلحة العامة وهذه الاتفاقيات هي :

١ - الاتفاقية العامة للتعاون الاقتصادي والفني والتجاري :

اعتمد المؤتمر الثاني عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد عام ١٩٨١م الاتفاقية العامة للتعاون الاقتصادي والفني والتجاري، التي تستهدف تشجيع رأس المال والاستثمارات (المشروعات المشتركة)، وتبادل الخبرات والقدرات الفنية والتقنية بين الدول الأعضاء وتسهيل وتطبيق المعاملة المتساوية في تجارة حرة بينها، مع إعطاء اهتمام خاص للدول الأعضاء الأقل نمواً. وقد أصبحت الاتفاقية نافذة المفعول بعد أن وقعت عليها ٣٧ دولة، وصدقت عليها ٢٦ دولة من الدول الأعضاء في المنظمة حتى نهاية عام ١٤١٣هـ (الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ١٩٧٧م).

كما أوصت الاتفاقية بإقامة مراكز للتنمية التجارية بين الدول الإسلامية، وإقامة معارض لعرض وتسويق منتجاتها وكذا المشاركة في المعارض الدولية. ويلاحظ أنه عادة ما يوقع على الاتفاقيات عدد كبير من الدول ولكن يصدق عليها عدد أقل. ورغم ذلك، فإننا نرى أن عدد الدول التي صدقت على الاتفاقية لا بأس به كبدية للتعاون الاقتصادي والفني بين الدول الإسلامية، وتحرير التجارة فيما بينها، وذلك بدلاً من إجراءات الحماية التي تحد من انسياب وتنشيط التجارة. ومن ثم نجد أن هذه القواعد التي شملتها هذه الاتفاقية مؤشر طيب لتحسين العلاقة بين الدول الإسلامية وبداية للتنسيق والتعاون فيما بينها من أجل الهدف الأكبر وهو التكامل الاقتصادي بينها.

٢ - اتفاقية تشجيع وحماية وضمان الاستثمارات :

اعتمد المؤتمر الثاني عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد عام ١٩٨١م، اتفاقية تشجيع وحماية وضمان الاستثمارات بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي. وقد تضمنت المبادئ الأساسية، لتشجيع رؤوس الأموال بين الدول الأعضاء، وحماية هذه الدول من المخاطر غير التجارية، وضمان تحويل رأس المال مع الأرباح دون أن يخضع المستثمر لأية معاملة غير ملائمة. كما توجي الاتفاقية بإقامة مؤسسات إسلامية للتأمين على الممتلكات المستثمر فيها للشريعة الإسلامية على مستوى الدول الأعضاء.

وقد أصبحت الاتفاقية نافذة المفعول منذ فبراير ١٩٨٨م، بعد أن صدقت عليها أكثر من عشر دول (البنك الإسلامي للتنمية، ١٩٩٤م، ٦٣).

وتعتبر هذه الاتفاقية مهمة جداً، حيث إنها تعمل على تشجيع حركة رؤوس الأموال والاستثمارات بين الدول الأعضاء، ووضع الضمانات المناسبة لها، والتأمين عليها وفقاً للشريعة الإسلامية. كما أنها تشجع الاستثمارات الإسلامية المشتركة داخل الدول الإسلامية.

٣ - الاتحاد الإسلامي للاتصالات السلوكية واللاسلكية :

وافق المؤتمر الخامس عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية عام ١٩٨٥م على النظام الأساس للاتحاد الإسلامي للاتصالات السلوكية واللاسلكية، ولم يصبح هذا الاتحاد نافذ المفعول بعد، نظراً لأنه لم يوقع عليه سوى إحدى عشرة دولة وصدقت عليه تسع فقط من الدول الأعضاء.

أما النظام الأساسي للمجلس الإسلامي للطيران المدني، فقد وقعت عليه سبع دول حتى نهاية عام ١٩٩٣م، وهذا العدد غير كاف لجعل هذا النظام ساري المفعول.

٤ - اتفاقية تأسيس المؤسسة الإسلامية لتأمين الاستثمار وائتمان الصادرات :

في ١٦ شعبان عام ١٤١٣هـ الموافق ٩ فبراير ١٩٩٢م، أُعتمدت اتفاقية إنشاء المؤسسة الإسلامية لتأمين الاستثمار وائتمان الصادرات من قِبَل محافظي البنك الإسلامي للتنمية، وذلك في اجتماعه السنوي الثالث عشر.

تهدف هذه الاتفاقية إلى أن تقدم المؤسسة - وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية - تأميناً للصادرات أو إعادة التأمين للسلع التي تتوافر فيها الشروط المحددة في الاتفاقية، وذلك بأن تدفع لحملة سندات التأمين (البوالص) تعويضاً ملائماً بالنسبة للخسائر الناجمة عن المخاطر المحددة في الاتفاقية أو المخاطر التي يحددها مجلس الإدارة.

وقد وقعت على الاتفاقية ثلاثون دولة وصدقت عليها إحدى عشرة دولة، فأصبحت الاتفاقية سارية المفعول اعتباراً من أغسطس ١٩٩٤م، وبدأت أعمالها التنظيمية بمقر البنك الإسلامي للتنمية في ٢١ يوليو ١٩٩٥م.

٥ - اتفاقية نظام الأفضلية التجارية بين الدول الأعضاء بالمنظمة :

وقعت على هذه الاتفاقية ١٦ دولة وصدقت عليها ست دول فقط، وقد طلب الاجتماع التاسع للجنة الدائمة من الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، الاتصال بالدول الأعضاء من أجل التعجيل بإتمام إجراءات انضمامها للاتفاقية، ودعوة جميع الدول الأعضاء إلى البدء بتبادل قوائم الامتيازات المقترحة، وإجراء اتصالات غير رسمية بشأنها، استعداداً للمفاوضة المستقبلية حول الامتيازات.

وتهدف هذه الاتفاقية إلى تشجيع التجارة بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي عن طريق تبادل التجارة على أساس المبادئ التالية :

- أ - ضمان معاملة متساوية وغير تمييزية بين جميع الدول المشتركة :
- ب - تحقيق منافع متبادلة لكافة الدول المشتركة بما يكفل استفادة جميع الدول المشاركة من نظام الأفضليات.
- ج - تبادل المعاملة التفضيلية مع مراعاة مبدأ الدولة الأكثر رعاية طبقاً لجداول زمنية وعن طريق اتباع أسلوب تدريجي.
- د - إتاحة إمكانية المشاركة أمام التجمعات التي تتكون من الدول الأعضاء فقط، والتي يمكن أن تشارك في المفاوضات التجارية بتمثيل موحد.
- هـ - قصر الأفضليات المتبادلة بمقتضى هذه الاتفاقية على الدول المشتركة فقط.
- و - لا تقتصر الأفضليات المتبادلة على التعريفات الجمركية، بل تمتد بصورة تدريجية لتشمل التسهيلات الجمركية وغير الجمركية.

ز - امتداد الأفضليات التجارية إلى جميع المنتجات ومنها المنتجات الزراعية والحيوانية والمصنعة ونصف المصنعة.

ح - وضع اختلاف مستويات التنمية الاقتصادية بين الدول الأعضاء في الاعتبار عند منح معاملة خاصة.

كما سبق يتبين لنا أن المنظمات الاقتصادية الإسلامية المعاصرة قد تعددت، ونتج عنها بعض الاتفاقيات متعددة الأطراف بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي.

ولكن يلاحظ على معظم هذه المنظمات، أنها لم تأت بالثمرة المرجوة منها حتى الآن، وأنها تفتقد إلى التمويل المادي المطلوب لأدائها لعملها، ومنها على سبيل المثال البنك الإسلامي للتنمية، حيث قام بعمل دراسة لمعرفة مدى احتياجه للتمويل اللازم لعملياته المختلفة، وأخذ في الاعتبار احتياجات الدول النامية الأعضاء في البنك وظروف التضخم. وقد تبين له أنه سيواجه عجزاً في التمويل مقداره أحد عشر بليوناً من الدينارات الإسلامية خلال الفترة ١٩٨٩م - ١٩٩٥م.

ولكن البنك قد عمل على إنشاء علاقة قوية مع البنوك الإسلامية داخل الدول الأعضاء، حيث استطاع عن طريق برنامج لودائع الاستثمارات أن يحصل على موارد مالية من بعض هذه البنوك، لاستخدامها في تمويل التجارة الخارجية، كما يعمل حالياً بالاشتراك مع هذه البنوك في إيجاد طرق جديدة لتنمية مصادر التمويل وذلك بهدف زيادة المساهمة في تمويل مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

كذلك نجد أن مركز الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ومقره أنقره، يعاني أيضاً من عدم انتظام المدفوعات المالية للدول الأعضاء للمركز، مما يعوقه عن أداء مهامه العملية، وكذلك يواجه نقصاً في كوادرات البحث العلمي اللازمة له.

أما الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع، فإن نشاطها محدود ويجب أن تعمل على التنسيق والتعاون مع الغرف التجارية لدى الدول الإسلامية الأعضاء، لتنشيط الأعمال التجارية، ورواج التجارة بين الدول الإسلامية.

كما يلاحظ أن أهداف هذه المنظمات متداخلة ومزدوجة، ولهذا يجب عمل تنسيق مركزي بين هذه المؤسسات من قبل منظمة المؤتمر الإسلامي، بحيث تلتزم كل مؤسسة بأعمال محددة، طبقاً لأهدافها واختصاصاتها، ومن ثم تستطيع الدول الإسلامية أن تجني ثمار أنشطة هذه المؤسسات.

ويجب على البنك الإسلامي للتنمية بجدة أن يتبنى فكرة إنشاء بنك مركزي إسلامي، يكون له دور فاعل في عملية التنسيق بين البنك الإسلامي للتنمية والبنوك الإسلامية لدى الدول الأعضاء، وكذا عمل خريطة استراتيجية للدول الإسلامية الأعضاء، مدعمة بدراسات اقتصادية لمشروعات مشتركة من أجل تنمية الدول الإسلامية بعامه، والدول الإسلامية الفقيرة بخاصة، وبذلك يستطيع هذا البنك أن يقوم بدور رئيس في عملية التنمية الاقتصادية، ومن ثم دفع عجلة التعاون والتكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية. وحتى تتم إقامة أو إنشاء البنك المركزي الإسلامي، يمكن أن يقوم البنك الإسلامي للتنمية بهذا الدور.

أما بالنسبة للاتفاقيات بعامه، فيلاحظ أنها تأخذ طريق وأسلوب الاتفاقيات الدولية، ومن ثم يلاحظ الموافقة عليها بعدد من الدول ثم يتم التصديق عليها من عدد أقل من الدول نفسها. وبذلك قد لا ترى بعض هذه الاتفاقيات النور نظراً لأن عدد الدول المصدقة عليها أقل من المطلوب.

ونظراً لعدم اهتمام بعض الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي بهذه الاتفاقيات، فقد وجهت اللجنة الدائمة في اجتماعها العاشر الذي عقد في أكتوبر ١٩٩٤م النداء للدول الأعضاء التي لم توقع أو تصادق على مختلف النظم الأساسية والاتفاقيات التي تهدف إلى تعزيز التعاون الاقتصادي الإسلامي، بأن تسرع في التوقيع أو التصديق في أقرب وقت ممكن.

ومن الملاحظات المهمة أيضاً، أن العملية ليست في كثرة الاتفاقيات أو المؤسسات ولكن الحقيقة تكمن في مدى جدية الدول الإسلامية في إقامة صرح اقتصادي إسلامي . وأن تتعد بمشكلاتها السياسية عن مشروعاتها الاقتصادية . وإذا خلصت النية، خلص العمل لوجه الله ولمصلحة بلادنا ووطننا الإسلامي وأمتنا، التي لن يقوم لها قائمة إلا بالاتحاد والتعاون والإخلاص لوجه الله ومن أجل التنمية والنمو والوحدة .

مفهوم التكامل الاقتصادي

التكامل الاقتصادي يعتبر نوعاً من التعاون الاقتصادي، إلا أنه يتميز عنه بأنه أعمق في أساليبه ودرجته، حيث إن التعاون الاقتصادي يشتمل على درجات متعددة من الإجراءات البسيطة - كتقرير مميزات تجارية مثل إجراء تخفيضات أو إعفاءات أو رفع القيود الكمية - إلى درجات كبيرة من التقارب الاقتصادي، وذلك لتحقيق الوحدة أو الاندماج. أما التكامل الاقتصادي، فهو عبارة عن عملية توحيد للأقطار والدول للوصول إلى وحدة اقتصادية واحدة. فكلمة تكامل من الناحية اللغوية تعبر عن ربط أجزاء بعضها إلى بعض، كي تكون شيئاً واحداً.

وعلى ذلك، فالتكامل الاقتصادي يحمل معنى الربط الذي يتم نتيجة تنظيمات أو ترتيبات معينة، تتخذها حكومات الدول المتكاملة، باتفاق بينها. ويتم التكامل عادة بين بلدين أو أكثر تجمع بينها أمور معينة، هي التي تحفزها على أن تتكامل فيما بينها، كأن تكون تلك البلاد متجاورة بحيث تنتمي جميعها إلى منطقة جغرافية واحدة، أو أنها تنتمي إلى سلالة مشتركة أو ثقافة واحدة، أو أنها بلاد تسعى إلى النمو وتشعر بضرورة التكاتف فيما بينها حتى تتغلب على الصعوبات التي تجدها في طريقها من أجل تنمية مواردها، والرقى بأحوالها الاقتصادية، أو تهدف تلك البلاد من تكاملها إلى تحقيق أغراض سياسية معينة، كأن تتخذ من التكامل الاقتصادي سبيلاً إلى تحقيق نوع من الوحدة السياسية بينها.

وبناءً على التعريف السابق، لايعتبر من قبيل التكامل ما كان يقوم من قبل بين البلد المستعمر ومستعمراته من صلات اقتصادية، فضلاً عن أن المستعمرات في ذلك الحين لم تكن دولاً بل أقاليم تابعة للدولة المستعمرة فالعلاقة ما بين الدولة المستعمرة ومستعمراتها كانت تنظم على نحو يفيد الأولى، أما الثانية فكانت تُمتص ثروتها من قبل المستعمرين ولايعود الأمر عليها إلا بنفع ضئيل. كما لايعتبر من قبيل التكامل بالمعنى الدقيق المجموعات أو الهيئات التي تتكون من بعض الدول، إذا

لم يكن من حقها اتخاذ قرارات ملزمة لأعضائها في الشؤون التي تتعرض لها، كأن يقتصر دورها على تبادل أوجه النظر في المسائل التي تهم الأعضاء، أو على أغراض استشارية أو تكوين قوة ضاغطة على دول أو مجموعات دول أخرى.

ومثال ذلك : مجموعة البلاد التي في سبيلها للنمو في الأمم المتحدة وبعض منظماتها، وهي المعروفة بمجموعة الـ ٧٧، وكذلك دول عدم الانحياز.

ولا ينفى ذلك ما لهذه المجموعات من أثر غير مباشر في إحداث التعاون بين أعضائها، وفي توحيد صفوفهم لإزاء الدول المتقدمة، وذلك بما تقدمه من آراء وتوجيهات يستعان بها في تسيير سبل التكامل، وما لها من آثار أدبية على أعضاء المجموعات الأخرى، حتى وإن لم يكن لها قوة الإلزام.

أما من الناحية الاقتصادية، فقد تميّزت تعريفات التكامل الاقتصادي بعدة اتجاهات سنشير إليها بإيجاز حسب رأي وتعريف كل اقتصادي.

تعريف التكامل الاقتصادي :

١ - تعريف الاقتصاديين :

يعرف " تينبرجن " (Tinbergen) التكامل الاقتصادي على أساس احتوائه على جانبين، أحدهما إيجابي والآخر سلبي، فيحتوي الجانب الإيجابي على الإجراءات التدعيمية التي يراد بها إزالة عدم الاتساق في الضرائب والرسوم بين البلاد الرامية إلى التكامل، وبرامج إعادة التنظيم اللازمة لعلاج مشاكل النمو والتحول، وأن أفضل صورة ممكنة للعلاقات الاقتصادية بين الدول المختلفة، تكون بإزالة العقبات أمام التعاون الاقتصادي بين هذه البلاد.

ويحتوي الجانب السلبي على إلغاء واستبعاد أدوات معينة في السياسة الاقتصادية الدولية (Tinbergen , 1954 , 122).

أما بندر (PINDER) فيرى أن التكامل الاقتصادي يشمل إلغاء التمييز بين الوحدات الاقتصادية للأقطار المتكاملة في الجانب السلبي، وإنشاء وتطبيق سياسيات مشتركة منسقة على نطاق كافٍ لتحقيق الأهداف الاقتصادية (PINDER , 1969).

أما ميردال (MYRDAL) فقد عرّف التكامل بأنه عبارة عن عملية اقتصادية وأخرى اجتماعية، بمقتضاها تزال الحواجز بين الوحدات الاقتصادية المختلفة، لتحقيق تكافؤ الفرص على المستوى الوطني أو الدولي أمام عناصر الإنتاج (MYRDAL , 1956).

ويرى فاينر (VINER) أنه ينتج عن التكامل الاقتصادي ظاهرتان : الأولى إقامة التجارة والثانية هي تحويل التجارة. وتظهر مزايا التكامل الاقتصادي إذا ترتب عليه حدوث نمو للتجارة لدى الدول ذات النفقة الإنتاجية المنخفضة (الدول الأكثر كفاءة أو كفاءة). وهذا ما يسمى بالأثر الإنشائي، بينما تقل فائدته إذا حدث وتحوّلت التجارة للدول ذات النفقة الإنتاجية المرتفعة (أي الدول الأقل كفاءة أو كفاءة)، وهذا ما يسمى بالأثر التحويلي (Viner , 1950)

وعلى ذلك فإن نجاح التكامل يقاس طبقاً لنظرية فاينر بالموازنة بين الأثر الإنشائي والأثر التحويلي الذي يترتب على الاتحاد الجمركي. فإذا تغلب الأثر الإنشائي، يكون الاتحاد الجمركي مفيداً، وإذا تغلب الأثر التحويلي، فإن الاتحاد الجمركي قد يترتب عليه بعض المساوئ.

وقد أكمل ميد (Mead) نظرية فاينر في بحثه عام ١٩٥٥م عن نظرية الاتحادات الجمركية، حيث أشار فيه إلى أنه يجب ألا نتجاهل الديناميكية في الاتحاد الجمركي، حيث يكون الأثر الذي بدأ تحويلياً في بداية التكامل قد انقلب إلى أثر إنشائي فيما بعد، كما أسهب في عرضه لكيفية قياس كل من الأثرين الإنشائي والتحويلي (Mead , 1959) .

أما بالاسا (Ballassa) فإنه يعرف التكامل الاقتصادي بأنه عملية وحالة، وهو عملية لأنه يتضمن كافة تدابير إلغاء التمييز بين الوحدات الاقتصادية المنتمية إلى الدول الساعية للتكامل، وهو حالة لأنه يشير إلى إلغاء مختلف صور التفرقة بين الاقتصاديات القطرية (Ballassa , 1961 , 1-2) .

ويقدم بالاسا صوراً للتكامل الاقتصادي بناءً على هذا التعريف كالاتي :

أ - منطقة التجارة الحرة (FREE TRADE AREA) :

حيث تلغى التعريفات والحواجز الجمركية على تبادل السلع بين الدول الأعضاء في المنطقة الحرة، على ألا يكون منشؤها أجنبياً عن تلك الدول، ويبقى لكل دولة منها حرية تحديد تعريفاتها الجمركية قبل الدول الأخرى غير الأعضاء في منطقة التجارة الحرة.

ب - الاتحاد الجمركي (CUSTOMS UNION) :

بالإضافة إلى ماسبق ذكره في منطقة التجارة الحرة، تعمل الدول الأعضاء بالاتحاد على توحيد المعاملة الجمركية تجاه الدول غير الأعضاء.

ج - السوق المشتركة (COMMON MARKET) :

بالإضافة إلى ماسبق ذكره بالاتحاد الجمركي، يتم إلغاء جميع القيود الخاصة بحركة عوامل الإنتاج فيما بين الدول أعضاء السوق المشتركة، أي حرية أعضاء السوق في نقل وانتقال عوامل الإنتاج فيما بينها.

د - الاتحاد الاقتصادي (ECONOMIC UNION) :

بالإضافة إلى ماسبق ذكره في السوق المشتركة، يعمل أعضاء الاتحاد الاقتصادي على تنسيق السياسات الاقتصادية والخاصة بدولهم على نحو يلغي أثر هذه السياسات في التمييز بين السلع محل التبادل وعوامل الإنتاج في حركتها بين هذه الدول.

هـ - الاندماج الاقتصادي الكلي Total Economic Integration :

وفيه يتم توحيد السياسات الاقتصادية والمالية والنقدية وسياسات مواجهة التقلبات الاقتصادية والسياسات الاجتماعية ذات الأبعاد الاقتصادية، وكذا إنشاء سلطة عليا تملو السلطة الوطنية لجميع الدول الأعضاء Super - National Authority ، وتكون قراراتها ملزمة للدول الأعضاء.

وعلى كل مجموعة من الدول أن تأخذ صورة من هذه الصور تبعاً لمدى أخذها بمبادئ التكامل الأساسية.

٢ - تعريف الفكر الاشتراكي للتكامل الاقتصادي :

أما الفكر الاشتراكي، فإنه يرى أن التكامل الاقتصادي عبارة عن عملية توحيد لاقتصاديات الدول الاشتراكية تدريجياً، لأجل القضاء على المشاكل الاقتصادية، وذلك بتعميق تقسيم العمل بينها - والتنسيق بين سياساتها المختلفة. ويبدأ التكامل بين الدول الاشتراكية بإجراء تطوير للتجارة فيما بينها، ومن خلالها يجري تطوير هياكل الإنتاج الداخلية.

٣ - تعريف التكامل في الدول النامية :

أما في الدول النامية فإن التكامل الاقتصادي يختلف عنه في الدول الرأسمالية والاشتراكية، وذلك لاختلاف أساليبه ودوافعه، حيث إن التكامل في الدول النامية يجري من أجل تنمية اقتصاديات هذه الدول ويعتبر التكامل حالياً من أحدث الأساليب الخاصة بإجراء تنمية اقتصادية لهذه الدول، نظراً لظروفها وإمكاناتها.

وعلى ذلك، فإن التكامل يختلف ما بين كل مجموعة من هذه الدول، إذ يجب أن يراعى فيه ظروف هذه الدول من النواحي الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، حتى يمكن خدمة أهدافها في التطور والتنمية. ويقاس مدى نجاح التكامل الاقتصادي في هذه الدول، بآثاره الإيجابية على اقتصادياتها.

هذا وقد اختلف نظر الاقتصاديين بالنسبة للتكامل الاقتصادي في فترة الخمسينات الميلادية عنه في الستينات، حيث إن الاقتصاديين في الفترة الأولى كانوا يرون أنه فرع من نظرية التجارة الدولية، يرتبط بالتفصيلات الجمركية، ويرجع ذلك إلى تأثيرهم بتجربة أوروبا الغربية في إيجاد نوع من التكامل الاقتصادي بينها^(٧). وقد أطلق على ماكتب في ذلك الحين بالنظرية التقليدية للتكامل الاقتصادي.

إلا أن الاتجاه الذي برز في الستينات الميلادية وازداد ظهوراً في الفترة الأخيرة، هو اهتمام الاقتصاديين بمشكلات كل الدول المختلفة، واتجاهها إلى إمكانية علاجها عن طريق التكامل الاقتصادي، والذي أصبح ينظر إليه بنظرة أخرى خلاف النظرة التقليدية، باقتصاره فقط على التخفيضات الجمركية، بل أصبح ينظر إليه كأسلوب من أحدث الأساليب الفعالة والرامية إلى التنمية الاقتصادية، حيث إنه في ظل التكامل تسهل عملية انتقال عناصر الإنتاج من رأس المال والعمل والتنظيم، كما يوجد تنسيق للسياسات الاقتصادية للدول المشتركة، بالإضافة إلى إيجاد سوق كبيرة، وبذلك يمكن القضاء على أحد العوامل الرئيسة في عدم إمكان إحداث تقدم وتنمية لدى الدول المتخلفة وذلك لضيق السوق المحلية والتي تعد من المشكلات التي تواجه معظم الدول المتخلفة وتعوقها عن التنمية.

كما سبق يتضح لنا أن التكامل الاقتصادي عملية ديناميكية تتم على دفعات وفقاً لبرنامج زمني محدد، يرتبط بالظروف الاقتصادية المختلفة للدول المكونة للتكامل، وأن التكامل الذي يحدث ما بين الدول الرأسمالية يختلف عنه بين الدول الاشتراكية، حيث يركز في الأولى على مقومات النظام الرأسمالي، والمعروف بحافز الربح وحرية انتقال عوامل الإنتاج وآلية جهاز الثمن، فيتجه أولاً إلى مجال التجارة الخارجية، أما الدول الاشتراكية، أي دول التخطيط المركزي، فقد اتجهت إلى تحقيق تكامل بين خطط الإنتاج والاستثمار بها، نظراً لأن التجارة الخارجية بين بلدان هذا المعسكر تتم عن طريق الاتفاقيات الثنائية، لاسيما وأن الحواجز الجمركية تختلف في طبيعتها في الدول الاشتراكية عن الدول الرأسمالية.

أهمية ومبررات التكامل الاقتصادي للدول الساعية للنمو :

لاشك أن الدول الساعية للنمو تعاني من الكثير من المشكلات الاقتصادية ومن ثم فهي في حاجة ماسة إلى إقامة صورة من صور التكامل الاقتصادي فيما بينها، وذلك يرجع لعدة أسباب ومبررات، منها مايلي :

١ - اختلاف الموارد بين الدول الساعية للنمو، فمنها دول كثيفة السكان مثل بنجلاديش والهند وسيريلانكا حيث تبلغ الكثافة السكانية لكل كيلو متر مربع ٧٤١، ٢٥٨، ٢٥٨ نسمة على التوالي، بينما توجد دول أخرى تعاني من قلة السكان مثل : موريتانيا وليبيا وعمان والسعودية حيث تبلغ الكثافة السكانية لكل كيلو متر مربع ٣، ٢، ٠، ٢، ١، ٨ نسمة على التوالي. كما تختلف أيضاً الموارد المادية بين الدول الساعية للنمو، فبعضها ذات دخول وفوائض مالية متراكمة (كالدول النفطية)، بينما الغالبية يعاني من ندرة رؤوس الأموال والمديونيات الكبيرة كذلك تتفاوت الموارد الطبيعية سواء من حيث عدد السكان أو المواد الأولية أو الأراضي الصالحة للزراعة أو الموارد المائية اللازمة للزراعة.

ولاشك أن أي صورة من صور التكامل بين هذه الدول سيساعدها في التخفيف من حدة مشكلة عدم التناسب في الموارد الطبيعية.

٢ - ضيق نطاق الأسواق المحلية للدول الساعية للنمو، ومن ثمَّ عدم قيام المشروعات الحديثة في معظم مجالات النشاط الاقتصادي.

٣ - عدم قدرة الدول الساعية للنمو على القيام بالمشروعات الحديثة منفردة والتي يتصف معظمها بعدم القابلية للتجزئة، سواء من الناحية الفنية أو الناحية الاقتصادية، وذلك لاعتبارات تتعلق بالحجم الأمثل للمشروع من جهة، ولاعتبارات تتعلق بالتقنية من جهة أخرى.

٤ - ضعف المركز التفاوضي والتنافسي للدول الساعية للنمو في مجال المعاملات الاقتصادية ومايرتبط بها من قواعد تنظيمية وأخرى مؤسسية، حيث يعتمد معظم هذه الدول على تصدير منتجات أولية زراعية أو استخراجية، ويتسم عرض هذه المنتجات بانخفاض مرونته في حين يتميز الطلب عليها بارتفاع مرونته، كذلك تعتمد هذه الدول على استيراد معظم مستلزمات الإنتاج من الخارج، وذلك يرجع لانخفاض الإنتاج فيها في جميع المجالات، ومن ثمَّ ارتفاع قيمة الاستيراد بصفة مستمرة، وهو ما يؤدي إلى حدوث عجز دائم ومرتفع في الميزان التجاري وميزان المدفوعات.

٥ - التبعية الثقافية والعلمية والفنية للدول الساعية للنمو لدول العالم الخارجي، وارتفاع نسبة الأمية، وتركيز التعليم في النواحي النظرية، بالإضافة إلى غياب التكنولوجيا الحديثة ومن ثمَّ انخفاض الإنتاج والكفاءة الإنتاجية، وفقدان المناعة في مقاومة أو تحمل آثار التقلبات الاقتصادية التي تشهدها دول العالم المتقدمة، وتدهور معدلات التبادل التجاري وتفاقم مشكلة الديون الخارجية على نحو يهدد مستقبل استقلالها السياسي واستقرارها الاجتماعي، هذا بالإضافة إلى ضعف القدرة التفاوضية في مجال تحديد السياسات التجارية.

آثار ومزايا التكامل الاقتصادي :

هناك العديد من المشكلات الاقتصادية التي تواجه الدول المتخلفة . ومنها الدول الإسلامية - في سعيها من أجل التنمية الاقتصادية ومن أبرزها العجز المزمع والمتزايد في الميزان التجاري وميزان المدفوعات، وبعض الأيدي العاملة الفنية المدربة ونقص رؤوس الأموال الأجنبية والمحلية في بعض المجالات، والاعتماد على تصدير المواد الأولية غير المصنعة، بالإضافة لضيق الأسواق المحلية، وتخلف الهياكل الاقتصادية، وافتقارها للبنية الأساسية اللازمة للتنمية الصناعية والاجتماعية، ومن ثمَّ اتجاه معدلات التبادل الدولي في غير صالحها، نظراً لارتفاع أسعار السلع المصنعة الواردة من الخارج، وانخفاض أسعار صادراتها من المنتجات الأولية.

ولهذا كان انطلاق الدول المتخلفة نحو إجراء تكامل اقتصادي فيما بينها بهدف التنمية الاقتصادية، وذلك بدعم مركزها في التجارة الدولية، والمساومة في مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولية، وتوسيع السوق أمام خطط التنمية.

ولاشك أن حيوية عمليتي التكامل والتنمية بالدول النامية، تتوقف على مدى ترشيد الإنتاج وتوجيهه طبقاً للمزايا النسبية، وكذا تعبئة الموارد في إطار خطة مشتركة، وبذلك يمكن تحقيق المزايا التالية من التكامل الاقتصادي :

١ - تقسيم العمل الدولي :

من أهم نتائج التكامل الاقتصادي تقسيم العمل بين الدول الأعضاء وذلك على أساس التخصص، حيث تقوم كل دولة بإنتاج السلعة ذات الميزة النسبية (أي النفقة الإنتاجية الأقل). ومن ثمَّ فإن الإنتاج يقام بمعرفة أفضل المنتجين كفاية، مما يؤدي إلى زيادة كمياته وانخفاض أسعاره، بالإضافة إلى رفع الكفاءة الإنتاجية له، وبهذا يستفيد المستهلك بالحصول على سلعة منتجة بكفاءة عالية وبسعر منخفض. كذلك يستفيد المنتج باتساع سوقه وزيادة إنتاجه، ومن ثم زيادة أرباحه، وقد كان المستهلك قبل التكامل يضطر لشراء السلعة نفسها من المنتج الوطني داخل بلاده حتى ولو كانت بتكلفة كبيرة ومستوى أقل في الجودة.

ويكبر السوق يساعد على قيام التكامل التجاري وتخصص كل دولة في إنتاج السلع التي لها فيها ميزة نسبية، فكلما كان حجم الإنتاج كبيراً، كلما كانت هناك فوائد محققة من التكامل الاقتصادي.

ويترب على التكامل الاقتصادي آثار على الدول الأعضاء، وكذلك على الدول الأخرى غير الأعضاء، وتتراوح هذه الآثار بين القوة والضعف تبعاً لصورة التكامل أو درجته، ولدى تنافس اقتصاديات الدول الأعضاء أو تكاملها وللتكاليف النسبية للمنتجات محل التبادل لهذه الدول، فيما بينها أو فيما بينها وبين الدول الأخرى خارج نطاق التكامل. وعادة ماتدرس آثار التكامل من خلال ما يعرف بنظرية الاتحاد الجمركي، على أساس أن الاتحاد الجمركي درجة متوسطة من درجات التكامل الاقتصادي. فالإتحاد الجمركي يحقق نوعين من الآثار المرتبطة بالتجارة الخارجية، وهما :

أ - الأثر الإنشائي للتجارة، حيث تتحول التجارة من مصدر عالي التكلفة للمنتجات والسلع إلى مصدر آخر منخفض التكلفة. ويتم هذا التحول داخل إطار الاتحاد الجمركي، فإذا كانت السلعة (س) تنتجها كل من الدولة (أ) والدولة (ب)، ولكن تكلفة إنتاجها في الدولة (أ) أكبر من تكلفتها في

الدولة (ب)، فإنه على إثر قيام الاتحاد الجمركي وإلغاء الرسوم والحواجز الجمركية، فإن دول التكامل سوف تتجه إلى شراء السلعة (س) من الدولة (ب) وليس من الدولة (أ) ذات التكلفة المرتفعة، بما فيهم مواطنو الدولة (أ). هذا التحول ينتج عنه زيادة التجارة بين دول أعضاء الاتحاد الجمركي، بالإضافة إلى أنه يعيد تخصص الموارد في هذه الدول على نحو يرفع كفاءة استخدامها ويزيد في كمية السلع والخدمات التي يمكن إنتاجها بقدر معين من موارد تمتلكها الدول الأعضاء، فإلغاء الرسوم والحواجز الجمركية سيؤدي في النهاية إلى التخصص وتقسيم العمل بين دول التكامل، حيث تخصص كل دولة في إنتاج السلعة ذات الميزة النسبية، أي التكلفة المنخفضة.

ب - الأثر التحويلي للتجارة : وهو تحول التجارة من مصدر منخفض التكلفة قبل قيام الاتحاد الجمركي إلى مصدر مرتفع التكلفة بعد قيام الاتحاد. حيث إن الدولة (أ) كانت تسورد السلعة من دولة أجنبية (ج) نظراً لأن تكلفتها أقل من تكلفة السلعة نفسها بالدولة (ب)، وذلك قبل قيام الاتحاد الجمركي. وبقيام الاتحاد الجمركي، تضطر الدولة (أ) إلى شراء السلعة (س) من الدولة (ب) ذات التكلفة العالية، وهذا يعني أن قيام الاتحاد الجمركي قد نتج عنه تحول التجارة من خارج الاتحاد الجمركي إلى داخله، مع انخفاض في كفاءة استخدام الموارد على مستوى الدول الثلاث. وعادة ما يكون هذا التحول في اتجاه زيادة التجارة بين الدول أعضاء الاتحاد على حساب تجارتها مع الدول الخارجية، التي تتجه للانخفاض.

ولهذا يمكن القول بأنه كلما كانت الآثار الإنشائية أكبر من الآثار التحويلية، فإن الاتحاد الجمركي يؤدي إلى تخصيص أفضل للموارد على مستوى الدول الأعضاء وعلى مستوى الاقتصاد الدولي ككل، كما يؤدي إلى زيادة كفاءة استغلال الموارد المتاحة على المستويين المذكورين آنفاً، ومن ثم زيادة الدخل الحقيقي، سواء للمستهلك أو المنتج، وكلما كانت الآثار التحويلية أكبر من الآثار الإنشائية، فإن

الاتحاد الجمركي يؤدي - في الأجل القصير - إلى سوء تخصيص الموارد على مستوى الدول الأعضاء بالاتحاد، أو على مستوى الاقتصاد الدولي، وبذلك يكون له أثر سلبي على الرفاهية المنشودة على المستويين. ويجب أن يلاحظ، أن عنصر الزمن قد يكون له تأثير فعّال في حدوث تغييرات حيوية في اقتصاديات الدول الأعضاء، ومن ثمّ يؤدي إلى تغيير هذه النتائج.

وينتج عن الاتحاد الجمركي آثار توزيعية، من حيث أنه يؤثر على عوائد عوامل الإنتاج، وكذا على توزيع الدخل، سواء على المستوى الوطني للدول أعضاء الاتحاد أو على مستوى شركائهم من الدول الأخرى.

٢ - اتساع السوق وكبر حجم المشروعات :

ينتج عن قيام التكامل الاقتصادي اتساع السوق وميل حجم المشروعات داخله إلى الكبر، وينتج عن ذلك حدوث وفورات في الإنتاج وزيادة المنافسة بين المشروعات في الدول التي كانت بمعزل عن بعضها من قبل، ومن ثمّ حدوث دفعة قوية لاقتصاديات الدول الأعضاء بالتكامل.

إن ضيق السوق ووجود صعوبات للتصدير للخارج، يحد من إمكانات الدول الساعية للنمو من السير قدماً في التصنيع بشكل منفرد، نظراً لعدم توافر مميزات الإنتاج الكبير، ومن هنا يبرز دور ومزايا الاندماج الاقتصادي، حيث يوفر السوق الكبير الذي يعتبر شرطاً جوهرياً من أجل قيام تنمية اقتصادية سليمة للدول الساعية للنمو. كما أن تحقيق مزايا الإنتاج الكبير، من أهم العوامل المؤدية لنجاح التكامل الاقتصادي، بالإضافة إلى إيجاد مزايا التخصص بين دول التكامل، حيث تتركز المشروعات في المناطق الملائمة لها.

كما أن الميزة المترتبة على كبر حجم المشروع في السوق لا تقتصر على ما ينتج من وفورات على هذا النحو، بل يمتد إلى ما يحدثه من المزيد من المنافسة بين المشروعات الموجودة لدى الدول المنضمة للتكامل، كما يترتب عليه أيضاً مناهضة للإجراءات الاحتكارية والتعقيدات التي تسود اقتصاديات بعض الدول.

وتعزيز المنافسة على هذا النحو يخفض من ثمن السلع، ويسمح بتوزيع أفضل للدخول لدول التكامل، مما يقلل من الفروق المادية بينهم، كما أن اتساع السوق من شأنه أن يزكى لدى المنتجين روح المبادرة والاختراع والبحث العلمي والدخول في الاستثمارات المهمة وتطبيق أحدث الطرق العلمية في الإدارة والتخطيط كما يزيد من ثقة وجراءة البعض على مباشرة آفاق جديدة في الإنتاج واستخدام أحدث المعدات، ومن ثمّ تنعكس هذه الآثار والتغيرات على دول التكامل بمساعدتها على التنمية وتنسيق سياساتها الاقتصادية ويخفف من أضرار التقلبات الاقتصادية الناجمة عن الانكماش والتضخم.

٣ - أثر التكامل على الاستثمار :

يزداد حجم الاستثمار داخل التكامل عما كان عليه قبل قيامه، حيث إن قيام التكامل يعمل على توفير إمكانات كبيرة للاستثمار، كما يُحدث تغييرات جوهرية في هيكل اقتصاد الدول الأعضاء. ونظراً لكبر السوق ومن ثمّ الإنتاج، فإنه يستخدم آلات ومعدات حديثة، مما يساعد على إيجاد استثمارات إضافية.

وينتج عن زيادة النشاط الاقتصادي زيادة في الدخول ومن ثمّ زيادة المدخرات، مما يساعد على زيادة الاستثمارات.

أما عن توزيع الاستثمارات جغرافياً داخل إطار التكامل، فقد يُظن أن التكامل يُحسن توزيعها، فتتجه رؤوس الأموال للدول ذات الحاجة أكثر من غيرها، وهي الدول ذات العجز المالي وضعف الإنتاج وزيادة السكان، وإن توافرت لديها بعض الموارد الطبيعية، إلا أنه من المعروف أن رؤوس الأموال تتجه عادة للدول الأكثر نمواً للاستثمار فيها لكي تأتي بالعائد الأكبر. ولذا، ففي مثل هذه الحالة، يجب أن يقوم المسؤولون عن التكامل بتوجيه رؤوس الأموال في صورة مشروعات مشتركة لدى الدول ذات العجز، بخاصة أنه يتوافر لديها العمالة الرخيصة الفائضة، وكذلك بعض المواد الأولية الطبيعية اللازمة للصناعة. ويلاحظ أنه في حالة زيادة دخول الدول الفقيرة وذات العجز وارتفاع مستوى معيشة مواطنيها، فإن الفائدة

تكمن في ارتفاع استهلاك المواطنين لكثير من السلع التي كانوا محرومين منها، ومن ثم فإن زيادة الاستهلاك تؤدي إلى زيادة الإنتاج وكبر حجم السوق، وعلى ذلك يجب على السلطات العليا في التكامل الحرص على حسن تغيير وتوزيع مسارات الاستثمار داخل دول التكامل.

أما عن توزيع الاستثمارات داخل المشروعات المختلفة، فإن الاتجاه الطبيعي لها هو المشروعات الصناعية الكبيرة الحجم والأكثر كفاءة، حيث يُفضل أصحاب هذه الأموال استثمارها في الصناعات الثقيلة، طويلة الأجل.

ونود أن نشير إلى أنه يجب أن يكون هناك عدالة في توزيع المشروعات الاستثمارية، حتى يتم حدوث إنماء اقتصادي عادل بين دول التكامل، وأنه يجب الاهتمام بالدول الأقل نمواً حيث يمكن منحها دفعات أكثر من باقي الدول من أجل إحداث تنمية سريعة، تتمكن عن طريقها من الوقوف أمام التيارات الاقتصادية المختلفة، سواء داخل دول التكامل أو خارجها.

٤ - انتقال رأس المال والعمل :

قد يمتد التكامل ليشمل حرية انتقال رأس المال والعمل، وعادة يتم الانتقال من البلد الذي تقل فيه إنتاجيته الحدية إلى البلد الذي ترتفع فيه هذه الإنتاجية، مما يؤدي إلى ارتفاع الدخل الفردي في الدولتين، ومن ثم تكون الهجرة في صالح البلدين وبالتالي في صالح جميع دول التكامل، حيث ينتج عنها استخدام عنصر العمل استخداماً حسناً.

ولكن إذا حدث خلاف ذلك وانتقل رأس المال والعمل من الدولة التي يقل وجودها فيها نسبياً لدولة أخرى ذات وفرة في العنصرين، فسيبتج عن ذلك أضرار للدولتين المتكاملتين، لهذا يجب على السلطات المختصة في هذه الحالة أن ترسم السياسة التي من شأنها ضمان تحقيق النتائج المرغوب فيها والمطلوبة، والتي على أساسها تم الاتفاق على حرية انتقال العنصرين.

٥ - قدرة دول التكامل على المساومة والحد من عدم استقرار صادراتها :

من عوامل عدم تحسين أحوال التجارة الخارجية للدول الساعية للنمو عدم قدرتها على المساومة. ولاشك أن التكامل يعطي الدول داخل إطاره من القوة ما يجعلها قادرة على المساومة، حتى تستطيع تحقيق مصالحها.

والقدرة على المساومة تؤدي إلى تحسن معدل التبادل الدولي مع الدول الخارجية ودل التكامل الاقتصادي، حيث تستطيع دول التكامل استيراد السلع الأجنبية بأسعار منخفضة، مع إمكانها رفع أسعار سلعها الوطنية المصدرة للخارج، ومن ثم تستطيع الدول الساعية للنمو والداخلة في إطار التكامل وضع حد لتقلبات الأسعار الخاصة بصادراتها وذلك في مجال التجارة الخارجية، والتي تحدث نتيجة لتقلبات دورية في مستوى التشغيل والإنتاج بالدول الصناعية المتقدمة.

هذا ونود الإشارة إلى أن المكاسب الناتجة عن التكامل الاقتصادي . بخاصة إذا كان بين دول ساعية للنمو - تختلف في الأمد القصير عنها في الأمد الطويل، كما تختلف باختلاف النظم الاقتصادية والاجتماعية المتبعة في هذه الدول المنتجة، وكذا بالنسبة للمستوى الاقتصادي والاجتماعي وصورة التكامل التي عليها هذه الدول.

وعلى ذلك، ففي ظل حرية السوق فإن مكاسب الدول الساعية للنمو من التكامل محدودة في المدى القصير، نظراً لاقصار التكامل على تحرير التبادل التجاري بين الدول المتكاملة. ولكن في حالة تغيير أنماط التجارة والانتاج بين هذه الدول على أساس المزايا النسبية والإنتاج الكبير، وهذا ما يمكن تحقيقه في المدى الطويل، فإن ذلك يؤدي إلى تقوية الهياكل الاقتصادية الداخلية نتيجة زيادة معدلات النمو الاقتصادي، مما ينتج عنه اتجاه التجارة من منطقة التكامل إلى العالم الخارجي، مما يحقق مكاسب كبيرة للدول المتكاملة.

المفهوم الإسلامي للتكامل الاقتصادي :

لقد جاء الإسلام بمنهج كامل للحياة، فهو يهتم بالجانب المادي بقدر ما يهتم بالجانب الروحي في حياة البشر، لأنه لا قوام لجانب دون جانب آخر، وكلاهما يتأثر بالآخر ويؤثر فيه. ولذلك نجد أن الإسلام اهتم اهتماماً كبيراً بمشكلة التخلف والفقر أي بالمشكلة الاقتصادية، ولهذا فإنه يعتبر أن طلب المال الحلال فريضة وجهاد في سبيل الله، بل ساوى بين الفقر والكفر، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (كاد الفقر أن يكون كفراً)^(٩) ، ويقول عليه الصلاة والسلام : (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر) قال رجل (« أيعدلان »)^(١٠) قال « نعم » ، والإسلام عندما وجه الناس للعبادة وذكر الله، علله في القرآن بقوله تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ٣، ٤].

وأن سيدنا موسى عليه السلام حين دعا الله بقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ [طه ٢٥، ٢٦]. قرنه بقوله : ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه. ٣٣، ٣٤].

ولعل من أهم ما جاء به الإسلام في مجال الاقتصاد مبدأ الضمان الاجتماعي، حيث يكفل للفرد مستوى لائقاً للمعيشة، وهو ما عرفه علماء الفقه الإسلامي بحد الكفاية، حيث إن لكل إنسان في مجتمع إسلامي الحق في الحصول على احتياجاته الضرورية للحياة، وأنه إذا لم يستطع بقدراته العادية الحصول عليها، فإن بيت المال يتكفل بذلك مهما كانت جنسيته أو ديانتته، وفي ذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (من ترك ديناً أو ضياعاً - أي أولاد ضائعين لآمال لهم - فآلى وعلى^(١١) أي من ترك أولاداً أو ذريةً فقيرةً وضعيفةً فأنا مسؤول عنهم وكفيل بهم .

ويختلف حد الكفاية من مكان لآخر ومن زمان لآخر، حيث إن مستوى الحياة والمعيشة يختلف من بلد لآخر، ومن ثمَّ يختلف حد الكفاية من بلد مستوى معيشته منخفض لبلد آخر مستوى معيشته مرتفع، وكذلك يختلف حد الكفاية في

البلد الواحد نفسه من عام لآخر قد ترتفع فيه الأسعار بصورة كبيرة، بل قد تتحول بعض الحاجيات من مستوى الكماليات إلى الضروريات التي لا يستطيع الإنسان أن يستغني عنها، ومن ثم تكفل الدول الإسلامية للإنسان الذي يعيش على أرضها الحد الأدنى الذي يستطيع أن يعيش به عيشة كريمة إذا ما عجز عن تحقيق ذلك بعمله واجتهاده لظروف خارجة عن إرادته .

ويعتبر التكافل الاجتماعي من أبرز المبادئ التي دعا إليها الدين الإسلامي وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ [الماعون: ١ - ٣]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ليس بمؤمن من بات شعباناً وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم)^(١٢) .

وتعتبر الدولة مسؤولة بصورة مباشرة عن تطبيق مبدأ التكافل الاجتماعي . وتقوم الدولة عادة بالإنفاق، إما من موارد الدولة المالية (الملكية العامة للدولة) أو من فريضة الزكاة والفقير، وهو مأنص عليه في الآيات الكريمة : ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [١] ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ [الحشر: ٦، ٧] .

ومن الحقائق التي لا تقبل الجدل أن الناس يتفاوتون في الصفات الجسدية والفكرية والنفسية وقوة العزيمة والقدرة على الشجاعة والصبر، كما يختلفون في سرعة البديهة والذكاء، إلى غير ذلك من مكونات الشخصية، وقد اعتبر الإسلام أن أساس الملكية هو العمل . ومن ثم فإن كل هذه العوامل تؤدي في النهاية إلى تفاوت الثروة بين الأفراد . ولهذا يعمل الإسلام على تقريب الفوارق بينهم ولهذا شرع الإرث تفتيحاً للثروة، وشرعت الزكاة حقاً معلوماً للسائل والمحروم، وأوجب على الحاكم المسلم سد حاجات الفقراء وذوي الحاجة، ونهى عن الإسراف والتبذير حتى يتقارب أفراد الأمة في مستوى المعيشة ويتحقق التوازن الاجتماعي .

وقد تم تحقيق التكافل الاجتماعي منذ ظهور الإسلام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، حتى أنهم تقاسموا كل شيء بينهم.

وفي الكافل الاجتماعي ورفع مستوى معيشة الطبقة الفقيرة ما يؤدي في النهاية إلى زيادة دخل المواطنين، ومن ثمَّ يزداد دخل الأسرة والدخل الوطني، وهو ما يؤدي إلى أن الأسرة الفقيرة تبدأ تمارس حياتها على مستوى أعلى من مستوى الفقر، وبذلك يرتفع مستوى الغذاء والكساء والسكن والتعليم والثقافة والصحة، فيزداد الطلب على السلع المختلفة ويرتفع مستوى الأداء والإنتاج. كل هذه العوامل تؤدي في النهاية إلى زيادة دخل الفرد أو الأسرة وهو ما يؤدي إلى زيادة الطلب على السلع وزيادة الإنتاج وارتفاع الكفاءة الإنتاجية لدى المنتج الذي يزيد الطلب على سلعه، كما أن رب الأسرة الذي يعيش عيشة رغدة يبدأ في التفكير في تطوير إنتاجه وزيادته، كل ذلك يؤدي في النهاية إلى زيادة الإنتاج ومن ثمَّ زيادة الناتج الوطني والدخل الوطني والإنفاق العام والدخل الفردي. وهكذا تدور عجلة التنمية والتقدم والرفاهية.

مما سبق نصل إلى نتيجة جوهرية وهي أن التكافل الاجتماعي يؤدي إلى رفع مستوى معيشة الأسرة ومن ثمَّ رفع مستوى معيشة المجتمع. ورفع مستوى معيشة المجتمع يؤدي إلى زيادة الإنتاج ورفع الكفاءة الإنتاجية، ومن ثمَّ تحقيق فائض في الإنتاج وخفض أسعار الإنتاج رغم ارتفاع الكفاءة الإنتاجية. كل ذلك في النهاية يؤدي إلى زيادة الناتج الوطني والدخل الوطني وهكذا تسير الدولة في طريق التنمية الاقتصادية ويتحقق النمو الاقتصادي ومن ثمَّ الرفاهية الاقتصادية في ظل تعاليم الدين الإسلامي، وذلك بما أوجب على المسلمين من المحبة والإخاء والرحمة فيما بينهم، والإحسان للمحتاج.

وما يحدث بالنسبة للفوارق بين أفراد المجتمع الواحد من ثروات يحدث كذلك بالنسبة للدول المختلفة، نظراً لاختلاف كل دولة عن الأخرى من ناحية الموارد البشرية ومستوى التعليم والثقافة والتكنولوجيا، ومن ناحية الموارد الطبيعية

التي وهبها الله لكل دولة من معادن وأراضٍ زراعية خصبة وموارد مائية وطقس ملائم للزراعة وتربية الحيوانات، وكذا ما لديها من موارد طبيعية تساعد على إقامة صناعة في مجال واحد أو عدة مجالات. وهكذا نجد أن الدول تختلف في مواردها لظروف كل دولة وموقعها الجغرافي في القارة التي توجد فيها.

إن ما يحدث من فروقات واضحة في الثروة بين الأفراد يحدث كذلك بالنسبة للدول، حيث إن العامل الفعّال في زيادة الثروة والتطور والتنمية والتكنولوجيا هو العامل البشري المنظم والمخترع، والدؤوب على رفع الكفاءة الإنتاجية بالأبحاث العلمية لنظم الإنتاج المختلفة.

وإذا رجعنا إلى ديننا الحنيف، نجد أن هناك الكثير من الحقائق والتشريعات التي تحثنا على التضامن والتكافل والتكامل، ومن ذلك أن الله فضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد، وأن المسلمين يجتمعون في يوم من كل أسبوع لصلاة جماعة وهي صلاة الجمعة، وكذلك يجتمع المسلمون في أكبر حشد يشهده العالم مرة واحدة في العام وهو يوم عرفة في موسم الحج. كل ذلك معناه أن الله يحث المسلمين في عبادتهم على التكافل والتكامل وأداء مناسك العبادة والصلاة والحج، وكذا قضاء مصالحهم المشتركة.

والحقيقة الربانية الأخرى هي أن الأصل في الإسلام هو وحدة الأمة الإسلامية، فهي وطن واحد وإن قُسم إلى أقاليم مختلفة، يتولى أمر كل إقليم منها حاكم ينوب عن أمير المؤمنين، الذي يحكم الأمة الإسلامية.

وكل حاكم مسؤول عن شعب وأموال وأراضي إقليمه حيث يحكم بما أنزل الله ومن ثمّ يعمل على توفير الأمن والأمان للإقليم، ويعمل على تحصيل موارد الدولة المالية من أملاك الدولة، وكذا جمع الزكاة والخراج والعشور والفيء، وينفق منها على إقليمه في إطار تعليمات الشريعة الإسلامية. وما يفيض عن حاجة شعبه يوضع في بيت مال المسلمين لدى أمير المؤمنين، بعد أن يكون قد سد حاجة كل

محتاج وكل فقير وكل ذي عسرة من مآكل وملبس ومسكن ودابة وخادم. ومن بيت مال المسلمين ينفق أمير المؤمنين على الأقاليم التي لديها عجز في مواردها المالية وتحتاج إلى سد هذا العجز نتيجة لمجاعة أو نقص في محاصيلها.

إن دعوة الإسلام تهدف إلى تحقيق الوحدة الكاملة بين جميع الناس، وهي أرقى صور التكامل، ولكن اختلاف هؤلاء الناس وبغيهم وبعدهم عن شرع الله جعلهم أشتاتاً وفرقهم إلى جماعات. وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وفي آية أخرى يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩].

ولهذا فقد حث الإسلام على الوحدة والتماسك لمواجهة الأزمات المختلفة فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

كما أكد الإسلام وحدة الأمة الإسلامية وأنها أمة واحدة فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ [الأنبياء: ٩٢]. ثم أكدها في آية أخرى حيث قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]. وتكرار هذه الآيات فيه تأكيد وإصرار من المولى عز وجل على أن الأمة الإسلامية أمة واحدة، وأن على المسلمين أن يعملوا على ذلك، ويلتزموا بما جاء بكتاب الله. فالأمة الإسلامية هي أمة واحدة متكاملة وأن تعددت دولها، ولذلك شبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجد الواحد حيث قال: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^(١٣).

كما حث الإسلام على تأكيد الأخوة بين أفرادها من أجل الوحدة والتماسك والقوة والنمو، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقد حث الإسلام على عمل الخير في الأمة الإسلامية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران ١٠٤].

كل هذه الآيات تؤكد أن الأمة الإسلامية أمة واحدة، متكاملة وليست متفرقة، والتكامل يجمعها في وطن واحد، لا يشتكي فيه حاكم من فقر أو عجز أو حتى من فائض مالي، بل يحدث انتقال فوري من صاحب الفائض إلى من لديه العجز. وكان بيت مالي المسلمين بمثابة المصرف المركزي للدولة الإسلامية (أو مصرف الدولة)، حيث كانت ترد إليه الأموال من جميع الولايات الإسلامية، فيتم حفظها والإنفاق منها على شؤون الدولة المختلفة، ومن أمثلة أوجه الصرف، إقامة المشروعات الجديدة أو التحصينات^(١٤)، أو تلافى حدوث مجاعة أو قحط أو غلاء بإحدى الولايات^(١٥). كما كان يقدم الأموال للزراع والتجار عن طريق القروض الحسنة.

والتكامل الاقتصادي لم يكن في هذه المجالات فقط، بل كان على مستوى جميع عناصر الإنتاج، من انتقال الأفراد من بلد لآخر دون أية قيود ونقل رؤوس الأموال سواء للاستثمار أو التجارة، ولم يتقيدوا بأي قيود حكومية بين الولايات المختلفة، كما كان حق الملكية مكفول لكل مسلم في بلاد الأمة الإسلامية، فالأمة الإسلامية رغم اتساعها أمة واحدة.

لهذا كانت صورة التكامل الاقتصادي في تلك الآونة من أحسن وأرقى الصور حيث كانت وحدة كاملة تحكم بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وأمير المؤمنين واحد تحت لوائه عدة حكام لأقاليم يتبعونه ويسيرون على هدى دستور الإسلام وشريعة الله، لهذا كانوا في أحسن حياة وأفضل معيشة، واتسعت رقعة الإسلام والأمة المسلمة لأنهم كانوا يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله، وفي ذلك

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه)^(١٦) صدق رسول الله فلو رجع المسلمون إلى هذه الثروة المباركة والهدى الإلهي النبوي، ما كان حال المسلمين قد وصل إلى ماضى إليه الآن، من ضعف وهوان، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٩]، وفي النهاية نذكر قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦] .

السند الشرعي للتكامل في الإسلام :

وهكذا يتبين لنا أن الإسلام يحض على الوحدة والتكامل وينبذ التفرقة والتنافر، ففي الوحدة قوة وعزة. وقد سبق أن أشرنا إلى الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تنبه إلى ذلك، ونضيف إليها البعض الآخر مثل قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران ١٠٣] . وهنا يذكرنا الله سبحانه وتعالى بفضلنا علينا حيث كنا فرقاء وأعداء ولكنه سبحانه وتعالى جعلنا إخوة أحماء وألَّف بين قلوبنا ولهذا يحثنا على أن نتمسك ونعتصم ونحتمي بكتاب الله ولا نفترق أبداً ونكون أمة واحدة لأن في الوحدة والجماعة ومن ثم الأمة قوة وعزة وكرامة . ولا بد أن نذكر دائماً نعمة الله علينا حيث إن بنعمته هذه أصبح المسلمون إخواناً في الدين وألَّف بين قلوبنا جميعاً وأصبحنا متحدين متأخين .

وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّوا ﴾ [المائدة: ٢] ، فيجب أن نتعاون ونتأخى وهو أمر لجميع الخلق على التعاون بالبر والتقوى في إطار كتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وسلم، وأن يعملوا بما جاء بهما وأن ينتهوا عن ما نهى الله عنه، وقد قرن الله التعاون على البر بالتعاون على التقوى لأن في التقوى رضا الله سبحانه وتعالى وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته .

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]. ثم تكررهما في آية أخرى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. فالله سبحانه وتعالى يعني بذلك أن الأمة الإسلامية أمة واحدة تدعو للتوحيد والطاعة لله، وتؤكد الآياتان على التضامن والوحدة والتعاون. فالوحدة بين المسلمين أساس في الشريعة مهما تناثرت الديار، والوحدة لاتعرف الحدود المصطنعة لأنها ذات جذور عميقة في نفس المسلم، ومن ابتعد عنها أصبح مشاقاً للرسول صلى الله عليه وسلم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ولانسى أن في بداية الهجرة للرسول صلى الله عليه وسلم من مكة للمدينة طبق هذه المبادئ وضرب المثل الحي في أن الأمة الإسلامية أمة واحدة، حيث آخى بين المهاجرين والأنصار، بين قوم تركوا ديارهم وأرضهم وأهلهم وزراعتهم وتجارتهم وما يمتلكون من أموال حياً في دعوة الرسول وحياً في الله وفي الإسلام، وذهبوا إلى إخوان لهم في المدينة مستقرين في أوضاعهم الاجتماعية والمالية، ومن ثم فهم أفضل حالاً من المهاجرين، ولذا كانت هناك فروقات كبيرة ما بين المهاجرين والأنصار في النواحي المالية والاقتصادية والاجتماعية. وقد ضرب الرسول المثل الحي الذي يحتذى به، وهو أنه آخى بينهما، وتقاسموا كل شئ بصدر رحب وبإيمان قوي وبكرم وتسامح وقد خفف هذا الموقف الكثير من معاناة المهاجرين من غربتهم في ديار إسلامية أخرى من فراقهم لأهلهم وذويهم، ومن ثم لم يشعر المهاجرون بالغربة ولا بالفرقة، حيث استقبلهم الأنصار بالحب والترحاب، وهذا هو السلوك الإسلامي الصحيح، فالسلم أخو المسلم ومن كان في حاجة يجب أن يسرع أخاه في قضاء حاجته، فنحن كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو لا بد أن يتداعى سائر الأعضاء له بالسهر والحمى.

مقومات التكامل

الاقتصادي بين دول العالم الإسلامي

إن المشكلات والصعوبات الاقتصادية التي تواجه الدول المتخلفة - ومنها الدول الإسلامية - من أجل إجراء تنمية اقتصادية، يرجع للعجز في الميزان التجاري وميزان المدفوعات ونقص الأيدي العاملة الفنية والمدربة أحياناً، ونقص رؤوس الأموال الأجنبية والمحلية أحياناً أخرى، فضلاً عن اعتماد هذه الدول على تصدير مواد أولية غير مصنعة أو نصف مصنعة وضيق السوق المحلية وتخلف الهياكل الاقتصادية وافتقارها إلى البنية الأساسية اللازمة للتنمية الصناعية والاجتماعية. وينتج عن ذلك اتجاه معدلات التبادل الدولي لغير صالحها نظراً لارتفاع أسعار السلع المصنعة والواردة من الخارج، وانخفاض أسعار صادراتها من المنتجات الأولية، ووقوف الدول المتقدمة لحماية سلعها أما منافسة السلع المماثلة، الواردة من الدول النامية. كل ذلك أدى إلى اختلاف التوازن في العلاقات الدولية بين الدول المتقدمة والدول النامية.

ولهذا لجأت بعض الدول إلى إقامة تكامل اقتصادي وتعاون اقتصادي فيما بينها لأجل الإسراع في التنمية الاقتصادية ودعم مركزها الاقتصادي في التجارة الدولية والمساومة في مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولية، وإجراء التصنيع على المستوى الإقليمي والوطني، بالإضافة إلى توسيع السوق أمام خطط التنمية.

ولاشك أن حيوية عمليتي التكامل والتنمية بالدول النامية تقتضي ترشيد الإنتاج وتوجيهه طبقاً للمزايا النسبية، وكذا تعبئة الموارد في إطار خطة مشتركة، وبذلك يمكن تحقيق عدة مزايا للتكامل. فالدول بقيامها بإحداث تكامل اقتصادي تهدف إلى تحقيق هدفين رئيسيين، أحدهما سياسي والآخر اقتصادي.

والهدف الاقتصادي يتلخص في رفع مستوى معيشة سكانها وزيادة معدل نموها وتقوية مركزها قبل التكتلات الاقتصادية الأخرى، حيث إن العصر الحالي أصبح عصر التكتلات الاقتصادية، والتكتل يخلق فرصاً أمام الدول المتكاملة كي تقوي اقتصادها داخلياً وخارجياً.

كما يلاحظ أن العلاقة بين السياسة والتكامل الاقتصادي وثيقة، حيث تعتبر المصالح السياسية أهم الأسباب التي تعمل على إتمام التكامل الاقتصادي ودوامه، ومن الأمثلة على ذلك، اتحاد « الزولفرين » والذي كان تمهيداً لتحقيق وحدة ألمانيا سياسياً (19 - 18 : Deniaw , 1964)، وكذلك التجمع الاقتصادي الأوروبي والذي حدث عقب الحرب العالمية الثانية، حيث يرى الكثيرون بأنه كان رداً على التحديات السياسية التي جابهت أوروبا خلال تلك الفترة. ومن نص المادة الثانية من معاهدة روما، يتضح أن هذه المعاهدة تعمل على أن يتطور التجمع الاقتصادي الأوروبي إلى وحدة سياسية.

لهذا فإننا نرى أنه لا يمكن توحيد البلاد الإسلامية سياسياً دون توحيدها اقتصادياً في الوقت نفسه، إذ إن كلاً من الوجدتين الاقتصادية والسياسية ضرورية لوجود الأخرى وأن خدمة الاقتصاد الإسلامي هي في الوقت نفسه خدمة للسياسة الإسلامية.

هذا ولاننسى ما يحيط بالبلاد الإسلامية من أخطار جسيمة في الوقت الراهن لأطماع الدول الكبرى للسيطرة على هذه البلاد، بخاصة الدول النفطية منها، بالإضافة إلى خطر إسرائيل ووجودها داخل الوطن الإسلامي. فهذه الأخطار جميعاً يصعب صدها إذا ما بقي اقتصاد الدول الإسلامية مفككاً، كما هو عليه الحال الآن، بالإضافة إلى تفككها سياسياً.

أما بالنسبة للمزايا الاقتصادية للتكامل الاقتصادي فهي كثيرة (U . N . 1975) (12 :)، ومنها على سبيل المثال تحقيق الرفاهية وزيادة الإنتاج وتقسيم العمل

الدولي، ومن ثمَّ التخصص وارتفاع الكفاءة الإنتاجية وانخفاض أسعار السلع، وتحول مشروعات التكامل لمشروعات كبيرة الحجم والإنتاج، وكذلك اتساع السوق وكبر حجم المشروعات (21 : 1960 , Robihson)، حيث إن ضيق نطاق السوق ووجود صعوبات في التصدير للخارج يحد من إمكانات البلاد النامية في السير قدماً فرادى في التصنيع، نظراً لعدم توافر مميزات الإنتاج الكبير، ومن ثمَّ إيجاد مزايا التخصص بين بلاد التكامل.

كذلك نلاحظ أن التكامل يعمل على إيجاد إمكانات كبيرة أمام الاستثمار، كما يحدث تغييرات في هيكل اقتصاد البلاد الأعضاء ويستخدم آلات ومعدات كبيرة وحديثة، مما ينتج عنه استثمارات إضافية. هذا بالإضافة إلى أن التكامل يمتد ليشمل حرية انتقال رأس المال والعمل، كذلك يساعد على تعظيم قدرة المساومة للدول المشتركة في التكامل والحد من عدم استقرار صادراتها مع الدول الأخرى خارج التكامل، بخاصة الدول المتقدمة (1967 , Robinson)، (5 : 1975 , Onu) .

وقد لاحظنا أن الدول المتقدمة - رغم تقدمها - قد سبقت بقية دول العالم في عملية التكامل الاقتصادي، حيث اتخذت عدة صور من التكامل، منها السوق الأوروبية المشتركة ومجموعة الناftا.

ونحن نرى أن التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية أصبح ضرورة من أجل الإسراع في تحقيق تنميتها الاقتصادية والاجتماعية. والتكامل في هذه الحالة ليس هدفاً في حد ذاته، بل يعتبر من أحسن الوسائل لإنجاح التنمية. ورغم أن الدول الإسلامية تعد من الدول النامية - رغم ارتفاع متوسط الدخل الفردي في السنوات الأخيرة للبعض منها (الدول النفطية النامية) إلا أننا نرى أن هذه البلاد لديها من الإمكانيات الذاتية ما يؤهلها لأحداث تكامل اقتصادي سليم، إذا ما وضع تصور شامل للمحاور الاقتصادية المختلفة التي يمكن الارتكاز عليها، وتوافرت الإرادة السياسية لتحقيقه (شلبي، ١٩٨٣ م).

وسوف نشير فيما يلي لأهم مقومات التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية، حيث تتضمن هذه المقومات مايلي :

أولاً : الموارد الطبيعية :

تمتد الدول الإسلامية في ثلاث قارات هي أفريقيا وآسيا وأوروبا، ولذلك نجد اختلاف الموارد الطبيعية بين هذه الدول .

وسوف نشير فيما يلي إلى هذه الموارد :

١ - الغابات : تبين أن الدول الإسلامية لديها مساحات قليلة من الغابات وذلك يرجع إلى طبيعة الظروف المناخية لهذه الدول، حيث إن غالبيتها يسوده المناخ الحار الجاف مما لايساعد على ظهور مساحات كبيرة من الغابات .

بلغت المساحة الإجمالية للغابات في هذه الدول حوالي ٣٥٥٥ ألف كيلو متر مربع عام ١٩٨٠م، وانخفضت هذه المساحة إلى ٣١٦٩ ألف كيلو متر مربع عام ١٩٩٠م :

٢ - أن هناك ثلاث دول لاتوجد لديها أي مساحات تذكر للغابات، وهي مصر والكويت والإمارات .

ب - أن هناك خمس عشرة دولة لاتتوافر بيانات عنها بالنسبة لمساحات الغابات .

ج - أن هناك عشرين دولة انخفضت مساحة الغابات لديها عام ١٩٩٠م عن عام ١٩٨٠م .

د - أن هناك تسع دول لم تنقص مساحات الغابات فيها عام ١٩٩٠م على ماكانت عليه عام ١٩٨٠م وهي عُمان، اليمن، الأردن، إيران، موريتانيا، ناميبيا، بوركينا فاسو .

هـ - تبين أن المغرب هي الدولة الوحيدة التي زادت فيها المساحة الإجمالية للغابات عام ١٩٩٠م عن عام ١٩٨٠م بحوالي ١٢ ألف كيلو متر مربع، وهذه ظاهرة طبيعية .

و - أن أندونيسيا أكبر الدول الإسلامية من حيث مساحة الغابات، حيث كانت المساحة عام ١٩٨٠م حوالي ١٢١٧ ألف كيلو متر مربع، أي بنسبة ٤,٣٣٪ من إجمالي مساحة الغابات في الدول الإسلامية، وقد انخفضت هذه المساحة إلى ١٠٩٥ ألف كيلو متر مربع أي بنسبة ٧,٣١٪ من إجمالي مساحة الغابات لدى الدول الإسلامية.

هذا ولا ننسى فضل الغابات في زيادة دخل الدول، حيث إن تجارة الأخشاب من أهم أنماط التجارة التي تعود على الدول بالدخل الكبير. كما أن تصنيع الأخشاب من أهم الصناعات التي تحتاج إلى عدد كبير من العمالة، بخاصة لدى الدول الفقيرة والمكتظة بالسكان. كذلك يكون العائد أكبر بكثير كلما كانت نوعية الأخشاب من الأنواع الراقية التي تدخل في صناعة الأثاث أو القوارب أو ماشبه ذلك من الصناعات المرتفعة الثمن.

يمكن الاستفادة من توافر المساحات الكبيرة من الغابات لدى بعض الدول الإسلامية في قيام مشروعات مشتركة إسلامية لتصنيع الأخشاب، بخاصة إذا كانت من الأخشاب العالية الجودة، ومن ثمَّ يمكن الاستفادة من رأس المال لدى الدول ذات الفائض واستثمارها في تصنيع هذه المادة ويستفيد منها جميع الأطراف المشتركة في المشروع : أصحاب رأس المال وأصحاب الغابات وأصحاب العمالة (جدول رقم ١)، والشكل رقم ١).

٢ - الأراضي المحمية : كان لدى بعض الدول الإسلامية أراضٍ محمية تبلغ مساحتها حوالي ٧,١١٤٧ ألف كيلو متر مربع عام ١٩٩٣م. وتتميز خمس دول بـكبر المساحات لديها وهي :

- أندونيسيا حوالي ٧,١٨٥ كيلو متر مربع.
- تنزانيا حوالي ٩,١٣٨ ألف كيلو متر مربع.
- الجزائر حوالي ٢,١١٩ ألف كيلو متر مربع.

- تشاد حوالي ٩, ١١٤ ألف كيلو متر مربع .

- إيران حوالي ٠, ٨٣ ألف كيلو متر مربع .

وهذه الدول الخمس تمثل ٩, ٥٥٪ من مساحة الأراضي المحمية لدى دول العالم الإسلامي (جدول رقم ٢، والشكل رقم ٢) .

٣- الأرض : تمثل مساحة الدول الإسلامية (حسب تعريف الموسوعة) حوالي ٤, ٢٢٪ من مساحة العالم، ويلاحظ أن السودان أكبر الدول مساحة حوالي (٦, ٥٠٦ ألف كيلو متر مربع) يليه الجزائر (٢, ٣٨٢ ألف كيلو متر مربع)، ثم السعودية (٢, ١٥٠ ألف كيلو متر مربع) .

٤- السكان : يمثل سكن الدول الإسلامية حوالي ١, ٢٠٪ من سكان العالم، وأكبر الدول سكاناً هي أندونيسيا حيث بلغ تعدادها ١٥, ١٨٧ مليون نسمة عام ١٩٩٣م، يليها باكستان ١٣, ١٢٢ مليون نسمة، فبنجلاديش ٧, ١١٦ مليون نسمة، فينيجيريا ٣, ١٠٥ مليون نسمة .

وسوف نشير بشيء من التفصيل للسكان عند الحديث عن الموارد البشرية .

٥- النفط : الدول الإسلامية لديها حوالي ١, ٧٣٪ من احتياطي النفط الخام في العالم عام (١٩٩٤م)، كما أنها تنتج حوالي ٥, ٣٨٪ من الإنتاج العالمي، وتعد منطقة الخليج أكبر منطقة تستحوذ على النفط وتأتي السعودية في مقدمة دول الخليج المنتجة للنفط (منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول « أوبك ») .

وسوف نشير بشيء من التفصيل إلى النفط عند الحديث عن الطاقة .

شكل (١) المساحة الإجمالية للبحاريات بالدول الإسلامية

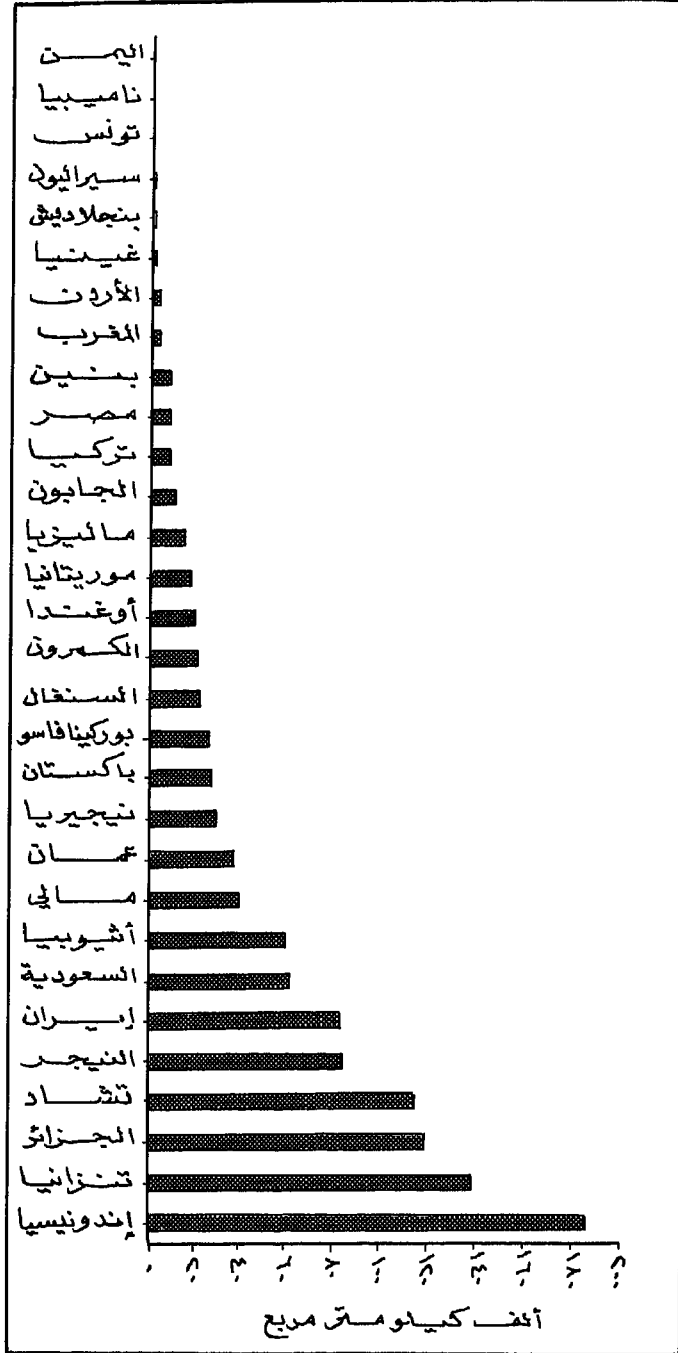
المصدر: البنك الدولي - ١٩٨٥م



٦ - الغاز الطبيعي : أما عن الغاز الطبيعي ، فإن الدول الإسلامية لديها من الاحتياطي منه حوالي ٣٩,٧ ٪ من الاحتياطي العالمي ، وتأتي إيران في مقدمة هذه الدول بما لديها من ١٤ ٪ من الاحتياطي من الإنتاج العالمي ، وتأتي إيران وأندونيسيا ودول الخليج في مقدمة الدول المنتجة .
وسوف نشير بشيء من التفصيل إلى الغاز الطبيعي عند الحديث عن الطاقة.

٧ - المراعي والثروة الحيوانية : توجد مساحات لا بأس بها من المراعي لدى بعض الدول الإسلامية ، وهناك دولتان لديهما أكبر هذه المساحات هما : السعودية (حوالي ١٧٠ ألف هكتار) ، والسودان (حوالي ١١٠ ألف هكتار) . كذلك توجد في الدول الإسلامية أعداد كبيرة من الماشية والأغنام والإبل والماعز والجاموس وغيرها من مكونات الثروة الحيوانية .

٨ - الأراضي الزراعية : معظم الدول الإسلامية دول زراعية ولكن تختلف مساحة الأرض التي لدى كل منها عن الأخرى ويأتي في مقدمتها السودان ولديه حوالي ١٦,٨٤٦ ألف هكتار أرض زراعية ، يليه المغرب لديه ٩,٢٩١ ألف هكتار أرض زراعية ، ثم الجزائر ٨,٠٤٣ ألف هكتار ، ثم العراق ٦,٣٤٧ ألف هكتار (المجموعة الإحصائية للوطن العربي ، ١٩٩٤/٨٨ م : ٥٩ - ٦٢) .



شكل (٢) مساحة الأراضي المحمية والدولي الإحصائية (١٩٩٣م)

المصدر: البنك الدولي - ١٩٩٥

(جدول رقم ١)

مساحة الغابات في الدول الاسلامية عام ١٩٩٠ م
(بالألف كيلو متر مربع)

الدولة	السنة	١٩٨٠ م	١٩٩٠ م	الدولة	السنة
السعودية	١٢	١٢	١٢	تنزانيا	٢٣٦
الكويت	صفر	صفر	صفر	تشاد	١١٤
الإمارات	صفر	صفر	صفر	النيجر	٢٤
عمان	٤١	٤١	٤١	مالي	١٢١
اليمن	٤١	٤١	٤١	موريتانيا	٦
الأردن	١	١	١	السنغال	٧٥
تركيا	٢٠٢	٢٠٢	٢٠٢	غامبيا	١
باكستان	٢٦	١٩	٢٢	غينيا بيساو	٢٠
بنجلاديش	١١	٨	٢٠	سيراليون	١٩
ماليزيا	٢١٥	١٧٦	٧٦	غينيا	٦٧
أندونيسيا	١٢١٧	١٠٩٥	٥٦	بنين	٤٩
اثيوبيا	١٤٦	١٤٢	١٦٨	نيجيريا	١٥٦
أوغندا	٧٠	٦٢	٢١٦	الكامرون	٢١٤
تونس	٥	٧	٤٧	بوركينافاسو	٤٤
الجزائر	٤٤	٤١	١٩٤	الجابون	٨٢
المغرب	٧٨	٩٠			

المجموع : عام ١٩٨٠ م = ٣٥٥٥ ، عام ١٩٩٠ م = ٣١٦٩

ثانياً : الموارد البشرية :

تعتبر القوى البشرية الدعامة الرئيسة للنظام الاقتصادي لكل دولة من دول العالم، ولذا تهتم الدول الساعية للنمو بدراسة هذه القوى، لما لها من آثار اقتصادية وسياسية واجتماعية، حيث إنها أحد العوامل الرئيسة للإنتاج في الوطن، ويبلغ سكان الدول الإسلامية حوالي ٢٠٪ من جملة سكان العالم (١٩٩٣ م) بينما تبلغ المساحة الكلية لتلك الدول ٤, ٢٢٪ من مساحة اليابس (شكل رقم ٣) .

ويلاحظ أن هناك تبايناً في حجم القوى البشرية لدى الدول الإسلامية، فبعضها يعاني من عجز كبير في الأيدي العاملة رغم توافر مجالات العمل، مثل الدول النفطية، في حين أن هناك دولاً أخرى تمتلك مساحات صغيرة من الأرض الزراعية ولديها عمالة فائضة عن الحاجة، ومن ثمَّ توجد بطالة مقنعة وموسمية في هذا المجال من العمل (١٧ ، ١٨) .

وتبلغ نسبة القوى البشرية بالدول الإسلامية حوالي ٤, ٦٣٪ من إجمالي السكان، منها ٣, ٣٥٪ قوى العمل الحقيقية والباقي وهو ١, ٢٨٪ خارج قوى العمل، بينما يوجد ٦, ٣٦٪ من الاجمالي خارج قوى العمل البشرية (١٩) . وهذه ظاهرة غير صحية حيث لا يعمل حقيقة إلا ٣, ٣٥٪ من جملة سكان العالم الإسلامي، أي أقل من ثلث تعداد السكان وباقي السكان عالة على هذه النسبة البسيطة العاملة، وهي إحدى مشكلات الإنتاج والتنمية لدى دول العالم الإسلامي. ومن جملة القوى العاملة نجد أن نسبة العاملين في قطاع الزراعة يمثلون حوالي ٦, ٥٣٪، وهذا يرجع إلى أن معظم الدول الإسلامية دول زراعية، ولكن رغم ذلك فإن إنتاجيتها منخفضة، كما أن الكفاءة الإنتاجية أيضاً منخفضة . ويلاحظ أن هناك بطالة مقنعة بنسبة كبيرة في قطاع الزراعة، لكن بعض الدول ترتفع فيها نسبة العمالة الزراعية للقوى العاملة إلى مستوى كبير مثل (Europa Year , 1995) :

- النيجر : العمالة الزراعية ٨, ٩٢ ٪ من إجمالي العمالة بالدولة .
- تنزانيا : العمالة الزراعية ٢, ٩١ ٪ من إجمالي العمالة بالدولة .
- مالي : العمالة الزراعية ٣, ٨٦ ٪ من إجمالي العمالة بالدولة .
- أوغندا : العمالة الزراعية ٢, ٨٥ ٪ من إجمالي العمالة بالدولة .
- تشاد : العمالة الزراعية ٢, ٨١ ٪ من إجمالي العمالة بالدولة .
- الكمرون : العمالة الزراعية ٥, ٨٠ ٪ من إجمالي العمالة بالدولة .
- السنغال : العمالة الزراعية ٢, ٨٠ ٪ من إجمالي العمالة بالدولة .

أما بالنسبة للعمالة الصناعية فإن نسبة العاملين في الصناعة لإجمالي سكان الدول الإسلامية تصل إلى ٢, ٣ ٪، كما أن نسبة العاملين في الصناعة لإجمالي القوى العاملة في الدول الإسلامية تصل إلى ٢, ٩ ٪، وهذه ظاهرة غير طيبة ومؤشر على بُعد الدول الإسلامية عن الدخول في مجال الصناعة وإهمال هذا القطاع الحيوي المهم والذي تقوم عليه عملية التنمية الاقتصادية الحقيقية والسريعة .

ويلاحظ أن عدد العمالة الصناعية في بعض الدول الإسلامية أكبر من عدد العمالة الزراعية، وهي كأمثلة لذلك :

- ماليزيا ٥, ١ مليون عمالة زراعية مقابل ٧, ١ مليون عمالة صناعية .
- الإمارات ٤٣ ألف عمالة زراعية مقابل ٦٣ ألف عمالة صناعية .
- الكويت ٩٠ ألف عمالة زراعية مقابل ٥٤ ألف عمالة صناعية .

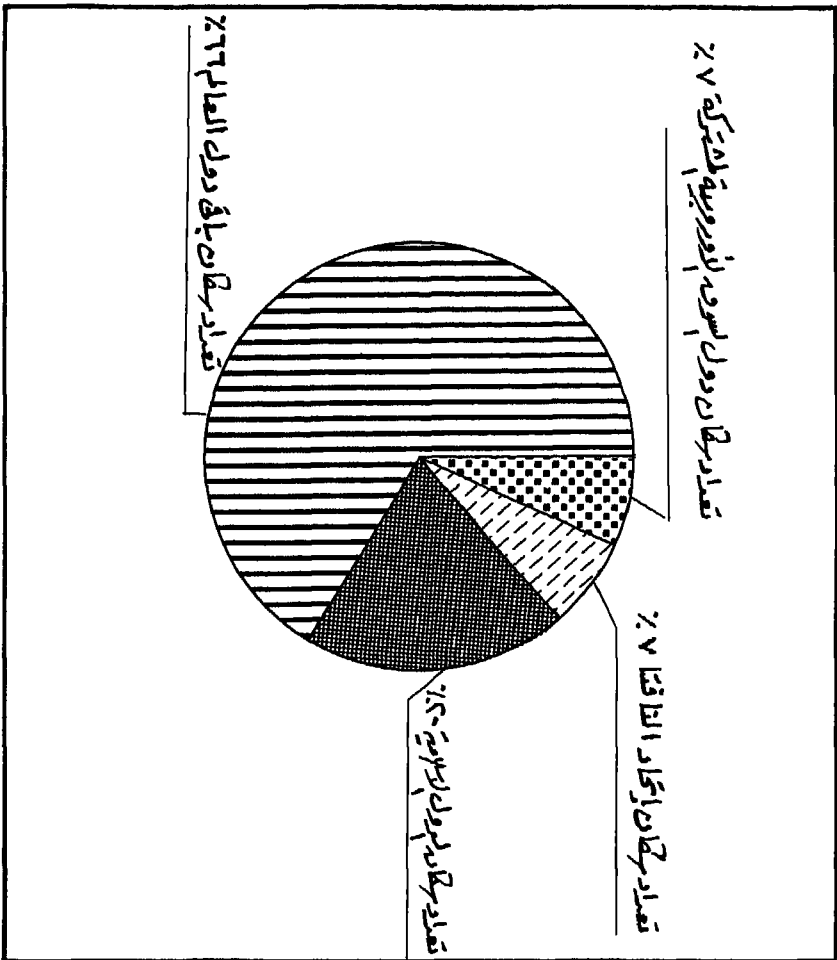
وذلك يرجع إلى أن هذه الدول ليس لديها إمكانات زراعية وتعتمد اعتماداً كبيراً على قطاع استخراج وتصدير النفط (Europa Year , Book , Dp Cit , P.P. 1984 , . 2013-1801) .

وتعاني معظم الدول الإسلامية من ندرة الأيدي العاملة الماهرة، وذلك يرجع لانخفاض مستوى التدريب والتعليم والفن الإنتاجي .

جدول رقم (٢) مساحة الأراضي المحمية في الدول الإسلامية

(ألف كيلو متر مربع)

الدولة	المساحة المحمية	الدولة	المساحة المحمية
تنزانيا	١٣٨,٩	مصر	٧,٩
أثيوبيا	٦٠,٢	اليمن	٠٠
سيراليون	٠,٨	أندونيسيا	١٨٥,٧
أوغندا	١٩,١	السنغال	٢١,٨
تشاد	١١٤,٩	الكامرون	٢٠,٥
بنجلاديش	١,٠	المغرب	٣,٦
غينيا بيساو	٠٠	الأردن	٢,٩
مالي	٤٠,١	تونس	٠,٤
النيجر	٨٤,٢	الجزائر	١١٩,٢
بوركينافاسو	٢٦,٢	تركيا	٨,٢
نيجيريا	٢٩,٧	يران	٨٣,٠
غامبيا	٠,٢	ماليزيا	١٤,٨
بنين	٧,٨	عمان	٣٧,٤
باكستان	٢٧,٢	الجابون	١٠,٥
غينيا	١,٦	السعودية	٦٢,٠
موريتانيا	١٧,٥	الكويت	صفر
الإمارات	(غير متوافر)		



شكل (٣) توزيع سكان العالم (بالمستل)

ولكن يلاحظ أن بعض الدول الإسلامية ذات الاكتظاظ السكاني ساهمت بقدراتها البشرية في مواجهة الاحتياجات لدى الدول الإسلامية النفطية، وأنه يوجد منذ عدة سنوات تحرك تلقائي غير منسق وغير مخطط، يتمثل في انتقال بعض المهارات والخبرات من دول مثل : مصر وباكستان وأندونيسيا وبنجلاديش واليمن . . . إلخ، غير أن بعض الدول الإسلامية النفطية عملت على الاستعانة بالعمالة الآسيوية والتي يلاحظ أن البعض منها لا يدين بالدين الإسلامي، بل إن البعض الآخر لا يدين له، وهذه ظاهرة غير طيبة، وإن كانت هذه العمالة رخيصة الأجر إلا أن المسلمين من العمال أولى بهذه الوظائف، وأنه يجب أن يتم التنسيق في جلب العمالة للدول ذات الحاجة في إطار نظرة هادفة للتكامل الاقتصادي الإسلامي، من أجل التنمية الاقتصادية للأمة الإسلامية ككل .

مما سبق يتضح لنا أن بعض البلاد الإسلامية، وبخاصة النفطية، تعاني من نقص رأس المال البشري بينما يتوافر هذا العنصر لدى البلاد الإسلامية الأخرى، كما يلاحظ أيضاً أن القوى العاملة الإسلامية تتركز أساساً في قطاع الزراعة ونسبة قليلة في قطاع الصناعة، مع ملاحظة انخفاض إنتاجية العمل والتي ترجع لأسباب كثيرة منها عدم كفاية التدريب، وانخفاض التعليم، وارتفاع نسبة الأمية والتي بلغت في المتوسط لدى الدول الإسلامية حوالي ٦٠,٦٪ من تعداد السكان، بينما ترتفع هذه النسبة إلى أكثر من ذلك لدى بعض الدول الإسلامية مثل : الصومال حيث تبلغ ٧٦٪، والسودان ٥٣٪، وأفغانستان حوالي ٧١٪، ويضاف إلى كل ذلك عدم اهتمام الدول الإسلامية بالتعليم العملي وتركيزها على التعليم النظري (البنك الدولي، ١٩٩٥م : ٢٨).

ولهذا نرى أنه من عوامل مقومات التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية والعمل على نجاحه من الناحية الفنية، الاهتمام برأس المال البشري والعمل على رفع كفاءته الإنتاجية بالتدريب والتعليم وذلك بالتنسيق على مستوى العالم الإسلامي،

عن طريق الارتقاء بالعمالة والخبرات الفائضة لدى بعض البلاد ذات الاكتظاظ السكاني، وذلك في إطار وإحداث تكامل ما بين رأس المال البشري ورأس المال المادي، وبخاصة وأن تكوين رأس المال البشري يحتاج لفترات طويلة تتراوح ما بين عشر إلى خمس عشرة سنة، يصعب تعويضها عن طريق الاستعانة بالخبرات الأجنبية، نظراً لوجود عدة عوائق منها اختلاف اللغة والعادات والتقاليد .

ثالثاً : موارد الطاقة :

يتوافر لدى دول العالم الإسلامي كثير من موارد الطاقة أهمها النفط والغاز الطبيعي .

١ - النفط : لاشك أن النفط من أهم موارد الطاقة لدى الدول الإسلامية، حيث تشتهر منطقة الخليج ودول أخرى بهذه المادة الاستراتيجية والتي كان لها آثار اقتصادية كبيرة على الدول المنتجة والمصدرة له .

ولقد شهد عام ١٩٩٤م انتعاشاً كبيراً في الطلب العالمي عليه بعد التراجع الذي حدث خلال عام ١٩٩٣م، وقد ارتفع الاستهلاك بنسبة ٦،١ ٪ بمقدار ١،١ مليون برميل يومياً ليصل إلى ٦٨،٢ مليون برميل يومياً بالمقارنة بعام ١٩٩٣م حيث كان ٦٧،١ مليون برميل يومياً .

ولا ننسى ما حدث في فترة الثمانينات الميلادية والتي شهدت تراجعاً في صادرات الدول الإسلامية من النفط الخام والمنتجات البترولية، حيث بلغت أدنى مستوى لها خلال عام ١٩٨٥م عند ٩ ملايين برميل يومياً، وذلك نتيجة لسياسات الدول الصناعية الرامية لتخفيض الطلب على النفط من الدول الإسلامية والتحول عن استيراده من الخارج وذلك بقصد الضغط على الدول الإسلامية المنتجة والمصدرة للنفط، مع تشجيع إنتاجه في الدول الأجنبية الأخرى .

وقد حدث انخفاض كبير في أسعار النفط في تلك الآونة، إلا أن هذه الصادرات عادت للتحسن التدريجي فارتفعت إلى ٢, ١٥ مليون برميل يومياً خلال عام ١٩٩٢م، ثم إلى ١٦ مليون برميل يومياً عام ١٩٩٣م . ولقد بلغ نصيب السعودية من هذه الصادرات حوالي النصف، ودولة الإمارات ١٤٪، والكويت ١٢٪، وليبيا ٩٪، والجزائر ٧٪، وباقي الدول ٩٪ .

وحالياً تساهم الدول الإسلامية بإنتاج ١, ٣٨٪ من إجمالي إنتاج النفط الخام العالمي عام ١٩٩٣م وارتفعت النسبة إلى ٥, ٣٨٪ عام ١٩٩٤م (بينما بلغ إنتاج الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٣م حوالي ٢, ١٣٪ من الإنتاج العالمي، وعام ١٩٩٤م حوالي ٨, ١٢٪)^(٢) .

أما بالنسبة للاحتياطي النفط الخام لدى الدول الإسلامية فبلغ حوالي ٦, ٧٣٪ من إجمالي الاحتياطي العالمي عام ١٩٩٣م ثم انخفض إلى ١, ٧٣٪ من إجمالي الاحتياطي العالمي عام ١٩٩٤م (بينما الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ٣, ٢٪ من الاحتياطي العالمي عام ١٩٩٣م ١, ٢٪ من الاحتياطي العالمي عام ١٩٩٤م) .

كل هذه الكميات التي تحوزها الدول الإسلامية من النفط الخام سواء من إنتاج عالمي يصل إلى ٥, ٣٨٪ أو ١, ٧٣٪ من الاحتياطي العالمي، إنما تدل على أن الدول الإسلامية تستحوذ على مقدرات الإنتاج والتوزيع والتصنيع لهذه السلعة الاستراتيجية، وأنها تعتبر أكبر مورد مالي للدول المنتجة والمصدرة لها، حيث تبلغ نسبة النفط كسلعة مصدرة لدى معظم الدول الإسلامية المنتجة له أكثر من ٩٠٪ من جملة صادرات هذه الدول، ولكن يا حبذا لو استطاعت هذه الدول الإسلامية أن تقوم بتصنيع النفط بدلاً من تصديره خاماً حيث إنها ستحصل عندئذٍ على عوائد مالية مضاعفة عشرات المرات، بالإضافة إلى أنها ستعمل على تشغيل أعداد كبيرة من أبناء الدول الإسلامية في عملية التصنيع . كل ذلك سيؤدي في النهاية إلى فائدة مشتركة للعالم الإسلامي، بزيادة دخل الدول الإسلامية النفطية من عملية التصنيع وتصدير منتجات النفط بدلاً من تصدير النفط خاماً، وحصول الدول

الإسلامية غير النفطية على عوائد مادية نتيجة تشغيل عمالتها الفائضة في هذه المشروعات الصناعية، وهذه أولى خطوات مقومات التكامل الاقتصادي الإسلامي في أبسط صورة وهي المشروعات المشتركة .

كما نود أن نوضح إلى أننا قد أشرنا في صدد عملية إنتاج وتصدير احتياجات النفط إلى موقف الولايات المتحدة بما لديها من احتياطي وإنتاج، وذلك حتى يعلم المسؤولون بأن لدينا في هذا المجال ما يفوق ما لدى أكبر دولة في العالم حتى يعملوا على حسن استغلال هذا المورد الحيوي في الصناعة وفي التجارة، ومن ثمَّ تحصل الدول صاحبه على أكثر عائد يساهم في التنمية الاقتصادية، في ظل تشغيل أكبر عدد ممكن من العمالة الإسلامية .

وفيما يتعلق بعوائد النفط فقد حدثت طفرة كبيرة في أسعار النفط في فترة حرب أكتوبر ١٩٧٣م (العاشر من رمضان)، حيث برزت في تلك الآونة روح التضامن والإخاء بين دول العالم الإسلامي، ونادى البعض منها باستخدام سلاح النفط من أجل مصلحة القضية الفلسطينية ومشكلة الشرق الأوسط، وكان على أثر ذلك أن ارتفع سعر برميل النفط حتى بلغ ٤٠ دولاراً ولكن استطاعت الدول الأجنبية المستوردة والمنتجة له أن تقف حائلاً ضد هذه الزيادة، وعملت على محاربة الدول الإسلامية المنتجة والمصدرة للنفط، ومن ثمَّ شهدت الأسواق العالمية خلال النصف الأول من الثمانينات الميلادية تراجعاً مستمراً في أسعار النفط الخام، انتهى بانهيائها في صيف عام ١٩٨٦م، وقد استمرت الأسعار بالتذبذب خلال النصف الثاني من الثمانينات الميلادية عند مستويات متدنية، الأمر الذي أدى إلى استمرار تراجع القيم الأسمية والحقيقية للعوائد النفطية الإسلامية .

إن أسعار البترول الخام كانت منذ عام ١٩٧٠م حتى ١٩٧٣م تتراوح ما بين دولارين و ١٤, ٣ دولارات للبرميل الواحد، ثم حدثت حرب أكتوبر ١٩٧٣م ولبت الدول الإسلامية النفطية النداء الإسلامي باستخدام البترول كسلاح ضد الدول

الأجنبية المؤيدة لإسرائيل المناهضة لحقوق الشعب الفلسطيني وتم فعلاً السيطرة للدول الإسلامية المنتجة للنفط على إنتاجه وتسويقه، فارتفع سعر البرميل من ١٤, ٢ دولارين عام ١٩٧٣م حتى وصل إلى حوالي ٣٦ دولاراً في أوائل الثمانينيات الميلادية وظل ثابتاً تقريباً حتى عام ١٩٨٥م، حين بدأت الدول الأجنبية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في العمل على ضرب هذه الأسعار بإنشاء منظمة تعمل على ترشيد استهلاك الطاقة وتجميع أكبر كميات ممكنة وتخزينها داخل الدول الأوروبية، مع الاحتفاظ بالاحتياطي من نفط هذه الدول، ثم فاجأت الدول الإسلامية المنتجة للنفط بتخفيض الكمية المطلوبة من نفطها، ومن ثمّ انخفض سعر البرميل عام ١٩٨٦م إلى ثلث ثمنه عام ١٩٨٥م، ثم بدأ في التذبذب منذ تلك الفترة، حيث استطاعت الدول الأجنبية أيضاً أن تخترق منظمة « الأوبك »، ومنظمة « الأوابك العربية » وتحديث خلافاً كبيراً بين الدول الإسلامية أعضاء تلك المنظمات عن كميات الإنتاج والتصدير، وهكذا استطاعت الدول الأجنبية أن توقف ارتفاع الأسعار وتحد من عائدات الدول الإسلامية المصدرة للنفط، حيث إن العوائد كانت حتى عام ١٩٧٢م منخفضة، ثم تضاعفت عشرات المرات منذ بداية عام ١٩٧٣م، وبلغت ذروتها أوائل الثمانينات الميلادية، ثم بدأت في الانخفاض والتذبذب . ولكن حالياً أصبح هناك إلى حد ما استقرار في الأسعار والعوائد لدى الدول الإسلامية، ونرجو أن تكون الدول الإسلامية استوعبت واستفادت من الدرس الذي حدث لها خلال تلك الفترة، وألا تتمكن الدول الأجنبية مرة أخرى من التلاعب في مقدراتها وصادراتها، بخاصة بالنسبة لمثل هذه السلعة الاستراتيجية . ولا يتم ذلك إلا باتحادها ووعيها بأهمية النفط في التجارة العالمية .

٢ - الغاز الطبيعي : تعمل الدول الإسلامية حالياً على إنتاج الغاز الطبيعي وهو إحدى السلع المهمة كمصدر للطاقة عالمياً؛ حيث استحوذت على إنتاج حوالي ٤, ١٨ ٪ من الإنتاج العالمي خلال عام ١٩٩٣م، وارتفعت هذه النسبة إلى ٨, ١٩ ٪ من الإنتاج العالمي عام ١٩٩٤م^(٢١) .

كما أن الدول الإسلامية كان لديها من الاحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي حوالي ٣٩ ٪ عام ١٩٩٣م، بينما بلغت هذه النسبة حوالي ٣٩,٧ ٪ من الاحتياطي العالمي عام ١٩٩٤ م .

وتقوم بعض الدول الإسلامية بتصدير مايفيض لديها من إنتاج، وفي مقدمة تلك الدول الجزائر وليبيا والإمارات، حيث يتم تصدير الغاز الطبيعي للدول الصناعية، إما مسالا ويتم شحنه بالناقلات، أو في صورة غاز يتم نقله بالأنابيب .
ولقد عملت الدول الإسلامية على زيادة طاقاتها لأسالة الغاز، حيث تبلغ طاقتها في الوقت الحاضر حوالي ٢٩,٤ مليون طن سنوياً، أي مايزوي ٤١٪ من الطاقة العالمية .

وقد بلغت جملة صادرات هذه الدول من الغاز المسال ٢٥,٢ مليار متر مكعب خلال عام ١٩٩٣م، وذلك للولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا واليابان . كما صدرت الجزائر كميات أخرى بواسطة الأنابيب، بلغت حوالي ١٤,٤ مليار متر مكعب عام ١٩٩٣م لإيطاليا، فضلاً عن كميات أخرى لتونس بلغت حوالي ٥٥٠ مليون متر مكعب .

كما تم تصدير كميات أخرى من الغاز الطبيعي بمعرفة الدول الإسلامية بواسطة الأنابيب والناقلات بلغت حوالي ٣٩,٦ مليار متر مكعب عام ١٩٩٣م، منها حوالي ٣٤,٧ مليار متر مكعب صدرت من الجزائر (أي بنسبة ٨٧,٦ ٪ من الكمية)، وقد بلغت نسبة ماتم تصديره من الدول الإسلامية خلال عام ١٩٩٣م حوالي ٤١,٤ ٪ من إجمالي صادرات الغاز العالمية والتي تبلغ حوالي ٣٤٧ مليار متر مكعب سنوياً (التقرير الاقتصادي العربي الموحد، ١٩٩٥م) .

ومن الممكن التوسع في مجال التجارة البينية للغاز الطبيعي بين الدول الإسلامية، وذلك بإقامة منظمة إسلامية لنقل وتوزيع هذه السلعة الجوهرية داخل الأمة الإسلامية، وبينها وبين الدول الأخرى، وذلك على غرار منظمة الدول العربية المصدرة للبترول « أوبك » .

٣ - الفحم الحجري : تستحوذ بعض الدول الإسلامية على كميات قليلة من مادة الفحم كاحتياطي حيث يوجد لدى المغرب حوالي ٧٥ مليون طن، والجزائر حوالي ٤٠ مليون طن، ومصر حوالي ٣٦ مليون طن، وأندونيسيا حوالي ٢٧,٥ مليون طن، وتركيا حوالي ٣ ملايين طن، (Europa Year Boor , 1995) أما الاحتياطي العالمي فبلغ حوالي ١,٣٩٠ مليار طن عام ١٩٩٣م، حيث تتركز أكبر كمية منه لدى الولايات المتحدة الأمريكية وهي تبلغ حوالي ٢,٢٣٪ من الاحتياطي العالمي، ثم يليها دول الكومنولث المستقلة بنسبة ٢,٢٣٪، ثم الصين بحوالي ٠,١١٪ .

ولكن يلاحظ أن الدول الإسلامية لاتعتمد في استخدامها للطاقة على الفحم الحجري، نظراً لقلّة الاحتياطي لديها، وسهولة استخدام المصادر الأخرى مثل البترول والغاز الطبيعي .

٤ - الفحم النباتي : يوجد الفحم النباتي لدى تركيا بكمية بلغت حوالي ٤٢ مليون طن، وباكستان بحوالي ١,٣ ملايين طن عام ١٩٩٣م .

مما سبق يتضح أن الدول الإسلامية تنتج حوالي ٣٨,٥ ٪ من الإنتاج العالمي للنفط ولديها احتياطي يقدر بحوالي ١,٧٣ ٪ من الاحتياطي العالمي (عام ١٩٩٤م)، كما أن هذه الدول تستحوذ على إنتاج ١٩,٨ ٪ من الإنتاج العالمي من الغاز الطبيعي، ولديها حوالي ٧,٣٩ ٪ من الاحتياطي العالمي (عام ١٩٩٤م) .

كل هذه الإمكانيات لاشك أنها تعطي هذه الدول مكانة كبيرة في النواحي الاقتصادية وذلك بالسيطرة على أهم سلعة استراتيجية في العالم، وذلك لو أحسنت هذه الدول استغلالها الاستغلال الأمثل . ولاننسى الدول الإسلامية في عام ١٩٧٣م عندما وحدت الدول المصدرة للنفط كلمتها واستطاعت السيطرة على إنتاج وتصدير هذه المادة الحيوية، ولذلك فقد جنت ثمارها بارتفاع الأسعار وزيادة دخلها ومن ثم تحسنت حالتها الاقتصادية، كما لفتت النظر إلى ضرورة الاهتمام بقضية الشرق الأوسط وحقوق الشعب الفلسطيني .

وهكذا نجد أن في الاتحاد والتعاون والتكامل آثاراً طيبة سواء في النواحي الاقتصادية أو السياسية تستطيع الدول الإسلامية أن تجنبها لو التحدت وتوحدت، واستطاعت جمع شملها في إطار ديننا الحنيف وتحت مظلة الإسلام ووحداية الله، حتى نكون خير أمة أخرجت للناس .

رابعاً : الموارد المالية :

يلاحظ أن الدول الإسلامية تنقسم لطائفتين - إحداهما تشمل الدول الإسلامية المصدرة للبترو، وتتميز بوجود فائض من العملات الأجنبية يأتي من إيراداتها النفطية، والطائفة الثانية تعاني من وجود عجز في موازين مدفوعاتها وتعتمد على مصادر التمويل الأجنبية .

إن اختلاف القدرات المالية بالمقارنة بالإمكانيات الاستثمارية بين الدول الإسلامية على النحو السابق يعتبر في رأينا من أهم العوامل المساعدة على قيام تكامل اقتصادي إسلامي .

تقديرات عوائد البترول في بعض السنوات :

من أحد التقديرات الخاصة بالإيرادات النفطية لبعض الدول الإسلامية (عدد ١١ دولة فقط) خلال الفترة ١٩٩١م - ١٩٩٤م يتضح أنها كالتالي: جدول رقم (٣).

(جدول رقم ٣)

الإيرادات النفطية لبعض الدول الإسلامية
للأعوام ١٩٩١ - ١٩٩٤ م « بالمليون دولار »

١٩٩٤ م	١٩٩٣ م	١٩٩٢ م	١٩٩١ م	حصيلة الدول
٨٣٠٠٠	٨٣٢٩٥	٩٢٥٧٢	٨٥٥٨٢	نصيب كل دولة كنسبة مئوية من الحصيلة الكلية
السعودية ٤٥,٢%	السعودية ٤٦,٤%	السعودية ٥٠,٣%	السعودية ٥٠,٩%	
الإمارات ١٤,٨%	الإمارات ١٤,٥%	الإمارات ١٥,٧%	الإمارات ١٧,٣%	
الكويت ١٢,٥%	الكويت ١٢,٠%	ليبيا ٩,٩%	ليبيا ١١,٧%	
الجزائر ١٠,٤%	الجزائر ٩,٦%	الجزائر ٨,٨%	الجزائر ١١,٢%	
ليبيا ٨,٦%	ليبيا ٩,١%	الكويت ٦,٧%	قطر ٢,٦%	
قطر ٢,٩%	قطر ٣,١%	قطر ٣,٥%	سوريا ٢,٢%	
سوريا ٢,٢%	سوريا ٢,٣%	سوريا ٢,٣%	مصر ١,٥%	
مصر ١,٦%	مصر ١,٤%	مصر ١,٤%	الكويت ١,٢%	
البحرين ١,٢%	البحرين ١,١%	البحرين ٠,٨%	البحرين ٠,٨%	
العراق ٠,٤%	العراق ٠,٤%	العراق ٠,٤%	العراق ٠,٤%	
تونس ٠,١%	تونس ٠,١%	تونس ٠,٣%	تونس ٠,٤%	

المصدر : المجموعة الإحصائية لدول الوطن العربي، ١٩٩٤ م .

من الجدول السابق (رقم ٣) يتضح لنا أن إيرادات بعض الدول الإسلامية من النفط كانت حوالي ٨٥٥٨٢ مليون دولار أمريكي عام ١٩٩١م، ارتفعت إلى ٩٢٥٧٢ مليون دولار أمريكي عام ١٩٩٢م، ثم انخفضت إلى ٨٣٢٩٥ مليون دولار عام ١٩٩٣م، ثم بلغت ٨٣٠٠٠ مليون دولار عام ١٩٩٤م، ومن ثم تبلغ جملة هذه العوائد ٤,٤٤٤ مليار دولار خلال الفترة ١٩٩١ - ١٩٩٤م .

كما يتضح من البيانات السابقة أن السعودية تملك أكبر نسبة من الإيرادات النفطية خلال تلك الفترة بمتوسط ٢,٤٨ ٪، أي حوالي النصف، ثم تليها الإمارات بمتوسط ٦,١٥ ٪ ثم الجزائر بمتوسط ١٠ ٪، فالكويت ١,٨ ٪، ثم قطر بنسبة ٣ ٪، فسوريا ٢,٢ ٪، فمصر ١,٥ ٪، ثم البحرين ١,٠ ٪، فالعراق ٤,٠ ٪، ثم تونس ١,٠ ٪ .

فوائض رؤوس الأموال للدول الإسلامية :

في إحصائية عن استثمارات دول مجلس التعاون الخليجي (وحدها) في الخارج قدرت بحوالي ٤,٣٤٩ مليار دولار أمريكي عام ١٩٨٩م، منها ٦,٤٤ مليار دولار أمريكي في الدول النامية (بنسبة ١٢,٧ ٪)، و ٢٧ مليار دولار في صندوق النقد الدولي والبنك الدولي (بنسبة ٧,٨ ٪)، والباقي وقدره حوالي ٨,٢٧٧ مليار دولار في الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية (بنسبة ٧٩,٥ ٪) و (هلال، د.ت : ٤٨) .

وفي إحصائية أخرى عن فوائض رؤوس الأموال للدول الإسلامية النفطية لدى الدول الأجنبية، تبين وجود حوالي ٨٠٠ مليار دولار أمريكي لدى بنوك بعض الدول الأجنبية الأوروبية والأمريكية (زكي، ١٩٩٦م : ١١) .

من الاحصاءات السابقة يتضح لنا مدى استفادة الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية والمنظمات الدولية من الفوائض المالية الإسلامية الضخمة، ولو

قدر لهذه الفوائض أن توجه للاستثمار لدى الدول الإسلامية ذات العجز والتي لديها القدرة على استيعابها، وكان للعالم الإسلامي شأن آخر من التنمية، ولكن المستفيد الوحيد من هذه الفوائض هي الدول الأجنبية، بخاصة إذا علمنا بأن بعض الدول النفطية غير قادرة على استيعاب الفوائض^(٢٢). وذلك يرجع لعدة أسباب، منها اعتماد بعض الدول الإسلامية النفطية على قطاع أوّلى واحد وهو قطاع استخراج النفط، حيث إن هذا القطاع يمثل نسبة كبيرة من صادرات هذه الدول (شليبي، ١٩٨١م). كما يلاحظ صغر حجم السكان بمعظم البلاد الإسلامية النفطية عن الحجم الأمثل اللازم لاستغلال الموارد المتاحة، ومن ثمّ صغر حجم السوق مما يؤدي إلى عدم إمكان تصريف الصناعات الثقيلة. كما يلاحظ ضعف فرص الاستثمار خارج القطاع النفطي وافتقار هذه البلاد إلى الإمكانيات الزراعية أو المنجمية الأخرى والتي بدونها يصعب إحداث حركة تصنيع شاملة.

وإذا مانظرنا إلى باقي الدول الإسلامية (ذات العجز)، نجد أن لديها بعض الخصائص التي تؤدي إلى ارتفاع قدرتها الاستيعابية من ناحية وإلى ارتفاع قدرة العالم الإسلامي ككل من ناحية أخرى، أي أن أوجه القصور الموجودة لدى الدول النفطية لها حل وعلاج لدى الدول الإسلامية غير النفطية، مما يؤدي إلى ارتفاع القدرة الاستيعابية للأمة الإسلامية ككل.

تحويلات العاملين بالدول الإسلامية في الخارج :

تعمل الدول الإسلامية ذات الكثافة السكانية على تشغيل جزء من عمالتها لدى الدول النفطية أو الدول الأجنبية، وتجنّي الدول الإسلامية من وراء ذلك مكاسب مادية من تحويلات العاملين من مواطنيها في الخارج، وفي الوقت نفسه سنجد أن بعض الدول الإسلامية (بخاصة النفطية) تدفع مبالغ نقدية كبيرة للدول الإسلامية صاحبة العمالة، وذلك مقابل تشغيلها لديها والجدول رقم (٤) يوضح صافي تحويلات العاملين في الخارج للدول الإسلامية عام ١٩٩٣م.

جدول رقم (٤) : تحويلات العاملين في الخارج للدول الإسلامية
عام ١٩٩٣م « بالمليون دولار »

الدولة	جملة التحويلات	الدولة	جملة التحويلات	الدولة	جملة التحويلات
أثيوبيا	٢٤٨	نيجيريا	٢٢	الأردن	١٠٤٠
تشاد	٣٥-	غينيا	٢٠-	تونس	٥٩٠
بنجلاديش	٩٤٢	موريتانيا	٢٣	الجزائر	٩٩٣
بوركينافاسو	٧١	اليمن	٣٤٧	تركيا	٢٩١٩
غينيا بيساو	٢-	مصر	٤٩٦٠	عمان	١٣٢٩-
مالي	٨٧	إندونيسيا	٣٤٦	السعودية	١٥٧١٧-
النيجر	٣٣-	السنغال	٤٠	الكويت	١٢٢٩-
بنين	٨٧	المغرب	١٩٤٥	الجابون	١٤١-
باكستان	١٥٦٢				

المصدر : البنك الولي . ١٩٩٥ .

من الجدول السابق رقم (٤) يتضح أن الدول المصدرة للعمالة قد حققت عائداً وعلى رأس هذه الدول مصر حيث حققت ٤٩٦٠ مليون دولار أمريكي، وتركيا ٢٩١٩ مليون دولار، والمغرب ١٩٤٥ مليون دولار، وباكستان ١٥٦٢ مليون دولار، والأردن ١٠٤٠ مليون دولار، وبنجلاديش ٩٤٢ مليون دولار، والجزائر ٩٩٣ مليون دولار، وتونس ٥٩٠ مليون دولار .

أما الدول المستوردة للعمالة فقد صدرت تحويلات لهذه العمالة للخارج وعلى رأسها الدول المصدرة للنفط مثل السعودية والكويت (شكل رقم ٤).

ومن هذه البيانات يتضح لنا أن هناك نوعاً من التعاون والتكامل غير المنسق بين الدول الإسلامية في قطاع العمالة، حيث إن الدول النفطية في حاجة دائمة للعمالة نظراً لقلتها لديها، والدول الإسلامية لديها فائض من العمالة فتصدره للدول النفطية .

وحتى نقف على حقيقة الوضع المالي للدول الإسلامية، فسوف نشير إشارة سريعة على نصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي ثم نلقي الضوء على الديون الخارجية للدول الإسلامية ومن ثم نتعرف على حقيقة الوضع المالي للدول الإسلامية.

نصيب الفرد من الناتج الوطني :

بلغ متوسط دخل الفرد من الناتج الوطني الإجمالي عام ١٩٩٣م للدول الإسلامية بالدولار كما هو مبين في جدول رقم (٥) .

(جدول رقم ٥) : متوسط نصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي في الدول الإسلامية عام ١٩٩٣م « بالدولار الأمريكي »

الدولة	متوسط دخل الفرد	الدولة	متوسط دخل الفرد	الدولة	متوسط دخل الفرد
الأردن	١١٩	عماسيا	٣٥	الكويت	١٩٣٠
الإمارات	٢١٤٣	الجزائر	١٧٨	ليبيا	٥٣١
اندونيسيا	٧٤	جيبوتي	٧٨	المالديف	٨٢
اوغندا	١٨	المغرب	١٣	مالي	٢٧
إيران	٢١٩	البحر	٢٧	ماليزيا	٣١٤
باكستان	٤٣	السعودية	٧٩٤	مصر	٦٦
البحرين	٧٨٧	السمال	٧٥٠	موريتانيا	٥١
بروناي	١٤٢٢	السودان	٥٤٠	الجزيرة العربية	٥٢
بنجلاديش	٢٢	سوريا	١١٧	ترانيا	١
بنين	٤٣٠	سيراليون	١٥	بحريا	٩
بوركينا فاسو	٣	الصومال	١٥	عيبا	٥٠
تركيا	٢٩٧	عمان	٥٨٥	قطر	١٥١٤
تشاد	٢١	عيبايسار	٢٤		
تونس	١٧٨	حرر القمر	٥٢		
الخابون	٤٩٦	الكومرون	٨٢		

المصدر : البنك الإسلامي للتنمية ٤٩ - ٥٩٩١م - البنك الدولي



شكل (٥) متوسط دخل الفرد من الناتج المحلي الإجمالي بالدولار الأمريكي لعام ١٩٩٣

المصدر: البنك الدولي - ١٩٩٥

من الجدول السابق رقم (٥) يتضح الآتي :

- ١ - أن متوسط الدخل الفردي من الناتج الوطني الإجمالي للدول الإسلامية حوالي ٢٩٥٦ دولاراً، ويعتبر هذا الدخل متوسطاً حسب تقدير البنك الدولي.
- ٢ - أكبر دخل فردي يوجد في دولة الإمارات، حيث يبلغ ٢١٤٣٠ دولاراً، ثم الكويت ١٩٣٠٠ دولاراً، ثم قطر ١٥١٤٠ دولاراً، ثم بروناي ١٤٢٢٠ دولاراً .
- ٣ - أقل دخل في تنزانيا وهو ٩٠ دولاراً، يليها أثيوبيا ١٠٠ دولاراً، فأوغندا ١٨٠ دولاراً، فسيراليون ١٥٠ دولاراً، فالصومال ١٥٠ دولاراً .
- ٤ - يتبين أيضاً أن الدول التي يقل دخل الفرد فيها عن ٣٦٥ دولاراً في العام (أي بمعدل دولار واحد في اليوم) عددها عشر دول . أما الدول التي يقل دخل الفرد فيها عن ٧٢٠ دولاراً في العام (أي بمعدل دولارين في اليوم فعددها ٢٣ دولة . أما الدول التي قل دخل الفرد فيها عن ١٩٥٠ دولار في العام (أي بمعدل ثلاثة دولارات في اليوم) عددها ٢٦ دولة . أما الدول التي قل دخل الفرد فيها عن ٢٠٠٠ دولار في العام ٣١ دولة .

أن نصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي هو المعيار المستخدم لدى البنك الدولي لتصنيف اقتصاديات الدول بعامة وفي التمييز بين مختلف مراحل التنمية الاقتصادية . وعموماً يعتبر الدخل منخفضاً إذا كان ٦٩٥ دولاراً فأقل، ويوجد على مستوى العالم حوالي ٤٥ دولة تنطبق عليها هذه الصفة، منها ٢١ دولة إسلامية، أي حوالي النصف . كذلك يعتبر الدخل متوسطاً إذا كان يتراوح بين ٦٩٦، ٨٦٢٥ دولاراً، وينطبق ذلك على ٦٣ دولة على مستوى العالم، منها ١٧ دولة إسلامية .

ويعتبر الدخل مرتفعاً إذا بلغ ٨٦٢٦ دولاراً فأكثر، وينطبق ذلك على ٢٤ دولة في العالم، منها عدد ٤ دول إسلامية، هي الكويت والإمارات وبروناي وقطر (شكل رقم ٥) .

ويتبين أن متوسط الدخل الفردي من الناتج الوطني الإجمالي على مستوى العالم يبلغ ٤٤٢٠ دولاراً (١٣٢)، بينما متوسط الدخل الفردي من الناتج الوطني الإجمالي على مستوى الدول الإسلامية ٢٩٥٦,١ دولاراً (٤٣ دولة)، أي أن متوسط الدخل الفردي في الدول الإسلامية يساوي ٦٦,٨ ٪ من متوسط الفرد على مستوى العالم، وهذه ظاهرة غير صحية، بخاصة إذا لاحظنا أن هناك فروقاً كبيرة بين الدول الإسلامية .

فمتوسط الدخل الفردي من الناتج الوطني الإجمالي لعشر دول إسلامية مرتفعة الدخل يبلغ حوالي ٩٣٩٥ دولاراً (٢٣)، بينما يبلغ متوسط الدخل الفردي من الناتج الوطني الإجمالي لعشر دول إسلامية منخفضة الدخل حوالي ١٨٨ دولاراً، أي أن متوسط الدخل لدى عشر الدول الإسلامية منخفضة الدخل يبلغ ٢ ٪ من متوسط الدخل لدى الدول الإسلامية مرتفعة الدخل (٢٤). وهذه ظاهرة غير صحية . وتتميز الدول المرتفعة الدخل بأنها دول منتجة ومصدرة للنفط، ودولة واحدة أصبحت من دول النمرور الآسيوية (ماليزيا)، حيث تطور إنتاجها تطوراً كبيراً في السنوات القليلة الماضية، بالإضافة إلى تركيا .

كما يلاحظ أن الدول الأكبر دخلاً هي الدول الأقل سكاناً (عدا تركيا)، والدول الأقل دخلاً هي الدول الأكثر سكاناً . وأن الدول الغنية مادياً فقيرة بشرياً والدول الغنية بالطاقة البشرية فقيرة مادياً، ولكن إذا أحسن استغلال الفوائض المادية لدى الدول الإسلامية في مشروعات إنتاجية داخل الوطن الإسلامي مستغلين الطاقات البشرية الفائضة لديها، لزد الإنتاج لهذه الأمة وزاد الدخل الفردي لدى الدول الفقيرة منها، ومن ثم ارتفع مستوى المعيشة واستفادت الدول صاحبة الفوائض، وضافت الفجوة الكبيرة بين دخول الدول الإسلامية، حيث يستفيد الجميع من إقامة هذه المشروعات بالتعاون والتكافل والتكامل بينها .

الديون الخارجية للدول الإسلامية :

ارتفع مستوى الديون الخارجية للدول الإسلامية، حيث زادت الديون بنسبة ٧ ٪ عام ١٩٩٣م في حين بلغ معدل خدمة الديون ١٦ ٪، وارتفع إلى ٢٠ ٪ عام ١٩٩٤م (البنك الدولي، ١٩٩٥م : ٢٥٢ - ٢٥٣) (جدول رقم ٦ وشكل رقم ٦).



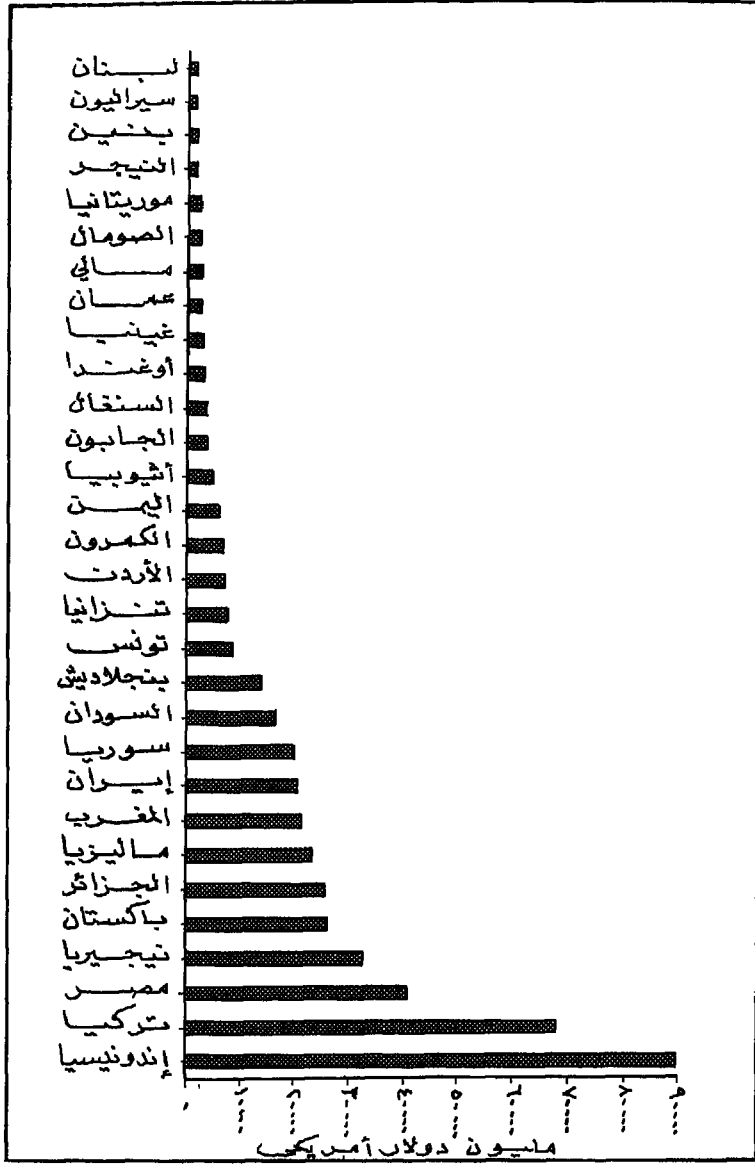
شكل (5) صافي احتياطيات العملات الأجنبية للملدين في الخارج للدول الإسلامية لعام 1993م

المصدر: البنك المركزي - 1995م

(جدول رقم ٦) : مؤشرات الديون الخارجية للدول الإسلامية لعام ١٩٩٣م

البلد	الدينون الخارجية ملايين الدولارات الأمريكية	إجمالي حده الدين ملاين الدولارات الأمريكية	مجموع الدينون الخارجية		مدفوعات العائده كسبه مؤبه من صادرات السلع والخدمات	مجموع حده الدينون كسبه مؤبه من صادرات السلع والخدمات
			كسبه مؤبه من إجمالي الناح الوطني	كسبه مؤبه من صادرات السلع والخدمات		
أندوسيا	٤,٧٢٩	--	--	--	--	
برازيل	٧,٥٢٢	--	--	--	--	
الأردن	٦,٩٨٢	٥٦٩	١٧٨,٥	١٤٢,٩	١٤٢,٦	
أفغانسان	--	--	--	--	--	
الإمارات	--	--	--	--	--	
إندونيسيا	٨٩,٥٣٩	١٣,٢٩٨	٢١٩,٤	٦٥,٩	١١,٣	
أوغندا	٣,٠٥٦	٣٠٢	١,٢٢٧,٧	٧٧,٠	٢١,٦	
إيران	٢,٠٥٥	٢	--	--	٥,٠	
باكستان	٢٦,٠٥٠	١,٤٦٠	١١٨,٥	٤٩,٧	١٠,٦	
البحرين	--	--	٢٦١,٣	--	--	
بروناي	--	--	--	--	--	
بنغلاديش	١٣,٨٧٩	٥٣٣	--	٥٦,٣	٤,٣	
بنين	١,٤٨٧	٣٤	٣٥٢,١	٧٠,٥	٣,٤	
بوركينافاسو	١,١٤٤	٣٤	٣١٦,٥	٤١,١	٣,٦	
بركينا	٦٧,٨٦٢	٨,٦٠٠	٢٣٤,٨	٥٥,٣	١٣,١	
بنغلاديش	٧٥٧	١٣	٢٢٣,٤	٦٤,١	٥,٢	
بوتسوانا	٨,٧٠١	١,٣٥٠	٤٥٣,٠	٥٩,٩	٧,٥	
الكاميرون	٣,٨١٨	١٤٧	١٣٠,٢	٨٠,٣	٣,٣	
غانبيا	٣٨٦	٢٨	١٥٤,٧	١١٠,٢	--	
بنين	٣٢,٥٣١	--	--	--	--	
الجزائر	٢٥,٧٥٧	٩,١٤٦	--	٥٧,٤	١٥,٠	
جنوبي	٢٢٥	١٠	٢١٦,٦	٤٨,٣	١,٢	
السعودية	--	--	٦٣,٣	--	--	
السعال	٣,٧٦٨	١١٨	--	٦٨,٣	٣,١	
السودان	١٦,٥٦٠	٢٠	٢٨٨,٢	--	--	
سوريا	١٩,٩٧٥	٢٨٣	--	--	٣,٤	
سيراليون	١,٣٨٨	٢٠	٣٧٤,٧	٣١٨,٨	٥,٣	
الصومال	٢,٥٠١	--	٨٣٩,٨	--	--	
العراق	--	--	--	--	--	
سلطنة عمان	٢,٦٦١	٦٠٧	--	٣٤,٩	--	
عمان	٢,٩٦٤	٨٤	--	٩٤,٠	٦,١	
عمان سناو	٦٩٢	٤	٤٣٥,٥	٢٩٢,٠	٥,٨	
فلسطين	--	--	٢٩١,٣	--	--	
قطر	--	--	١	--	--	
جزر القمر	١٨٤	٣	--	٦٦,٨	١,٢	
الكمرون	٦,٦٠١	٤٤٤	--	٧١,٨	٨,٦	
الكويت	--	--	٣٦١,٧	--	--	
لبنان	١,٣٥٦	١٣٥	٣٢٣,٨	١٦,٩	٤,٣	
لبنان	--	--	--	--	--	
مالديف	١١٥	٨	٦٥,٢	٦١,٤	١,٢	
مالي	٢,٦٥٠	٢٦	--	١٠٠,٥	٢,٥	
ماليزيا	٢٣,٣٣٥	٤,٢٢٩	٥٣,٢	٣٧,٨	٣,٤	
مصر	٤٠,٦٢٦	٢,٤٠٧	٦١٩,٨	١٠٤,٨	٨,٥	
المغرب	٢١,٤٣٠	٢,٦١٤	٤٣,٨	٨١,٧	١٢,٥	
موريتانيا	٢,٢٠٣	١٢٥	٢٥٧,١	٢٤٥,١	١٠,١	
النيجر	١,٧٠٤	٩٣	٢٥١,٣	٧٨,٦	٨,٤	
النميبيا	٥,٩٢٣	١٢٠	٤٧٨,٤	٥٦,٤	٣,٦	

المصدر : البنك الدولي ١٩٩٥م - البنك الإسلامي للتنمية ٩ - ١٩٩٥م (-) غير متوافر



الشكل (٦) السياح الاجانب

١٩٩٣ - ٢٠٠٣

المصدر: البنك المركزي - ٢٠٠٣

ومن الجدول رقم (٦) يتبين لنا مايلي :

١ - أن هناك عشر دول إسلامية لايتوافر عنها أي مؤشرات للديون الخارجية، وقد يرجع ذلك إلى أن بعضها غير مدين، كالدول الخليجية النفطية - الإمارات والبحرين . . . إلخ، والبعض الآخر قد يكون مديناً ولكن لايتوافر عنها بيانات لظروفها الاستثنائية مثل : العراق وأفغانستان .

٢ - يبلغ مجموع ديون ٣٧ دولة إسلامية حوالي ٤٧١٥٠١ مليون دولار أمريكي، أي بمتوسط يبلغ ٢٧, ١٢٧٤٣ مليون دولار أمريكي لكل دولة .

٣ - أكبر الدول المدينة هي : أندونيسيا بمبلغ ٨٩, ٥٣٩ مليون دولار، ثم تركيا بمبلغ ٦٧٨٦٢ مليون دولار، فمصر بمبلغ ٤٠٦٢٦ مليون دولار، فنيجيريا بمبلغ ٣٢٥٣١ مليون دولار، فالجزائر بمبلغ ٢٥٧٥٧ مليون دولار .

٤ - أصغر الدول المدينة هي المالديف بمبلغ ١١٥ مليون دولار، ثم جزر القمر بمبلغ ١٨٤ مليون دولار .

٥ - يلاحظ أن بعض الدول النفطية مدينة مثل : الجزائر ونيجيريا وإيران وأندونيسيا، والجابون، وذلك يرجع لظروف طارئة غير عادية، مثل : الحروب أو التنمية الطموحة أو مشكلات التصدير والإنتاج . عموماً فإن وجود دول منتجة ومصدره للنفط ومدينة، يعد ظاهرة غير طبيعية .

٦ - إجمالي خدمة الدين لـ ٣٣ دولة يبلغ ٤٩١٢٨ مليون دولار أمريكي، أي بمتوسط يبلغ ٤, ١٤٩١ مليون دولار لكل دولة .

٧ - أكبر دولة لها نصيب في خدمة الدين هي : أندونيسيا بمقدار ١٣٢٩٨ مليون دولار، تليها الجزائر بمبلغ ٩١٤٦ مليون دولار، فتركيا بمبلغ ٨٦٠٠ مليون دولار أمريكي .

٨ - متوسط مجموع الديون الخارجية كنسبة مئوية من صادرات السلع والخدمات هي ٣٨٠,٢ ٪، وأكبر نسبة لأوغندا (١٢٢٧ ٪)، ثم غينيا بيساو (١٩٢١,٣ ٪)، ثم سيراليون (٨٣٩,٨ ٪)، ومالي (٦١٩,٨ ٪)، بينما أقل نسبة للمليزيا (٤٣,٨ ٪)، والمالديف (٥٢,٢ ٪)، ثم لبنان (٦٥,٣ ٪) .

٩ - يبلغ متوسط مجموع الدين الخارجي كنسبة من إجمالي الناتج الوطني ٨٦,٩ ٪، وأن أكبر نسبة من نصيب غينيا بيساو (٢٩٢ ٪)، وموريتانيا (٢٤٥,١ ٪)، وسيراليون (٢١٨,٨ ٪)، والأردن (١٤٢,٩ ٪)، والجايبون (١١٠,٢ ٪)، وأقل نسبة للبنان (١٦,٩ ٪) .

١٠ - يبلغ متوسط مدفوعات الفائدة كنسبة مئوية من صادرات السلع والخدمات ٦,٥٥ ٪، وكانت أكبر نسبة لأوغندا (٢١,٦ ٪)، والجزائر (١٥ ٪)، والمغرب (١٢,٥ ٪)، وتركيا (١٣,١ ٪)، وأقل نسبة لجيبوتي (١,٢ ٪)، وجزر القمر (١,٢ ٪)، والمالديف (١,٢ ٪)، واليمن (٢,٦ ٪) .

١١ - يبلغ متوسط مجموع خدمة الدين كنسبة مئوية من صادرات السلع والخدمات ١٩,٢ ٪، وكانت أكبر نسبة لآندونيسيا (١٢١,٣ ٪)، فالجزائر (٧٦,٩ ٪)، وأقل نسبة للمالديف (٣,٨ ٪)، وجيبوتي (١,٢ ٪)، وسوريا (٥,٣ ٪)، وجزر القمر (٥,٩ ٪) .

من هذا المنطق يتضح لنا أن الدول الإسلامية النفطية لديها الكثير من الفوائض المالية، وأنها ذات قدرة محدودة على استيعابها، كما أن النفط هو المصدر الرئيس لهذه الأموال، وأن الدول الإسلامية غير النفطية لديها عجز دائم ومستمر في موازين مدفوعاتها وموازينها التجارية ولكن لديها من الإمكانيات ما يجعلها قادرة على استيعاب فوائض الأموال الإسلامية، كما وضح لنا أن بعض الدول الإسلامية تحصل على عوائد مالية من تحويلات المواطنين العاملين في الخارج، حيث إن الدول المصدرة للعمالة الإسلامية هي الدول الفقيرة، والدول المستوردة للعمالة هي الدول

النفطية ذات الفوائض المالية. كما يتبين لنا أن نصيب الفرد من الناتج الوطني منخفض لكل الدول الإسلامية عدا الدول النفطية الإسلامية. أما بالنسبة لديون العالم الإسلامي، فنجد أن كل الدول الإسلامية مدينة، عدا الدول النفطية (وإن كان يستثنى من ذلك عدد قليل منها) .

لهذا فإننا نرى أن من صالح العالم الإسلامي أن يتم استغلال الفوائض المالية الخاصة بالدول النفطية داخل الدول الإسلامية، وذلك من أجل إجراء تنمية اقتصادية في إطار التكامل الاقتصادي ولضمان عدم تعرض هذه الأموال للمخاطر لدى الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، ويوم الاثنين الأسود ليس ببعيد، حيث حدث انهيار في البورصة (يوم الاثنين الموافق ١٩ / ١٠ / ١٩٨٧ م)، ونتج عنه خسائر للأسهم تقدر بحوالي ٥٠٠ مليار دولار، وقدر نصيب الدول العربية منها بحوالي ٦٠ مليار دولار . كذلك تحملت بعض الدول العربية خسائر كبيرة في انهيار بنك الاعتماد والتجارة الدولي في أواخر عام ١٩٩١م (الخضراوي، ١٩٨٨م ٣٧).

إن انسياب رؤوس الأموال الإسلامية داخل الوطن الإسلامي فيه الكثير من الفوائد الاقتصادية والاجتماعية والتنموية لهذه البلاد، حيث إن بعض الدول الإسلامية لديها إمكانات كبيرة في مجال الاستثمار في الزراعة، والبعض الآخر لديه إمكانات الاستثمار في مجال الصناعة، ولا ينقص هذه الدول الإسلامية سوى رؤوس الأموال اللازمة لتمويل هذه القطاعات الرئيسة من أجل التنمية والنمو، ومن ثم فإن في انسياب هذه الفوائض من الدول ذات الفائض للدول ذات العجز والاستعانة بالعمالة اللازمة لاستثمار هذه الإمكانيات من دولة أخرى، فهو الواقع الحقيقي لقيام تكامل اقتصادي بين الدول الإسلامية، ومن ثم نحد من العجز الدائم والمستمر في موارد المدفوعات للدول الإسلامية، وكذلك نحد من ازدياد الديون وإمكانية تسديدها، حيث سيرتفع الناتج الوطني للدول الإسلامية ومن ثم يرتفع الدخل الفردي للمواطنين في العالم الإسلامي .

خامساً : الموارد الأخرى :

١ - الزراعة :

تعتمد معظم الدول النامية - ومنها الدول الإسلامية - أساساً على إنتاج القطاع الزراعي، ويعرقل تخلف هذا القطاع سير التنمية في القطاعات الأخرى ويهدد سلامة النشاط الاقتصادي العام، لذا احتلت خطط التنمية في القطاع الزراعي مكان الصدارة في خطط التنمية الشاملة في البلاد النامية بخاصة بعد ظهور مشكلة تزايد السكان وتفاقم مشكلة نقص الغذاء وزيادة الطلب على المواد الأولية الزراعية، بالإضافة إلى التصنيع في البلاد النامية يعتمد أساساً على المنتج والخامات الزراعية .

والواقع أن هناك ارتباطاً كبيراً بين التنمية الزراعية والتنمية الصناعية وأن تطور كل منها شرط أساس لنجاح وتطور الآخر، حيث إن في تطور الصناعة فائدة تعود على تطور الزراعة بتزويدها بالمعادن والآلات ومستلزمات الإنتاج، كالجراوات والأسمدة والمبيدات الحشرية، بجانب تصنيع المنتجات الزراعية وامتصاص العمالة الزراعية الزائدة عن الحاجة والتي تمثل نسبة كبيرة من البطالة المقنعة والموسمية .

كما أن تنمية القطاع الزراعي تعود بالفائدة على القطاع الصناعي من ناحية توفير الخامات والمواد الأولية للتصنيع، وكذا المواد الغذائية اللازمة للسكان والعاملين بقطاع الصناعة، وتوفير العملات الحرة اللازمة لاستيراد المواد الغذائية من الخارج .

ويواجه الكثير من البلاد صعوبات كبيرة لتحقيق التنمية الزراعية الشاملة، لاعتمادها على مواردها الذاتية وعدم توافر إطار تكاملي مع دول أخرى يمكن معه تحقيق معدلات عالية من النمو في هذا المجال .

تباين الإمكانيات الزراعية :

من الملاحظ أن البلاد الإسلامية تتباين لديها الإمكانيات الزراعية، فمعظم الدول الإسلامية النفطية تفتقر إلى هذه الإمكانيات، على عكس بعض الدول غير

النفطية والتي تتوافر لديها الإمكانيات الزراعية . لكن إذا نظرنا للأمة الإسلامية ككل نجدها ذات وفرة للموارد الطبيعية المختلفة، مما يسهل عملية التخصص في العمل بينها، وذلك في حالة ما إذا قامت بإجراء تكامل اقتصادي وقطعت فيه شوطاً كبيراً، حيث تستطيع هذه الأمة أن تخطو قدماً نحو التنمية الاقتصادية الكاملة باستغلال المميزات النسبية لكل دولة .

كما تتوافر لدى بعض الدول الإسلامية مساحات من الأراضي القابلة للزراعة ولم تستغل بعد، وتبلغ مساحتها حوالي ٨٠ مليون هكتار، وهي تمثل ٨٥,٤ ٪ من جملة المساحة الصالحة للزراعة في هذه البلاد .

القيمة المضافة في الزراعة :

بلغت جملة القيمة المضافة في الزراعة لدى الدول الإسلامية عام ١٩٩٣م حوالي ١٥١٠٧٤ مليون دولار أمريكي، أي بمتوسط حوالي ٤٥٧٨ مليون دولار للدولة الواحدة، وبذلك ارتفعت القيمة المضافة عن عام ١٩٨٠م بحوالي ١٥ ٪ حيث كانت عندئذٍ ١١٦٧٢٨ مليون دولار^(٢٥) .

وتبين أن هناك مفارقات كبيرة بين الدول الإسلامية في القيمة المضافة في الزراعة، حيث إن أربع دول منها وهي : أندونيسيا وإيران وتركيا ونيجيريا تبلغ القيمة المضافة لها عام ١٩٩٣م حوالي ٥٧,٥ ٪ من جملة القيمة المضافة للدول الإسلامية سالفه الذكر، وإذا ما أضيفت لها أربع دول أخرى وهي : بنجلاديش ومصر والجزائر وماليزيا، فإن القيمة المضافة للدول الثمانية تبلغ ٧٣,٧ ٪ من جملة القيمة المضافة للدول الإسلامية، وهذا يدل على انخفاض القيمة المضافة لباقي الدول الإسلامية، ومنها دول حققت انخفاضاً كبيراً، كغامبيا التي حققت ٨٣ مليون دولار وغينيا بيساو ١٠٨ مليون دولار، والكويت ١١٠ مليون دولار، وعمان ٣٧٤ مليون دولار والجابون ٤٤٧ مليون دولار، ومن المعروف أن الدول الثلاث الأخيرة هي من الدول المنتجة والمصدرة للنفط (الجدول رقم ٧، والشكل رقم ٧) .

(جدول رقم ٧) : القيمة المضافة في الزراعة « بملايين الدولارات »

المصدر : البنك الدولي : مؤشرات اقتصادية ، ١٩٩٥ م .

١٩٨٠م	١٩٩٣م	الدولة / السنة	١٩٨٠م	١٩٩٣م	الدولة / السنة
٠٠	٢٥١١	اليمن	٢٠٣٠	١١٦٨	ترابيا
١٨٧٠١	٢٧١٨٩	أندونيسيا	٢٦١٧	٣٤٧٦	أثيوبيا
٥٦٨	١١٢٦	السنغال	٣٣٤	٠٠	سيراليون
٢٠٨٩	٣١٧٠	الكامرون	٨٩٢	١٥٩٩	أوغندا
٣٤٦٨	٣٨٠٩	المغرب	٣٨٨	٤٩٤	تشاد
٠٠	٣٥٣	الأردن	٦٤٢٩	٧٣٠٦	سجلاديش
١٢٣٥	٢٢٨٧	تونس	٤٧	١٠٨	غينيا بيساو
٣٤٥٣	٥٣٦٦	الجزائر	٩٥١	١١٢٨	مالي
١٢١٦٥	٢٣٦٠٩	تركيا	١٠٨٠	٨٥٥	البحر
١٦٦٦٨	٢٥٦٥٣	إيران	٥٤٨	٠٠	بوركينافاسو
٥٣٦٥	٠٠	ماليبيا	٢٤٦٧٣	١٠٥٠٥	نيجريا
١٥٢	٣٧٤	عمان	٦٤	٨٣	غامبيا
٢٨٩	٤٤٧	الجانون	٤٩٨	٧٦٠	سن
١٦٧٥	٠٠	السعودية	٦٢٧٩	١١٥٠٠	باكستان
٥٢	١١٠	الكويت	٠٠	٧٥٩	غينيا
٢٢٣	٧٧٣	الإمارات	٢٠٢	٢٣٨	موريتانيا
			٣٩٩٣	٦٣٩٦	مصر

المصدر : البنك الدولي ، مؤشرات اقتصادية ، ١٩٩٥ م



شكل (٧) القيمة المضافة في الزراعة لعام ٢١٩٩٣

المصدر: البنك الدولي - ٢١٩٩٥

كما لوحظ أن هناك دولتين انخفضت القيمة المضافة لهما في الزراعة عام ١٩٩٣م عن ما كانت عليه عام ١٩٨٠م، وهما نيجيريا والنيجر حيث كانت في حوالي ٢٤٦٧٣ مليون دولار عام ١٩٨٠م، وانخفضت إلى ١٠٥٠٥ مليون دولار عام ١٩٩٣م، وبذلك بلغت نسبة الانخفاض حوالي ٥٧,٤ ٪، وذلك للأحداث السياسية والاضطرابات الداخلية التي شهدتها، وكذلك في النيجر حيث كانت عام ١٩٨٠م حوالي ١٠٨٠ مليون دولار وأصبحت عام ١٩٩٣م حوالي ٨٥٥ مليون دولار، أي انخفضت القيمة المضافة بحوالي ٢٠,٨ ٪، وهذا مؤشر سلبي .

ومما سبق يتضح لنا أن الدول الإسلامية لديها مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية الصالحة للزراعة ولكن لا يتم زراعتها بالكامل . أما الأراضي التي يتم زراعتها فإنها تزرع بالطرق البدائية، ومن ثم فإن الناتج العام لها منخفض رغم أن معظم سكان هذه الدول يعملون بالزراعة .

معدل مساهمة الزراعة في الناتج المحلي الإجمالي :

بلغ إجمالي الناتج المحلي الإجمالي للدول الإسلامية عام ١٩٩٣م حوالي ٩٤٥٧٩٥ دولار (٢٦)، ويبلغ متوسط الناتج المحلي الإجمالي على متوسط الدولة الواحدة حوالي ٤٥,٢٨٦٦٠ مليون دولار، ويلاحظ أن هناك مفارقات كبيرة بين الدول الإسلامية في الناتج المحلي الإجمالي، البعض منها حقق نتائج كبيرة، مثل تركيا حيث بلغ الناتج المحلي الإجمالي لها حوالي ١٥٦٤١٣ مليون دولار، يليها أندونيسيا حوالي ١٤٤٧٠٧ مليون دولار، ثم السعودية حوالي ١٢١٥٣٠ مليون دولار، ثم إيران حوالي ١٠٧٣٣٥ مليون دولار، بينما توجد دول إسلامية أخرى لم تحقق إلا القليل، مثل : غينيا بيساو ٢٤١ مليون دولار وناميبيا ٣٠٣ مليون دولار وسيراليون ٦٦٠ مليون دولار (الجدول رقم ٨ ، والشكل رقم ٨) .

أما عن قطاع الزراعة، فقد حقق على مستوى الدول الإسلامية حوالي ٢٧,١ ٪ من الناتج المحلي الإجمالي عام ١٩٩٣م، وهذه نسبة قليلة وظاهرة غير

صحية إذا ما علمنا بأن الدول الإسلامية دول زراعية، وتعتمد على الزراعة في إنتاجها الوطني، وأن معظم سكانها يعملون بالزراعة، حيث تصل نسبة العاملين في الزراعة أكثر من نصف تعداد السكان في بعض هذه الدول .

كما يلاحظ أن بعض الدول الإسلامية قد ساهم قطاع الزراعة لديها بنسب ضئيلة في الناتج المحلي الإجمالي عام ١٩٩٣م، كالإمارات ٢٪، وعمان حوالي ٣٪، والأردن والجايبون ٨٪، بل أن الكويت لم يساهم قطاع الزراعة فيها بشيء يذكر في ذلك العام .

(جدول رقم ٨) : نصيب الزراعة من توزيع الناتج المحلي الإجمالي

(%) عام ١٩٩٣م في بعض الدول الإسلامية

نصيب الزراعة (%)	الناتج المحلي (علايير الدولارات)	الدولة	نصيب الزراعة (%)	الناتج المحلي (علايير الدولارات)	الدولة
٢١	١١٩٥٨	البحرين	٥٦	٢٠٨٦	تنزانيا
١٩	١٤٤٧٠٧	أندونيسيا	٦٠	٥٧٥٠	أثيوبيا
٢٠	٥٧٧٠	السنگال	٣٨	٦٦٠	سيراليون
٢٩	١١٠٨٢	الكامرون	٥٢	٣٠٣٧	أوغندا
١٤	٢٦٦٣٥	المغرب	٤٤	١١٣٣	تشاد
٨	٤٤٤١	الأردن	٢٠	٢٣٩٧٧	سحلادش
١٨	١٢٧٨٤	تونس	٤٥	٢٤١	مبابيساو
١٣	٣٩٨٣٦	الجزائر	٤٢	٢٦٦٢	مالي
١٥	١٥٦٤١٣	تركيا	٣٩	٢٢٢٠	البيجر
٢٤	١٠٧٣٣٥	إيران	٤٢	٢٦٩٨	بوركينافاسو
٢٩	٦٤٤٥٠	ماليزيا	٣٤	٣١٣٤٤	نيجريا
٣	١١٦٨٦	عمان	٢٨	٣٠٣	غامبيا
٨	٥٤١٠	الجايبون	٣٦	٢١٢٥	بنين
٤	١٢١٥٣٠	السعودية	٢٥	٤٦٣٦٠	باكستان
صفر	٢٢٤٠٢	الكويت	٢٤	٣١٧٢	غينيا
٢	٣٤٩٣٥	الإمارات	٢٨	٨٥٩	موريتانيا
			١٨	٣٥٧٨٤	مصر

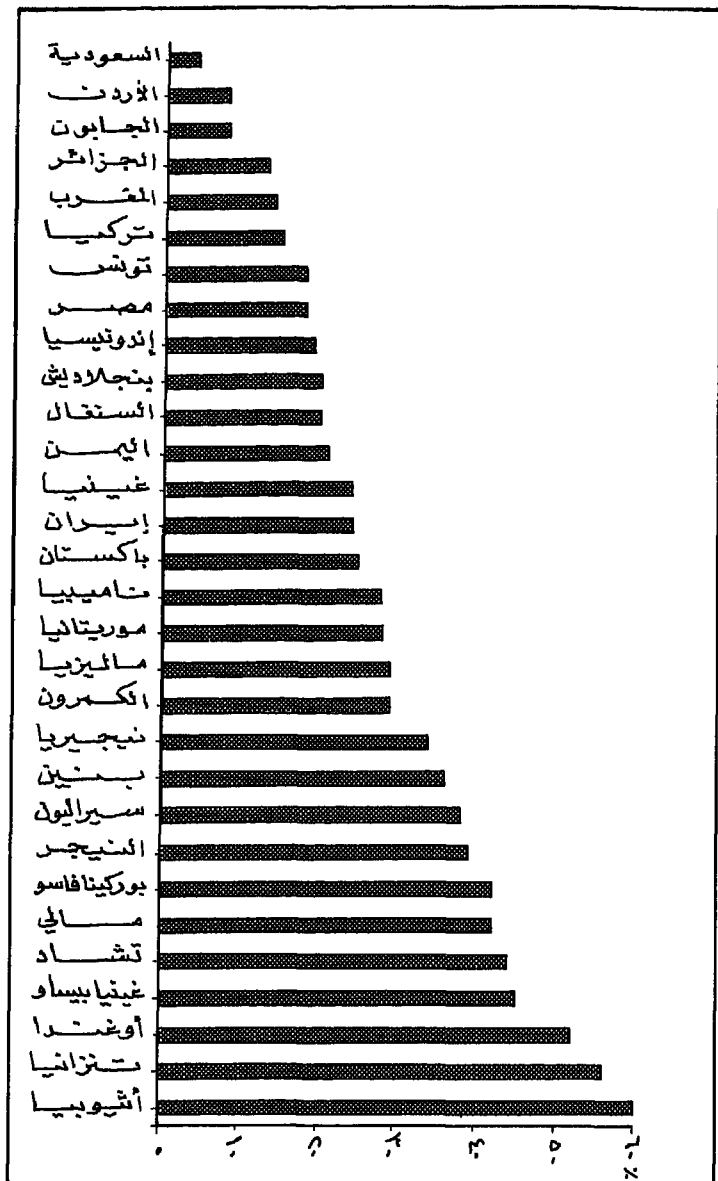
المصدر : تقرير البنك الدولي، ١٩٩٥م، ص : ٢١٨-٢١٩.

الإحصائية خاصة بعام ١٩٩٣م عدا ثلاث دول عام ١٩٧٠م وهي : بوركينافاسو وماليزيا والسعودية .

شكل (٨) نصيب الزراعة من توزيع الناتج المحلي الإجمالي للدول الإسلامية (نسبة مئوية)

سنة ١٩٩٣ م

المصدر: البنك الدولي - ١٩٩٥ م



ويلاحظ أن هذه الدول الأخيرة نفطية (عدا الأردن)، ومن ثمّ تركّز اهتمامها على إنتاج وتصدير النفط .

وكما توجد دول ارتفعت فيها نسبة مساهمة قطاع الزراعة في الناتج المحلي الإجمالي إلى مستوى كبير، مثل إثيوبيا ٦٠٪، وتنزانيا ٥٦٪، وأوغندا ٥٣٪، وغينيا بيساو ٤٥٪، وتشاد ٤٤٪ . ويلاحظ أن هذه الدول هي من الدول الأقل دخلاً والأكثر فقراً في الدول الإسلامية، وأن تركيزها في الإنتاج ينصب على قطاع الزراعة بصفة أساسية، نظراً لعدم وجود نشاط آخر يعمل فيه المواطنون ولديهم الخبرة فيه مثل خبرتهم في قطاع الزراعة، ومن ثمّ نجد أن هناك بطالة مقنعة وموسمية بنسب كبيرة لدى هذه الدول . كما أن نصيب الفرد الواحد في هذه الدول من الناتج المحلي الإجمالي متدنٍ حيث يبلغ في إثيوبيا حوالي ١١٠,٧ دولاراً، وتنزانيا حوالي ٧٤٥ دولاراً وغينيا بيساو حوالي ٢٤١ دولاراً .

متوسط نصيب الفرد من الناتج الزراعي :

بلغ متوسط نصيب الفرد من الناتج الزراعي في الدول الإسلامية عام ١٩٩٤م حوالي ٢٨١ دولاراً . ويلاحظ أن هناك تفاوتاً كبيراً في متوسط نصيب الفرد من الناتج الزراعي، فنجد أن أعلى معدل للناتج الزراعي في العراق، حيث وصل نصيب الفرد عام ١٩٩٤م إلى حوالي ١٣٥٩ دولاراً، بينما أقل نصيب حصل عليه الفرد في العام نفسه في جيبوتي حيث وصل إلى حوالي ٢٢ دولاراً فقط . أما الدول التي يتراوح المتوسط لديها فوق ٢٠٠ دولار، فهي ليبيا والإمارات والسعودية وسوريا وتونس ولبنان والمغرب، أما باقي الدول الإسلامية فهي دون ذلك (جدول رقم ٩) .

العمالة الزراعية :

سكان الريف في بعض الدول الإسلامية يمثلون ٤٨٪ من مجموع السكان، حيث يعتمد معظمهم على الزراعة كمورد رزق أساس . وقد بلغت جملة العمالة الزراعية في هذه الدول حوالي ٣٦٪ من القوى العاملة الكلية عام ١٩٩٣م، وذلك بانخفاض ٢٪ عن عام ١٩٩٠م، وذلك يرجع للهجرة من الريف للمدن وانخفاض أجور العمل في الزراعة، بالإضافة إلى هجرة الكثير منهم للعمل لدى الدول الأخرى . وقد ارتفعت هذه النسبة لدى بعض الدول الإسلامية، حيث بلغت ٣٪ في العراق ولبنان عام ١٩٩٣م مقارنة بعام ١٩٩٠م، وكذلك ارتفعت بنسبة ٢٪ في المغرب وتونس ومصر واليمن .

ويشغل عمال الزراعة نسبة كبيرة من إجمالي العمالة في القطاعات الاقتصادية الأخرى، ويختلف ذلك من دولة لأخرى، وتواصل هذه النسبة الارتفاع حتى تصل إلى ثلثي القوى العاملة في موريتانيا والصومال، بينما يمثلون نصف القوى العاملة في اليمن والسودان، وحوالي ٣٩٪ في مصر، ٣٧٪ في السعودية، ٣٤٪ في المغرب، ١٨٪ في العراق . ولاتتجاوز هذه النسبة ٣٪ في الدول الإسلامية ذات الإمكانيات الزراعية المحدودة، مثل الإمارات والبحرين والكويت وقطر (البنك الدولي، ١٩٩٥م : ٢٢٣) .

الفجوة الغذائية :

يلاحظ أن الإنتاج والاستهلاك من القمح والأرز والذرة والشعير في بعض البلاد الإسلامية يحقق عجزاً كبيراً في الإنتاج عن معدل الاستهلاك، وقد أدى ذلك إلى وجود فجوة غذائية في معظم هذه السلع بلغت قيمتها في المتوسط حوالي ١٢,٥ مليار دولار خلال الفترة ١٩٨٥ - ١٩٩٠م . وتقدر قيمة تلك الفجوة عام ١٩٩٣م بحوالي ١١ مليار دولار . ويتتج عن ذلك زيادة العبء على موازين المدفوعات لمعظم الدول الإسلامية، وبخاصة الدول ذات الدخل المنخفض والتي تضطر أحياناً لتخصيص جزء كبير من أرصدها بالعملة الأجنبية لاستيراد تلك السلع على حساب مشروعات التنمية والاستثمار الوطني .

(جدول رقم ٩) : متوسط نصيب الفرد من الناتج الزراعي

نصيب الفرد من الناتج الزراعي بالدولار ١٩٩٤م	الناتج الزراعي (مليون دولار)			الدولة
	سنة التعبير ٩٣ - ٩٤	١٩٩٤م	١٩٩٣م	
٢٨١	٦١	٦٨٨٨٥	٦٤٩٤٢	نصيب الدول الإسلامية
١٠١	٤٣	٤١٢	٣٩٥	الأردن
٣٨٨	٧٨	٩٢٧	٨٦	الإمارات
٨٨		٤٩	٤٩	البحرين
٢٥٢	٤ ر	٢١٩٦	٢٢٨٧	تونس
١٤٨	٢٥٣-	٤٠٤٥	٥٤١٤	الجزائر
٢٢	٠ر٠	١٢	١٢	حيتوتي
٤٧٣	٤٦	٨٤٤١	٨٠٧٠	السعودية
٧١	٧٨	٢٠٦٢	١٩١٣	السودان
٣١٥	٦٣	٤٣٥١	٤٠٩٣	سوريا
--	--	--	--	الصومال
١٣٥٩	٦٣	٢٧٠٤٧	٢٥٤٣٧	العراق
١٧٩	٠ر٠	٣٧٤	٣٧٤	عمان
--	--	--	--	فلسطين
--	٢٦-	٧٩	٧٧	قطر
٤٩	٧٥	٧٢	٦٧	الكويت
٢٢٦	٣٤٧	٦٦٠	٤٩٠	لبنان
٥٥٨	٢٦	٢٧٣٥	٢٨٩	ليبيا
١٤٥	١٢٦	٨٣٧٧	٧٤٣٩	مصر
٢٢٨	٤٩٩	٦٠٥٥	٤٣٩	المغرب
١٠٨	٨١	٢٤٠	٢٢٢	موريتانيا
٥٦	١٦١	٧٥٠	٨٩٤	اليمن

المصدر : البنك الدولي ، ١٩٩٥م .

(-) = غير متوافر .

وترجع هذه الظاهرة لعدة عوامل، منها انخفاض إنتاجية المحاصيل بعامه والحبوب بصفة خاصة عن حاجة الاستهلاك، والزيادة المضطردة في السكان مما يضطر هذه الدول إلى الاستيراد من الدول الأجنبية وذلك رغم أنها دول زراعية. كذلك نلاحظ أن بعض الدول الإسلامية مازالت بدائية في عملية الزراعة ولم يحدث أن تمت ميكنة الزراعة في الدول الإسلامية بالكامل حتى الآن، ولم تدخل التكنولوجيا والهندسة الوراثية في الزراعة حتى الآن إلا بنسب بسيطة، وبذلك نجد أن هناك مجالات واسعة لدى الدول الإسلامية للارتقاء بمستوى إنتاجية المحاصيل الزراعية بوجه عام، وذلك بإدخال بعض التحسينات الفنية على أساليب الإنتاج الزراعي وتحسين الأراضي الضعيفة والاهتمام بمشروعات الري والصرف واستخدام الأساليب العلمية الحديثة .

ولذلك نجد أن الصادرات الزراعية لبعض الدول الإسلامية قد انخفضت عام ١٩٩٣م بنسبة ٢ ٪ تقريباً عن العام السابق، حيث بلغت حوالي ٥,٢ مليارات دولار، وذلك يرجع لانخفاض أسعار السلع الغذائية في الأسواق العالمية، والقيود الجمركية التي تفرض على السلع المستوردة، والمنافسة العالمية لصادرات الدول الإسلامية، وتعامل التكتلات الدولية مع بعض الدول دون البعض الآخر، وعدم التنسيق بين الدول الإسلامية في عمليات التصدير مما يحدث تنافساً بينها في الأسواق العالمية، كذلك عدم إتقان عملية التغليف والتجهيز النهائي للمنتج وحسن دراسة الأسواق العالمية، وعدم رفع الكفاءة الإنتاجية للسلع المصدرة ومن ثم عدم ارتفاع جودتها .

ومن ناحية أخرى، ارتفعت قيمة الواردات الزراعية لدى بعض الدول الإسلامية خلال عام ١٩٩٣م بنسبة ٤,١ ٪ وبلغت مليار دولار ولهذا سجل الميزان التجاري الزراعي لهذه الدول تراجعاً ملحوظاً خلال عام ١٩٩٣م، حيث ارتفع العجز بمعدل ٣,٢ ٪ ليلغ ماقيمته ١,١٩ مليار دولار، حيث أن الصادرات لا تمثل سوى ٢١ ٪ من قيمة الواردات، باستثناء موريتانيا والسودان، ولم تحقق أي دولة إسلامية فائضاً في ميزانها التجاري للسلع الزراعية خلال ذلك العام .

وتتميز الدول الإسلامية بتوافر المواد الخام اللازم لإقامة صناعات الآلات الزراعية كالجرارات وآلات الحرث والري والحصاد، كما تتوافر لديها المواد الأولية التي تدخل في تصنيع مستلزمات الإنتاج الزراعي، كالأسمدة والمبيدات الحشرية، إلا أن حاجة الدول الإسلامية أكبر مما هو متوافر لديها الآن، ومن ثمّ تعمل على استيراد كميات كبيرة من المدخلات الصناعية وكذا الأسمدة والمبيدات .

٢ - الصناعة :

إن اقتصاد الدول الإسلامية في مجموعه اقتصاد متخلف أو نام، ويتمثل ذلك في الارتفاع الكبير في نسبة المشتغلين بالأنشطة الأولية كالزراعة، وفي الانخفاض الكبير في نسبة المشتغلين بالنشاط الصناعي، بخاصة في مجال الصناعات التحويلية فضلاً عن انخفاض الكفاية الإنتاجية وبدائية الأدوات المستخدمة في الإنتاج مع انتشار الأمية .

سياسة إحلال الواردات :

لقد قطعت الدول الإسلامية شوطاً كبيراً في التصنيع في ظل استراتيجية إحلال الواردات، غير أن سياسة إحلال الواردات سرعان ما كشفت عن بعض الجوانب السلبية التي تمثل في تضاعف فرص التنمية الصناعية لصغر حجم الأسواق المحلية، ومعالجة مشكلة البطالة الهيكلية وتخفيض درجة اعتماد الدول الإسلامية على العالم الخارجي وتصدير واستيراد أو توفير فرص الاستثمار المنتج المضمون لدول الفائض .

ولقد سارت الصناعة في الدول الإسلامية على أساس سد الحاجات المحلية المتزايدة وإحلال الواردات، فقامت وحدات إنتاجية صغيرة الحجم في الفنون الإنتاجية، مستخدمة الأيدي العاملة غير الفنية والتي تعمل بالأساليب العقيمة في الإنتاج .

ونظراً لضعف القدرة الشرائية لغالبية المستهلكين المحليين، بالإضافة إلى ضيق وصغر حجم السوق، فقد أدى ذلك إلى تشغيل الصناعات بأقل من طاقتها الاقتصادية حتى ارتفعت نسبة الطاقات العاطلة في معظم البلدان الإسلامية ما بين ٢٥ ٪ ، وبلغت ٥٠ ٪ لعدد قليل من البلاد الإسلامية، بينما لم تستطيع الدول النفطية تطوير قطاع محلي للصناعة التحويلية، وذلك لاعتمادها على فائض عوائد النفط في سد حاجتها المتزايدة بالاستيراد من الخارج، أو بسبب ضعف الطاقات الاستيعابية والتي تقف حائلاً أمام قيام صناعة تحويلية ناجحة .

قيمة مساهمة الصناعة في الناتج المحلي الإجمالي :

يتكوّن القطاع الصناعي لدى الدول الإسلامية من الصناعة الاستخراجية - وهي عنصر رئيس بخاصة للدول النفطية - والصناعة التحويلية . وعادة مايتأثر نشاط القطاع الصناعي بشكل كبير بأي تغيرات تحدث في الصناعة الاستراتيجية، بخاصة النفط والغاز الطبيعي، حيث إنهما يساهمان بقدر كبير في ناتج القطاع الصناعي .

وقد ساهمت الصناعة بنسبة ٢٨,٣ ٪ من قيمة الناتج المحلي الإجمالي للدول الإسلامية عام ١٩٩٣م، وكانت الدول التي ساهمت الصناعة فيها بأكبر نسبة في الناتج المحلي الإجمالي هي (٢٧) :

الإمارات ٥٧ ٪، الكويت ٥٥ ٪ ، السعودية ٦٩ ٪ (عام ١٩٧٠م)،
عُمان ٥٣ ٪، الجابون ٤٥ ٪ ، والجزائر ٤٣ ٪ .

ويلاحظ أن جميعها من الدول الإسلامية المصدرة للنفط .

أما الدول التي ساهمت الصناعة فيها بأقل نسبة في الناتج المحلي

الإجمالي فهي :

أثيوبيا ١٠ ٪ ، وأوغندا ١٢ ٪ ، بنين ١٣ ٪ ،
تنزانيا ١٤ ٪ ، مالي ١٥ ٪ ، وناميبيا ١٥ ٪ .

وهي من الدول المنخفضة الدخل والتي يتركز معظم نشاطها على القطاع الزراعي .

أما الصناعة التحويلية فقد ساهمت بنسبة ١١ ٪ من الناتج الوطني الإجمالي عام ١٩٩٣م وذلك للدول الإسلامية . وبذلك نجد أن مجموع نشاط القطاع الصناعي قد حصل على نسبة حوالي ٣٩ ٪ من الناتج المحلي الإجمالي للدول الإسلامية عام ١٩٩٣م . وهذه ظاهرة غير صحيحة، نظراً لأن قطاع الصناعة الاستخراجية يستحوذ على أكبر نسبة من قطاع الصناعة، والتي تتركز أساساً لدى الدول النفطية (الجدول رقم ١٠، والشكل رقم ٩) .

القيمة المضافة للصناعة التحويلية للدول الإسلامية عام ١٩٩٢م :

بلغ إجمالي القيمة المضافة للصناعة التحويلية للدول الإسلامية (عددها ٤١ دولة) عام ١٩٩٢م حوالي ١٢١١٩٥ مليون دولار أمريكي، أي بمتوسط حوالي ٢٩٥٦ على مستوى الدول الإسلامية (البنك الدولي، ١٩٩٥م : ٢٢٤ - ٢٢٥) . وهذه الدول قد حققت طفرة كبيرة في قطاع الصناعة التحويلية عام ١٩٩٣م بلغت حوالي عشرة أمثال القيمة المضافة التي كانت عليه عام ١٩٧٠م، بل إن هناك بعض الدول حدث فيها تقدم كبير بنسب كبيرة ومنها أندونيسيا، حيث زادت القيمة المضافة لها عام ١٩٩٢م بحوالي عشرين مرة عن عام ١٩٧٠م، وكذا الحال بالنسبة لتركيا، وكذلك بالنسبة لعمان، حيث بلغت القيمة المضافة لها عام ١٩٩٢م حوالي ٤٩٥ مليون دولار بينما كانت عام ١٩٧٠م صفراً .

ويلاحظ أيضاً أن هناك سبع دول استحوذت على ٧٩,٦ ٪ من القيمة المضافة للدول الإسلامية عام ١٩٩٢م، وهي :

أندونيسيا ٢٧٨٥٢ مليون دولار أمريكي ، تركيا ٢٧٤٦٥ مليون دولار أمريكي ،
إيران ١٥٣٦٣ مليون دولار أمريكي ، باكستان ٧٥٣٨ مليون دولار أمريكي ،
العراق ٧٤٠١ مليون دولار أمريكي ، مصر ٥٧٤٧ مليون دولار أمريكي ،
والمغرب ٥١١٨ مليون دولار أمريكي .

وهذه الدول قد حدث فيها تقدم كبير في مجال الصناعة التحويلية .

أما أقل الدول مساهمة في الصناعة التحويلية فهي :

جيبوتي ١٨ مليون دولار أمريكي ، تشاد ١٩ مليون دولار أمريكي،

غامبيا ٢١ مليون دولار أمريكي ، سيراليون ٣٤ مليون دولار أمريكي

ولذلك نستطيع القول بأن هناك دولاً إسلامية لديها القدرة على الانطلاق في مجال الصناعة التحويلية وأنها لو ادخلت التكنولوجيا في مجال إنتاجها لنافست الدول الصناعية الأجنبية، حيث تتميز الدول الإسلامية بميزة نسبية، وهي انخفاض تكلفة أجور العمالة لديها (الجدول رقم ١١، والشكل رقم ١٠).

وتسم الصناعة التحويلية في معظم الدول الإسلامية بعدة خصائص، منها ضآلة رؤوس الأموال الموظفة في القطاع الصناعي، وقلة مساهمة الصناعة في حجم الإنتاج الإجمالي .

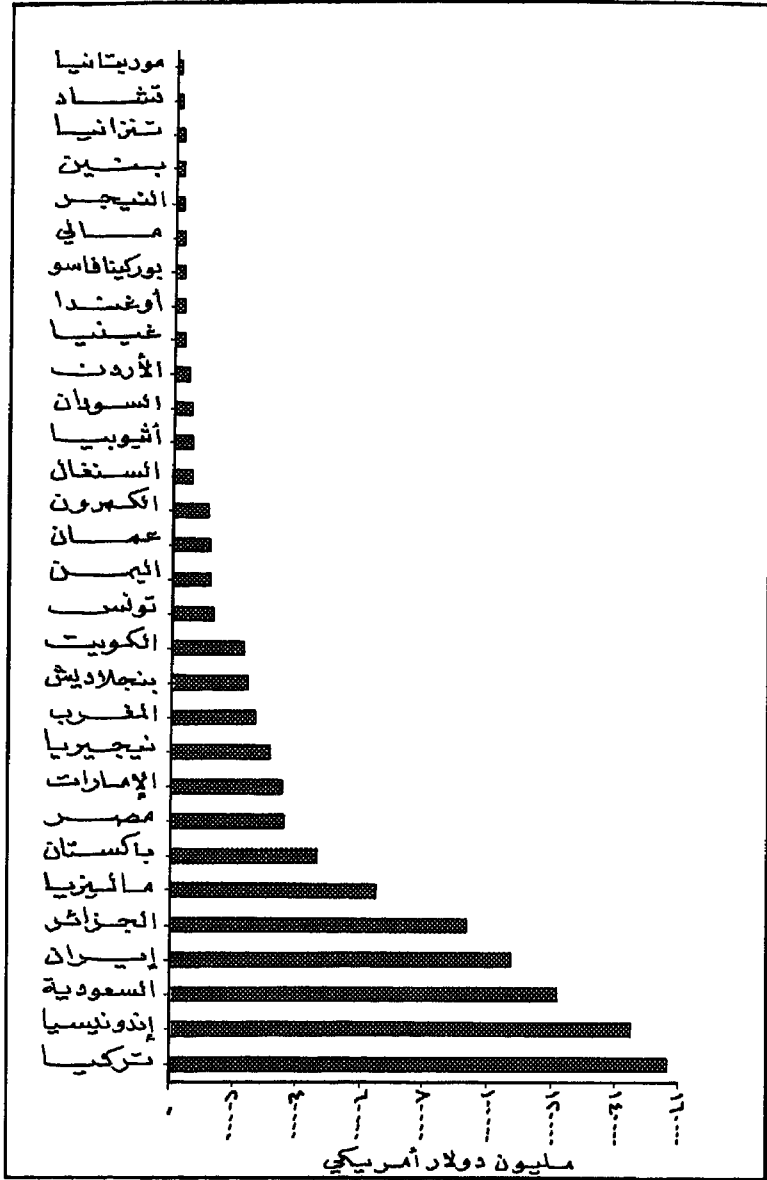
ومعظم المؤسسات الصناعية في الدول الإسلامية تعمل في إنتاج السلع الاستهلاكية والكمالية، وذلك يرجع إلى أنها تعمل لسد جزء من حاجة المستهلك المحلي . ويلاحظ انتشار هذه المؤسسات وبقاء مستوى الكثافة الإنتاجية محدوداً .

وصغر حجم بعض المؤسسات الصناعية القائمة والتي يبلغ متوسط عدد العاملين في كل مصنع حوالي ٥٠ عاملاً يؤدي إلى انخفاض إنتاجية العمل، بسبب انخفاض مستوى العاملين، وتخلف الأساليب والطرق الإنتاجية، وعدم استخدام التكنولوجيا الحديثة، وارتفاع تكلفة الإنتاج واعتماد بعض المؤسسات الصناعية على بعض المواد الخام أو السلع نصف المصنعة والمستوردة من الخارج، حيث يتم تصدير معظمها للخارج في حالتها الخام . كما يلاحظ تخلف مستوى الإدارة والتنظيم الصناعي والتخصص وتقسيم العمل والتمركز الإنتاجي، بالإضافة إلى تخلف مستوى التعليم والتدريب المهني والفني اللازم للعمال، وذلك لقلة المدارس الصناعية والمعاهد المتخصصة، وعدم وجود تنسيق أو ترابط بين التخطيط الاقتصادي والتخطيط التربوي والصناعة، وسوء استخدام الكوادر الفنية رغم قلتها .

(جدول رقم ١٠) : توزيع الناتج المحلي الإجمالي (%) « ١٩٩٣ م »

الدولة	الناتج المحلي الإجمالي (مليارات الدولارات)	الصناعة	الصناعة التحويلية
تنزانيا	٢٠٨٦	١٤	٥
ألبانيا	٥٧٥٠	١٠	٤
سيراليون	٦٦٠	١٦	٥
أوغندا	٣٠٣٧	١٢	٥
تشاد	١١٣٣	٢٢	١٦
ساحل العاج	٢٣٩٧٧	١٨	١٠
غينيا بيساو	٢٤١	١٩	٨
مالي	٢٦٦٢	١٥	٩
السيهر	٢٢٢٠	١٨	٧
بوركينافاسو	٢٦٩٨	١٤	١٤
بيجريا	٣١٣٤٤	٤٣	٧
ناميبيا	٣٠٣	١٥	٧
نيجر	٢١٢٥	١٣	٨
باكستان	٤٦٣٦٠	٢٥	١٧
عمبيا	٣١٧٢	٣١	٥
موريتانيا	٨٥٩	٣٠	١٢
مصر	٣٥٧٨٤	٢٢	١٦
البحرين	١١٩٥٨	٢٤	١١
إندونيسيا	١٤٤٧٠٧	٣٩	٢٢
السغال	٥٧٧٠	١٩	١٣
الكامرون	١١٠٨٢	٢٥	١١
المغرب	٢٦٦٣٥	٣٢	١٨
الأردن	٤٤٤١	٢٦	١٥
تونس	١٢٧٨٤	٣١	١٩
الجزائر	٩٣٨٣٦	٤٣	١١
تركيا	١٥٦٤١٣	٣٠	١٩
إيران	١٠٧٣٣٥	٢٩	١٤
ماليزيا	٦٤٤٥٠	٢٥	١٢
عمان	١١٦٨٦	٥٣	٤
القطر	٥٤٢٠	٤٥	١٢
السعودية	١٢١٥٣٠	٦٩	٩
الكويت	٢٢٤٠٢	٥٥	٩
الإمارات	٣٤٩٣٥	٥٧	٨

المصدر: البنك الدولي ١٩٩٥ م ، جدول (٣) ، ص : ٢١٨-٢١٩ - (إحصائية بوكاسوملزا والسعودية عام ١٩٩٧ م)



الشكل (٩) الناتج المحلى الاجمالي (عام ٢٠١٩٣)

المصدر: البنك الدولي - ٢٠١٩٥

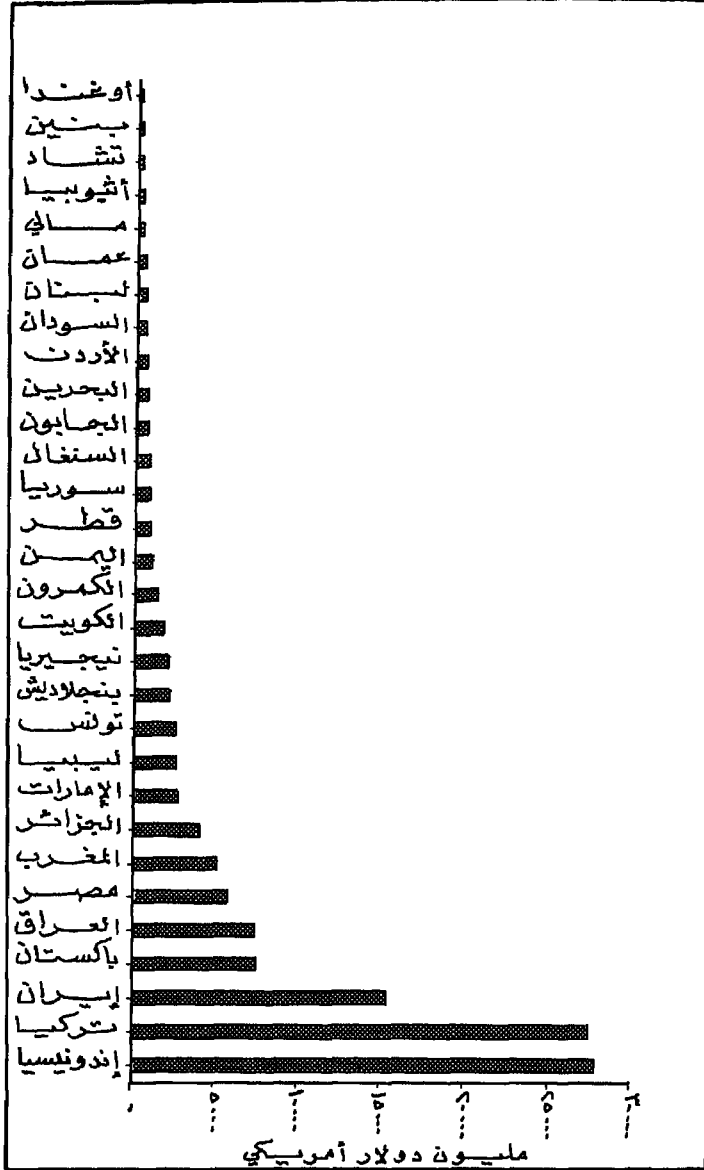
(جدول رقم ١١) : الصناعة التحويلية ١٩٩٢م

« القيمة المضافة » بلايين الدولارات

١٩٩٢م	١٩٧٠م	الدولة السنة	١٩٩٢م	١٩٧٠م	الدولة السنة
٥١١٨	٦٤١	المغرب	١٢١	١١٨	نمرايا
٥٩٨	٠٠	الأردن	٢١٠	٠٠	أنجوليا
٢٥٧٦	١٢١	تونس	٣٤	٢٢	سيراليون
٤٠١٠	٦٨٢	الجزائر	١٥٥	٠٠	أوغندا
٢٧٤٦٥	١٩٣٠	تركيا	١٩٨	٥١	تشاد
١٥٣٦٣	٠٠	إيران	٢١٦٤	٣٨٧	منغوليا
٠٠	٥٠٠	ماليزيا	١٩	١٧	غينيا بيساو
٤٩٥	٠	عمان	٢٢٤	٢٥	مالي
٦٥٣	٢٢	الكويت	١٥١	٢٠	البحرين
٠٠	٤٣٥	السعودية	٠٠	٤٧	بوركينافاسو
١٧٣١	١٢٠	الكويت	٢٠١٢	٤٢٦	نيجيريا
٢٧٠٨	٠٠	الإمارات	٢١	٢	غامبيا
٨٨٢		قطر	١٧٠	٣٨	بنين
٦٥٢		البحرين	٧٥٣٨	١٤٦٢	باكستان
٧٤٠١		العراق	١٣٥	٠٠	غينيا
٥٠٦		لبنان	١١٥	١٠	موريتانيا
٨٤١		سوريا	٥٧٤٧	٠٠	مصر
٥١٥		السودان	٩٧٧	٠٠	اليمن
١٨		جيبوتي	٢٧٨٥٤	٩٩٤	أندونيسيا
٢٦٢٥		ليبيا	٨٠٩	١٤١	السنغال
			١٣٨٤	١١٩	الكومور

المصدر : البنك الدولي ١٩٩٥م - ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

: للدول الثمانية الأخيرة - التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٩٥م ، ص ٢٣٤ .



شكل (١٠) هيكل التصناعات التصديرية (١٩٩٢م) - القيمة المضافة

المصدر: البنك السعودي - ١٩٩٥م

نصيب الفرد من الصناعة :

يلاحظ على الرغم من النمو في ناتج الصناعة، أن نصيب الفرد بالدول الإسلامية من هذا الناتج يعتبر ضئيلاً بالمقارنة بالدول الصناعية أو بعض الدول الساعية للنمو، وقد بلغ نصيب الفرد من ناتج الصناعة لدى بعض الدول الإسلامية كالاتي (جدول رقم ١٢) :

جدول رقم ١٢) متوسط نصيب الفرد من ناتج الصناعة في بعض الدول الإسلامية للفترة ١٩٨٠ - ١٩٩٤م « دولار للفرد »

السنة	١٩٨٥م	١٩٩٢م	١٩٩٣م	١٩٩٤م	البند
١	٥١٤	٤٣٥	٤٠١	٣٨٣	نصيب الفرد من ناتج الصناعة الاستخراجية
	١٦٣	٢١٢	٢٠٩	٢٢٠	نصيب الفرد من ناتج الصناعة التحويلية
١	٦٧٧	٦٤٧	٦١٠	٦٠٣	نصيب الفرد من الناتج الصناعي
١٦	٨٨٥٩	٩٥٣٧	٨٩٧٨	٨٩٥٦	انتاجية العامل الصناعي

المصدر : التقرير العربي الاقتصادي الموحد، ١٩٩٥م، ملحق ٣/٩١٣، ص : ٢٣٧ .

من الجدول السابق رقم (١٢) يتبين أن نصيب الفرد من ناتج الصناعة الاستخراجية عام ١٩٨٠م كان ١١٨٠ دولاراً . وذلك في فترة ازدهار الأسعار التصديرية للنفط، وقبل الانخفاض الحاد الذي لحق بالأسعار نتيجة لانخفاض الطلب .

تجد أن نصيب الفرد هبط هبوطاً كبيراً عام ١٩٨٥م وبلغ ٥١٤ دولاراً، أي انخفض بنسبة ٥٦,٤ ٪ عما كان عليه عام ١٩٨٠م . واستمر هذا الانخفاض في الأعوام ١٩٩٢م، ١٩٩٣م، ١٩٩٤م . وبذلك نجد أن نصيب الفرد عام ١٩٩٤م انخفض بنسبة ٦٧,٥ ٪ عما كان عليه عام ١٩٨٠م .

أما نصيب الفرد من ناتج الصناعة التحويلية، فإنه أصلاً متدنٍ للظروف التي تمر بها الدول الإسلامية وعدم دخولها في مجال الصناعة التحويلية إلا منذ سنوات قليلة، حيث كان التركيز على الصناعة الاستراتيجية والزراعة . ولكن بعد دخول بعض الدول الإسلامية في مجال التصنيع، بدأ نصيب الفرد من ناتج الصناعة يرتفع عاماً بعد عام، حيث بدأ عام ١٩٨٠م بحوالي ١٦٠ دولاراً وارتفع حتى بلغ ٢٢٠ دولاراً بنسبة زيادة ٣٧,٥ ٪ . ويرى البعض أن من أسباب الانخفاض بالدرجة الأولى عدم نمو القطاع الصناعي بمعدلات تفوق كثيراً معدل النمو السكاني المرتفع في كل الدول الإسلامية .

كما يلاحظ أيضاً انخفاض متوسط إنتاجية العامل الصناعي عام ١٩٩٤م انخفاضاً كبيراً عما كانت عليه عام ١٩٨٠م بنسبة حوالي ٤٥ ٪، وذلك يرجع إلى عوامل انخفاض إنتاجية الصناعة الاستراتيجية للأسباب سالفه الذكر، ولكن هناك فروقات كبيرة بين إنتاجية العامل الصناعي على مستوى كل دولة، فنلاحظ أن بعض الدول يصل متوسط إنتاجية العامل الصناعي فيها إلى ١٤٩ ألف دولار كما هو الحال في قطر، ٩٢ ألف دولار في عُمان، بينما في دول أخرى تصل هذه الإنتاجية إلى ٥٣٨ دولاراً في السودان، و ١٨٦٦ دولاراً في اليمن .

النشاط التجاري بين دول العالم الإسلامي

هيكل التجارة الخارجية للدول الإسلامية :

من المعروف تاريخياً أن التجارة من أهم الوسائل لإقامة علاقات اقتصادية وثيقة بين مختلف الدول، وهي تعتبر مصدراً مهماً للنمو الاقتصادي والتنمية ونقل المعرفة والمهارات . ويتوقع أن يزداد أثر التجارة على الاقتصاد العالمي بعد تنفيذ اتفاقيات جولة أوروغواي، ولكن هناك بعض المؤشرات التي توضح أن الدول الساعية للنمو لن تستفيد كثيراً من الاتفاقيات الجديدة، ومنها بعض الدول الإسلامية . لذلك فإن كيفية تجنب الدول الإسلامية لهذه الأخطار وكيفية الاستفادة من فرص التجارة بالشروط الجديدة العامة للتجارة العالمية تكمن في قيام الدول الإسلامية باتخاذ بعض الإجراءات لتوثيق التعاون الاقتصادي بينها، سواء على المستويات الإقليمية أو على مستوى الأمة الإسلامية، ومن ثمّ تعزيز التجارة البينية .

وتشير الإحصاءات التجارية لعام ١٩٩٤م إلى أن الدول الإسلامية كمجموعة أمامها طريق طويل لتحقيق تحسن كبير في هيكل تجارتها واتجاهاتها، حيث إن معظم هذه الدول تركز في صادراتها على السلع الأولية والتي تشكل أكثر من ٥٠ ٪ من إجمالي الصادرات، وفي بعض الحالات تشكل السلع الأولية أكثر من ٩٠ ٪ من إجمالي الصادرات .

كما أن بعض الدول ذات الصادرات المصنعة تعتمد أيضاً على سلعتين أو ثلاثة قابلة للتصدير، باستثناء أندونيسيا وتركيا وماليزيا، التي تتسع قواعدها التصديرية مع مرور الوقت . وهناك بعض الدول التي سجلت زيادة بسيطة في صادراتها المصنعة عام ١٩٩٤م، وهي تونس وباكستان، وإلى حد ما السعودية والمغرب .

أما واردات الدول الإسلامية، فيغلب عليها السلع المصنعة الواردة من الدول الصناعية الأجنبية غير الإسلامية، لذا نلاحظ أن هيكل التجارة لدى الدول الإسلامية لايساعد على التعاون بينها ولا على النمو الاقتصادي، وذلك لأن الدول القادرة على التصدير غير مستقرة ومحدودة ولاتشجع الدول المجاورة على إقامة علاقات طويلة المدى .

لهذا نجد أن هذه الدول تعتمد عادة على الدول الأجنبية في صادراتها وواراداتها، لذلك فإن الدول الإسلامية في حاجة لجهود كبيرة وجادة لتنويع هيكل تجارتها وتعزيز إمكاناتها في مجال تجارة السلع غير التقليدية والمصنعة وتوسعة مجال التكامل التجاري بينها .

هيكل تجارة الدول الإسلامية عام ١٩٩٣ م :

بالنسبة لإجمالي التجارة عام ١٩٩٣م، فقد كان أداء الدول الإسلامية طيباً من حيث حجم التجارة ونصيب الدول في التجارة العالمية . وقد ارتفع إجمالي صادرات الدول الإسلامية إلى ٢٦٥٩٥١ مليون دولار أمريكي، بينما بلغت الواردات للعام نفسه حوالي ٢٨٦٣٩٨ مليون دولار . والجدول رقم (١٣) يوضح نصيب كل دولة^(٢٨) .

ومن الجدول رقم (١٣) يتضح لنا بعض المؤشرات المهمة، وهي :

- أن تجارة السلع في الدول الإسلامية عام ١٩٩٣م قد حققت عجزاً بحوالي ٢٠٤٤٧ مليون دولار أمريكي، أي بنسبة تصل إلى ١٤,٧ ٪ من جملة الواردات (الصادرات ٢٦٥٩٥١ مليون دولار أمريكي والواردات ٢٦٣٩٨ مليون دولار) .
- أن جملة الصادرات للدول الإسلامية تقدر بحوالي ١٨,٧ ٪ من جملة صادرات العالم عام ١٩٩٣ م .
- أن جملة الواردات للدول الإسلامية تقدر بحوالي ٥,٧ ٪ من جملة واردات العالم عام ١٩٩٣ م .
- أن هناك ١٣ دولة إسلامية حققت فائضاً في تجارة السلع عام ١٩٩٣م بيانها كما هو موضح في الجدول (١٤) :

(جدول رقم ١٣) : تجارة السلع « بملايين الدولارات »

١٩٩٣ م

الدولة	صادرات	واردات	الدولة	صادرات	واردات
تنزانيا	٤٢٠	١٥٢٣	الجزائر	١٠٢٣٠	٧٧٧٠
أثيوبيا	٢٩٩	٧٨٧	تركيا	١٥٣٤٣	٢٩١٧٤
سيراليون	١١٨	١٤٧	ايران	١٦٧٠٠	٣٠٦٦٢
أوغندا	١٧٩	٥١٩	ماليبيا	٤٧١٢٢	٤٥٦٥٧
تشاد	١٧٦	٣٠٠	عمان	٥٤٢٨	٤١١٤
منجلا ديش	٢٢٧٤	٤٠٠١	الجابون	٢٢٩٧	٨٣٥
غينيا بيساو	١٦	٦٢	السعودية	٤٠٨٥٨	٢٨١٩٨
مالي	٣٤٢	٤٧٧	الكويت	١٠٢٤٨	٧٠٣٦
النيجر	٢٨٣	٣٣١	الامارات	٢٠٥٠٠	١٩٥٢٠
بوركينافاسو	١٤٥	٦٤٢	قطر	٣٠٨٩	١٨٠٨
بيجيريا	١١٨٨٦	٨٢٧٦	البحرين	٦٤٣٩	٤٧٦٦
غامبيا	٨٠	٢٣٤	العراق	٣٤	١٩١٠
ننن	١١٥	٣٦٠	فلسطين	٠٠	٠٠
باكستان	٦٦٣٦	٩٥٠٠	لبنان	٦٢٩	٤٣٧٧
غينيا	٤٤٠	٦٠٠	سوريا	٣٢٨٤	٤٣٤٥
موريتانيا	٤٥٠	٦٧٠	افغانستان	١٧٨	٤١٣
مصر	٢٢٤٤	٨١٧٥	المالديف	٦٦	٢١٨
اليمن	٦٥٠	٢٤٠٠	بروناي	٣٣٧٣	٢٦٠١
اندونيسيا	٣٣٦١٢	٢٨٠٨٦	السودان	٣٥٠	١١٤٥
الستعال	٧٤٠	١٢٦٢	ليبيا	٨٠٤٧	٥٣١٦
الكامرون	١٨١٥	١١٠٨	جيبوتي	٨٧	٤١٢
المغرب	٣٩٩١	٦٧٦٠	الصومال	١١٧	٢٠٥
الاردن	١٢٣٢	٣٥٣٩	جزر القمر	٥٤	٩٠
تونس	٣٨٠٢	٦٢١٤			

المصدر : البنك الدولي، ١٩٩٥ م .

- ومن الجدول رقم (١٣) يتضح لنا بعض المؤشرات المهمة، وهي :
- أن تجارة السلع في الدول الإسلامية عام ١٩٩٣م قد حققت عجزاً بحوالي ٢٠٤٤٧ مليون دولار أمريكي، أي بنسبة تصل إلى ١٤,٧ ٪ من جملة الواردات (الصادرات ٢٦٥٩٥١ مليون دولار أمريكي والواردات ٢٦٣٩٨ مليون دولار) .
 - أن جملة الصادرات للدول الإسلامية تقدر بحوالي ١٨,٧ ٪ من جملة صادرات العالم عام ١٩٩٣ م .
 - أن جملة الواردات للدول الإسلامية تقدر بحوالي ٥,٧ ٪ من جملة واردات العالم عام ١٩٩٣ م .
 - أن هناك ١٣ دولة إسلامية حققت فائضاً في تجارة السلع عام ١٩٩٣م بينما كما هو موضح في الجدول (١٤) :

(جدول رقم ١٤) : الفائض في تجارة السلع لدى بعض الدول الإسلامية

عام ١٩٩٣ م

الدولة	مقدار الفائض بالمليون دولار	نسبة الفائض للواردات %
نيجيريا	٣٦١٠	٣٤ر٦
اندونيسيا	٥٥٢٦	١٩ر٦
الكمرون	٧٠٧	٦٣ر٨
الجزائر	٢٤٦٠	٣١ر٦
ماليزيا	١٤٦٥	٣ر٢
عمان	١٣١٤	٣١ر٩
الجابون	١٤٦٢	١٧٥ر٠
السعودية	١٢٦٦٠	٤٤ر٨٩
الكويت	٣٢١٢	٥٤ر٦
الامارات	٨٩٠	٥ر٠
قطر	١٢٨١	٧٠ر٨
البحرين	١٦٧٣	٣٥ر٠
ليبيا	٢٧٣٠	٥١ر٣

المصدر : تقرير البنك الدولي، ١٩٩٥م، جدول ١٣، ٢٣٨ .

ويتضح من هذا الجدول الأخير أن أكبر نسبة فائض حققتها الجابون (١٧٥) %، فقطر (٧٠,٨ %)، تليها الكمرون (٦٣,٨ %)، فالكويت (٥٤,٦ %)، فليبيا (٥١,٣ %) . ويلاحظ أن هذه الدول دول نفطية وتركز تجارتها على تصدير النفط كسلعة استراتيجية في الأسواق العالمية، كما أن مكونات تصدير هذه الدول عادة تشغل سلعة النفط معظمها وقد تصل لدى بعض هذه الدول إلى ٩٠ % من جملة صادراتها. أما ماليزيا، فهي من النمور الآسيوية والتي نمت نمواً كبيراً في السنوات القليلة الماضية، وأصبحت من الدول التي قفزت قفزات كبيرة في الإنتاج والصناعة والتجارة.

ويلاحظ أيضاً أن بعض الدول النفطية لديها عجز مثل : إيران، وذلك يرجع لظروفها الخاصة، وأنها كانت في حرب طويلة مع العراق .

وبعض الدول شهدت زيادة كبيرة في صادراتها وهي : إيران والبحرين وأندونيسيا وتركيا وبنجلاديش وماليزيا وسوريا، بينما نجد أن هناك بعض الدول التي حدث انخفاض في صادراتها، مثل باكستان والإمارات والجزائر ومصر والسعودية وعمان والمغرب .

أما باقي الدول الإسلامية وعددها ٣٤ دولة، فقد حققت عجزاً، إذ أن وارداتها أكبر بكثير من صادراتها وهذه ظاهرة غير طيبة . وقد يصل العجز في بعض هذه الدول إلى نسب كبيرة، ومثال ذلك : اليمن، حيث بلغت نسبة العجز في تجارة السلع ٧٢,٩ ٪، السودان ٦٩,٤ ٪، لبنان ٨٥,٦ ٪ . وترجع تلك الظاهرة إلى الظروف الخاصة بكل دولة، سواء من ناحية عدم الاستقرار السياسي أو ظروف التخلف في الإنتاج، وانخفاض الإنتاجية، وضعف هيكل الإنتاج .

هيكّل تجارة الدول الإسلامية عام ١٩٩٣م بالمقارنة مع التجارة العالمية وبعض التكتلات الاقتصادية الأجنبية :

وإذا ما أجرينا مقارنة بين بعض التكتلات الاقتصادية وما بين الدول الإسلامية، سوف نصل إلى نتائج مهمة ومؤشر يوضح ماوصلت إليه الدول الإسلامية (جدول رقم ١٥) .

(جدول رقم ١٥) : مقارنة بين النظريات الاقتصادية الدولية

وبين الدول الإسلامية (١٩٩٣ م) .

اسم الكتل	عدد السكان بالملايين	المساحة بالآلاف الكيلو مترات المربعة	الصادرات بالمليونات دولار	الواردات بالمليونات دولار	نسبة السكان للعالم ٪	نسبة المساحة للعالم / ٪	نسبة الصادرات للعالم ٪	نسبة الواردات للعالم ٪
العالم السوق الأوروبية المشتركة اتحاد البلقان الدول الإسلامية	٥٥٠.١٥	١٣٣٦٩٠	٣٦٣٤٦١٤	٣٧٢٢٤٧٢	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
	٣٦٨٩٦	٣٢٣٧	١٤٥٩٢٤٦	١٤٠٦٩٠١	٦٩	٢٤	٣٩٢	٣٥١
	٣٧٦٩٦	٢١٧٤٣	٦٤٠١٩٢	٧٨٣٢٦٠	٦٨	١٦٢	١٧٢	٢٠٧
	١١٠.٥٩٤	٣٠.٠٤٩	٢٦٥٩٥١	٢٨٦٣٩٨	٢٠	٢٢٤	٧١٠	٧٥

المصدر : تقرير البنك الدولي، ١٩٩٥م، جدول رقم (١)، ص : ٢١٤ - ٢١٥،

وجداول (١٣)، ص : ٢٣٨ - ٢٣٩ .

من الجدول السابق رقم (١٥) يتضح لنا الآتي :

أ - أن عدد سكان الدول الإسلامية يمثل ٢٠,١ ٪ من سكان العالم، أي خمس سكان العالم .

ب - أن عدد سكان دول السوق الأوروبية المشتركة يمثل ٦,٦ ٪ من سكان العالم .

ج - أن عدد سكان اتحاد الناftا (الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، المكسيك) يمثل ٦,٨ ٪ من سكان العالم .

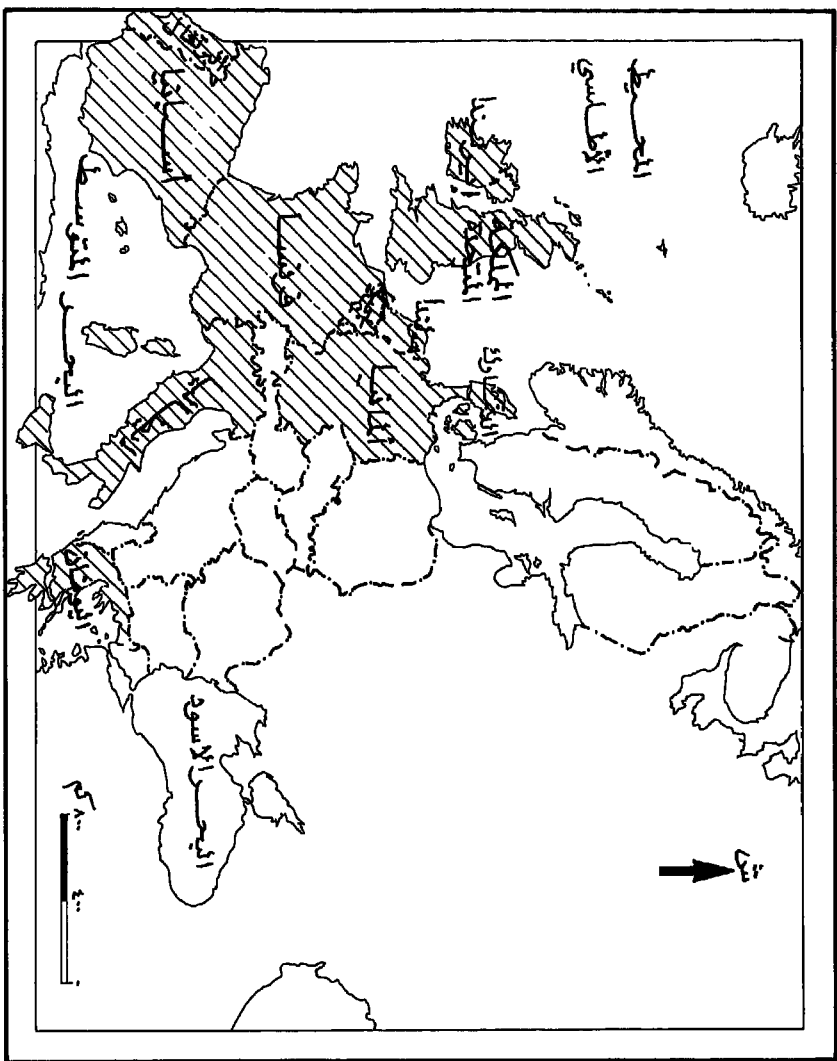
فرغم أن سكان السوق الأوروبية المشتركة يمثلون ٣,٣٣ ٪ من سكان الدول الإسلامية، إلا أن صادرات السوق الأوروبية المشتركة تفوق صادرات الدول الإسلامية بنسبة ٥٤٨,٦ ٪، أي حوالي خمس مرات ونصف . كما أن السوق الأوروبية تحقق فائضاً في تجارتها الخارجية يقدر بحوالي ٥٢٣٤٥ مليون دولار أمريكي، بينما التجارة الخارجية للدول الإسلامية تحقق عجزاً مقداره ٢٠٤٤٧ مليون دولار أمريكي .

ورغم أن عدد سكان اتحاد الناftا يمثل ٣٤ ٪ من سكان الدول الإسلامية، إلا أن صادراتها تفوق صادرات الدول الإسلامية بنسبة ٢٤٠,٧ ٪، أي حوالي مرتين ونصف مرة وهذه ظاهرة غير طيبة، ولقد أجرينا هذه المقارنة لنشير إلى أن في الاتحاد قوّة ونمو وزيادة إنتاج، ومن ثمّ زيادة صادرات وتحقيق الكثير من التقدم والنمو والرفاهية، حيث إن مستوى دول السوق الأوروبية المشتركة لم يكن كذلك قبل قيام السوق، ولكن حدثت طفرة كبيرة في نمو تجارتها بعد قيام السوق، وهذا مايتوقع للدول الإسلامية إذا ما تمّ التنسيق بين سياساتها الإنتاجية المختلفة، وذلك تحت مظلة التكامل الاقتصادي (الأشكال ١١، ١٢، ١٣) .

هيكل تجارة الدول الإسلامية عام ١٩٩٤ م :

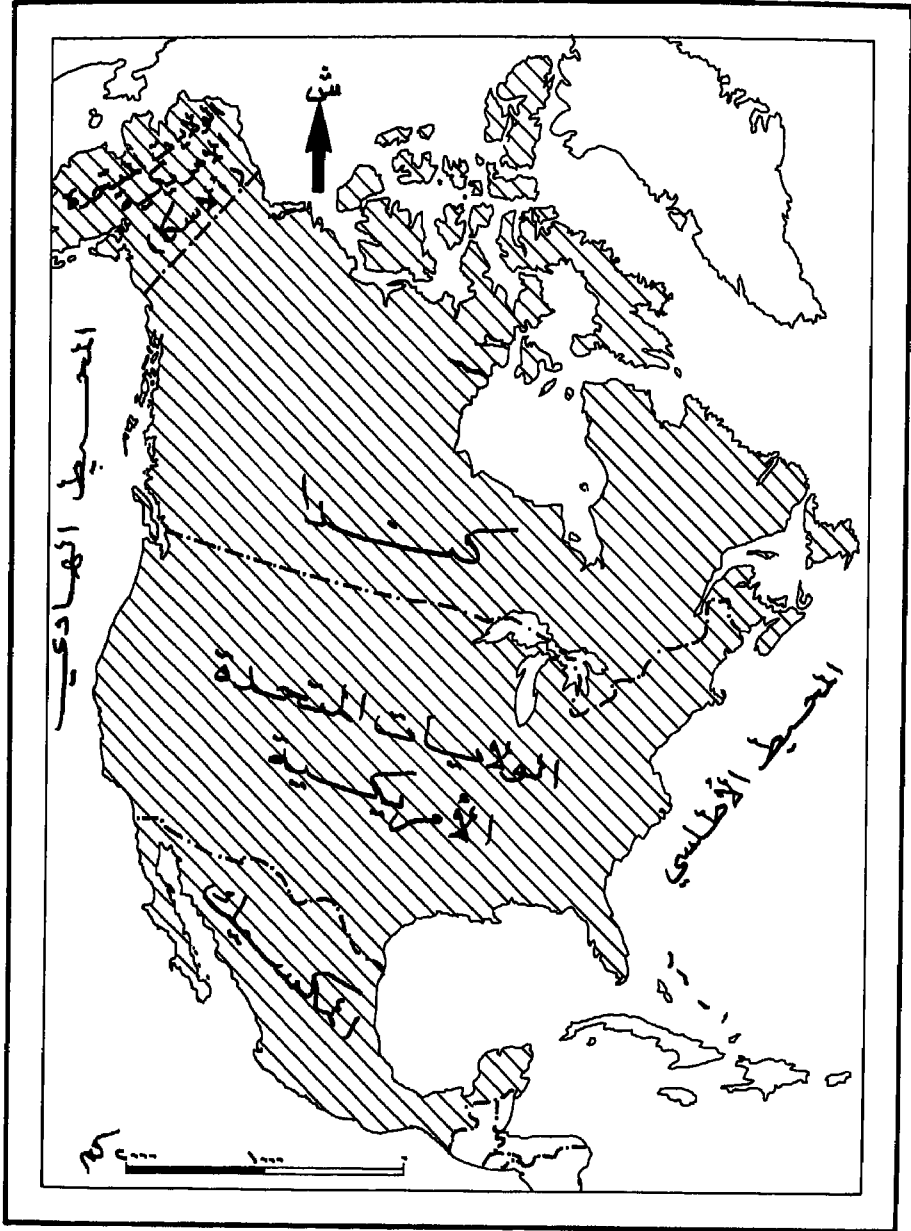
أما بالنسبة لإجمالي التجارة عام ١٩٩٤م، فقد سجلت الدول الإسلامية زيادة في إجمالي صادراتها للسنة الثالثة على التوالي ارتفع هذا الإجمالي من ٢٦٥ مليار دولار أمريكي عام ١٩٩٣م إلى نحو ٢٨٧ مليار دولار ١٩٩٤م، أي بزيادة ١٩٩٤م، أي بزيادة حوالي ١٠٪ . وقد حدثت هذه الزيادة الكبيرة في صادرات الدول الإسلامية نتيجة لارتفاع صادرات ماليزيا من ٤٧ بليون دولار عام ١٩٩٣م إلى ٥٩ بليون دولار عام ١٩٩٤م، أي بزيادة ٢٥٪ تقريباً وفي الفترة نفسها رادت واردات الدول الإسلامية من ٢٨٦ مليار دولار إلى ٣٠٣ مليار دولار، أي بحوالي ٦٪ تقريباً (البنك الإسلامي للتنمية، ١٩٩٦م : ٥٢ - ٥٣) .

كما أن هناك بعض الدول الإسلامية والتي حققت زيادة كبيرة في صادراتها بالإضافة إلى ماليزيا، وهي أندونيسيا ومصر والمغرب وإيران وبنجلاديش وتركيا وتونس والكمرون والسودان والبحرين، بينما هناك دول إسلامية أخرى انخفضت صادراتها عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م وهي السعودية والإمارات وبروناي وبوركينا فاسو وعمان وغينيا والجزائر وليبيا .

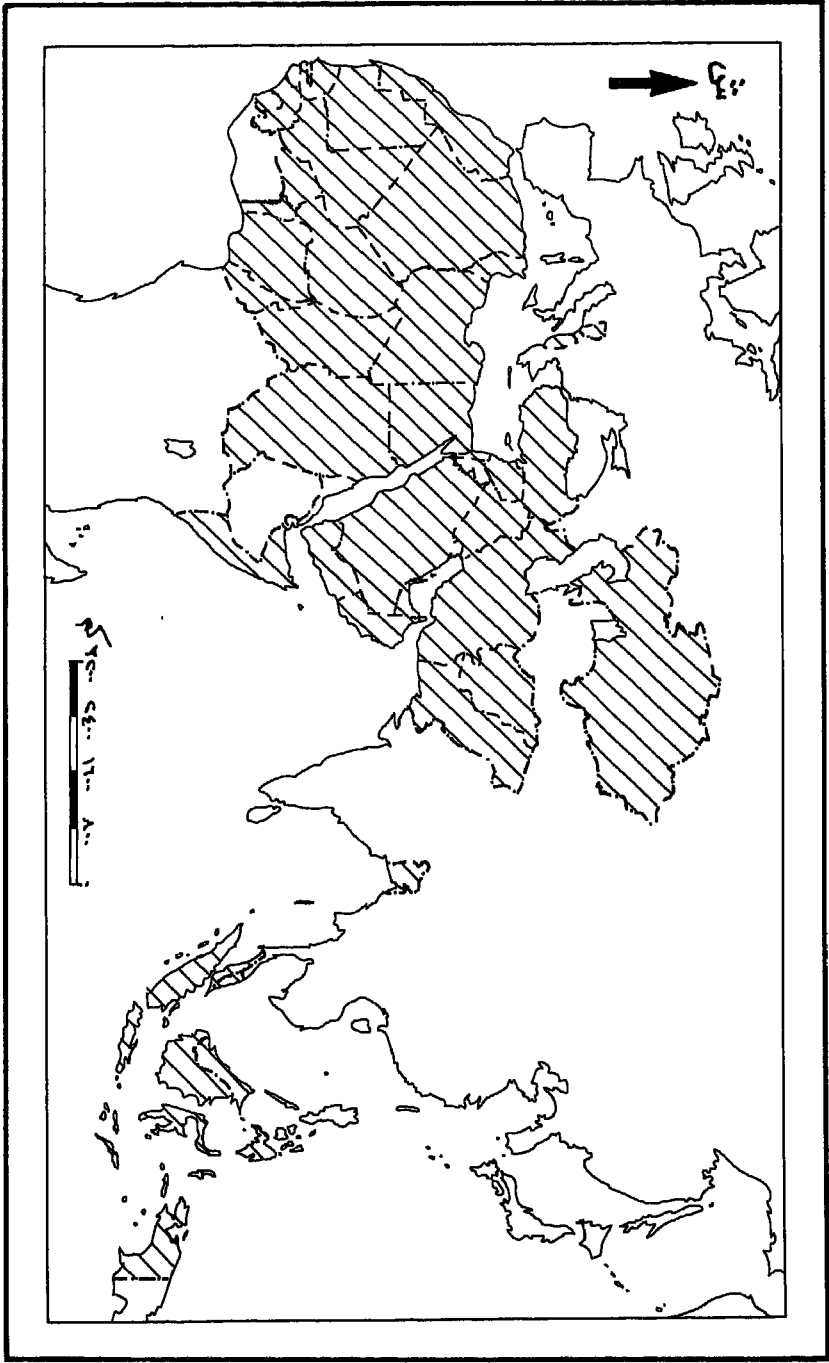


دول السوق الأوروبية المشتركة

شكل (١١)



شكل (١٢) دول منظمة النفط



دول منظمه المقتدر الإسلاماني

شكل (١٣)

أما عن حصة الدول الإسلامية من التجارة العالمية عام ١٩٩٤م، فقد انخفضت انخفاضاً بسيطاً عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٧,١ ٪ تقريباً عام ١٩٩٣م وأصبحت ٦,٩ ٪ عام ١٩٩٤م .

هيكل صادرات الدول الإسلامية :

تشمل صادرات الدول الإسلامية عدة سلع ومواد مختلفة يأتي في مقدمتها النفط ومشتقاته والخامات المعدنية والملابس والنسيج (المركز الإسلامي لتنمية التجارة، ١٩٩٥م : ٦ - ٩) .

ويتضح من هيكل الصادرات حدوث بعض التغيرات عام ١٩٩٢م، حيث يحتل النفط ومشتقاته والخامات المعدنية المركز الأول . ولكن تراجعت حصتها بنسبة ٤ ٪ ما بين عامي ١٩٩١م و ١٩٩٢م، حيث كانت ٦٢,٦ ٪ ثم أصبحت ٥٨,٨ ٪ . أما في المركز الثاني، فنجد المواد الأولية والزراعية والحيوانية بنسبة ١١,٣٨ ٪ . أما المركز الثالث فتحته المواد المصنعة بنسبة ١١ ٪، وفي المركز الرابع نجد الملابس والنسيج بنسبة ٩,٨٧ ٪ . أما المركز الأخير فنجد الآلات ومعدات النقل بنسبة ٨,٩٣ ٪، لكن يلاحظ أن صادرات المواد المصنعة ازدادت عام ١٩٩٢م بنسبة ٤ ٪ عن عام ١٩٩١م، حيث كانت ٢٥,٤ ٪ عام ١٩٩١م وأصبحت ٢٩,٨ ٪ عام ١٩٩٢م (الجدول السابق رقم ١٣ ، والشكل رقم ١٤) .

كما سبق يتضح أن المواد الأولية تشكل نسبة ٧٠,٥ ٪ من جملة صادرات الدول الإسلامية .

هيكل واردات الدول الإسلامية :

ظل هيكل الواردات للدول الإسلامية كما هو عليه عام ١٩٩٢م وذلك على الوجه التالي :

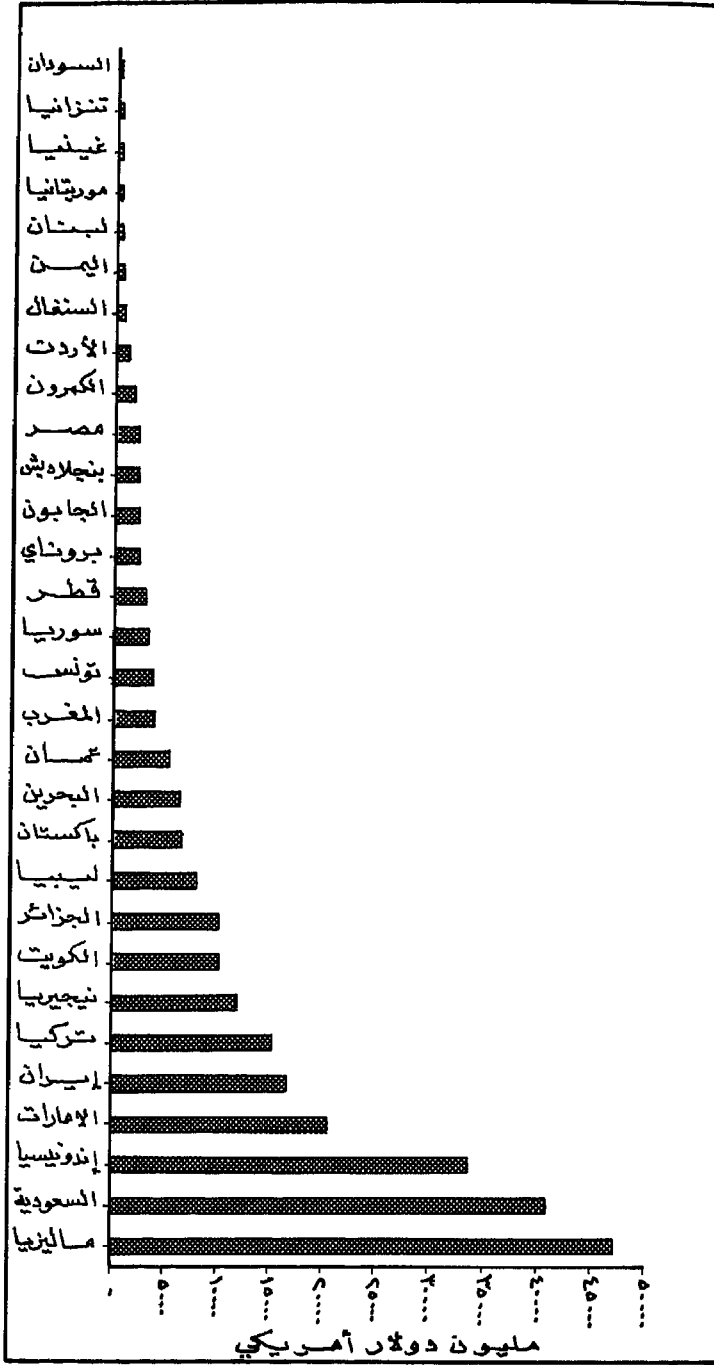
١ - مركز الصدارة تحتل الآلات ومعدات النقل بنسبة ٣٧,٣٨ ٪ من إجمالي واردات الدول الإسلامية وتبلغ قيمتها حوالي ١٠٥ مليار دولار أمريكي .

- ٢ - تأتي في المركز الثاني المواد المصنعة مثل : المواد الكيماوية والملابس والنسيج والصلب بنسبة ٣٥,٨٢ ٪، بمبلغ إجمالي ١٠١ مليار دولار أمريكي .
- ٣ - أما المركز الثالث فتحته المواد الغذائية بنسبة ١٣,٥٧ ٪ بمبلغ إجمالي قدره حوالي ٣٨ مليار دولار أمريكي .
- ٤ - أما المركز الرابع فتحته الطاقة بنسبة ٧,٢٣ ٪ .
- ٥ - أما المركز الخامس فتحته المواد الأولية التعدين والزراعية بنسبة ٦ ٪ .
- (الجدول السابق رقم ١٣ ، والشكل رقم ١٥) .

ومن البيانات السابقة يتضح لنا أن الدول الإسلامية مارالت بعيدة عن تحقيق اكتشافها الذاتي من كثير من السلع، سواء الصناعية منها أو الغذائية أو المواد الأولية، فرغم أن معظمها دول زراعية إلا أنها مارالت تستورد مواد غذائية بكميات كبيرة . ويلاحظ أن أهم وأكبر الدولة المصدرة للمواد المصنعة هي من أكبر الدول أيضاً المستوردة لهذه المواد، بخاصة ماليزيا وإندونيسيا وتركيا .

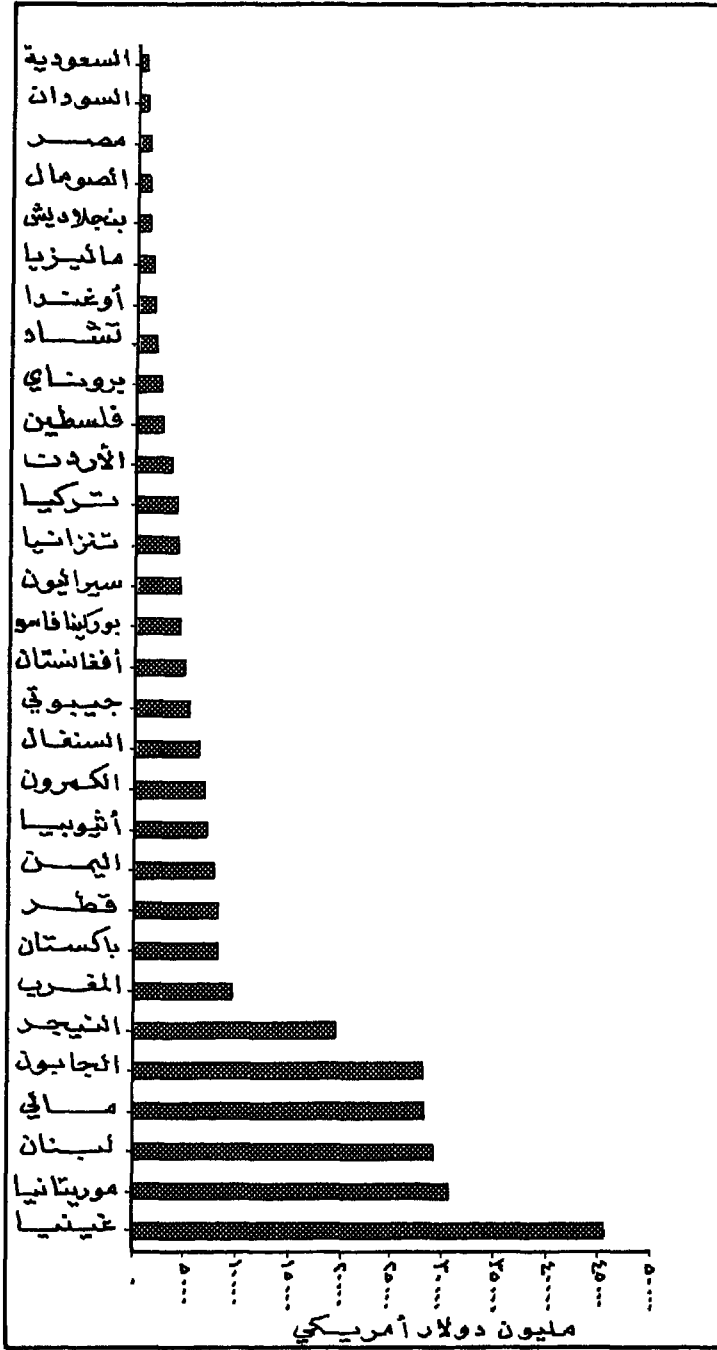
التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية للدول الإسلامية :

تتعامل الدول الإسلامية مع جميع دول العالم، سواء في التصدير أو في الاستيراد، (والجدول رقم ١٦) يوضح التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية للدول الإسلامية خلال الفترة من عام ١٩٩٢م حتى عام ١٩٩٤م وذلك مع الدول الصناعية والدول النامية وباقي دول العالم .



شكل (١٤) إجمالي صادات الدول الميسرة لعام ١٩٩٣

المصدر: البنك الدولي - ١٩٩٥



شكل (١٥) أجمالي واردات المدون الأيسر الأهمية لعام ٢١٩٩٣

المصدر: البنك الدولي - ٢١٩٩٥

(جدول رقم ١٦) : التجارة الخارجية للدول الإسلامية مع بقية العالم (١٩٩٣م، ١٩٩٤م)

الدول	الصادرات (م.)			الواردات (%)		
	١٩٩٢م	١٩٩٤م	نسبة التغير	١٩٩٢م	١٩٩٤م	نسبة التعبير
دول الغرب الصناعية	٦٢٢٩	٥٨٥٦	- ٦٩	٦٧٢	٦٣٦	- ٥٠٤
الدول النامية	٣٥٤	٣٦٥	٣١	٣٠٢	٣٤٦	١٤٥
بقية العالم	١٧	٤٩٦	١٩١٧٦	٢٦	١٨٥	- ٢٨٨

المصدر : التقرير السنوي للمركز الإسلامي لتنمية التجارة لعام ١٩٩٥م ، ص ١٦ .

من الجدول السابق يتضح لنا أن الدول الصناعية الأوروبية تعتبر من أهم الدول التي تتعامل معها الدول الإسلامية سواء في التصدير أو الاستيراد، حيث تستوعب هذه الدول ٥٨,٥٦ ٪ من صادرات الدول الإسلامية (عام ١٩٩٤م)، وتستورد منها حوالي ٦٠,٦٣ ٪ من احتياجاتها من الواردات، وبذلك نجد أن الميزان التجاري بين الدول الإسلامية، ودول الغرب الصناعية في حالة عجز يبلغ حوالي ٥ ٪ من القيمة الإجمالية لهذا الميزان .

هذا وقد تراجعت التجارة بين الدول الإسلامية والدول الأوروبية عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٢م بنسبة ٦,٩ ٪ من الصادرات، ٥,٣٩ ٪ من الواردات، وقد تم تعويض هذا الانخفاض بالزيادة من حصة التجارة مع الدول النامية، حيث زادت هذه الحصة ٣,١ ٪ في الصادرات، ١٤,٥ ٪ في الواردات .

أما بقية دول العالم - ومنها الكتلة الشرقية - فإن حصتها غير مستقرة . ففي عام ١٩٩٤م، تضاعفت حصتها على مستوى الصادرات وتراجعت تراجعاً كبيراً على مستوى الواردات بنسبة عجز ٢٩ ٪ (شكل رقم ١٦) .

التجارة البينية بين الدول الإسلامية :

سجلت التجارة البينية بين الدول الإسلامية انخفاً في الصادرات عام ١٩٩٤م، حيث بلغ إجماليها ٢٨,٩ مليار دولار أمريكي وذلك مقابل ٢٩,٧ مليار دولار عام ١٩٩٣م، بينما كان ٢٨,٩٥ مليار دولار عام ١٩٩٢م، وبذلك نجد أن إجمالي الصادرات في التجارة البينية بين الدول الإسلامية لإجمالي صادراتها الكلية قد انخفض من ١١,١٪ عام ١٩٩٣م إلى ١٠,٢٪ عام ١٩٩٤م .

أما بالنسبة للواردات، فنجد أنها زادت عام ١٩٩٤م، حيث بلغت ٢٩,٩ مليار دولار أمريكي بينما كانت ٢٩ مليار دولار عام ١٩٩٣م، وبذلك نجد أن التجارة البينية للدول الإسلامية لاتمثل سوى ١٠,٤٪ من إجمالي الواردات الكلية لهذه الدول عام ١٩٩٤م (البنك الدولي، ١٩٩٥م، والبنك الإسلامي للتنمية، ١٩٩٦م : ٥٧) .

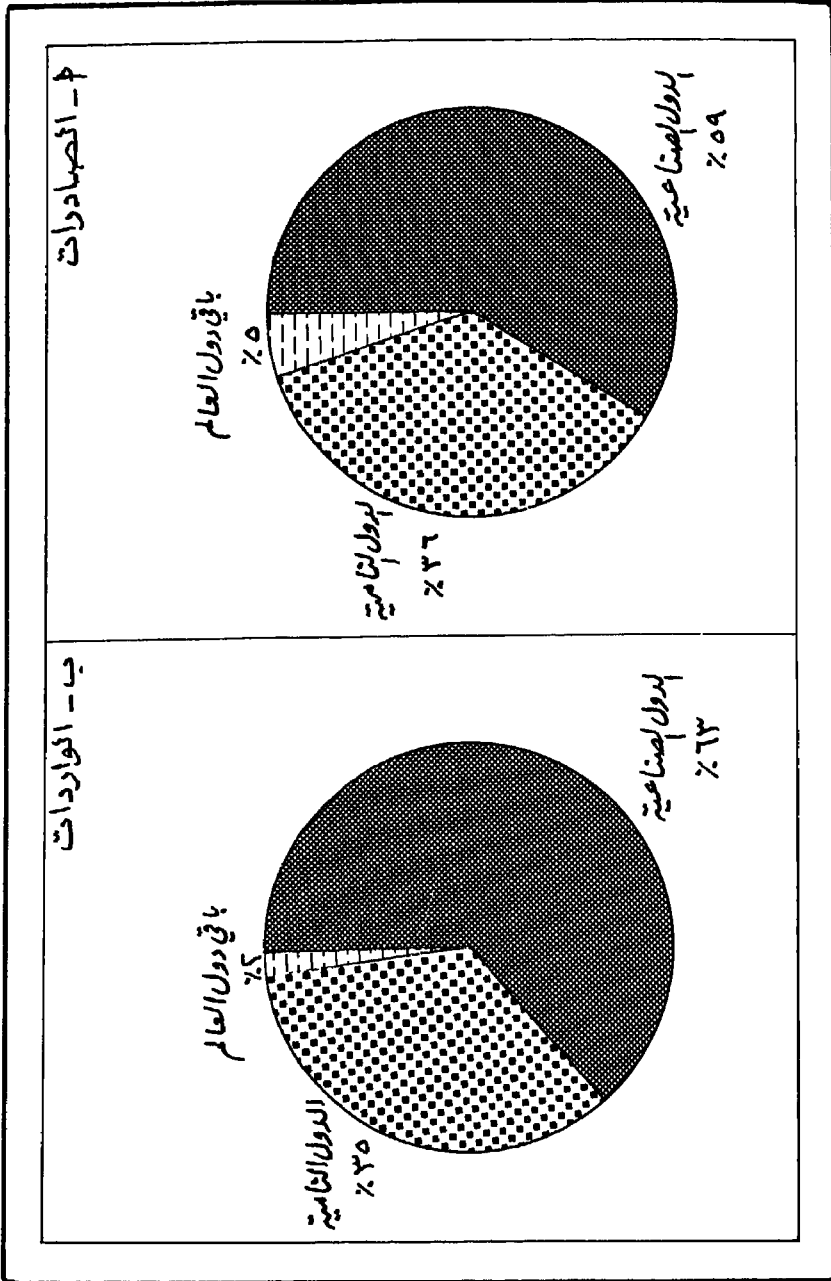
التجارة البينية للدول الإسلامية والمنظمات الإقليمية :

سنشير فيما يلي إلى التجارة البينية للدول الإسلامية لخمس منظمات إقليمية، تكاد تشمل معظم الدول الإسلامية (البنك الإسلامي للتنمية، ١٩٩٦م : ٥٨)، وهي :

١ - مجلس التعاون الخليجي : يلاحظ أن دولة الإمارات زادت نسبة صادراتها لدول المجلس عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٦,٩٪ من إجمالي صادراتها وزادت إلى ٧,٣٪، وأن أكبر الدول التي تصدر إليها هي عُمان (١٠١٨ مليون دولار أمريكي)، فالسعودية (٢٧١ مليون دولار أمريكي) .

أما البحرين، فقد زادت أيضاً صادراتها لدول المجلس عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٥,٥٪ من إجمالي صادراتها وزادت إلى ٦,٢٪، وأكبر الدول التي تصدر إليها هي السعودية (١٥٣ مليون دولار أمريكي) تليها عُمان (٦٩ مليون دولار أمريكي) .

شكل (١٦) التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية للدول الإسلامية



أما السعودية، فقد انخفضت صادراتها عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م لدول المجلس، حيث كانت ٦,٥ من إجمالي صادراتها وأصبحت ٩,٥٪، وأن أكبر الدول التي تصدر إليها هي البحرين (١٣٦٨ مليون دولار أمريكي) تليها الإمارات (٨٤٣ مليون دولار أمريكي) .

أما عُمان، فزادت صادراتها عام ١٩٩٤م زيادة طفيفه عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٢٪ وأصبحت ٢,١٪، وأكبر الدول التي تصدر إليها هي البحرين (٥٦ مليون دولار أمريكي) تليها السعودية (٤٠ مليون دولار أمريكي) .

أما قطر، فقد انخفضت صادراتها لدول المجلس عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٦,٧٪ وأصبحت ٦,٣٪، وأكبر الدول التي تصدر إليها هي الإمارات (١٠٩ مليون دولار أمريكي) تليها السعودية (٦٣ مليون دولار أمريكي) .

ولكن بالنظر الشاملة لدول مجلس التعاون الخليجي، نجد أن إجمالي التجارة البينية بين دول المجلس انخفضت من ٥,٨٪ من إجمالي صادراتها عام ١٩٩٣م إلى ٥,٦٪ عام ١٩٩٤م (الشكل رقم ١٧، والجدول رقم ١٧).

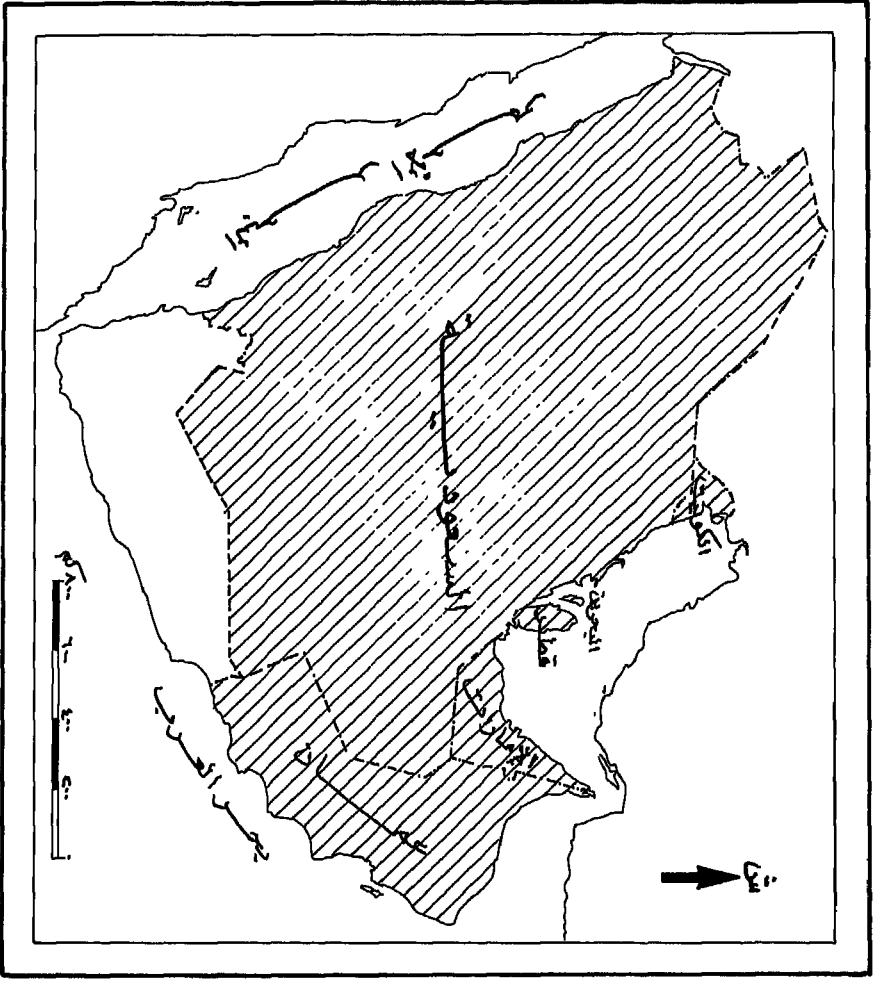
٢ - منظمة التعاون الاقتصادي : يلاحظ بالنسبة لأفغانستان، أن نسبة صادراتها عام ١٩٩٤م انخفضت عما كانت عليه عام ١٩٩٣م حيث كانت ١,٧٪ من إجمالي صادراتها وأصبحت ٦,٤٪ عام ١٩٩٤م وعموماً يلاحظ انخفاض قيمة الصادرات للدول الإسلامية، حيث إنها لا تتجاوز ١٨ مليون دولار منها عشرة ملايين لباكستان وسبعة ملايين لتركيا .

أما إيران، فنسبة صادراتها عام ١٩٩٤م انخفضت عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٥,٨٪ من إجمالي صادراتها وأصبحت عام ١٩٩٤م ٤,٨٪، وأن أكبر الدول التي تصدر إليها هي تركيا (٦٨٩ مليون دولار أمريكي)، وباكستان (١١٨ مليون دولار أمريكي) .

أما باكستان، فنسبة صادراتها عام ١٩٩٤م انخفضت عن عام ١٩٩٣م حيث كانت ٢,٤ ٪ من إجمالي صادراتها وأصبحت ١,٥ ٪ عام ١٩٩٤م، وأن أكبر الدول التي تصدر إليها تركيا (٣٦ مليون دولار أمريكي)، وأفغانستان وإيران (٢٦ مليون دولار أمريكي) .

أما تركيا، فصادراتها عام ١٩٩٤م ارتفعت عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٣,٤ ٪ من إجمالي صادراتها وأصبحت ٣,٧ ٪ عام ١٩٩٤م، وأن أكبر الدول التي تصدر إليها هي (إيران (٢٦٧ مليون دولار أمريكي) (الشكل رقم ١٨ ، والجدول رقم ١٨) .

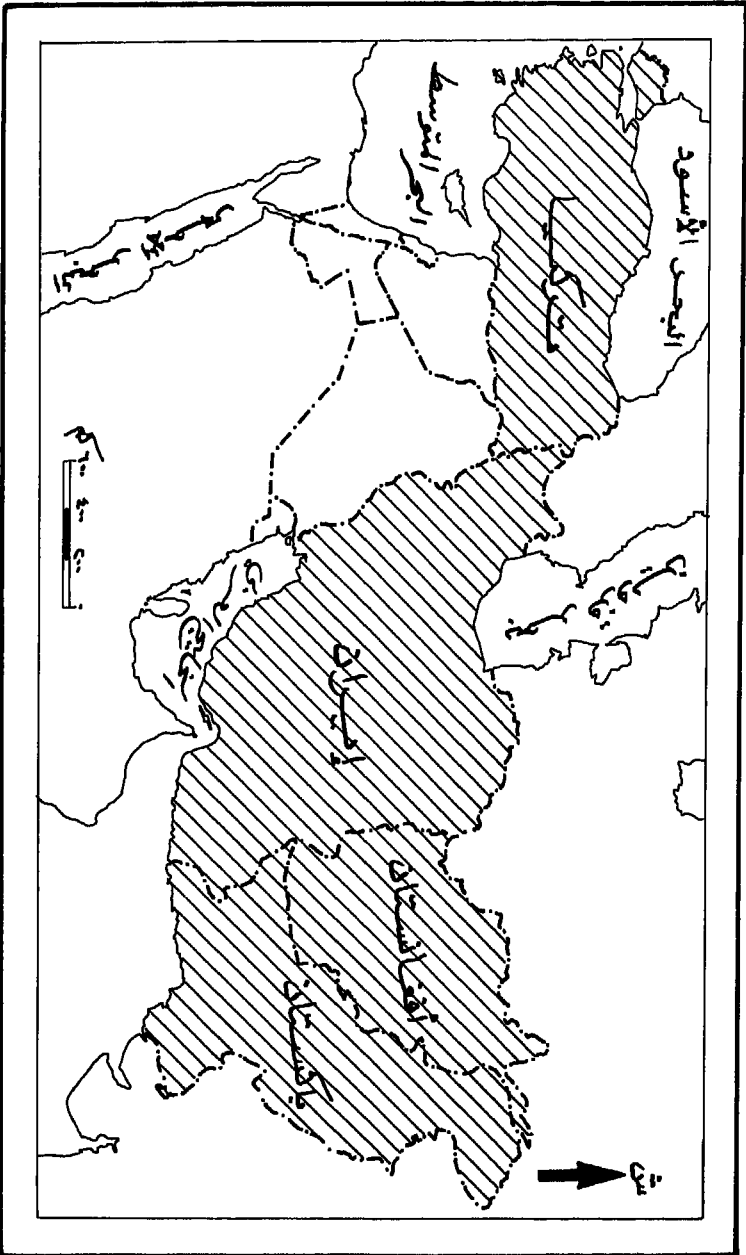
شكل (١٧) دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي



(جدول رقم ١٧) : التجارة البينية لدول مجلس التعاون الخليجي للعامين
١٩٩٣م و ١٩٩٤م « بملايين الدولارات الأمريكية »

الدولة	السنة	الإمارات	البحرين	السعودية	عمان	قطر	الكويت	الصادرات الإقليمية	لمجموع الاقليمي من المجموع الكلي
الإمارات	١٩٩٤م	=	٥٩	٢٧١	١٠١٨	٦٣	١٢٣	١٥٣٤	
	١٩٩٣م	=	٥٨	٢٥٦	١٠٤٩	٦٥	=	١٤٢٨	٧٣٤
البحرين	١٩٩٤م	١٢٨	=	١٥٣	٦٩	٢٩	٥١	٤٣٠	٦٩١
	١٩٩٣م	١١٨	=	١٤٤	٦٤	٢٧	=	٣٥٣	٦٢٥
السعودية	١٩٩٤م	٨٤٣	١٣٦٨	=	٦٥	٨١	٣٥٠	٢٧٠٧	٥٥٣
	١٩٩٣م	٨٦٩	١٣٣٣	=	٦٧	٨٣	٤١٧	٢٧٦٩	٥٩٣
عمان	١٩٩٤م	٣	٥٦	٤٠	=	٥	=	١٠٤	٦٥٤
	١٩٩٣م	٢	٥٥	٣٥	=	٥	=	٩٧	٢١٥
قطر	١٩٩٤م	١٠٩	٧	٦٣	٧	=	=	١٨٦	٢٠٢
	١٩٩٣م	١٢٢	٧	٧٦	٧	=	=	٢٠٢	٦٣٩
الكويت	١٩٩٤م	=	=	٧٢	=	=	=	٧٢	٦٧١
المجموع	١٩٩٤م	٥٣	=	٦٥	٨	=	=	١٢٦	=
	١٩٩٣م							٥٠٢٣	=

المصدر: البنك الإسلامي للتنمية - عام ٩٥ - ١٩٩٦م ص ٥٩.



دول منظمة التجارة العالمية الاقتصادية

شكل (١٨)

(جدول رقم ١٨) : التجارة البينية للدول الإسلامية بمنظمة التعاون الاقتصادي للعامين ١٩٩٣م و ١٩٩٤م « بملايين الدولارات الأمريكية »

الدولة	السنة	أفغانستان	إيران	باكستان	تركيا	دول اخرى اعضاء	الصادرات الإقليمية
أفغانستان	١٩٩٤م	=	=	١٠	٧	١	١٩
	١٩٩٣م	=	=	٩	٦١٨	=	٦٢٧
إيران	١٩٩٤م	=	=	١١٨	٦٨٩	١٢٥	٩٣٢
	١٩٩٣م	=	=	١٣٥	٦٩٢	٢٥٣	١٠٨٠
باكستان	١٩٩٤م	٢٦	٢٦	=	٣٦	٢٦	١١٥
	١٩٩٣م	١٥	١٨	=	١٠٣	٢٤	١٦٠
تركيا	١٩٩٤م	١	٢٦٧	٤٥	=	٣٣٢	٦٤٥
	١٩٩٣م	=	٢٩	٤٣	=	١٩٤	٥٢٧
دول اخرى اعضاء	١٩٩٤م	٢	=	=	١٢٢	٨٦	٢١٠
	١٩٩٣م	٣	=	=	١٥١	٥	١٥٩
الإجمالي	١٩٩٤م	=	=	=	=	=	١٩٢١
	١٩٩٣م	=	=	=	=	=	٢٥٥٣

المصدر: البنك الاسلامي للتنمية - عام ٩٥ - ١٩٩٦م ص ٦٠.

٣ - رابطة شعوب جنوب شرقي آسيا (Asean) :

ويلاحظ أن هذه الدول بعمامة قد زادت صادراتها البينية عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م حيث كانت ١,٥٪ من إجمالي صادراتها وأصبحت عام ١٩٩٤م ١,٩٪ .

فإندونيسيا زادت عام ١٩٩٤م وأصبحت ٢,٣٪ من إجمالي صادراتها بعد أن كانت ١,٧٪ عام ١٩٩٣م، وأكبر الدول التي تصدر إليها ماليزيا (٨٥٦ مليون دولار أمريكي) . أما بروناي، فزادت أيضاً عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ١٧,٠٪ من إجمالي صادراتها وأصبحت عام ١٩٩٤م ١,٤٪ وأكبر الدول التي تصدر إليها ماليزيا (٢٩ مليون دولار أمريكي) .

أما ماليزيا، فزادت أيضاً صادراتها عام ١٩٩٤م (٦,١٪) من إجمالي صادراتها عن عام ١٩٩٣م (٥,١٪)، وأكبر الدول التي تصدر إليها إندونيسيا (٧١٥ مليون دولار أمريكي) (الجدول رقم ١٩، والشكل رقم ١٩).

٤ - الاتحاد المغربي العربي :

يلاحظ أن التجارة البينية بينها قد زادت عام ١٩٩٤م (٢٥,٣٪) من إجمالي صادراتها عن عام ١٩٩٣م (١٥,٣٪) وهذه تعتبر زيادة طفيفة للغاية.

فتونس قد انخفضت صادراتها البينية عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٦,٧ من إجمالي صادراتها وأصبحت عام ١٩٩٤م ٣,٦٪، وأكبر الدول التي تصدر إليها هي ليبيا (١٥٨ مليون دولار أمريكي) .

أما الجزائر، فقد زادت صادراتها عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ١,٧٥٪ وأصبحت ١,٩٢٪، وأكبر الدول التي تصدر إليها هي المغرب (١٠٤ مليون دولار أمريكي) .

أما ليبيا، فقد زادت صادراتها عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٠,٧٦٪ من إجمالي صادراتها، وأصبحت ١,٦٧٪ عام ١٩٩٤م، وأكبر الدول التي تصدر إليها تونس (١١١ مليون دولار أمريكي) .

أما المغرب، فقد انخفضت صادراتها عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٧٪ من إجمالي الصادرات عام ١٩٩٤م، وأصبحت ٥٪ عام ١٩٩٤م، وأكبر الدول التي تصدر إليها ليبيا (١٥٣ مليون دولار أمريكي) (الجدول رقم ٢٠، والشكل رقم ٢٠) .

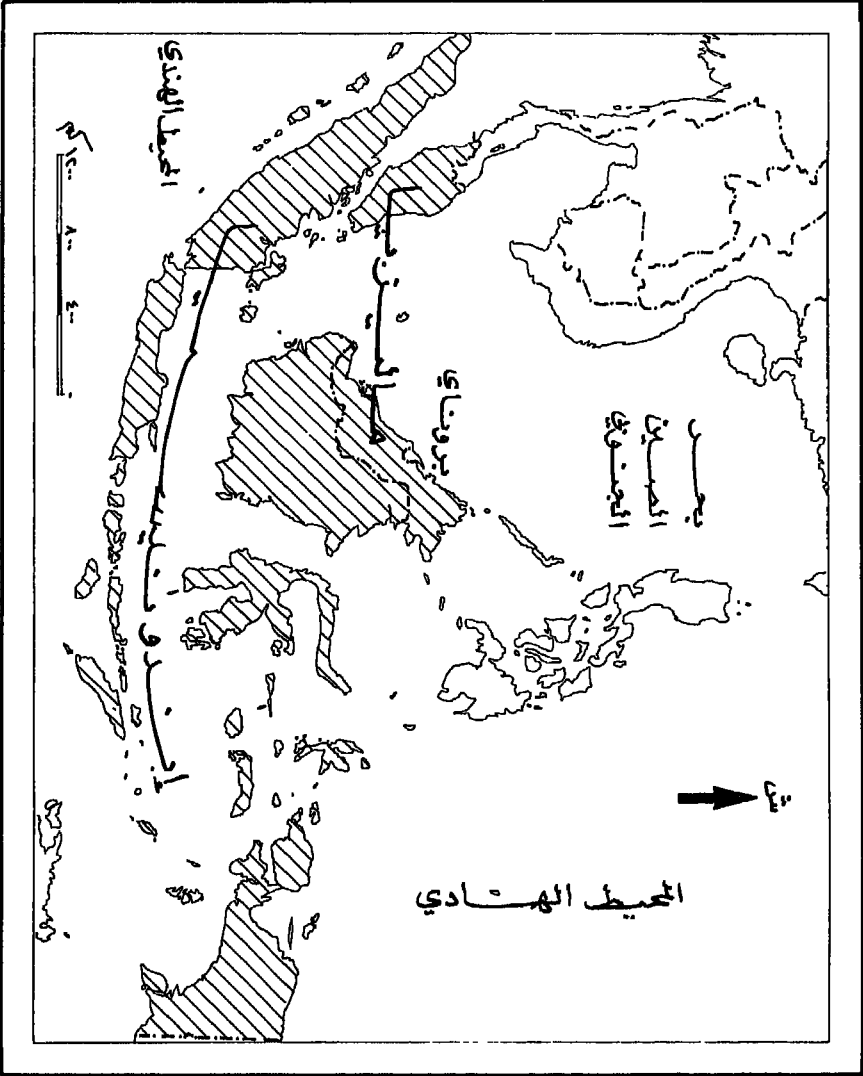
(جدول رقم ١٩) : التجارة البينية لدول رابطة شعوب جنوب شرقي آسيا الإسلامية عامي ١٩٩٣م و ١٩٩٤م « بملايين الدولارات الأمريكية »

الدولة	السنة	إندونيسيا	ابروناي	ماليزيا	الصادرات الإقليمية
إندونيسيا	١٩٩٤م	=	٤٥	٨٥٦	٩٠١
	١٩٩٣م	=	٤٣	٥٨٦	٦٢٩
بروناي	١٩٩٤م	١	=	٢٩	٣٠
	١٩٩٣م	١	=	٣	٤
ماليزيا	١٩٩٤م	٧١٥	٢٦١	=	٩٧٦
	١٩٩٣م	٥٤٢	١٨٨	=	٧٣٠
	١٩٩٤م	=	=	=	١٩٠٧
	١٩٩٣م	=	=	=	١٣٦٣

- البيانات غير متوافرة .

بقية الأعضاء في الرابطة هم الفلبين وسنغافورة وتايلاند .

المصدر: البنك الاسلامي للتنمية ٩٥ - ١٩٩٦م ص ٦١ .



شكل (١٩) دول رابطات شعوب جنوب شرق آسيا الإبراهيمية

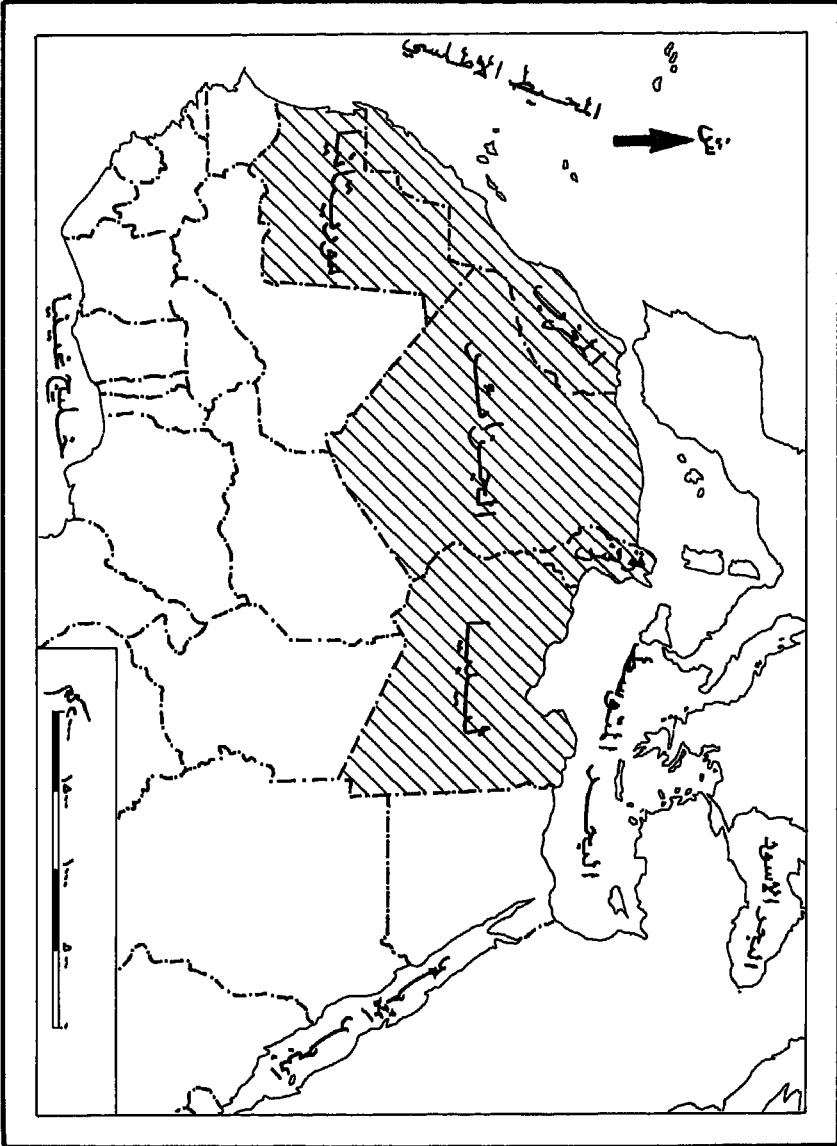
(جدول رقم ٢٠) : التجارة البينية للدول في الاتحاد المغربي العربي
 « بملايين الدولارات الأمريكية » ١٩٩٣ و ١٩٩٤م

الدولة	السنة	تونس	الجزائر	ليبيا	المغرب	موريتانيا	الصادرات
تونس	١٩٩٤م	=	١٧	١٥٨	٢٨	١	٢٩٤
	١٩٩٣م	=	٩٨	١٨٨	٣٥	=	٢٩٠
الجزائر	١٩٩٤م	٧٤	=	٢	١٠٤	١٨	١٧٨
	١٩٩٣م	٥٤	=	٣	١٠١	١٨	١٧٦
ليبيا	١٩٩٤م	١١١	٢	=	١٧	١	١٣١
	١٩٩٣م	٤٧	٢	=	١٦	١	٦٦
المغرب	١٩٩٤م	٤٣	٨٦	١٥٢	=	٨	٢٨٩
	١٩٩٣م	١٠	٨	١٤١	=	٧	٢٦٨
موريتانيا	١٩٩٤م	=	=	=	=	=	=
	١٩٩٣م	=	=	=	=	=	=
إجمالي	١٩٩٤م	=	=	=	=	=	٨٩٢
	١٩٩٣م	=	=	=	=	=	٨

- المعلومات غير متوافرة.

المصدر: البنك الاسلامي للتنمية ٩٥ - ١٩٩٦م ص ٦١.

شكل (٥٠) دول الاتحاد المغاربي



٥ - منظمة دول غربي أفريقيا :

يلاحظ أن التجارة البينية بين هذه الدول قد انخفضت عام ١٩٩٤م عما كانت عليه عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٦,٥٪ من إجمالي صادراتها وأصبحت عام ١٩٩٤م، ٥٪. والمعروف أن هذه المنظمة من أنشط المنظمات شبه الإقليمية التي تضم دولاً أفريقية، وهي تبذل جهوداً طيبة في تنمية التجارة، وقد اتخذت عدداً من الخطوات لتشجيع التجارة عبر الحدود بصفة خاصة . ويتولى تسيير جزء كبير من التجارة أشخاص غير رسميين، لذلك فإن الأرقام الخاصة، بتجارة هذه المنظمة قد لاتعكس الصورة الحقيقية للتجارة البينية لهذه الدول . وتشير الأرقام لعام ١٩٩٤م إلى حدوث انخفاض طفيف في التجارة بين دول هذه المنطقة، حيث زادت الصادرات البينية الإقليمية من ١٠٥ مليون دولار أمريكي عام ١٩٩٢م إلى ١١٠ مليون دولار عام ١٩٩٣م، ثم انخفضت إلى ١٠٦ مليون دولار عام ١٩٩٤م، ولكن الوضع العام للتجارة الإقليمية يظل غير مرضٍ . فهناك عدد من دول المنطقة له معاملات تجارية بسيطة، وقد لاتوجد له تجارة مع الدول الأخرى في المنطقة، ومن بين الدول الإسلامية الأعضاء في هذه المنظمة لم تسجل سوى غامبيا والسنغال وغينيا حجماً معقولاً من التجارة البينية على مستوى الإقليم عام ١٩٩٣م، وسجلت غامبيا عام ١٩٩٤م انخفاضاً كبيراً في صادراتها للمنظمة (من ٢٠٪ إلى ٨٪)، وكذلك السنغال سجلت حصتها في التجارة البينية انخفاضاً من ١٥,٢٪ عام ١٩٩٣م إلى ١٣,٥٪ عام ١٩٩٤م، ويشير ذلك إلى أن على معظم دول المنظمة البحث عن مجالات للتكامل التجاري والأشكال الأخرى من الروابط التجارية داخل المنطقة، مع إقامة البنية الأساسية اللازمة لتنشيط التجارة البينية في الإقليم (الجدول رقم ٢١، والشكل رقم ٢١) .

وعموماً فهناك اتجاه ملموس لتنمية التجارة البينية بين الدول الإسلامية، ولكن ينبغي على المنظمات الإقليمية أن تواصل جهودها لتقطع شوطاً كبيراً من أجل إقامة روابط معقولة داخل الأقاليم التي تقع فيها، ومن ثم يأتي في مرحلة ارتباط هذه

الأقاليم التي تقع فيها بعضها ببعض وتنسيق سياستها التجارية، حتى تكون سوق إسلامية مشتركة (شلبي، ١٩٨٤م : ٣٢) . ومن أجل ذلك، لابد من اتخاذ خطوات على المستويات الوطنية والإقليمية ومستوى الأمة الإسلامية لتعزيز قدراتها المؤسسة، لتنفيذ برامجها الخاصة بتنمية التجارة والأشكال الأخرى من التعاون الإقليمي، ثم التعاون على مستوى الأمة الإسلامية .

هيكل التجارة الإسلامية البينية حسب المواد :

نود أن نلقي الضوء في هذه الجزئية للتعرف على ما تحتوية التجارة الإسلامية من المواد، وسوف يتم الإشارة فقط إلى نخبة من هذه الدول الإسلامية تبلغ حوالي ٢٤ دولة، ثمان منها من الدول المصدرة للنفط، وثمان أخرى من الدول الأقل نمواً، وثمان من الدول متوسطة الدخل، وتبلغ جملة المبادلات بينها حوالي ٨ ٪ من إجمالي التجارة الإسلامية البينية، وسوف نشير أولاً إلى هيكل الصادرات وثانياً إلى هيكل الواردات وذلك على النحو التالي (المركز الإسلامي لتنمية التجارة، ١٩٩٥م : ٥٥ - ٦٤) :

أولاً : هيكل الصادرات للمواد في التجارة البينية :

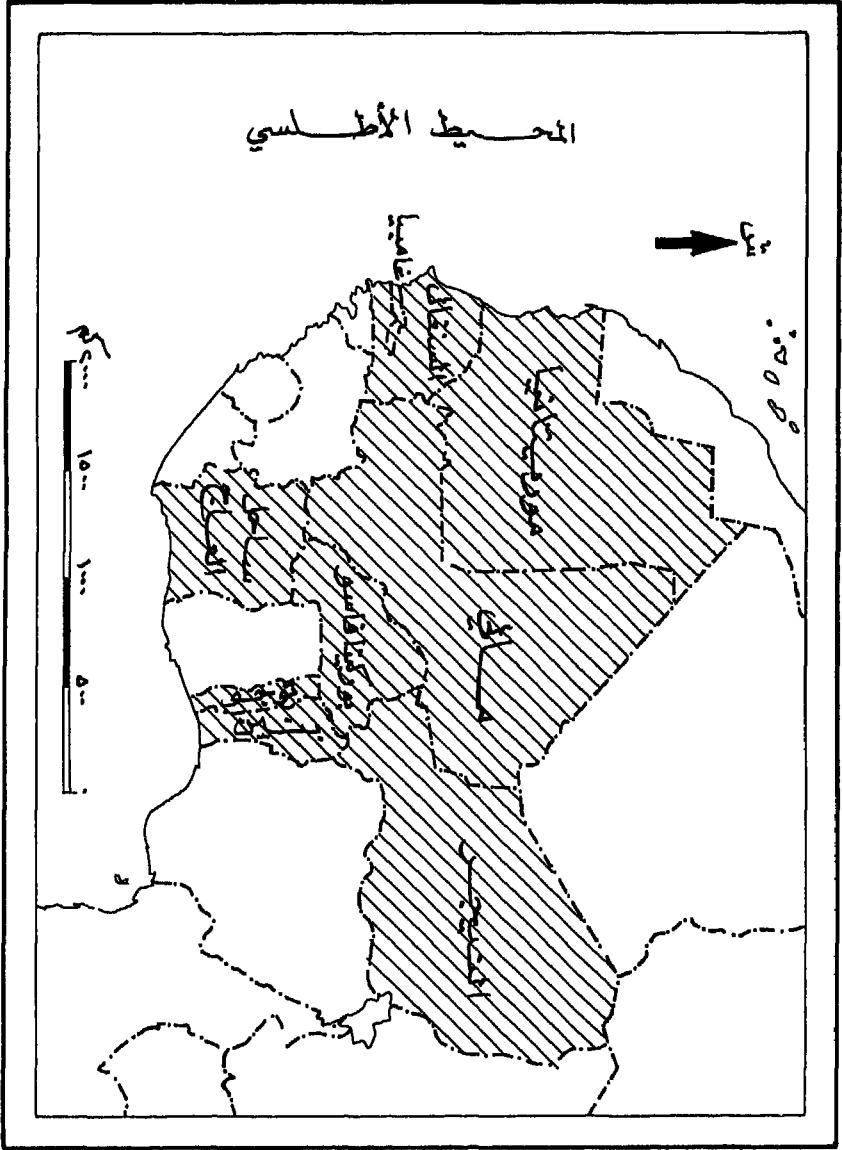
يلاحظ في هيكل الصادرات في التجارة البينية بين الدول الإسلامية، أن حصة المواد الأولية قد حظيت بالنصيب الأكبر من المواد المصنعة، حيث تراجعت الأخيرة بنسبة ٩,١ ٪ بين عامي ١٩٩٢م و ١٩٩٤م (من ٤٤ ٪ إلى ٤٠ ٪)، بينما حصلت المواد الأولية على ٦٠ ٪ من الصادرات بين الدول الإسلامية عام ١٩٩٤م مقابل ٥٦ ٪ عام ١٩٩٢م .

(جدول رقم ٢١) : التجارة البينية للدول الإسلامية في المنظمة
الاقتصادية لدول غربي أفريقيا (١٩٩٣ و ١٩٩٤ م » بملايين الدولارات
الأمريكية «

الدولة	السنة	بن	يوريكيا	نجاميا	السنغال	غينيا	مالي	النيجر
بنين	١٩٩٤م	=	٢	=	=	=	=	١
	١٩٩٣م	=	٢	=	١	=	=	١
بوركينافاسو	١٩٩٤م	=	=	=	١	=	٢	١
	١٩٩٣م	=	=	=	=	=	٦	=
نجاميا	١٩٩٤م	=	=	=	=	١	=	=
	١٩٩٣م	=	=	=	٦	١٠	=	=
السنغال	١٩٩٤م	٨	٤	٢	٢	٢١	٥	١
	١٩٩٣م	٧	٣	١٤	=	٨١	٤٤	١
غينيا	١٩٩٤م	=	=	=	=	=	=	=
	١٩٩٣م	=	=	=	١	=	=	=
مالي	١٩٩٤م	=	٢	=	١	=	=	١
	١٩٩٣م	=	٣	=	٢	=	=	=
النيجر	١٩٩٤م	=	=	=	٢	=	=	=
	١٩٩٣م	=	=	=	=	=	=	=
المجموع	١٩٩٤م	=	=	=	=	=	=	=
	١٩٩٣م	=	=	=	=	=	=	=

– بالنسبة لغينيا بيساو وسيراليون وموريتانيا لا توجد بيانات عن التجارة
البينية لعامي ١٩٦٣ و ١٩٩٤م.

المصدر: البنك الإسلامي للتنمية ٩٥-١٩٩٦م ص ٦٢.



دول المنطقة الاقتصادية لدول غربي أفريقيا

شكل (٢١)

وترجع زيادة حصة المواد الأولية إلى تزايد حصة مواد الطاقة والتي كانت تمثل ٣,٣٪ عام ١٩٩٢م وأصبحت تمثل ٥٦,٣٪ عام ١٩٩٤م. كما ارتفعت حصة المواد الغذائية من ٥١,٥٪ عام ١٩٩٢م إلى ١٦,٧٪ عام ١٩٩٤م. ويلاحظ أن أهم المواد الأولية المتبادلة بين الدول الإسلامية هي مواد الطاقة بنسبة ٥,٣٪ والمواد الغذائية بنسبة ١٦,٧٪، ثم باقي المواد الأولية النباتية والحيوانية بنسبة ٥,٧٪.

ثانياً : هيكل الواردات في التجارة البينية :

تسود المواد الأولية الواردات في التجارة البينية بين الدول الإسلامية والتي تشكل حوالي ٥٧٪ أما المواد المصنعة فتشكل حوالي ٤٣٪. وتمثل الطاقة ومشتقاتها - من المواد المصنعة - حوالي ٣١,٥٪ وباقي المواد المصنعة ٢٢,٥٪ من إجمالي الواردات.

فخلال الفترة ١٩٩٢م - ١٩٩٤م، تزايدت حصة المواد المصنعة، حيث كانت تمثل ١٩٪ ثم وصلت إلى ٢٥,٩٪. كما زادت حصة المواد الأولية للفترة نفسها من ١٥٪ إلى ١٩٪. وكذلك الحالي بالنسبة للمواد الكيماوية، حيث كانت ٦,٢٪ وأصبحت عام ١٩٩٤م ٨,١٪. ولقد تراجعت الآلات ومعدات النقل في الفترة نفسها. حيث كانت ١١,٦٪ وأصبحت ٩٪ عام ١٩٩٤م.

أثر اتفاقية الحجات على اقتصاديات الدول الإسلامية :

إن النظام العالمي الجديد الذي بدأ مع التوقيع على اتفاقيات جولة أورجواي والذي يتم اكتماله مع بدايات القرن الحادي والعشرين الميلادي سيفرض شروطه على اقتصاديات العالم، سواء كانت من أعضاء منظمة التجارة العالمية أم لا. وتشير الدراسات إلى أن هذه الاتفاقيات سترتب آثاراً متعددة وبعيدة المدى في مختلف المجالات، فضلاً عن انعكاسها على كل دول العالم باختلاف مستوياتها الاقتصادية. وتؤكد الدراسات الأولية، أن معظم الآثار السلبية ستكون من نصيب الدول النامية، التي تقع في محيطها الدول الإسلامية، ويمكن توضيح ذلك كالآتي :

أولاً : الآثار السلبية لاتفاقية الجات :

وتتمثل الآثار السلبية التي تتولد عن أعمال اتفاقية الجات ١٩٩٤م فيما

يلي :

- ١ - صعوبة القدرة على السيطرة على حركة الواردات نتيجة ضعف القدرة على تحريك شرائح الضريبة الجمركية على الواردات أو الاتجاه إلى أسلوب الحصص أو تقييد حركة الواردات كماً ونوعاً نتيجة تشدد اتفاقية الجات في هذا الخصوص .
- ٢ - صعوبة الانطلاق إلى أسواق جديدة نتيجة إلغاء نظام الحصص المفروض من قبل الجات على الصادرات للدول الأعضاء خلال عشر سنوات انتقالية .
- ٣ - شدة المنافسة في الأسواق الخارجية وسط كيانات منظمة وقادرة على التنافس والاحتفاظ بالأسواق .
- ٤ - تزايد مخاطر الانحراف وعدم كفاية الإجراءات التي أفردتها الجات لمعالجة حالات الانحراف التي تتبعها الدول والشركات الكبرى لاقتحام الأسواق .
- ٥ - المصاعب التي ستواجهه الدول الإسلامية في الحصول على الواردات الاستراتيجية كالقمح نتيجة إلغاء الدعم وتأثر الأسعار بالعرض والطلب .
- ٦ - الارتفاع المتوقع لأسعار الشحن نتيجة توقع نمو حجم التجارة الدولية، مع ثبات أسطول الشحن الدولي والناقلات، مما سيؤدي إلى ارتفاع أسعار النقل وبالتالي ارتفاع أسعار الواردات .
- ٧ - صعوبة إدارة العجز في ميزان المعاملات الجارية وميزان المدفوعات، نتيجة خروجها عن قبضة كل دولة إسلامية وارتهاؤها بأصحاب الأرصدة من المستوردين أو العالم الخارجي (زكي، ١٩٩٦م : ١٠ - ١١) .

ثانياً : الأساليب اللازمة لمواجهة الآثار السلبية لاتفاقية الجات :

إن على الدول الإسلامية التصدي لهذا التحدي الاقتصادي المعاصر واتخاذ السياسات اللازمة لإصلاح شؤونها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ويتطلب ذلك :

- ١ - دراسة ماجاء في هذه الوثيقة من إجراءات (اتفاقية الجات) .
- ٢ - دراسة وفهم ماتم إنشاؤه بنص هذه الاتفاقية من الكيانات والإطارات والهيكل والآليات وهي آليات غير مسبوقه في مجال العلاقات الاقتصادية الدولية .
- ٣ - دراسة جميع الفرص والإمكانات المتاحة للدول الإسلامية وطبيعة المخاطر والتحديات التي ستواجهها .
- ٤ - وضع الخطط الطويلة المدى لمواجهة السوق العالمية عند إتمام تحريرها سنة ٢٠٠٥م، وما يعطيه ذلك من إمكانات تصحيح وتحسين وإصلاح على مستوى الهياكل الإنتاجية .
- ٥ - وضع الخطط اللازمة للارتفاع بنوعية العنصر البشري القائد للسياسات الجديدة في مجال الإنتاج السلعي والخدمي واتخاذ القرار .
- ٦ - التعرف على الفرص المتاحة في كل مجال من مجالات التجارة للتمتع بالإعفاءات الممنوحة لتطبيق بعض القواعد والاحتفاظ بالمعاملة التفصيلية في المفاوضات من خلال عمل جماعي على مستوى الدول النامية .
- ٧ - متابعة مدى إلتزام الدول الصناعية بتطبيق إلتزاماتها في النظام الجديد تجاه الدول النامية، بتقديم معاملة متميزة وأكثر تفصيلاً، وتقديم العون الفني والمالي الذي يساعد على تلبية متطلبات النظام الجديد .
- ٨ - تكوين جبهة جيدة التمثيل من الدول النامية في المجالس واللجان والهيئات المختلفة لمنظمة التجارة العالمية، لضمان زيادة المكاسب والحصول على معاملة أكثر تفصيلاً .

٩ - رفع مستوى الكفاءة الإنتاجية في مختلف القطاعات الإنتاجية، وتطوير المنتجات من حيث الجودة والمواصفات (مشهور، ١٩٩٦م: ٢٠ - ٢٤) .

١٠- على الدول النامية تطوير هياكل إنتاجها المحلية، في ضوء نصوص النظام الاقتصادي العالمي الجديد، ورفع كفاءة وجودة مستوى القدرة التنافسية لمنتجاتها والتوسع في الزراعة الصحراوية وتغيير نظم الري .

١١ - تدعيم المناطق الحرة والتوسع فيها، حيث إنها تخرج عن نطاق الدولة وتمتع بكامل الحرية في التصدير والاستيراد بعيداً عن مظلة اتفاقية الجات .

١٢- إحياء فكرة السوق الإسلامية المشتركة ووضعها على الطريق العملي كمنفذ للعبور من قيود الجات ومخرج للتعاون العربي والإسلامي من خلال قيام منظمة تجارة إسلامية حرة، يتم من خلالها إنتقال رؤوس الأموال والسلع والأفراد دون أي قيود، رداً على التكتلات الاقتصادية الكبرى في آسيا وأوروبا وأمريكا .

وبذلك تتضح أهمية وضرورة تنسيق العمل بين الدول الإسلامية لمواجهة هذا التحدي الكبير والخروج من محنة التخلف للدخول كعضو شريك في الإفادة من تحرير التجارة العالمية بأكبر قدر ممكن من المنافع .

ويتطلب دعم العمل الاقتصادي الإسلامي المشترك إحداث نهضة تنموية لكل دولة إسلامية في أسواق السلع والعمل ورأس المال، على أن يتم ذلك على أسس تضمن الإفادة المثلى من مزايا كل منها، وتعزيز القدرة التنافسية، وزيادة الثقل التجاري لهذه الدول في مواجهة التكتلات الأخرى والاتفاقيات الدولية .

وإذا كانت النعمور الآسيوية قد نجحت في تحديد مكان متميز لها على الخريطة الاقتصادية العالمية إنتاجاً وتوزيعاً، عن طريق تنمية قدراتها التنافسية والإفادة من مزاياها التكاملية، فإن الدول الإسلامية تستطيع أن تحقق النجاح نفسه إذا ما أسرعت

في استيعاب أهمية الإفادة من قدراتها التكاملية والتنافسية لتتخذ مكانها المناسب في النظام الاقتصادي العالمي الجديد .

والدول الإسلامية تملك مقومات النجاح في مواجهة الآثار السلبية المفروضة على اقتصادياتها من جراء تطبيق اتفاقيات جولة أوروغواي، لما تتمتع به من العديد من الموارد المهمة الاقتصادية والبشرية، التي قلما تتمتع بها اقتصاديات أخرى، مما يمكنها من إيجاد مكان متميز لها في النظام العالمي الجديد.

وسائل تنشيط التجارة الإسلامية البينية والإمكانات المستقبلية :

سبق أن ذكرنا أن الاقتصاديات الإسلامية تتمتع بدرجة عالية من التباين الطبيعي والديمقراطي والصناعي الذي يؤهلنا للتعاون القائم على التكامل، فالاقتصاد الإسلامي يتمتع بتنوع كبير في الموارد الطبيعية والموقع الجغرافي والمناخ والموارد المالية، إلا أن الواقع يؤكد ضعف مستوى التعاون الاقتصادي العربي والإسلامي وانخفاض حجم التجارة الإسلامية البينية، والذي يرجع لضعف الطاقات الإنتاجية، وعدم كفاية سياسات التفضيل التجاري بين الدول الإسلامية، وعدم تيسير خطوط النقل والمواصلات وحركة انتقال الأشخاص والأموال، واختلاف الأنظمة الاقتصادية المطبقة في الدول الإسلامية .

وفي ظل الظروف والمتغيرات الدولية والإقليمية الراهنة، ينبغي العمل على دعم التعاون والتكتل الاقتصادي بين الدول الإسلامية من خلال الآتي :

١ - دعم وتفعيل دور منظمة المؤتمر الإسلامي من خلال القمة الإسلامية التي توجه الجهود والأعمال المتعلقة بالتعاون الاقتصادي بين الدول الأعضاء . وقد عقد مؤتمر القمة الإسلامي السابع في الدار البيضاء بالمغرب في الفترة من ١٠ - ١٤ ديسمبر ١٩٩٤م حيث اتخذ عدداً من القرارات والتوصيات ذات الصلة منها :

أ - ناشد المؤتمر الدول الإسلامية للتعاون من أجل مواجهة آثار السوق الأوروبية المشتركة الموحدة .

ب - أعرب المؤتمر عن قلقه إزاء المشكلات الخطيرة التي تواجه الدول الأقل نمواً والدول الحبيسة (التي ليس لها منافذ على البحر)، بخاصة في إفريقيا، وناشد البنك الإسلامي للتنمية تقديم المساعدات لهذه الدول .

ج - ناشد المؤتمر الدول الأعضاء والبنك الإسلامي للتنمية لتقديم المساعدة الفنية والمالية والغذائية إلى الدول الإسلامية التي تأثرت بالجفاف والكوارث الطبيعية.

د - طالب المؤتمر بتقديم المساعدة الاقتصادية إلى أذربيجان وأفغانستان والبانيا وأوغندا والبوسنة والهرسك وسيراليون والصومال وقيرغيزيا ولبنان .

هـ - أيد المؤتمر البنك الإسلامي للتنمية لقيامه بإنشاء المؤسسة الإسلامية لتأمين الاستثمار وائتمان الصادرات .

٢ - دعم وتفعيل دور البنك الإسلامي للتنمية الذي يتمثل هدفه الرئيس في دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي للدول الأعضاء، من خلال المشاركة في رؤوس الأموال المستثمرة في المشروعات والمؤسسات الإنتاجية للدول الأعضاء، ودعم البنية الأساسية لاقتصادياتها، إلى جانب منح القروض لتمويل المشروعات والبرامج الإنتاجية في القطاعين العام والخاص في الدول الأعضاء، بالإضافة إلى إدارة صناديق خاصة لأغراض معينة، مثل صندوق معاونة الدول الإسلامية غير الأعضاء .

٣ - توسيع إطار اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية وجهازها الدائم المتمثل في مجلس الوحدة الاقتصادية العربية ليشمل باقي الدول الإسلامية .

٤ - توسيع إطار صندوق النقد العربي ليشمل باقي الدول الإسلامية، وتكوين صندوق النقد الإسلامي .

- ٥ - تنشيط دور المؤسسات المالية الإقليمية على مستوى رقعة الدول الإسلامية، مثل الصندوق العربي للإئتماء الاقتصادي والاجتماعي والصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية والصندوق السعودي للتنمية وصندوق أبو ظبي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .
- ٦ - فتح باب المساهمة في الشركات العربية المشتركة القابضة الكبرى التي أنشأها مجلس الوحدة الاقتصادية أمام كافة الدول الإسلامية .
- ٧ - التنسيق بين المؤسسات المالية في مجال التجارة وزيادة التبادل التجاري بين الدول الإسلامية .
- ٨ - تفعيل وتوسيع نطاق برنامج تمويل التجارة العربية ليشمل الدول الإسلامية، ويهدف البرنامج إلى الإسهام في تنمية التجارة بين الدول العربية، وتعزيز القدرة التنافسية للمصدر العربي .
- ٩ - العمل على دمج البنوك في الدول الإسلامية وتكاملها وانفتاحها على بعضها البعض .
- ١٠ - تنشيط برامج الخصخصة والتحول لاقصاديات السوق الحر، باعتبارها السبيل إلى زيادة كفاءة الوحدات الانتاجية .
- ١١ - دراسة التجارب التكاملية في العالم والتعرف على أسباب الفشل والنجاح فيها، بخاصة تجربة الجماعة الأوروبية التي نجحت في تحقيق أول وحدة إقليمية، استطاعت أن تتطور حتى وصلت إلى تكوين الاتحاد الأوروبي، الذي كان لقيامه صدى عميقاً في العالم أجمع، ومنطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية « النافتا » (Nafta) التي ضمت الولايات المتحدة وكندا والمكسيك لتكون أكبر سوق تجاري في العالم، حيث تتفوق في عدد أفرادها على سوق الجماعة الأوروبية، كما تتفوق عليها في إنتاج النفط والحبوب .

أنسب أساليب

التكامل الاقتصادي لدول العالم الإسلامي

لقد مر العالم الإسلامي (والعربي) بتجارب مختلفة من أجل العمل المشترك والبعض من هذه التجارب قد لاقى بعض النجاحات والبعض الآخر لم يحقق النجاح المطلوب وذلك لعوامل وظروف مختلفة، ويمكن تناول تلك التجارب وآفاق المستقبل على النحو التالي :

أولاً : تقييم تجارب العمل الإسلامي المشترك في الفترة السابقة^(٢٩) :

بدأ العمل الإسلامي (العربي) المشترك منذ مولد الجامعة العربية عام ١٩٤٥م، حيث تلاها الكثير من الاتفاقيات الدولية العربية التي تهدف إلى تحقيق وحدة اقتصادية عربية، حيث تم توقيع اتفاقية « المعاملة التفضيلية » عام ١٩٥٣م، والتي بموجبها يتم تحديد تعريف تفضيلية لسلع الدول العربية وتعمل على تسهيل التبادل التجاري وتجارة العبور وإعفاء بعض المنتجات الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعية إعفاءً كاملاً، وتخفيض التعريف الجمركية لبعض المنتجات الصناعية بحوالي ٢٥٪ .

ثم أعقب ذلك، اتفاقية الوحدة الاقتصادية عام ١٩٦٢م والتي صدقت عليها خمس دول عربية فقط، وكانت تهدف إلى تحقيق حرية انتقال العمل ورأس المال، وحرية تبادل السلع والإقامة، وممارسة النشاط الاقتصادي . ولقد تضمنت اللائحة التنفيذية توحيد التعريف الجمركية وسياسة التصدير والاستيراد وعقد الاتفاقيات التجارية، وتنسيق السياسات الزراعية والصناعية والمالية، وتوحيد أسس الإحصاء .

وفي عام ١٩٦٤م، وقَّعت خمس دول اتفاقية السوق العربية المشتركة وكانت تهدف إلى حرية انتقال الأفراد ورؤوس الأموال، وحرية الإقامة والعمل وممارسة النشاط الاقتصادي، وحرية تبادل السلع والنقل والعبور . وفي عام ١٩٨١م، عقدت اتفاقية تسيير التبادل التجاري بين الدول العربية والتي أنشئ بمقتضاها برنامج تمويل التجارة الخارجية .

وأثناء ذلك ظهر العديد من التكتلات الاقتصادية الإقليمية والتي حاولت تحقيق مآتهف إليه اتفاقية الوحدة الاقتصادية، مثل دول مجلس التعاون الخليجي ودول مجلس التعاون العربي ودول الاتحاد المغربي العربي .

وفي هذه الجزئية من الدراسة، سوف نعرض تقييماً لتطور العلاقات الاقتصادية للدول العربية والإسلامية في الفترة السابقة .

ولقد مرت الدول العربية والإسلامية بعدة تجارب للعمل الاقتصادي المشترك، حيث تعددت الاتفاقيات الجماعية بينها بهدف تحقيق قدر كبير من التعاون في المجال الاقتصادي، لكن هذه الاتفاقيات لم تحقق إلا نتائج محدودة للغاية ومخيبة للأمال، رغم أن دواعي التكامل كانت تحظى بالكثير من الظروف الموضوعية التي تكفل نجاحه .

ومن عوامل عدم النجاح، أن ميثاق جامعة الدول العربية لم يشملها نصوصاً صريحة لأجل التكامل الاقتصادي أو الوحدة الاقتصادية، بل كانت هذه النصوص من العوامل المؤدية لتراخي الإجراءات والقرارات . وعلى سبيل المثال، ما تنص عليه المادة الثانية من ميثاق جامعة الدول العربية على أن تتعاون الدول العربية المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها في الشؤون الاقتصادية والمالية .

كما تنص المادة السابعة من الميثاق، على أن مايقدره مجلس الجامعة بالإجماع يكون ملزماً لجميع الدول المشتركة في الجامعة، ومايقدره المجلس بالأكثرية يكون ملزماً لمن يقبله، وفي الحالتين تنفذ قرارات المجلس في كل دولة وفقاً لنظمها الأساسية .

كما ترك لكل دولة حرية عقد ماتشاء من اتفاقيات مع الدول الأخرى واتخاذ ماتراه من قرارات، حتى لو تعارضت مع صالح أي من الدول العربية الأخرى أو ميثاق الجامعة أو قرارات مجلس الجامعة . وقد قدمت عدة مقترحات لإجراء بعض

التعديلات على الميثاق، بمعرفة لجنة شكلت عام ١٩٦٥م بقرار من مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في المغرب، تسمى لجنة دراسة ميثاق الجامعة، ولكن لم يتحقق النجاح الكامل لذلك حتى الآن .

ومن عوامل ضعف التعاون والتكامل الاقتصادي العربي، الظروف التي أحاطت بالأجهزة العاملة في هذا المجال بالجامعة العربية، حيث يلاحظ تعدد هذه الأجهزة وتفككها وتضارب اختصاصاتها، واختلاف أنظمتها، وضعف السلطات المخولة لها، وعدم وضوح أهدافها، وتباين سياساتها، ووهن إمكانياتها، وبخاصة المجلس الاقتصادي الذي يعتبر أهم تلك الأجهزة، حيث إن دوره يقتصر على تقديم المقترحات للحكومات الدول الأعضاء بما يراه كفيلاً بتحقيق أغراضه^(٣) ومن ثم، فإن المجلس ليس له دور تنفيذي أو تخطيطي، بل إن كل اختصاصه ينحصر في أن يحاول تحقيق التعاون عن طريق تقديم المقترحات للدول الأعضاء .

كذلك يلاحظ عدم وجود أية رابطة أو تنسيق ما بين المجلس الاقتصادي والمنظمات المتعلقة بالمجلس، رغم أن المجلس هو الذي قام بالتحضير والموافقة على المعاهدات والاتفاقيات المنشئة لتلك الهيئات والمنظمات، مما أدى إلى أن كل جهة من هذه الجهات تعمل باستقلال عن الأخرى وكذا المجلس .

وما ينطبق على قرارات المجلس الاقتصادي من عدم التزام الأعضاء بها، ينطبق أيضاً على قرارات مجلس الوحدة الاقتصادية، حيث تنص المادة الثالثة عشر من اتفاقية الوحدة الاقتصادية على أن يمارس المجلس هذه السلطات والسلطات الأخرى الموكولة إليه بموجب هذه الاتفاقية وملاحقها بقرارات تصدرها وتنفذها الدول الأعضاء، وفقاً للأصول الدستورية المرعية لديها . وعلى ذلك، فالدول الأعضاء يمكن أن تتحلل من تنفيذ القرارات الصادرة من مجلس الوحدة الاقتصادية، بحجة أنها لا تتفق مع الأصول الدستورية المرعية لديها.

أما في مجال التطبيقات العملية للتعاون الإسلامي العربي، فإن لذلك أربعة جوانب يمكن توضيحها كالآتي :

١ - مرحلة الاتفاقيات :

تركزت جهود الدول العربية في هذه المرحلة على إزالة العقبات الجمركية والقانونية والإدارية من أجل تسهيل انتقال السلع وعناصر الإنتاج وتحقيق دور من التنسيق ومن بين هذه الاتفاقيات، اتفاقيات ثنائية وأخرى جماعية .

ولقد بدأ عقد الاتفاقيات الثنائية بين الدول العربية منذ أوائل الخمسينات الميلادية حيث عقدت بعض الدول العربية عدداً من الاتفاقيات الثنائية لتنشيط التبادل التجاري بينها، عن طريق تسوية المعاملات التجارية بالعملة الحسابية، ومن هذه الاتفاقيات :

- أ - اتفاقية الأردن ومصر عام ١٩٥١ م .
- ب - اتفاقية الأردن والعراق عام ١٩٥٣ .
- ج - اتفاقية الأردن وسوريا عام ١٩٥٣ م .
- د - اتفاقية سوريا والعراق عام ١٩٦١ م .
- خ - اتفاقية العراق والكويت عام ١٩٦٤ .

وكانت لهذه الاتفاقيات آثار إيجابية محدودة للغاية، لعدم وجود تنسيق وتكامل بين اقتصاديات الدول المعنية، حيث إن الأنشطة الإنتاجية في كل بلد عربي إسلامي تتشابه مع البلد الآخر، مما يؤثر على حركة التجارة وانتقال السلع، هذا بالإضافة إلى أن المناخ السياسي بين الدول المتعاقدة، كان له تأثير كبير على تنفيذ هذه الاتفاقيات .

أما فيما يتعلق بالاتفاقيات الجماعية فلقد أبرمت اتفاقيات جماعية بين دول العالم العربي والإسلامي بداية من عام ١٩٥٣م، حيث عقد المجلس الاقتصادي

بجامعة الدول العربية اتفاقيتين، إحداهما لتسهيل التبادل التجاري وتنظيم تجارة الثرانزيت، والثانية لتسديد مدفوعات المعاملات الجارية وانتقال رؤوس الأموال، كما عقدت اتفاقيات جماعية أخرى، أهمها اتفاقية إنشاء مجلس الوحدة الاقتصادية والتي أسفر عنها الكثير من العمل العربي الجماعي، وكذلك اتفاقية السوق العربية المشتركة .

وكان لمرحلة الاتفاقيات بعض الجوانب الإيجابية البسيطة وجوانب سلبية، نشير إليها فيما يلي :

أ - اتفاقية تسهيل التبادل التجاري وتنظيم تجارة العبور : عملت على توسيع أفق التعاون الاقتصادي العربي وتوسيع نطاق نظام الأفضلية في التعامل التجاري، وإحداث ركيزة تمثل الحد الأدنى من التعامل الاقتصادي العربي شبه الثابت، وسارت التعديلات التي أدخلت عليها في الطريق الطبيعي وهو التوسع في الإعفاءات . أما الجانب السلبي في الاتفاقية، فإنه لم يوقع عليها سوى الأردن وسوريا ولبنان والعراق ومصر والسعودية واليمن، وعند التصديق عليها لم تصدق اليمن ثم انضمت الكويت لها فيما بعد، ومن ثم نجد أن معظم الدول العربية لم تنضم لهذه الاتفاقية .

كما يلاحظ أن الاتفاقيات العربية التي عقدت بعد ذلك أعطت إعفاءات وتخفيضات جمركية أكثر من هذه الاتفاقية، هذا بالإضافة إلى أنها لا تؤدي إلى تنشيط التبادل التجاري بين البلاد العربية في الأجل الطويل، لعدم وجود تنسيق وتكامل بين اقتصادياتها، وعدم تضمينها لأية نصوص لتنسيق التعريفات الجمركية للبلاد العربية والعالم الخارجي . كما أن الدول المشتركة لم تتفق على الجدول الزمني لسريان التخفيضات المقترحة . بالإضافة إلى تغير نظم إجازات الاستيراد، بسبب خضوعها للسلطات السياسية، دون اعتبار للمصلحة العربية .

ب - أما عن اتفاقية تسديد المدفوعات للمعاملات الجارية وانتقال رؤوس الأموال بين دول الجامعة العربية : فقد تبين من التطبيق العملي لهذه الاتفاقية، عدم حدوث انتقال لرؤوس الأموال العامة، وتم انتقال محدود لرؤوس الأموال الخاصة في الاستثمارات العقارية فقط دون بقية الاستثمارات التنموية، كما لم تعمل هذه الاتفاقية على إلغاء أنظمة الرقابة على الصرف والتحويلات الخارجية المطبقة في دول الاتفاقية، مما ترتب عليه شل فاعلية الاتفاقية والحد من تأثيرها في تيسير التبادل التجاري، وتوزيع رؤوس الأموال على الاستخدامات البديلة في الوطن العربي بما يؤدي لرفع إنتاجيتها وتوسيع النشاط الاستثماري، وعدم حاجة الدول العربية إلى العون الخارجي .

ج - أما عن السوق العربية المشتركة : فقد اقتصررت قرارات إنشائها على تكوين اتحاد جمركي بين الدول الأعضاء دون اتخاذ خطوات تحقيق الوحدة الاقتصادية العربية الشاملة، ورغم ذلك، فإن الدول الأعضاء لم تستطع أن تحقق هذا الاتحاد الجمركي، بل إن السوق رغم اكتمال جميع مراحلها لاتخرج عن كونها منطقة تجارة حرة، تعاني من القيود النقدية والاستيرادية والإدارية التي تعوق الاتجاه نحو تحقيق أهدافها، حيث إن التبادل التجاري بين الدول الأعضاء لا يزال يخضع لهذه القيود الكمية والنقدية، وهو ما يتعارض صراحة مع قرار إنشاء السوق . كما أن الدول الأعضاء قد أسرفت في استخدام حقها في طلب الاستثناءات من الإعفاءات الجمركية والتخفيضات التي نص عليها قرار إنشاء السوق .

كما اتسم قرار إنشاء السوق بعملية تسوية المدفوعات بين الدول الأعضاء، وفي فبراير من عام ١٩٧٠م، أقر مجلس الوحدة الاقتصادية مشروع إقامة اتحاد مدفوعات عربي بقرار رقم (٤٤٦)، إلا أن ذلك مازال متعثراً .

أما ماجاء باتفاقية السوق عن انتقال رؤوس الأموال، فقد شكلت لجنة من خبراء التمويل العربي في الكويت أواخر عام ١٩٦٧م وقدمت بعض المبادئ التي اعتمدها مجلس الوحدة الاقتصادية في دورته الرابعة عشرة، وعهد للجنة محافظي المصارف المركزية للدول الأعضاء بوضع مشروع اتفاقية في هذا الشأن، ولكن هذه الاتفاقية مارالت متعثرة .

نصت اتفاقية السوق العربية على حرية انتقال الأشخاص وحرية ممارسة النشاط الاقتصادي، حيث أقر مجلس الوحدة الاقتصادية بعض مبادئ تتعلق بحرية الإقامة والعمل، منها حق الأفضلية في العمل لرعايا دول الاتفاقية عن غيرها من الدول . كذلك أوصى في مارس ١٩٦٥م بحق الإقامة والانتقال لرعايا الدول الأعضاء في الاتفاقية بجواز السفر أو البطاقة الشخصية الموحدة . وعدم المنع إلا لأسباب صحية أو أمنية، إلا أن تطبيق ذلك مارال متعثراً .

وفي مجال حرية ممارسة النشاط الاقتصادي، لم يتمكن مجلس الوحدة الاقتصادية أن يخطو في سبيل ذلك إلا خطوات محدودة للغاية .

تضمن قرار إنشاء السوق إحالة موضوع التنسيق الصناعي والتكامل الاقتصادي بين دول السوق للجنة خاصة لدراسته وتقديم المقترحات اللازمة، إلا أن اللجنة لم تستطيع أن تقوم بأعمالها نظراً لعدم تلبية الدول لطلباتها من بيانات، ويرجع ذلك إلى تسابق الدول الأعضاء في إقامة عدد من الصناعات التي يوجد ما يماثلها لدى الدول الأعضاء الأخرى قبل إجراء عملية التنسيق، ويؤكد ذلك وجود نزعة استقلالية قوية لدى الدول الأعضاء .

ونتيجة لعدم تحقيق نتائج ملموسة من التنسيق والتكامل الاقتصادي بين دول السوق، فقد اتجهت بعض الدول إلى إقامة الاتحاد فيما بينها، منها إنشاء هيئة دائمة للتنسيق والتكامل الاقتصادي عام ١٩٧٠م بين مصر وسوريا والعراق، وإنشاء مجلس التعاون الخليجي، وإنشاء مجلس التعاون لدول المغرب العربي، وإنشاء مجلس التعاون العربي .

أما عن منجزات السوق، فإنها ضعيفة وهزيلة وقليلة الفائدة، ولا تزيد عن ٩٪ من نشاط دولها في التجارة الخارجية الدولية، ومن ثم لم تؤد هذه النتائج إلى اتساع رقعة السوق على مستوى المنطقة العربية نفسها وذلك لعدة أسباب، منها عدم تضمن قرارات إنشاء السوق لقواعد تحقيق التنسيق بين أعضائها وعدم صدور التشريعات المتعلقة بتوحيد السياسات والإجراءات الاقتصادية وغير الاقتصادية، بالإضافة لعدم البت في كثير من الأمور المتعلقة بحرية انتقال رؤوس الأموال والأفراد وممارسة النشاط الاقتصادي، كذلك افتقار السوق للدراسات العلمية عن الهياكل الاقتصادية والخطط وإمكانات النمو ومشاكل التنسيق، لعدم وجود جهاز متخصص لمثل هذه الدراسات، كما لا يوجد تنسيق بين الأنظمة النقدية لدول السوق، وعدم معالجتها لعملية تحويل العملات المحلية للدول المشتركة، وتركت الأمر للدول تعرفه كيف تشاء . كما أن معظم الدول العربية مارالت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً في تجارتها الخارجية بالدول الأجنبية المتقدمة لاعتبارات سياسية .

كما يوجد الكثير من القيود المفروضة على الصادرات والواردات، كما أن قرارات مجلس الوحدة الاقتصادية ليس لها صفة الإلزام . كما يلاحظ كثرة الاستثناءات التي تطلبها الدول المختلفة على تطبيق قاعدة التعريف الجمركية على وارداتها، كما لا تتبع سياسة موحدة حيال الدول غير الأعضاء في الاتفاقية . يضاف إلى ذلك أن العلاقات السياسية غير المستقرة بين الدول العربية كان لها أثرها الكبير والمباشر على النواحي الاقتصادية والسوق .

ويلاحظ أن أسلوب السوق يكتفي بتحرير حركات انسياب السلع وعناصر الإنتاج بين الدول الأعضاء، تاركاً تحقيق التكامل لقوى السوق التقليدية، أي دون تدخل الدول للتنسيق بين السياسات الاقتصادية في أوجه الإنتاج المختلفة . وهذا الأسلوب لا يحقق التكامل ولا يمثل سوى صورة من صور التعاون الاقتصادي، حيث إن التكامل يبدأ عند مرحلة تدخل الحكومات للتنسيق بين سياساتها الاقتصادية وأنشطتها الإنتاجية، وهذا الأسلوب يتضمن بعض العيوب منها، أنه إذا تفاوتت

مستويات النمو بين الدول، فإن تحرير عناصر الإنتاج سوف يؤدي لاتساع هذا التفاوت، وعلى ذلك، فالدول الأكثر تقدماً سوف تنفرد بعناصر الإنتاج الأكثر فائدة، وذلك لتمتعها بقدر أكبر من الهياكل الأساسية ومصادر الوفورات الخارجية .

لهذا فإن أسلوب السوق المشتركة يستلزم تطبيقه بين مجموعة دول أنشطتها الاقتصادية متقاربة وهياكلها الإنتاجية متقدمة، مما يتيح لها حجماً مناسباً من الحركات التجارية، ولا يعوقها سوى بعض القيود والحواجز الجمركية . فإذا ما تمكنت من إزالة هذه القيود ازداد حجم التجارة الإقليمية ونشطت القطاعات الإنتاجية .

وعلى ذلك فالاعتماد على قوى السوق في تحقيق التكامل لا يتناسب مع الدول التي تتباين في مستويات التقدم والنمو .

ولهذا فقد تميزت هذه المرحلة من مراحل العمل العربي في مجال التكامل الاقتصادي بالتركيز على التبادل التجاري . وقد كان من المتصور أنه يكفي إزالة الحواجز الجمركية والإدارية حتى يتحقق الانسياب التلقائي للسلع وعناصر الإنتاج، وإن ذلك لا يتأتى إلا بإبرام اتفاقيات بين الدول العربية .

وكان من الطبيعي ألا يحقق هذا التصور أهدافه بسبب أوضاع اقتصاديات الدول العربية من تخلف وتمائل وتخصص في تصدير المواد الأولية، وضعف الإنتاج الصناعي . فحرية التجارة بين البلاد العربية في ظل هذه الظروف لا تؤدي إلى إنشاء وتمويل المشروعات الاستثمارية ذات القدرة المتكاملة، وهي شروط أولى لازدياد حرية التجارة بين البلاد العربية .

هذا بالإضافة إلى أن أسلوب السوق المشتركة يصعب مجاحه وتطبيقه بين الدول الساعية للنمو، حيث إنه لا يناسب الدول التي تتباين في مستويات التقدم والنمو، لكن يمكن تطبيقه بين الدول المتقاربة في أنشطتها الاقتصادية والتي تتوافر لديها هياكل إنتاجية متقدمة، وتحتاج لإزالة الحواجز الجمركية بينها حتى تتمكن من زيادة حجم التجارة الإقليمية وتنشيط القطاعات الإنتاجية .

وكان من أهم وأبرز المنظمات التي تم إنشاؤها في ظل العلاقات الاقتصادية العربية خلال هذه الفترة الآتي :

- المنظمة العربية للتنمية الزراعية (فبراير ١٩٧٠ م) .
- اتفاقية استثمار رؤوس الأموال العربية (أغسطس ١٩٧٠ م) .
- المؤسسة العربية لضمان الاستثمار (١٩٧٠ م) .
- اتفاقية تجنب الازدواج الضريبي بين دول مجلس الوحدة الاقتصادية (ديسمبر ١٩٧٣ م) .
- اتفاقية تسوية منازعات الاستثمار بين الدول العربية (١٩٧٤ م) .
- الأكاديمية العربية للنقل البحري (نوفمبر ١٩٧٤ م) .
- المصرف العربي للتنمية الاقتصادية (مارس ١٩٧٤ م) .
- صندوق النقد العربي (إبريل ١٩٧٦ م) .
- اتفاقية تجارة الترانزيت « العبور » (مارس ١٩٧٧ م) .
- المنظمة العربية للسياحة (سبتمبر ١٩٧٨ م) .
- الإعفاء الضريبي لمعدات الطيران (فبراير ١٩٧٩ م) .

٢ - مرحلة المشروعات المشتركة :

تتعدد صور التعاون الاقتصادي الإقليمي التي تمر بها البلاد المختلفة لتحقيق التقارب أو التكامل الاقتصادي، وتندرج في المضمون ودرجة التقارب والتنسيق^(٣١)، على أن هناك بعض العقبات التي قد تواجه الدول في محاولتها لتحقيق التعاون الاقتصادي، نظراً لتباين الأوضاع الاقتصادية السائدة فيها، كاختلاف الأنظمة الاقتصادية السائدة في هذه البلاد، أو اختلاف مستويات النمو الاقتصادي، أو استعدادها لقبول بعض القيود التي تحد من حريتها في اتخاذ قرارات تتصل بسياساتها الاقتصادية أو النقدية أو التجارية (Mead , 1962 : 104) .

ويتميز أسلوب التعاون عن طريق إنشاء المشروعات المشتركة بالوضوح في توزيع المزايا أو المنافع التي تعود على الشركاء فيه، نظراً لتحديد هذا التوزيع تلقائياً، مع تحديد مساهمات الشركاء في المشروع، بخلاف الحال عندما يقتصر التعاون على اتباع أسلوب التنسيق بين السياسات، حيث لايسهل في مثل هذه الحالات التصور مسبقاً لتوزيع معين للمزايا التي تعود على الدول المعنية، نتيجة الاتفاق على إزالة العقبات التنظيمية مثلاً، أو إزالة الحواجز الجمركية، وإلى غير ذلك من الإجراءات، بل قد يتجاوز الأمر ذلك إلى الإضرار بالدول التي لم تنل قسطاً مناسباً من التقدم، والتي تعاني من تخلف في مؤسساتها المالية، والنقدية .

ومن هنا، تبدو مزايا أسلوب التعاون عن طريق إنشاء المشروعات المشتركة، ذلك أن اتفاق دولتين أو أكثر على إقامة مشروعات تحقق لأطراف الاتفاق مزايا اقتصادية تقتسمها فيما بينها وفقاً لقواعد يتفق عليها مسبقاً، من شأنه أن يجعل من اختلاف انظمتها الاقتصادية مسألة ثانوية في هذا المجال .

ومن السهل أن نتبين أهمية المشروعات المشتركة كخطوة مهمة في سبيل تحرير عناصر الإنتاج، مادامت تتضمن بصفة دائمة انسياب رؤوس الأموال، من الدول ذات الفائض للدول ذات العجز، وهذا يعتبر صورة مهمة من صور التكامل الجزئي .

لقد تعددت مجالات الدول العربية لإنشاء مشروعات تدخل تحت مدلول المشروعات المشتركة، ويمكن أن تقسم تلك المجالات لأربع مجموعات كالآتي :

أ - المجموعة الأولى : وهي خاصة بالبنوك والمصارف وصناديق التمويل مثل :

- البنك العربي الأفريقي .

- المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا .

- البنك الإسلامي للتنمية .

- صندوق الأوبك .
- المصرف العربي الدولي .
- اتحاد المصارف العربية الفرنسية .
- الصندوق العربي للإئتماء الاقتصادي والاجتماعي .
- صندوق النقد العربي .
- الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية .
- صندوق أبو ظبي للتنمية الاقتصادية العربية .
- الصندوق السعودي للتنمية الخارجية .
- الصندوق العراقي للتنمية الخارجية .
- ب - المجموعة الثانية : وهي مجموعة شركات الاستثمار، منها مايلي :
- الشركة الكويتية - السودانية - للاستثمار المحدودة .
- شركة الاستثمار الكويتية - المصرية .
- الشركة العربية للاستثمار .
- ج - المجموعة الثالثة : وهي شركات الإنتاج الأولى، ومنها :
- شركة البوتاس العربية المحدودة .
- الشركة العربية لتنمية الثروة الحيوانية .
- الشركة العربية للتعددين .
- د - المجموعة الرابعة : وهي شركات الخدمات، ومنها :
- الشركة العربية لبناء السفن .
- الشركة العربية للملاحة البحرية .
- الشركة العربية لنقل البترول .
- الشركة العربية لأنابيب البترول .

ويلاحظ مما سبق، تعدد الاتفاقيات العربية في مجال إنشاء الشركات المشتركة، التي بدأت في الظهور في أواخر الستينات الميلادية .

ويلاحظ أن هذه الظاهرة لم تكن موجودة في الخمسينات الميلادية، وذلك يرجع لعدة عوامل، منها عدم وجود المناخ الاستثماري اللازم لحركة الاستثمارات من الجوانب السياسية والاقتصادية عموماً، وفقدان الثقة بين الدول العربية بعضها البعض، وعدم وجود فوائض أموال عربية بالقدر الذي وصل إليه حجمها بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م نتيجة ارتفاع أسعار النفط، وعدم وجود الأطر التمويلية لتشجيع حركة الاستثمارات، وعدم وجود الضمانات اللازمة للاطمئنان إلى مصدر الأموال والمؤسسات التي سيتم إنشاؤها داخل الدول العربية المضيفة لها، وعدم وجود المؤسسات المتخصصة في الدراسات اللازمة لبيان مدى جدية وجدوى المشروعات قبل إنشائها، وعدم وجود القوانين والتشريعات التي تسمح بالمعاملة التفضيلية والحصانات للاستثمارات العربية (خاصة) بين الدول العربية .

ولقد حالف التوفيق مجموعة البنوك والمصارف وصناديق التمويل، نظراً لأن نوع النشاط الذي تمارسه هذه المشروعات هو أكثر النشاطات جاذبية بالنسبة للمستثمرين، حيث لا يحتاج إلى خبرات وكفاءات دقيقة يصعب توافرها، كما هو الحال في الأنشطة الأخرى . كما أن الضمانات التي وضعت للمشروعات كانت كفيلة بالقضاء على التخوف، وإن كان في بعض الأعمال المصرفية شئياً من المخاطرة، إلا أنها أقل بكثير من تلك التي تحيط بالنشاطات الاستثمارية المباشرة .

لكن جانب التوفيق للمشروعات الأخرى في الستينات (مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، ١٩٧٦م)، لأن القائمين عليها كانت تؤثر فيهم اعتبارات سياسية، ولم تكن تحكم سياساتها اعتبارات اقتصادية أو روح التكامل الاقتصادي، الأمر الذي أدى إلى توقيع اتفاقيات مشروعات لم يكن من الصعب في ظروفها أو يُكتشف انتفاء المصلحة الاقتصادية المباشرة لدى بعض الأعضاء، وضعف الإمكانيات التمويلية لدى البعض الآخر . هذا بالإضافة إلى التخوف الذي كان مسيطراً على جميع الأطراف من المستقبل الاقتصادي والسياسي .

أما التجارب التي لاقت شيئاً من النجاح، فقد تمَّ معظمها بين مجموعة متجانسة قوية من ناحية الإمكانيات المالية، ووضحت بالنسبة لها مصلحة اقتصادية مباشرة مشتركة، وأمنت نفسها بعد ذلك بالضمانات المنصوص عليها في معظم الاتفاقيات التي عقدت في السبعينات الميلادية^(٣٢).

كما بدأ دخول المال العربي الخاص ميدان المشروعات العربية المشتركة، حيث امتنع من قبل خشية المخاطر وعدم الاستقرار في المنطقة العربية، ومن هنا تبدو أهمية الضمانات التي يجب أن تمنح للمشروعات العربية المشتركة، حتى تخطو خطوات كبيرة للأمام، ومن هنا، جاءت القوة الدافعة لاستكمال مشروع المؤسسة العربية لضمان الاستثمار.

تميزت المشروعات العربية المشتركة ذات الثقل الاقتصادي، بغلبة الطابع الحكومي عليها، فبعضها قام عن طريق منظمات عربية حكومية، مثل الجامعة العربية^(٣٣)، ومجلس الوحدة الاقتصادية العربية^(٣٤)، واتحاد الجمهوريات العربية^(٣٥)، وبعضها قام في إطار منظمات قطاعية تمثل حكومات، مثل منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول^(٣٦) والبعض الآخر قام في إطار شركات استثمارية - المساهمون فيها حكومات عربية - مثل الشركة العربية للاستثمار، أو في إطار شركات استثمار قُطرية تساهم فيها الحكومات المعنية بنصيب كبير في رأسمالها^(٣٧)، أو بين الحكومات مباشرة، مثل الهيئة العربية للتصنيع^(٣٨)، أو بالاشتراك بين شركات حكومية تمثل قطاعاً إنتاجياً وشركات استثمارية^(٣٩).

ويعتبر غلبة الطابع الحكومي على المشروعات العربية المشتركة ظاهرة إيجابية لرفع وتطوير العمل الاقتصادي المشترك باتجاه التكامل الإنتاجي، حيث إن المشروعات ذات الطابع الحكومي تمثل إدارة رسمية لدى الدول في تطبيق سياسة اقتصادية تهدف لتحقيق التعاون وتبادل المنافع، واستغلال الإمكانيات العربية بشكل يسمح بتطوير الواقع العربي نحو الأفضل.

ونتيجة لانطباع المشروعات المشتركة بالطابع الحكومي، فإن كثيراً من هذه المشروعات قد أنشئت باتفاقيات دولية، بخاصة الاتفاقيات المتعددة الأطراف، وأخذت هذه الاتفاقيات شكل « الشركة الدولية » والتي تتميز بأنها لاتخضع لأي نظام قانوني لأية دولة معينة . وهذه الصيغة تستغرق وقتاً طويلاً في إعداد ونفاذ الاتفاقية المنشئة للمشروع، حتي أن المشروع بعد إعلان قيامه وتكوين هيكله الإداري يصبح مستقلاً عن المنظمة التي قام في إطارها، مما يؤدي إلى عدم وجود أي متابعة لتقييم أعماله، وسيره على الخط الذي أنشئ من أجله .

يقتصر إسهام الدول المصدرة لرأس المال في المشروعات العربية المشتركة تقريباً على تقديم الأموال والمشاركة في الإدارة العليا للمشروع، ويرجع ذلك لعدم تمتعها بدرجة عالية من التقدم التكنولوجي . بل تكون أقل تقدماً مما هو عليه الحال للدول المستوردة لرأس المال، لذلك فإن مساهمة الدول المصدرة لرأس المال نادراً ما ترتب عليها تأثيراً في سياسة العمالة في المشروع المشترك لقلّة العناصر الفنية المدربة لديها، ولكنها تصر على الاحتفاظ بالدور القيادي في الإدارة العليا للمشروع، ويمكن أن يؤدي سوء الاختيار في هذا الخصوص إلى وضع سلطة إصدار القرارات اليومية اللازمة لتشغيل المشروع في أيدي عناصر غير مؤهلة لهذا العمل، مما قد تكون له نتائج وخيمة على المشروع . وغالباً ما تعتمد هذه العناصر على المستشارين الأجانب، وفي بعض الأحيان يتم التعاقد مع شركة أجنبية لإدارة المشروع بالكامل في الفترة الأولى . وقد قدرت المبالغ التي تدفع للشركات الاستثمارية الأجنبية في العالم العربي في تلك الآونة بحوالي ١,٨ بليون دولار في السنة (١٩٨٠) .

ولقد تأسس كثير من المشروعات المشتركة على مبدأ المساواة في الحصص بين الشركاء أو على الأقل بين مجموعة الشركاء المحليين، ومجموعة الشركاء من الدول العربية الأخرى، ويبرز ذلك بصفة خاصة في المشروعات التي تبتتها منظمة الأوبك، وفي كثير من المشروعات الثنائية، وينعكس ذلك على طريقة تشكيل مجالس إدارات هذه المشروعات، بحيث يحصل كل طرف على نصف المقاعد .

ومن الجدير بالذكر أنه قد تم تنفيذ المشروعات العربية المشتركة التي قامت دون وجود مخطط إقليمي لتحرير عناصر الإنتاج في المنطقة العربية، ووضع نظام للأفضليات في التجارة، هذا بالإضافة إلى عدم قيامها بنشاطها في إطار تصور عام للتنمية الاقتصادية العربية على الصعيد القومي، مما يؤدي إلى بعثرة جهودها وإمكاناتها، وعدم تحقيق تقسيم للعمل في المنطقة العربية ما يتناسب مع الظروف الخاصة بالموارد الطبيعية والمالية والبشرية لكل بلد عربي .

ولقد لوحظ عدم وجود صيغة قانونية محددة لإقامة المشروعات العربية المشتركة، حيث تعددت الصيغ . كما لوحظ عدم اتجاه المشروعات العربية المشتركة للمجال الصناعي بصورة كافية، وذلك على الرغم من احتياج المنطقة العربية لإنشاء العديد من الصناعات .

هذا وينظر البعض - في مجال تقييم المشروعات المشتركة - إلى العائد والمكاسب المادية التي تحققها هذه المشروعات كمعيار لنجاحها أو فشلها، وتتفق مع هذا الرأي الأمانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية فيما ذكرته عن تقييم المشروعات المشتركة، ونحن نرى أن يشمل معيار النجاح أيضاً، مدى قيام هذه المشروعات في نطاق التكامل الإنتاجي على طريق إحداث التكامل الاقتصادي بين الدول العربية، بل إننا نرى أن فشل المشروعات المشتركة في الفترة السابقة - حسب مفهومنا لها - يرجع إلى أن قيام هذه المشروعات قد ترك لأليات السوق ولم تتضمن مع إنشائها قدراً من التنسيق بين خطط التنمية للأطراف في هذه المشروعات، هذا بالإضافة إلى أن تجارب التكتلات الاقتصادية قد كشفت عن أهمية الربط بين نموذج التكامل الاقتصادي من جهة ومرحلة التطور الاقتصادي وطبيعة النظام الاقتصادي والاجتماعي من جهة أخرى . فتجربة دول السوق الأوروبية المشتركة - ذات الأجهزة الإنتاجية المتطورة من خلال تحرر تجارتها - قد حققت نتائج إيجابية فيما يتعلق بزيادة مبادلاتها التجارية .

كذلك لوحظ أن كثيراً من المشروعات المشتركة قد أقيمت برؤوس أموال صغيرة (الملاحة البحرية - البوتاس . . . إلخ) . كما أن المشروعات التي كان رأسمالها مناسباً في بداية نشاطها أصبحت تعاني من الفجوة ما بين رأسمالها الإسمي ورأسمالها المدفوع فعلياً، بسبب عدم قيام المساهمين بتنفيذ التزاماتهم المادية، بسداد رأس المال في توقيتاتها المحددة مسبقاً، مما يعرقل أنشطة هذه المشروعات .

وتتضمن اتفاقيات المشروعات العربية المشتركة الربط بين الملكية والإدارة، كما أن البعض منها، يشترط أن تربط عضوية مجلس الإدارة بقدر محدود من الأسهم (مثل مشروعات مجلس الوحدة الاقتصادية) . وقد ترتب على ذلك، حرمان عدد من المساهمين في التمثيل بمجلس إدارة المشروع مع أنه لا يشترط أن تجتمع القدرة المالية مع القدرة الإدارية . وهذه قضية واضحة في الأقطار العربية، كما أن هذه الظاهرة ستؤدي إلى سيطرة مجموعة مالية قليلة العدد وليست على مستوى الكفاءة الإدارية والفنية على معظم المشروعات، مما يعرضها للمخاطر . وكان الأجدى أن يتم الفصل ما بين الملكية وإدارة المشروع حتى يحقق النجاح المطلوب (رشيد، ١٩٨٠م، ١٨٦ - ٢٠٠) .

من المبادئ المهمة لأي مشروع، معرفة ووضوح أغراضه، إلا أنه لظروف معينة فرضت على بعض المنظمات العربية (بخاصة بعد تجربة المجلس الاقتصادي العربي) إقامة هذه المشروعات على مراحل، تبدأ المرحلة الأولى بإقامة المشروع وفق صيغة الشركة القابضة، ثم تعمل على إنشاء الوحدات الإنتاجية التابعة في نطاق أهدافها في مرحلة لاحقة، إلا أنه من الملاحظ، أن هذه الشركات يتضخم نشاطها في عدة مجالات مختلفة، فيحدث خلط بين الأنشطة التجارية والأنشطة الإنتاجية، كما توجد مشروعات تعمل في مجال أكثر من شركة وأكثر من منظمة عربية، بخاصة مشروعات البتروكيماويات .

ولم تعمل المشروعات المشتركة على جذب مساهمة القطاع الخاص بالجديدة المطلوبة، ومن ثمّ تحدّ من ظاهرة تسرب الأموال العربية نحو المصارف الأجنبية، ويرجع ذلك إلى ارتفاع قيمة السهم الواحد في بعض هذه المشروعات مثلاً بلغت قيمة السهم في مشروعات مجلس الوحدة عشرة آلاف دينار كويتي، ومن ثمّ أصبحت القاعدة الخاصة بتمويل هذه المشروعات ضيقة للغاية، وانحصر معظمها في مساهمة الحكومات، ولكن قد لاتغطي الحكومات رأس المال الكامل لهذه المشروعات أو لاتغطي التوسعات المطلوبة، ومن ثمّ من الأفضل تخفيض قيمة الأسهم المصدرة حتى يتسنى لرأس المال بالدخول فيها .

ولقد تضمنت اتفاقيات هذه المشروعات العديد من الامتيازات الممنوحة لها من الأقطار المساهمة، ولكن لوحظ في التطبيق العملي بعض المشكلات والمعوقات التي حالت دون الحصول عليها، وكان الأفضل منح المشروعات المشتركة قدرأ من الامتيازات المناسبة، لتسهيل ممارسة نشاطها بعيداً عن المؤثرات القطرية، كما أظهرت الحسابات الختامية لعدد من هذه المشروعات توزيع جزء من الأرباح على شكل مكافآت لأعضاء مجلس الإدارة دون العاملين فيها، وظهرت بعض الحالات التي استمر فيها صرف هذه المكافآت رغم تعرض المشروع للخسارة .

من ناحية أخرى فإن اختلاف الأوضاع القانونية للمشروعات المشتركة وتعدد أشكالها وصيغها، أدى إلى خلق الصعوبات أمام تحديد هويتها، بخاصة في المجالات الدولية التي تتعامل معها، وكذا أجهزة بلد المنشأ في بعض الحالات . لهذا يفضل أن يشمل القانون الموحد والذي يجري إعداده من قبل مجلس الوحدة على إيجاد حل لمثل هذه المشكلات والمعوقات .

ويلاحظ عدم توافر المعلومات والإحصاءات عن المشروعات العربية المشتركة بصورة مناسبة وكافية، بالإضافة إلى عدم قيام الأجهزة القطرية أو الوطنية بإصدار النشرات الدورية اللازمة عنها، ومن ثمّ صعوبة دراسة هذه المشروعات أو متابعة تطورها .

ولا تقتصر النظرة القطرية القائمة في الوطن العربي على اعتبار المشروعات العربية المشتركة في المرتبة التالية للمشروعات القطرية، بل إن بعض الحكومات العربية تنظر إلى هذه المشروعات كظاهرة عرضية فرضتها بعض الظروف .

لذلك لم تكتف بمساهمتها الضئيلة فيها، بل تقوم بإنشاء مشروعات قطرية مماثلة، بل وبحجم أكبر من المشروعات العربية المشتركة، وكأنها تعمل على خلق عوامل الفشل لهذه المشروعات العربية .

ولاشك أن الخلافات السياسية بين الحكومات العربية والإسلامية تلعب دوراً سلبياً في مجالات العلاقات الاقتصادية عموماً والمشروعات المشتركة بصفة خاصة، نظراً لاستمرار ضعف هذه العلاقات . وستظل هذه الخلافات قائمة ومؤثرة، طالما أنها مرتبطة بالقرارات السياسية . ومن ثم، يجب الفصل بين القرارات السياسية والقرارات الاقتصادية، حيث إنه من المعروف لدى الدول المتقدمة أن القرارات السياسية تعمل في خدمة القرارات الاقتصادية، ولكن في الدول العربية والإسلامية، نجد أن ذلك لا يعمل به، بل إن القرارات الاقتصادية تتأثر تأثراً كبيراً بالحالة السياسية بين الدول .

٣ - صناديق التنمية والمؤسسات المالية العربية ودورها في عملية الإنماء الاقتصادي :

لقد أدى الارتفاع المفاجئ لأسعار النفط بعد حرب ١٩٧٣م إلى تغييرات جوهرية وجذرية في جميع جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية في الدول العربية، ومن ثم فقد أدت إلى تأثير مباشر في الوضع المالي والمصرفي في الدول العربية، مما أدى إلى ظهور ونمو مؤسسات مالية عربية على شكل صناديق لتمويل التنمية في الدول العربية وسوف نشير بإيجاز إلى هذه الصناديق والمؤسسات المالية، حيث إنها من أهم العوامل المساعدة على إحداث النمو الاقتصادي في العالمين العربي والإسلامي، وذلك كالآتي :

أ - الصندوق العربي للإئتماء الاقتصادي والاجتماعي : تم تأسيس الصندوق عام ١٩٧٣م برأس مال حوالي ١٠٢ مليون دينار كويتي، أي بنحو ٢٥٠ مليون دولار أمريكي . ويهدف الصندوق إلى المشاركة في تمويل مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدول العربية، وفي بداية عام ١٩٧٧م، تقرر رفع رأس مال الصندوق إلى ٤٠٠ مليون دينار كويتي، تُسدد على ثمان سنوات، بداية من فبراير ١٩٧٧م .

وبلغت جملة قروض الصندوق حوالي ٣,٣ مليار دولار أمريكي حتى نهاية عام ١٩٨٨م، لتصل نسبة مساهمته في العمليات التمويلية إلى ١٢,٢٪ من جملة المبالغ التمويلية المقدمة من المؤسسات والهيئات المالية والمصارف وصناديق التنمية العربية، والبالغة حوالي ٢٦,٩ مليار دولار أمريكي في نهاية عام ١٩٨٨م .

وقد ارتفعت جملة قروض الصندوق إلى ٦,٩ مليار دولار أمريكي في نهاية عام ١٩٩٤م، لتصل نسبة مساهمته في العملات التمويلية إلى حوالي ١٧,٤٪ من إجمالي المبالغ التمويلية المقدمة من المؤسسات المالية وصناديق التنمية العربية والبالغة ٣٩,٨ مليار دولار أمريكي (التقرير الاقتصادي العربي الموحد، ١٩٩٥م: ٣٢٤) .

ولقد تبين أن التوزيع القطاعي للعمليات التمويلية التي قام بها الصندوق حتى ١٢/٣١/١٩٩٤م عبارة عن ٢٩٨ عملية، موزعة على ١٧ دولة، وفقاً للقطاعات التالية :

- قطاع النقل والمواصلات : وقد تم تمويله بمبلغ ١,٢١٧ مليون دولار أمريكي، وهو يمثل حوالي ١٧,٥٪ من إجمالي عمليات التمويل التي قام بها الصندوق.

- قطاع الطاقة (كهرباء - نفط - غاز) : وقد تم تمويله بمبلغ ٢,٠٥٥ مليون دولار أمريكي، ومن ثم تبلغ نسبته حوالي ٢٩,٦٪ من إجمالي عمليات تمويل الصندوق .

- قطاع المياه والمجاري: وقد تم تمويله بمبلغ ٧٧٤ مليون دولار أمريكي، وبذلك تبلغ نسبته حوالي ١,١١٪ من إجمالي عمليات تمويل الصندوق.
- قطاع الزراعة والثروة الحيوانية: وقد بلغ تمويل هذا القطاع مبلغ ١,٧٠٧ مليون دولار أمريكي، وبذلك تبلغ نسبته حوالي ٥,٢٤٪ من إجمالي عمليات تمويل الصندوق.
- قطاع الصناعة والتعدين: وقد بلغت جملة تمويل هذا القطاع ٨٦٩ مليون دولار أمريكي، وبذلك تبلغ نسبته حوالي ٥,١٢٪ من إجمالي عمليات التمويل.
- عمليات أخرى: (تشمل خدمات صحية والتعليم ودعم موازين المدفوعات)، وقد بلغت جملة تمويل هذه العمليات حوالي ٣١٨ مليون دولار أمريكي، وهي تمثل حوالي ٥,٤٪ من إجمالي عمليات التمويل.
- ب صندوق النقد العربي: أنشئ صندوق النقد العربي عام ١٩٧٦م، ومقره أبوظبي ويهدف إلى:
 - تصحيح الاختلالات الهيكلية في موازين مدفوعات الدول الأعضاء.
 - استقرار الأسواق المالية العربية.
 - تطوير الأسواق المالية العربية.
 - إزالة القيود على المدفوعات الجارية بين الدول الأعضاء.
 - دراسة سبل توسيع استعمال الدينار العربي الحالي وتهيئة الظروف لإنشاء عملة عربية موحدة.
- ولقد بلغ رأس مال الصندوق عند الإنشاء ٢٥٠ مليون دينار عربي حسابي (حوالي ٧٥٠ مليون وحدة سحب خاصة)، وتمت زيادة رأس مال الصندوق عام ١٩٨٨م إلى ٦٠٠ مليون دينار عربي حسابي، وبلغت نسبة قروض الدول المقترضة

لرأس المال المدفوع بعملات قابلة للتحويل ١٤٤٪، ويبلغ قيمة القرض العادي (بعد التعديلات التي أضافها الصندوق) إلى نسبة ١٠٠٪ من حصة الدولة (المقترضة) المدفوعة بالعملات القابلة للتحويل .

ويمكن أن تزيد قيمة القرض إلى ١٧٥٪ إذا ما أضيف القرض التلقائي الذي يقدر بحوالي ثلاثة أرباع حصة الدولة المدفوعة بالعملات القابلة للتحويل، وتحصل الدولة المقترضة على أجل ثلاث سنوات لدعم ميزان مدفوعاتها .

بلغت جملة قروض صندوق النقد العربي حوالي ٣,٢ مليار دولار أمريكي في نهاية عام ١٩٩٤م، وهي تمثل حوالي ٩,٥٪ من إجمالي المبالغ التمويلية المقدمة من المؤسسات المالية والصناديق العربية، والبالغ قيمتها ٣٩,٨ مليار دولار أمريكي .

ولقد بلغت جملة العمليات التي قام بها الصندوق حوالي ٩٤ عملية، شملت حوالي إحدى عشرة دولة، وذلك بمبلغ إجمالي ٣,٣٥٣ مليون دولار أمريكي، أي بنسبة ١٠٠٪ من إجمالي العمليات التمويلية، وكانت جميع هذه العمليات تتم لصالح الدول العربية .

ج- الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية : تأسس الصندوق عام ١٩٦١م، ويهدف إلى مساعدة الدول العربية في تطوير اقتصادياتها وتمويل برامج التنمية بها . وفي عام ١٩٧٤م، تقرر أن تمتد خدماته للدول النامية وليست الدول العربية وحدها، ومن ثم تم زيادة رأسماله إلى ٧ مليار دولار أمريكي عام ١٩٨٨م . وقد بلغت جملة القروض الممنوحة حتى يونيو ١٩٨٩م حوالي ١,٦ مليار دينار كويتي، ثم ارتفعت في نهاية عام ١٩٩٤م إلى ١,٨ مليار دولار أمريكي، لتصل نسبة مساهمته في العمليات التمويلية إلى ٢٠,٤٪ من إجمالي عمليات التمويل التي قامت بها المؤسسات وصناديق التمويل العربية، والبالغة ٣٩,٨ مليار دولار أمريكي .

بلغ عدد العمليات التي قام بها الصندوق ٤٥٧ عملية، شملت حوالي ٦٥ دولة موزعة كالآتي :

- قطاع النقل والمواصلات : بلغ جملة ما حصل عليه ٤٢٧, ٢ مليون دولار أمريكي، أي حوالي ٢٩,٨٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الطاقة (الكهرباء - النفط - الغاز) : بلغ جملة ما حصل عليه ٢,٠٧١ مليون دولار أمريكي، أي حوالي ٢٥,٤٪ من إجمالي الصندوق .
- قطاع المياه والمجاري : بلغ جملة ما حصل عليه ٦٤٩ مليون دولار أمريكي، أي حوالي ٧,٩٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الزراعة والثروة الحيوانية: بلغ جملة ما حصل عليه ١,٦٥٥ مليون دولار أمريكي أي حوالي ٢٠,٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق.
- قطاع الصناعة والتعدين : بلغ جملة ما حصل عليه ١,٢٥٠ مليون دولار أمريكي، أي حوالي ١٥,٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- عمليات أخرى : (تشمل خدمات الصحة والتعليم ودعم موازين المدفوعات) : وقد بلغ جملة ما حصلت عليه هذه العمليات ٩١ مليون دولار أمريكي، أي حوالي ١,١٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

من ناحية أخرى فإن المجموع التراكمي للعمليات التمويلية للصندوق حتى ١٩٩٤/١٢/٣١ يشير إلى الآتي :

- بلغت حصة الدول العربية : ٤,٣ مليار دولار أمريكي، أي بنسبة ٥٣,٥٪ من إجمالي المجموع التراكمي للصندوق .
- مجموعة الدول الأفريقية : حصلت على حوالي ١ر٤ مليار دولار أمريكي، أي بنسبة ١٧,٥٪ من إجمالي المجموع التراكمي للصندوق .

- مجموعة الدول الآسيوية : حصلت على حوالي ٢,١ مليار دولار أمريكي، أي بنسبة ٢٦,١٪ من إجمالي المجموع التراكمي للصندوق .
- مجموعة دول أمريكا اللاتينية حصلت على حوالي ١,٣ مليار دولار أمريكي، أي بنسبة ١,٢٪ من إجمالي المجموع التراكمي الكلي للصندوق.
- مجموعة الدول الأخرى حصلت على حوالي ١١٩ مليار دولار أمريكي، أي بنسبة ١,٤٪ من إجمالي المجموع التراكمي للصندوق .

د - صندوق أبو ظبي للتنمية الاقتصادية العربية : أسس الصندوق عام ١٩٧١م برأس مال حوالي ٥٠٠ مليون دولار أمريكي . والهدف من تأسيسه، مساعدة الدول العربية في برامج التنمية الاقتصادية، ومنح القروض والتسهيلات للمشروعات، واتسعت دائرة تمويله لتصل إلى معظم الدول الإسلامية، وقد بلغ إجمالي العمليات التمويلية له عام ١٩٨٦م حوالي ١,٠٩ مليار دولار أمريكي، ثم ارتفعت في نهاية عام ١٩٨٨م إلى نحو ١,١١ مليار دولار أمريكي، ثم ارتفعت ثانية إلى ١,٥٩ مليار دولار أمريكي، لتصل نسبة مساهمته في العمليات التمويلية إلى ٤٪ من إجمالي المبالغ التمويلية المقدمة من المؤسسات المالية وصناديق التنمية العربية والتي بلغت ٣٩,٨ مليار دولار أمريكي في نهاية عام ١٩٩٤م .

بلغت جملة عمليات التوزيع القطاعي للصندوق حوالي ١٠٠ عملية، شملت حوالي ٤٢ دولة، أما عن التوزيع القطاعي لهذه العمليات فكان على النحو التالي :

- قطاع النقل والمواصلات : فقد بلغت جملة ما حصل عليه ١٨٢ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١١٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الطاقة : حوالي ٤٧٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٢٩,٧٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

- قطاع المياه والمجاري : حوالي ٥١ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
 - قطاع الزراعة والثروة الحيوانية : حوالي ٣٠٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٩٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
 - قطاع الصناعة والتعدين : حوالي ٥٢٦ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
 - عمليات أخرى (تشمل خدمات الصحة والتعليم ودعم موازين المدفوعات) : حوالي ٥٨ مليون دولار أمريكي، أي بنسبة ٦,٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- أما فيما يتعلق بالمجموع التراكمي للعمليات التمويلية للصندوق : فلقد بلغت حصة الدول كالاتي :
- مجموعة الدول العربية : حوالي ١,٣١٨ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٨٢,٥٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
 - مجموعة الدول الأفريقية : حوالي ١٠٠ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٦,٢٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
 - مجموعة الدول الآسيوية : حوالي ١٧٢ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٠,٧٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
 - مجموعة الدول الأخرى : حوالي ٧ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٠,٩٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

هـ- الصندوق السعودي للتنمية الخارجية : أسس هذا الصندوق عام ١٩٧٤م برأس مال بلغ ٢,٨ مليار دولار أمريكي، ويهدف إلى تمويل ومساعدة الدول العربية والدول النامية، ولقد بلغت جملة عملياته الإقراضية ٥,٣ مليار دولار

أمريكي عام ١٩٨٧م، ثم ارتفعت لتصل إلى ٥,٣ مليار دولار أمريكي عام ١٩٨٨م، ثم ارتفعت مرة أخرى لتصل إلى ٦,٣ مليار أمريكي نهاية عام ١٩٩٤م، وهي تمثل ١٥,٨٪ من إجمالي المبالغ التمويلية المقدمة من المؤسسات وصناديق التنمية العربية .

ولقد بلغت جملة عمليات الصندوق حتى ٣١/١٢/١٩٩٦م، ٣١٢ عملية، شملت ٥٩ دولة . أما التوزيع القطاعي لعمليات تمويل الصندوق، فكانت على النحو التالي :

- قطاع النقل والاتصالات : حصل على حوالي ٢,٣١٩ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣٦,٧٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الطاقة : حصل على ١,٢٩٨ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٢٠,٥٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع المياه والمجاري : حصل على ٤٢٠ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٦,٦٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الزراعة والثروة الحيوانية : حصل على ١,٢١٩ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٩,٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الصناعة والتعدين : حصل على ٤٢٧ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٦,٧٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- عمليات أخرى (تشمل خدمات الصحة والتعليم ودعم موازين المدفوعات): حصلت هذه العمليات على ٦٣٢ مليون دولار، بنسبة ١٠٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

وبلغت حصة الدول من المجموع التراكمي لعمليات الصندوق حتى ٣١/

١٩٩٤/٢ م مايلي :

- مجموعة الدول العربية : حصلت على ٢,٨٨٨ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٤٥,٧٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
 - مجموعة الدول الأفريقية : حصلت على ١,٢٣٦ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٩,٥٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
 - مجموعة الدول الآسيوية : حصلت على ٢,٠٨٧ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
 - مجموعة الدول الأخرى : حصلت على ٤٤ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٠,٦٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- و- الصندوق العراقي للتنمية الخارجية : أسس هذا الصندوق عام ١٩٧٤م برأس مال حوالي ٥٠ مليون دينار عراقي، ويهدف إلى تمويل برامج التنمية الاقتصادية في الدول العربية ومساعدة الدول النامية .

بلغت جملة القروض الممنوحة منه حوالي ١,٧ مليار دولار عام ١٩٨٢م، وقد توقف نشاط الصندوق نظراً للظروف التي يمر بها العراق .

ز- المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا (Abeda) : تأسس المصرف العربي عام ١٩٧٤م في الخرطوم، برأس مال ٢٣٠ مليون دولار أمريكي ويهدف المصرف إلى تمويل برامج التنمية الاقتصادية في الدول العربية والإفريقية، وتوفير التكنولوجيا اللازمة لبرامج التنمية الاقتصادية، ولقد بلغت جملة عملياته التمويلية ٧٧٢,٨ مليون دولار أمريكي حتى نهاية عام ١٩٨٧م، وارتفعت هذه العمليات إلى ٨٢٤,١ مليون دولار أمريكي في نهاية ١٩٨٨م . ثم ارتفعت مرة أخرى إلى ١,٢٦٢ مليون دولار أمريكي في نهاية ١٩٩٤م، وهي تمثل ٣,١٪ من إجمالي عمليات التمويل لمؤسسات وصناديق التمويل العربية، وجميع العمليات الخاصة بالمصرف قد تمت لصالح للدول الأفريقية .

ويبلغ إجمالي عمليات المصرف حتى ٣١/١٢/١٩٩٤م، ١٩٤ عملية شملت ٣٨ من الدول الأفريقية، أما التوزيع القطاعي لعمليات المصرف فكانت على الوجه التالي :

- قطاع النقل والاتصالات : حصل على حوالي ٥٧٤ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٤٥,٤ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الطاقة : حصل على ١١٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٩,١ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع المياه والمجاري : حصل على ١٠٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣,٨ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الزراعة والثروة الحيوانية : حصل على ٣,٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٢٤,٩ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الصناعة والتعدين : حصل على ١٠٩ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٨,٦ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- عمليات أخرى (تشمل خدمات الصحة والتعليم ودعم موازين المدفوعات): حصلت هذه العمليات على ٤٤ مليون دولار، بنسبة ٣,٤ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

ح- صندوق الأوبك : تأسس الصندوق عام ١٩٧٥م بمساهمة الدول العربية المصدرة للنفط وبدأ عملياته عام ١٩٧٦م، بلغ إجمالي العمليات التي وفرها الصندوق في نهاية عام ١٩٨٧م حوالي ١٧,٢ مليار دولار أمريكي ارتفعت هذه العمليات إلى ٢,٢٨ مليار دولار أمريكي في نهاية ١٩٨٨م، ثم ارتفعت مرة ثانية إلى ٣ مليار دولار أمريكي في نهاية عام ١٩٩٤م.

التوزيع القطاعي لعمليات الصندوق حتى ٣١/١٢/١٩٩٤م كان كالآتي :

- قطاع النقل والاتصالات : فقد حصل على حوالي ٤٢٠ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٣,٨ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الطاقة : حصل على ٦٨٧ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٢٢,٦ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع المياه والمجاري : حصل على ١١٧ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣,٨ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الزراعة والثروة الحيوانية : حصل على ٣٩٦ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٣ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الصناعة والتعدين : حصل على ٤٤٢ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٧,٩ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- عمليات أخرى (تشمل خدمات الصحة والتعليم ودعم موازين المدفوعات): حصلت هذه العمليات على ١,١٨٨ مليون دولار أمريكي، وهي تمثل ٣٨,٥ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

وبلغت حصة الدول من المجموع التراكمي لعمليات الصندوق حتى ٣١/

١٢/١٩٩٤م كالآتي :

- مجموعة الدول العربية : حصلت على ٥١٨ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٧ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- مجموعة الدول الأفريقية : حصلت على ١,١٧٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣٨,٧ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

- مجموعة الدول الآسيوية : حصلت على ٩٨٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣٢,٥ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- مجموعة دول أمريكا اللاتينية : حصلت على ٣٤٧ مليون دولار أمريكي، وهي تمثل ١١,٤ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- مجموعة الدول الأخرى : حصلت على ٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٦,٠ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

ط - اتحاد المصارف العربية الفرنسية UBAF : تأسس الاتحاد في باريس عام ١٩٧٠م بغرض تقوية العلاقات المالية مع العالم الغربي وبخاصة فرنسا، كذلك المساهمة في تمويل المشروعات في العالم العربي وبقية الدول النامية .

بلغ رأس مال الاتحاد ١١٠ مليون فرنك فرنسي، تساهم فيه ست دول عربية إلى جانب فرنسا، ولقد ساهم الاتحاد في إنشاء مؤسسات تابعة له في لندن وروما ولكسمبورج وهونج كونج ونيويورك .

وتشير الإحصاءات إلى وجود مؤسسات مالية وعربية في الخارج يبلغ عددها حوالي ١٢٥ وحدة مالية عربية، يبلغ مجموع رأس مالها حوالي ثلاثة مليارات دولار أمريكي، ومجموع أصولها حوالي ثمانية مليارات دولار أمريكي .

كما ظهرت أيضاً عدة مصارف إسلامية بدأت من عام ١٩٧١م بينك واحد، وبلغت حتى الآن أكثر من ستين مصرفاً إسلامياً، قد ارتفع حجم نشاطها إلى أن تجاوز عدة مليارات من الدولارات الأمريكية .

ي - البنك الإسلامي للتنمية بجدة : أسس البنك في جدة عام ١٩٧٤م بهدف تمويل برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الأقطار والمجتمعات الإسلامية، طبقاً للشريعة الإسلامية، وقد بلغ رأس ماله المسموح به حوالي ٢ مليار دينار إسلامي، أي حوالي ٢,٣ مليار دولار أمريكي، كما بلغ إجمالي

العمليات التمويلية التي شارك فيها نحو ٥,٩ مليار دولار أمريكي حتى نهاية ١٩٨٧م، وارتفعت إلى ٦,٦ مليار دولار حتى نهاية عام ١٩٨٨م . وارتفعت ثانية إلى ١٠,١ مليار دولار في نهاية عام ١٩٩٤م، وهي تشكل نسبة ٢٥,٥ ٪ من إجمالي عمليات التمويل للمؤسسات المالية والصناديق العربية .

تبين أن البنك قام حتى ٣١/١٢/١٩٩٤م بعدد ١٠٥٧ عملية داخل ٣٩ من الدول العربية والإسلامية، وقد تبين أن التوزيع القطاعي لهذه العمليات كان كالآتي :

- قطاع النقل والاتصالات : بلغت حصته ٥١٩ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٥٪ من إجمالي عمليات البنك
- قطاع الطاقة : بلغت حصته ٤٠٨٧ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٤٠٪ من إجمالي عمليات البنك
- قطاع المياه والمجاري : بلغت حصته ١١٧ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣,٨٪ من إجمالي عمليات البنك
- قطاع الزراعة والثروة الحيوانية : بلغت حصته ١,٢١١ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١١,٨ ٪ من إجمالي عمليات البنك
- قطاع الصناعة والتعدين : حصل على ٣,٦٠١ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣٥ ٪ من إجمالي عمليات البنك
- عمليات أخرى (تشمل خدمات الصحة والتعليم ودعم موازين المدفوعات): وقد بلغت حصة هذه العمليات ٥٤٣ مليون دولار أمريكي، أي حوالي ٥,٣ ٪ من إجمالي عمليات البنك .

وبلغت حصة البلدان من المجموع التراكمي لعمليات الصندوق حتى ٣١/

١٢/١٩٩٤م كالآتي :

- مجموعة الدول العربية : حصلت على ٥,٦٠٦ مليون دولار أمريكي،
بنسبة ٥٥٪ من إجمالي عمليات البنك .

- مجموعة الدول الأفريقية : حصلت على ٨٨٠ مليون دولار أمريكي،
بنسبة ٨,٦ ٪ من إجمالي عمليات البنك .

- مجموعة الدول الآسيوية : حصلت على ٣,٧٠٤ مليون دولار أمريكي،
بنسبة ٣٦,٣٪ من إجمالي عمليات البنك .

ك - البنك العربي الفرنسي للاستثمار FRAB BANK
:INTERNATIONAL

وقد تم تأسيسه في باريس عام ١٩٦٩م برأس مال قدره حوالي ٧٠ مليون
فرنك فرنسي، بملكية مشتركة بين ست دول عربية وخمس دول أوروبية، بالإضافة
إلى اليابان .

تقييم أعمال المؤسسات المالية وصناديق التنمية العربية :

بلغ المجموع التراكمي للعمليات التمويلية التي قامت بها مؤسسات وصناديق
التنمية كالآتي :

مجموعة الدول العربية : حصلت على ٢٣,٩٨٧ مليون دولار أمريكي،
بنسبة ٦٠٪ من مجموع الأعمال .

مجموعة الدول الأفريقية : حصلت على ٦,٠٨٠ مليون دولار أمريكي،
بنسبة ١٥ ٪ من مجموع الأعمال .

مجموعة الدول الآسيوية : حصلت على ٩,٠٧٨ مليون دولار أمريكي،
بنسبة ٢٣ ٪ من مجموع الأعمال .

مجموعة دول أمريكا اللاتينية : حصلت على ٥١٠ مليون دولار أمريكي،
بنسبة ١١ ٪ من مجموع الأعمال .

مجموعة الدول الأخرى : حصلت على ١٧٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة
١٠,١ ٪ من مجموع الأعمال .

من هذه الإحصائية يتبين لنا أن الدول العربية حصلت على أكبر نصيب من
أعمال مؤسسات وصناديق التنمية العربية، تليها مجموعة الدول الآسيوية، ثم
الدول الأفريقية، ثم دول أمريكا اللاتينية، ثم مجموع الدول الأخرى .

**أما التوزيع القطاعي لعمليات مؤسسات وصناديق التنمية العربية فقد تمت
على الوجه التالي :**

- قطاع النقل والاتصالات : حصل على ٧,٦٥٨ مليون دولار أمريكي، أي بنسبة
١٩ ٪ من مجموع العمليات .

- قطاع الطاقة : حصل على ١٠,٧٨٨ مليون دولار أمريكي، أي بنسبة ٢٧ ٪
من مجموع العمليات .

- قطاع المياه والمجاري : حصل على ٢,٣٤٥ مليون دولار أمريكي، أي بنسبة
٦ ٪ من مجموع العمليات .

- قطاع الزراعة والثروة الحيوانية : حصل على ٦,٨٠٨ مليون دولار أمريكي،
أي بنسبة ١٧ ٪ من مجموع العمليات .

- قطاع الصناعة والتعدين : حصل على ٧,٠٧٤ مليون دولار أمريكي، أي
بنسبة ١٨ ٪ من مجموع العمليات .

- خدمات الصحة والتعليم ودعم موازين المدفوعات : حصلت على ٥,٢٠٧
مليون دولار أمريكي، أي بنسبة ١٣ ٪ من مجموع العمليات .

وبلاحظ من هذا التوزيع أن قطاعات البنية الأساسية قد حصلت على أقل نسب من العمليات التمويلية، حيث حصل قطاع المياه والمجاري على ٦٪، والتعليم والصحة ١٣٪، وهذا فيه إجحاف بقطاع أساسي ومهم، يُبنى عليه باقي قطاعات الدولة .

كذلك نلاحظ أن قطاع الزراعة لم يحظ سوى بنسبة ١٧٪ فقط، رغم أن معظم، إن لم يكن كل، الدول الإسلامية دول زراعية، كما أنها مستوردة للمواد الغذائية . كما أن قطاع الصناعة والتعدين لم يحظ كذلك إلا بنسبة ١٨٪، رغم أن هذا القطاع ذو أهمية خاصة في عملية التنمية والنمو .

القطاع الوحيد الذي حظى بأكبر نصيب هو قطاع الطاقة، حيث حصل على ٢٧٪ من مجموع العمليات، وذلك يرجع إلى أن معظم الصناديق العربية تمتلكها دول نفطية .

ومن المعروف أن المنطقة العربية تعاني من ظاهرة التخلف في معظم مجالاتها، ومن ثمّ فهي في حاجة ماسة إلى إقامة العديد من المشروعات المشتركة في المجالات المختلفة، إلا أن مشروعات التمويل العربية تشكو في معظمها من عدم وضوح مجالات الاستثمار في الأقطار العربية وبالذات بلد المنشأ، وقد يرجع ذلك إلى عدم قيام جهات قطرية عربية بعمل الدراسات اللازمة للمشروعات التي تكون صالحة للاستثمار، لهذا قد يكون من الأفضل إنشاء مؤسسة للبحث العلمي بأجهزتها المختلفة، لإجراء مثل هذه الدراسات .

مما يؤخذ على التعاون المالي الثنائي والاتفاقيات الحكومية والصناديق الوطنية، أنها تخضع لاعتبارات سياسية وقرارات حكومات الدول المقرضة وإراداتها في منح القروض والمعونات المالية . مما دعا الكثيرين إلى تأييد فكرة الصناديق القومية لتكون بعيدة عن القيود والمشكلات السياسية .

وجميع الصناديق العربية تقرر زيادة رأسمالها ولكن لا يتم دفع كل رأس المال، كما أن قرارات الزيادة لا يصاحبها أي مدفوعات فورية من الزيادة، وقد يرجع ذلك إلى أن قرار الزيادة يحتاج لبعض الإجراءات التي يستغرق بعض الوقت، وقد يكون قرار الزيادة من قبيل الدعاية والتسابق في زيادة حجم رأس المال .

ومن أهم المشكلات التي تواجهها الصناديق العربية والمؤسسات المالية ظاهرة تضخم الأسعار، ومن ثمّ تزايد تكلفة المشروع بمعدلات مرتفعة، وهو لا يزال قيد الدراسة أو تحت التنفيذ، مما يعرض تنفيذ أو استكمال المشروع للتوقف أو إنهائه، وبخاصة إذا كان التمويل يتم من عدة جهات قد لا يوافق البعض منها على الزيادة الطارئة لظاهرة ارتفاع الأسعار، ومن ثم يتعرض المشروع لخسائر كبيرة تؤثر على عائده الاستثماري، وبخاصة إذا كان تنفيذه سيترتب عليه مشروعات أخرى ستقوم الدولة بتنفيذها .

كما يلاحظ محدودية الموارد المالية للصناديق العربية، رغم أن أصحابها هي الدول المصدرة للنفط ذات الدخل المرتفع، حسب تصنيف البنك الدولي . كما أن رؤوس أموالها ليست على مستوى حجم رؤوس أموال المؤسسات المالية والائتمانية الدولية الضخمة، هذا بالإضافة إلى انخفاض مواردها مقارنة باحتياجات الدول العربية والإسلامية .

ولهذا نرى أن مصدر تمويل الصناديق يجب ألا يقتصر على ماتقدمه الحكومات، ولكن ينبغي أن يتطور باتباع أكثر من وسيلة، كالاقتراض أو إصدار السندات .

ومن أهم المشكلات التي تواجه الصناديق العربية حالياً، ضعف قدرة الدول المقترضة على السداد، وقد بلغت المتأخرات المستحقة على الدول المستفيدة لصالح مؤسسات وصناديق التنمية حتى نهاية عام ١٩٩٤م حوالي ٢٣٦٠ مليون دولار أمريكي، يستحق على الدول العربية منها حوالي ١٦٤٣ مليون دولار، أي بنسبة ٧٠٪ من جملتها، وعلى الدول الأفريقية ٦٤٤ مليون دولار، أي بنسبة ٢٧٪ من

جملتها، وعلى الدول الآسيوية ٩ مليون دولار بنسبة ٠,٤٪ . أما بلدان أمريكا اللاتينية فمدينة بحوالي ٦٤ مليون دولار، أي بنسبة ٢,٧٪ من إجمالي هذه المتأخرات .

وتستحق هذه المتأخرات لمؤسسات وصناديق التنمية بنسب متفاوتة، يخص الصندوق السعودي منها ٢١,٤٪، وصندوق النقد العربي ١٩,٥٪، والصندوق الكويتي ١٦,٨٪، والصندوق العربي للإئتماء الاقتصادي والاجتماعي ١١,٣٪، والمصرف العربي للتنمية في أفريقيا ٩,٩٪ والبنك الإسلامي للتنمية ٩,١٪ وصندوق الأوبك ٧,٣٪ وصندوق أبو ظبي ٤,٧٪.

ولوحظ انتشار المشروعات العربية الدولية المشتركة في قطاع التمويل والمصارف، مما يهدد باحتمال ظهور مدخل تبعي جديد معاكس للمشروعات العربية المشتركة، وما يترتب على ذلك من امتصاص الجهود العربية وتقليل الاستفادة من الموارد المالية العربية، وذلك ببعض الحجج التي ترددها الأقطار العربية، منها ضمان هذه الأموال ضد المخاطر أو فرص الربح، أو عدم وضوح مجالات الاستثمار وغيرها من الدعاوى التي تعني اتجاهاً نحو تسرب رأس المال العربي نحو الخارج .

كما سبق يتضح لنا أن المؤسسات المالية وصناديق التنمية قامت بمجهود لا بأس به في مساعدة بعض الدول العربية والإسلامية، بمدّها ببعض القروض، ولكن يلاحظ أن بعض القروض قد تسربت إلى خارج نطاق الدول العربية والإسلامية، أي إلى دول أجنبية وغير إسلامية، بل تعدت حدود الدول ووصلت إلى بعض المنظمات الدولية وهذه ظاهرة غير طيبة .

لهذا نرى أن المؤسسات المالية وصناديق التنمية العربية والبنوك الإسلامية التي ظهرت خلال السنوات الماضية لديها الإمانات المادية والكوادر الفنية التي لو أحسن استغلالها - بخاصة بعد رفع رأس مالها - لتضاعفت معدلات التنمية في العالم الإسلامي، خصوصاً إذا ما قُضت على تلك المعوقات السالف ذكرها، هذا بالإضافة إلى أنه لو حدث تنسيق بينها تحت مظلة بنك أو مصرف إسلامي مركزي يمكن

تأسيسه أو تحت مظلة البنك الإسلامي للتنمية (بصفة مؤقتة لحين إنشاء المصرف الإسلامي المركزي) وذلك لوضع استراتيجية جماعية من أجل تنمية العالم العربي والإسلامي، والعمل على تخصيص كل منها (سواء كانت مؤسسة أم صندوق أو بنك) في تمويل إحدى أنشطة العالم الإسلامي أو إحدى القطاعات المختلفة، لتتج عن ذلك آثار طيبة للتنمية، بخاصة إذا ماتم انسياب الأموال من المؤسسة (أو الصندوق أو البنك) ذات الفائض إلى مؤسسة أخرى ذات عجز والاستثمار في المشروعات المسندة إليها.

وبذلك يكون هناك وعاء ادخاري كبير يستطيع المسؤولون (البنك المركزي الإسلامي) أن يوجهوه بالإنفاق في المشروعات الإنتاجية والخدمية والبنية الأساسية، ومن ثم سد حاجات الدول الإسلامية من جميع متطلباتها، مع العناية بالدول الإسلامية الفقيرة حتى نشد من أزرها، وتنمو جنباً إلى جنب باقي الدول .

٤ - التكتلات الإسلامية (العربية) الحديثة :

شهدت الدول الإسلامية (العربية) في السنوات الأخيرة عدة تكتلات اقتصادية . وقد فشل البعض منها ولم يستمر في تحقيق أهدافه، ولكن يوجد على الساحة حالياً مجلس التعاون الخليجي واتحاد المغرب العربي ويمكن إلقاء المزيد من الضوء عليهما على النحو التالي :

أ - مجلس التعاون الخليجي : طرحت فكرة إقامة مجلس التعاون الخليجي في قمة عُمان عام ١٩٨٠م، وتمت الموافقة عليها نظراً للظروف التي كانت تمر بها المنطقة، كالحرب بين العراق وإيران والتدخل السوفيتي في أفغانستان، وتبع ذلك عدة لقاءات ومؤتمرات وزارية للدول الست (السعودية- عُمان - الإمارات- الكويت - البحرين - قطر)، ثم تبلورت هذه الفكرة، حتى وافق عليها مؤتمر القمة الخليجي في مايو عام ١٩٨١م في أبوظبي حيث أعلن رسمياً عن قيام مجلس التعاون الخليجي .

ويجمع دول مجلس التعاون الخليجي عدة عوامل مشتركة : فالسكان المحليون من العرب المقيمين منذ آلاف السنين بالمنطقة، وكذا بعض العناصر البشرية من آسيا وأفريقيا، كما يجمعها وحدة اللغة والدين ومن ثم تتحلى هذه الدول بقيم أخلاقية مشتركة نابعة من الدين الإسلامي وكذا اللغة العربية التي تسهل عملية الاتصال والمعاملات فيما بينها . كذلك تجمعها الثقافة المشتركة والموقع الجغرافي الواحد والتشابه في الظروف المناخية الواحدة، حيث إن الدول الست متجاورة ولا يوجد بينها أي حواجز طبيعية تقريباً، وتطل على سواحل بحرية من الخليج العربي إلى بحر العرب ثم البحر الأحمر، الأمر الذي يسهل الاتصال البحري والبري .

كذلك نجد أن بعض الدول الست من أهم دول العالم في إنتاج وتصدير النفط، وتعتمد هذه الدول على النفط في التجارة الخارجية، وهو مورد حيوي لها . كما أن هذه الدول متقاربة في العادات والتقاليد والقيم ومتشابكة في روابط المصاهرة، بالإضافة إلى التجانس السياسي وأنظمة الحكم .

ويُشكل الهيكل التنظيمي لمجلس التعاون الخليجي من الآتي :

- المجلس الأعلى : ويشكل من رؤساء الدول الأعضاء ورئاسة المجلس دورية، ويختص بوضع السياسة العليا ومناقشة القوانين والتوصيات التي تعرض عليه من المجلس الوزاري أو الأمانة العامة، تمهيداً لاعتمادها .

- هيئة فض المنازعات : وهذه الهيئة تتبع المجلس الأعلى وتختص بفض المنازعات التي تقع بين الدول الأعضاء، كما أنها المرجع في تفسير النظام الأساس للمجلس .

- المجلس الوزاري : ويشكل من وزراء خارجية الدول الأعضاء أو من ينوب عنهم، ويختص المجلس الوزاري بوضع النظام الأساس للأمانة العامة، ويعد الدراسات والموضوعات واللوائح والتوصيات التي تعرض على المجلس الأعلى .

- الأمانة العامة : يرأسها أمين عام يتم اختياره من رعايا إحدى دول مجلس التعاون، ويعاونه أمناء مساعدون وجهاز فني إداري، وتختص الأمانة العامة بإعداد الدراسات الخاصة بالتعاون والتنسيق والتقارير التي يطلبها المجلس الوزاري، وكذا التقارير الدورية وإعداد مشروعات اللوائح المالية والإدارية، ومتابعة تنفيذ توصيات المجلس الأعلى والمجلس الوزاري .

ولقد شملت اتفاقية مجلس التعاون الخليجي عدة بنود تنظم العمل لدول المجلس، حيث نصت على إعفاء المنتجات الوطنية لدول المجلس من الرسوم الجمركية، أي نصت على حرية التجارة ونصت أيضاً على توحيد التعريفات الجمركية مع دول العالم الخارجي وفق زمن محدد، وبذلك أخذ شكل الاتحاد الجمركي . كما نصت الاتفاقية على توحيد السياسة الاقتصادية والتوحيد المؤسسي، ويشمل التوصية بتوحيد القوانين والإجراءات في القطاعات الاقتصادية وإجراءات المراجعة المحاسبية للأجهزة الحكومية، وإنشاء جهاز للمواصفات والمقاييس، وتوحيد القوانين الصناعية والتجارية والمهنية .

ونصت أيضاً على بناء وربط الهياكل الأساسية لإيجاد قاعدة للتكامل، مثل الكهرباء والطرق وشبكات نقل الغاز .

وفي فبراير ١٩٨٤م، تم وضع مشروع لسياسة زراعية مشتركة لتحقيق التكامل الزراعي بين دول المجلس، كما تم وضع المواصفات القياسية لبناء طرق الربط والطرق الرئيسية، وقد اعتمدت في مارس ١٩٨٤م، كذلك وضع وثيقة للتنمية الصناعية وأخرى لأهداف وسياسات خطط التنمية وذلك في عام ١٩٨٥م .

وتهدف سياسات خطط التنمية لدول المجلس إلى المحافظة على القيم الإسلامية والهوية العربية وتقاليدها الأصلية ، واعتماد الاقتصاد الحر أساساً للتنمية . كذلك تنمية وتهيئة المواطن اجتماعياً وثقافياً وصحياً ، وتحقيق توازن سكاني في الدول التي تعاني من خلل في التركيب السكاني ، وتحقيق الرخاء الاجتماعي ، والتأكيد على عملية التكافل الاجتماعي بين مجتمعات شعوب هذه الدول ، والتأكيد على أهمية المبادرات الفردية ودور القطاع الخاص في عملية التنمية ، ودور الحكومات في توجيه هذا القطاع ، وتنمية الموارد الاقتصادية والاستغلال الأمثل لمصادر الثروة الطبيعية وخاصة النفط .

ويمثل مجلس التعاون الخليجي تجربة جديدة في صيغ التكامل الاقتصادي الإقليمي وذلك لاتساع وشمولية أهدافه والتي برزت في اتفاقياته . ولكن يلاحظ ، أن هناك بعض التحديات أمام ممارسة النشاط الاقتصادي لهذه الدول نظراً لتشابه الموارد الطبيعية لديها ، سواء من ناحية الوفرة أو الندرة وهياكل الإنتاج ، حيث تعتمد دول المجلس أساساً على النفط ، نتيجة لندرة الموارد الطبيعية الأخرى ، بخاصة المياه العذبة ، كذلك تباين الكثافة السكانية بين دول المجلس وأحجام السكان ومساحات الدول ونصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي^(١) . ويوضح ذلك الجدول رقم (٢٢) .

جدول رقم ٢٢) : المساحة والسكان ونصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي لدول مجلس التعاون الخليجي (١٩٩٣ م) .

الدولة	تعداد السكان بالمليون	المساحة الكلية بالآف في كم ^٢	الكثافة السكانية نسمة في كم ^٢	نصيب الفرد من الناتج الوطني الاحمالي بالدولار	متوسط النمو السكاني في السنة
السعودية	١٧ر٤٠	٢ر١٥	٨	٧٩٤٠	٤ر٤
الإمارات	١ر٨٠	٨٤	٢٠	٢١٤٣٠	٣ر٢
الكويت	١ر٨	١٨	٨١	١٩٣٦٠	٢ر٩
عمان	٢ر٠	٢١٢	٦	٤٨٥٠	٣ر٩
قطر	٠ر٥٢	١١	٤٧	١٥١٤٠	٥ر٣
البحرين	٠ر٥٤	٦٢٠	٨٧١	٧٨٧٠	٣ر١

المصدر : تقرير البنك الدولي لعام ١٩٩٥ م ، تقرير البنك الإسلامي للتنمية لعام ١٩٩٥/٩٤ م .

من الجدول السابق رقم (٢٢) يتبين الآتي :

- أن عدد سكان دول مجلس التعاون الخليجي (عام ١٩٩٣ م) يبلغ ١٦, ٢٣ مليون نسمة ، وتمثل السعودية وحدها ٧٥ ٪ من إجمالي مجموع السكان ، في حين أن البحرين تمثل ٣, ٢ ٪ من إجمالي مجموع السكان، وقطر ٢, ٢ ٪ من إجمالي مجموع السكان ، وتمثل كل من دولة الإمارات والكويت ٧, ٧ ٪ من إجمالي مجموع السكان ، بينما يمثل سكان سلطنة عمان ، ٦, ٨ ٪ من إجمالي مجموعات سكان دول المجلس .

وبيانات تعداد السكان عام ١٩٩٣ م ، تبين أن هناك تبايناً كبيراً بين هذه الدول من ناحية الحجم .

تبلغ مساحات دول مجلس التعاون الخليجي مجتمعة حوالي ٣, ٠٩٥ ألف كيلو متر مربع ، تشغل السعودية وحدها حوالي ٦٩, ٤ ٪ من إجمالي المساحة، وهي تعتبر أكبر دولة مساحةً .

أما أصغر هذه الدول مساحة فهي قطر ، حيث تمثل ٠,٣ ٪ من إجمالي المساحة .

بالنسبة للكثافة السكانية ، نجد أن أكبر الدول كثافة هي البحرين حيث تبلغ ٨٧١ نسمة في كل كيلو متر مربع ، بينما الأقل كثافة هي عُمان (٦ نسمة في الكيلو متر المربع) ، تليها السعودية (٨ نسمة في الكيلو متر المربع) .

فيما يتعلق بمتوسط النمو السكاني ، فنجد أن جميع الدول هنا تعد من أكبر دول العالم في متوسط النمو السكاني ، وأكبر دولة في دول المجلس هي : قطر (٥,٣ ٪) ، وتليها السعودية (٤,٤ ٪) فعُمان (٣,٩ ٪) .

أما عن متوسط نصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي ، فنلاحظ أن الإمارات أكبر الدول دخلاً للفرد (٢١٤٣٠ دولار أمريكي) ، يليها الكويت (١٩٣٦٠ دولار أمريكي) ، فقطر (١٥١٤٠ دولار أمريكي) ، ثم السعودية (٧٩٤٠ دولار أمريكي) ، ثم البحرين (٧٨٧٠ دولار أمريكي) ، ثم عُمان (٤٨٥٠ دولار أمريكي) . وتعتبر الإمارات من أكبر دول العالم من حيث نصيب دخل الفرد . أما الكويت وقطر ، فالدخل فيهما فوق المتوسط وباقي الدول متوسطة الدخل طبقاً لمعايير البنك الدولي .

وما زالت التجارة البينية لدول مجلس التعاون الخليجي تلاقي بعض الصعوبات ، منها إثبات أهلية السلعة الوطنية المصدرة للإعفاء الجمركي ، كما يكتنف تنفيذ القرار الخاص بإعطاء الأولوية للمنتجات الوطنية الكثير من الغموض ، كما حدث تراجع في تنفيذ ماتم الاتفاق عليه بشأن الحد الأدنى للتعريفه الجمركية .

كما أن العمل المشترك في إطار مجلس التعاون يتأثر ببعض العوامل ، منها موضوع السيادة وهو من أهم التحديات التي تواجه العمل الاقتصادي المشترك في التجمعات الإقليمية .

كما أن العمل المشترك يرتب تغييرات هيكلية للمؤسسات الإنتاجية والخدمية في دول المجلس ، ومن ثمّ تحدث بعض التضحيات التي لانقلابها مكاسب متوازنة ومباشرة في بعض الحالات .

ومن التحديات أيضاً التي تواجه تجربة المجلس ، انخفاض معدلات الأداء والإنتاجية وارتفاع نسبة الفاقد ، وذلك لغموض فلسفة الإدارة ، وعدم كفاية أنظمتها ، وضعف بناء تنظيماتها ، وتخلف التقنية المطبقة فيها ، واختلال التوازن بين أجهزة الرقابة والمشروعات ، بالإضافة إلى ذلك ، هناك محدودية المعرفة الفنية والاعتماد على استيراد التكنولوجيا الجاهزة عن طريق الشركات متعددة الجنسيات ، اعتقاداً من دول المجلس أنها قادرة على التعامل في هذا المجال بسبب حاجة العالم الصناعي إلى ما لديها من مصادر الطاقة ، إلا أن هذا الاعتقاد ثبت محدودية فاعليته ، بخاصة بعد أن نجح العالم الصناعي في تحويل سوق النفط إلى سوق مشتريين ، بل أن ذلك العالم استغل هذه الرغبة في امداد المنطقة بمشروعات ثبت ضعف جدواها وبتكاليف مبالغ فيها .

كما يلاحظ الإفراط في استخدام الطاقة عند مستوى متواضع للإنتاج الصناعي . أما التجارة البينية لمجلس التعاون الخليجي ، فقد سبق الإشارة إليها وتبين أن نسبة التبادل بين هذه الدول حوالي ٥٦ ٪ من إجمالي تجارتها عام ١٩٩٤م ، وهذه نسبة ضعيفة وظاهرة غير طيبة .

ب - اتحاد المغرب العربي : بني هذا الاتحاد على عدة مبادئ وأسس محددة ، منها وحدة الدين واللغة والتاريخ والأمني والتطلعات والمصير ، وتكوّن من ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، وموريتانيا .

وتهدف معاهدة الاتحاد إلى تقوية أواصر الأخوة بين الدول الأعضاء ، وتحقيق تقدم ورفاهية شعوبها ، والدفاع عن حقوقها والمساهمة في صيانة السلام القائم على

العدل والإنصاف ، ونهج سياسة مشتركة في مختلف الميادين ، والعمل تدريجياً على تحقيق حرية انتقال الأشخاص والخدمات ورؤس الأموال والخدمات فيما بينها ، والعمل على الحفاظ على استقلال كل دولة من الدول الأعضاء ، وأن كل اعتداء تتعرض له إحدى دول الاتحاد يعتبر اعتداءً على باقي الدول الأعضاء .

كما تتعهد الدول الخمس أعضاء الاتحاد بعدم السماح لأي نشاط فوق أرضها يمس أمن أو حرية إحدى دول الاتحاد .

كما تهدف هذه المعاهدة إلى العمل على تحقيق التنمية الصناعية والزراعية والتجارية والاجتماعية للدول الأعضاء ، واتخاذ مايلزم من وسائل ، بخاصة إنشاء مشروعات مشتركة فضلاً عن العمل على إقامة تعاون لتنمية التنظيم والحفاظ على القيم الروحية والخلقية المستمدة من تعاليم الإسلام .

ويقضي نظام هذا الاتحاد بإلغاء تأشيرات الدخول بين مواطني الدول الخمس وبدء العمل بنظام البطاقة الموحدة ، والسماح للمواطنين بنقل رؤوس الأموال وحرية التجارة ، ومنحهم حق التملك والبيع والشراء دون قيود محددة كما يقضي هذا النظام بمعالجة المسائل الجمركية والضريبية والتجارة الخارجية بالشكل الذي يهدف إلى قيام سوق مشتركة ، وقيام مصرف مشترك بين الدول الخمس يتولى الإسهام في تنشيط التجارة ، كذلك إنشاء مؤسسة استثمارية لتمويل المشروعات الاستثمارية أو التي تقيمها كل دولة على حده^(٤٢) .

يشكل الهيكل التنظيمي للاتحاد من الآتي :

- مجلس الرئاسة : يتكون من رؤساء الدول ومدة رئاسة المجلس ستة أشهر بالتناوب ، ويعقد دورة عادية كل ستة أشهر ، ودورات استثنائية كلما دعت الحاجة لذلك ، ويختص مجلس الرئاسة باتخاذ القرارات والتي تصدر بالإجماع .

- سكرتارية ملحقة بالرئيس : تتكون من مندوبين من الدول الخمس وذلك كبديل عن الأمانة العامة الدائمة .

- المجلس الوزاري : يشكل من وزراء خارجية الدول الخمس ، ويحضر المجلس الوزاري دورات مجلس الرئاسة وينظر في ماتعرضه لجنة المتابعة واللجان الوزارية المتخصصة .

- اللجان الوزارية المتخصصة : تعمل لاستكشاف إمكانات التكامل بين دول الاتحاد وعرض دراستها على مجلس الرئاسة ، وتستعين هذه اللجان بعدد غير محدود من اللجان الفنية .

- مجلس شورى استشاري : يتكوّن من ٥٠ ممثلاً عن برلمانات دول المغرب الخمس ، بحيث يمثل كل برلمان عشرة أعضاء ، ويعقد مجلس الشورى دورة عادية كل سنة ، ودورات استثنائية بطلب من مجلس الرئاسة ويبدى مجلس الشورى رأيه فيما يحيله إليه مجلس الرئاسة من مشروعات قرارات ، كما أن له الحق في أن يرفع لمجلس الرئاسة مايراه من توصيات لتعزيز عمل الاتحاد وتحقيق أهدافه .

- هيئة قضائية (مجلس تحكيمي) : وتشكل من عشرة أعضاء «عضوين عن كل دولة» وتختص بفض المنازعات الإقليمية المتعلقة بتفسير وتطبيق المعاهدة والاتفاقيات الإقليمية المبرمة في إطار الاتحاد .

هذا ويلاحظ أن الاتحاد يفتقر إلى وجود سلطة عليا مستقلة عن الدول الأعضاء ، فهو لا يتمتع بسلطة فوق سلطة الدول الأعضاء ولا يتمتع بسلطة مستقلة بين الدول . (بسيوني ، ١٩٩٢م : ١٢٠ - ١٢٣) .

كذلك يفتقر الاتحاد إلى وسائل التنفيذ ، ومن ثم فإن عملية تنفيذ أي قرارات أو مقترحات تظل رهن إرادة الدول الأعضاء .

- أن فترة رئاسة مجلس رئاسة الاتحاد بالتناوب وهي ستة أشهر لاتيح لرئيس مجلس دراسة المشروعات أو القرارات التي سوف تعرض على المجلس .

كذلك هناك مشكلة صدور القرارات بإجماع الأعضاء ، وهذه إحدى مشكلات جامعة الدول العربية والتي تستلزم إجماع أعضائها في اتخاذ بعض القرارات . كما توجد عدة تناقضات بين دول الاتحاد يصعب تجاوزها ، من هذه التناقضات أن بعض الدول بالاتحاد يقوم نظامها السياسي على الاقتصاد الموجه والبعض الآخر منها يقوم نظامها على الاقتصاد الحر .

كذلك يلاحظ تشابه اقتصاديات الدول الأعضاء في الاتحاد بل وتنافس منتجاتها ، وهذا يعتبر أحد العوائق الاقتصادية المهمة على المدى القصير، كذلك اختلاف نظم التجارة الخارجية من حيث التمويل وسيطرة جهاز الدولة أو القطاع الخاص ، والحاجة إلى اتباع مبدأ التخطيط المركزي لتنسيق التعاون بشكل جذري ، بالإضافة إلى ما يثار من مشكلات تتعلق بسعر الصرف وأسس التبادل التجاري .

هذا وقد سبقت الإشارة إلى التجارة البينية بين دول الاتحاد المغربي العربي ، وتبين أن التجارة البينية بينها في حدود ٢٥, ٣٪ من إجمالي تجارتها الخارجية، وهذه ظاهرة غير طيبة ، حيث إن المقصود من الاتحاد هو تشكيل كتلة اقتصادي يستطيع أن يعمل على زيادة التبادل التجاري بين أعضائه ، ومن ثم إحداث تنمية اقتصادية ورفاهية لشعوبه ، والجدول رقم (٢٣) يوضح بعض المؤشرات الأساسية لدول الاتحاد .

(جدول رقم ٢٣) : بعض المؤشرات الأساسية لدول الاتحاد المغربي

العربي عام ١٩٩٣ م .

الدولة	تعداد السكان بالمليون	المساحة الكلية بالآف في كم ^٢	الكثافة السكانية نسمة في كم ^٢	نصيب الفرد من الناتج الرطني الاحمالي بالدولار	متوسط النمو السكاني في السنة
تونس	٨,٦١	١٦٤	٥٣	١,٧٨٠	٢,١
الجزائر	٢٦,٨٨	٢٣,٨٢	١١	١,٦٥٠	٢,٦
ليبيا	٥,٠٤	١,٧٦٠	٣	٥,٣١٠	٣,٦
المغرب	٢٦,٧٢	٤٤٧	٦٠	١,٠٣٠	٢,٤
موريتانيا	٢,١٤	١,٠٣١	٢	٥١٠	٢,٧
المجموع	٦٩,٣٩	٥,٧٨٤			

من الجدول السابق رقم (٢٣) يتضح أن تعداد سكان الاتحاد حوالي ٦٩,٣٦ مليون نسمة ، وأن سكان كل من الجزائر والمغرب يمثلون ٢,٧٧٪ من إجمالي سكان الاتحاد . كذلك يلاحظ أيضاً أن هناك اختلافات كبيرة بين هذه الدول في المساحة الكلية لها ، حيث يلاحظ أن تونس مساحتها ٢,٨٪ من المساحة الكلية للاتحاد والمغرب حوالي ٧,٧٪ من المساحة الكلية للاتحاد ، بينما الجزائر تشكل ١,٤١٪ من إجمالي المساحة الكلية للاتحاد ، فإذا أضفنا إليها - أي الجزائر - كل من ليبيا وموريتانيا ، فإن هذه الدول الثلاث تمثل ٨٩,٥٪ من المساحة الكلية للاتحاد .

لذلك نجد أن الكثافة السكانية تتركز أساساً في المغرب (٦٠ نسمة في الكيلو متر المربع) وكذلك في تونس (٥٣ نسمة في الكيلو متر المربع) .

أما متوسط نصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي لهذه الدول فيبلغ حوالي ٢٠٥٠ دولاراً وهذا يعتبر من الدخول المتوسطة ، ويلاحظ أن أقل دخل في هذه الدول يوجد في موريتانيا ، حيث يبلغ ٥١٠ دولارات وهو من أقل المتوسطات على المستوى العالمي ، بينما ليبيا يبلغ الدخل الفردي فيها حوالي ٩٣١٠ دولارات ، ويعتبر من الدخول المتوسطة .

أما عن متوسط النمو السكاني ، فهو متقارب بين دول الاتحاد ماعدا ليبيا التي ترتفع فيها ليلغ ٣,٦ ٪ في العام .

ثانياً : أهمية التكامل الاقتصادي للدول الإسلامية :

لاشك أن هناك الكثير من المبررات الخاصة بأهمية التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية ومنها مايلي :

١ - أن الدول الإسلامية تمتد جغرافياً في ثلاث قارات هي أفريقيا وآسيا وأوروبا . كما أنها تستحوذ على مناطق متنوعة الموارد الطبيعية الزراعية والاستخراجية ، وبها كفاءات بشرية متعددة في معظم مجالات النشاط الاقتصادي ، بالإضافة إلى قدرات علمية وبحثية في معظم المجالات اللازمة للتطور والتقدم التكنولوجي ، كما أن من بينها معظم الدول الرئيسة المصدرة للنفط في العالم والتي تتجمع لديها فوائض رأسمالية كبيرة والتي لا تجد لها مجالات واسعة للاستثمار داخل العالم الإسلامي لأسباب سياسية واقتصادية مختلفة^(٤٣) .

ورغم ذلك ، فإن معظم الدول الإسلامية تعاني من عجز في موازينها التجارية ، وذلك لاعتمادها على استيراد المواد الغذائية ومستلزمات الإنتاج (ومعظمها صناعات استهلاكية خفيفة) وكثير من السلع الصناعية .

هذا بجانب اعتماد عدد منها على الاستعانة بالخبرات الأجنبية والركون إلى ماتسمح به (وهو محدد بأهداف الدول المتقدمة) من ثمار التقدم العلمي والجهود البحثية في الدول الغربية المتقدمة .

ولاشك أن التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية يعمل على تحقيق درجة كبيرة من التنسيق بين عناصر الإنتاج وكذلك المشروعات الإنتاجية المشتركة ، كما أنه يقضي على تبعية هذه الدول للعالم الخارجي ، بزيادة قوتها التفاوضية ، ومن ثمّ التقليل من اعتمادها على الخارج في الغذاء وكثير من المنتجات الصناعية ، فضلاً

عن الحد من استنزاف وتسرب الأموال إلى خارج الأمة الإسلامية ، وتعرضها للتقلبات الاقتصادية ، واستثمارها في مضاربات البورصات والبنوك الأجنبية ، دون توافر الخبرة الكافية لهذه الأنشطة وخضايها مما ينتج عنه ضياع الكثير من هذه الأموال^(٤٤) .

٢ - تعاني الدول الإسلامية من حالة تناقض مزمنة بين حلم التجمع والوحدة وواقع التشرذم . ولاسبيل للتخلص من هذه الحالة إلا بتغييرات جوهرية في الفكر السياسي وبت روح التعاون والإخاء والتآلف بين شعوب هذه الأمة مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة ٢]. ومن ثمّ يجب غرس هذه الروح وبثها في مسانج التعليم والتربية والثقافة وأجهزة الإعلام ولا بد أن يعلم الجميع بأنه لا كيان ولا وجود للعالم الإسلامي إلا بالوحدة والاتحاد وأنه لا مكان اليوم للدول الصغيرة أو الكيانات الصغيرة على خريطة العالم ، ويجب أن نزرع من بيننا الخلافات والفرقة ، وأن نتحد على كلمة الله وعلى كتابه وهديه ، وأن نكون أمة واحدة وأخوة متحابين متعاونين في السراء والضراء . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول) مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى^(٤٥) .

فعلى الدول الإسلامية العمل على التعاون والتنسيق فيما بينهم من أجل الوحدة ، ولاسبيل لذلك إلا بالتكامل الاقتصادي بينها ، فهو السبيل الوحيد والفعال لتحقيق هذه التغييرات والحلم المنشود ، على أن نتجنب تجارب الماضي والتي كانت لاتعدو اتفاقيات مكتوبة في الأوراق وليست لها فاعلية في الواقع ، بخاصة وأن العالم حالياً قد دخل مرحلة جديدة من إعادة تشكيل النظام الاقتصادي والسياسي وماحدث من نتائج عن اتفاقية الجات في جولة أوروجواي . ولا تستطيع الدول الإسلامية مواجهة تلك التغييرات الدولة إلا بكيان اقتصادي كبير ، حيث تستطيع أن تواجه باقي الكيانات الاقتصادية الأخرى .

٣ - التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية يعمل على القضاء على ظاهرة التناقض الاقتصادي بين هذه الدول ، حيث توجد فوائض مالية كبيرة لدى بعض الدول غير قادرة على استثمارها ، ومن ثم يتم استغلالها لدى دول أجنبية غير إسلامية ، بينما توجد دول إسلامية فقيرة لديها القدرة على استيعاب هذه الأموال في استثمارات جادة ، تعود بالخير على أصحاب رؤوس الأموال وعلى الدول المستثمرة لها وبالتالي على العالم الإسلامي أجمع ، ومن ثمَّ يزيد الإنتاج وترتفع الكفاءة الإنتاجية وتنخفض الأسعار وتحث طفرة تنموية كبيرة ، وبذلك يُقضى على ظاهرة البطالة التي تعم معظم العالم الإسلامي ، وتستطيع هذه الدول أن تقف بندية في مواجهة التكتلات الأخرى .

٤ - كما أن التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية يعمل على التنسيق بين السياسات المالية والنقدية والاقتصادية بين هذه الدول ، ومن ثمَّ يوحد هذه السياسات في إطار مصلحة شعوبها وأمتها ، ويقضي على ظاهرة الصناعات الاستهلاكية الخفيفة والمتنافسة بين هذه الدول ويطور صناعاتها وإنتاجها ، ويوجهها جميعاً إلى الصناعات الثقيلة المتقدمة ، وقد أنعم الله على هذه الأمة بالخير الكثير من الموارد الطبيعية والموارد البشرية والموارد المالية، ومن ثمَّ توجد لديها جميع مقومات وعوامل النجاح لمثل هذه الصناعات وهذا الإنتاج ولا يبقى سوى النية الصادقة والعزيمة القوية والإيمان بالوحدة في ظل ديننا الحنيف والله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

٥ - ولاشك أن التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية يعتبر ضرورة حتمية ، حتى لاتضطر إلى الدخول في أسواق غير إسلامية تستفيد منها الدول الأجنبية مثل فكرة السوق الشرق أوسطية والتي تخدم مصلحة إسرائيل في المقام الأول، هذا ولاننسى الصراع الحضاري بين إسرائيل والأمة الإسلامية ،

والفروقات الكبيرة بين تطور الإنتاج والإنتاجية وتطور التكنولوجيا والتقدم الصناعي والعلمي والثقافي ، ولا يحد من هذه الفروقات سوى التكامل الاقتصادي للدول الإسلامية ، فلا يجب على الأمة الإسلامية أن تتعاس عن العمل الجدي والبحث العلمي واستخدام التكنولوجيا الحديثة بما يلاءم حاجتها وظروفها حتى لا تستمر إسرائيل مركزاً متقدماً للحضارة الغربية داخل الأمة الإسلامية ، ويعمل على استنفاد طاقاتها بصفة مستمرة ، وتعوقها عن السير قدماً من أجل التقدم والرخاء والرفاهية .

الأساليب المختلفة للتكامل الاقتصادي :

توجد عدة أساليب للتكامل الاقتصادي . ويتوقف اختيار الأسلوب الملائم لأية مجموعة من الدول على اتجاهات هذه الدول - رأسمالية - اشتراكية - أم هي من الدول الساعية للنمو . كما يتوقف أيضاً على حالتها الاقتصادية ، ومدى تقارب هذه الدول في مستواها الاقتصادي والإنتاجي ، ومدى توافر هياكل البنية الأساسية ، وكذلك الأوضاع السياسية ومدى تقاربها اجتماعياً .

ويلاحظ أنه رغم تعدد الأساليب من الناحية النظرية ، فإنه لا توجد واقعياً حدود فاصلة بينها ، حيث أن كل أسلوب يعمل على الاستفادة من بعض أدوات الأسلوب الآخر .

وقد اختلفت الدراسات الاقتصادية في تقسيمها لأساليب التكامل الاقتصادي ، فمنها ما قسمها إلى أسلوب التكامل الكلي وأسلوب التكامل الجزئي ، ومنها ما قسمها إلى أسلوب مباشر وأسلوب غير مباشر^(٤٦) ، وسوف نشير لهذه الأساليب في الفقرات التالية :

١ - أسلوب التكامل الكلي :

أسلوب التكامل الكلي يعمل على إزالة العقبات المصطنعة أمام حركة السلع وعناصر الإنتاج ، حيث يحدث تغييراً في الإطار التنظيمي للنشاط الاقتصادي . وينقسم هذا الأسلوب لأسلوبين هما :

أ - أسلوب التكامل الكلي بلا تنسيق (أسلوب السوق) .

ب - أسلوب التكامل الكلي مع التنسيق .

وأسلوب التكامل الكلي بلا تنسيق (أسلوب السوق) يكتفي بتحرير السلع وعناصر الإنتاج بين الدول المشتركة في التكامل الاقتصادي تاركاً تحقيق التكامل لقوى السوق التلقائية ، فهو لا يعمل على التنسيق بين السياسات الاقتصادية لدول التكامل . وهذا الأسلوب لا يحقق مفهوم التكامل ، حيث أن التكامل في رأينا يبدأ من مرحلة تدخل الحكومات للتنسيق بين سياساتها وأنشطتها الإنتاجية المختلفة ، أما ترك تحقيق التكامل لقوى السوق التلقائية ، فإنه يؤدي لكثير من الأضرار والمشكلات ولا يحقق الفوائد التي قام التكامل من أجلها. ويؤيد هذا الأسلوب أصحاب فكرة الحرية الاقتصادية ، كما أن هذا الاتجاه يعتبر متطرفاً في العصر الحاضر، بالإضافة إلى أنه يصعب عليه مواجهة مشكلات دول التكامل^(٤٧) ، حيث إنه إذا ما قام تكامل بين مجموعة من الدول تتفاوت بينها مستويات النمو والتطور ، فإنها ستواجه عدة مشكلات وصعوبات كثيرة ، منها كيفية توحيد السياسة التجارية وتنظيم حركة التبادل التجاري وعناصر الإنتاج بينها .

فالدولة الأكثر تقدماً صناعياً - داخل هذا الاتحاد - لاحتياج لحماية جمركية بالقدر الذي تحتاجه دولة أخرى أقل نمواً وتقدماً ، حيث تتميز الدولة الأولى بما لديها من صناعات متقدمة وبذلك لا تجد منافسة من مجموعة الدول الأخرى ، ومن ثم تحصل على معظم المنافع الناتجة عن التكامل في حالة تحرير التجارة ، بينما لا تجني الدولة الأخرى إلا الشيء اليسير ، بل تقع عليها أضرار كثيرة ، نظراً لأن الميزان التجاري سيكون في صالح مجموعة الدول الأكثر تقدماً صناعياً .

ومن ثم فإن هذا الأسلوب لا يصلح للدول التي تتفاوت بينها مستويات النمو والتقدم الصناعي ، نظراً لأن الدول الأكثر تقدماً سوف تستأثر بالنصيب الأكبر من عناصر الإنتاج الأكثر كفاءة ، وذلك لتوافر الهياكل الأساسية اللازمة لها .

كما سبق يتضح أن أسلوب التكامل الكلي بلا تنسيق (أسلوب السوق) يستلزم تطبيقه بين مجموعة من الدول المتقدمة ، المتساوية في أنشطتها الاقتصادية ، والمتقاربة في هياكلها الإنتاجية ، والتي ينتج عنها حجماً مناسباً من التجارة ، التي لا يعوقها سوى بعض الجواجز والقيود الجمركية والتي لو أزيلت لزداد حجم التجارة الإقليمية ونشطت القطاعات الإنتاجية القائمة ، وهذا ليس حال الدول النامية ومن ثم فهذا الأسلوب لا يناسبها .

أما أسلوب التكامل الكلي مع التنسيق فهو يعمل - بجانب تحرير التجارة والسلع بين دول التكامل - على التدخل والتنسيق بين مختلف السياسات الاقتصادية والاجتماعية المنظمة للنشاط الاقتصادي لدى الدول الأعضاء^(٤٨) ، من أجل إيجاد ظروف متكافئة لدى دول التكامل للنشاطات الاقتصادية المختلفة لديها .

ولنجاح هذا الأسلوب ، يُشترط أن يضم التكامل مجموعة من الدول في هياكلها الاقتصادية والتنظيمية ، مثل دول السوق الأوروبية المشتركة ، حيث أنها متقاربة في نظمها الاقتصادية وفي مستويات تطورها وكبر حجم مشروعاتها الإنتاجية وكفاءتها العالية ، ومن ثم تتوافر سوق تجارية كبيرة بين دولها . وتتميز هذه الدول بتوافر شبكة كبيرة ومتقدمة للاتصالات السلكية واللاسلكية ، والنقل بجميع أنواعه برياً وبحرياً وجوياً ، مما يساعد على تنشيط حركة التجارة بينها .

فإزالة القيود على التجارة مع التنسيق بين السياسات المختلفة يعتبر من أهم الإجراءات ذات الفعالية لتحقيق التكامل^(٤٩) . ويمكن القول ، بأن تحقيق النجاح للسوق الأوروبية المشتركة قد جاء لاتباعها أسلوباً يتناسب مع ظروفها المختلفة ، وهو أسلوب التكامل الكلي مع التنسيق .

٢ - أسلوب التكامل الجزئي :

أسلوب التكامل الجزئي يقوم على تدخل الدولة في الأنشطة الاقتصادية المختلفة بالتنسيق والتخطيط ، ومن ثم يتلافى أسباب التمييز بين الوحدات الاقتصادية لدى دول التكامل ، ويؤدي إلى حدوث توزيع عادل للمنافع الاقتصادية والحد من الأضرار وعدم حدوث ازدواجية للمشروعات لدى دول التكامل ، وهنا يمكن التمييز بين أسلوبين :

أ - أسلوب التنسيق الشامل .

ب - أسلوب التنسيق الجزئي وهو ينقسم إلى نوعين (التنسيق على مستوى القطاع ، والتنسيق على مستوى المشروع) .

وأسلوب التنسيق الشامل : يقوم على تنسيق شامل لجميع الأنشطة الاقتصادية لدى الدول الأعضاء فيضع خطة إقليمية مشتركة واحدة تتضمن سياسة استثمارية ، وذلك حتى يُنظر لهذه الدول كوحدة واحدة . ومن ثم يشترط لنجاح هذا الأسلوب قيام اقتصاد مجموعة الدول على التخطيط الملزم ، ويتطلب هذا الأسلوب عدة إجراءات تسهل العمل وتساعد على نجاحه ، منها توحيد خطط التنمية ، وعمل موازين سعرية جاهزة لمختلف الاستخدامات والموارد على المستوى الإقليمي والوطني ، وتكوين هيئة عليا لها من السلطات ما يعلو السلطات المحلية للدول المشتركة ، التي تقدم بعض التنازلات بالنسبة للسيادة والاستقلال الداخلي لكل دولة ، لهذه الهيئة العليا .

ومن الواضح أن هذا الأسلوب لا يتناسب مع الدول الساعية للنمو ومنها الدول الإسلامية ، وخاصة وأنها لا يتوافر لديها متطلبات التنسيق الشامل ، وقد أخذ بهذا الأسلوب مجلس التعاون الاقتصادي المعروف بـ (الكوميكون) ، حيث إن مجموعة الدول الاشتراكية . في الفترة السابقة . المشكل منها هذا المجلس كان لديها من الظروف والإمكانات ما يساعد على تطبيق مثل هذا الأسلوب .

أما أسلوب التنسيق الجزئي : فيقصد به حدوث نوع من التنسيق على مستوى قطاع معين من قطاعات الدولة ، سواء قطاع الصناعة أو قطاع الزراعة ، أو يتم التنسيق على مستوى مشروع من المشروعات .

فالتنسيق الجزئي على مستوى القطاع : هو اتفاق دول التكامل على التنسيق فيما بينها على مستوى قطاع معين من القطاعات الاقتصادية لديها، سواء كان قطاع الصناعة أو قطاع الزراعة أو أي قطاع آخر ، حيث يتم إجراء دراسة تشمل إنتاج هذا القطاع ونفقاته لدى الدول المشتركة ، مع معرفة سياسات وأهداف كل دولة الخاصة بهذا القطاع ، حتى يمكن التنسيق بينها في مراحل الإنتاج والتسويق الخارجي والداخلي ، وإعادة توزيع الموارد بينها وفقاً للأهداف الإقليمية وتكاليفها النسبية ، حتى لاتضار إحدى الدول الأعضاء . ويتطلب هذا الأسلوب توافر درجة كبيرة من المرونة في القطاعات التي يتفق عليها حتى إذا ما أعيد تخصيص مواردها لاتضار إحدى الدول من جراء ذلك، وعادة ما يتم هذا التنسيق على مستوى القطاع الصناعي^(٥٠) .

وقد قامت دول أمريكا الوسطى - وهي دول ساعية للنمو - بتطبيق هذا النظام في صورة تكامل صناعي ، إلا أنها ووجهت بالكثير من المشكلات والصعوبات ، نظراً لضعف هيكلها الإنتاجية وتفاوت مستوى النمو والتقدم فيما بينها ، فاضطرت لإجراء تنسيق بين القطاعات المختلفة لديها بخاصة القطاع الصناعي وعمل تنسيق بين السياسات الاقتصادية ، إلى جانب تحرير التجارة .

ومما سبق يتضح لنا أن هذا الأسلوب يتطلب وجود تنسيق بين السياسات الاقتصادية المختلفة والمتعلقة بالإنتاج بخاصة في القطاع الصناعي ، مع تحرير التجارة ، ومن ثم فهو لايتلاءم مع ظروف الدول الساعية للنمو ، مثل الدول الإسلامية ، حيث لا يوجد لديها الإمكانيات والظروف التي تساعد على تحقيق هذا التنسيق .

من ناحية أخرى فإن التنسيق الجزئي على مستوى المشروع يعني تعاون دولتين أو أكثر لتنسيق سياسات الاستثمار في نطاق إنتاج قائم بالفعل أو إنتاج جديد . ويتميز هذا الأسلوب بأنه لا يتطلب من الدول الأعضاء في التكامل التخلي عن سياستها أو أنظمتها الخاصة ، ولا يتعارض مع حالة وجود اختلاف مستويات النمو والتقدم بين دول التكامل ، حيث لديه من الصيغ والنماذج ما يتلاءم مع كل دولة مهما اختلفت في مستواها أو أنظمتها الاقتصادية ودون أن يتعارض مع مصالحها ، كما لا يثير الكثير من المشكلات التي تثيرها صور التكامل الأخرى ، كالاتحاد الجمركي أو السوق المشتركة . . . إلخ .

ويلاحظ أن ضعف نسب التبادل التجاري بين الدول الساعية للنمو لا يرجع إلى القيود الجمركية وغيرها المفروضة عليها ، بقدر ما يرجع إلى وجود قصور واختلال في الهياكل الإنتاجية . ومن ثم ، فإن هذه الدول في حاجة ملحة لإقامة البنية الإنتاجية وتطويره ، بقدر أكبر من حاجتها لإزالة القيود الجمركية ، والتي ليس لها تأثير إلا بنسبة بسيطة على حالة التجارة بين تلك الدول . ونجد أن في قيام المشروعات المشتركة في المجالات الإنتاجية ما يكفي لإزالة هذا القصور والاختلال .

بعد هذه الإشارة المختصرة عن تقييم التجارب السابقة للدول الإسلامية والعربية والإشارة إلى أساليب التكامل الاقتصادي فإنه يثور السؤال عن أفضل الأساليب الملائمة لقيام التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية .

من دراستنا السابقة يتضح لنا مدى أهمية وضرورة قيام تكامل اقتصادي بين الدول الإسلامية ، من أجل تنميتها اقتصادياً والدفع بها إلى أرقى الدول المتقدمة ، ومن ثم إيجاد الوحدة الاقتصادية والسياسية الكاملة .

ولكن أي الأساليب تكون ملائمة لقيام هذا التكامل ونجاحه ؟ ومن التجارب السابقة للدول العربية والإسلامية وتقييمنا لهذه التجارب للفترة السابقة، يتضح أن هذه الدول قد سلكت اتجاهين أساسيين لتحقيق التكامل : الاتجاه الأول وكان يتمثل

في قيام سوق عربية مشتركة ، وتبين أن هذا الأسلوب لا يتناسب مع الدول الساعية للنمو ، نظراً لأنه صورة متقدمة من صور التكامل ، ويشترط لقيامه عدة ضوابط ومواصفات يصعب توافرها لدى الدول الراغبة في التكامل ، ومن ثم لم تنجح هذه الصورة لعدم انطباقها على إمكانات وسياسات وحالة هذه الدول .

أما الاتجاه الثاني ، فيتمثل في أسلوب المشروعات المشتركة ، وقد تبين أن هذا الأسلوب هو الأسلوب الملائم والمناسب والأسلوب العملي لتحقيق درجة واقعية من التكامل بين الدول العربية والإسلامية ، حيث يتحقق عن طريقه قيام تكامل جزئي ، وهذا ما يناسب الدول الإسلامية في الوقت الراهن لظروفها الاقتصادية والسياسية ، وما تمر به من مشكلات وخلافات وحروب مختلفة ، سواء داخلية أو خارجية .

لهذه الظروف والأسباب ، وعلى ضوء ما سبق الإشارة إليه في هذه الدراسة ، فإننا نرى أن المشروعات المشتركة هي أحسن الصيغ والأساليب الملائمة حالياً لدفع عجلة التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية ، حتى إذا ما صلح حال المسلمين والدول الإسلامية ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولم يفرقوا وتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ، وعلموا علم اليقين أنه لا وجود للدول الصغرى في عصر التكتلات الاقتصادية ، وأن الدول الغنية والكبيرة والمتقدمة تعمل حالياً على إقامة التكتلات فيما بينها حتى تزداد قوة إلى قوتها وتقدماً على تقدمها ، فما بال الدول الصغيرة والفقيرة لا تسعى إلى ذلك . ففي هذه الحالة يمكن للدول الإسلامية أن تتخذ صورة أخرى أو أسلوباً آخر متقدماً من صور وأساليب التكامل الاقتصادي ، حتى تكون أمة واحدة لها قوتها الاقتصادية ، ومن ثم قوتها السياسية بين الأمم الأخرى . ومقومات ذلك متوفرة لدى أمتنا والتي لا ينقصها سوى أن نصلح من أنفسنا ونرجع إلى هدى الله وكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

خاتمة

يبدو أن المشروعات المشتركة هي أفضل الأساليب والصيغ الملائمة حالياً لقيام تكامل اقتصادي بين الدول الإسلامية والمشروعات المشتركة عبارة عن مشروعات اقتصادية يتعاون في إقامتها بلدان إسلاميان أو أكثر حيث يقوم كل منها بالاشتراك في المشروع ، إما برأس المال أو العمل أو غيرها من عناصر الإنتاج ، ويتحقق من قيامها مصلحة اقتصادية للدول المشاركة في المشروع . ومن الأفضل للدول الإسلامية أن تبدأ مشروعاتها المشتركة بالمشروعات التي تتميز بشمول نفعها للأطراف المشتركة جميعاً ، والتي تحتاج لأموال تعجز الدولة الواحدة عن توفيرها .

وتتميز المشروعات المشتركة بأنها ستستفيد من مزايا الحجم الكبير لمشروعاتها واتساع السوق . . . إلخ ، ومن ثم فإنها تحصل على المزايا نفسها التي يمكن الحصول عليها بالصور أو الأساليب الأخرى للتكامل الاقتصادي بصفة عامة . ولكن المشروعات المشتركة تتميز عن الصور والأساليب الأخرى بميزات أخرى ، حيث لا تتطلب من أي من الدول الأعضاء أن تتخلى عن سياساتها أو أنظمتها الخاصة ، ولا تتعارض مع خاصية اختلاف مستويات النمو والتقدم بين الدول ، بل تتيح لكل دولة أياً كان نظامها أو مستواها الاقتصادي، أن تشارك وتتعاون اقتصادياً في مجال معين ، وبأسلوب والصيغة التي لا تتعارض مع مصالحها الخاصة (شلبي، ١٩٨٨م) .

يضاف إلى ذلك أنها كصيغة مبسطة من صيغ التعاون والتكامل لا تثير من المشكلات ماثيره الصيغ الأخرى ، حيث يتم تقدير التكاليف والأعباء المترتبة على المشروعات مقدماً وكذلك معرفة الفوائد التي ستعود من هذه المشروعات ، وذلك من خلال الدراسة الاقتصادية لكل مشروع على حدة ، وبذلك يسهل الاتفاق على هذه المشروعات ، وذلك من خلال الدراسة الاقتصادية لكل مشروع على حدة ، وبذلك يسهل الاتفاق على توزيعها بين الدول المشتركة .

إن قيام المشروعات الإسلامية المشتركة في المجالات الاقتصادية والإنتاجية المختلفة لعامل مهم من عوامل الحد من اختلال وقصور الهياكل الإنتاجية ، والقضاء على ضعف نسب التبادل والتجارة البينية لهذه الدول ، كما أن انتشار المشروعات الإسلامية المشتركة سوف يكون البديل الأفضل لانتشار الشركات الأجنبية متعددة الجنسيات وذات النشاط الدولي في المنطقة الإسلامية ، وستعمل على القضاء على تبعية البلاد الإسلامية للاقتصاديات الأجنبية ، حيث تعمل على إيجاد اقتصاد متطور وإقامة جهاز إنتاجي متقدم .

إن بطء وتعثر عمليات التنمية الاقتصادية لدى دول العالم الإسلامي يرجع لعدم قيام تعاون وتكامل اقتصادي بينها ، رغم توافر الموارد الطبيعية والبشرية والإمكانات المادية .

وفي ظل سياسة تحرير التجارة بين الدول الإسلامية والتوسع في المشروعات المشتركة ، فإن ذلك سيؤدي إلى استخدام عوامل الإنتاج الاستخدام الأمثل ، بالإضافة إلى تقسيم العمل على مستوى هذه الدول والعمل على اختيار الأساليب والطرق التي تتلاءم أكثر من ظروفنا وواقعنا الإسلامي ، الذي هو في حاجة لجهاز إنتاجي متقدم .

إن قيام المشروعات المشتركة على مستوى دول العالم الإسلامي ، سيؤدي إلى استغلال التراكمات المالية لدى الدول ذات الفائض والتي لا تقدر على استثمارها في الدول ذات العجز والتي لديها القدرة على الاستيعاب ، حيث يتوافر لديها فرص الاستثمار في الجوانب الاقتصادية المختلفة .

كما أن المشروعات المشتركة تعتبر أفضل الطرق لقيام المشروعات الاقتصادية الكبيرة ، والتي قد تعجز موارد دولة واحدة على تمويلها أو تصريف منتجاتها في سوقها المحلي ، ومن ثم تحصل على مزايا الإنتاج الكبير لما للاستثمار الأولى فيها

من آثار مضاعفة على الاقتصاد الوطني ، حيث يدفع إلى موجات أخرى من الاستهلاك المولد من الاستثمار ، ومن ثم يشكل أداة فعالة لتنشيط الموارد المحلية ، وإيجاد مجموعة من رجال الأعمال والإدارة ، مما يسهم في نقل وتطوير التكنولوجيا المتقدمة واللازمة للإنتاج الحديث .

إن قيام المشروعات المشتركة يحقق عدة مصالح لأكثر من دولة ، حيث يقوم المشروع على استغلال موارد طبيعية مشتركة بين دولتين أو أكثر ، أو يعتمد على أكثر من دولة في الحصول على المنتجات الوسيطة اللازمة له ، أو لتسويق منتجاته ، أو ربط بعض البلاد بوسائل النقل والاتصالات المختلفة .

إن أسلوب تحرير التجارة وحده يعتبر من عوائق تحقيق التكامل الاقتصادي الإسلامي ، لأن القدرات الإنتاجية لكل دولة إسلامية محدودة ، بالإضافة إلى الصفة التنافسية لمنتجاتها . ويلزم لتجاوز هذه العقبات ، أن يصل حجم ونوعية السلع المنتجة للمستوى الذي يلزم لتحقيق تبادل تجاري ذي قيمة بينها ، ولا يتحقق ذلك إلا بقيام المشروعات المشتركة .

لكن هل تقوم المشروعات الإسلامية المشتركة برأس مالي إسلامي كامل أم باشتراك رأس مال أجنبي معه ؟ .

يثور هذا السؤال والذي نجد أن الإجابة عليه تختلف ما بين الاقتصاديين . فالبعض منهم يرون أن اشتراك رأس المال الأجنبي مع رأس المال الإسلامي فيه فائدة كبيرة تعود على الدول الإسلامية للاستفادة من الخبرات والتكنولوجيا ، التي تأتي بها الشركات المتعددة الجنسيات ، مما يعطي دفعة كبيرة لهذه المشروعات . كما أن اشتراك دول إسلامية أو عدة دول إسلامية في رأس مال المشروع مع رأس مالي أجنبي ، يحقق للدول الإسلامية نصيباً من الدخل المتولد عن المشروع أكبر مما يمكن أن تحصل عليه في صورة ضرائب على دخل المشروع المملوك ملكية كاملة لرأس مال أجنبي .

ولكن يلاحظ أنه في حالة مشاركة رأس المال الوطني مع الشركات المتعددة الجنسيات ، بخاصة لدى الدول الساعية للنمو ، فإن هذه الشركات لتميل إلى نقل المعرفة الفنية المتقدمة للمشروع المشترك الجديد دون مقابل ، أو بيعها للمنتجات الوسيطة بأسعار ميسرة .

أما الرأي الآخر والذي نؤيده ، فإنه يرى قيام المشروعات الإسلامية المشتركة برأس مال إسلامي بالكامل ، حيث إن دخول رأس المال الأجنبي قد يمكنه من السيطرة واستغلال المشروع لمصلحته الخاصة ، لما له من أساليب ملتوية في إدارة هذه المشروعات ، وأن الدول الإسلامية في حالة حاجتها للتكنولوجيا ، يمكنها أن تستورد ماتحتاجه منها وما يلائمها من أجل مشروعاتها .

ولايفوتنا في هذا الصدد الإشارة لما حدث للسوق الأوروبية المشتركة في مواجهة نشاط الشركات الأمريكية الكبيرة . حيث كان الأمل من توقيع اتفاقية روما أن يؤدي التكامل الاقتصادي الأوروبي إلى إنشاء السوق الأوروبية ، وإعطاء دفعة كبيرة لنمو الشركات الأوروبية الكبيرة ، والتي يتعدى نشاطها الحدود القومية لدول السوق ، إلا أن دول السوق لم تستغل تلك الظروف التي استغلتها الشركات الأمريكية ، مما أدى إلى نموها في أوروبا بمعدل فاق بكثير معدل نمو الشركات الأوروبية نفسها^(٥١) .

وإزاء هذه التجربة والتي حدثت بين أكبر كتلتين اقتصاديتين ، هل يكون ذلك مدعاة لعدم السماح بدخول رؤوس الأموال الأجنبية في المشروعات الإسلامية المشتركة ؟ .

وفي النهاية ، نود أن نشير إلى بعض الخطوط العريضة التي لو توافرت في المشروعات المشتركة الإسلامية لكانت من العوامل الرئيسة لنجاحها ، وهي مراعاة اشتراك أكبر عدد ممكن من الدول الإسلامية في المشروع الواحد ، حيث إن ذلك

مدعاة لنجاح المشروع ، والعمل على تعدد مراكز الإنتاج وتعدد المدخلات المستخدمة من مواد أولية وسلع وسيطة في أكثر من بلد إسلامي . وأنه في حالة توطن المشروع في بلد إسلامي معين ، يراعى استخدامه لأكبر عدد من المدخلات في البلد المقام به ، حيث إن ذلك يساعد على النجاح . كما يراعى العدالة في توزيع المنافع والأضرار في حالة التوطن وطريقة مشاركة رأس المال . وكذا مراعاة الدول الإسلامية الأقل نمواً . كما يراعى الترويج للمشروعات المشتركة ، نظراً لأن الدول الإسلامية يتفاوت توزيع الموارد المالية بينها ، حيث إن الترويج يعمل على تحريك رأس المال من الدول ذات الفائض للدول ذات العجز ، مع إبراز وتحديد المشروعات الاستثمارية الملائمة ، ذات الأولوية في التنمية .

ويجب أن تتضمن صيغة المشروعات الإسلامية المشتركة حداً أدنى من التنسيق بين الخطط الوطنية ، من أجل تحقيق المصلحة الإسلامية الشاملة ، ومراعاة المشروعات الإنمائية المتباينة لهذه الدول . ومدى صلاحية كل جزء من الوطن الإسلامي لإنتاج سلعة معينة ، وذلك بما يسمح لكافة الاقتصاديات الإسلامية بالنمو والتقدم . ولا بد من إيمان الشعوب والحكومات الإسلامية ، بأن المشروعات المشتركة ماهي إلا خطوة على طريق إقامة الوحدة الاقتصادية الكاملة ، وإقامة الدولة الإسلامية المتحدة .

وينعقد الأمل على ارتفاع الدول الإسلامية إلى مستوى المسؤولية الوطنية والتي يفرضها عليها ديننا الحنيف وروح العصر الذي نعيشه ، وأن تنسى هذه الدول خلافاتها وتوحد صفوفها وكلمتها وأن تلتزم بشريعة الله ، بالتضامن والتماسك والاتحاد ، من أجل رفع كلمة الإسلام وتوحيد الأمة الإسلامية . تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

الهوامش

- ١ - هذه المؤتمرات هي مؤتمر بروكسل في سبتمبر ١٩٢٠م - ثم مؤتمر جنوه في إبريل ١٩٢٢م ثم مؤتمر جنيف في مايو ١٩٢٧م ثم مؤتمر الهدنة الجمركية عام ١٩٢٩م.
- ٢ - هذا الموضوع يطول فيه البحث وقد كتب فيه عدة مجلدات ولكن نظراً لأنه أحد الموضوعات التي يجب الإشارة إليها بإيجاز كبير - انظر في ذلك المراجع التالية:
 - أبو الأعلى المودودي - أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة ومعضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام - الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) السلام السعودي للنشر وقد نقله للعربية محمد عاصم الحداد.
 - د. أحمد محمد السعال ود. فتحي أحمد عبدالكريم - النظام الاقتصادي في الإسلام - مبادئه وأهدافه - مكتبه وهبة - القاهرة - ذو الحجة ١٣٩٧هـ نوفمبر ١٩٧٧م.
 - د. محمد شوقي الفنجري - ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية وأهمية الاقتصاد الإسلامي - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٧٨م .
 - د. حسن العناني ، د. حسن الشافعي - حول الأسس العلمية والعملية للاقتصاد الإسلامي - من مطبوعات المعهد الدولي للبنوك والاقتصاد الإسلامي ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).
 - د. محمد باقر الصدر - اقتصادنا - دار الفكر - بيروت ١٩٧٣م .
 - د. يوسف القرضاوي - الخصائص العامة للإسلام - الطبعة الثانية - مكتبة وهبة - القاهرة .
 - ابن تيمية (أحمد عبدالحليم) - مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد قاسم - المجلد الخامس والعشرون والمجلد التاسع والعشرون .

- أبو عبيد (القاسم بن سلام) - كتاب الأموال - تحقيق محمد خليل هراس - منشورات مكتبة الكليات الأزهرية - دار الفكر - ٤٠١هـ (١٩٨١م)
- أبو يوسف - (القاضي يعقوب بن إبراهيم) - كتاب الخراج - تحقيق دكتور محمد إبراهيم البنا - دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع.
- د. إسماعيل شلبي - التنمية الاقتصادية والإسلام - مؤتمر جامعة المنصورة- إبريل ١٩٨٣م القاهرة .
- البنوك الإسلامية والتنمية - ندوة بنك فيصل الإسلامي - ديسمبر ١٩٨٣م القاهرة - خصائص ومميزات النظام المالي في صدر الإسلام - ندوة جامعة اليرموك - الأردن إبريل ١٩٨٧م.
- ٣ - رواه الترمذي وقال حديث حسن
- ٤ - صحيح البخاري ، بحاشية السندي - المجلد الأول - دار الفناجر - باب كتاب المظالم ، ص: ٦٦ .
- ٥ - يقول الشاطبي إنها تختلف باختلاف الساعات والأحوال .
- ٦ - الدينار الإسلامي يعادل وحدة من وحدات حقوق السحب الخاصة لصندوق النقد الدولي.
- ٧ - أجرى خلال تلك الفترة عدة صور للتكامل منها على سبيل المثال مايلي:
 - المجموعة الأوربية للفحم والصلب عام ١٩٥١م (E.C.S.C.) .
 - السوق الأوربية المشتركة عام ١٩٥٧م (E.E.C.) .
 - منطقة التجارة الحرة الأوربية عام ١٩٥١م (E.F.T.A.) .
- ٨ - تم تجميع هذه البيانات من المرجع التالي(The Europa Year-Book 1995) :
 - انظر الأبحاث التالية المقدمة من مجلس الوحدة الاقتصادية لندوة فلورنسا في نوفمبر ١٩٧٧م.

- التكامل الاقتصادي كوسيلة لدعم التنمية الاقتصادية ، ص ٣-٦ .
- التكامل كعلاج لاختلال التوازن الإقليمي ، ص ٣-١١ .
- الجوانب المؤسسة للتكامل الاقتصادي الإقليمي ، ص ٢٦-٥٣ .
- ٩ - أخرجه الطبراني في الأوسط والسيوطي في الجامع الصغير .
- ١٠- أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه .
- ١١- أخرجه الشيخان البخاري ومسلم .
- ١٢- أخرجه الطبراني والبيهقي .
- ١٣- رواه البخاري - وأخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود .
- ١٤- راجع الطبري ، ج١٠ ، ص ٧١ .
- ١٥- راجع ابن الجوزي ، المتظم ج٥ ، ص ١٧٢ ، ج٦ ، ص ٥٠ .
- ١٦- رواه الحاكم .
- ١٧- من الملاحظ أن البلاد الإسلامية النفطية أقل تعداداً للسكان . حيث إن تعداد قطر ٥٢٠ ألف نسمة ، والبحرين ٥٤٠ ألف نسمة ، وجيبوتي ٥٧٠ ألف نسمة ، والكويت ١٤٦ مليون نسمة بينما أكبرهم السعودية ١٧٣٩ مليون نسمة . أما الدول غير النفطية فهي مكتنظة بالسكان مثل أندونيسيا ١٨٧١٥ مليون نسمة ، باكستان ١٢٢٨٣ مليون نسمة ، بنجلاديش ١١٦٧ مليون نسمة .
- انظر : تقرير البنك الدولي للتنمية في العام (١٩٩٥م) جدول ١ ، ص ٢١٤-٢١٥ .
- ١٨- أكبر مساحات في الدول الإسلامية: السودان ٢٥٠٦ ألف كيلو متر مربع - الجزائر ٢٣٨٢ ألف كيلو متر مربع - السعودية ٢١٥٠ ألف كيلو متر مربع وأصغر المساحات جزر القمر ألفين كيلو متر مربع وبروناي ٦ آلاف كيلو متر مربع .
- انظر : تقرير البنك الدولي عن التنمية في العام (١٩٩٥م) ملحق ٢-٩ ، ص ٢١٣ .

١٩- يقصد بقوى العمل جميع الأفراد الذين يساهمون بجهودهم الجسمانية أو الذهنية لأداء أي عمل يتصل بالسلع أو الخدمات أو الذين يقدرّون على أداء هذا العمل ويرغبون فيه ويبحثون عنه .

ويقصد بخارج قوى العمل الأفراد القادرين على العمل ولكنهم لا يعملون ولا يبحثون عن العمل المثلر بسبب عدم رغبتهم فيه أو لاستغنائهم عن التكسب عن طريق العمل أو بسبب عدم إمكانهم الدخول في السوق للعمل لأسباب أخرى غير العجز مثل ربات البيوت والطلبة المتفرغون للعمل والزاهدون عن العمل ونزلاء المصحات والمستشفيات أو السجون، أما المقصود من خارج القوى العاملة فهم الأطفال دون سن العمل (١٥ سنة) والشيوخ فوق ٦٥ سنة والعجزة تماماً.

تم تجميع هذه الإحصائية من The Europa Year-Book 1995 .

٢٠- التقرير السنوي لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك) .

- المجموعة الإحصائية لدول الوطن العربي ، مرجع سابق، ص ٤٥٠-٤٥١ .

- التقر الاقتصادي العربي الموحد ١٩٩٥ م .

٢١- انظر المراجع السابقة (بند ٢٠) .

٢٢- انظر أصل ونشأة مفهوم القدرة على استيعاب رأس المال في المرجع التالي .

Guillaumont, P. "La Capacite D'absorption du Captal " These
Paris, 1964.

٢٣- هذه الدول هي الكويت- البحرين- السعودية- الإمارات- قطر- بروناي- ليبيا - عمان- ماليزيا- الجابون .

٢٤- هذه الدول هي : أثيوبيا- تنزانيا- سيراليون- الصومال- أوغندا- نيجيريا- تشاد- غينيا بيساو- بنجلاديش- النيجر .

٢٥- هذه الإحصائية خاصة بعدد ٣٣ دولة إسلامية فقط متوافر عنها البيانات - انظر تقرير البنك الدولي ١٩٩٥ م (مؤشرات تنمية) جدول ٤، ص ٢٢٠-٢٢١ .

- ٢٦- هذه الإحصائية خاصة بعدد ٣٣ دولة إسلامية فقط. انظر تقرير البنك الدولي ١٩٩٥ م ، جدول ٣ ، ص ٢١٨-٢١٩ .
- ٢٧- انظر تقرير البنك الدولي عن التنمية في العالم ١٩٩٥ م جدول ٦ ص ٢٢٤ وذلك لعدد ٣٣ دولة والتقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٩٥ م (ملحق ٣ / ١) ص ٢٣٤ لعدد ٨ دول هي . قطر- البحرين- العراق- لبنان- سوريا- السودان- جيبوتي- ليبيا .
- ٢٨- تقرير البنك الدولي ١٩٩٥ م ، جدول ١٣ ص ٢٣٨ وذلك لعدد ٣٣ دولة أما باقي الدول من تقرير البنك الإسلامي للتنمية بجدة عام ١٩٩٤-١٩٩٥ م .
- ٢٩- انظر في تفصيلات ذلك للمراجع التالية:
- د. حسين خلاف: تقييم الخطوات التي تمت حتى الآن لتحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول العربية- ندوة المشروعات المشتركة- القاهرة، ديسمبر ١٩٧٤م، ص: ١١٩-١١١ .
- د. علي لطفي. استراتيجية التعاون الاقتصادي العربي في ضوء تجارب الماضي - مؤتمر اتحاد الاقتصاديين العرب السادس- الرباط- يونيو ١٩٧٦م .
- ٣٠- انظر : نص المادة ٨ من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي.
- د. إسماعيل شلبي - معوقات العمل الاقتصادي العربي المشترك- بحث مقدم للمؤتمر التاسع لاتحاد الاقتصاديين العرب المنعقد في بغداد في ديسمبر ١٩٨٥م .
- ٣١- انظر تفصيلات ذلك في المراجع التالية:
- د. سعيد النجار -الوحدة الاقتصادية بين البلاد النامية- مصر المعاصرة - أكتوبر ١٩٦٤م، ص: ٧ .
- د. أحمد الغندور - الاندماج الاقتصادي العربي- معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م ، ص: ٩٢٨ .

Ballss B., " The Theory of Economic Integration " 1961, P.2 .

٣٢- ينطبق ذلك على الشركات المصدرة للبترول وشركة أنابيب البترول والمؤسسة العربية لضمان الاستثمار وشركات الاستثمار الثلاثة (الكويتية السودانية، الكويتية المصرية، والشركة العربية للاستثمار) وعلى مشروعتي شركتي مجلس الوحدة الاقتصادية (التعدين، الثروة الحيوانية).

٣٣- المشروعات التي تمت في إطار الجامعة العربية هي:

- شركات البوتاس العربية المحدودة- الصندوق العربي للمعونة الفنية للدول الأفريقية والعربية.

- الصندوق العربي لتقديم القروض للدول الأفريقية- الشركة العربية لناقلات البترول.

- الشركة العربية البحرية.

٣٤- المشروعات التي تمت في إطار مجلس الوحدة الاقتصادية هي:

- الشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية - الشركة العربية للتعدين.

- الشركة العربية لتنمية الثروة الحيوانية - الشركة العربية للاستثمارات الصناعية.

٣٥- المشروعات التي تمت في إطار اتحاد الجمهوريات العربية هي:

- مصرف الاتحاد العربي للتنمية والاستثمار - شركة الاتحاد العربي لإعادة التأمين.

- مؤسسة الإنماء العربي للتنمية الزراعية- شركة الاتحاد العربي للنقل البري.

- شركة الاتحاد العربي للنقل البحري.

٣٦- الشركات التي أنشئت في إطار المنظمة العربية المصدرة للبترول هي:

- الشركة العربية لنقل البترول، الشركة العربية لبناء وإصلاح السفن، الشركة العربية

للاستثمارات البترولية، الشركة العربية للخدمات البترولية.

٣٧- مثل الشركة السودانية الكويتية للاستثمار وشركة الاستثمار الكويتية المصرية والشركة

الكويتية المصرية للعقارات.

٣٨- مكونة من مساهمات مصر والسعودية وقطر والإمارات - وهي خاصة بتصنيع الأسلحة العربية وتطويرها.

٣٩- ومثال ذلك الشركة العربية لأنابيب البترول « سوميد ».

٤٠- ويقدر ما بين ١١ إلى ١٢ بليون دولار يغطي نفقات الاستشاريين الهندسيين وما بين ٦٠٠ إلى ٧٠٠ مليون دولار يغطي الأتعاب الإدارية والقانونية والاستشارية العامة والخدمات المالية ودراسات السوق.

- انظر : د. إبراهيم شعاته، الدولارات البترولية والمشروعات العربية المشتركة، مجلة السياسة الدولية، العدد ٤٦ أكتوبر ١٩٧٦م ويحيل في مقاله إلى:

Citicorps : Relationship With Development Funds and Economic

٤١- برهان الدجاني - التكامل الاقتصادي لدول مجلس التعاون في المجالين العربي والدولي - ورقة قدمت لندوة التكامل الاقتصادي لدول مجلس التعاون الخليجي ، الرياض ١٧-٢٠ ديسمبر ١٩٨٣م ، ص : ٤ .

- محمد محمود الإمام- التخطيط التكاملي على المستوى الشامل، ندوة التخطيط التكاملي بين دول مجلس التعاون الخليجي، دبي، ١٦ فبراير ١٩٨٧م.

- محمد سعيد بسيوني- تحقيق التنمية في إطار التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية - رسالة ماجستير - مقدمة لكلية التجارة فرع بنها، جامعة الزقازيق- ١٩٩٢م.

٤٢- انظر النظام الأساس والاتفاقية الخاصة باتحاد المغرب العربي.

٤٣- قدرت استثمارات دول مجلس التعاون الخليجي في الخارج بحوالي ٣٤٩ر٤ مليار دولار سنة ١٩٨٩م، منها ٤٤٦ مليار دولار في الدول النامية (بنسبة ١٢٧٪)، ٢٧ مليار دولار في صندوق النقد الدولي والبنك الدولي (بنسبة ٧٨٪) والباقي وقدره ٢٧٧ر٨ مليار دولار في الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية (بنسبة ٧٩٪).

- انظر رضا هلال - لعبة البترودولار - مؤسسة سينا للنشر - القاهرة ١٩٩٢م، ص: ٤٨ .
- ٤٤- بتاريخ ١٩ / ١٠ / ١٩٨٧م (وهو ما يسمى بالاثنين الأسود) حدث انهيار في البورصة نتج عنه خسائر للأسهم تقدر بحوالي ٥٠٠ مليار دولار . قُدِّر نصيب الدول العربية منها بحوالي ٦٠ مليار دولار.
- وانظر فتحي الخضراواي " نظرية الكارثة وانهيار الاثنين الأسود" مجلة العلوم الاجتماعية- جامعة الكويت- مجلد ١٦ العدد ٣ خريف ١٩٨٨م، ص: ١٧ .
- كذلك تحملت الدول العربية خسائر كبيرة في انهيار بنك الاعتماد والتجارة الدولي في أواخر عام ١٩٩١م.
- ٤٥- أخرج البخاري .
- ٤٦- Allais "Fondements Theoriques, Perspectives et Conditions D'un
Marche Commun Effectif " Revue d'Economique Politique,
Janvier, Fevrier 1958, P. 65.
- UNCTAD, " Main Problems of Trade Expansion and Economic
Integration Among Developing Countries" Report by UNCTAD
Secretariat. Third Session, Santiago de Chile, Vol May. 1972. P.
143.
- ٤٧- انظر المراجع السابقة نفسها .
- ٤٨- لا يعنى التنسيق هنا التوحيد - وحيث إن التوحيد لا يكون للسياسات المتبعة دائماً
لأثارها
- انظر في ذلك .

Ballassa B., " Theory of Economic Integration " 1961, P.272 .

- ٤٩- وهذا لايعني عدم وجود مشكلات ، حيث واجهت السوق الأوروبية المشتركة بعض
المشكلات - منها مشكلة الوحدة النقدية والسياسة الزراعية ولكن استطاعت دول السوق

أن تتغلب عليها بالتنسيق والتدخل بين السياسات المختلفة لدولها .

- انظر د. إسماعيل تسليبي - التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية ، ص : ٢٦٩ .

٥٠- معظم المشكلات الاقتصادية المعاصرة والسابقة قد أخذت بهذا الأسلوب في بداية نكتلها مثل الكوميكون في القطاع الصناعي والزراعي والنقل . ودول أوروبا الغربية وعدد من دول السوق الأوروبية المشتركة وقد أقامت مثل هذا الأسلوب في المجمع الأوروبي للفحم والصلب ، وكذا دول أمريكا اللاتينية .

انظر لتجار بهذه الدول في المرجع التالي :

N. U., Problemes Actuels d'integration economique " Repartition des avantages et des couts l'integration entre pays en voie de developpement. TD/B394NEW York 1973.

٥١- انظر في ذلك المرجع التالي :

Kindelberger, C. R. , " European Integration and the International Corporation" in Europe and the Dollar, M. I. T. Press, Cambridge, 1966, P.88 .

المراجع

أولاً : المراجع العربية :

- القرآن الكريم .

- الأحاديث النبوية الشريفة .

أ - مراجع فقهية :

- ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم ، (د.ت) ، مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم ، المجلد الخامس والعشرون والمجلد التاسع والعشرون .

- أبو عبيد ، القاسم بن سلام ١٤٠١هـ ، كتاب الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية ، دار الفكر .

- أبو يوسف ، القاضي يعقوب بن إبراهيم ، (د.ت) ، كتاب الخراج ، تحقيق دكتور محمد إبراهيم البنا ، دار الاصلاح للطبع والنشر والتوزيع .

- ابن الجوزي ، (د.ت) ، المنتظم ج ٥ ، ص ١٧٢ ، ج ٦ ، ص ٥٠ .

- د. البري ، زكريا ، ١٩٧٢م ، أصول الفقه الإسلامي ، الجزء الأول ، دار النهضة العربية القاهرة .

- الشاطبي (١٣٣١هـ) ، الموافقات ، المطبعة السلفية ، القاهرة .

- صحيح البخاري ، بحاشية السندي (د.ت) ، المجلد الأول ، دار الفنار ، باب كتاب المظالم .

ب - كتب وأبحاث في الاقتصاد الإسلامي :

- د. إبراهيم يوسف (١٩٨١م)، المنهج الإسلامي في التنمية ، الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية ، القاهرة .
- المودودي ، أبو الأعلى (١٣٨٧هـ)، أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة ومعضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام، الطبعة الثانية ، السلام لسعودي للنشر ، وقد نقله للعربية محمد عاصم الحداد .
- العسال ، أحمد محمد ، و عبدالكريم ، فتحي أحمد (١٣٩٧هـ)، النظام الاقتصادي في الإسلام مبادئه وأهدافه ، مكتبة وهبة القاهرة .
- العناني ، حسن صالح ، (د.ت)، خصائص إسلامية في الاقتصاد ، من منشورات المعهد العالي الدولي للبنوك والاقتصاد الإسلامية .
- العناني ، حسن ، الشافعي ، حسن (١٤٠٢هـ)، حول الأسس العلمية والعملية للاقتصاد الإسلامي ، من مطبوعات المعهد الدولي للبنوك والاقتصاد الإسلامي .
- الفنجري ، محمد شوقي ، (١٩٧٨م)، ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية وأهمية الاقتصاد الإسلامي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الوجيز في الاقتصاد الإسلامي ، دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة.
- الصدر ، محمد باقر (١٩٧٣م) اقتصادنا ، دار الفكر ، بيروت.
- د. شلبي ، إسماعيل (١٩٨٠م) ، التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية ، من مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، القاهرة.
- بسيوني ، محمد سعيد (١٩٩٢م)، تحقيق التنمية في إطار التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية ، رسالة ماجستير ، مقدمة لكلية التجارة فرع بنها ، جامعة الزقازيق .

ج - كتب وأبحاث في الفكر الإسلامي :

- أبو العلا ، محمود طه (١٩٦٦م) جغرافية العالم الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة .
- القرضاوي ، يوسف (د.ت) الخصائص العامة للإسلام ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
- حمدان ، جمال (١٩٩٣م) العالم الإسلامي المعاصر ، كتاب الهلال ، العدد ٥١٢ ، أغسطس ، القاهرة .

د - مؤتمرات وندوات علمية ومحاضرات :

- الدجاني ، برهان ، التكامل الاقتصادي لدول مجلس التعاون في المجالين العربي والدولي ، ورقة قدمت لندوة التكامل الاقتصادي لدول مجلس التعاون الخليجي ، الرياض ، ١٧-٢٠ ديسمبر .
- العربي ، محمد عبدالله ، محاضرة عن الاقتصاد الإسلامي ، مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر .
- الفنجرى ، محمد شوقي ، المذهب الاقتصادي في الإسلام ، من بحوث المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي ، جدة ١٩٨٠م .
- الإمام ، محمد محمود ، التخطيط التكاملي على المستوى الشامل ، ندوة التخطيط التكاملي بين دول مجلس التعاون الخليجي ، دبي ، ١٦ فبراير ١٩٨٧م .
- خلاف ، حسين ، تقييم الخطوات التي تمت حتى الآن لتحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول العربية ، ندوة المشروعات المشتركة ، القاهرة ديسمبر ١٩٧٤م .

- زكي ، حسن عباس ، إتفاقية الجات ١٩٩٤م والحاجة إلى نموذج عمل واقعي للتعامل مؤتمر (أثر إتفاقية الجات على اقتصاديات الدول الإسلامية) جامعة الأزهر ، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي ٢١-٢٣ مايو ١٩٩٦م.
- د. شلبي ، إسماعيل :
- حقوق الإنسان والتنمية في الإسلام ، ندوة حقوق الإنسان والتنمية ، جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، يوليو ١٩٨٥م.
- التكامل الاقتصادي بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، ندوة التكامل الاقتصادي ، جامعة الملك سعود بالاشتراك مع المعهد العربي للتخطيط بالكويت ، الرياض ، ديسمبر ١٩٨٣م.
- الاعتماد على الذات لمصر في إطار الاعتماد الذاتي للعالم العربي ، بحث مقدم للمؤتمر العلمي السنوي للاقتصاديين المصريين ، القاهرة ٢٦-٢٨ مارس ١٩٨١م.
- مقومات انسياب رؤوس الأموال العربية في المنطقة العربية ، معهد الدراسات المصرفية للبنك المركزي المصري ، القاهرة فبراير ١٩٧٩م.
- السوق الإسلامية المشتركة ، ندوة العلاقات الاقتصادية بين الدول الإسلامية ، جامعة اسطنبول ، تركيا ، مايو ١٩٨٤م.
- معوقات العمل الاقتصادي العربي المشترك ، بحث مقدم للمؤتمر التاسع لاتحاد الاقتصاديين العرب ، في بغداد ، سبتمبر ١٩٨٥م.
- التنمية الاقتصادية والإسلام ، مؤتمر جامعة المنصورة ، إبريل ١٩٨٣م ، القاهرة.
- البنوك الإسلامية والتنمية ، ندوة بنك فيصل الإسلامي ، القاهرة ، ديسمبر ١٩٨٣م.

• خصائص ومميزات النظام المالي في صدر الإسلام، ندوة جامعة اليرموك، الأردن أبريل ١٩٨٧م.

• المشروعات العربية المشتركة كإحدى صيغ التوظيف الأمثل للعوائد النفطية في الفترة القادمة ، حالة قطاع البترول في كل من مصر والكويت ، بحث مقدم لندوة مركز الدراسات الاقتصادية والسياسية ، بجامعة القاهرة ، عام ١٩٨٨م.

- لطفي ، علي ، استراتيجية التعاون الاقتصادي العربي في ضوء تجارب الماضي - مؤتمر اتحاد الاقتصاديين العرب السادس - الرياض - يونيو ١٩٧٦م

- مشهور ، نعمت عبداللطيف - « مواجهة الدول الإسلامية لاتحاد تحريم التجارة العالمية في إطار جولة أوجواي » « مؤتمر أثر اتفاقية الجات على اقتصاديات الدول الإسلامية وجامعة الأزهر» - مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي - القاهرة ٢١ - ٢٣ مايو ١٩٩٦م .

هـ - دوريات ومنشورات :

- البنك الدولي : ١٩٩٥م - تقرير عن التنمية في العالم ومؤشرات التنمية الدولية .

- التقارير السنوية للبنك الإسلامي للتنمية بجدة .

- التقرير السنوي لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول " أوابك " .

- التقرير العربي الاقتصادي الموحد - سبتمبر ١٩٩٥م (ملحق ٢ - ٩) .

- التقرير السنوي للمركز الإسلامي لتنمية التجارة ١٩٩٥م .

- الروبي ، ربيع ، الاقتصاد الإسلامي والمشكلة الاقتصادية - المجلة العلمية تجارة الأزهر - العدد الثاني عشر - أكتوبر ١٩٨٥م .

- الخضراوي ، فتحي ، « نظرية الكارثة وانهيار الاثنين الأسود » مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت - مجلد ١٦ - العدد ١٦ - العدد ٣ خريف ١٩٨٨م .
- الغندور ، أحمد ، الاندماج الاقتصادي العربي - معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م .
- منظمة الأغذية والزراعة . F. A. O. Production Year-Book 1995 .
- المجموعة الإحصائية للوطن العربي ٨٨-١٩٩٤م - جامعة الدول العربية .
- النجار ، سعيد ، الوحدة الاقتصادية بين البلاد النامية ، مصر المعاصرة أكتوبر ١٩٦٤م .
- زكي ، حسن عباس ، جريدة الأهرام - القاهرة في ١٤/٦/١٩٩٦م .
- صديقي ، محمد نجاة الله ، مدخل إسلامي لعلم الاقتصاد ، مجلة المسلم المعاصر العدد ٣٨ . - The Europa Year Book 1995 .
- مذكرات مجلس الوحدة الاقتصادية - الأمانة العامة للمشروعات العربية والمشروعات العربية الدولية المشتركة - تحليل وحصر وتبويب - يونيو ١٩٧٦م .
- و - كتب وأبحاث في الاقتصاد الوضعي :
- رشيد ، عبدالوهاب حميد ، دور المشروعات المشتركة في التكامل الاقتصادي العربي - رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة في الاقتصاد - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٧٩ - ١٩٨٠م .
- هلال ، رضا ، لعبة البترو دولار - مؤسسة سينا للنشر - القاهرة .

ثانياً - المراجع الأجنبية :

- Allais, M. (1985) " Fondements Theoriques Perspectives et Conditions d'un Marche Commun Effectif". Revue d'Economic Politique, Janvier, P.65.
- Ballassa, B. (1961) " The Theory of Economic Integration " P.2.
- Deniw , J. F. (1964) Le Marche Commun , Pp. 18-9.
- Guillaumont, P. (1964) " La capacite d, obsorption du Capital ' These Paris J. F. (1964).
- Kindelberger, C. R. (1966) " European Integration and the International corporation" in Europe and the Dollar, M. I. T. Press, Cambridge, P.88.
- Mead, J. E. (1955) " Theory of Custom Union" North-Holland Publishing Company, Amsterdam.
- Myrdal, (1956) An International Economy Routhledge an Kegan Paul, London .
- N. U. (1973) Problemes actuels d'integration economique "Repartition des avantages et des coutes dans L'integration entre pays en voie de developpement. TD/B/394 New York .
- O. N. U. (1975) " Le Role des Institutions Financiaros Multilaterales dans la prentation de L'integration economique en pays en voie de developpement " N. Y. P.5.

- J. Pinder (1969) Problems of European Integration , in :
Denton. G. R. Economic Integration in Europe, Weidenfeld
Nicolson, London .
- Robinson E. A. G. (1960) Introduction to the Economic
Consequences of the size of nations. P. xx1 .
- Robson, P. (1967) " Economie Integration in Africa " .
Georges Allen an. unwin. LTD.
- Tinbergen , J. (1954) International Economic Integration,
Elsevier, Amesterdam and Brussies , P. 122.
- U. N. (1975) Problemes acturils d'integration economique,
rep des avantages et des coutes dans L'integration enter pays en
voie de developpement, N. Y. P.12.
- U. N. UNCTAD. (1972) "main problems of trade
Expansion and Economic integration Among Developng
Countries", Report by Un CTAD Secretariat. Third Session,
Santiago de Chile, May P.143.
- Viner J. (1950) " The Custom Union Lssue: cornegne
Endowment for International Peace , New York .
- The Europa (1995) Year Book .

فهرس الأشكال

الرقم	الموضوع	الصفحة
١	المساحة الإجمالية للغابات بالدول الإسلامية (١٩٩٠م).....	٧٦١
٢	مساحة الأراضي المحمية بالدول الإسلامية (١٩٩٣م).....	٧٦٣
٣	توزيع سكان العالم (بالتكتل)	٧٦٨
٤	صافي تحويلات العاملين في الخارج للدول الإسلامية (١٩٩٣م)	٧٨٢
٥	متوسط دخل الفرد من الناتج الوطني الإجمالي بالدول الإسلامية (١٩٩٣م).....	٧٨٥
٦	الديون الخارجية (١٩٩٣م).....	٧٨٧
٧	القيمة المضافة في الزراعة (١٩٩٣م).....	٧٩٤
٨	نصيب الزراعة من توزيع الناتج المحلي الإجمالي للدول الإسلامية (١٩٩٣م).....	٧٩٧
٩	الناتج المحلي الإجمالي (١٩٩٣م).....	٨٠٧
١٠	هيكل الصناعة التحويلية - القيمة المضافة	٨٠٩
١١	دول السوق الأوروبية المشتركة	٨٢٠
١٢	دول منظمة النافتا.....	٨٢١
١٣	دول منظمة المؤتمر الإسلامي	٨٢٢
١٤	إجمالي صادرات الدول الإسلامية (١٩٩٣م).....	٨٢٥
١٥	إجمالي واردات الدول الإسلامية (١٩٩٣م).....	٨٢٦
١٦	التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية للدول الإسلامية	٨٢٩
١٧	دول مجلس التعاون الخليجي.....	٨٣٢
١٨	دول منظمة التعاون الاقتصادي	٨٣٤
١٩	دول رابطة شعوب جنوب شرقي آسيا الإسلامية	٨٣٨
٢٠	دول الاتحاد المغربي العربي	٨٤٠
٢١	دول المنظمة الاقتصادية لدول غربي أفريقيا.....	٨٤٤

فهرس الجداول

الرقم	الموضوع	الصفحة
١	مساحة الغابات في الدول الإسلامية	٧٦٤
٢	مساحة الأراضي المحمية بالدول الإسلامية	٧٦٧
٣	الإيرادات النفطية لبعض الدول الإسلامية	٧٧٧
٤	تحويلات العاملين في الخارج للدول الإسلامية	٧٨٠
٥	متوسط نصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي	
	بالدول الإسلامية	٧٨١
٦	مؤشرات الديون الخارجية للدول الإسلامية	٧٨٦
٧	القيمة المضافة في الزراعة	٧٩٣
٨	نصيب الزراعة من توزيع الناتج المحلي الإجمالي	
	في بعض الدول الإسلامية	٧٩٦
٩	متوسط نصيب الفرد من الناتج الزراعي	٨٠٠
١٠	توزيع الناتج المحلي الإجمالي	٨٠٦
١١	الصناعة التحويلية - القيمة المضافة	٨٠٨
١٢	متوسط نصيب الفرد من ناتج الصناعة	
	في بعض الدول الإسلامية	٨١٠
١٣	تجارة السلع	٨١٤
١٤	الفائض من تجارة السلع لدى بعض الدول الإسلامية	٨١٦
١٥	مقارنة بين النظريات الاقتصادية الدولية وبين دول العالم	
	الإسلامي	٨١٧
١٦	التجارة الخارجية للدول الإسلامية مع بقية دول العالم	٨٢٧

« تابع » فهرس الجداول

الرقم	الموضوع	الصفحة
١٧	التجارة البينية لدول مجلس التعاون الخليجي	٨٣٣
١٨	التجارة البينية للدول الإسلامية بمنظمة التعاون الاقتصادي	٨٣٥
١٩	التجارة البينية لدول رابطة شعوب جنوب شرقي آسيا الإسلامية	٨٣٧
٢٠	التجارة البينية للدول الاتحاد المغربي العربي	٨٣٩
٢١	التجارة البينية للدول الإسلامية في المنظمة الاقتصادية	
	لدول غربي أفريقيا	٨٤٣
٢٢	المساحة والسكان ونصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي	
	لدول مجلس التعاون الخليجي	٨٩٣
٢٣	بعض المؤشرات الأساسية لدول الاتحاد المغربي العربي	٨٩٩

**The Deanery of Academic Research
P.O.Box 18011 Riyadh 11415
Fax. (01) 2590261
Kingdom of Saudi Arabia**

Contents

1- The Role of the Kingdom of Saudi Arabia in the Islamic World.

H.E Prof. Abdullah A. AL-Turki

2- The General Aspects of the Physical Geography of the Islamic World

Prof. Adil A. AbdelSalam.

3- The Population of the Islamic World.

Dr. Sayed Khalid Al-Matari

4- The Cultural Geography of the Islamic World

Prof. Mohammad M. Al-Siryani

5- The Basis of Economic integration in the Islamic World.

Prof. Ismail A. Shalaby

Editorial Board

- Prof. Mahdi Amin El - Tom .
Deanery of Academic Research .
- Prof. Abdallah N. Al - Welaie .
Geography Dept. College of Social Sciences, Riyadh.
- Prof. Mahamoud Towfik Mahamoud .
Deanery of Academic Research .
- Dr. Abdallah H. Al - Khalaf .
Geography Dept. College of Social Sciences, Riyadh.
- Dr. Al - Asam A. A. Al - Asam .
Geography Dept. College of Social Sciences, Riyadh.
- Dr. Ibrahim S. Al - Dosary .
Geography Dept. College of Social Sciences, Riyadh.
- Dr. Abdullah S. Al - Rekeiba .
Geography Dept. College of Social Sciences, Riyadh.
- Dr. Abdel Rahman A. Al - Sinaidi .
History Dept. College of Social Sciences, Riyadh .
- Dr. Mohammad S. Al - Rebdi .
Geography Dept. College of Social Sciences, Riyadh.
- Dr. Abdulla A. Al - Sebaiheen .
Geography Dept. College of Social Sciences, Riyadh.
- Mr. mohammad Atiya Abdel Muhsin (Map Technician)
Deanery of Academic Research .

Advisory Board

Prof. Abdullah Ibn-Yusuf Al-Shibl.

President of the University - (President)

Prof. Muhammed Ibn - A. Rahman Al-Rubai.

Principal for Post-Graduate Studies and Academic
Research. (Member)

Dr. Abdullah Ibn Abdel Rahman Al-Rabei.

Dean of Academic Research. (Member)

Prof. Mahdi Amin Al-Tom.

Academic Supervisor and Editor -In - Chief.
(Member)

All Rights Reserved
The First Edition
1999 A.D / 1419 H

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY
DEANARY OF ACADEMIC RESEARCH



The Geographical Encyclopedia of the Islamic World

Volume 15

**THE GENERAL ASPECTS OF THE
GEOGRAPHY OF THE ISLAMIC WORLD**

1419 H. - 1999 A. D.

Issued on the occasion of Centennial Anniversary of
The Kingdom of Saudi Arabia Foundation
Published Under The Supervision of the
Department of Culture And Publications

**THE GENERAL ASPECTS OF THE
GEOGRAPHY OF THE ISLAMIC WORLD**